

ركائز القدوة والإيمان بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان

الجزء الثالث

تأليف

الأستاذ الدكتور

أحمد أحمد غلوش

عميد كلية الدعوة الإسلامية الأسبق

جامعة الأزهر

- ٣ -

ركائز القدوة و الإيمان
بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان
فيما اتفق عليه الشيخان

الطبعة الأولى

١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م

﴿ حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله
وصحبه أجمعين ، ومن والاه من المسلمين

وبعد ؛؛؛

فقد أعانني الله تعالى فانتهيت من تأليف الجزء الثاني من مؤلفي

ركائز القدوة والإيمان بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان

وفيه حاولت شرح الحديث شرحاً يبين معناه ، ويوضح غريبه كما
جاءت في شروح صحيح البخاري، ومسلم، وحللت أحاديث كل باب
لاستنباط بعض الأحكام والحكم ، واستخرجت أهم الركائز التي هداني الله
تعالى إليها، وقد أوردت أهم الأحكام المستفادة من الحديث بصورة إجمالية
مكتفياً فيها بآراء جمهور الفقهاء ، وآراء أصحاب المذاهب الأربعة كما
جاءت في شروح الصحيحين غالباً .

ولقد انتهى الجزء الثاني عند (باب سجود التلاوة) وهو الباب
التاسع عشر من كتاب (المساجد ومواضع الصلاة) ولذا سيبدأ الجزء
الثالث بالباب العشرين وهو (باب الذكر بعد الصلاة) من كتاب
(المساجد ومواضع الصلاة) وسأتبع في دراسته نفس المنهج الذي سرت

عليه في الجزئين الأول والثاني المشتمل على المسائل التالية:-

أولاً : تحديد موضوع أحاديث الباب كما هو في العنوان بشيء من التفصيل .

ثانياً : بيان الدلالات اللغوية لأحاديث الباب لمعرفة معاني الألفاظ، ودلالات كلمات الحديث اللغوية، والوقوف على إشارات بعض الأحكام الفقهية كما بينها الفقهاء .

ثالثاً : بيان المعنى العام لأحاديث الباب لإيجاز القضايا التي تناولتها باختصار .

رابعاً : إبراز أهم الركائز الدعوية والإيمانية التي يمكن استنباطها من أحاديث الباب ، وتشير إليها الأحاديث بصورة ضمنية .

خامساً : ذكر الفوائد التي يمكن استنباطها من أحاديث الباب .

سادساً : اكتفيت في تخريج الحديث باسم الكتاب والباب ، ورقم وروده لأتجنب اختلاف الطبعات .

وبذلك أتمنى تحقيق ما أرجوه من الكتاب ، بشرح أحاديثه ، وبيان أهم أحكامه، وأخذ الدروس والعبر منه، والله من وراء القصد ، وهو حسبي ، ونعم النصير .

أ . د / أحمد أحمد أحمد غلوش

التاسع من شهر صفر ١٤٣٦هـ

مدينة نصر في

الأول من ديسمبر ٢٠١٤م

- ٦ -

كتاب المساجد ومواضع الصلاة

(تكملة)

- ٢٠ -

٢٣- باب الذكر بعد الصلاة

حديث ابن عباس م قال: كُنْتُ أَعْرِفُ انْقِضَاءَ صَلَاةِ
النَّبِيِّ ﷺ بِالتَّكْبِيرِ (١)

[٣٤٢]، (١)

٨٤٢

- أ -

موضوع حديث الباب

يدور حديث الباب حول جواز رفع الصوت بالتكبير عقب انتهاء الصلاة مباشرة .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يروى أبو معبد ﷺ مقالة ابن عباس م حين قال: (كُنْتُ أَعْرِفُ انْقِضَاءَ صَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ بِالتَّكْبِيرِ) وأبو معبد مولى ابن عباس ﷺ راوى هذا الخبر عن مولاه حكاية لحال رسول الله ﷺ

وقول ابن عباس م له حكم الحديث المرفوع ، لأن رواية الصحابي عن حالة شاهدها في أفعال رسول الله ﷺ لها حكم الحديث المرفوع عند جمهور المحدثين، وهو وإن كان مرسلًا لفظًا فهو مرفوع معنى لدلالته على حكم شرعي (٢) ولم يخالف في ذلك إلا من لا يعتد برأيه .
وفى الحديث دلالة على استحباب الجهر بالذكر والتكبير بعد الصلاة إلا أن الشافعي ﷺ حمل ذلك على أن الصحابة جهروا بالذكر بعد الصلاة

(١) أخرجه البخاري في: ١٠ كتاب الأذان: ١٥٥ باب الذكر بعد الصلاة .

(٢) فتح الباري ج ٢ ص ٣٢٥ بتصرف .

وقتا لتعليم صفة الذكر، ولم يداوموا على ذلك ^(١)
وجاء في حديث آخر لأبن عباس م: (كنت أعلم) ^(٢) بدل (كنت أعرف)
وهذا يبين جواز تسمية الظن بالغالب بالعلم والمعرفة معا .

وفى الحديث عدد من المسائل :

المسألة الأولى : بيان أن رسول الله ﷺ وصحابته رضي الله عنهم لم يتخذوا
مُبلِّغاً يجر بصوته خلف الإمام ؛ ليعلم المصلون أفعال الإمام فيأتموا بها
، ويعلموا انتهاء الصلاة من المبلغ .

المسألة الثانية : علم ابن عباس م بانقضاء النبي ﷺ من صلاته
بالتكبير يفيد أحد أمرين :

أولاهما : أن ابن عباس م لم يكن يصلى يومذاك مع رسول الله
ﷺ لصغره .

ثانيهما : أو أنه ﷺ كان في مؤخرة الصفوف فلم يكن يسمع
صوت تسليم النبي ﷺ .

المسألة الثالثة : سأل عمرو بن دينار رضي الله عنه شيخه أبا معبد الذي روى
عنه الحديث ، بعد مدة من روايته للحديث فأنكره ، وقال له : لم أحدثك
بهذا

فقال عمرو رضي الله عنه له : قد أخبرتنى قبل ذلك ... وكأنه نسيه بعد أن حدثه
به ، وهذا ممكن عقلا وواقعا .

(١) شرح النووي ج ٢ ص ٢٣١ ، طبعة الشعب .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب : الأذان ، باب : الذكر بعد الصلاة .

وقد أدى هذا الحال إلى ظهور عدة آراء للمحدثين والفقهاء :

أما المحدثون : فقد رأوا صحة الحديث الذي نقله العدل الثقة، ولو أنكره راويه ، وقالوا : إما أن يجزم الراوي برده أو لا يجزم.... فإن جزم الراوي برد الحديث ولم يكذب الراوي عنه فالحديث صحيح ؛ لأن الفرع ثقة ، والأصل لم يطعن فيه ، وإنكار التحديث لا يعني إنكار الخبر ؛ لأنه من الممكن أن يخبر الراوي راو آخر ، فيتحدث به عنه .

وإن تردد الأصل في روايته ، وتردد الفرع في سماعه سقط العمل به لتحقيق الشك ، وعدم القطع عند الطرفين .

وإن جزم الأصل برد الحديث وصرح بتكذيب الراوي فالحديث مردود لأن الأصل كذب الفرع ، والفرع كذب الأصل ، وليس أحدهما أولى من الآخر في التصديق لاحتمال النسيان بسبب الكبر أو بسبب غلبة الطبيعة البشرية ^(١)

وأما الفقهاء : فقد ذهب جمهورهم إلى قبول الحديث المذكور ، والعمل به ؛ لأن أبا معبد رضي الله عنه لم يكذب عمرو رضي الله عنه ، ولم يقطع برده ، فبقي العمل بالحديث لصحته .

وذهب الأخناف ، وأحمد رضي الله عنه في إحدى روايته إلى عدم العمل بالحديث لأن الأصل هو الشاهد عندهم ، والعبرة بقوله وقد أنكره ^(٢) .

المسألة الرابعة : جواز إطلاق المعرفة على الظن الغالب؛ لأن

(١) فتح الباري ج ٢ ص ٣٢٦ .

(٢) شرح النووي ج ٢ ص ٢٣١ ، طبعة الشعب .

ابن عباس **م** كان يعرف انتهاء صلاة النبي ﷺ بسماع التكبير، وسماع التكبير يحقق الظن الغالب، لجواز أن يكون التكبير في الصلاة قبل التسليم

المسألة الخامسة : استدل بعض الفقهاء باستحباب التكبير، وتقديمه على التسبيح ، والتحميد عقب الصلاة ؛ لأن ابن عباس **م** كان يسمع التكبير عقب انتهاء الصلاة دون غيره ، وتؤيدهم رواية ابن عجلان رضي الله عنه التي قدمت التكبير على التحميد والتسبيح ، وقول أبي صالح رضي الله عنه :

(تكبر، وتحمد ، وتسبح) كما أورده أبو هريرة وابن عمر رضي الله عنهما ^(١)

وقد وردت روايات أخرى بغير هذا الترتيب مما يشير إلى أنه لا ترتيب بين الثلاثة ، والبدء بأيها جائز ، كما جاء في الحديث (لا يضررك بأيهن بدأت) ^(٢)

ويمكن القول بأن البدء بالتسبيح، ثم بالتحميد، ثم بالتكبير أولى لما في هذا الترتيب من دلالات معنوية وإشارات إيمانية؛ لأن التسبيح يعني تنزيه الله تعالى عن النقائص، وبعده يثبت التحميد الكمال المطلق لله تعالى، إذ لا يلزم من نفي النقائص إثبات الكمال فكان لا بد منه، وأخيراً يكون التكبير لإثبات أنه لا كبير غير الله ؛ لأن إثبات الكمال لا يقتضى عدم وجود كبير آخر ، وأخيراً يكون التهليل الدال على انفراد الله بكل هذه الخصائص ^(٣)

(١) فتح الباري ج ٢ ص ٣٢٧ .

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الآداب، باب: كراهة التسمية بالأسماء القبيحة، حديث: ٤٠٧٩

(٣) فتح الباري ج ٢ ص ٣٢٨ .

ولا مانع مع كل هذا أن يكون النبي ﷺ قد بدأ بهذا مرة، وبذلك مرة أخرى، وأن رواية ابن عباس م في أحاديث الباب تصور موقفا حين بدأ النبي ﷺ بالتكبير دون سواه ، كما يمكن القول أن المقصود بالتكبير في الحديث ليس هو التكبير الذي يكون مع التسبيح والتحميد .

المسألة السادسة : يسمى التكبير بالذكر من باب تسمية الخاص بالعام ، لما روي أن ابن عباس م قال لمولاه : **(إن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على هدى النبي ﷺ)** ^(١) ، فسمى التكبير بالذكر من باب تسمية الخاص باسم العام، أو لتفسير الذكر بالتكبير ^(٢) .

المسألة السابعة : لم تكن الصلاة نهاية ذكر الله تعالى عند الصحابة ، بل هي للعبادة المفروضة ، وبعدها وقبلها تستمر عبادة المسلم بذكر الله تعالى ، والتوجه إليه في كل قول وعمل .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يبين الحديث اهتمام الصحابة بأعمال رسول الله ﷺ ، واقتداؤهم به ، وهو في صلاته ، أو وهو خارجها ليعملوا بها ؛ لأنهم يعلمون أن سائر أقواله ، وأحواله ﷺ دين متبع ، ووحى منزل مالم يبين أنه خاص به ﷺ ومن ذلك ما يدل عليه الحديث من أن ابن عباس م ، كان يسمع

(١) صحيح البخاري ، كتاب الآذان ، باب الذكر بعد الصلاة .

(٢) فتح الباري ج ٢ ص ٣٢٦ .

صوت النبي ﷺ وهو يكبر عقب الصلاة ، فيعلم بذلك انتهاء الصلاة ،
وبدء ذكر الله تعالى .

وأخذ الفقهاء والمحدثون من ذلك جواز التكبير عقب الصلاة ،
ورفع الصوت به للتعليم والتذكير ، ما لم يكن في رفع الصوت أذى يلحق
بالمتأخر في الصلاة ، وقد اهتم المحدثون والفقهاء بالحديث ، وأخذوا منه
الفوائد والعبر ، والحكم والأحكام على نحو ما قدمت في الدلالات ، ومن
أهم ما أرشدوا إليه المنهج النبوي المتبع في الأعمال والأقوال عقب الصلاة
المكتوبة .

- د -

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب أن النبي ﷺ كان حين يخرج من الصلاة يكبر
الله عقبها ، ويذكره ، ويدعوه ، ويسبحه ، ويهلل له ، ويوضح بذلك المنهج
الإسلامي لكل مصل وذاكر ، ليصلي كما صلى رسول الله ﷺ ، ويداوم
على الذكر والدعاء والتأمل بعد الصلاة .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في حديث الباب

يتضمن حديث الباب عددا من الركائز ... أهمها : -

الركيزة الأولى

ضرورة التأسي برسول الله ﷺ

اهتم الصحابة رضوان الله عليهم بنقل كل ما علموه عن رسول الله
ﷺ قولاً أو عملاً أو حالاً أو صفة ؛ ليقينهم أن رسول الله ﷺ عاش معهم
بوحى الله تعالى ، ليعلموا منه الإسلام ، ويعيشوا به ، ويتخذوا من أعمال

رسول الله ﷺ القدوة والأسوة

ولذلك تحدث ابن عباس م عن حالة رسول الله ﷺ عقب التسليم إذ كان يكبر ؛ ليعرف البعيد والقادم أن رسول الله ﷺ انتهى من الصلاة ، وبذلك يجد المسلم في حياته ﷺ المنهج ، والعمل والغاية ، فلقد كان ﷺ يُعلم ، ويُفتي ، ويتعاون مع أصحابه .

ودل الحديث على هذه الحقيقة ، وأرشد إلى أهمية وجود ما يرمز إلى انتهاء المصلي من صلاته ، مثل رفع الصوت بالتكبير ، وتغيير الإمام لجلسته ، تأسيساً برسول الله ﷺ .

ومن الضروري أن يتحرى المسلم في كافة جوانب حياته حياة رسول الله ﷺ ، ويسارع إلى التأسي برسول الله ﷺ ولن يتم له هذا إلا بالإحاطة بالسنة ، ومعرفة سيرته ﷺ وكافة شمائله .

ولذا نرى أهمية عناية الدعاة ، والعلماء ، والمربين بتعليم سيرة رسول الله ﷺ وأخذ الدروس والعبر من كافة جوانب سنته ﷺ ليعلم الجميع أن المسلمين في أمس الحاجة ليعلموا دينهم، حتى يتغلبوا على عمليات التجهيل والإفساد التي يتعرضون لها في كل مكان ، ومن جهات كثيرة وبصور عدة ، وبجند كثيف من شياطين الإنس والجن ، حتى قاربت معالم الحق أن تختفي ، ويعلو فوقها صوت الضلال والضالين .

الركيزة الثانية

تنظيم الأعمال سر النجاح

يشير حديث الباب إلى صورة محددة من حياة المسلمين مع رسول الله ﷺ ، فهم - رضوان الله عليهم - كانوا يأخذون نظام حياتهم من رسول

الله ﷻ، ويسلكون كل سبيل سلكه رسول الله ﷺ وأرشد إليه بإحكام وتفصيل ومن ذلك نظام عبادتهم لربهم ، وسائر النظم الحياتية بما فيها من الترتيب ، والتخطيط ، والتنسيق ، والتوازن .

فللصلاة وقتها الذي يبدأ بالأذان، وتتم اقامتها والدخول فيها بتكبيره التحريم وإقامة أعمال الصلاة ، فإذا انتهت الصلاة يعلنون ذلك بالتكبير، والذكر لينطلق المصلون بعد ذلك إلى معاشهم ، وابتغاء فضل الله تعالى ، والتمتع بما في الدنيا من خير وعطاء ، وهم يذكرون الله تعالى في أرضه ، ويتفكرون في مخلوقاته ، وفضائله .

ولللنكاح في الإسلام نظامه، وللطعام والمشى نظامه ... ولسائر أعمال الإنسان في الإسلام نظام محكم .

إن هذه الحقيقة تؤكد أن الحياة في الإسلام قائمة على النظام الواضح بحيث لا يطغى جانب على غيره ، ولا يضيع وقت بغير عمل ... والوجود كله يوضح ما في الكون من نظام دقيق قدره الله ﷻ ، فالسمااء مرفوعة، والأرض مبسوطة ، والزمن لحظات متتابعة، واليوم ليل ونهار، والشمس والقمر، والكواكب والنجوم تسير في أفلاكها بلا تخلف والمخلوقات على تنوعها، وتعددتها قد هداها خالقها لما يحييها، ولما تقوم به ...

ولذلك جاء الإسلام ليعلم أتباعه نظام الحياة الذي يعيشون به عباداً عاملين لله رب العالمين ، وبذلك يرتب الفرد وترتب الجماعة حياتها على منهج الإسلام في تناسب ، وتوازن ، وتتابع وبهذا النظام الإسلامي يكون للجماعة رائدها ، ويكون لكل مسلم منهج وطريق ، ويحيا الناس بدين الله سعداً آمنين .

الركيزة الثالثة

حياة المسلم عبادة دائمة

العبادة في الإسلام ليست منحصرة في المحدد منها ، وإنما حياة المسلم كلها عبادة بتوجيه المسلم ، ونيته ، ومقاصده (وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ﷺ ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه)^(١) ، والحقيقة أن حياة المسلم تدور بين التفكير، والتذكير، والعبادة ... وليس فيها فراغ لغير ذلك، فهام المصلون كما يوضح حديث الباب ينتهون من الصلاة ، ويبدأون في الذكر والطاعة .

والتفكير يعني التأمل الدائم في النفس ، وفي المخلوقات القريبة والبعيدة ؛ لمعرفة باريها وخالقها ، للانتقال التلقائي إلى معرفة فضل الله تعالى ، والوقوف على مقامه الأعلى، والالتزام بالعبودية القاننة التي دعا رسول الله ﷺ إليها، وبذلك يكون التفكير وسيلة للتذكير الدائم، والطاعة الخاشعة ، وتتحول الأقوال والأفعال مطلقا إلى عبادة لله ﷻ بكل الرضى والافتناع .

إن هذا الكون الفسيح مجال للتفكير الهادف، يقول ﷺ: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ ^(١٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيمَا وُقِعُوا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

(١) صحيح البخاري ، كتاب: النكاح ، باب : من هاج أو عمل خيرا لتزويج امرأة فله ما نوى

رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ^(١) . إن التفكير الصحيح طريق المعرفة والإيمان ، وسبيل التوبة والتذكير ، وهو من خواص العقلاء يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴾ ^(٢) ... والعارفون بالله تعالى يعيشون بين التفكير، والتذكر والعبادة العملية ، ويجدون أنفسهم في حلقة مترابطة ، تؤدي كل جزئية فيها إلى غيرها ، يعيش العارفون بين التأمل والتذكر، والخشوع ، ولا يغادرونها إلى غيرها ، فهم بالتفكير يتذكرون ، وبالتذكير يعبدون ، وبالعبادة يتذكرون ، ويفكرون .

وما زال أهل العلم يعودون بالتذكير على التفكير، وبالتفكير على التذكر حتى تهيم القلوب وتتعلق بخالقها العظيم .

إن التفكير تأمل في الآيات المشاهدة ، والمقروءة ، وكلاهما يوصل إلى التذكر والمعرفة . ودائما يحيا بالتفكير والتذكر أصحاب القلوب الحية ، والعقول اليقظة ، والبصيرة النفاذة ، ولذلك ينير الله بصائر هؤلاء العارفين ويمدهم بالنور والهدى بمجرد التفكير ؛ لأنهم بالتفكير يؤكدون المعاني الكامنة في قلوبهم ، وبالتذكير يعودون إلى الحياة التي يعشقونها . ومثلهم في الناس مثل رجل فقد أباه من مدة طويلة فإذا فكر فيه تذكر أيامه ، وعاشت عواطفه مع اهتمامات أبيه وأمله فيه، وعاشت روحه مع حنانه ، وخصائصه وأبوته

وفائدة التفكير حصول التذكر والعودة إلى الحقيقة التي رضيها

(١) سورة آل عمران الآيتان : ٩٠ ، ٩١ .

(٢) سورة غافر الآية : ١٣ .

العقل، وتخمرت في القلب، وكمنت في الضمير ، وحين يعود لها صاحبها تظهر الحقيقة من جديد ملتعبة قوية، وكأنها لم تخفت لحظة واحدة .

إن الإسلام يضع المسلم في هذا الإطار ، ويمده بالمعارف ، ويغذيه بالقدوة ، ويربطه بالسلف الصالح ، ولذلك عرفنا ابن عباس - رضي الله عنهما - بضرورة التذكر بعد الصلاة ، تأسيساً برسول الله ﷺ .

إن الإسلام يظهر في الحياة بالتزام المسلمين ، ولذلك كان لابد أن يعيشه المسلمون قولاً ، وعملاً ، وصفةً ، وحالاً . ليتضح الإسلام في حياتهم وسلوكهم ، ويكونوا قدوة لغيرهم .

ولا يجوز لمسلم آمن بالله تعالى أن يكون عامل هدم للإسلام ، ولا يصير سيفاً في يد أعداء الإسلام، ولا ينخدع بالزيوف والأكاذيب ، ويتخذونها تكأة للإضلال والهدم .

إن طول الأزمان ساعد الخصوم على وضع سياسة مخادعة للهدم ، فيهدمون ويدعون التعمير ، ويطفئون نور الله ويزعمون التبشير ، ويفسدون ويدعون إنهم مصلحون .

ولهذا نقول للمسلمين كونوا أنصاراً لدينكم ، وأعلموا أن الدين أمانة في عنق كل مسلم ، وسوف يحاسب عليها يوم القيامة .

- و -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من الحديث الفوائد التالية : -

١- حكاية الصحابي عن رسول الله ﷺ لها حكم الحديث المرفوع ؛ لأن

الصحابي ذكر الخبر للاحتجاج به ، وقد ثبت وقوع الخبر في زمن رسول الله ﷺ .

٢- الرسول ﷺ قدوة للناس في كل أقوالهم وأعمالهم .

٣- حياة المسلم طاعة وعبادة ، وكلها لله رب العالمين .

٤- تحتاج الحياة إلى التنظيم والتخطيط لتحقيق الغايات والمقاصد .

٥- ضرورة الإقبال على عبادة الله تعالى بكل العزم والقوة ، ففيها الفوز في الدنيا ، والنجاح في الآخرة .

٦- الصلاة جامعة المسلمين الكبرى ، وهي منطلقهم إلى العمل ، والسعي ، والاجتهاد في المعاش .

- ٢١ -

٢٤- باب استحباب التعوذ من عذاب القبر

حديث عائشة **ل** قَالَتْ : دَخَلْتُ عَلَى عَجُوزَانِ مِنْ

[٣٤٣]، (١)

عُجْزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ .

٦٣٣٦

فَقَالَتَا لِي : إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ ، فَكَذَّبْنَاهُمَا
وَلَمْ أَنْعِمِ أَنْ أَصَدِّقَهُمَا فَخَرَجَتَا .

وَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ
عَجُوزَيْنِ، وَذَكَرْتُ لَهُ .

فَقَالَ ﷺ : صَدَقْتَا ، إِنَّهُنَّ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ كُلُّهَا

فَمَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ فِي صَلَاةٍ إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ^(١)

- أ -

موضوع حديث الباب

يدور حديث الباب حول استحباب التعوذ من عذاب القبر، الذي
يلحق بالعصاة في قبورهم ، وهى قضية اهتم بها اليهود والمسلمون في
عهد رسول الله ﷺ ، ويهتم بها المسلمون في كل وقت ومكان ، ويوضح
ما دار بين السيدة عائشة **ل** ورسول الله ﷺ .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

تروى السيدة عائشة **ل** الحديث في إطار قصة كان هي

أحد عناصرها تقول فيها: (دَخَلْتُ عَلَى عَجُوزَانِ مِنْ عُجْزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ)

(١) أخرجه البخاري في: ٨٠ كتاب الدعوات: ٣٧ باب التعوذ من عذاب القبر.

وعجوزان مثتى عجوز ، وبه يسمى الكبير الطاعن في السن ، ذكرا كان أو أنثى فتقول : رجل عجوز ، وامرأة عجوز ويجمع على (عُجُز) بضم العين والجيم . مثل عمود وعمد . كما يجمع على عجائز بفتح العين ومد الجيم بالالف .

وقد دخل العجوزان على عائشة **ل** لإخبارها بأمر يريانه هاما وهو عذاب القبر (فَقَالَتَا لِي: إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ) فأكدا بذلك وقوع عذاب القبر لكل من يقبر من اليهود والمسلمين وغيرهم .

تقول السيدة عائشة **ل** (فَكَذَّبْتُهُمَا) أي: رددت مقالتهما لإيماني أن المسلمين لا يعذبون في القبور لما رأيته وسمعته من رسول الله ﷺ حينما أنت امرأة يهودية قبل ذلك إليه وقالت لعائشة **ل** بحضرة رسول الله ﷺ : هل شعرت أنكم تفتنون في القبور ؟

تقول السيدة عائشة **ل** : فارتاع رسول الله ﷺ وقال : " إنما تفتن يهود ^(١) . أي انزعج رسول الله ﷺ من خبر المرأة ، وأنكره وقال : إن اليهود هم الذين يفتنون بعذاب القبر ؛ لأن الوحي لم يكن نزل عليه بغير ذلك .

تقول السيدة عائشة **ل** (وَلَمْ أُنْعِمَ أَنْ أُصَدِّقَهُمَا) أي: لم تطب نفسي ، ولم أرض تصديقهما فكذبتهما في نفسي، ولم أرد عليهما . (فَخَرَجَتَا) من عندها ، (وَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ) بعد خروجهما (فَقُلْتُ لَهُ :

(١) صحيح مسلم ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة، باب: التعوذ من عذاب القبر ، حديث: ٩٥٢

يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عَجُوزَيْنِ، وَذَكَرْتُ لَهٗ) ما دار بيني وبينهما ، وبادرني رسول الله ﷺ بصدق قولهما . (فَقَالَ) ﷺ لها : (صَدَقْتَ ، إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ كُلُّهَا) أي إن القبر حق ، وإن عذابه يلحق من يستحقه من سائر الناس .

فعلمت عائشة **ل** صدق اليهوديتين، وأخبرها النبي ﷺ أن الله أوحى إليه بأن الجميع يعذبون في قبورهم على معاصيهم التي اقترفوها في الدنيا .

تقول السيدة عائشة **ل** : (فَمَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ فِي صَلَاةٍ إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ) أي إنها **ل** رأت رسول الله ﷺ بعد ذلك يحافظ على التعوذ من عذاب القبر في كل الصلوات التي رآته ﷺ يؤديها .

وخلاصة الأمر أن النبي ﷺ لم يوح إليه أولاً بأن المؤمنين يفتنون في القبور فقال: (إِنَّمَا تَفْتَنُ يَهُودَ) فقط ، فأفتى بما عنده من علم ، وذهبت أم المؤمنين عائشة **ل** إلى ما سمعت من رسول الله ﷺ ، فكذبت اليهوديتين ، ثم لما نزل الوحي على رسول الله ﷺ وأعلمه بوقوع فتنة لجميع الناس ، لليهود ولغيرهم في القبر ، أخبر به عائشة **ل** ، وأعلم أصحابه كذلك به ، وأخذ يستعيز بالله منه ، وأمر بإيقاع الاستعاذة في الصلاة لتكون أنجح في الإجابة ، وثبت بذلك أن جميع من يقبر يفتن ، ولذلك أخذ ﷺ يستعيز منه .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يشير الحديث إلى عدد من الأمور الحياتية ، والدينية التي عاشها المسلمون في العصر الأول ، وفي زمن رسول الله ﷺ ، فلقد كانت المدينة بعد الهجرة موطن الإسلام وعاصمته ، وكان يقيم فيها مع المسلمين غيرهم ، وكان التعارف سائداً بين سكان المدينة جميعاً

تأتى اليهودية وتدخل على عائشة **ل** في بيتها ، وتسألها، وتسمع منها . وتخرج .. بل ويأتي غير المؤمنين إلى رسول الله ﷺ يحاورونه ويجادلونه ، وكان رسول الله ﷺ يخبر أصحابه وأمّهات المؤمنين بما ينزل عليه من الوحي .

ويشير الحديث إلى شيء من أدب الخطاب بين الناس فها هي السيدة عائشة **ل** تقول: (وَلَمْ أُنْعَمْ أَنْ أُصَدِّقَهُمَا) : أي لم تطب نفسي أن أصدق خبر اليهوديتين، فلم تعنف، ولم تسارع إلى تكذيبهما، ولم تسيء إليهما بقول، أو بحركة، أو بحال ، وإنما انتظرت رسول الله ﷺ وسألته فأخبرها ﷺ بصدقهما، بعدما علم الحقيقة من الوحي.

ويشير الحديث إلى أن أمر رسول الله ﷺ والمسلمين لم يقف على مجرد العلم ، وإنما اتبع العلم بالعمل ، والتطبيق فأخذ ﷺ يستعيز بالله من عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، وأمر بذلك ، وأمر بإيقاعه في الصلاة حين خلوة العبد ، واتصاله بربه.

والحديث يثبت عذاب القبر، وهو مذهب أهل السنة والجماعة ،

وغيرهم من العلماء والمحققين .

وصار مستحباً لكل مسلم أن يستعيز بالله في صلاته بعد التشهد الأخير من عذاب القبر، ومن عذاب جهنم ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال ؛ لأن هذه الفتن حقائق موجودة وستوجد ، والاستعانة بالله للنجاة منها أمر هام ، كما أن تذكرها الدائم يضع المسلم أمام نهايته المحتومة ، وحاجته المستمرة إلى معرفة الله وسؤاله التوفيق ، والاستعانة به ﷺ للتخلص من الشرور والآثام .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

في صورة حوارية بين اليهوديتين والسيدة عائشة **ل** وبينها وبين رسول الله ﷺ يتأكد وقوع فتنة القبر ، ووجود العذاب فيه ، وهذا يدعو إلى ضرورة الاستعاذة من العذاب الأليم في القبر بعد الدفن .

ويشير الحديث إلى ما كان عليه مجتمع المدينة والوحي ينزل ، وإلى ما كان عليه المسلمون من متابعة الوحي ، وملازمة الطاعة ، وتيقنهم أن الوحي ينزل للعلم والعمل، والإرشاد والسلوك، ولذلك كان الوحي ينزل فيصير علما يحدد معالم الإسلام ، وعملا يحدد حياة المسلمين .

ويبين الحديث منزلة السيدة عائشة **ل في التعريف بالدين، وتعلمه من رسول الله ﷺ ، وتبليغ ما تعلم للآخرين ، وهذا هو سر توجه اليهوديتين لعائشة **ل** ، وإخبارها بفتنة القبر للناس جميعا ، مما رَوَّع عائشة **ل** فتوقفت حتى أخبرها رسول الله ﷺ بصدق اليهوديتين .**

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في حديث الباب

يتضمن الحديث عدداً من الركائز أهمها : -

الركيزة الأولى

وقوع عذاب القبر

ليست الدنيا هي الحياة وحدها ، وليست الدنيا أولى من غيرها بالعناية والاهتمام فهي مقدمة للحياة الأخرى .

إن الحياة الدنيا تنتهي بالأفراد عند انقضاء الأجل ، ودخول القبر فمن مات قامت قيامه ، ويبدأ السؤال بعدما يقبر الميت ، ويدفن ، حيث يتحول القبر إلى حياة يستحقها المقبور قبل أن يموت ، يقول ﷺ : (إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار)^(١) وعند نهاية الدنيا ، وعند النفخة الأولى تقوم القيامة ، ويبعث الله الخلق للنشر ، والحشر ، والحساب ، ودخول الجنة أو النار .

وصار واجباً على كل مسلم أن يعمل أعمالاً صالحة تتجيه من عذاب القبر الذي يلحق العصاة من الناس .

إن عمر الدنيا قصير ، وما عند الله خير وأبقى ، والعاقل من يتقن ذلك وعمل لما بعد الموت لينجو في قبره من العذاب ، ويسعد في الآخرة بجنات النعيم .

الركيزة الثانية

فضل أم المؤمنين عائشة ل

يبين الحديث فضل السيدة عائشة ل وقيامها بالدعوة ، وتبليغ ما

(١) سنن الترمذي ، الجامع الصحيح - الذبائح ، أبواب صفة القيامة ، حديث : ٢٤٤٣

علمت من رسول الله ﷺ ، ولقد كانت **ل** مصدراً رئيسياً لرواية الحديث ، وكان الصحابة يقصدونها ؛ ليأخذوا عنها حديث رسول ﷺ ويبدو من الحديث مدى غيرتها ، وحرصها على كل مسلم ، فقد كذبت العجائز حين أخبرنها بوقوع عذاب القبر لعصاة المسلمين ، ولم تُقر به إلا بعد أن أكد لها رسول الله ﷺ عموم وقوع عذاب القبر للجميع .

وتدعو السيدة عائشة **ل** إلى استحباب التعوذ من فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة القبر ، ومن عذاب القبر . وهى توضح أن رسول الله ﷺ طول حياته كان يستعيز من عذاب القبر في كل صلاته بعد ذلك .

الركيزة الثالثة

وجوب التأسي برسول الله ﷺ

بعد أن أخبر رسول الله ﷺ بوقوع عذاب القبر أخذ يداوم على فعل ما حث الناس عليه طاعة لله تعالى ، وقدوة للناس أجمعين .

يقول ابن عباس **م** أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء ، كما يعلمهم السورة من القرآن ، يقول ﷺ لهم قولوا : (اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات) ^(١)

ويقول أبو هريرة ؓ : قال رسول الله ﷺ : (إذا تشهد أحدكم فليستعذ

(١) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب ما يستعاذ منه في الصلاة ، حديث : ٩٦٢ .

بالله من أربع يقول : اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن شر فتنة المسيح الدجال) ^(١) وبهذا يحدد رسول الله ﷺ المنهج المستقيم الذي يعيش به المسلمون في الحياة الدنيا ، ويأمرهم به ليواظبوا على الاقتداء به ، ويتأسوا بما كان عليه رسول الله ﷺ .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

يدل الحديث على عدد من الفوائد منها : -

- ١- من الضروري أن يعمل المسلم في دنياه لأخراه .
- ٢- حاجة المسلم لربه ، وضرورة الاستعانة به في كل حال .
- ٣- المسلم يعمل لنفسه وإخوانه ، وينصحهم بالحق .
- ٤- عذاب القبر حق في الأديان كلها ، والاستعاذة منه واجب .
- ٥- الفتن في الدنيا عديدة ، والتعوذ منها واجب .
- ٦- من أهم عوامل الفوز والنجاة اتصال العبد الدائم بربه .
- ٧- حرص السيدة عائشة رضي الله عنها على خير المسلمين ، والتزامها الدقة في رواية الحديث .
- ٨- رسول الله ﷺ هو الأسوة والقوة لكل مسلم ، ولن يتقدم المسلمون إلا بالانقياد لرسول الله ﷺ .

(١) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب ما يستعاذ في الصلاة ، حديث : ٩٥٦

- ٢٢ -

٢٥ - باب ما يستعاذ منه في الصلاة

حديث عائشة ل قالت: سمعت رسول الله ﷺ يستعيز [٣٤٤]، (١)

في صلاته من فتنة الدجال^(١) ٨٣٣

حديث عائشة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يدعو [٣٤٥]، (١)

في الصلاة (اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ ٨٣٢

بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا
وفتنة الممات، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم،
فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيز من المغرم فقال: إن
الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف^(٢)

حديث أبي هريرة ؓ، قال: كان رسول الله ﷺ يدعو: [٣٤٦]، (٣)

اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ١٣٧٧

ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال^(٣).

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تدور أحاديث الباب حول ما يستعاذ منه في الصلاة ، وفي غيرها، وهي

(١) أخرجه البخاري في: ١٠ كتاب الأذان: ١٤٩ باب الدعاء قبل السلام ، وللحديث روايات

أخرى في البخاري تحت رقم: ٢٣٩٧، ٦٣٦٨، ٧٣٧٦، ٦٣٧٧، ٧١٢٩ .

(٢) أخرجه البخاري في: ١٠ كتاب الأذان: ١٤٩ باب الدعاء قبل السلام .

(٣) أخرجه البخاري في: ٢٣ كتاب الجنائز: ٨٨ باب التعوذ من عذاب القبر .

أمر يستعيز فيها المؤمن بربه لينقذه منها، ومن آثارها في الدنيا والآخرة .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

أورد الباب السابق موضوع الاستعاذة في غير الصلاة ، وفي هذا الباب يأتي الحديث عن الأمور التي يستحب الاستعاذة منها في الصلاة ، وعن مكانها فيها، وقد تناولت أحاديث الباب الثلاثة الاستعاذة من الأمور التالية :-

(١) **فتنة المحيا والممات** : وقد استعاذ النبي ﷺ من الفتنة في المحيا والممات ، كما جاء في الحديث الثاني والثالث ، والمراد بالفتنة الابتلاء ، والاختبار الذي يبنتلى الله به المكلف ليظهر معدن إيمانه ، ويتضح إن كان صادقاً أو كاذباً، ومن صور الكذب فقدان الصبر عند الابتلاء ، وطول الجزع والضجر .

وفتنة المحيا : تشمل كل ما يعرض للإنسان مدة حياته في الدنيا من الشهوات ، والزخارف ، والمصائب ، والجهالات ، وتستمر هذه الفتنة مع الإنسان من أول إدراكه وتكليفه إلى وفاته ، وأعظمها أمر الخاتمة قبيل الموت ؛ لأنه لا يمكن الرجوع عنها والتوبة منها ، أما ما قبل الخاتمة فيمكن الرجوع عنها والتوبة منها ، وأمرها معلق بقبول التوبة ، والاستغفار ، ورضى الله تعالى عنها . **وفتنة المحيا** : تشمل الاختبار بالخير والشر

لقوله تعالى ﴿ وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ (١)

(١) سورة الأنبياء الآية : ٣٥ .

وفتنة الممات : يجوز أن يراد بها الفتنة عند الموت، أضيفت إليه لقربه منها ، على اعتبار أن فتنة المحيا هي ما كان قبلها .
ويجوز أن يراد بها فتنة خاصة تحدث للميت فى القبر لما صح عن رسول الله ﷺ : (أنكم تفتنون في قبوركم - مثل أو - قريب - من فتنة المسيح الدجال) ^(١) .

وهذه الفتنة ليست عذاب القبر ؛ لأنها سبب له ، وعذاب القبر يأتي بعدها ، ومن صورها الحيرة والاضطراب عند السؤال ، وقد أورد الحكيم الترمذي عن سفيان الثوري رحمه الله أن الميت إذا سئل : من ربك ؟ يتراءى له الشيطان ، فيشير إلى نفسه ويقول له : إني أنا ربك ، فلهذا ورد دعاء التثبيت للميت حين يسأل ... وكان الصحابة يستحبون إذا وضع الميت في قبره أن يقولوا : اللهم أعذه من الشيطان ^(٢) .

(٢) فتنة المأثم والمغرم : وقد استعاذ النبي ﷺ من فتنة المأثم والمغرم ، ومعنى المأثم الآثام التي يزخرها الشيطان للمكلف ، مبتدئاً بالهين منها ، وتيسير السير فيها ، فإن بعضها يجر غيره ، وتتكاثر الآثام على القلب حتى يسود، ويميل إلى فعلها، والإكثار منها ، ويعشقها ، وتصير له ديدناً وعادة، ويتصور أنها ليست آثاماً وجراً، ولذلك استعاذ النبي ﷺ من المأثم والمغرم : هو الدين الذي يقع فيه الإنسان بسبب أو بغير سبب ، وقد استعاذ النبي ﷺ من الدين فقال : (اللهم إني أعوذ بك من غلبة

(١) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب من أجاب الفتنة بإشارة اليد .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ٢ ص ٣١٨ ، طبعة السلفية .

الدين ، وغلبة العباد)^(١)

وسبب استعادة النبي ﷺ من المغرم ؛ ما يحقق لصاحبه من حرج ومهانة أمام الناس فيضطر إلى الكذب ، وخلف الوعد ... وقد بين الحديث ذلك حين سئل النبي ﷺ عن سبب إكثاره الاستعادة من المغرم ، وقيل له : (مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيدُ مِنَ الْمُغْرَمِ)؟

فَقَالَ ﷺ : (إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ) ، وهذا شأن من يستدين غالباً ، ولم يبين الباب اسم الصحابي الذي سأل النبي ﷺ ، وقد ذكر النسائي أن السائل هو عائشة **ل** راوية الحديث ، جردت من نفسها شخصاً غائباً وتحدثت بلسانه .

٣) **فتنة المسيح الدجال** : وهذه الفتنة تكون في آخر الزمان حيث يخرج المسيح الدجال ، ويدعى الألوهية ، ويجوب الأرض كلها ما عدا مكة والمدينة، ويتبعه من يتبعه ، ويكذبه من قدر الله نجاته.. وهو أحد علامات الساعة الكبرى.

والمسيح اسم يسمى به " عيسى عليه السلام " ، والدجال ، ويميز بينها بالصفة ، فيقال المسيح عيسى عليه السلام ، ويقال المسيح الدجال ، وعند الإطلاق يراد به عيسى عليه السلام

وفيد لفظ المسيح معان عدة، تظهر في عيسى عليه السلام؛ وفي الدجال ، فهي مع عيسى عليه السلام تعني أنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن ، وكان

(١) صحيح ابن حبان ، كتاب الرقائق ، باب الاستعادة ، حديث رقم : ١٠٣٢ .

زكريا عليه السلام يمسحه به ، وكان لا يمسح ذا عاهة إلا ويببراً ، وكان يمسح الأرض سائحاً بين مصر وبيت المقدس .

ومن معانيها التي تظهر في الدجال، أنه كان ممسوح العين لا أثر لها في وجهه ، وكان ممسوحاً في نصف وجهه ، وكان يمسح الأرض ويجوبها .

والافتتان بالمسيح الدجال يكون بتصديقه في دعوى الألوهية بعد ظهور خوارق للعادة على يديه ليؤمن به الضعفاء ، وهذه فتنه كبرى نستعين بالله منها .

(٤) عذاب القبر : وكان النبي ﷺ يستعين من عذاب القبر كما جاء في الحديث الثاني ، وفي هذه الاستعاذة إثبات لعذاب القبر الذي يلحق بالكفار والمنافقين والعصاة بعد موتهم، وقبل دفنهم ، أو بعد دفنهم ، لقوله ﷺ : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾^(١) يقول بن عباس- رضي الله عنهما- هذا عند الموت ، والبسط هو ضرب الوجوه والأدبار .. ويقول ﷺ : ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾^(٢)

وقد يحدث هذا العذاب عند نزع الروح ، وبعد الموت قبل الدفن ، وهو من جملة عذاب القبر ، وإنما أضيف العذاب للقبر لكون معظم العذاب يقع فيه ، ولأن أغلب الموتى يقبرون ، ومن لم يقبر فعذابه يلحق

(١) سورة الأنعام الآية : ٩٣ .

(٢) سورة محمد الآية : ٢٧ .

به لا محالة بعد موته ، لأن قبره هو المكان الذي يكون فيه ، وإن تغيرت أحواله وأوصافه ، وصار تراباً تزرّوه أرياح .

والجمهور على وقوع عذاب القبر للروح والجسد معاً لورود الأدلة المثبتة لذلك ومنها :-

- قول النبي ﷺ : (فإذا وضع الميت في قبره ضيق عليه قبره ، حتى تختلف أضلاعه ، وتدخل اليمنى في اليسرى واليسرى في اليمنى)^(١)

- قوله ﷺ : (ثم يقمعه قمعة بالمطراق يسمعها خلق الله كلهم غير الثقلين)^(٢)

- قوله ﷺ : (إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ، وإنه ليسمع قرع نعالهم ، أتاه ملكان فيقعدانه)^(٣) .

والأحاديث الصحيحة تثبت سؤال الميت حين انصراف أهله عنه .
يذهب البعض إلى أن عذاب القبر للروح فقط لما يروونه من حال الميت بعد دفنه فإنه هامد لا يتحرك ، ولا يرون للقبر سعة ، أو نوراً ، أو ضيقاً ، أو ناراً ، ولأن المصلوب يبقى على هيئته التي صلب بها لا يتحرك ، ولو ترك الميت في الماء لأكلته الحيتان ، ولو أحرق الجسد

(١) المطالب العالمة للحافظ ابن حجر العسقلاني ، كتاب الفتوح باب صفة البعث ، حديث رقم : ٤٦٦٦

(٢) مسند أحمد بن حنبل ، مسند أبي سعيد الخدري ، حديث رقم : ١٠٧٨٦ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب : الجنائز ، باب : ما جاء في عذاب القبر .

صار تراباً ... فأين سعة القبر وضوؤه ؟

رد الجمهور على هؤلاء بأن هذه التغيرات الحسية غير ممتنعة على قدرة الله تعالى ، وأن الله يحققها بصورة لا يلمسها الإنسان ، وليس من الضروري أن يرى الأحياء عذاب القبر ؛ لأن الله تعالى يختار له كيفية خاصة تتناسب حياة القبر ، ومن المعلوم أن قياس الغائب على الشاهد لا يجوز ، وأفعال الله تعالى لا تشبه أفعال البشر ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(١) .
وفى حياة الناس قبل الموت واقع يؤكد ما أقول ، فهذا إنسان يشعر بالسرور ، والسعادة ، والنشاط ويجاوره إنسان آخر يشعر بالشقاوة ، والحزن ، ولا يدري أحدهما عن جاره شيئاً ...

وقد ستر الله تعالى عن الناس عذاب القبر ونعيمه ؛ حتى لا يتسارع الناس في دفن أنفسهم ، لينالوا سعادة القبر ، ويتركوا المعاصي جملة واحدة .

(٥) عذاب النار: استعاذ النبي ﷺ من عذاب النار ، وهو العذاب الذي يلحق بالكفار والمنافقين والعصاة في الآخرة بعد الحساب .

وأحاديث الباب تشير إلى أن رسول الله ﷺ كان يستعيز من هذه الأمور في صلاته ، ولأهمية حقيقة الاستعاذة نبين الأمور التالية : -

الأمر الأول :

حكم الاستعاذة من هذه الأمور في الصلاة

الاستعاذة في الصلاة من هذه الأمور مستحبة ، وإن أتت بصيغة

(١) سورة الشورى الآية : ١١ .

الأمر في كثير من الروايات ، ودوام النبي ﷺ عليها يدل على تأكيدها ... وعلى هذا إجماع الفقهاء .

الأمر الثاني مكان الاستعاذة

عنون البخاري لأحاديث الباب بعنوان (باب الدعاء قبل السلام) أي أن الدعاء كان قبل السلام وبعد التشهد ، وهذا هو المتبادر من أحاديث الباب ، لكن قوله في الحديث الثاني (كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ) كلها بلا قيد ما بعد التشهد ، يفيد أن في الصلاة أدعية أخرى غير الاستعاذة خلال الصلاة ، فقد جاء الأمر بالدعاء في السجود ؛ لأن العبد فيه يكون في أقرب أحواله مع ربه ، إلا أن الأولى القول بأن لكل حال ذكرا ودعاء ، وأن أدعية الصلاة موزعة على أعمالها ، وبذلك فلا منافاة بين البخاري وغيره ؛ لأن ما قبل السلام يعم الصلاة كلها ، وحينئذ لا يسقط الترتيب ، وقد اعتمد البخاري في تعيين محل الاستعاذة بما ثبت عنده من بعض الروايات التي عينت الاستعاذة بعد التشهد قبل السلام ، ومنها :-

- ما ورد في حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، من أن للمصلي بعد التشهد أن (يتخير من الدعاء أعجبه إليه ، فيدعو به) ^(١)
- ما رواه ابن جريج رضي الله عنه قال : أخبرني ابن طاوس ، عن أبيه ، أنه كان يقول بعد التشهد كلمات كان يعظمهن جدا .

(١) صحيح البخاري كتاب الأذان ، باب ما يتخير من الدعاء بعد التشهد .

قلت : في المثنى كليهما ؟ أي عقب التشهدين الأول والثاني .

قال : بل في المثنى الأخير بعد التشهد .

قلت : ما هو ؟

قال : (أعوذ بالله من عذاب القبر ، وأعوذ بالله من عذاب جهنم ، وأعوذ بالله من شر المسيح الدجال ، وأعوذ بالله من عذاب القبر ، وأعوذ بالله من فتنة المحيا والممات^(١)) .

وبهذا يتعين أن محل الاستعاذة بعد الفراغ من التشهد ، وقبل السلام ، وبعد الاستعاذة يتخير من الدعاء ما يشاء .

الأمر الثالث

الصلاة بين الأمور المستعاذ منها

بين الأمور المستعاذ منها عموم وخصوص ؛ لأن فتنة المحيا تشمل كافة الفتن التي تقع في الحياة الدنيا ، ومنها فتنة المآثم والمغرم ، وفتنة المسيح الدجال ، وفتنة ضيق المعاش ورغد الحياة .. وفتنة الممات تشمل عذاب ما قبل الدفن ، وعذاب القبر ، وعذاب الآخرة .

وهذا يشير إلى استحباب الإكثار من الاستغفار ، وتكراره بأوجه متعددة رجاء العفو ، والقبول والنجاة من كل ما يستعاذ منه ، وما الله به عليم .

الأمر الرابع :

أسباب استغفار رسول الله ﷺ مع عصمته ، وغفران الله له

غفر الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ ، ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وعصمه من الذنوب والخطايا ، وقد ثبت أن المسيح الدجال يأتي في آخر

(١) صحيح ابن خزيمة ، كتاب الصلاة ، باب الأمر بالتعوذ بعد التشهد حديث : ٦٩٧

الزمان وليس في عصر رسول الله ﷺ ، ولذلك نحتاج إلى معرفة أسباب استغفار رسول الله ﷺ من أمور هو بعيد عنها ، وهي بعيدة عنه .

وأهم هذه الأسباب ما يلي :-

أ- استغفار رسول الله ﷺ من هذه الأمور تعليم لأمته لتتبعه ، ولذلك ذكرها لهم ، وحدد ألفاظها ، ووقتها ، ومكانها في الصلاة .

ب- قصد النبي ﷺ الدعاء لأمته ، وكأن المعنى : أستغفرك الله لأمتي .

ج - سلوك طريق التواضع ، وإظهار العبودية ، وملازمة خوف الله وتعظيمه ، وإظهار مدى الحاجة إلى عونه ، وامتنال أمره في الرغبة والطلب منه .

د - تفهيم الأمة استحباب تكرار الطلب مع تحقيق الإجابة . لما في ذلك من إقرار بالفضل ، وزيادة في القرب ، وتكثير في الحسنات ، ورفع للدرجات

هـ - مداومة الدعوة للاستغفار والتضرع لتحقيق المغفرة ، وهذا يحتم على من لم يتحقق من المغفرة أن يداوم على الاستغفار والتضرع حتى ينفتح الباب له .

و- انتشار التحذير من المسيح الدجال ليعم خبره ، ويصل إلى كل مسلم في كل الأجيال ، ويعلم الجميع أنه كذاب ، مضل ، ساع في الأرض بالفساد ، يمكنه الله من بعض الخوارق فتنة للضعفاء .. وعلى كل مسلم أن يحذره ، ويحذر خطورته وفساده .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تدور أحاديث الباب حول إثبات بعض الحقائق :-

أولها : أن الله هو مالك الملك، وله الأمر في الدنيا والآخرة، والحوّل والطول كله له وحده سبحانه وتعالى .

وثانيها : إن العبد مخلوق ضعيف، محدود الإمكانيات والطاقات يعيش وسط عالم ملئ بالأسرار ، والكائنات ، والغيبيات التي يجليها خالقها ﷻ .
وثالثها : إن الإنسان محتاج إلى الله ليهديه إلى الصراط المستقيم ، لأن المخاطر عديدة والبحر ملئ بالكونيات الغريبة ، وعلم الإنسان قاصر ، ومواجهته للأحداث المعلومة ، وغير المعلومة عاجزة ، ولن ينفذه من تلاطم الأمواج إلا ربان ماهر قدير .

ورابعها : غيب الحاضر أكثر من المشاهد ، وهذا يجعل الإنسان محتاجا إلى عون الله الخالق القدير لينجو من هموم الدنيا وعذاب الآخرة التي قد يقع فيها لعجزه ، وجهله ، وقصوره ، وإذا ما أتاه عون الله يتبدل عجزه إلى قوة ، وجهله إلى علم ، وقصوره إلى أفق واسع ، وحكمه إلى الصحة والصواب .

وخامسها : تجلّت رحمة الله بالإنسان بأن هداه للحق ، وعرفه طريق الاتصال به ، وحدد له مفاتيح الدنيا والآخرة ، وبين له طرق النجاة ، وذلك باستمرار الدعاء ، والاستغفار ، والطلب ، والتضرع ، وهذا يقتضى ملازمة العبد لمقام العبودية ، ومداومة الطاعة ، والقيام بالفرائض ، وأداء النوافل والمستحب من كافة العبادات .

هذه الحقائق تضع العبد في مسار الطالب المحتاج فيتوجه إلى الله تعالى يدعوه في ذلة ، ويتضرع إليه في خشوع ، وخضوع ، راجياً أن يحقق الأمل ، ويستجيب الدعاء .

وقد ذهب الإمام أبو حنيفة وأحمد م إلى أن الدعاء يكون بالمأثور ، الموافق للقرآن الكريم لقوله ﷺ : (إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ، إنما هو التسبيح والتكبير ، وقراءة القرآن) ^(١)

وذهب الشافعي ومالك م إلى جواز الدعاء في الصلاة بما يجوز به الدعاء خارجها لما روى أن النبي ﷺ كان يتخير بعد التشهد من الدعاء ، أعجبه ، وأحسنه ، وأحبه ما لم يكن محرماً ^(٢) .

وقد ثبت أن أبا بكر رضي الله عنه ، قال لرسول الله ﷺ : علمني دعاء أدعو به في صلاتي ، قال ﷺ : (قل : اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لي مغفرة من عندك ، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم) ^(٣) .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم : (اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت ، وما أنت أعلم

(١) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب تحريم الكلام في الصلاة ، حديث رقم : ٨٦٨ .

(٢) فتح الباري ج ٢ ص ٣٢٠

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب الدعاء قبل التسليم .

به مني ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت (١) .

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يدعو بهذه الدعوات بعد التشهد : (اللهم إني أسألك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم ، اللهم إني أسألك خير ما سألك عبادك الصالحون ، وأعوذ بك من شر ما عاذ منه عبادك الصالحون ﴿ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢) (٣) وعلى هذا .

يحتاج المسلم إلى الدعاء والاستغفار وهو في صلاته ، مهتدياً بهدي رسول الله صلوات الله عليه ، وهدي سلف الأمة الصالحين .

- د -

المعنى لعام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب استحباب أن يستعيز المسلم في آخر صلاته قبل السلام من كافة الآثام ، والمغارم التي تقع في الدنيا ، وإن يستعيز من فتنة المسيح الدجال، ومن عذاب الموت، ومن عذاب القبر، ومن عذاب الآخرة

(١) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء في صلاة الليل ، حديث رقم : ١٣٣٠ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٠١ .

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ، كتاب: الدعاء ما يقال في دبر الصلوات، حديث : ٢٨٦٦٤

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز أهمها : -

الركيزة الأولى

الرسالة الحمديّة رحمة بالأمة

أرسل الله محمدا ﷺ للناس مبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه ، وسراجاً منيراً ، فبصّر بالحق ، وحدد الطريق المستقيم ، وفصل منهج السعادة لأولى اللب والنهي ...

عرف رسول الله ﷺ أمتّه بالحلال وأمرهم به ، ووضح لهم الحرام ونهاهم عنه ... وعاملهم بواقعهم الإنساني بما فيه من نسيان ، وضعف ، وغفلة .

وبين لهم منهج التوبة والرجوع إلى الله ، والتمتع بعفو الله ورحمته ، وكان ﷺ يعلمهم كل ما يحتاجون إليه ، بحكمة حسنة ، وموعظة طيبة ، ومن ذلك ما جاء في أحاديث الباب فقد وضح لهم الفتن التي يلقاها الإنسان في الدنيا والآخرة ، وأخبرهم بها ، ودعاهم إلى الاستعانة بالله للتخلص منها . وحدد لهم أسلوب الاستعانة ووقتها ، وبدأ بنفسه تعليماً لهم مع أن الله عصمه ، وبرأه

كان ﷺ نعم الرائد لأمتّه في أقواله ، وأعماله ، وأوصافه ، وأحواله ، ولذلك بقي ﷺ للمسلمين أسوة ، وقدوة . فكشف الله به الغمة ، ورحم الأمة ، وتيسر السبيل ، وزالت الجهالة ، وحبب الإيمان ، وحدد المسؤولية ، ووضح الجزاء لئلا يكون للناس حجة بعد رسالته ... وخير الناس من

هداه الله للحق ، وتمتع بما جاء به رسول الله ﷺ .

الركيزة الثانية

العبودية التزام وطاعة

الإنسان عبد الله المكلف، وقد رزقه الله العقل والفهم للإدراك، والتصور، والحكم ، والتصديق ، ولذلك كان الإسلام خطاباً لإقناع عقله ، وإشباعاً لعواطفه ، وإرضاء لآماله وأمانيه في إطار عبوديته التي خلقه الله بها .

والعاقِل هو من يدرك أنه مخلوق لله ، ويعلم أن كل ما في ذاته وحوله، آلاء ونعم متعه الله تعالى بها لينظر إليها، ويعرف ربه بها ، ويرى مكانه، ومكانته في كون الله الواسع الكبير، ولا ينسى أنه جزء صغير في هذا الكون الذي يتحرك بقدرة الله وحكمته ، ويصل بذلك إلى الغاية التي خلقه الله لها .

إن الله أوجده ليكون عبداً لله تعالى، يسعد بهذه العبودية التي وجد لها وهى في جملتها تعنى معرفة الله بواسطة مخلوقاته، وتؤدى إلى الطاعة الدائمة لأمر الله تعالى ، فهو سبحانه الموجد ، واليه المرجع ، واليه المآب.

والعبودية بهذا المعنى تكريم للإنسان؛ لأنها تربطه بصاحب الفضل، والنعم ، وهو الرحمن الرحيم ... ، وترفع شأنه ؛ لأنها تضعه في منهج حركي واضح ، أتى به رسول الله ﷺ ... وهى ارتقاء بالإنسان إلى الملأ الأعلى الذي يجمع الصالحين والأتقياء .

إن العبودية الحقيقية هي أعلى مكافآت القرب والاتصال بالله

وفيها تفنى شهوات المادة، ويعيش الإنسان في عالم روعي ملئ بالقيم ،
والخلق ، والسمو .

ولو عاد المسلمون إلى الله حقاً لعادوا إلى الرفعة والعلا ، ولبقوا في
رجاء ودعاء لينقذهم الله من فتن المحيا والممات .. ومن كل سوء ومكروه.

الركيزة الثالثة

التخلية قبل التحلية

خلق الله الإنسان وأحاطه بالابتلاء والاختبار ؛ ليظهر على حقيقته
، ويقر بما هو فيه فلقد قدر الله للإنسان شأنه ، ووضعه أمام الخير والشر
، وابتلاه ليظهر ميله ، ويتضح اختياره

إن في الإنسان دوافع مادية، وأخرى روحية ، فواحدة تأمره بالسوء
، وأخرى تنهاه عنه ، وعنده الغرائز والقيم ، وفيه ازدواجية متعارضة ...
والعاقل هو الذي يدرك حقيقة ذاته ونفسه فينهاها عن غيها ، ويدعوها
إلى سواء السبيل .

ولذلك كأن على الإنسان أن يطهر نفسه من الشوائب التي يقع
فيها بالتوبة الصادقة ، والخشوع لله ، والاستعانة به لاكتساب الخيرات التي
ترضيه وتسعده .

ولا يستقيم الصواب للإنسان إلا بترتيب شئونه ، وتنظيم حياته ،
وذلك بان يبدأ بترك المنكرات ، والاستعاذة من فتن المحيا والممات ،
والمآثم والمغرم ، وكل سوء يضر الإنسان ، ومعه وبعده يأخذ المسلم في
عمل الصالحات التي بينها الإسلام ، وحث عليها رسول الله ﷺ .

إن تطهير النفس ، وتخليتها من السوء ، يجعل تحليها بالأخلاق
الكريمة والأعمال الصالحة أمر سهل يسير؛ لأن المتضادين لا يلتقيان ،
ولا يوجد خير وشر في وقت واحد في ذات واحدة .
ولذلك وجب أن تسبق التخلية التحلية، والله يهدي من يشاء إلى
سواء السبيل .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الأحاديث

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية: -

- ١- العبد محتاج دائماً لله تعالى ، وعليه أن يدعوه ، ويستعين به
- ٢- عذاب القبر حقيقة واقعة يلحق الجسد والروح معاً لمن يستحقه ويقدر
الله تعالى عذابه .
- ٣- الدنيا دار ابتلاء وفتن ، والحذر منها واجب .
- ٤- رسول الله ﷺ حريص على إنقاذ أمته من كل سوء ، وتحقيق الخير
كله لها .
- ٥- القبر حق ، ومافيه من إبتلاء وجزاء حق .

- ٢٣ -

٢٦ - باب استحباب الذكر بعد الصلاة

وبيان صفته

[٣٤٧]، (١) حديث الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه عَنْ وَرَادٍ رضي الله عنه كَاتِبِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ

٨٤٤ رضي الله عنه قُلَ : أَمَلَى عَلَيَّ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ رضي الله عنه فِي كِتَابٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ

رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ : لَا إِلَهَ

إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ،

وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ (١) .

[٣٤٨]، (٢) حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ : جَاءَ الْفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا :

٨٤٣ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الْأَمْوَالِ بِالْدَّرَجَاتِ الْعُلَا ، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ ،

يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي ، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ

أَمْوَالٍ يَحْجُونَ بِهَا وَيَعْتَمِرُونَ ، وَيَجَاهِدُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ .

قَالَ ﷺ : أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِمَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ أَدْرَكْتُمْ مِنْ سَبَقِكُمْ ، وَلَمْ

يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ ، إِلَّا مَنْ

عَمِلَ مِثْلَهُ ، تُسَبِّحُونَ ، وَتَحْمَدُونَ ، وَتَكْبُرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ

ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا ، فَقَالَ بَعْضُنَا : نُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ

وَنَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَنَكْبُرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ ﷺ

(١) أخرجه البخاري في: ١٠ كتاب الأذان: ١٥٥ باب الذكر بعد الصلاة

فَقَالَ ﷺ تَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلُّهُنَّ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ^(١).

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبيين أحاديث الباب استحباب الذكر بعد الصلاة ، وتوضيح ألفاظه ، وصفته ، وعدده .

- ب -

الدلالات اللغوية في أحاديث الباب

ورد في الباب حديثان يوضحان بعض أذكار ما بعد الصلاة

ففي الحديث الأول : يبين ورّاد رضي الله عنه كاتب المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - كتب إلى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه وكان واليا على الكوفة لمعاوية وقال له : **اكتب إلى ما سمعت النبي ﷺ يقول خلف الصلاة ، ففهم المغيرة أن معاوية يسأل عن ما يقال خلف الصلاة المكتوبة .** فقيد الصلاة بما فهم على اعتبار أن " أَلْ " في الصلاة للعهد الذهني ، وأمر ورادا أن يكتب ، وأرسل المكتوب إلى معاوية رضي الله عنه بالشام .

يقول ورّاد - رحمه الله : ثم وفدت بعد ذلك إلى معاوية بالشام فسمعته يأمر الناس بذلك .

وقد استدل المحدثون بذلك على أن الكتابة تجري مجرى السمع ولو

(١) أخرجه البخاري في: ١٠ كتاب الأذان: ١٥٥ باب الذكر بعد الصلاة

لم تقترب بالإجازة . كما استدلوأ على مشروعية العمل بخبر الواحد ؛ لأن الذي كتب هو وراة فقط ، وءاء في الكتاب : (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ) أي في إثر ءميع الصلوات المفروضة ، وعقبها مباشرة ، وهذا يقتضى أن يكون هذا الذكر عا الفراع من الصلاة مباشرة ، فلو تأخر ذلك عا الصلاة لا ءجوز ما لم يكن التأخير يسيراً بحيث لا يعد معرضاً ، أو ناسياً ، أو متشاغلاً بذكر آخر ورا الءءث به كقراءة آية الكرسي فلا يضر ، وماعا ذلك يضر ، ولا ءجوز للمصلى أن يشغل نفسه بالصلاة المكنوبة الراءبة الآتية بعا الصلاة التي أءاها قبل ذكر الله المذكور .

(كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فيقر في قوله ﷺ بوءانية الله تعالى، وينفي عا الشركاء ، ويؤكد أنه سبحانه مالك الملك ، وله الءمء كله ، وهو على كل شيء قءير .

وئبء في رواية أخرى أن رسول الله ﷺ كان يقول : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، يءي ويميت ، وهو على كل شيء قءير) .^(١)

وكان ﷺ يقول : (اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعْتَ) أي : إن الله تعالى يعطي ، ويمنع كما يشاء ، لا يعارضه مخلوق في

(١) سنن الترمذي ، الءامع الصءيح ، كتاب الذبائء ، باب ما ءاء في فضل التسبيء والتكبير ،

مراده ، فلا مانع لما أعطى ، ولا معطى لما منع (وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ) ، الجد بفتح الجيم أو كسرهما ، وهى بالفتح تعني الغنى والحظ ، أي لا ينفع ذا الغنى غناه ولا ذا الحظ حظه ، إنما ينفعه العمل الصالح.

و(مِنْكَ) بمعنى عندك أو بمعنى بعض قضائي وسطوتي ، أو عذابي.

وحكى الراغب أن المراد من (الْجَدِّ) بالفتح أب الأب ، والمعنى لا ينفع أحداً نسبه ، وعلى رواية كسر الجيم فإن المعنى هو السعي والاجتهاد ، أي : لا ينفع ذا الاجتهاد اجتهاده إلا بقبول الله له .

يقول النووي : المشهور الذي عليه الجمهور فتح الجيم ومعناه الحظ الذي يناله الإنسان في الدنيا ، بالمال ، أو بالولد ، أو بالسلطان ، أو بالعلم ، ومعناه أن كل ذلك لا ينفع صاحبه وحده ، وإنما ينفعه الإخلاص والصدق ، وقبول الله تعالى .

وفى الحديث الثاني : يروي أبو هريرة رضي الله عنه ما رآه من فعل بعض الصحابة مع رسول الله ﷺ فقد (جَاءَ الْفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ) يشكون إليه والفقراء هم المحتاجون الذين لا يملكون شيئاً ، أو الذين يملكون القليل دون النصاب ويستحقون الزكاة ، وقد بينت الأحاديث بعض هؤلاء الفقراء ، ومنهم :

أبو ذر الغفاري ، وأبو الدرداء ، وأبو هريرة ، وزيد بن ثابت - رضوان الله عليهم أجمعين ^(١) .

قال الفقراء بعد مجيئهم إلى رسول الله ﷺ (ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنْ

(١) أنظر صحيح مسلم ، وسنن أبي داود ، وسنن النسائي .

الْأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ الْغُلَا) أي : أخذ أهل الدثور - وهم الذين يملكون المال - الأجور التي نعجز عن القيام بعملها ، بسبب الأموال التي يملكونها ، وهم بذلك يستأثرون بالمنازل العالية عند الله تعالى حسية ومعنوية .

(وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ) أي ويفوز الأغنياء بالنعيم المقيم ، وهو المنن الدائمة المستمرة التي لا تنقطع ، أي إنهم بسبب ما ينفقون من أموالهم ، سيجزون النعيم الدائم المستمر الذي يختلف عن النعيم العاجل ، مع الدرجات العلا التي لا نصل إليها .

ثم أخذوا في توضيح شكواهم فقالوا : (يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ) أي أنهم يؤدون العبادات التي نؤديها من ذكر، ودعاء، وصوم ، وصلاة إلا أنهم بسبب أموالهم يزدون عنا .

(وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحْبُونَ بِهَا ، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ) أي : إن أموالهم ساعدتهم في نيل الدرجات العلا أكثر منا ؛ لأن بها يحجون ، ويتصدقون ، ويعتَمرون ، ويجاهدون .

فقال لهم ﷺ : (أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِمَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ أَدْرَكْتُمْ مِنْ سَبَقِكُمْ ، وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ، إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ) أي هيا أحدثكم بأمر إن حافظتم عليه سبقتم غيركم ، ولن يدرككم أحد من الأغنياء ، إلا إذا عمل عملكم ، وحاول أن يلحق بكم ، والذي أدلكم عليه خير من صدقة الأغنياء وعطائهم ، وبذلك ينفث باب الطاعة للفقراء بالذكر والدعاء ، كما هو عند الأغنياء بالنفقة والعطاء ، ومن المعلوم أن الطاعة مطلقا تربو بالصدق والإخلاص ، وصفاء التوجه لله تعالى .

فشوقهم رسول الله ﷺ إلى تحقيق أمانهم ، ثم عرفهم بالطريق فقال

لهم : (تُسَبِّحُونَ ، وَتَحْمَدُونَ ، وَتَكْبِرُونَ ، خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ) أي تذكرون الله عقب كل صلاة مكتوبة ، وتسبحون ، وتحمدون ، وتكبرون ثلاثا وثلاثين مرة .

(فَأَخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا) أي فاختلف الصحابة في فهم المراد من العدد ، وهل المراد به أن يكون ثلاثاً وثلاثين في كل من التسبيح والتحميد ، والتكبير ؟ ، أو المراد أن يكون العدد الإجمالي للثلاثة ثلاثا وثلاثين . كما اختلفوا في أيها يكون البدء به ؟

(فَقَالَ بَعْضُنَا : نُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَنَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَنَكْبِرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ) أي رجعت إلى رسول الله ﷺ ليوضح لنا ما اختلفنا فيه ، والذي رجع إلى رسول الله ﷺ هو أبو هريرة رضي الله عنه ، أو سمى ﷺ أو أن سمى هو القائل فاختلفنا ، والذي رجع إلى رسول الله ﷺ هو أبو صالح رضي الله عنه .

فَقَالَ ﷺ : (تَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلُّهُنَّ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ) وهذا يعني أن يذكر المصلى كل واحدة من الثلاثة أحد عشر مرة ليكون المجموع من الثلاثة ثلاثاً وثلاثين .

وقد جاءت روايات مختلفة في العدد فذكر بعضها عشرا ، وذكر غيرها أحد عشر ، وفي هذا الحديث ثلاثا وثلاثين .

وقد جمع البغوي في شرح السنة بين هذا الاختلاف باحتمال أن يكون ذلك صدر في أوقات متعددة ، فصدر أولا عشرا عشرا ، ثم إحدى عشر إحدى عشرة ، ثم ثلاثاً وثلاثين ، وثلاثاً وثلاثين ... ويحتمل أن

يكون ذلك على سبيل التخيير ، أو بافتراق الأحوال ^(١).

وفى هذه الأحاديث بعض الملحوظات :

الملحوظة الأولى :

الأعداد المذكورة في التسبيح والتحميد والتكبير معتبرة شرعاً ، ولا يصح الزيادة عليها ، أو النقصان منها ، لاحتمال أن يكون لتلك الأعداد حكمة يترتب عليها الثواب ، وشأن ذلك شأن مقادير الدواء التي تؤدي إلى الشفاء ، فإن المريض يلتزم بها مادام مقتنعاً بالطبيب المعالج ولأن حال العظماء الوقوف عند الحدود التي يرسمونها للرعية ، ويعدون تخطيها ضياعاً لهيبتهم ، ويدرك الجمهور أن طاعة الكبير استقامة للأمور .

الملحوظة الثانية :

لو قام الأغنياء بكل ما يقوم به الفقراء من ذكر وعبادة ، مع تميزهم بالعبادات المالية ، فذلك فضل الله لهم ، وقد رضي الله لهم برفع الدرجات ، وعلى كل مسلم الرضا بعباء الله .

ومن المعلوم أن الذي يتمنى الشيء يكون شريكاً لفاعله في الأجر ، ولهذا يصير للفقراء مثل أجر الأغنياء الذين اتبعوهم فيه ، ولهم بذلك أجران ، فـ (من سن سنة حسنة ؛ فإن له أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء) ^(٢) .

(١) فتح الباري ج ٢ ص ٣٢٩ طبعة السلفية .

(٢) صحيح ابن خزيمة ، كتاب الزكاة ، باب استحباب الإعلان بالصدقة ، حديث رقم :

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

اتخذ الصحابة رسول الله ﷺ مرشداً ومعلماً لهم ؛ ليفقههم في الدين ، ويبين لهم أحكامه وتعاليمه ، ويأخذهم إلى الله الواحد عبادة مطيعين ، ومؤمنين يحفظون ويحافظون على حقوق الله تعالى والناس .

وقد قصد كل صاحب حاجة من الصحابة رسول الله ﷺ ، ليقضي حاجته ، ونقل الصحابة كل ما أوثر عنه ﷺ ، من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، أو صفة ، أو حال ، فتم بذلك دين الله تعالى من خلال الوحي المنزل ، وفتاوى رسول الله ﷺ وأفعاله وأحواله وعلموا دين الله الذي أراده منهم ، ولذلك حرصوا على امتثاله وتدوينه ، ونقلوه إلى من بعدهم من المسلمين ؛ ليعلموه ويعملوا به ، ويحافظوا على دين الله تعالى بالمحافظة على مصادره ، وتدوين تعاليمه ، ونقله إلى من بعدهم من العدول الثقات .

وقد دلت أحاديث الباب على استحباب ذكر الله بعد الصلاة بالتسبح ، والتحميد ، والتكبير ، مع أحاديث أخرى جاءت بأذكار أخرى منها : -

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ دبر الصلاة ويقول: (اللهم إني أعوذ بك من الجبن ، وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا ، وأعوذ بك من عذاب القبر)^(١).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان إذا قام إلى

الصلاة (يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم : " اللهم اغفر

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب ما يتعوذ من الجبن .

لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت ،
وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت (١) .
وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال : أخذ رسول الله ﷺ يوماً بيدي ،
فقال لي : يا معاذ ، والله إنني لأحبك .

فقلت : بأبي أنت وأمي ، والله إنني لأحبك .
قال ﷺ : " يا معاذ إنني أوصيك ، لا تدعن أن تقول دبر كل صلاة
: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك (٢) .
وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (اقرأوا المعوذتين
دبر كل صلاة) (٣)

وقد جمع كتاب الأذكار للإمام النووي ، أذكارا عديدة يسهل الرجوع
إليها والعمل بها ، والأحاديث الصحيحة تُجمع على استحباب ذكر الله بعد
السلام للإمام ، والمؤمن ، والمنفرد ، والرجل ، والمرأة ، والحاضر
والمسافر ، ولا خلاف في ذلك ، فقد سئل النبي ﷺ : أي الدعاء أسمع ؟
قال ﷺ : جوف الليل الآخر ، ودبر الصلوات المكتوبات (٤) .

ولكن

بأي الأدعية المذكورة يبدأ المصلي عقب السلام ؟

(١) سبق تخريجه ص ٤١ .

(٢) صحيح ابن خزيمة ، كتاب الصلاة ، باب الأمر بمسألة الرب دبر الصلوات حديث : ٧٢٦

(٣) الأوسط لابن الأثير ، كتاب صفة الصلاة ، جامع أبواب الشاهد ، حديث : ١٥١٤

(٤) سنن الترمذي ، الجامع الصحيح - كتاب الذبائح ، باب ما جاء في عقد التسبيح ،

حديث رقم : ٣٥٠٤ .

يقول الإمام النووي : يستحب أن يبدأ بحديث الاستغفار ، فيستغفر الله ثلاثاً . ثم يقول : " اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام " ثم يتبع ذلك بحديث الباب الأول ، ثم بزيادة ابن الزبير رضي الله عنه وهي : " لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة ، وله الفضل ، وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون " ، ثم يسبح ، ويحمد ، ويكبر ثلاثاً وثلاثين ، ثم يدعو بما شاء من الأدعية الماثورة

وتدل أحاديث الباب على حرص الصحابة على الطاعة ، والوصول إلى الدرجات العلا ، والنعيم المقيم ، وكانوا يتنافسون في حصول الخيرات ، والقرب من الله تعالى ، وكان صلى الله عليه وسلم يعينهم في كل ما يغنيهم ، ويحقق رجاءهم وآمالهم .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب استحباب ذكر الله بالألفاظ الماثورة دبر كل صلاة مكتوبة ، مع مراعاة أحوال الناس ، وإمكانياتهم ، كل على قدره .

- ه -

ركائز الدعوة في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب الركائز الآتية : -

الركيزة الأولى

دين الله اتباع لا ابتداع

رحم الله عباده بإرسال رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإنزال دينه ؛ ليعلموا منه

كيف يعيشون، وكيف يعملون، وكيف يقولون وصار من المسلمات أن مسئولية المسلم فهم الإسلام من مصادره ، واتباع ما جاء به رسول الله ﷺ وعلى العلماء والدعاة أن يواصلوا حمل الإسلام للناس ، بجلائه ، ووضوحه .

لقد فصل الوحي دين الله تعالى ، ولم يترك شأننا يشغل العقل به وحده ، ولم يحمل العقل فوق ما يطيق .

وفى الأمور المتغيرة وضع الإسلام القواعد والمبادئ التي تضبطها ، وتحدد لها المجال المشروع .

والأذكار أقوال تشمل حمد الله بما يستحقه ، والثناء عليه بما هو أهل له ، وقد جاء الإسلام بها، وفصلها ، ووضح صفتها، وكيفيتها، وأصبح معلوماً أنه لا ابتداع في الإسلام، وإنما هو الإتيان والتطبيق ، وطاعة الله تكون بما أمر به وحدده .

الركيزة الثانية

أهمية الذكر الدائم لله تعالى

يتميز الإنسان عن سائر مخلوقات الله بالعقل الذي به يتصور ويفهم ، ويفكر، وينظر، ويدرك ، ويحكم ، ومن خصائص العقل، دوام التفكير والنظر، ولا يعرف التوقف عند حد ما.

وكان من رحمة الله بالإنسان ، أن حثه على شغل العقل بالحق ليعيش معه ، ويبتعد عن الباطل والهوى ، ومن الحقائق أن " العقل إن لم ينشغل بالحق أنشغل بالباطل ". ولذلك جاء في الآثر " نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل " .

وأعظم الحق ذكر الله تعالى ، ولذلك فإن المؤمنين هم دائموا الذكر ، يقول الله تعالى عنهم : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (١) .

إن المسلم يذكر الله في صلاته وعبادته ، وعليه أن يتبع الصلاة بالذكر والدعاء، والمستحب له أن يستمر في ذكر الله طوال يومه؛ ليتمتع براحة الضمير، والفوز برضوان الله ورضائه سبحانه وتعالى .

ومن عظمة الإسلام أن نرى أثر تعاليمه في واقع الحياة ، فلو جئنا برجلين أحدهما دائم الذكر لله ، والآخر غافل عن ذكر الله ، فإننا نجد أن الذاكر ذكر فتذكر، وعرف وغرف، وعلم الطريق السوي وسار فيه ، وشغل عقله ، وضميره ، وفكره في ملكوت الله وعظمته أثناء عمله وقوله ، وهذا يؤدي به إلى هناءة العيش ، والرضا بكل شيء ، والصبر على أي أذى ، والتعلق بما عند الله تعالى من فضل ، فهو خير وأبقى . نجد هذا الإنسان جيداً في عمله ، حسناً في قوله ، يراقب الله قبل أن يراقب الناس ، ويطلب معونة الله ، وتوفيقه في حركته وسكونه ، إن حياته كلها لله ، وكل ما يأتيه قدر وقضاء من الله تعالى فهو دائم الطاعة والخشوع لا يعنيه إلا رضا سيده العظيم رب العالمين .

أما الإنسان الغافل عن ذكر الله فإن الشيطان يأتيه، ويحرك عقله إلى تذكر الفواحش، والسيئات، ويسهل له الشرور، ويحوّله إلى إنسان سيئ في

(١) سورة آل عمران الآية : ١٩١.

خلقه وفعله بجانب الحق، ويحارب الخير وينحاز إلى المعاصي والشهوات
إن هذا الإنسان يتحول إلى فساد في فكره وعمله، وآماله ، وأحلامه
وسبب ذلك أن العقل لا يرضى بالفراغ أبداً ، وحينما أبعد صاحبُه عن الله
، آتاه الشيطان وملأه بالشر والفساد ، وضمه إلى حزبه وملاءه ، وأي
عاقِل يعود إلى هذه الصورة الواقعية ، عليه أن يسارع إلى إنقاذ نفسه من
جحافل الشياطين ، وينحاز إلى حزب الذاكرين الفاهمين ؛ ليسعد في
الحياة الدنيا بالطاعة والذكر ، والعبودية ، ويسعد في الآخرة برضوان الله
في جنات النعيم .

ومن صور الواقع أن الذاكر لله مهما بلغت معاصيه فإنه يعود لربه
تائباً ، مستغفراً ، يرجو رحمته ، ويخشى عذابه ، على أمل أن تعمه رحمة
الله ، فالله هو العفو الغفور ، ورحمته وسعت كل شيء . ولهذا لا يبأس
الذاكر من رحمة الله ، ولا يقنط من عفوه ، وإذا أخطأ رجع ، وإن ضعف
ندم وعاد ، وربه واسع المغفرة ، يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء
، وهو العفو الغفور .

أما الغافل فإن الحياة تضيق أمامه ، ولا يرى فيها فرجاً ، وبصيبه
اليأس والقنوط ، وإذا نزلت به مصيبة تخلص من حياته بالانتحار ،
والموت بلا أمل ولا رجاء ، ومصدق ذلك قوله ﷺ : (مثل المؤمن كمثل
الخامة من الزرع ، تفيئها الريح ، تصرعها مرة وتعديلها أخرى ، حتى
تهيج ، ومثل الكافر كمثل الأرزة المجذبة على أصلها ، لا يفيئها شيء ،
حتى يكون انجعافها مرة واحدة) ^(١).

(١) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة، باب مثل المؤمن كالزرع ومثل الكافر حديث: ٥١٣٢

الركيزة الثالثة دعاء الذاكرين

الذكر ثناء على الله ومدحه بما هو أهل له من صفات وأسماء، ظهرت أمام العقلاء في آيات الله الكونية والإنسانية ، والتنزيلية .
والدعاء طلب ورجاء يقوم به العبد المخلوق راجياً من ربه الخالق أن يحقق له ما يتمنى .

والتلازم بين الذكر والدعاء أمر ثابت ، فمن يتيقن من وحدانية الله، ويصدق بجميع صفاته ، وكمالاته يتجه إليه لتحقيق حاجاته وأمانيه.
ولذلك يجمع المؤمنون في توجههم إلى الله بين الذكر والدعاء ويتخيرون للدعاء ما يتخيرون للذكر من مآثر ثابت، كما يتخيرون الأوقات التي يرونها أرجى للإجابة كتلث الليل الأخير، وما بين تكبيرة الإحرام والقراءة ، وما بين التشهد الأخير قبل السلام ، وقعود ما بين السجدين ، ودبر كل صلاة .

إن المؤمن بالدعاء يتجه لمالك الملك ، الفاعل لكل أمر ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد أحاديث الباب

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية : -

(١) على العالم أن يحتاط في إجابته إذا سئل في أمر ما ؛ حتى يفيد السائل ولا يؤذى غيره ، فرسول الله ﷺ أجاب الفقراء بما يساويهم بالأغنياء من غير أن ينقص حق الأغنياء

(٢) يستحب نشر الغبطة والسرور بين الناس للمسارة والاستمرار في

العمل الصالح .

(٣) يحتاج المسلم إلى عدم الركون على فضل يأتيه ، بل عليه أن يسارع إلى القيام بكل فضل ممكن ، فإن الفقراء بحثوا عن عمل يرفعهم ، والأغنياء سارعوا إلى ما فعل الفقراء .

(٤) جزاء الأعمال بيد الله ، فقد يجازي الله على قول موجز أو عمل بسيط بالجزاء الوافر الجزيل الذي يستحقه العمل الشاق الطويل .

(٥) يستحب تواصل العبادات كالذكر بعد الصلاة ، والدعاء معه

(٦) يستحب تخير الألفاظ والأوقات الفاضلة ، كما بينها رسول الله ﷺ

(٧) تحدث العلماء والفقهاء عن الغني الشاكر والفقير الصابر من ناحية أيهما أفضل .

وأرى أن الأمر بيد الله ، وهو العليم الخبير ؛ لأن الصبر والشكر معانٍ يعلمها الله تعالى ، وتتمايز عن بعضها بالصدق والإخلاص ، والصفاء وإحاطتها بفضل الله تعالى ، والله ذو الفضل العظيم .

(٨) رسول الله ﷺ هو مصدر الدين ، فهو الوحي المنزل .

- ٢٤ -

٢٧- باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة

حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْكُتُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَبَيْنَ الْقِرَاءَةِ إِسْكَاتَةً هُنَيْئَةً ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِسْكَاتُكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ مَا تَقُولُ ؟ قَالَ ﷺ : أَقُولُ : اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ؛ اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالتَّلْجِ وَالْبَرَدِ ^(١)

[٣٤٩]، (١)

٧٤٤

- أ -

موضوع حديث الباب

يدور حديث الباب حول الدعاء المشروع بين تكبيرة الإحرام والقراءة.

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يروى الحديث أبو هريرة رضي الله عنه ويبين أنه ﷺ كان يسكت فترة وجيزة بين التكبيرة وبين القراءة (إِسْكَاتَةً هُنَيْئَةً) أي أنه ﷺ دوام على سكوته بين تكبيرة الإحرام ، وبين القراءة سكتة قصيرة يقرأ بعدها الفاتحة . وإسكاته مصدر " سكت " وكان أبو هريرة رضي الله عنه يدرك أنه ﷺ قرأ شيئاً ، أو تكلم به في سره أثناء هذه السكتة ، بدليل تحرك شفثيه وأسفل ذقنه . ولا منافاة بين هذا السكوت ، وبين ما رواه أنس رضي الله عنه من أن النبي

(١) أخرجه البخاري في: ١٠ كتاب الأذان: ٨٩ باب ما يقول بعد التكبير.

ﷺ وأبا بكر وعمر م كانوا يفتتحون الصلاة بـ ﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ اَلْعَالَمِينَ ﴾^(١) ؛ لأن المراد أنهم كانوا يفتتحون القراءة " بالحمد لله رب العالمين " ، وهذا لا يمنع سبق القراءة بالدعاء الذي كان يذكره النبي ﷺ وهو موضوع سؤال أبي هريرة ؓ .

و " هنية " هي الزمن القصير جاءت وصفاً لإسكاته أي إسكاته قصيرة يقرأ بعدها ، و " هنيّة " ، بفتح الهاء ، وكسر النون وتشديد الياء المفتوحة ، أو بضم الهاء وفتح النون ، وتشديد الياء المفتوحة تصغير (هنة) فلما صغرت صارت " هنيوه " فاجتمعت واو وياء ، سبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء ، ثم أدغمت فصارت هنيّة ، ولذا أخطأ من قرأها بالهمزة وقال : (هنية) .

(فَقُلْتُ) : والتاء للمتكلم - أي قال أبو هريرة ؓ لرسول الله ﷺ سائلاً ، (يَا أَبَايَ وَأُمِّي) أي : بدأ أبو هريرة ؓ سؤاله بقوله (يَا أَبَايَ وَأُمِّي) وهو جار ومجرور متعلق بمحذوف تقديره مفدى أو أفديك ، وهى تحية يجوز بدء السؤال بها ، خلافاً لمن جعلها خاصة برسول الله ﷺ وحده .

(يَا رَسُولَ اللَّهِ إِسْكَاتُكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ مَا تَقُولُ) ؟ ... والسؤال حقيقى ، فقد لاحظ أبو هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ يقول كلاماً في سره ، من رؤيته لحركة شفثيه وأسفل ذقنه ، ولذلك سأله عن الكلام الذي يقوله .

(قَالَ) ﷺ : (أَقُولُ : اَللّٰهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) أي : أبعد عني آثار المعاصي التي وقعت فيها ،

(١) فاتحة الكتاب الآية : ٢ .

واعصمني من التي لم تقع كما باعدت بين المشرق والمغرب فهما متباعدان لا يلتقيان أبداً .

والمباعدة هنا مجازية؛ لأنها تكون حقيقة في الزمان والمكان والأجرام والماديات ، وتكون مجازاً بين الفعل وأثره ، أو بين الفاعل وأثر الفعل .

واختار الحديث التشبيه بالمشرق والمغرب لاستحالة التقائهما ، ولظهور هذا التباعد أمام جميع الناس .

وكرر الحديث (بَيِّن) في قوله ﷺ (بَيِّنِي وَبَيِّنْ خَطَايَايَ) في المشبه كما لم يكرره في المشبه به (بَيِّنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) فلم يقل " بين المشرق وبين المغرب " ؛ لإظهار خطاياي ، التي يقر بها ، ويطلب بعد أثرها عنه ، وعدم الوقوع فيها مرة ثانية ، ولبيان تبرئه منها ، وعدم رضاه بها .

قال ﷺ : وأقول : (اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ) أي طهرني من الذنوب ، وامح عني أثرها وهو مجاز ؛ لأن الذنوب لا تمحى وإنما ينمحي أثرها . والدنس هو الوسخ الذي يلحق بالثوب بسبب ما .

وجاء التشبيه بتنقية (الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ) ؛ لأن الثوب الأبيض يظهر فيه الدنس أكثر من غيره مهماً قل ، وهذا يعني طلب التخلص من الذنوب كلها صغيرها وكبيرها .

وقال ﷺ : وأقول : (اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ) أي : امح عني آثار أخطائي ومعاصي حتى أطهر منها ، وأتخلص من آثارها ،

واغسلني بالماء والتلج والبرد .

والتلج والبرد ماءان متجمدان من شدة البرد، لم تمسهما الأيدي، ولم يستعملا، وهذا يفيد غاية المحو ؛ لأن الثوب الذي ينقى بثلاثة أشياء منقية يكون في غاية النقاء ، ولا يخفى ما في العبارة من مجاز وتشبيه ...

ويحتمل أن يكون المراد أن كل واحد من الماء والتلج والبرد مجاز يعبر عن ثلاثة أمور يرجوها هي الرحمة ، والمغفرة ، والعفو لإطفاء حرارة عذاب النار بشكل تام وكأنه ﷺ جعل الخطايا بمنزلة جهنم فهي سببها، فعبر عن إطفاء حرارتها بالغسل وبالغ في استعمال المبردات ، ترقياً من الماء العادي إلى الماء البارد إلى الأبرد منه .

فإن قيل : لم خص ﷺ الماء والتلج والبرد بالذكر دون سائر المائعات؟

أقول : خص الحديث هذه الثلاثة بالذكر لأنها منزلة من السماء ظاهرة ، وأصلها واحد ، وكل منها يتحول لغيره .

وقد صدر النبي ﷺ دعواته الثلاث بقول (اللَّهُمَّ) لبيان أهمية كل منها ، لتشمل الماضي والحاضر والمستقبل ؛ لأن المسلم يسأل ربه أن يبعده عن آثار معاصيه الماضية ، وينقيه بالبعد عن الوقوع في أي منها في الحاضر، ويبعدها عنه في المستقبل ، فالله على كل شيء قدير ، وإذا أراد شيئاً قال له كن فيكون ، ومن الإلحاح في الدعاء إحاطته بالتعظيم والتقديس في الإطار اللفظي انطلاقاً من الاعتقاد الباطني ، والتصديق العقلي .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يبين حديث الباب أن الدعاء بعد تكبيرة الإحرام وقبل القراءة سنة مستحبة عند جمهور الفقهاء خلافاً لمالك - رحمه الله تعالى - الذي استدل بحديث أنس رضي الله عنه أن أبا بكر وعمر **م** كانوا يفتتحون الصلاة بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْمَلِكِ﴾ ^(١) وقد رد الجمهور بأن مراد أنس رضي الله عنه البدء بالقراءة بعد الدعاء .

وقد ذكر الجمهور صيغاً عديدة للاستفتاح غير ما جاء في حديث الباب ، ومنها : -

- عن أم المؤمنين عائشة **ل** أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا افتتح الصلاة قال : (سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرك) ^(٢) .

- وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استفتح الصلاة كبر ، ثم يقول : (وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً ، وما أنا من المشركين ، إن صلاتي ، ونسكي ، ومحياي ، ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت ، أنت ربي ، وأنا عبدك ، ظلمت نفسي ، واعترفت بذنبي ، فاغفر لي ذنوبي جميعاً ، لا يغفر

(١) فاتحة الكتاب الآية : ٢ .

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة ، باب افتتاح الصلاة ، حديث رقم : ٨٠٤ .

الذنوب إلا أنت ، لبيك وسعديك ، والخير كله في يديك ، والشر ليس إليك ، أنا بك وإليك ، تباركت وتعاليت ، أستغفرك وأتوب إليك (١) .

يرى الفقهاء والمحدثون جواز الإتيان بهذه الأدعية جميعاً ، من أولها إلى آخرها في الفرائض والنوافل ، فكلها منقولة عن رسول الله ﷺ ، وكلها تحقق حاجات المصلى ، وأمانيه التي يرجوها ، في الدنيا وفي الآخرة .

وقد دعا النبي ﷺ بهذه الأدعية ، واستمر عليها مع عصمته ﷺ تعليماً للناس ، وتواضعاً ، وطمعاً في زيادة القرب من الله ﷻ .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب ما يستحب من الدعاء بعد تكبيرة الإحرام وقبل البدء في القراءة ، ويوضح أن المستحب أن يكون الدعاء سراً سواء كانت الصلاة جهرية أو سرية .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في حديث الباب

يتضمن حديث الباب ركيزة هامة هي :-

العبادة طاعة ورجاء

شرع الله تعالى الصلاة، وبدأها بتكبيرة الإحرام التي تحرم على المصلي أعمال الدنيا ، وتكلفه بأعمال وأقوال يناجي فيها ربه ذاكراً وداعياً

(١) صحيح ابن حبان ، كتاب الصلاة ، باب صفة الصلاة ، حديث : ١٧٩٣ .

إلى أن ينتهي منها بالتسليم .

ولكل عبادة شروطها، وكيفيةها، وأركانها ، وصفتها .. وكلها تصل
الإنسان بربه بصورة ما ، وتؤكد خضوعه وطاعته، وتظهر عبادته للخالق
العظيم

والعبادات في جملتها تقوم على أمرين :

أولاهما : الالتزام بأدائها على الوجه المشروع ، من بدايتها إلى
نهايتها .

وثانيهما: التوجه إلى الله تعالى أثناء العبادة ، بالدعاء والطلب، لأن
أوقات العبادة أحوال قرب لله تعالى ، وأحسن الدعاء ما يكون العبد فيها
قريبا من ربه .

والإنسان العابد يسعد بعبادة الله تعالى ، ويفرح بطاعته ؛ لأنها
ترفع قدره ومنزلته ، وتحقق أمانيه ومبتغاه ، يقول الله تعالى في الحديث
القدسي : (أنا الله الملك الذي إذا أردت أمرا أقول له كن فيكون ، فهلما
إليّ أجعلكم إذا أردتم أن تقولوا للشيء كن فيكون)^(١)

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

يشير الحديث إلى الفوائد الآتية : -

١- حرص الصحابة على تتبع أحوال النبي ﷺ في أقواله وأفعاله وعبادته
، والمحافظة عليها ، وأدائها على الوجه الذي أخذوه من رسول الله ﷺ

(١) هواتف الجنان لأبن أبي الدنيا ، حديث رقم : ٢٩ .

٢- حب الصحابة لرسول الله ﷺ وافتدائهم بأنفسهم ، وآبائهم ، وأمهاتهم ، وأبنائهم .

٣- يستحب الدعاء بين تكبيرة الإحرام والقراءة ، خلافاً للمشهور عن الإمام مالك - رحمه الله تعالى .

٤- جواز الدعاء في الصلاة بما ليس في القرآن والحديث خلافاً للأحناف

- ٢٥ -

٢٨ - باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة

والنهي عن إتيانها سعيًا

[٣٥٠]، (١) حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِذَا

أَقِيَمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا تَأْتُوهَا تَسْعُونَ ، وَأَتُوهَا تَمْشُونَ ، عَلَيْكُمْ

السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا^(١).

[٣٥١]، (٢) حديث أبي قتادة رضي الله عنه ، قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ

إِذْ سَمِعَ جَلْبَةَ رَجَالٍ ، فَلَمَّا صَلَّى قَالَ ﷺ : مَا شَأْنُكُمْ ؟

قَالُوا: اسْتَعْجَلْنَا إِلَى الصَّلَاةِ.

قَالَ ﷺ : فَلَا تَفْعَلُوا ، إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ ، فَمَا

أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا^(٢) .

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تدور أحاديث الباب حول كيفية إتيان المصلي إلى الصلاة بعد

إقامتها ، على أن يكون الاتيان على وجه السكينة ، والهدوء والوقار .

(١) أخرجه البخاري في: ١١ كتاب الجمعة: ١٨ باب المشي إلى الجمعة وقول الله جل ذكره

﴿ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾

(٢) أخرجه البخاري في: ١٠ كتاب الأذان: ٢٠ باب قول الرجل فانتتنا الصلاة .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على حديثين يبينان أهمية إتيان الصلاة في وقار وسكينة ، ويوجهان الناس إلى هذا الأدب الضروري للصلاة ؛ لأن من قصد الصلاة عليه أن يتهيأ لأدائها ، ويجيء إليها في خشوع وأناة ؛ لينال ثواب من سبقه إلى الصلاة ، ومن المعلوم أن للوسيلة حكم الغاية ، فمن كانت غايته نبيلة، كانت وسيلته إليها نبلا وهدوءا ، وأن من أراد الصلاة ، وانتظرها فهو في صلاة من حين يتحرك لها ، حتى ينتهي منها.

وسبب هذا التوجيه أن رسول الله ﷺ سمع أصواتا وحركة أصحابه ، وهم يسعون ويهرولون للحاق به في الصلاة ، فلما انتهى من صلاته ﷺ سألهم ، وذكر لهم ما جاء في أحاديث الباب .

ففي الحديث الأول يقول أبو هريرة رضي الله عنه : (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا تَأْتُوهَا تَسْعُونَ) أي : إذا أقيمت الصلاة فلا تأتون إليها وأنتم تجرون ، وتهولون (وَأَتُوهَا تَمْشُونَ ، عَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ) أي أتوها وأنتم تمشون في هدوء ووقار وسكينة .

وعلى هذا فالنهي عن السعي هنا يختلف عن السعي المأمور به في قوله ﷺ: ﴿ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾^(١) ، لأن السعي المنهي عنه في الحديث ، هو الجري والعدو ، والسعي المأمور به في الآية هو الذهاب إلى المساجد ، والمضي إلى الصلاة بهدوء .

(١) سورة الجمعة الآية : ٩ .

وإنما نهى النبي ﷺ عن السعي إلى الصلاة عدوا ؛ حتى لا ينال الساعي من التعب ، وضيق النفس ما يرهقه ، فيدخل في الصلاة وهو منبهر فيتتافى مع ذلك خشوعه .

وقد بينت رواية (إذا سمعتم الإقامة، فامشوا إلى الصلاة) ^(١) أن السكينة والهدوء تكون في السير إلى الصلاة إذا أقيمت ؛ حتى لا تحدث حركة وصوتاً تضر القادم للصلاة ، ومن هو فيها ؛ بسبب الاستعجال للدخول في الصلاة .

وقد قال أبو قتادة ؓ في الحديث الثاني : (بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، إِذْ سَمِعَ جَلْبَةَ رِجَالٍ) أي أنه ﷺ بعد أن دخل في الصلاة سمع أصواتاً مرتفعة، وحركة متسارعة من جلبة رجال قادمين للصلاة ، فلما انتهت الصلاة سأل رسول الله ﷺ وقال لأصحابه : (مَا شَأْنُكُمْ) ؟ أي : ما حالكم وما سبب ضجيجكم ؟....

وقد سمى الطبراني من هؤلاء الرجال (أبا بكرة ؓ) ^(٢) .

قالوا : (اسْتَعْجَلْنَا إِلَى الصَّلَاةِ) أي قال الصحابة - رضوان الله عليهم - لرسول الله ﷺ : تعجلنا المجئ إلى الصلاة ، وأسرعنا في اللحاق بالجماعة فوقعت الجلبة .

قال ﷺ : (فَلَا تَفْعَلُوا ، إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ) ، أي لا تعدوا في السير إلى الصلاة ، ولا تتعجلوا ، ولا تفعلوا ما فعلتم ، وإنما ائتوا

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب لا يسعى إلى الصلاة .

(٢) فتح الباري ج ٢ ص ٣٩٠ ، طبعة السلفية .

إليها في أناة وهدوء ، وسكينة ووقار ، وتخلقوا بأخلاق الصلاة حين تحيئون إليها ، و(عليكم) اسم فعل أمر معناه إلزموا .

(فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا) ، الفاء واقعة في جواب شرط محذوف تقديره ، إذا فعلتم ما أمرتكم به من هدوء في السير، وأناة في الحركة، فصلوا ما أدركتم مع الإمام .. (وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا) أي : أتموا الصلاة التي سبقكم بها الإمام بعد التسليم ، وفي بعض الروايات (وما فاتكم فاقضوا) ^(١) .

والفرق بين الروايتين كبير، ويظهر في المعنى والأحكام المستفادة في تحليل الأحاديث .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

الذاهب إلى الصلاة ينبغي أن يكون متأدباً بآدابها ، سالكا خشوعها ، وخضوعها ، يمشي هونا ، ويتحرك برتابة ، ويتذكر أنه مقدم على لقاء الملك العظيم .

والنهي عن الإسراع إلى الصلاة بعد الإقامة ، وخوف فوت الصلاة صريح في الحديثين ، أما الإسراع قبل الإقامة ، فهو محل خلاف بين الفقهاء ، فقد رأى بعضهم السماح ببعض الإسراع لإدراك تكبيرة التحريم .

ويستحب لمن خرج من بيته يقصد الصلاة ، أن يقول كما قال رسول الله ﷺ ، فلقد روى ابن عباس م أن النبي ﷺ خرج إلى الصلاة وهو يقول

(١) صحيح ابن خزيمة : كتاب الإمامة في الصلاة ، باب الأمر بالسكينة في المشي إلى الصلاة ، حديث رقم : ١٤١٧ .

: (اللهم اجعل في قلبي نورا ، وفي لساني نورا ، واجعل في سمعي نورا ، واجعل في بصري نورا ، واجعل من خلفي نورا ، ومن أمامي نورا ، واجعل من فوقني نورا ، ومن تحتي نورا ، اللهم أعطني نورا) ^(١) .

واختلف الفقهاء فيما يدركه المسبوق مع الإمام : وهل هو أول صلاته فيتم ما بقى منها عملاً وقولاً . أم هو آخر صلاته فيقضى ما سبق في أولها ؟ أم ماذا ؟

اختلف الفقهاء في هذا الحكم على ثلاثة أقوال :

القول الأول : إن ما صلاه مع الإمام هو أول صلاته، وعليه أن يتم.

وهو مذهب الشافعي وجمهور العلماء من السلف والخلف ورواية عن أحمد ومالك رحمهما الله وحديث الباب يؤيدهم ؛ لأن قول ﷺ (أتموا) يفيد الإتمام المبني على شيء سبقه ، وتقدم عليه ، كما أن على المسبوق أن يختم صلاته بالتشهد الذي يكون آخر الصلاة .

القول الثاني : ما أدركه المسبوق مع الإمام هو آخر صلاته ، وعليه أن يقضى ما سبقه به الإمام ، وهو أول الصلاة فيقرأ الفاتحة ، وشيئاً من القرآن في الركعات التي يقضيها ، وهذا مذهب أبي حنيفة ورواية (فاقضوا) تؤيد هذا الرأي .

القول الثالث : ما أدرك المسبوق من الصلاة هو أول صلاته في الفعل ، وآخرها في القول ، وهذا مذهب مالك - رحمه الله .

(١) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء في صلاة الليل ، حديث رقم

ويظهر أثر هذه الأقوال في صلاة العشاء ، فالمسبوق بركعتين عليه أن يصلّى الثالثة ، والرابعة بالفاتحة سراً ويتشهد ويسلم على الرأى الأول .
وعلى الرأى الثاني يقضي ما فاتته ويصلّى الأولى والثانية بالقراءة الجهرية ويتشهد ويسلم .

وعلى الرأى الثالث عليه أن يتم صلاته فيصلّى الثالثة والرابعة ، إلا أنه يجهر فيهما ويقرأ مع الفاتحة شيئاً من القرآن الكريم ^(١) .
وهكذا ينظم الإسلام للمسبوق صلاته ، ويأمره بأدائها في هدوء وسكينة .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب ضرورة المجيء إلى صلاة الجماعة في هدوء ، وسكينة تجمع بين المشي الهادئ اليسير ، وبين الخشوع والخضوع والتذكر ؛ لأن السير إلى الصلاة جزء منها ، وما أدركه المسبوق صلاه ، وما لم يدركه يتمه أو يقضيه .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب على ركيزة هامة هي :

روح العبادة السكينة والخشوع

العبادة في الإسلام أقوال وأفعال ، ترتبط بالنوايا والمقاصد ، (ولكل

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٤٦ ، طبعة الشعب .

امرئ ما نوى^(١) ولا بد لها من قلب متيقظ ، وعقل واع ، وفهم لمقاصد كل قول ، وإدراك الغاية من كل فعل ، حتى تؤدي العبادة على وجهها الصحيح ، وتحقق المقصود منها ، فتقوي الاعتقاد ، وتمتن الأخلاق ... وبدون المحافظة على إقامة الصلاة على وجهها الصحيح تفقد الآثار المقصودة منها.. فرب مصل لا يأخذ من صلاته إلا التعب، ورب صائم لا ينال من صومه إلا الجوع والعطش ، وهكذا

وأحاديث الباب تحت على السكينة والهدوء ، حين الاستعداد للصلاة ، وحين المشي للحاق بصلاة الجماعة ؛ لأن العدو والجري يتعب المسبوق ويصرفه عن الهدوء والخشوع، ويشغله بتتابع النفس ، واللهث بسبب التعب إن الصلاة خضوع وخشوع ، وتذلل ورجاء ، وهذا يشمل الجسد والروح ، والصوت والحركة ، ولا بد لذلك من سكون يجمع المبنى والمعنى ، ليتوجه الفعل واللفظ لله ، وتتعاون الحركة مع الفكرة في التعبد لله تعالى . ولتحقيق هذه المعاني في الصلاة جعل الله مقدمات ما قبل الصلاة جزءا منها، فالمتوضى يستعد للقاء الله ، وقاصد الصلاة مثاب بها ، والمقدمات في كل عمل ضرورة له ، وهى جزء منه ، وقاصد المسجد في صلاة إلى أن يخرج منه .

إن السكينة صفة لازمة لغيرها ؛ لأن الذي يسكن في مشيته يملك فكره وراحته ، ويحدد مقصده وغايته في راحة وهدوء بلا تشويش أو إزعاج إن المجئ إلى الصلاة يحتاج إلى السكينة والهدوء ، وكافة العبادات

(١) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب : ما جاء في الأعمال بالنية والحسبة .

تحتاج إلى ذلك ؛ لتؤدى على الوجه المشروع .
ومن المعلوم ما قاله النبي ﷺ : (إن هذا الدين متين ، فأوغل فيه برفق ، ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله ، فإن المنبت لا أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقى)^(١)

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد أحاديث الباب

تستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية : -

١ (لا يصح إسناد التقصير إلى العبادة فلا يقال (فاتت الصلاة) والأولى أن يقال (لم تُدرك الصلاة) أو (لم أدرك الصلاة) .

٢ (إدراك صلاة الجماعة يكون بإدراك جزء منها ؛ لأن الرسول ﷺ لم يحدد للمسبوق ما يتمه من صلاته .

٣ (استحباب السكينة والهدوء ، في كل فعل وقول ؛ ليجتمع العقل والفكر مع الحركة والعمل ، ولذلك كان من صفات عباد الله أنهم ﴿ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ ^(٢)

٤ (الإخلاص في العبادة يلحق المسبوق بالسابق ، وهذا فضل من الله تعالى .

٥ (قال بعض المحدثين المقصود بالسكينة: السكينة الجامعة

(١) السنن الكبرى للبيهقي ، كتاب الصلاة ، باب القصد في العبادة ، حديث رقم : ٤٤٠٤ .

(٢) سورة الفرقان : من الآية : ٦٣ .

للقار، وهذا يعني التأنى في الحركات ، واجتتاب العبث
بالأطراف ، والمقصود بالوقار : ملازمة الحركة الحسية
للساعة المأمور بها ، كغض البصر ، وخفض الصوت ،
وعدم الالتفات .

(٦) عدم الإسراع يؤدي إلى كثرة الخطأ ، وهو معنى مقصود لذاته،
فقد قال رسول الله ﷺ (إن لكم بكل خطوة درجة)^(١) ، وفي
حديث سعيد بن المسيب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال : (إذا
توضأ أحدكم فأحسن الوضوء ، ثم خرج إلى الصلاة لم يرفع
قدمه اليمنى إلا كتب الله ﷻ له حسنة ، ولم يضع قدمه
اليسرى إلا حط الله ﷻ عنه سيئة فليقرب أحدكم أو ليبعد فإن
أتى المسجد فصلى في جماعة غفر له ، فإن أتى المسجد
وقد صلوا بعضا وبقي بعض صلى ما أدرك وأتم ما بقي كان
كذلك ، فإن أتى المسجد وقد صلوا فأتهم الصلاة كان كذلك)^(٢)
(٧) يستحب للمسبوق أن يدخل مع المصلين في أي حالة كانوا
عليها ، ولا ينتظر قياماً أو ركوعاً أو سجوداً .

(١) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل كثرة الخطأ ، حديث رقم :

. ١١٠٢

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب ما جاء في الهدى في المشي إلى الصلاة ، حديث رقم

: ٤٨١ .

- ٢٦ -

٢٩- باب متى يقوم الناس للصلاة

[٣٥٢]، (١) حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ وَعُدَّتِ الصُّفُوفُ

قِيَامًا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا قَامَ فِي مُصَلَّاهُ ذَكَرَ أَنَّهُ

٢٧٥

جُنُبٌ ، فَقَالَ لَنَا: مَكَانَكُمْ .

ثُمَّ رَجَعَ فَاغْتَسَلَ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْنَا وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ ، فَكَبَّرَ، فَصَلَّيْنَا

مَعَهُ (١) .

- أ -

موضوع حديث الباب

يحدد حديث الباب الوقت الذي يقوم فيه المصلون للصلاة تنظيمًا لعملهم ، وراحة لأبدانهم .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يروى أبو هريرة رضي الله عنه الحديث فيقول: (أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ وَعُدَّتِ الصُّفُوفُ قِيَامًا) أي نادى المنادى بالإقامة، فقام المصلون وسويت الصفوف، وكان ﷺ لا يكبر تكبيرة الإحرام إلا بعد تسوية الصفوف ، والمسلمون قائمون (فَخَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) بعد أن عدلت الصفوف ليوم أصحابه في الصلاة .

(١) أخرجه البخاري في: ٥ كتاب الغسل: ١٧ باب إذا ذكر في المسجد أنه جنب يخرج كما

هو ولا يتيمم. وللحديث روايات أخرى في البخاري تحت رقم : ٦٣٩ ، ٦٤٠ .

(فَلَمَّا قَامَ فِي مُصَلَّاهُ ذَكَرَ أَنَّهُ جُنُبٌ) أي : فلما جاء رسول الله ﷺ ووقف موقف الإمام تذكر أنه جنب قبل أن يكبر .

(فَقَالَ لَنَا : مَكَانُكُمْ) أي قال النبي ﷺ لأصحابه : إلزموا مكانكم في صفوفكم التي سويتموها حتى أعود إليكم .

(ثُمَّ رَجَعَ فَاغْتَسَلَ) أي عاد ﷺ إلى بيته ، وكان مجاوراً لمكان الصلاة . فاغتسل على الفور .

(ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْنَا وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ) أي خرج من بيته ﷺ عقب اغتساله ، والماء يسقط من رأسه من أثر الاغتسال .

(فَكَبَّرَ ، فَصَلَّيْنَا مَعَهُ) أي أخذ ﷺ مكانه في الصلاة ، والصحابة في صفوفهم ، فكبر تكبيرة الإحرام ودخل في الصلاة وصلى المسلمون بصلاته وقد أخذ المحدثون والفقهاء في شرح هذا الحديث ، واستنباط الأحكام الشرعية منه ، اقتداء برسول الله ﷺ ، وإظهاراً لدقة الأحكام الشرعية التي جاء الإسلام بها ، ليقوم المسلمون بما وجب عليهم في راحة ويسر .

إن الإسلام لم يدع صغيرة ولا كبيرة ، إلا وشرع لها الأحكام التي تناسبها ، والتي تحقق راحة المسلمين .

قيل للبخاري : إذا وقع هذا لأخذنا بفعل مثل هذا ؟ أي إذا وقع للإمام عذر بعد تعديل الصفوف والإقامة ، وقبل التكبير ، أینسحب الإمام كما فعل رسول الله ﷺ ؟

قال : نعم

قيل له : فننتظر الإمام قیاماً أو قعوداً ؟

قال : إن كان قبل التكبير فلا بأس أن يقعدوا ، وإن كان بعده فلا ^(١)

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

كان رسول الله ﷺ يقيم في بيوت أزواجه المحيطة بمسجده ﷺ ، وكانت الصلاة تقام أحياناً ، ويصطف المصلون قبل أن يخرج إليهم رسول الله ﷺ ، وفى ذلك مشقة عليهم ، فقد يتأخر مجئ الرسول ﷺ إليهم ... ولذلك نهى رسول الله ﷺ بلالاً ﷺ أن يقيم الصلاة حتى يراه .. ، ونهى أصحابه أن يقوموا للصلاة ولو بعد الإقامة حتى يروه ، شفقة عليهم ، ورحمة بهم .

وحديث الباب يشير إلى حالة لرسول الله ﷺ ، إذ جاءهم ووقف أمامهم ليؤمهم ، فتذكر قبل التكبير أنه جنب ، فترك أصحابه ، وأمرهم بانتظاره ، وذهب إلى بيته فاغتسل ، ثم عاد وأمهم ، فعلموا أن النسيان طبيعة بشرية ، وأن الدقة في إقامة الصلاة ، واختيار وقتها أمر مستحب ، ولا يترتب على تقديم أو تأخير الإقامة بطلان .

وجمهور الفقهاء على أن الإمام لا يكبر للصلاة إلا بعد فراغ المؤذن من الإقامة ؛ لأن رسول الله ﷺ كان يعدل الصفوف بعد الإقامة .

يقول أنس ﷺ : (أقيمت الصلاة فأقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه ، فقال : " أقيموا صفوفكم ، وتراصوا ، فإني أراكم من وراء ظهري) ^(٢) . وذهب الجمهور أيضاً إلى عدم الإقامة قبل دخول الإمام المسجد .

(١) فتح الباري ج ٢ ص ١٢٢ ، طبعة السلفية .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب إقبال الإمام على الناس .

وذهب الإمام أحمد رحمه الله إلى تسوية الصفوف قبيل دخول الإمام المسجد وإذا أقيمت الصلاة فعلى الإمام أن يكبر عند قول المؤذن " قد قامت الصلاة " ؛ لأنه أمين الشرع ، وقائد الجماعة ، وتكبيره إخبار بقيام الصلاة ليصدق المصلون ، ويقوموا إلى صلاتهم .

وإذا كان الإمام في المسجد ، وأقيمت الصلاة فمتى يقوم المصلون للصلاة ؟

يقول الإمام مالك رحمه الله : لم أسمع في قيام المصلين للصلاة حداً معيناً ، والأمر متروك لطاقتهم ، وقوتهم ، وتقديرهم للموقف .

ويقول الشافعي وأبو يوسف من الأحناف - رضي الله عنهما - : يقوم المصلون عقب الانتهاء من الإقامة .

ويقول أحمد وزفر من الأحناف وابن المنذر رحمهم الله : يستحب القيام عقب قوله (قد قامت الصلاة) ؛ لأنه خبر بمعنى الأمر ، أي أقيموا الصلاة .

ويقول أبو حنيفة ومحمد رحمهم الله : يقوم المصلي عقب قول المؤذن (حي على الصلاة)

وكان سعيد بن المسيب وعمر بن عبد العزيز - رضي الله عنهما - يقومون للصلاة عند قول المؤذن (الله أكبر) عند بداية الإقامة ^(١) .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب تنظيم الإسلام للصلاة ، ويوضح وقت القيام لها

(١) فتح الباري ج ٢ ص ١٢٠ ، طبعة السلفية .

، شفقة بالمصلين ، ويذكر جواز خروج الإمام من المسجد بعد الإقامة لعذر ما ، وعلى المصلين انتظاره حتى يعود إليهم على هينتهم . فهم في صلاة حتى ينتهوا من صلاتهم .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في حديث الباب

يتضمن حديث الباب ركيزة هامة ... هي :

تنظيم الإسلام لأعمال الدنيا

نظم الإسلام حياة الفرد والجماعة ، ووضع كل قول وعمل في موضعه الصحيح ، ولم يترك أمراً للهوى واللعب .

ينظم الإسلام للمسلم منامه ويقظته ، ونشاطه في نهاره وليله ، ويوزع العبادات على الأوقات كلها ، ويحثه على اختيار الأعمال والأصحاب والمجالس ، ويدعوه إلى صلة الأرحام ، وإيتاء ذوي القربى ، ويأمره بمكارم الأخلاق في كل شأن وحال ، ولذلك يجد المسلم المستقيم نفسه في إطار ثابت ، قائم على الخير والمعروف ، بعيد عن المنكر والفساد .

يقول النبي ﷺ : (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه) ^(١)

ويقول ﷺ : (اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن) ^(٢) .

(١) المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني ، كتاب البيوع ، باب الصناعات وسبلهم ، حديث رقم : ١٣٩٠

(٢) سنن الدرامي ، كتاب الرقاق ، باب في حسن الخلق ، حديث : ٢٧٤٣ .

وفى حديث الباب دلالات قوية على دقة النظام الإسلامي ، فقد جاء فيه تحديد الوقت الذي يقوم فيه الجالس للصلاة ، وجواز انتظار الإمام بعد الإقامة ، ووقوف المصلين كهيئتهم ، وضرورة الريادة والقُدوة في الحياة الاجتماعية .

إن الله تعالى أنزل دينه كاملاً تاماً ، وحدد منهج الحياة به ، وطرق الدعوة إليه ، وبين رسول الله ﷺ للناس كل أمر وتركهم على المحجة البيضاء ، التي وضحت كل حاجات الناس ، وواصل العلماء والدعاة السير على منهج رسول الله ﷺ ، فتركوا ثروة تفصيلية ، تشمل كل جوانب الإسلام ، وأودعوها في بطون الكتب ، وتركوها للناس بياناً لسائر الأحكام إلا أننا في العصر الحديث ، ووسط صراع الحضارات ، ومع كثرة الأعداء ، وتعدد الحرب على الإسلام . ومحاولات صرف المسلمين عن العلم والعمل بالإسلام ، نرى عجز المسلمين ، وانصرافهم عن التطبيق الصحيح للإسلام جاهلين أو متعمدين .

ولا نجافى الحقيقة حين نؤكد أن كثيراً من المسلمين يجهلون الإسلام ، وقد رضوا بثقافات تبعدهم عن الإسلام ، وصاروا في حاجة ماسة إلى العلم بالإسلام ، وإلى ضرورة العمل به ، حتى تنتهي حالة الجهل ، وحالة الانفصام بين العلم والعمل .

إن مسئولية الدعاة كبيرة ، وعليهم بذل الجهد لإحياء الإسلام في روح الفرد والجماعة ؛ ليعلموه ويعملوا به في دقة وإتقان ؛ لتصلح بهم الحياة ، ويسعدوا بدينهم في الدنيا والآخرة .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث .

يدل الحديث على بعض الفوائد ... منها :-

- ١- جواز النسيان على الأنبياء في الأعمال التكليفية ؛ لأجل التشريع . فقد تعلم المسلمون من نسيان رسول الله ﷺ جواز الخروج من المسجد بعد الإقامة للاغتسال ، ولغيره من الأعذار ، وجواز الفصل بين الإقامة والصلاة .
- ٢- لا حياء في الدين ، وعلى من يغلبه أمر أن يعتذر للناس ، ولو بأمر موهم ، وإشارة خفية .
- ٣- الماء المستعمل طاهر ، لا ينجس المكان الذي يقع فيه .
- ٤- الكلام بين الإقامة والصلاة جائز ، ويستحب أن يكون في أمور تتعلق بالصلاة .
- ٥- حسن تلقى الصحابة من رسول الله ﷺ .
- ٦- تقديم صورة حسنة للمجتمع الإسلامي ، وتماسكه الشامل للقائد ، والرعية .
- ٧- استعداد المسلم لقبول عذر أخيه في أي خطأ يقع منه .

- ٢٧ -

**٣٠ - باب من أدرك ركعة من الصلاة
فقد أدرك تلك الصلاة**

حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : مَنْ أدرك
[٣٥٣]، (١)
رُكْعَةً مِنَ الصَّلَاةِ فَقَدْ أدرك الصَّلَاةَ (١) ٥٨٠

- أ -

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب أن من أدرك جزءاً من الفريضة زماناً أو حكماً
أو جماعة فقد أدرك الصلاة .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يروى أبو هريرة رضي الله عنه الحديث عن رسول الله ﷺ ، ويؤكد أن النبي
ﷺ قال : (مَنْ أدرك رُكْعَةً مِنَ الصَّلَاةِ فَقَدْ أدرك الصَّلَاةَ) ، والإدراك هو :
الوصول إلى الشيء في آخر وقته واللاحق به قبل أن ينقضي . والمراد به
هنا أن من أدرك ركعة من الوقت، قد أدرك وقت الصلاة التي يؤديها ،
وصار حكم الصلاة كلها حكم من أداها في وقتها ، وفي الحديث حذف
تقديره (فقد أدرك فضيلة وقت الصلاة) .

وليس المراد أن الركعة الواحدة تكافئ الصلاة كلها ، وقال بعض
المحدثين : المراد بالركعة جزء الصلاة مطلقاً .

وعلى المفهوم المراد من ركعة في الحديث اختلف العلماء والفقهاء

(١) أخرجه البخاري في: ٩ كتاب مواقيت الصلاة: ٢٩ باب من أدرك من الصلاة ركعة .

في المقدار الذي تدرك به الصلاة ، وسيأتي تفصيل ذلك في التحليل .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يفيد قوله ﷺ (فَقَدْ أَدْرَكَ الصَّلَاةَ) واحدا من المعاني التالية : -

أولها : الدخول في الصلاة في آخر وقتها ، وإدراك ركعة واحدة في آخر الوقت يجعل الصلاة كلها في حكم من أداها في وقتها فردا أو جماعة .

ثانيها : إدراك صلاة الجماعة في الركعة الأخيرة ، يؤدي إلى فضيلة الجماعة في الصلاة كلها .

ثالثها : اكتمال شروط الوجوب قبل نهاية الوقت بمقدار ركعة ، يوجب صلاة الوقت على المكلف ، هذا عند الجمهور ، وما دون الركعة فيه قولان عند الشافعي .

وقد أدى تعدد معاني الإدراك إلى اختلاف الفقهاء في الحكم الشرعي المستفاد من الحديث .

فذهب الشافعية ، والمالكية إلى أن إدراك الحكم أو الفضل ، أو الوقت ، لا يتم إلا بإدراك ركعة كاملة .

وذهب أبو حنيفة رضي الله عنه إلى أن إدراك جزء من الركعة إدراك للصلاة كلها ، ما عدا صلاة الصبح فإن الصلاة بعد طلوع الشمس لا تصح عنده ، فمن صلى الركعة الثانية بعد طلوع الشمس بطلت صلاته .

وذهب مالك وزفر ، ومحمد ، والشافعي ، واحمد - رحمهم الله تعالى إلى أن من أدرك ركعة من الجمعة فقد أدركها .

وذهب أبو حنيفة ، ويوسف - رضي الله عنهما - إلى أن إدراك الجمعة يكون بإدراك جزء يسير من الصلاة ^(١).

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب الحكم فيمن اكتمل شروط وجوب التكليف قبل خروج الوقت بمقدار ركعة ، فقد وجب عليه كل واجب ، وأن من أدرك مع الجماعة من الوقت ركعة ، يكون كمن أداها كلها في جماعة ، وأن من أدرك من الوقت ركعة فقد أدرك الوقت كله ، وذهب البعض إلى أن إدراك جزء من الركعة كاف .

- ه -

ركائز الدعوة في حديث الباب

يتضمن حديث الباب ركيزة هامة ... هي : -

يسر الإسلام وسماحته

فتح الله باب الخير أمام الإنسان ، وأحاطه بالرأفة والسماحة فقدر له الوسط في كل أمر . وحين شرع العبادات حدد لها بداية وخاتمة ، وقدر لها الأداء والقضاء ، مراعيًا حالات الإنسان وطاقاته

فحديث الباب يشير إلى يسر الإسلام إذ جعل إدراك ركعة من الصلاة يعد إدراكًا للصلاة كلها ، وهذا فضل من الله تعالى ، يقدره لمن يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

(١) فتح الباري ج ٢ ص ٥٦ بتصرف .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من الحديث الفوائد التالية :

- ١- بيان سعة رحمة الله تعالى .
- ٢- كلمات السنة النبوية تجمع أحكاماً عديدة لأنها من جوامع الكلم .
- ٣- اختلاف الفقهاء في تفسير كلمات السنة رحمة بالامة .

— ۲۸ —

٣١- باب أوقات الصلوات الخمس

حَدِيثُ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : (١) ، [٣٥٤] ،

نَزَلَ جِبْرِيلُ فَأَمَّنِي فَصَلَّيْتُ مَعَهُ ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ ، ثُمَّ صَلَّيْتُ

مَعَهُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ يَحْسُبُ بِأَصَابِعِهِ خَمْسَ

(١) صَلَوَاتٍ

حديث أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ - رضي الله

٥٢١ - عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْرَجَ الصَّلَاةَ يَوْمًا،

فَدَخَلَ عَلَيْهِ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْمُغِيرَةَ بْنَ

شُعْبَةُ ﷺ أَخَّرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا وَهُوَ بِالْعِرَاقِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو

مَسْغُودِ الْإِنصَارِيِّ ﷺ ؛ فَقَالَ: مَا هَذَا يَا مُغِيرَةُ؛ أَلَيْسَ قَدْ

عَلِمْتَ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَزَلَ فَصَلَّى فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ،

ثُمَّ صَلَّى فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ صَلَّى فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

ثُمَّ صَلَّى فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ صَلَّى فَصَلَّى

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ... ؟ ، ثُمَّ قَالَ ﷺ : بِهَذَا أُمِرْتُ .

فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه لِعُرْوَةَ: اَعْلَمْ مَا تَحَدَّثُ بِهِ، أَوْ إِنَّ جَبْرِيلَ

الصلوة هو أقام لرسول الله ﷺ وقت الصلاة .

قَالَ عَزَّوَجَلَّ : كَذَلِكَ كَانَ بَشِيرُ بْنُ أَبِي مَسْعُودٍ يُحَدِّثُ

عَنْ أَبِيهِ (١)

(١) أخرجه البخاري في: ٥٩ كتاب بدء الخلق: ٦ باب ذكر الملائكة

[٣٥٦]، (٣) حديث عائشة **ل** أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي الْعَصْرَ

وَالشَّمْسُ فِي حُجْرَتِهَا قَبْلَ أَنْ تَظْهَرَ^(٢) ٥٢٢

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أن للصلوات الخمس أوقاتاً محددة بوقت معين له بداية ونهاية ، فقد نزل الوحي بتحديد الوقت ، نظرياً وعملياً على رسول الله ﷺ ، حيث نزل جبريل عليه السلام في يومين على رسول الله ﷺ في أوقات الصلوات الخمس ، فصلى في اليوم الأول برسول الله ﷺ في أول الوقت ، وصلى في اليوم الثاني في آخر الوقت ، فظهر من ذلك أن وقت كل صلاة هو الوقت الواقع بين الصلاتين .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على ثلاثة أحاديث ، تبين نزول جبريل عليه السلام بالوحي على رسول الله ﷺ ، ليحدد له وقت الصلاة نظرياً وعملياً

ففي الحديث الأول يروى أبو مسعود الأنصاري عليه السلام : (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: نَزَلَ جِبْرِيلُ فَأَمَّنِي فَصَلَّيْتُ مَعَهُ) أي إن جبريل عليه السلام أخبر رسول الله ﷺ بوقت الصلاة عملياً فقد جاء إليه فأمه في أول الوقت ، فصلى رسول الله ﷺ بصلاته جزءاً جزءاً ، ولا مانع أن يكون المسلمون قد صلوا بصلاة رسول الله ﷺ التي يؤديها خلف جبريل عليه السلام ، (فَصَلَّيْتُ

(١) أخرجه البخاري في: ٩ كتاب مواقيت الصلاة: ١ باب مواقيت الصلاة وفضلها .

(٢) أخرجه البخاري في: ٩ كتاب مواقيت الصلاة: ١ باب مواقيت الصلاة وفضلها .

مَعَهُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ)
أي : أن جبريل عليه السلام في اليوم الأول أم رسول الله ﷺ خمس مرات في
أول وقت كل صلاة ؛ ليعلم رسول الله ﷺ والمسلمون أول وقت الصلاة .
يقول أبو مسعود رضي الله عنه : (يَحْسُبُ بِأَصَابِعِهِ خَمْسَ صَلَوَاتٍ) أي يؤكد
رسول الله ﷺ أن جبريل عليه السلام أمه في الصلوات خمس مرات في أول
الوقت ، وعدّها بأصابعه ، حتى لا يفهم القارئ أن تكرار رسول الله ﷺ
تأكيد لقول واحد .

وفى الحديث الثاني يروى ابن شهاب رضي الله عنه حديثاً رآه متصلاً لتحديد
وقت الصلاة ، فلقد رأى أن (عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه أَخَّرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا) ،
وفى بعض الروايات أن الصلاة هي صلاة العصر ، وفى رواية أنه ﷺ
(آخر الصلاة شيئاً) ^(١) أي قدراً يسيراً من الوقت ، وهذا يشير إلى أنه
أخرها عن الوقت المستحب للصلاة ، وهو أول الوقت وصلّاها في وقت
الأداء ، قبل وقت الكراهة ، وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه آنئذ والياً على
المدينة من قبل الوليد بن عبد الملك .

(فَدَخَلَ عَلَيْهِ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه) ليبين له خطأ تأخير الصلاة عن
وقتها المستحب ، بطريقة الإشارة والاستدلال بما ثبت عن الصحابة ، وبما
نقلوه عن رسول الله ﷺ ، (فَأَخْبَرَهُ) أي أخبر عروة ، عمر بن عبد العزيز
م وقال له : (إِنَّ الْمَغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ رضي الله عنه) والي الكوفة لمعاوية رضي الله عنه (أَخَّرَ
الصَّلَاةَ يَوْمًا وَهُوَ بِالْعِرَاقِ) أي إنه فعل ما فعلت ، فأخر الصلاة عن

(١) السنن الكبرى للنسائي ، مواقيت الصلوات ، حديث رقم : ١٤٦٥ .

وقتها المستحب ، وكان واليا على الكوفة ، أحد ولايات العراق (فَدْخَلَ عَلَيْهِ أَبُو مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيُّ) منكرا عليه هذا التأخير ... وقال له : (مَا هَذَا يَا مُعِيرَةُ) ؟ فناداه باسمه المجرد ، وأشار إلى كراهية فعله ؛ لمعارضته فعل رسول الله ﷺ قائلا له : (أَلَيْسَ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ جِبْرِيلَ ﷺ نَزَلَ) في أول الوقت (فَصَلَّى فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ صَلَّى فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ صَلَّى فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ صَلَّى فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ صَلَّى فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ ﷺ : بِهَذَا أُمِرْتُ) أي : إن رسول الله ﷺ صلى به جبريل ﷺ في أول الوقت في الصلوات الخمس في اليوم الأول وأمره بالمحافظة على أول الوقت ، والأفضل لكل مسلم متابعة رسول الله ﷺ ، والتمسك بسنته .

وكان السلف الصالح حراسا على تطبيق سنة رسول الله ﷺ ؛ ولذلك اشتد عروة في إنكاره على عمر بن عبد العزيز **م** مستدلا بإنكار أبي مسعود الأنصاري على المغيرة بن شعبة **م** ، ولم يمنعهما من الإنكار أنه موجه إلى الولاة - رضي الله عنهم أجمعين .

(فَقَالَ عُمَرُ لِعُرْوَةَ) مبينا التزامه بسنة رسول الله ﷺ ، وبقبوله النصيحة ،

(اَعْلَمْ مَا تَحْدُثُ بِهِ) أي تأكد وثبتت مما تخبرني به عن رسول الله ﷺ ،

فإنني متبع لما ثبت عن رسول الله ﷺ .

وَفِيهِ يَسْأَلُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عُرْوَةَ عَنْ تَأْكُدهِ مِنْ أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ،

حدد لرسول الله ﷺ وقت الصلاة ، و الهمزة للاستفهام ، و الواو حرف عطف ، عطفت ما بعدها على محذوف قبلها ، وأقام بمعنى حدد .
والمعنى : أن جبريل عليه السلام حدد لرسول الله ﷺ أوقات الصلاة ، وأن جبريل عليه السلام هو الذي حدد لرسول الله ﷺ أول وقت الصلاة .

فقال عروة مجيبا عمر بن عبد العزيز **م :** (كَذَلِكَ كَانَ بَشِيرُ بْنُ أَبِي مَسْعُودٍ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ) أي ما أخبرتك به هو ما كان يحدث به بشير عن أبيه أبي مسعود رضي الله عنه .

والحديث متصل بروايات أخرى ؛ لأن عروة لم يصرح بالسماع من بشير ، ولم يصرح بشير بالسماع من أبيه ، وفي رواية الليث اتصال ، وفيها يقول عروة رضي الله عنه سمعت بشير بن مسعود رضي الله عنه يقول : سمعت أبي يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : فذكر الحديث (١) .

وفي الحديث الثالث : تبين السيدة عائشة **ل** أن رسول الله ﷺ كان يبادر إلى الصلاة في أول وقتها ، وتؤكد (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ فِي حُجْرَتِهَا قَبْلَ أَنْ تَظْهَرَ) أي : كان يصلي العصر في أول الوقت ، بدليل أن ضوء الشمس كان يدخل الحجرة رغم ضيق الفناء ، وقصر جدار الحجرة ، وكان يصلي العصر قبل أن تظهر الشمس ، أي قبل أن تخرج من الحجرة ، ومعنى هذا أن الشمس كانت مرتفعة في الأفق .

(١) فتح الباري ج ٢ ص ٥ .

يقول الإمام النووي : والمعنى على هذا يفيد التكبير بصلاة العصر ، وأدائها في أول الوقت ، وهو حين يصير ظل كل شيء مثله سوى ظل الزوال ؛ لأن الفناء الموجود أمام الحجرة كان ضيقا ، وكان جدار الحجرة قصيرا ، بحيث يكون طول ظل جدارها أقل من طول ضلعها ، فإذا صار ظل الجدار مثله ، دخل وقت العصر ، وتكون الشمس في أول الحجرة ؛ لأن ظل جدارها أقل من مساحة الفناء .

فإن قيل : الأحاديث الثلاثة تحدد أول الوقت ، فمن أين تحديد آخر الوقت ؟ وما الحاجة إليه ؟

أقول : " نزل جبريل عليه السلام في اليوم التالي فصلى برسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس في آخر وقتها وقال عليه السلام : (الوقت ما بين هذين الوقتين) ^(١) ، فعلم المسلمون وقت الأداء ، كما علموا وقت الاستحباب ، وعلموا أن ما بعد ذلك هو وقت قضاء الصلاة .

وحكمة تحديد أول الوقت وآخره ؛ تيسير الأمر على أصحاب الأعذار الذين يعجزون عن أداء الصلاة في أول وقتها

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أن لكل صلاة من الصلوات الخمس وقت محدد ، له بداية ، وله نهاية ، وأن من السنة أداء الصلاة في أول وقتها .
ولذلك اقتصر أحاديث الباب على بيان أول الوقت ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحافظ على الصلاة في أول وقت كل صلاة .

(١) مصنف ابن أبي شيبة ، كتاب الصلاة - باب في جميع مواقيت الصلاة ، حديث: ٣١٨٥

وبالنظر في مجمل الأحاديث يتحدد وقت الصلوات الخمس بدءا وانتهاء ، لأن وقت كل صلاة يبدأ بعد انتهاء الصلاة السابقة ، ماعدا صلاة الصبح ... وتحديد الأوقات كما يلي ^(١):

أولاً : وقت صلاة الصبح :

يبدأ وقت الصبح بطلوع الفجر الصادق ، حيث البياض المستطير ، المنتشر في الأفق ، أما البياض المسترق الصاعد من غير اعتراض ، فهو الفجر الكاذب ، ولا يعتد به ، وعلى هذا إجماع الفقهاء .
أما نهاية وقت الصبح : فهو عند طلوع جزء من الشمس عند الجمهور .
وقال غيرهم : نهاية وقت الصبح بطلوع الشمس كلها .

ثانياً : وقت صلاة الظهر :

أجمع أهل الفقه والحديث على أن وقت الظهر عند زوال الشمس **ومعنى زوال الشمس :** ميلها عن كبد السماء ، ويُعرف ذلك ببدء طول ظل الشيء ، بعد تناهي قصره ، وتوضيح ذلك أن ظل الشيء إن أخذ في النقصان فهو قبل الزوال ، وإن بدأ في الزيادة فهو بعد الزوال ، والحد الفاصل بينهما هو الزوال ، وهو أول وقت الظهر .
وآخر وقت الظهر أن يصير ظل كل شيء مثله ، سوى ظل الزوال ، وقال أبو حنيفة أن يصير ظل كل شيء مثليه .

ثالثاً : وقت العصر :

يبدأ وقت العصر عند انتهاء وقت الظهر ، وهو عند بلوغ ظل كل شيء مثله سوى ظل الزوال ، خلافاً لأبي حنيفة الذي يرى أن بدء وقت صلاة

(١) انظر أبواب مواقيت الصلاة في فتح الباري ، وشرح النووي .

العصر حين يصير ظل كل شيء مثليه .
وآخر وقت العصر اصفرار الشمس ، أو احمرارها ، وهو وقت الاختيار ،
ووقت الضرورة يجعل آخر وقت العصر غروب الشمس واختفاءها .

رابعاً : وقت صلاة المغرب :

أول وقت المغرب غروب الشمس ، واختفاء قرصها كله ، ونهاية وقت
المغرب غياب الشفق الأحمر عند الإمام أحمد ومالك والشافعي ،
وأصحاب أبي حنيفة - رضوان الله عليهم ، وعند غيرهم نهاية وقت
المغرب غياب الشفق الأبيض .

خامساً : وقت صلاة العشاء :

يبدأ وقت صلاة العشاء من غياب الشفق الأحمر والأبيض .
ونهاية الوقت نصف الليل وهو وقت الاختيار ، ويمتد إلى وقت الفجر
للضرورة ، وبهذا يتحدد وقت كل صلاة .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب بداية وقت كل صلاة ونهايته ، وتوضح أن
من السنة أداء الصلاة في أول وقتها ، وتشير إلى أن لكل صلاة وقتين ،
وقت أفضلية ، ووقت اختيار .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تشتمل أحاديث الباب على عدد من الركائز أهمها : -

الركيزة الأولى

تقديم المنهج الأمثل للتربية والدعوة

قام رسول الله ﷺ بتبليغ الناس دين الله تعالى ، وحثهم على العمل

بما علموا ، وقد استفاد رسول الله ﷺ بكافة العوامل البشرية التي فطر الله

الناس عليها ، وأهمها كما تدل عليه أحاديث الباب هي : -

(١) التفصيل والبيان : فلقد بين رسول الله ﷺ البدء بالصلاة في

أول وقت الصلوات الخمس ففصل ذلك بقوله ﷺ (فَصَلَّيْتُ مَعَهُ)

وكررها خمس مرات ، ليعلم الجميع أن جبريل عليه السلام أم رسول الله

ﷺ خمس صلوات في يوم واحد .

(٢) استعمال الحواس لتوضيح الأقوال : فرسول الله ﷺ رفع

أصابع يده الخمس للإشارة إلى عدد الصلوات التي نزل فيها

جبريل عليه السلام ، وصلى برسول الله ﷺ ، إماما له .

(٣) التطبيق العملي : نزل جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ يومين

متتابعين ، خمس مرات كل يوم ، فصلى إماما برسول الله ﷺ في

اليوم الأول في أول الوقت ، وصلى في اليوم الثاني إماما في آخر

الوقت ، فعلم بذلك رسول الله ﷺ والمسلمون أول الوقت وآخره .

(٤) الاستفادة بالعوامل الطبيعية الثابتة : حيث استدلت السيدة

عائشة **ل** بأن رسول الله ﷺ كان يبادر للصلاة في أول وقتها

مستفيدا بظل جدار البيت ، الناشئ من ارتفاع ضوء الشمس ،

الدال على أن ذلك كان عند بلوغ ظل الجدار مثله .

وبهذا تشير أحاديث الباب إلى المنهج الأمثل في التعليم والدعوة ،

حتى تصل الحقيقة واضحة بينة لأصحابها ، وهو منهج ثبتت نجاحاته ،

وطبقه المسلمون في عصر سلفهم الكريم .

الركيزة الثانية اهتمام المسلمين بإقامة الصلاة

علم المسلمون أن الصلاة عماد الدين ، وهي خمس صلوات موزعة في اليوم واللييلة ، وأن من يحافظ على إقامتها في أوقاتها بأركانها ، وشروطها ، يحافظ على ما عداها من الفرائض وسائر الطاعات .

وكان المسلم ينصح غيره من بنيته ، وأهله ، وغيرهم بالمحافظة على الصلاة ، وكان ينهى عن تأخيرها عن وقتها ، ولم يمنع الناصح علو سلطان من ينهاء ؛ لأنه كان ينصح الله تعالى .

وكان المسلم يسعد بنصح أخيه ، ويسارع إلى طاعة أخيه في نصحه ، لإيمانه أنه دعاه إلى الله تعالى ، وما حدث مع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حين أقر الصلاة يوما ، فقد نهاه عروة رضي الله عنه عن هذا فتقبل النصح راضيا ، وعمل بما ثبت عن رسول الله ﷺ .

الركيزة الثالثة مساندة الحق وإظهاره

تتشعب الطرق في الحياة ، وتتعدد السبل ، وخيرها هو الطريق المستقيم ؛ لأنه يوصل للصواب دائما .

وأعظم الصواب عبادة الله تعالى على الوجه الذي شرعت به ، فيها يصلح حال العباد والبلاد ، وينتشر الحق والصواب .

ولقد فطن المسلمون الأول إلى هذه الحقيقة ، وأيقنوا أن سعادة الدنيا والآخرة تكمن في الاستقامة على ما تركه رسول الله ﷺ فيهم .

كان السلف الصالح الأمناء على ما تعلموه من رسول الله ﷺ ، وكان كل منهم يعد نفسه حارسا ، ومسئولا عن دين الله تعالى ، ولذلك انتشر

بينهم النصح ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، واستمروا في الدعوة إلى الله تعالى في حزم وقوة

وأحاديث الباب تبين قوة العزيمة التي حافظ بها السلف الصالح على الدين ، فلقد أصر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، صلاة العصر عن أول وقتها ، فأنكر عليه عروة بن الزبير رضي الله عنه ، وبين له إنكار أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه على المغيرة رضي الله عنه حين أصر الصلاة ، فعاد عمر إلى عروة وبين له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أباح ذلك ، كما روي عنه صلى الله عليه وسلم ، فعرفه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبيان جواز ذلك للناس ، ولم يكن التأخير من ديدنه صلى الله عليه وسلم .

والمستفاد من ذلك : ضرورة الحرص على أداء الصلاة في أول الوقت ، وإن جاز تأخيرها ، وأداؤها في وقت الأداء لعذر ... وظهر مساندة السلف للحق ، وتعاونهم في النصح به والمحافظة عليه .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد أحاديث الباب

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية :-

- ١- من السنة تأدية الصلاة في أول وقتها .
- ٢- سمة المجتمع المسلم التعاون ، والتناصح على البر والتقوى .
- ٣- المسلمون أمام الحق سواء ، لا فرق بين قوي وضعيف .
- ٤- الدعوة العملية أقوى رسوخا ، وأسرع تأثيرا من الدعوة النظرية .
- ٥- المسؤولية الدينية واجبة على كل مسلم ومسلمة .
- ٦- التوضيح بالأدلة الحسية أسهل في البيان والتوضيح المجريدين .
- ٧- يحسن للعلماء أن ينصحوا الأمراء إن رأوا تقصيرا أو خطأ .

- ٢٩ -

**٣٢- باب استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر
لمن يمضي إلى جماعة ، ويناله الحر في طريقه**

حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا اشتدَّ الحرُّ [٣٥٧]، (١)

فأبردوا بالصَّلَاةَ ، فإنَّ شِدَّةَ الحرِّ من فيح جهنَّمَ ^(١). ٥٣٣

حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه ، قال : أذن مؤذِّنُ النبي صلى الله عليه وسلم الظُّهر. [٣٥٨]، (٢)

فَقَالَ صلى الله عليه وسلم : أبرد أبرد أو قال : انتظر انتظر. ٥٣٥

وَقَالَ صلى الله عليه وسلم : شِدَّةُ الحرِّ من فيح جهنَّمَ ، فإذا اشتدَّ الحرُّ فأبردوا
عن الصَّلَاةِ حَتَّى رَأَيْنَا فِيءَ التُّلُولِ ^(٢) .

حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال صلى الله عليه وسلم : اشتكت النَّارُ [٣٥٩]، (٣)

إِلَى رَبِّهَا ، فَقَالَتْ : يَا رَبِّ أَكَلْ بَعْضِي بَعْضًا ؛ فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ ،
نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ ، فَهُوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ
الْحَرِّ ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهِيرِ ^(٣) . ٥٣٧

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب جواز تأخير صلاة الظهر إلى أن يزول وهج الحر ،

(١) أخرجه البخاري في: ٩ كتاب مواقيت الصلاة: ٩ باب الإبراد بالظهر في شدة الحر .
وللحديث رواية أخرى في البخاري تحت رقم : ٥٣٦ .

(٢) أخرجه البخاري في: ٩ كتاب مواقيت الصلاة: ٩ باب الإبراد بالظهر في شدة الحر .
وللحديث روايات أخرى في البخاري تحت أرقام : ٥٢٩ ، ٥٣٩ ، ٣٢٥٨ .

(٣) أخرجه البخاري في: ٩ كتاب مواقيت الصلاة: ٩ باب الإبراد بالظهر في شدة الحر ،
وللحديث رواية أخرى في البخاري تحت رقم ٣٢٦٠ .

ويبرد الجو ، وتوضح أن شدة الحر من فيح جهنم .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على ثلاثة أحاديث ، توضح أن شدة الحر من وهج جهنم ، وتبين سنة تأخير صلاة الظهر عن أول وقتها المفضل عند اشتداد الحر

ففي الحديث الأول : يروي أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

(إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ) أي : إذا جاء وقت الظهر وكان وهج الشمس شديدا ، والجو حارا ، فأخروا الأذان ، والصلاة إلى أن يبرد الجو ، ومعنى (أَبْرِدُوا) أي تأخروا إلى أن يبرد الجو

ومفهوم هذا الأمر : أن الحر إذا لم يشتد لم يشرع الإبراد ، ولم يشرع انتظار الإبراد أصلا مع البرد ، لأنه موجود بلا انتظار .

ومعنى (أبرد) أي : دخل في البرد ، كما يقال (أظهر) إذا دخل في الظهيرة وفي المكان يقال (أمصر) إذا دخل مصر ، و(أنجد) إذا دخل نجدا ، و(أتهم) إذا دخل تهامة .

والأمر بالإبراد في الحديث يفيد الاستحباب عند جمهور الفقهاء والمحدثين ، وقيل هو أمر إرشاد إلى الفضل لا أمر تكليف .

وقال أكثر المالكية هذا الاستحباب خاص بصلاة الجماعة ، وخصه الشافعي بالجماعة في البلاد الحارة ^(١).

(فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فِيحِ جَهَنَّمَ) ، هذا تعليل لمشروعية تأخير صلاة الظهر عند اشتداد الحر ؛ لأن شدة الحر تؤدي إلى التعب والمشقة ، وهذا

(١) فتح الباري ج ٢ ص ١٦ .

يسلب الخشوع من المصلي ؛ ولأن وقت شدة الحر وقت انتشار العذاب ، لقوله ﷺ : (... ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح ، ثم أقصر عن الصلاة ، فإن حينئذ تسجر جهنم) ^(١) .

ومن المعلوم أن وقت الغضب لا يصح فيه الطلب ، إلا بإذن المطلوب وبذلك يكون الإبراد لتجنب المشقة، وترك الصلاة لتجنب وقت الغضب ومعنى (شِدَّةُ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ) أن الحر الشديد وانتشاره من أنفاس جهنم ولهيبها، وظاهر الكلام يحمل على حقيقته، وحمله على المجاز بعيد

وفي الحديث الثاني : يروي أبو ذر رضي الله عنه أن بلالا رضي الله عنه مؤذن النبي ﷺ أذن لصلاة الظهر ، أي شرع في الأذان ، فقال له ﷺ : (أَبْرِدْ أَوْ قَالَ: اُنْتَظِرْ اُنْتَظِرْ) شك من الراوي ، والمعنى واحد ؛ لأن الأمر بالإبراد يعني انتظار وقوع البرد .

وقال ﷺ : (شِدَّةُ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ) أي : شدة وهج الحر من انتشار نفس جهنم على الأرض .

(فَإِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا عَنِ الصَّلَاةِ) على نحو ما سبق ذكره في الحديث الأول ، والمراد بالصلاة : صلاة الظهر ، فإن اشتداد الحر يكون عند الظهر ، فـ(ال) في الصلاة للعهد الذهني .
(حَتَّى رَأَيْنَا فِيءَ التُّلُولِ)، أي أخرنا صلاة الظهر عن وقتها حتى رأينا ظل التلول .

والتلول : جمع تل ، وهو المرتفع عن الأرض قليلا ؛ لأن ظهور ظل

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة حديث ١٤١٧

التل يكون بعد ذهاب أكثر وقت الظهر ، ونزول الشمس عن الزوال .

وفي الحديث الثالث : يروي أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ: يَا رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا) ذهب القرطبي ، والنووي ، والقاضي عياض إلى أن شكوى النار حقيقية بلسان المقال ، ودليلهم : أن الصادق إذا أخبر بأمر جائز ، لم يحتج إلى تأويله ؛ حيث لا ضرورة للتأويل ، وقدرة الله شاملة لكل ما يريد وَكَيْفَ وإن كان خارقا للعادة .

ومما يؤكد أن شكوى النار حقيقية النظر في تفسير سبب الشكوى ، والإذن والاستجابة لها بنفسين ، فكل هذه المعاني يبعد الشكوى عن المجاز وقد ذهب البعض إلى أن شكوى النار أمر مجازي ، فشكواها غليانها ، وأكل بعضها بعضا ازدحام أجزائها ، وتنفسها خروج اللهب الصاعد منها ... ولذلك فهي شكوى بلسان الحال ^(١) .

(فَهُوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهِيرِ) أي أن هذين النفسين يظهران في الحر والبرد ، ففي الحر تجد نفس النار في شدته ، وفي البرد تجدون نفس النار في الزمهير ، وهو شدة البرد .

فإن قيل : كيف يخرج الزمهير من النار ؟

أقول : المراد من النار محل وجودها ، وفي محلها طبقة زمهيرية ،

ليست جزءا من النار .

وإن قيل : لم لم يكن الإبراد بالظهر عند نفس الحر ؟

أقول : عند وجود النفس يشد الحر ، ويستمر بعده مدة قبل أن يتحقق

الإبراد ، ولذلك فالإبراد بعيد عن النفس .

(١) شرح النووي ج ٢ ص ٢٦٥ ، طبعة الشعب .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

رحمة الله تعالى واسعة ، ورأفته وعفوه فضل على الناس ، ومن رحمته ﷺ أن أباح للمسلمين تأخير صلاة الظهر عند اشتداد الحر ، حتى يبرد الجو ، ويذهب وهج ضوء الشمس .

وقد بينت أحاديث الباب أن شدة حر الظهيرة من فيح جهنم ، وهذا يدل على أن نار جهنم أشد وأقسى ، وما الحر عند اشتداده إلا نفخة من نفس جهنم ، وهذه الحقيقة تؤكد عدة أمور :

الأمر الأول : بيان شدة وقسوة نار جهنم ، وبيان أن بعضها يأكل بعضها ، وأن حرارة الدنيا نفس يسير من وهجها وآثارها ، وهذا يعد تحذيراً من أي معصية ، تقرب صاحبها من عذاب النار ، وتدعو الناس إلى تذكر المصير المؤلم الذي يلحق كل من يخالف دين الله تعالى .

الأمر الثاني : ضرورة ربط أعمال الدنيا بآثارها في الآخرة ، فعلى المسلم أن يتذكر عذاب جهنم ، حين يعيش حرارة نفسها في الدنيا ، ويعلم أن ﴿ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴾ ^(١) .

الأمر الثالث : زيادة اليقين بأن دين الله تعالى رافة ورحمة ، فكل ما شرعه الله قائم على التخفيف ورفع الحرج ، ودفع المشقة ، ومن قواعد الدين أنه : (ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ، ما لم يكن إثماً) ^(٢) .

^(١) سورة التوبة من الآية : ٨١ .

^(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب قول النبي ﷺ يسروا ولا .

الأمر الرابع : العلم بجوانب الدين فريضة واجبة ، فبالعلم تعرف جوانب العقيدة ، وأركان الشريعة ، وأصول مكارم الأخلاق ، ولا يمكن لعاقل أن يعرف دينه ، ولا يقوم به ، ويعيش في فراغ يدعي فيه أنه مسلم ، وهو لا يدري عنه شيئاً ...

ومن المؤلم أن أغلب مثقفي الأمة اليوم يعيشون هذا الجهل الفاضح ، وفي نفس الوقت يتعالون عن الحق ، ويزعمون المعرفة ، ويحاربون من يخالفهم ؛ " لأن الجاهلين لأهل العلم أعداء " .

الأمر الخامس : لن يفقد الإسلام الأنصار المخلصين أبداً ، وسيحمله من كل خلف عدوله ، وسيبقى في الأرض من يعيش لدينه ، ويجاهد في سبيله ، ولن تصرفه عن إخلاصه وصدقه غاية دنيوية ، أو شهوة زائلة .
هذا :

وقد أخذ الفقهاء من أحاديث الباب ، الأحكام التي ذكرت أهمها في الدلالات اللغوية لأحاديث الباب ، وأضيف إليها : أن من يصلي في بيته أو في فناء بيته لا يؤخر صلاة الظهر عن أول وقتها عند اشتداد الحر ؛ لأنه لا يتأثر به ، وكذا إن ظلل الطريق ، لأن المظلة تقي الماشي من وهج الشمس .

وجمهور الفقهاء لا يرى الإبراد في صلاة الجمعة ؛ لأنه ﷺ كان يعجلها ، ولم يثبت عنه ﷺ أنه أخرها في الحر الشديد ، خلافاً لبعض الشافعية وفي رأيي : أن الصلاة في المساجد المكيفة ، و الذهاب إلى المساجد بوسائل مريحة مكيفة ، لا يحتاج لتأخير الصلاة اتقاء لحر الشمس ؛ حيث لا أثر له في الحياة العصرية الحديثة .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب مشروعية جواز تأخير صلاة الظهر عن أول وقتها ، عند اشتداد الحر ، فإن وهج الحر من نفس جهنم ، وتوضح فعل رسول الله ﷺ في تأخير صلاة الظهر عند اشتداد حرارة الشمس .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز ... أهمها : -

الركيزة الأولى

الإسلام دين اليسر ورفع المشقة

راعى الإسلام طبيعة الناس ، وظروف حياتهم ومعاشهم ، ولذلك شرع لهم ، وخفف عنهم ، فحدد لكل صلاة وقتا ، وجعل لكل وقت بداية و نهاية ، وشرع القضاء لمن فاتته الأداء ، وأجاز تأخير الصلاة عند اشتداد الحر حتى يبرد الجو .

وهكذا يرفع الله المشقة والحرَج عن الناس ، في تكاليفه الشرعية .

يقول ﷺ : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ ^(١)

الركيزة الثانية

العبادة الإسلامية منهج حياة المسلم

الإسلام دين يوجه المسلم في حياته كلها ، ويؤهلُه للنجاة في الآخرة ، وتعد العبادات الإسلامية رائدة في تحقيق هذا الشمول .
وأحاديث الباب منهج واضح في هذا الباب ، ...

(١) سورة البقرة من الآية : ١٨٥ .

فمنها يأخذ المسلم ضرورة مراعاة إمكاناته، والظروف المحيطة به .
ومنها يعلم أنه يعيش في محيط متحرك من الزمان والأحوال ،
وعليه أن يتعامل معها برفق وهدوء ، كما شرع الله تعالى له .
ومنها يرى المسلم الآخرة وما فيها ، وهو يعيش الدنيا وما يقوم به .
ومنها التمسك بما شرع الله تعالى ، وطاعته في السعي في الأرض ،
والمحافظة على كل ما أمر به ، وتجنب ما نهى عنه .
إن العبادة في مجموعها تصنع إنسانا مستقيما ، يعلم الإسلام ،
ويطبقه ، ويحوله إلى سلوك وعمل ، ويجعل منهجه العلم و العمل والخلق
والسلوك ، والله يحب عباده الصالحين .

الركيزة الثالثة **الدعوة إلى الإسلام بالعلم والعمل**

بلغ رسول الله ﷺ دين الله للناس بالعلم النظري ، والتطبيق العملي ،
وهذا مستفاد من أحاديث الباب ، فلقد دعا رسول الله ﷺ إلى الإبراد
بالظهر ، وفي نفس الوقت أبرد بالظهر ، كما قالت السيدة عائشة **ل**
وبذلك وضع رسول الله ﷺ المنهج الأمثل للدعوة إلى الله تعالى ، وكان
ﷺ يقول : (خذوا عني مناسككم) ^(١) .

ويقول ﷺ : (صلوا كما رأيتموني أصلي) ^(٢) .

وكان لهذا التطابق بين الدعوة النظرية ، والتطبيق العملي أثره الكبير في

(١) السنن الكبرى للبيهقي ، جماع أبواب وقت الحج ، باب الإيضاع في وادي محسر ،
حديث رقم : ٨٩٤٧ .

(٢) صحيح ابن حبان ، كتاب الصلاة ، باب الأذان ، حديث رقم : ١٦٧٩

تبليغ الدعوة ، ونشر الإسلام بين الناس ؛ لأن هذا التطابق أكد للناس صدق رسول الله ﷺ ، وإخلاصه في دعوة الناس إلى ما يحبه لنفسه ولهم ، ويرضاه الله تعالى منهم .

إن المخالفة بين العلم والعمل نفاق يضر ولا يفيد ، وقد نهى الله تعالى عنه في قوله ﷺ : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (١)

وأكثر ما يضر الدعوة في العصر الحديث ، هو الانقسام بين النظرية والتطبيق ، وبين العقيدة والسلوك ، وهو ما نرجو أن يبرا منه الدعاة والمخلصون وسائر المسلمين .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد أحاديث الباب

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية :-

- (١) شرع الله تعالى رحمة بالعباد ، وتكليف في حدود الوسع والطاقة .
- (٢) العبادة في الإسلام شاملة لكل ما يحقق الخير للناس .
- (٣) رسول الله ﷺ هو القدوة والأسوة للمسلمين في كل زمان ومكان .
- (٤) تقريب المعنى بالتشبيه والتمثيل أمر جائز ومشروع في الدعوة إلى الله تعالى .

(١) سورة الصف الآيتان : ٣،٢ .

- ٣٠ -

٣٢ - باب استحباب تقديم الظهر في أول الوقت في غير شدة الحر

[٣٦٠]، (١) حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كُنَّا نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي

شِدَّةِ الْحَرِّ ، فَإِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدُنَا أَنْ يُكَمِّنَ وَجْهَهُ مِنَ الْأَرْضِ ١٢٠٨

بَسَطَ ثَوْبَهُ فَسَجَدَ عَلَيْهِ (١) .

- أ -

موضوع حديث الباب

يدل حديث الباب إلى جواز تقديم صلاة الظهر في أول الوقت مع اشتداد الحر ، واتخاذ حاجز من الثوب بين الوجه والأرض أثناء السجود .

- ب -

الدلالات اللغوية في حديث الباب

يقول أنس رضي الله عنه : (كُنَّا نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ) اتفق

المحدثون على أن هذا القول من الصحابي له حكم الحديث المرفوع ؛ ولذا رواه البخاري ومسلم ، وسائر المحدثين في مصنفاتهم ... ويمكن القول مع هذا أن رسول الله ﷺ أقر الصحابة على فعلهم بسكوته ، فقد رآهم من وراء ظهره ، ولم ينكر عليهم ، فهو حديث مرفوع بالإقرار .

وقول أنس رضي الله عنه يفيد أن النبي ﷺ كان يصلي الظهر في أول وقته

مع اشتداد الحر ، على اعتبار أن الإبراد رخصة يجوز عدم الالتزام بها

(١) أخرجه البخاري في ٢١ كتاب العمل في الصلاة : ٩ باب بسط الثوب في الصلاة للسجود ،

وللحديث روايات أخرى في البخاري تحت رقم : ٣٨٥ ، ٥٤٢ .

... وعلى القول بأن الإبراد سنة يكون المراد بشدة الحر القدر الباقي منها مع الإبراد ، فيحتاج إلى الثوب يسجد عليه .

أو أن الحصى الذي يسجد عليه المصلي يبقى ساخنا مع الإبراد ، ولا يمكن المصلي من السجود عليه ، ولذا قال ﷺ : (فَإِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدُنَا أَنْ يُمَكِّنَ وَجْهَهُ مِنَ الْأَرْضِ بَسَطَ ثَوْبَهُ فَسَجَدَ عَلَيْهِ) ، وهذا يفيد حدوث الإبراد وبقاء سخونة الأرض ... ولذا كان بسط الثوب فوق الأرض حتى تغيب حرارتها ، ويتمكن المصلي من السجود ، وحينئذ يمشي المصلي إلى المسجد ويصلي في ظل الإبراد ، ويتقي حرارة الأرض بالثوب الذي يلبسه ، المتحرك بحركته ، أو المنفصل عنه الذي لا يتحرك بحركته ، فقد وردت رواية أخرى للحديث بلفظ (طرف الثوب) ^(١) مطلقا لتدل على جواز استعمال طرف الثوب المنفصل عنه أو المتصل به .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يدل حديث الباب على جواز تقديم صلاة الظهر ، وأدائها في أول الوقت مع شدة الحر ، واستعمال الثوب وغيره ليحول بين المصلي وبين الأرض لاتقاء حرها ، واتقاء بردها كذلك ، وذلك لأن مباشرة الوجه للأرض حال السجود هو الأصل ، ولذلك علق الحديث بسط الثوب على الأرض ، عند عدم استطاعة مباشرة الوجه للأرض .

وقد ذهب الجمهور والأحناف إلى جواز السجود على الثوب المتصل بالمصلي دون المنفصل عنه .

وذهب الشافعي إلى أن يكون الثوب منفصلا عن المصلي ، مستدلا بما

(١) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب السجود على الثوب .

رواه الاسماعيلي بقوله : (كنا نصلي مع رسول الله ﷺ في شدة الحر ،
فيأخذ أحدنا الحصى في يده ، فإذا برد وضعه ، وسجد عليه)^(١) ؛ لأن
الحصى المبرد منفصل عن المصلي ، ولو جاز للمصلي السجود على
شيء متصل به لما احتاج إلى تبريد الحصى ... إلا أن احتمال تبريد
الحصى يكون لمن لم يجد في ثوبه فضلة يسجد عليها^(٢) .

ورحمة الله واسعة ، واختلاف العلماء تطبيق عملي لرحمة الله تعالى

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب جواز تقديم صلاة الظهر مع شدة الحر ، واتقاء سخونة
الأرض ببسط ثوب أو حجر .

ويدل الحديث على أن المساجد لم تكن مسقوفة، وكانت الشمس تسخن
أرض المسجد ولذلك احتاج المسلمون إلى شيء يحميهم من حرارة الأرض
وفي هذا تشريع لمن يصلي في البادية والخلاء ، وفي أي مكان تسخن
الشمس أرضه ، وتمنع المصلي من مباشرة وجهه للأرض أثناء السجود .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في حديث الباب

يدل حديث الباب على ركيزة هامة وهي : -

دعائم العبادة الخشوع والطاعة

العقل السليم يؤكد ضرورة معرفة الخالق والمخلوق، والنظر لكل موجود.
فالخالق موجود بذاته ، متصل بكل كمال يليق به ، وقضائه نافذ في كل

(١) معرفة السنن والآثار للبيهقي ، كتاب الصلاة ، حديث رقم : ٨٩١.

(٢) فتح الباري ج ١ ص ٤٩٣ ، طبعة السلفية .

أمر وفق علمه وإرادته وهو الموجد لكل موجود ، ولا حول ولا قوة لغيره أبدا .

والمخلوق حادث محتاج لمن أوجده وخلقه ، وواجب عليه أن يحقق عبوديته لمن خلقه بالاستقامة على منهجه ، والخضوع لمراده وأمره .
إن المخلوق محدود الإدراك ، لا يعلم شيئا من الغيب ، وحاله يدعو إلى ضرورة اللجوء إلى العليم الخبير ، وأن يطيعه في كل ما أمر به ، أو نهى عنه

إن الخشوع لله تعالى أمر تستجيبه حاجة الإنسان لقدرة الخالق ، والطاعة حتمية لمالك الملك العليم الخبير .

إن الخشوع لله تعالى قوة تعود للخاصين ؛ لأنهم بخشوعهم ينضون تحت قدرة العزيز الحكيم ، وطاعتهم تؤدي إلى الصراط المستقيم .
إن المصلي يتمتع بفضل الله في خشوع وطاعة ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من الحديث الفوائد التالية :

- ١- في التكليف مشقة لا بد منها عند الطاعة والخضوع .
- ٢- ضرورة الخشوع في العبادة ، وفي كل حالات الصلاة .
- ٣- جواز العمل القليل في الصلاة .
- ٤- جواز المبادرة إلى صلاة الظهر في أول الوقت مع شدة الحر .
- ٥- لا مانع من استخدام الثوب الذي يلبسه المصلي للسجود عليه وقاية من حر الأرض .

- ٣١ -

٣٤ - باب استحباب التبكير بالعصر

حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي [٣٦١]، (١)

٥٥٠

الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ مُرْتَفَعَةٌ حَيَّةٌ ، فَيَذْهَبُ الذَّاهِبُ إِلَى الْعَوَالِي
فَيَأْتِيهِمْ وَالشَّمْسُ مُرْتَفَعَةٌ؛ وَبَعْضُ الْعَوَالِي مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى
أَرْبَعَةِ أَمْيَالٍ، أَوْ نَحْوِهِ (١)

حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، عَنْ أَبِي أَمَامَةَ رضي الله عنه ، قَالَ : صَلَّيْنَا [٣٦٢]، (٢)

٥٤٩

مَعَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه الظُّهْرَ ، ثُمَّ خَرَجْنَا حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى
أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ، فَوَجَدْنَاهُ يُصَلِّي الْعَصْرَ .

فَقُلْتُ : يَا عَمَّ مَا هَذِهِ الصَّلَاةُ الَّتِي صَلَّيْتَ .

قَالَ رضي الله عنه : الْعَصْرُ ، وَهَذِهِ صَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي كُنَّا نُصَلِّي

مَعَهُ (٢)

حديث رافع بن خديج رضي الله عنه ، قَالَ : كُنَّا نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ [٣٦٣]، (٣)

٢٤٨٥

الْعَصْرَ ، فَتَنَحَّرُ جُزُورًا فَتُقَسَّمُ عَشْرَ قِسْمٍ ، فَنَأْكُلُ لَحْمًا نَضِيجًا
قَبْلَ أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ (٣) .

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب استحباب التبكير في أداء صلاة العصر في أول وقتها

، وتأكد ذلك بفعل رسول الله ﷺ

(١) أخرجه البخاري في: ٩ كتاب مواقيت الصلاة: ١٣ باب وقت العصر .

(٢) أخرجه البخاري في: ٩ كتاب مواقيت الصلاة: ١٣ باب وقت العصر .

(٣) أخرجه البخاري في: ٤٧ كتاب الشركة: ١ باب الشركة في الطعام .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على ثلاثة أحاديث ، تبين استحباب أداء صلاة العصر في أول وقتها .

ففي الحديث الأول : يقول أنس بن مالك رضي الله عنه : (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ مُرْتَفَعَةً حَيَّةً) ، ظاهر الحديث أنه موقوف لفظاً ، إلا أنه مرفوع حكماً ؛ لأن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أورده في مقام الاحتجاج على حكم شرعي ، فيحمل على كونه في زمن النبي ﷺ ، ومن فعله ﷺ .

ومعنى أن الشمس مرتفعة : أنها كانت عالية في السماء ، وأن ظل كل شيء لم يجاوز مثله إلا قليلاً ومعنى أنها حية : أنها كانت بيضاء لامعة ، لم تصفر أو تحمر ... ومجمل هذه الأوصاف أن رسول الله ﷺ كان يبادر إلى صلاة العصر في أول وقتها .

يقول أنس رضي الله عنه : (فَيَذْهَبُ الذَّاهِبُ إِلَى الْعَوَالِي فَيَأْتِيهِمْ وَالشَّمْسُ مُرْتَفَعَةً) ، والعوالي يشمل مجموعة من القرى التي تقع شرق المدينة جهة نجد ، والمسافة بين أقرب هذه القرى إلى المدينة ميلان ، وأبعد ما يبعد عن المدينة ستة أميال ، أي أن هذه القرى تمتد أربعة أميال .

وعلى ذلك فالقول بأن المسافة ثلاثة أميال ، أو أربعة أميال ، أو خمسة أميال ، أو ستة أميال قول صادق ، لأنه يعني أحد هذه القرى ، ولذلك جاء في الحديث : (وَبَعْضُ الْعَوَالِي مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَمْيَالٍ ، أَوْ نَحْوِهِ) .

ومعنى الإتيان إلى العوالي والشمس مرتفعة ، أن رسول الله ﷺ ،

كان يبادر إلى صلاة العصر أول وقتها ، مما يسمح للذهاب إلى قرى العوالي أن يأتيتها والشمس مرتفعة بيضاء .

وفي الحديث الثاني : يقول أبو أمامة رضي الله عنه ، وهو اسعد بن سهل بن حنيف رضي الله عنه : (صَلَّيْنَا مَعَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه الظُّهْرَ ، ثُمَّ خَرَجْنَا حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ، فَوَجَدْنَاهُ يُصَلِّي الْعَصْرَ) ، ومعنى هذا أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان يؤخر صلاة الظهر عن أول وقتها ، إلى أن أنكر أنس بن مالك عليه هذا مستدلاً بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع عمر رضي الله عنه عن هذا التأخير كما سبق بيانه .

يقول أبو أمامة رضي الله عنه : (فَقُلْتُ : يَا عَمَّ) ناداه بيا عم تقديراً له ، وإقراراً بفضلِهِ ، مراعاةً لقدره وسنه ، وسأله عن الصلاة التي يصليها ، قائلاً : (مَا هَذِهِ الصَّلَاةُ الَّتِي صَلَّيْتَ) ؟ قال له : (الْعَصْرُ) .

وإنما سأله لأنه كان يتصور أنه أخر العصر ، كما أخر الظهر ، فلما علم أنها العصر تأكد استحباب صلاة العصر في أول وقتها . وقد أكد أنس رضي الله عنه أن الإسراع إلى صلاة العصر هو فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قدوة المسلمين ، ورائدهم في التمسك بتعاليم الله تعالى .

وفي الحديث الثالث : يقول رافع بن خديج رضي الله عنه : (كُنَّا نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الْعَصْرَ) أي : مبكرين في أول وقته ، بدليل أننا بعد الانتهاء من الصلاة ننصرف إلى أعمال الدنيا (فَتَنَحَّرُ جَزُورًا) أي نذبح جملاً ، (فَتَقْسَمُ عَشْرَ قِسْمٍ) ، أي نقسمها عشرة أقسام ، ونطبخ قسماً (فَنَأْكُلُ لَحْمًا نَضِيجًا) ، قد تم طبخه واستوى ، وهذا كله يحدث (قَبْلَ أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ)

وفي هذا حجة لمن قال أن أول وقت العصر إذا صار ظل كل شيء مثله واستحاب صلاة العصر في أول وقتها ؛ لأن طول المدة بعد دخول وقت العصر هو الذي مكن الصحابة من ذبح الجمل وسلخه ، وتوزيعه ، وطبخه ، والأكل منه قبل أن تغرب الشمس .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

سُئِلَ (النبي ﷺ أي الأعمال أفضل ؟ قال ﷺ : الصلاة لوقتها)^(١) ، فدل ذلك على استحباب أداء الصلاة في أول وقتها ، ولم يستثن رسول الله ﷺ من هذه السنة إلا صلاة الظهر عند اشتداد الحر .

وقد دلت أحاديث الباب على أهمية أداء صلاة العصر في أول وقتها وقد استدلل الشافعي ، ومالك ، واحمد ، وجمهور العلماء - رضوان الله عليهم - على أن وقت العصر يدخل إذا صار ظل كل شيء مثله ، سوى ظل الزوال ، محتجين بأحاديث الباب .

وذهب الأحناف إلى أن أول وقت العصر إذا صار ظل كل شيء مثليه ، سوى ظل الزوال^(٢) .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب .

تبين أحاديث الباب استحباب المبادرة إلى صلاة العصر في أول وقتها الذي يبدأ حين يصير ظل كل شيء مثله سوى ظل الزوال خلافا للأحناف .

(١) صحيح البخاري ، كتاب : التوحيد ، باب : وسمى النبي ﷺ الصلاة عملا ، حديث : ٧١١٨ .

(٢) فتح الباري ج ٢ ص ٢٨ ، طبعة السلفية .

- ه -

ركائز الدعوة و الإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب الركائز الآتية : -

الركيزة الأولى

البرهان العقلي أساس ثبوت الحق

في أحاديث الباب يروي الصحابة أن رسول الله ﷺ كان يبادر إلى صلاة العصر في أول وقت العصر ، ويؤكدون صدق ما رويوا بأدلة عقلية ، تثبت ما ذهبوا إليه في مروياتهم .

فها هم يذهبون بعد صلاتهم إلى العوالي ، على بعد أربعة أميال من المدينة ، ويصلون والشمس عالية مرتفعة بيضاء ، وهذا يدل على أنهم صلوا العصر في أول وقته .

ودليل آخر : وهو أنهم كانوا يقومون بعد أدائهم لصلاة العصر بذبح الجزور ، وتجهيزه ، وتقسيمه ، والطبخ منه ، والأكل منه بعد نضجه ، ويتم ذلك قبل غروب الشمس ، وهذا يدل على أنهم أدوا الصلاة في أول وقت العصر .

إن إيراد الدليل العقلي المثبت للحكم الشرعي المتصل بالخبر احترام للعقل في حد ذاته ، وتأکید على ثبوت الخبر الشرعي .

وهذا يفيد أمرا مهما يفيد الدعوة والدعاة ، وهو ضرورة تفهيم العقل وإقناعه بالحسنی ، كما يفيد أن الدليل يكون أقوى تأثيرا إذا عاش مع الواقع ، وتميز بالوضوح والسهولة ، وارتبط بما دل عليه ارتباطا وثيقا مباشرا .

إن الدعوة إلى الإسلام لا تتجح بالتقعر ، والصوت الفارغ ، والقوة الغاشمة

.... ولكنها تعيش مع الإنسان خطابا لعقله، وغاية تلازم واقعه ، وتحته على الفوز والنجاة .

إن الإسلام لم يهمل العقل أبداً، ولكنه وضعه في مكانه اللائق، فلم يسفهه ويهمله ، ولم يكلفه بما لا يطيق ، ولم يبعده عن إطاره الذي خلق له

الركيزة الثانية

دور الصحابة رضي الله عنهم في المحافظة على دين الله تعالى

نزل الوحي على رسول الله ﷺ بالإسلام ، وأمره الله تعالى بتبليغه ، فبلغ رسول الله ﷺ الرسالة ، وحافظ على الأمانة ، وكشف الغمة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق الجهاد ، ودرب أصحابه على حمل أمانة الإسلام من بعده ، فكانوا خير دعاة للإسلام بعد رسول الله ﷺ .

وأحاديث الباب تبين أنهم رضي الله عنهم بلغوا الإسلام كما تعلموه من رسول الله ﷺ ، بالنظر والتعليم ، والتربية والتطبيق ، وكانوا يؤكدون دعوتهم بما سمعوه ، أو رأوه من رسول الله ﷺ ، ولذلك كثر قولهم (كان رسول الله ﷺ يفعل كذا) أو (كنا نفعل كذا مع رسول الله ﷺ) .

ولذا عد المحدثون أخبار الصحابة عن فعلهم مع رسول الله ﷺ ، أو فعل رسول الله ﷺ معهم حديثاً مرفوعاً ، مع إن ظاهره أنه حديث موقوف على الصحابي رضي الله عنه ؛ لأن الصحابي رضي الله عنه أورد له لبيان أن ذلك الفعل أو هذا القول حدث في زمان رسول الله ﷺ أو فعله رسول الله ﷺ ، وكأنه رضي الله عنه رضي به ، وأقر أصحابه عليه - رضوان الله عليهم أجمعين ، لقد كان الصحابة رضي الله عنهم خير خلف لرسول الله ﷺ ، حملوا دين

الله تعالى مخلصين له ، وحملوه إلى العالم كله ، وبقيت آثارهم في شرق الدنيا وغربها ، شاهدة على إخلاصهم الجاد لدين الله تعالى .

لقد عَدَّ الصحابة أنفسهم حراساً على دين الله تعالى ، فنصحوا الناس ، ولم يرضوا بأي خطأ فيه ، ولم يسكتوا عن أي عدوان عليه .

وها هو الصحابي أسعد بن سهل بن حنيف رضي الله عنه ينكر على أنس بن مالك رضي الله عنه صلاة تخيلها في غير وقتها ، ويقول له : (يَا عَمَّ مَا هَذِهِ الصَّلَاةُ الَّتِي صَلَّيْتَ) ؟ فيرد عليه أنس رضي الله عنه ويقول له : (الْعَصْرُ ، وَهَذِهِ صَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي كُنَّا نُصَلِّي مَعَهُ) .

إن المسلم في كل عصر ومصر مسئول عن دينه ، يُتَقَنه ، ويُؤديه ، ويُعلمه غيره ، ويحميه من أي عدوان عليه ، وأي مسلم يقصر في أحد هذه الجوانب ، فهو مقصر في واجبه الديني ، ولن يفلت من حساب الله وَعَلَّكَ وَجَزَائِهِ .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الأحاديث

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية : -

- ١- المسلم الحق يحافظ على دينه ودنياه ، فيصلي ويذبح ، ويعيد ويعيش .
- ٢- المسلم أخ المسلم ، ينصحه ، ويتعاون معه ، ويحاوره في رفق ولين .
- ٣- المعرفة الحسية أساس للمعرفة العقلية ، وبرهان على صدق الدين كله
- ٤- المسلم محتاج إلى المعارف الجغرافية ، و الفلكية ، و التجارية ، وكل ما يحتاج إليه في معاشه ، ودينه ، وحركته .

- ٣٢ -

٣٥- باب التغليظ في تفويت صلاة العصر

[٣٦٤]، (١) حديث ابن عمر م أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : الَّذِي تَفَوُّتُهُ

صَلَاةُ الْعَصْرِ كَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلُهُ وَمَالُهُ (١) . ٥٥٢

- أ -

موضوع حديث الباب

يتناول حديث الباب حكم تفويت صلاة العصر عن وقتها ،
ويوضح مدى الخسارة التي أوقع المفوت نفسه فيها .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يؤكد عبد الله بن عمر م (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : الَّذِي تَفَوُّتُهُ
صَلَاةُ الْعَصْرِ كَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلُهُ وَمَالُهُ) أي أن الذي تفوته صلاة العصر بلا
عذر فقد خسر كثيرا .

وقد أخذ المحدثون من قول رسول الله ﷺ جواز إسناد الفوت إلى
الصلاة على وجه المجاز ... وكرهه بعضهم .

وبين المحدثون والفقهاء المراد من فوت صلاة العصر ، فقال بعضهم :
تفويت صلاة العصر يعني تأخيرها عن وقتها ، ومما يدل على ذلك أن
أبن جريج سأل نافعاً م وقال له : حين تغيب الشمس ؟ أي أتفوت صلاة
العصر بمغيب الشمس ؟

(١) أخرجه البخاري في: ٩ كتاب مواقيت الصلاة: ١٤ باب إثم من فاتته العصر .

قال : نعم ^(١).

ونافع من فقهاء المدينة ، وتفسير لفتيه للحكم في الحديث أولى من تفسير غيره .

وقال الأوزاعي رحمه الله : إن فوات صلاة العصر اصفرار الشمس ، ودخول وقت الكراهة ، وهذا الرأي للأوزاعي متفق مع مذهبه ، في أن آخر وقت العصر اصفرار الشمس ، وذهب ابن وهب مذهب الأوزاعي .

وقال المهلب : المراد بفوت صلاة العصر ، فواتها مع الجماعة ، لا فوتها باصفرار الشمس أو بغروبها .

وبين الفقهاء أيضا الفرق بين من تعمد تفويت وقت العصر ، وبين من نسيه ، أو فوته لعذر شرعي .

تمسك الحنابلة بظاهر الحديث ، وقالوا : من ترك الصلاة جاحدا لوجوبها ، أو معترفا بها لكنه مستخف بها ، مستهزئ بمن أقامها في وقتها ، فهو

كافر ، مستدلين بقوله رحمه الله : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيْمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ﴾ ^(٢) ومن إحباط العمل فوت صلاة العصر لقوله رحمه الله : (من ترك صلاة العصر

فقد حبط عمله) ^(٣) .

ورد عليهم : بأن مراد الحديث عدم التفريط في الصلاة ، والأمر بالمبادرة إليها ، ولم يشر إلى تعمد تركها ، والقول بهذا أولى .

وذهب الجمهور : إلى أن الأمر خرج مخرج الزجر الشديد ، مثل قوله رحمه الله

(١) فتح الباري ج ٢ ص ٣١ .

(٢) سورة المائدة من الآية : ٥ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب من ترك العصر .

: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) ^(١) ، فظاھرہ غیر مراد ، وقد جاء بهذا التشديد للزجر ^(٢) .

والحق أن الحديث ورد فيمن يتعمد ترك الصلاة كسلا بلا عذر ، أما من نسي أو وقع له عذر فلا إثم عليه ، فقد رفع الله تعالى خطأ النسيان ، وقبل عذر من له عذر .

وقد بين الحديث العقوبة التي يستحقها من فوت صلاة العصر ، وذلك بقوله ﷺ : (كَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلُهُ وَمَالُهُ) ، وهذه عقوبة شديدة تتضح مما يلي :

١- إن معنى (وتر) أصيب بسوء ، أو بنقص ، أو بسلب ، أو بقتل ، أو بظلم في دم ، أو بأخذ مال منه وهو عاجز ... وكل هذه المعاني تلتقي في معنى واحد وهو : أن يلحق بتارك صلاة العصر ضرر بالغ في أهله وذريته وماله .

٢- شبه الحديث تارك صلاة العصر بمن وتر أهله وماله ، ووجه الشبه اجتماع غمين عنده ، هما غم بسبب فقدان الخير ، وغم بسبب الوقوع في الضرر .

وقد يفقد الموتور أهله وماله ، فيصير وحيدا فردا ، وهو قاعد ، وهذا التشبيه بليغ ؛ لأن الإنسان في الدنيا يعيش مباحيا بزوجته وأولاده ، وماله ، فإذا فقد ذلك اغتم ، وعاش الذل والهوان ، وأصابه الضعف بين الناس .. ولذلك حسن له تجنب هذه الحالة ،

(١) صحيح البخاري ، كتاب الحدود ، باب لا يشرب الخمر .

(٢) فتح الباري ج ٢ ص ٣٢ .

وما يشبهها بالمحافظة على صلاة العصر وأدائها في وقتها .
٣- **تقرأ (وتر) بالبناء للمعلوم** ، وبها يكون ماله وأهله مفعولا ،
وعلى هذا يكون المعنى فقد أهله وماله فبقي بلا أهل ولا مال .
وقيل : إن المعنى يكون كالذي يصاب في أهله وماله ، فيكون
فردا لا يتمكن من الدفاع عن نفسه ، فيصاب بغم المصيبة وغم
مقاساة طلب الثأر .

وتقرأ (وتر) بالبناء للمجهول ، ومعناه انتزع منه أهله وماله ،
والبناء للمعلوم أصح وأشهر .
وفي القراءتين بيان للآثم الذي يقع فيه من يؤخر صلاة العصر .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يبين الحديث إثم من يفوت صلاة العصر ، ولا يؤديها في وقتها
المستحب ، ولم يتناول صلاة أخرى ، وهذا جعل بعض الفقهاء والمحدثين
يجعلون هذا الحكم خاصا بصلاة العصر ، وقد أيدهم الحافظ بن حجر
فيما ذهبوا إليه ^(١) .

وقال آخرون : إن هذا الحكم عام في الصلوات كلها ، فقد روى ابن
أبي شيبه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (من ترك صلاة مكتوبة حتى
تفوته من غير عذر فقد حبط عمله) ^(٢) .

وروى ابن حبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (من فاتته الصلاة فكأنما وتر

(١) فتح الباري ج ٢ ص ٣٢ .

(٢) مصنف ابن أبي شيبه ، كتاب الصلاة ، في التفريط في الصلاة ، حديث : ٣٤١٠ .

أهله وماله (١) .

وأخرج عبد الرزاق قوله عليه السلام : (لأن يوتر أحدكم أهله وماله خير له من أن يفوته وقت صلاة) (٢) .

والعمل بهذه الأحاديث مشروع ، ودلالة كل حديث على موضوعه واضح ، وحكم كل صلاة مستمد من الحديث المتصل بها ، واختلاف العلماء رحمة ، والواجب أن نؤمن بأن علم الله تعالى محيط بكل ما شرع في التعميم والتخصيص ، وفي كل ذلك فضل الله ، والله ذو الفضل العظيم .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب ضرورة المبادرة إلى صلاة العصر وأدائها في وقتها المستحب ؛ لأن تأخيرها عن وقتها يوقع التارك في إثم كبير ، وعذاب اليم .

- هـ -

ركائز الدعوة في حديث الباب

يتضمن الحديث ركيزة هامة ... هي :

شدة العقوبة لمن عصى

يخاطب الإسلام العقل ليقنعه بحقائقه وخصائصه ، وكفل له الحرية ، والتفكير ، والرضى في اختيار دينه ؛ الذي ينظم به سائر حياته ، ويستقيم به عمله .

(١) صحيح ابن حبان ، كتاب الصلاة ، باب الوعيد على ترك الصلاة، حديث ٣٤١٠ .

(٢) (مصنف عبد الرزق الصنعاني، كتاب الصلاة ، باب تفريط مواقيت الصلاة حديث: ٢١٤٥)

يقول ﷺ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ بَيَّنَّ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (١) .

وبفصل الإسلام للإنسان آيات الله المنزلة ، وآياته الموجودة في الكون والأحياء ؛ ليختار عقيدته بفهم واقتناع . ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (٢).... وعلى من آمن أن يعلم حدود الإيمان ومعالمه ، ويلتزم بها ... ؛ لأن الإيمان عقيدة مكينة ، وعمل ثابت ، وخلق حسن ... وليس الإيمان كلاما مجردا ، أو شعارا بلا مضمون .

ومن أمثلة هذه الحقيقة : شرع الإسلام الصلوات ، وحدد لها أوقاتها ، وأمر بأدائها في أوقاتها ... وسارت تعاليم الإسلام كلها في التفصيل والإحكام على هذا النمط من الوضوح والبيان .

وبينت تعاليم الإسلام أن أي مسلم يقصر في واجباته ، ويعارض لوازم عقيدته ، فله عقوبة رادعة ، وعذاب اليم ... لأن تعمد مخالفة الحق تمرد غير مقبول ، وعبت بدين الله تعالى لا يقع فيه عاقل ...
ولهذا تضاعفت عقوبة العابثين ؛ حتى لا يجعلوا الدين لهوا ولعبا ، وعرف الإسلام الناس بهذه العقوبة ليحذروها ، ويتعدوا عن موجباتها ، ويعلموا المصير الذي إليه يسعون .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من حديث الباب الفوائد التالية :

(١) استحباب أداء صلاة العصر في أول وقتها .

(١) سورة البقرة الآية: ٢٥٦ .

(٢) سورة الكهف من الآية : ٢٩ .

- (٢) جواز الاستفادة من الواقع المحسوس كأحد مصادر المعرفة .
- (٣) الدنيا كلها لا تساوي جناح بعوضة أمام ثواب الآخرة .
- (٤) والعمل الصالح القليل المقبول خير من الدنيا كلها .
- (٥) يفصل الحديث في كيفية المحافظة على الصلاة ، التي أمر الله تعالى بها في قوله ﷺ : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ ^(١)
- (٦) التشبيه فن في الدعوة إلى الله تعالى وقد استعمله رسول الله ﷺ لإظهار حكم شرعي متصل بأعمال الناس .
- (٧) المشبه به في الحديث أمر موجع مخوف ، ولذلك وجب التأثير به ﴿ إِنَّمَا يَذْكُرُ أُولَ الْأَلْبَابِ ﴾ ^(٢)
- (٨) ضرورة ضبط أمر حياتنا لتنشط في هذه الأوقات في أداء الطاعات .

(١) سورة البقرة الآية : ٢٣٨ .

(٢) سورة الرعد الآية : ١٩ .

- ٣٣ -

٣٦ - باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى

هي صلاة العصر

[٣٦٥]، (١) حديث عليّ عليه السلام قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَخْزَابِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

مَلَأَ اللَّهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا ، شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى
حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ^(١) . ٢٩٣١

[٣٦٦]، (٢) حديث جابر بن عبد الله عليه السلام أن عمر بن الخطاب عليه السلام جاء
يَوْمَ الْخَنْدَقِ بَعْدَمَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَجَعَلَ يَسُبُّ كُفَّارَ فُرَيْشٍ ،
قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كِدْتُ أَصَلِّي الْعَصْرَ حَتَّى كَادَتِ
الشَّمْسُ تَغْرُبُ. ٥٩٦

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : وَاللَّهِ مَا صَلَّيْتُهَا فَقُمْنَا إِلَى بُطْحَانَ ، فَتَوَضَّأَ
لِلصَّلَاةِ ، وَتَوَضَّأْنَا لَهَا ، فَصَلَّى الْعَصْرَ بَعْدَ مَا غَرَبَتِ
الشَّمْسُ ، ثُمَّ صَلَّى بَعْدَهَا الْمَغْرِبَ^(٢) .

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تورد الأحاديث بعض ما حدث يوم الخندق ، وتوضح أن المراد
بالصلاة الوسطى هي صلاة العصر ، وهي التي شغل عنها رسول الله ﷺ

(١) أخرجه البخاري في: ٥٦ كتاب الجهاد: ٩٨ باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة،
وللحديث روايات أخرى في البخاري تحت أرقام: ٤١١١ ، ٤٥٣٣ ، ٦٣٩٦ .

(٢) أخرجه البخاري في: ٩ كتاب مواقيت الصلاة: ٣٦ باب من صلى بالناس جماعة بعد
ذهاب الوقت ، وللحديث روايات أخرى في البخاري تحت أرقام: ٥٩٨ ، ٦٤١ ، ٦٤٥ ،
٤١١٢ .

وصحابته الكرام - رضوان الله عليهم .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على حديثين يبينان أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر .

ففي الحديث الأول : يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (لَمَّا كَانَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ) أي لما وقعت غزوة الأحزاب ، والعرب تسمي الحرب بين فريقين يوما ، وإن استغرق مدة طويلة ، أو كان أقل من يوم زماني .. ومن ذلك قالوا : " يوم بعثت " ، " أيام العرب " (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَلَأَ اللَّهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا) أي أنه ﷺ دعا على الأحزاب الذين تجمعوا حول المدينة لاجتيازها عام خمس من الهجرة ، ومنعهم الله تعالى من اجتيازها بسبب الخندق الذي حفره المسلمون حول المدينة.

وقد دعا رسول الله ﷺ ربه ليملاً بيوتهم في الدنيا ، وقبورهم بعد الموت بالنار عقوبة لهم عما فعلوا ، فقد تجمعوا حول المدينة ، وشغلوا المسلمين عن أداء الصلاة في وقتها .

فإن قيل : إن الله تعالى لم يستجب لرسوله ﷺ ولم يملأ بيوتهم نارا ؟
أقول : يحمل على أن المراد ملء قلوب أصحاب البيوت بالنار ، ويؤكد هذا الاحتمال الرواية التي جاءت بلفظ : (مَلَأَ اللَّهُ قُبُورَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ ، أو أجوافهم) ^(١) ، وأما امتلاء قبورهم بالنار فهو واقع لا محالة في الدنيا أو في الآخرة .

(١) صحيح البخاري ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : حافظوا على الصلوات .

وبين النبي ﷺ سبب دعائه على الأحزاب فقال : (شَغَلُونَا عَنْ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ) ، أي إن الأحزاب لما عسكروا عند الخندق ، واجههم المسلمون جهة المدينة ، فشغلوهم عن أداء الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس ، فظهر بذلك أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر .

وقد أورد المحدثون أحاديث كثيرة توضح أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر .. منها : -

- روى أحمد والترمذي من حديث سمرة رفعه قال : (صلاة الوسطى صلاة العصر) ^(١).

- سئل أبو هريرة رضي الله عنه عن الصلاة الوسطى فقال : (اختلفنا فيها كما اختلفتم ، ونحن بفناء بيت رسول الله ﷺ ، وفيما الرجل الصالح أبو هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فقال : أنا أعلم لكم ذلك ، " فأتى رسول الله ﷺ ، فكان جريئاً عليه ، فاستأذن ، فدخل إليه ، ثم خرج إلينا ، فأخبرنا أنها صلاة العصر) ^(٢) .

وقد ذكر الصحابة في المراد بالصلاة الوسطى عشرين قولاً ، أصحها أنها صلاة العصر ، فقد جاء بذلك النص الصريح المرفوع .
ومن المعلوم أن الصحابة إذا اختلفوا في أمر لم يكن قول بعضهم

(١) سنن الترمذي - الجامع الصحيح ، باب ما جاء في الصلاة الوسطى أنها العصر ، حديث رقم : ١٧١ ، مسند أحمد بن حنبل - أول مسند البصريين ومن حديث سمرة بن جندب ، حديث رقم : ١٩٦٨٧ .

(٢) المعجم الكبير للطبراني ، حديث رقم : ٧١٣٢ .

أصح من قول غيره ، فتبقى حجة الحديث المرفوع قائمة وراجحة ، وقد جاء الحث على المواظبة على أداء صلاة الصبح والعشاء ، إلا أن الوعيد بترك العصر أشد .

فإن قيل : إن العطف في قوله تعالى : ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ

وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ ^(١) . يقتضي المغايرة .

أقول : العطف بالواو في الآية لا يقتضي المغايرة ، كما في قوله

ﷺ : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ ^(٢) .

وقد هزم الله تعالى الأحزاب ، فزلزل الله قلوبهم ، وملأهم الخوف والرعب ، فرجعوا خائبين منهزمين ، ولم يثبتوا أمام المسلمين ، ووقى الله المسلمين والمدينة شرورهم .

وفي الحديث الثاني : يؤكد جابر بن عبد الله ﷺ (أَنَّ عُمَرَ بْنَ

الْخَطَّابِ ﷺ جَاءَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ) إلى رسول الله ﷺ شاكياً (بَعْدَمَا غَرَبَتِ

الشَّمْسُ فَجَعَلَ يَسُبُّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ) ويلعنهم أمام رسول الله ﷺ ، و(قَالَ :

يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كِدْتُ أَصَلِّي الْعَصْرَ حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ تَغْرُبُ) ، وكاد من

أفعال المقاربة ، معناها : كدت أفوت العصر ، ولم أفوت ، فقد صليتها

قبل غروب الشمس ؛ لأن نفي الصلاة بـ(كِدْتُ) يقتضي إثباتها ، وإثبات

الغروب يقتضي نفيه ، فتحصل بذلك ثبوت الصلاة قبل الغروب .

فـ(قَالَ النَّبِيُّ ﷺ) لعمر ﷺ : (وَاللَّهِ مَا صَلَّيْتُهَا) أنا تخفيفاً لحال عمر ﷺ

(١) سورة البقرة الآية : ٢٣٨ .

(٢) سورة الحديد من الآية : ٣ .

، وإبعادا للسمامة عنه ، ونفى الرسول ﷺ يفيد أنه انشغل بالقتال عن الصلاة

(فَقُمْنَا إِلَى بُطْحَانَ) ، وبطحان بضم الباء وسكون الطاء بعدها حاء ممدودة بالألف ، وهو واد قرب المدينة جهة الخندق ، أي ذهبنا إليه ففيه ماء ، (فَتَوَضَّأَ) ﷺ (لِلصَّلَاةِ وَتَوَضَّأْنَا لَهَا) استعدادا للصلاة مع رسول الله ﷺ ، (فَصَلَّى) رسول الله ﷺ (الْعَصْرَ بَعْدَ مَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، ثُمَّ صَلَّى بَعْدَهَا الْمَغْرِبَ) وفي هذا بيان إن الصلاة التي فاتت رسول الله ﷺ هي صلاة العصر التي صلاها رسول الله ﷺ أولا قبل أن يصلي المغرب بأصحابه .

فإن قيل : وقع في الموطأ أن الذي فاتهم صلاتا الظهر ، والعصر ، وفي حديث أبي سعيد أنها الظهر والعصر والمغرب ، وعند الترمذي أن المشركين شغلوا رسول الله ﷺ عن أربع صلوات يوم الخندق فكيف نجمع بين كل هذه الآراء ؟

أقول : لا تعارض بين كل هذه الروايات ؛ لأن الخندق كانت أياما عديدة ، وكل رواية تخص يوما ما دون غيره ، فلا تعارض بينها ، ويؤيد هذا التأويل ان الروايات المذكورة لم تتعرض لقصة عمر رضي الله عنه ، بل الذي فيها أن صلاة العصر كانت قضاء في وقت المغرب .

والأحاديث تبين أن رسول الله ﷺ صلى العصر بعد دخول وقت المغرب .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب ما حدث للمسلمين يوم الخندق ، فقد بذلوا قصارى جهدهم في حفر الخندق ، ومواجهة الأحزاب لردهم عن المدينة ، وكانوا رضوان الله عليهم شديدي الحرص على أداء العبادات المفروضة أثناء الجهاد، إلا أن مواصلة الحرب منعتهم عن أداء الصلاة في وقتها ، فانشغلوا عنها بالجهاد فلما انشغل عمر رضي الله عنه بالحرب ، أخر صلاة العصر إلى وقت الكراهة ، فلما صلاها رضي الله عنه ذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منزعجا شاكيا حالته ، وأخذ يلعن القرشيين ومن معهم ، الذين تحزبوا حول الخندق ؛ وحاصروا المدينة ، وشغلوا المسلمين عن صلاة العصر في وقتها المستحب ، فهدأه النبي صلى الله عليه وسلم ، وبين له أنهم شغلوه صلى الله عليه وسلم هو أيضا عن الوقت كله ، ثم توضأ صلى الله عليه وسلم وصلى العصر قضاء ، ثم صلى المغرب والمسلمون خلفه في جماعة .

وعاش المسلمون هذه الحالة أمام الخندق ، وشغلتهم الحرب عن أداء عدد من الصلوات في أيام عدة ، كما جاءت الأحاديث بذلك .
وفي صلاة النبي صلى الله عليه وسلم العصر أولاً ، وصلاة المغرب بعد ذلك دليل لجمهور الفقهاء ، الذين استنبطوا من ذلك وجوب ترتيب الصلاة الفائتة ، خلافا للشافعية الذين رأوا عدم وجوب الترتيب .
وذهب الأحناف إلى وجوب الترتيب، ما لم تزد الصلوات الفائتة عن خمس صلوات ، وكان وقت الصلاة الحاضرة كاف في أداء الفوائت مرتبة^(١) .

(١) فتح الباري ج ٢ ص ٧٠ ، طبعة السلفية .

وقد دل موقف النبي ﷺ من عمر رضي الله عنه على مكارم أخلاق النبي ﷺ ، وعلى حرصه ﷺ على مشاركة أصحابه في همومهم ، وسعيه للتخفيف عنهم ، ورفع الحرج عن نفوسهم .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أن المراد بالصلاة الوسطى صلاة العصر ، وأن معنى الوسط العدل والفضل ، وليس معناه التوسط بين طرفين متساويين ، كما تدل على جواز تأخير الصلاة إلى آخر الوقت للضرورة .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز..... أهمها :-

الركيزة الأولى

صيانة الدين وحماية الدنيا في حياة الصحابة

قدم الصحابة رضوان الله عليهم صورة مثلى للإنسان المسلم في حياته ونشاطه ، ومحافظته على دينه ودنياه ، فقد كانوا رضوان الله عليهم في عملهم لا يكسلون ، وفي جهادهم لا يفترون ، وعلى صلواتهم يحافظون ، فصانوا الإسلام ، وصبغوا نشاطهم كله بصبغة الله تعالى .

وهذا هو عمر من الخطاب رضي الله عنه يأتي إلى رسول الله ﷺ متألما

لاعنا القرشين الذين حاصروا المدينة ، وكادوا أن يفوتوا عليه صلاة العصر ، فما صلاها إلا في آخر وقتها ، فهدأ رسول الله ﷺ روعه ، وبين له أنه ﷺ لم يصل العصر بسبب هؤلاء الأحزاب ، وعرفه بأن في الأمر سعة ورحمة ، فتوضأ ﷺ وتبعه المسلمون في الوضوء ، فصلّى

النبي ﷺ العصر ، وصلى بالمسلمين إماما صلاة المغرب في وقتها .

إن الإسلام لا يعرف الانفصام بين الدين والدنيا ، لأن المسلم يعيشهما لله تعالى ، فأعمال الدنيا عبادة بالنية والتوجه ، والالتزام بالضوابط الشرعية والصلاة وغيرها عبادة محددة في مقاديرها ، وكيفيةها ، وشروطها ، وهما معا يتساويان في ميزان الله تعالى ، وبين الأعمال الشرعية المحددة من صوم وزكاة ... وبين الأعمال الإنسانية في معاش الدنيا ترابط وثيق

فالصلاة تأمر بالمعروف ، وتنهى عنى الفحشاء والمنكر ، وتصل العبد بالله تعالى ، والصوم عبادة بالجوع ، وتعريف بقسوة الفقر ، وحاجة الفقراء ، والزكاة تطهير للنفس ، وأداء لحق المحتاجين ، والحج تضحية بالمال والأعمال ، وعبادة بالبدن ، والذكر ، والمال ، مع خلوه من الرفث والفسوق والعصيان ، وهكذا تنعكس العبادات الشرعية المحددة على سائر أعمال الإنسان ، وتتجاوب معها إيجابا وسلبا ، يقول ﷺ (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، لم يزد من الله إلا بعدا)^(١) ، ويقول ﷺ (رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش)^(٢) ويقول ﷺ : ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾^(٣) وبهذا التصور عاش السلف الصالح ، فعاشوا المعروف قولاً وعملاً ، وتركوا المنكر بصورة

(١) المعجم الكبير للطبراني ، حديث رقم : ١٠٨٢٠ .

(٢) صحيح ابن خزيمة ، كتاب الصوم ، باب نفي ثواب الصوم عن الممسك عن الطعام والشراب مع ارتكابه ١٨٦٣ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٦٣ .

مطلقة طاعة لله تعالى .

وليس من الإسلام ما نراه من بعض الناس ، حيث الاستغراق في العبادات الشرعية ، وإبعاد تعاليم الإسلام عن العمل والسلوك ، وليس من الإسلام معاداة المسلمين ، ومحاباة غيرهم .

وليس من الإسلام إضمار السوء لأي مسلم في كل زمان ومكان
لقد عاش المسلمون بعد الهجرة ، كما قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) لقد عاش المسلمون حياتهم ومعاشهم لله تعالى فجعلوها عبادة دائمة ، ولم يغيبوا أبدا عن منهج الإسلام لصناعة الحياة .

الركيزة الثانية منزلة السنة من القرآن الكريم

القرآن الكريم دعوة محكمة لدين الله تعالى ، وقد نزلت السنة لبيان هذا الإحكام ، وتفصيله حتى لا يخفى منه شيء ، ويصير الوضوح والبيان حجة على سائر الناس .

ومن أمثلة هذه الحقيقة ما جاء في حديث الباب ، فقد نزل القرآن الكريم أمرا المسلمين بالمحافظة على الصلاة كلها ، وعلى الصلاة الوسطى ، وقد ذهب المفسرون مذاهب عديدة في تحديد الصلاة الوسطى ، فداروا بها في الصلوات الخمس ، إلا أن ما جاء في أحاديث الباب رجحت أنها صلاة العصر ، بدلالة أن عمر رضي الله عنه صلاها قبل أن تغرب

(١) سورة الحشر آية : ١٠ .

الشمس ، وصلّاها رسول الله ﷺ قضاءً ، وبعدها صلى صلاة المغرب ،
وهنا علم المسلمون من السنة ما أجمله القرآن الكريم ، في قوله ﷻ :

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ ^(١)

وتأكد المسلمون من أهمية السنة مع القرآن الكريم ، وعلموا أنه لا بد منها
.. وأن القرآن الكريم محتاج إليها ، يقول النبي ﷺ : (ألا إني أوتيت

الكتاب ومثله معه ، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه) ^(٢)

واستمرار السنة دراية ورواية في الحياة الإسلامية أمر ضروري للمسلمين
، فهم محتاجون إليها حاجتهم للقرآن الكريم .

وهنا :

أبين أنه لا يخفى على العقلاء ، أن هدم السنة بالإنكار أو بالتشكيك فيها
كلياً أو جزئياً هدم للإسلام في الحقيقة ، فلولا السنة لما علمنا
عدد الركعات ، ولجهلنا الأذكار والدعوات ، ولعجزنا عن معرفة أعمال
الحج وأنصاء الزكاة .

ولذلك : ننادي الدعاة والعلماء بالاهتمام بالسنة اهتمامهم بالقرآن الكريم،
لعلهم يتذكرون .

الركيزة الثالثة

حسن التعامل بين الرسول ﷺ وأصحابه

تقدم أحاديث الباب ما كان بين الرسول ﷺ وأصحابه الكرام من تعامل
طيب وخلق كريم ، فلقد كان رسول الله ﷺ فيهم منارة الهدى ، ومعالم

(١) سورة النحل الآية : ٤٤ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ، مسند الشاميين ، حديث رقم : ١٦٨٦٦ .

الطريق إلى الله تعالى ، يقصدونه في السراء للتعلم والافتداء ،
ويقصدونه في الضراء للشكوى وطلب غفران الله ، وكان ﷺ يحنوا عليهم
ويتفرق بهم ، ويرببهم باللين والحسنى ، ويشفق عليهم شفقة الوالد بولده
الوحيد المحبوب .

ذهب إليه ﷺ عمر رضي الله عنه ، شاكيا أداءه العصر قبل الغروب ، فيسليه
رسول الله ﷺ ، ويزيل عنه ما أهمه ، ويبين له أنه لم يصلها أصلا ،
وتوضأ أمامه ، وصلاها قضاء ليهذا باله ، ويطمئن خاطره ، ويعلم أن الله
غفور رحيم .

لقد سعدت الأمة بهذا التلاقي بين الراعي ورعيته ، الذي ظهر في
حرص رسول الله ﷺ على إبلاغ الناس الإسلام ، وعمل على أن يطبقوه
وبعملوا به ؛ ليسعدوا وينجوا من عذاب اليم ، وصدق الله تعالى وهو يعرف
الناس رسولهم في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ^(١)
وكان رسول الله ﷺ يحزن كثيرا على انصراف الناس عن الإسلام ، فقال
الله ﷻ له : ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ ﴾ ^(٢) وقال له ﷻ : ﴿ فَلَمَّا كَ
بَخِعْ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ ^(٣) .
والتف الصحابة حول رسول الله ﷺ ليأخذوا منه الدين قولاً وعملاً فقدموا

(١) سورة التوبة الآية : ١٢٨ .

(٢) سورة فاطر من الآية : ٨ .

(٣) سورة الكهف الآية : ٦ .

للإنسانية الصورة المثلى للمجتمع السعيد، وفي ذلك ذكرى لأولي الألباب .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الأحاديث

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية :-

- (١) حرص الصحابة على طاعة الله تعالى وخوفهم من أي تقصير .
- (٢) رسول الله ﷺ هو المثل الأعلى لكل مسلم ومسلمة وهو القدوة والأسوة
- (٣) اتصاف رسول الله ﷺ بمكارم الأخلاق في سائر معاملاته مع أصحابه .
- (٤) حياة المسلم تدور بين السراء والضراء ، وعليه أن يرضى في كل حال بقضاء الله تعالى .
- (٥) واقعية التشريع الإسلامي تجعله متوافقا مع واقع الحياة .

- ٣٤ -

٣٧ - باب فضل صلاتي الصبح والعصر

والمحافظة عليهما

حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ

[٣٦٧]، (١)

، مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ

٥٥٥

وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ ، وَهُوَ

أَعْلَمُ بِهِمْ ، كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي ؟

فَيَقُولُونَ : تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ^(١).

حديث جرير رضي الله عنه قال : كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً

[٣٦٨]، (٢)

، يَغْنِي الْبَدْرُ، فَقَالَ : إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ

٥٥٤

، لَا تَصَامُونَ فِي رُؤُوسِهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تَغْلِبُوا عَلَى صَلَاةِ

قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا ، ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾^(٢)^(٣) .

حديث أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ صَلَّى الْبُرْدَيْنِ

[٣٦٩]، (١)

دَخَلَ الْجَنَّةَ^(٤) . ٥٧٤

(١) أخرجه البخاري في: ٩ كتاب مواقيت الصلاة: ١٦ باب فضل صلاة العصر وللحديث

روايات أخرى في البخاري تحت أرقام : ٣٢٢٣ ، ٧٤٢٩ ، ٧٤٨٦ .

(٢) سورة طه الآية : ١٣٠ .

(٣) أخرجه البخاري في: ٩ كتاب مواقيت الصلاة: ١٦ باب فضل صلاة العصر ، وللحديث

روايات أخرى في البخاري تحت أرقام : ٧٤٣٤ ، ٧٤٣٥ ، ٧٤٣٦ .

(٤) أخرجه البخاري في: ٩ كتاب مواقيت الصلاة: ٢٦ باب فضل صلاة الفجر .

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب فضل صلاتي الصبح والعصر ، وتدعوا إلى المحافظة عليها مع سائر الصلوات

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على ثلاثة أحاديث تبين فضل صلاتي الصبح والعصر ، في إطار ذكر أحوال يعيشها المسلمون ، وأمنيات يرجونها ويعملون لها .

ففي الحديث الأول : يؤكد أبو هريرة رضي الله عنه (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ،

قَالَ: يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ، مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ) وهذا خطاب من رسول الله ﷺ للمؤمنين من أصحابه ، وهو عام للمسلمين جميعا ، ولعباد الله في كل مكان وزمان .

وفي الحديث بيان أن الملائكة ينزلون إلى المسلمين، بأمر الله فرادى وجماعات ، بعضهم عقب بعض ، في الليل مرة ، وفي النهار مرة أخرى ، بصورة مستمرة ، كما تفيد صيغة المضارع في قوله : (يَتَعَاقَبُونَ) ومعنى هذا أن تأتي طائفة عقب طائفة ، ثم تعود الأولى إثر الثانية

والتعاقب بين طائفتين أو فردين يكون بأن يأتي كل طرف عقب الطرف الآخر .. وهكذا .. ومن ذلك تعاقب الجيوش بأن يجهز الأمير بعثا إلى مدة ، ويجهز بعدها بعثا آخر يرسله مكان البعث الأول ليرجع ، ليجهزه ويرجع ، ثم يعود الثاني وهكذا يستمر التبادل بين البعثين في

تعاقب متواصل .

وقد أخذ النحاة من الحديث فائدتين لغويتين هما :

الفائدة الأولى : جواز تثنية الفعل وجمعه قبل فاعله المثنى والجمع مثل (يَتَعَاقَبُونَ) فهو فعل مضارع يدل على الجمع فيه ضمير الفاعل، وبعده جاء الفاعل جمعا وهو الملائكة .

الفائدة الثانية : جواز إيراد الفاعل ظاهرا عقب ذكره مضمرا ، ففي الحديث جاء الفاعل ضميرا مضمرا في قوله (يَتَعَاقَبُونَ) ، وجاء ظاهرا في قوله : (مَلَائِكَةٌ) وهذه لغة (بلحارث) ، ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾^(١) والآية تشهد لمن أجاز هذه اللغة .

وقد حاول بعض المحدثين صرف الحديث عن هذه اللغة، مستشهدين بروايات أخرى مثل : (الملائكة يتعاقبون ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر ، وصلاة العصر)^(٢) ، ومثل قوله ﷺ : (إن لله ملائكة يتعاقبون فيكم)^(٣) ففي الروايتين بعد عن لغة بلحارث .

وحملوا حديث الباب على أن الظاهر بدل للضمير ... إلا إن الأولى الأخذ بالدلالة اللغوية كما جاءت في حديث الباب ، فقد رواه البخاري ومسلم ، والعزو إليهما أولى .

فإن قيل : لم جاءت (مَلَائِكَةٌ) نكرة وكررت ؟

(١) سورة الأنبياء من الآية : ٣ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة .

(٣) صحيح ابن خزيمة، كتاب : الصلاة ، باب ذكر اجتماع الملائكة ، حديث : ٣٢٠ .

أقول : جاء الحديث هكذا ؛ ليفيد أن كل طائفة من الملائكة غير الطائفة الأخرى .

وقد اُفترق المحدثون إلى فريقين في بيان نوع الملائكة الذين يتعاقبون على المؤمنين .

ففرق ذهب إلى أنهم الحفظة الكتاب ، الذين وكل الله تعالى إليهم أمر العباد أفرادا وجماعات ، وقد قال الله ﷻ عنهم : ﴿ **إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيَّهَا حَافِظٌ** ﴾ ^(١) ، وقال ﷻ : ﴿ **وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ** ﴾ ^(٢) كِرَامًا كَثِيرِينَ ^(٣)

وقد رجح النووي رأي هذا الفريق ، وصورة التعاقب على أنهم الحفظة ، أن تأتي طائفة عند العصر وتبيت ، ثم تأتي طائفة أخرى عند الفجر ، فتجتمع الطائفتان في صلاة الفجر ، ثم يعرج الذين باتوا فقط ، ويستمر الذين أتوا وقت الفجر إلى العصر ، فتتزل الطائفة الأخرى ، فيتم اجتماعهم في العصر ، ولا يصعد منهم أحد ، بل تبيت الطائفتين معا ، ثم تعرج إحدهما عند الفجر ،.... وهكذا مع استمرار النزول في العصر ، والعروج في الفجر ، وقصر السؤال على الذين باتوا وحدهم ^(٣) .

وذهب جمهور المحدثين إلى أن هؤلاء الملائكة ليسوا هم الحفظة ؛ لأنه لم يرد ما يفيد أن الحفظة يفارقون أصحابهم ليلا أو نهارا ، ولا أن حفظة الليل غير حفظة النهار ، ولو كانوا هم الحفظة لسألهم الله تعالى عن سائر أعمال الإنسان لا عن الصلاة فقط .

(١) سورة الطارق الآية : ٤ .

(٢) سورة الانفطار الآيتين : ١٠ ، ١١

(٣) شرح النووي ج ٢ ص ٢٧٨ ، طبعة الشعب .

وعلى هذا الرأي يكون النزول والعروج في وقت العصر والفجر، وأن يكون السؤال عاما للطائفتين ، وأن كل طائفة أذا صعدت سئلت ، يؤيد هذا الرأي ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر وصلاة العصر ، فيجتمعون في صلاة الفجر ، فتصعد ملائكة الليل ، وتثبت ملائكة النهار ، ويجمعون في صلاة العصر ، فيصعد ملائكة النهار ، وتثبت ملائكة الليل ، فيسألهم ربهم : كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلون ، وتركناهم وهم يصلون) ^(١) ، فقد بين هذا الحديث أن الصعود والنزول يتم في الفجر والعصر ، وأن معنى (تبيت) تقيم ليلا أو نهارا .

(فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ ، كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي) ؟ .. أي يسأل الله تعالى الملائكة الذين يعرجون ويصعدون ، على سبيل التعديد للملائكة ، كما يأمرهم بالحفظ والكتابة ... ويسأل الله تعالى الملائكة ، وهو أعلم بالجميع من الجميع ، ليشهدوا لبني آدم بالخير ، وينطقوا بهذه الخيرية ، حتى يعلموا الحكمة من خلق الإنسان ، مقابلة لقولهم يوم أن أمروا بالسجود لآدم ... ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٢) .

ويسألهم الله تعالى عن آخر أعمال العباد التي تركوهم عليها ، لأن العبرة بالخواتيم ، وقد أسند الله تعالى العباد إليه حين سؤال الملائكة (عِبَادِي) ليحدد لهم موطن السؤال، وهو خاص بالمؤمنين الذين لا سلطان

(١) مسند أحمد بن حنبل ، مسند بني هاشم ، حديث رقم : ٨٩٦٧ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٣٠ .

للشيطان عليهم ، وهم المذكورون في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ ^(١) ولذلك يجيبون عن السؤال ، ويزيدون عليه فيقولون : (تَرْكَنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ) ، وقد تطابقت إجابة الملائكة مع سؤال الله تعالى ، فبدأوا ببيان حال المسلمين عند تركهم ، وختموا ببيان حال المسلمين حين إتيانهم .

وظاهر إجابة الملائكة أنهم فارقوا المصلين ، عند شروعهم في صلاة العصر ، سواء تمت أو منع مانع من إتمامها ، وسواء شرع فيها الجميع أم لا ؛ لأن المنتظر في حكم المصلي ... و اللفظ يحتمل أن يكون المراد بالصلاة في قوله ﷺ (وَهُمْ يُصَلُّونَ) صلاة المغرب ، وبهذا فلا يلزم من ظاهر اللفظ أن الملائكة فارقوا المصلين قبل انقضاء صلاة العصر ، ولم يشاهدوها معهم ، وإنما فارقوهم بعد أن شهدوا الصلاة مع من صلاها في أول وقتها ، ومن صلاها بعد ذلك .

وقد سأل الله تعالى الملائكة ، عن حال المسلمين منذ تركهم لهم ، فأجاب الملائكة عن حال المسلمين عند تركهم ، وعند الإتيان إليهم ، لأنهم أدركوا أنه سؤال الله لإظهار عطفهم عليهم ، والإقروا بمقامهم ، فردوا ولم يكتفوا بقصر الإجابة على السؤال .

وفي الحديث الثاني الذي رواه جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : (كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ) في ليلة مقمرة (فَنَظَرُ) (إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً) عند تمامه (يَغْنِي الْبَدْرُ) حيث يكون القمر في أبهى صورة ، وأكمل منظر ، وأقوى نورا ...

(١) سورة الحجر الآية : ٤٢ .

فقال ﷺ (إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ) يوم القيامة (كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ) في هذه الليلة التي اكتمل فيها .

(لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ) بتخفيف الميم المضمومة بعد الألف الممدودة ، وضم التاء ، أي : لا ينالكم ضيم ، أو تعب ، أو ظلم فيراه بعضكم دون بعض ، بأن يبعده عن الرؤية ظالم ليستأثر بها ، بل تشتركون جميعا في الرؤية ، فهو تشبيه رؤية الله تعالى برؤية القمر في وضوحه ، وظهوره .

وروي (تُضَامُونَ) بتشديد الميم ، ومعناها لا ينضم بعضكم إلى بعض وقت النظر ، فتخفى رويته عليكم ، أو على بعضكم ، كما تفعلون عند النظر إلى الهلال ونحوه ، وليس في هذه الرواية تشبيه لأنها ترشد إلى نفي أعمال تجعل الناظر إلى الله تعالى لا يقع في شيء يمنعه عن النظر ، كما يقع عند النظر إلى البدر .

(فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تَغْلِبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا) أي إذا تمكنتم من التخلص من أي مانع يمنعكم عن صلاة الفجر قبل طلوع الشمس ، وعن صلاة العصر قبل غروب الشمس ، فتخلصوا منه ، واقطعوه ، واتركوه ، مثل النوم ، أو الشغل ، أو اللعب ، أو السهر وذلك يكون بالاستعداد للصلاة ، وتذكرها ، والدعاء بأن يوفقكم الله لوقتها ، ويبسر لكم أداؤها في وقتها

ومعنى (فَافْعَلُوا) أي قوموا بالأعمال التي تصرف عنكم موانع الصلاة ، حتى لا تغفلوا عنها ، ثم قرأ ﷺ قوله تعالى : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ ^(١) أي : نزه الله ، وقدهه ، وأعبده في صلاة الصبح

(١) سورة طه الآية : ١٣٠ .

قبل طلوع الشمس ، وفي صلاة العصر قبل الغروب .

وفي الحديث الثالث : يؤكد أبو موسى الأشعري رضي الله عنه (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : مَنْ صَلَّى الْبُرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ) ، و(الْبُرْدَيْنِ) مثني برد بفتح الباء وسكون الراء ، ومعناه رطوبة الجو واعتداله ، والمراد بـ(الْبُرْدَيْنِ) : صلاة الصبح وصلاة العصر ، لأنهما يقعان في طرفي النهار ، حيث برودة الجو واعتداله ، (دَخَلَ الْجَنَّةَ) أي استحق دخول الجنة وعبر عنه بالماضي لتأكيد وقوعه ، بجعل ما سيقع كالذي وقع .

وخصت أحاديث الباب هذين الوقتين (الفجر والعصر) بالذكر ، وضرورة المحافظة عليهما ، مع أن المسلم مكلف بالمحافظة على الصلوات كلها لاجتماع الملائكة فيهما ، ورفع أفعال العباد بعد العصر ، وتوزيع الأرزاق بعد الصبح ، ولما في هذين الوقتين من الغفلة بالنوم والراحة من العمل ... وفي هذا إشارة إلى أن من يحافظ على أداء هذين الوقتين يكون أشد حرصا على القيام بسائر الصلوات ، ومن المعلوم أن العصر والصبح طرفا الليل ، وبهما يعرف طرفا النهار ، فاقترنت أحاديث الباب على شق الليل لدلالة الطاعة فيه على الطاعة في شق النهار ؛ لأن خفاء المعصية والستر فيها أثناء الليل أقوى ، فكان سؤال الملائكة عن الليل أبلغ وأفضل .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تؤكد أحاديث الباب أن رؤية الله تعالى في الآخرة حق ، وأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بجلاء ، لا خفاء فيه ، كما يرون القمر في ليلة اكتماله وظهوره ، وهذه الرؤية خاصة بالمؤمنين ، لقوله ﷺ :

﴿وَجُودٌ يُؤْمِرُ نَاضِرَةً ۖ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةً﴾^(١).

ويذهب البعض إلى أن المنافقين يرون ربهم ليتحسروا ويندموا، وهذا رأي ضعيف ، والصحيح الذي عليه أهل السنة ، لأن الوجوه الناضرة ناضرة وسعيدة ، والمنافقون ليسوا كذلك .

والحديث يبين أن الملائكة يملأون الأرض سعيا وحركة بأمر الله تعالى ، فهم يطيعونه ولا يعصونه أبدا ... وأنهم يجتمعون بعد صلاة الفجر وصلاة العصر ؛ لتوزيع الأرزاق و الأعمال ... وخير للإنسان أن يكون في طاعة وعبادة الله في هذين الوقتين .

ولذلك حث أحاديث الباب المؤمنين للمحافظة على الصلاة ، وعلى هذين الوقتين خاصة ؛ ليبسر الله تعالى لهم النظر إليه يوم القيامة ؛ وليبارك لهم في رزقهم ، ويتقبل عملهم ، ويدخلهم الجنة .

إن الله تعالى لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ، وعلمه بسائر الموجودات وأحوالها ، وتطوراتها أمر قائم بذاته لا يحتاج فيه لغيره ، وإنما خاطب المكلفين بما تستوعبه عقولهم ، وبما يناسب طاقاتهم ، وطباعهم .

فكلف الملائكة بالنزول ؛ لتحفظ ، وتسجل ، وتشهد ، ليحققوا في ذواتهم العبودية القانتة ، ويقروا بما عند الإنسان من خير ، وبما يتمتع به المؤمنون من مقامات القرب والتواصل مع الله العزيز الحكيم .

ولم يدع الله الإنسان لعقله ؛ حتى لا يضل في متاهات الغيوب ، ويحاول البحث خارج الإطار المحدد له .

(١) سورة القيامة الآيتان : ٢٣، ٢٢ .

إن الإنسان لا يعيش وحده في هذا العالم ، فهو يدرك المحسوسات ، ويفهم المعقولات ، ولا يدرك ما سوى ذلك .

إنه لا يدرك شيئاً عن الملائكة التي تعيش معه ، فمنهم الرقيب العتيد ، والحفظة ، والسيارون ، والذين يتعاقبون للناس قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ... ولولا الله تعالى ما علم الإنسان عنها شيئاً .

ولولا الله تعالى لما علم الغافل فضل الوقت ، وفضل المكان ، وفضل الأعمال ، والحمد لله فقد علم الله الإنسان ما لم يعلم ، وعرفه بوسائل النجاة والفوز .

فروية الله تعالى في الآخرة تكون لمن حافظ على العبادات ، وأقام الصلوات ، وصلى البردين (الصبح والعصر) في أول وقتها ، وسعى إلى أوقات الخير والفضل ، ومنها صلاة الصبح ؛ حيث توزع الأرزاق ، وصلاة العصر حيث ترفع الأعمال .

ومن هذا المنطلق يجب على المكلف أن يبحث عن مراد الله في كل عمل فيؤدي ما أمر به ، وينتهي عما نهى عنه ... وبذلك يكون عبدا شكورا .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أن الملائكة تنزل عند الفجر وعند العصر ، ويصعدون إلى الله تعالى بعد الفجر ، ويشهدون للمؤمنين عند ربهم .
وتحت الأحاديث المؤمنين على المحافظة على هاتين الصلاتين لما فيهما من بركة ليحوزوا شهادة الملائكة ، ويفوزوا برضوان الله والجنة .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز ... أهمها :-

الركيزة الأولى

بيان فضل الله تعالى على العباد

خلق الله الإنسان وأكرمه بالفهم والعقل والإدراك ، وأرسل له الرسل مبشرين ومنذرين ، وبلغ دينه ورسالته ، ووضع أمام محجة بيضاء توضح الطريق المستقيم ، وتبين له مهاوى الضياع و الفساد ، وهذا من فضل الله عليه .
ومن فضل الله على الإنسان ، أن عرفه بكثير من الغيوب التي لا يستطيع الوصول إليها بعقله .

فعرفه بالملائكة التي تلازمه ، وتتعاقب عليه ، وحذره من شياطين الإنس والجن ، وحدد له الأعمال الفاضلة التي توصله إلى الخيرات كلها .
إن من فضل الله تعالى على الإنسان أن خاطب عقله في حدود طاقته ، وجعله منطلقا للإيمان بالقضايا الخارجة عن نطاقه .

والمأمول أن يقف المؤمنون عند حدود الله ، ويعلموا أنها السبيل للفوز والفلاح في الدنيا والآخرة ... والله ذو الفضل العظيم .

الركيزة الثانية

دور الملائكة مع الناس

الملائكة خلق من خلق الله تعالى ، ميزهم الله بمزايا خاصة بهم ، فهم يسكنون السماء ، ويتجولون في الأرض ، ويعيشون مع الناس ، لتنفيذ ما أمرهم الله تعالى به

وأحاديث الباب تبين أنهم ينزلون إلى الناس بالليل والنهار ، ويتعاقبون في النزول والعروج ، ويشهدون للناس بالخير ... والعاقل من تعرض

لشهادتهم بالصالحات فيحافظ على الصلوات ، ويجعل أحواله كلها في ذكر الله وطاعته سبحانه .

إن الملائكة شهود على الناس في الدنيا ، وفي يوم القيامة ، وخير الناس من تعينه الملائكة وتشهد له ، وذلك يحتاج إلى إزالة العوائق بين الإنسان وبين شهادة الملائكة ، كالنوم والغفلة عن ذكر الله تعالى ، والاشتغال بما لا يفيد ، والتسويق في الطاعة ، والتكامل في القيام بالعبادات وغيرها من الطاعات .

إن الشيطان قد يئس من أن يتخذه المسلمون إلهًا ، من دون الله تعالى ؛ ولذلك فقد رضي بصرف المسلمين عن عبادة الله شيئًا فشيئًا ، وهو مستمر في محاولاته ، حتى يصرف المسلم عن الطاعة ، ويغرقه في المعاصي و الشهوات .

ولذلك تحثنا أحاديث الباب على بذل الجهد في التخلص من المعوقات الصارفة عن الطاعة وذكر الله تعالى ؛ لأن ذلك شرط في الفوز برؤية الله تعالى يوم القيامة .

إن التكاليف قائمة على المشقة، وللإنسان في نفسه وحوله ملائكة أخيار، وجن أشرار، وعليه أن ينتصر لدعاة الخير ونداءات الملائكة ، ويبتعد عن غوايات الشيطان ودعوات إبليس ، عسى أن ينال فضل الله العفو الغفور .

الركيزة الثالثة **الإنسان بين اليقظة الواجبة** **والغفلة الطارئة**

يعجب العقل من طبيعة الإنسان المزدوجة ، فقد جمع الله تعالى فيها صفات الخير والشر، ففي قلبه الحب والكراهية ، وفي عمله الإصلاح

والإفساد ، وفي خلقه التعاون والمقاطعة ، والإقبال والإدبار ، والنشاط والكسل ، وهذه الازدواجية في الإنسان من عجائب القدرة ، وأساسيات الابتلاء والاختبار ...

إن الإنسان يملك قوة اليقظة والحركة ، ويملك الميل إلى السكون والغفلة ، ويدفع الروح والعقل إلى الميل إلى هذا أو ذاك ، وبذلك يحاسب ويجزي ، إن عوامل اليقظة في الإنسان ، التذكر الدائم لنعم الله تعالى ، والإقرار بفضلله ، والحرص على طاعته في كل ما أمر به أو نهى عنه ، ومدارسة تعاليم الوحي ؛ لتبقى نبراسا وهاجا أمامه ليسير على هديه ، ويطيع ربه به ، ويبتعد عن كل صارف يبعده عن طاعة الله تعالى ...

وأحاديث الباب تحببه في المحافظة على هذه العوامل ، وتدعوه إلى الحرص عليها لتراه الملائكة في حالة الإنسان الصالح ، وتشهد له عند الله تعالى حين يسألهم عنه ، وليتمتع برؤية الله يوم القيامة ، وينعم بالدرجات العلا والنعيم المقيم .

وفي النفس البشرية عوامل الغفلة كذلك فالشيطان يجري في دمه ، ويمكنه غوايته وخداعه ، وأمامه شهوات ومغريات ، وفيه النفس الأمارة بالسوء ، وأحاديث الباب تحذره من عوامل الغفلة ، وتدعوه إلى الصلاة في وقتها ، فهي أقوى طارد للغفلة وعواملها .

إن الإنسان في الدنيا يعيش بين عديد من العوامل ، وله ان يختار لنفسه يقول ﷺ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ۖ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۖ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ۖ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۖ ﴿٤١﴾ ﴾

(١) سورة النازعات الآيات : ٤١:٣٧ .

وواجب الدعاة المخلصين والعلماء العاملين بيان حقيقة الوجود ،
وتوضيح ما فيه من خير وشر ، وجنود كل منهما ، والعوامل التي يتكئ
عليها كل فريق ، ومساعدة الإنسان في الاختيار ؛ ليتخلص من هواجس
النفس ، ونزعات الشيطان ، ويحيا بنور الله ، ويعمل بهديه وشريعته ،
وفي ذلك فليتنافس المتنافسون

الركيزة الرابعة من فنون الدعوة

تتضمن أحاديث الباب عددا من فنون الدعوة إلى الله تعالى وأهمها:-

١- الإقرار بوجود الملائكة :

الملائكة خلق من خلق الله تعالى أوجدهم من نور ، وخصهم
بالطاعة الدائمة ، يقول الله تعالى : ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾^(١) .

وهم طوائف متعددة :

منهم : من يعرف باسمه مثل : جبريل ، وإسرافيل ، ومكائيل -
عليهم السلام .

ومنهم : من يعرف بعمله ، كالحفظة ، وحملة العرش ، وخزنة الجنة
وخزنة النار .

والأحاديث تتحدث عن نوع منهم ، وهم الذين يتعاقبون في الناس
عند الفجر وعند العصر ، والإيمان بالملائكة على الإجمال والتفصيل
ركن من أركان الإيمان .

(١) سورة التحريم الآية : ٦ .

٢ - إثبات بعض مشاهد الآخرة :

الآخرة حق وكل ما فيها حق ، وقد بينت أحاديث الباب دخول الجنة ، ورؤية الله تعالى للمؤمنين الذين حافظوا على صلواتهم ، وعلى صلاتي الفجر والعصر .

٣ - البيان سبيل للدعوة :

اشتملت أحاديث الباب على ألوان عدة للبيان ، ففيها تشبيه رؤية الله تعالى في الظهور والجلاء برؤية القمر ليلة البدر ... وفيها المجاز بجعل الأمر بالفعل (فافعلوا) بمعنى فأقيموا الصلاة ، وفيه الاكتفاء بتسمية الصلاة بوقتها ، أو بحالة وقتها ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ ^(١) .

وتسمية الصباح والعصر بـ(البردين) ، والتعبير بدخول الجنة بصيغة الماضي (دخل) لتأكيد الوقوع بدل المضارع .

١ - الترغيب في الدعوة إلى الله تعالى :

تشتمل أحاديث الباب على صور عدة للترغيب ، حيث جعل الله تعالى أداء صلاتي الفجر والعصر سببا لرؤيته ودخول الجنة .

٢ - خطاب اللين في الدعوة

جاء الحسن في الخطاب جليا في أحاديث الباب ، فقد قدم الحديث الأول النتيجة عن أسبابها ، وطلب الأداء على قدر الطاقة والرغبة .
وفي الحديث الثاني جاء التفصيل في نزول الملائكة وشهاداتهم ، وعطفهم .

(١) سورة ق الآية : ٣٩ .

وفي الحديث الثالث : جعل دخول الجنة لمن حافظ على البردين على أسلوب الفعل و الجزاء .
وعلى الدعاة :
أن يمتثلوا هذه الفنون ويقدموها للمدعوين في خطبهم ، وأحاديثهم ، وخطاباتهم ، والله الموفق .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد أحاديث الباب

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية :

(١) الإنسان ليس وحده في هذه الحياة فمعه مخلوقات عديدة ، مغيبة عنه ، ومنها الملائكة بطوائفهم وأنواعهم ، والجن بأصنافهم ، والهوام على كثرتها .

(٢) لا يرتقي الإنسان إلا بطاعة الله تعالى ، والاستقامة على نهجه سبحانه وتعالى ، ولا تطمئن نفسه إلا بالتعلق بمن خلقها ، وبالله الذي رحمها في وجودها ، وحين ترجع إليه ، ويناديها دون غيرها ويقول لها سبحانه : ﴿ يٰأَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (١) 》 .

(٣) العبادات المشروعة المحددة أعلى الطاعات وأكثرها ثوابا ، فمن يؤديها ويحافظ عليها يكون على غيرها أحرص ، وأقوى ، ولذلك دار السؤال والجواب حولها.

(٤) أعظم الصلاة صلاة الصبح والعصر ، وأشرف الأوقات وقتها ،

(١) سورة الفجر الآيات : ٢٧:٣٠ .

ففيهما تجتمع طائفتان من الملائكة ، وفي غيرهما تحضر طائفة واحدة فقط .

(٥) في أحاديث الباب بيان شرف الأمة ، وشرف رسولها ﷺ على غيرها من الأمم و الرسل ، حين نزول الملائكة لهم ، وتعطفهم عليهم ، وإيصال الوحي المربي لهم عن طريق رسول الله الأمين محمد عليه الصلاة و السلام .

(٦) في أحاديث الباب إخبار الناس بالغيب ، ونزول الملائكة ليضبطوا أحوالهم ، ويحافظوا على أداء الأوامر ، وتجنب النواهي ، و الفرح في هذه الأوقات بقدم الملائكة ، وضرورة التهيئة الحسنة لاستقبالهم .

(٧) حياة المسلم تدوم بين السعادة والرضى ، لأن الله تعالى يسأل عنا ، ويدفع ملائكته لتعطف علينا ، وإعانتنا ، وحتى تجيب الملائكة بالطاعات التي يشاهدونها فيها .

(٨) الإرشاد بحب الملائكة للمؤمنين ، وتركيتهم ، وهذا يوجب على كل مؤمن حبهم ، والتقرب إلى الله تعالى بذلك .

(٩) ثبوت رؤية الله تعالى في الآخرة ، وثبوت كلام الله للملائكة في الدنيا .

(١٠) حاجة العبد الدائمة إلى الإرشاد والتوجيه والدعوة .

- ٣٥ -

٣٨- باب بيان أن أول وقت المغرب

عند غروب الشمس

[٣٧٠]، (١) حديث سلمة رضي الله عنه قال : كُنَّا نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الْمَغْرِبَ إِذَا

تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ^(١) . ٥٦١

[٣٧١]، (٢) حديث رافع بن خديج رضي الله عنه قال : كُنَّا نُصَلِّي الْمَغْرِبَ مَعَ النَّبِيِّ

ﷺ فَيَنْصَرِفُ أَحَدُنَا وَإِنَّهُ لَيُبْصِرُ مَوَاقِعَ نَبْلِهِ ^(٢) ٥٥٩

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب استحباب سرعة أداء صلاة المغرب في أول

وقتها اقتداء برسول الله ﷺ .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

اشتمل الباب على حديثين يبينان استحباب المبادرة إلى أداء صلاة

المغرب في أول وقتها ، كما هي سنة النبي ﷺ في كافة الصلوات ، ما

عدا ما ثبت فيها خلاف ، ذلك كالإبراد بالظهر عند شدة الحر ، وتأخير

العشاء إذا أبطأ الصحابة في الحضور .

ففي الحديث الأول : يقول الصحابي سلمة بن الأكوع رضي الله عنه : (كُنَّا

نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الْمَغْرِبَ إِذَا تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ) أي كان النبي ﷺ يبادر

(١) أخرجه البخاري في : ٩ كتاب مواقيت الصلاة : ١٨ باب وقت المغرب .

(٢) أخرجه البخاري في : ٩ كتاب مواقيت الصلاة : ١٨ باب وقت المغرب .

إلى صلاة المغرب عند دخول وقتها بعد غروب الشمس مباشرة ، واختفائها وراء الأفق ، كفتاة تخفى وجهها بحجابها ، وقد شبه رسول الله ﷺ اختفاء الشمس باختفاء وجه المحجبة خلف حجابها ، بجامع اختفاء الوجه وحده ، وبقاء المرء على حاله ، ولم يذكر الحديث المشبه وهو اختفاء الشمس اعتمادا على قرينة المغرب .

وفي رواية أخرى للحديث : (كان النبي ﷺ يصلي المغرب ساعة تغرب الشمس إذا غاب حاجبها) ^(١) ، والمراد حاجبها الذي يبقى بعد أن يغيب أكثرها .

وهذا الحديث من ثلاثيات الإمام البخاري ، فهو عالي الإسناد ، فقد حدث البخاري به عن المكي بن إبراهيم ، عن يزيد بن حميد ، عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه .

وفي الحديث الثاني : يقول رافع بن خديج رضي الله عنه : (كُنَّا نُصَلِّي الْمَغْرِبَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَيُنْصَرِفُ أَحَدُنَا وَإِنَّهُ لَيُبْصِرُ مَوَاقِعَ نَبْلِهِ) أي كنا نبادر مع النبي ﷺ فنصلي المغرب بعد غروب الشمس مباشرة ، حتى إن احدا ينصرف من الصلاة ، ويرمي سهمه فيرى موقع سقوط السهم أو النبل ؛ لبقاء ضوء الشمس في الأفق .

والنبل هي السهام العربية ، وهي مؤنثة لا واحد لها من لفظها ، وتقرأ مشددة النون مفتوحة ، بعد " أل " الشمسية ، ويقتضي الحديث المبادرة إلى صلاة المغرب ، ويوضحه ما جاء في قوله ﷺ : (كُنَّا نُصَلِّي

(١) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب وقت المغرب ، حديث رقم : ٣٥٧ .

مع رسول الله ﷺ المغرب ، ثم ننصرف فنترامى حتى نأتي ديارنا فما يخفى علينا مواقع سهامنا (١) .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

توضح أحاديث الباب سنة الرسول ﷺ في إقامة الصلاة إماما بأصحابه ، والمبادرة إلى صلاة المغرب في أول الوقت ، ما لم يحدث عذر أو يوجد سبب يؤدي إلى تأخيرها .
وما أعظم أصحاب النبي ﷺ وهم يلتزمون بالأداء ، كما رأوا رسولهم ﷺ يؤدي مراعين الوقت والكيفية .

وما أحسن ما فعل الصحابة وهم يروون أحوال النبي ﷺ وعاداته في أداء العبادات ، وحسن التعامل حتى سارت منهاجاً للمسلمين من بعدهم إلى يوم القيامة .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب سنة النبي ﷺ في أداء صلاة المغرب ، فلقد كان ﷺ يبادر إلى أداء صلاة المغرب في أول وقتها بعد غروب الشمس ونور النهار ما يزال باقيا ، حتى أنهم كانوا يترامون بالسهام ، فيرى كل منهم موقع سهمه من النور ، ولم يزد غروب الشمس عن اختفائها فقط ، مثل فتاة غطت وجهها بالحجاب فقط ، فلم يرغب عن الناس إلا وجهها فقط .

(١) مسند أحمد بن حنبل ، مسند المدنيين ، حديث رقم : ١٦١١٩ .

- ه -

ركائز الدعوة في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب ركيزة هامة هي :-

أهمية البلاغ المبين للإسلام

الدعوة إلى الإسلام واجبة على الأمة كلها ، وعلى العلماء والدعاة على وجه الخصوص ، وقد قام السلف الصالح بهذا الواجب ، مستفيدين بما تعلموه من القرآن الكريم ، ومن سنة رسول الله ﷺ .

وعلى نمط قيام السلف بهذا الواجب يجب على المسلمين في سائر العصور أن يبلغوا دعوة الله إلى الناس .

وتبليغ دعوة الله تعالى للناس يحتاج إلى الدعائم التالية :-

أولاً : قيام الدعاة والعلماء بهذا الواجب ضرورة للوفاء به ؛ لأنهم الفاهمون لدين الله تعالى ، والقادرون على تبليغه على الوجه الصحيح ، فيشرحون غموضه ، ويجلون حقيقته ، ويردون عنه مغالاة المغالين ، وكيد الخصوم ، وزيف المشككين .

ثانياً : عرض الإسلام بكافة أساليب الخطاب الممكنة ، واستعمال جميع الوسائل التي اخترعها العصر ، واتباع النظريات العديدة في الاتصال .

ثالثاً : تربية جيل من الدعاة ، وتنشئتهم على مباشرة فن الدعوة ، والتمكين العلمي الذي يساعدهم على مخاطبة العقل ، وإرضاء العواطف ، وشد الروح و الوجدان للعمل بدين الله تعالى .

وأحاديث الباب تدل على هذا الجانب الدعوي الهام ، فرواة الحديث من الصحابة يرون سنة الرسول ﷺ في أداء الصلاة بلا أمر أو طلب

ليعمل بها الناس ، فهم يحبون رسول الله ﷺ ويحبون كل ما أثر عنه ، فهو الدين الذي ارتضاه الله للناس ...وقد عرض الرواة هذه السنة بأساليب البيان الذي يوضح المعنى ، ويظهر مناط الواجب المقصود حيث يشبه الحديث الأول : غياب الشمس عند الغروب بفتاة غطت وجهها بحجاب ، لم يمنع منها إلا الوجه فقط ، وهذا التشبيه يعني أن النبي ﷺ والمسلمين معه كانوا يصلون المغرب وضوء الشمس موجود ، والشفق الأحمر لم يأت بعد، وكانوا لا يطيلون صلاتها.

ويوضح الحديث الثاني هذه العادة أيضا ، بما كان يفعله الصحابة بعد الصلاة ، فإنهم كانوا يرمون السهام حول دورهم ، وكان الرامي يرى موضع سقوط سهمه الذي رماه ، وهذا يعني بقاء ضوء النهار بعد الانتهاء من صلاة المغرب ، وهذا من بيان الدعوة إلى الله تعالى .

وعلى الدعاة :

أن يعلموا أن قيامهم بالدعوة فن له أسسه ومبادئه ، فهو تبليغ مجموعة من الحقائق للناس التي لا بد لهم من العلم بها ، وفهم الأساليب والوسائل التي تحملها ، وتوصلها إلى الناس في بهاء ، وحسن ، وجمال ، وهذا مستفاد من أحاديث الباب ومن قوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ

بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بَأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (١)

إن الإسلام يحتاج اليوم إلى دعاة ، متميزين بالصدق والإخلاص ، فهو اعدل قضية في هذا الوجود ، ويحتاج إلى من يوصله إلى الناس ،

(١) سورة النحل الآية : ١٢٥.

ويظهر جماله وعدله ، ويبرزه للمدعوين منهاجا يحقق الخير ، وينشر السلام ، ويكرم الإنسان بتحقيق العبودية للخالق العظيم سبحانه وتعالى .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد أحاديث الباب

- (١) من السنة المبادرة إلى أداء الصلوات في أول وقتها بصورة عامة ، وصلاة المغرب بصورة خاصة .
- (٢) استخدام أساليب البيان في تجلية المعنى ، وإظهار المطلوب من فنون الدعوة الواجب استخدامها في التبليغ .
- (٣) جواز اللعب برمي النبل والسهام ، بعد الانتهاء من الواجبات المقررة شرعا .
- (٤) السنة النبوية تشمل أقوال النبي ﷺ وأفعاله ، وأحواله، وعاداته ، فهو ﷺ في كيانه كله دين يُتبع ، وشرع يُطبق .
- (٥) السنة النبوية بيان للقرآن الكريم، وهما معا يقدمان الإسلام للناس .
- (٦) تَلَقَّى المسلمون الإسلام من رسول الله ﷺ نظريا وعمليا ، ونقلوه لمن وراءهم بنفس المنهج لأنه الأنفع والأصلح .

- ٣٦ -

٣٩ - باب وقت العشاء وتأخيرها

حديث عائشة ل قالت: أَعْتَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً بِالْعِشَاءِ (١)، [٣٧٢]

، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَفْشُو الْإِسْلَامُ، فَلَمْ يَخْرُجْ حَتَّى قَالَ عُمَرُ ؓ : نَامَ النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانُ. فَخَرَجَ ﷺ فَقَالَ لِأَهْلِ الْمَسْجِدِ: ٥٦٦

مَا يَنْتَظِرُهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ غَيْرُكُمْ (١) .

حديث عبد الله بن عمر م أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَغِلَ عَنْهَا (٢)، [٣٧٣]

لَيْلَةً ، فَأَخْرَهَا حَتَّى رَقَدْنَا فِي الْمَسْجِدِ ، ثُمَّ اسْتَيْقَظْنَا، ثُمَّ رَقَدْنَا ٥٧٠
ثُمَّ اسْتَيْقَظْنَا، ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ
أَهْلِ الْأَرْضِ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ غَيْرُكُمْ (٢)

حديث أنسٍ ؓ قَالَ حُمَيْدٌ : سَأَلَ أَنَسُ ؓ هَلِ اتَّخَذَ النَّبِيُّ (٣)، [٣٧٤]

خَاتَمًا ؟ ٥٥٣٩

قَالَ أَنَسُ ؓ : أَخَّرَ النَّبِيُّ ﷺ لَيْلَةَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ إِلَى شَطْرِ
اللَّيْلِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَبِصِ خَاتَمِهِ ،
ثُمَّ قَالَ ﷺ : إِنَّ النَّاسَ قَدْ صَلَّوْا وَنَامُوا وَإِنَّكُمْ لَمْ تَزَلُوا فِي
صَلَاةٍ مَا أَنْتَظِرْتُمُوهَا (٣) .

(١) أخرجه البخاري في: ٩ كتاب المواقيت ٢٢ فضل العشاء، وللحديث روايات أخرى في صحيح البخاري تحت رقم: ٥٦٩ ، ٧٦٢ ، ٨٦٤ .

(٢) أخرجه البخاري في: ٩ كتاب مواقيت الصلاة: ٢٤ باب النوم قبل العشاء لمن غلب

(٣) أخرجه البخاري في: ٧٧ كتاب اللباس: ٤٨ باب فص الخاتم

[٣٧٥]، (٤)

٥٦٧

حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: كُنْتُ أَنَا وَأَصْحَابِي الَّذِينَ قَدِمُوا
مَعِيَ فِي السَّفِينَةِ نَزُولًا فِي بَقِيعِ بَطْحَانَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ
فَكَانَ يَتَنَاقَبُ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ كُلَّ لَيْلَةٍ نَفَرٌ
مِنْهُمْ.

فَوَافَقْنَا النَّبِيَّ ﷺ أَنَا وَأَصْحَابِي، وَلَهُ بَعْضُ الشُّغْلِ فِي
بَعْضِ أَمْرِهِ فَأَعْتَمَ بِالصَّلَاةِ حَتَّى ابْهَارَ اللَّيْلُ، ثُمَّ خَرَجَ النَّبِيُّ
ﷺ فَصَلَّى بِهِمْ.

فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ، قَالَ لِمَنْ حَضَرَهُ: عَلَى رِسْلِكُمْ، أَبْشِرُوا،
إِنَّ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يُصَلِّي هَذِهِ
السَّاعَةَ غَيْرُكُمْ.

أَوْ قَالَ: مَا صَلَّى هَذِهِ السَّاعَةَ أَحَدٌ غَيْرُكُمْ .

قَالَ أَبُو مُوسَى رضي الله عنه فَفَرَحْنَا بِمَا سَمِعْنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ^(١)

[٣٧٦]، (٥)

٥٧١

حديث ابن عباس م قال: أَعْتَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً بِالْعِشَاءِ
حَتَّى رَقَدَ النَّاسُ وَاسْتَيْقَظُوا، وَرَقَدُوا وَاسْتَيْقَظُوا، فَقَامَ عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ رضي الله عنه ، فَقَالَ: الصَّلَاةُ .

فَخَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ الْآنَ، يَفْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً،
وَاضِعًا يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ فَقَالَ: لَوْلَا أَنِ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي
لَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُصَلُّوهَا هَكَذَا .

قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ الرَّائِي عَنْ عَطَاءِ الرَّائِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ م

(١) أخرجه البخاري في: ٩ كتاب مواقيت الصلاة: ٢٢ باب فضل العشاء

فَاسْتَنْبَتُ عَطَاءَ كَيْفَ وَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى رَأْسِهِ يَدَهُ كَمَا
أَنْبَأَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ .

فَبَدَّدَ لِي عَطَاءٌ بَيْنَ أَصَابِعِهِ شَيْئًا مِنْ تَبْدِيدٍ، ثُمَّ وَضَعَ
أَطْرَافَ أَصَابِعِهِ عَلَى قَرْنِ الرَّأْسِ ثُمَّ ضَمَّهَا، يُمِرُّهَا كَذَلِكَ
عَلَى الرَّأْسِ حَتَّى مَسَّتْ إِبْهَامُهُ طَرَفَ الْأُذُنِ مِمَّا يَلِي الْوَجْهَ
عَلَى الصُّدْغِ وَنَاحِيَةِ اللَّحْيَةِ، لَا يُقْصَرُ وَلَا يَنْبُشُ إِلَّا كَذَلِكَ،
وَقَالَ: لَوْلَا أَنَّ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرَتُهُمْ أَنْ يُصَلُّوهَا هَكَذَا (١)

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب حكم تأخير صلاة العشاء إلى شطر الليل ،
وتوضح أن ذلك جائز ، وقد فعله النبي ﷺ أحياناً ؛ لتعليم المسلمين
مايجوز ، وما لا يجوز في بعض أحكام الصلاة .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يتضمن الباب خمسة أحاديث ، تتناول موضوع تأخير النبي ﷺ
صلاة العشاء إلى آخر الوقت المختار ، على خلاف عادته ﷺ ؛ ليبين
لأصحابه جواز تأخير صلاة العشاء ، عند وجود عذر يدعو إلى هذا
التأخير .

وتأتي الأحاديث في قالب قصصي موجز ، لإيضاح المعنى ،
وبسر الحفظ ، وإمكانية الاتباع عند وجود الداعي للتأخير .

(١) أخرجه البخاري في: ٩ كتاب مواقيت الصلاة ٢٤ باب النوم قبل العشاء لمن غلب ،

وللحديث روايات أخرى في البخاري تحت رقم : ٧٢٣٩ .

ففي الحديث الأول : تقول السيدة عائشة **ل** : (**أَعْتَمَ رَسُولُ اللَّهِ**

ﷺ لَيْلَةً بِالْعِشَاءِ) ، أي : تأخر رسول الله **ﷺ** عن صلاة العشاء ليلة ، وأداها عند منتصف الليل بعد أن اعتم الناس .

ومعنى (**أَعْتَمَ**) أي آخر الصلاة إلى العتمة ، وهي وقت اشتداد ظلام الليل عند منتصفه ، (**وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَفْشُوَ الْإِسْلَامُ**) أي حدث ذلك التأخير في صلاة العشاء ، قبل أن ينتشر الإسلام ، في غير المدينة ؛ لأن الإسلام انتشر في المدينة المنورة بعد الهجرة ، وظل بها إلى صلح الحديبية ، ففشا في العالم كله ، وهذا يبين أن التأخير المذكور كان قبل فتح مكة .

(**فَلَمْ يَخْرُجْ**) النبي **ﷺ** من بيته (**حَتَّى**) ناداه عمر بن الخطاب **ﷺ** و (**قَالَ**) له : صل الصلاة حتى لا يفوت وقتها ، لقد (**نَامَ النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانُ**) ، وهم ضعفاء الناس ، المستحقون للشفقة والمساعدة ، وذكرهم عمر **ﷺ** ، لأنهم مظنة قلة الصبر ويحبون النوم مبكرين ، وهذا ما دعا عمر **ﷺ** للتعجل في الصلاة .

وفي ذكر (**النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانُ**) وحدهم إشارة إلى أن الذين ناموا هم بعض الحاضرين لا جميعهم ، ونسبة النوم إلى جميعهم مجاز .

(**فَخَرَجَ**) النبي **ﷺ** من بيته إلى المنتظرين ، (**فَقَالَ لِأَهْلِ**

الْمَسْجِدِ) أي المنتظرين الصلاة في المسجد (**مَا يَنْتَظَرُهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ غَيْرِكُمْ**) وهذا مفهوم عقلي ؛ لأن الإسلام لم يخرج يومئذ من المدينة ، وليس في الأديان الأخرى صلاة للعشاء .

ففي قوله ﷺ بيان للواقع ، وإظهار فضيلة صلاتهم ، وانتظارهم ، فقد

خصهم الله تعالى بهذه المزية فانفردوا بها .

وفي الحديث الثاني : يؤكد عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما

- (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شُغِلَ عَنْهَا لَيْلَةً) ، أي : أنه ﷺ شغل عن صلاة

العشاء ذات ليلة ، في تجهيز الجيوش ، وإعداد السرايا ، ورعاية مصالح المسلمين ، (فَأَخْرَجَهَا) ، أي آخر أداء صلاة العشاء ، بسبب انشغاله بإعداد العدة ، وتجهيز الجيش ، وانتظر المصلون في المسجد خروج رسول الله ﷺ ، وطال انتظارهم ، حتى نام بعضهم

يقول ابن عمر م : (حَتَّى رَقَدْنَا فِي الْمَسْجِدِ ، ثُمَّ اسْتَيْقَظْنَا ، ثُمَّ رَقَدْنَا ، ثُمَّ اسْتَيْقَظْنَا ، ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ : لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ غَيْرُكُمْ) ، أي أنهم انتظروا طويلا ، تكرر فيه نومهم ، كما تكررت يقظتهم ، وقد خرج الرسول ﷺ إليهم ، وبشرهم بانتظارهم للصلاة ، فقد ميزهم الله تعالى بالإسلام ، وأكثر لهم الثواب ، فجعل انتظارهم للصلاة مثوبة لهم خاصة ، فلا أحد من أهل الأرض على دين الإسلام غيرهم ، ولم ينتظر صلاة العشاء الليلة سواهم ، لأن الإسلام لم يخرج من المدينة بعد .

والحديث الثاني يبين أن رسول الله ﷺ شغل عن الصلاة لعذر ،

يعود على مصالح الناس ، وأن المسلمين الذين كانوا في المسجد نالوا ثوابا حسنا ، فهم في صلاة ما انتظروا الصلاة ، وسبقوا بهذا الانتظار سائر الناس ، فليس في الأرض كلها من ينتظر الصلاة مثلهم .

وفي الحديث الثالث : يبدأ بسؤال حميد ؓ لأنس ؓ إذ قال له :

(هَلِ اتَّخَذَ النَّبِيُّ ﷺ خَاتَمًا) ؟ والسؤال حقيقي ، يريد به حميد ﷺ معرفة اتخاذ رسول الله ﷺ خاتما ، فيجيبه انس ﷺ بقصة تبين له تأخير النبي ﷺ صلاة العشاء إلى آخر الوقت المختار ، ثم يحدثه عن بريق خاتم النبي ﷺ الذي كان يلبسه في خنصر يده اليسرى ، وقد أورد انس ﷺ السؤال والجواب ، ليؤكد أنه جالس النبي ﷺ ، وأنه سمع منه ، وأنه صادق فيما يرويه عنه ...

وأنس ﷺ في هذا الحديث ، يحدث أن رسول الله ﷺ (أَخَّرَ لَيْلَةً صَلَاةَ الْعِشَاءِ إِلَى شَطْرِ اللَّيْلِ) ، أي قريبا من نصفه ، ثم صلاها ، فلما انتهى من صلاته (أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَكَانِي أَنْظُرُ إِلَى وَبَيْصِ خَاتَمِهِ) أي استدار في جلسته ، وأقبل علينا بوجهه حتى رأيت وبيض الخاتم .
والوبيص : هو بريق لمعان الخاتم الذي كان يلبسه ﷺ في خنصر يده اليسرى ، ثم (قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنَّ النَّاسَ قَدْ صَلَّوْا وَنَامُوا وَإِنْكُمْ لَمْ تَزَالُوا فِي صَلَاةٍ مَا أَنْتَظَرْتُمُوهَا) ، فخفف ﷺ بإجابته ثقل انتظارهم ، وعرفهم ما جنوا من مثوبة ؛ لأن لهم في الانتظار ثواب المصلين ، وهم في الصلاة ما انتظروها .

وفي الحديث الرابع : يحكي أبو موسى الأشعري ﷺ ، ما كان منه وأصحابه الذين رجعوا من الحبشة إلى المدينة ، بعد الهجرة ، واشتهروا بأنهم أصحاب السفينة ، نسبة إلى السفينة التي جاعوا بها .
يقول أبو موسى ﷺ : (كُنْتُ أَنَا وَأَصْحَابِي الَّذِينَ قَدِمُوا مَعِيَ فِي السَّفِينَةِ نَزُولًا فِي بَقِيعِ بَطْحَانَ) أي جئت مع أصحابي الذين رجعوا من الحبشة ،

وركبوا البحر ، وجاءوا إلى المدينة ، ونزلوا في مكان يعرف بـ (بَقِيعِ بُطْحَانَ) بفتح الباء الأولى في (بَقِيعِ) ، وكسر القاف الممدودة ، وضم الباء الثانية في (بُطْحَانَ) ، وسكون الطاء ، وهو واد سهل بجوار المدينة ، وكان (النَّبِيُّ ﷺ) يقيم (بِالْمَدِينَةِ) بعد الهجرة ، وكان أهل هذا الوادي يتناوبون للصلاة مع النبي ﷺ ، (فَكَانَ يَتَنَاقَبُ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ نَفَرَ مِنْهُمْ) ، والنفر عدد لا يزيد عن عشرة وليس فيهم امرأة .

(فَوَافَقَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنَا وَأَصْحَابِي) أي حضرنا إلى النبي ﷺ أنا وبعض أصحابي ، لنصلي معه صلاة العشاء في أول وقتها ذات ليلة، فوجدناه مشغولا بأمور المسلمين ، كتجهيز الجيش ، وإدارة شئون الدولة الناشئة ، وهذا معنى قوله ﷺ : (وَلَهُ بَعْضُ الشُّغْلِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ) ، وهي الأعمال التي جعلته لا يبادر إلى صلاة العشاء في أول وقتها . (فَأَعْتَمَ بِالصَّلَاةِ) أي أخر الصلاة إلى العتمة وهو وقت الظلمة ، وأداها في الوقت المختار عند منتصف الليل (حَتَّى ابْهَارَ اللَّيْلِ) أي حتى اشتدت ظلمته .

وأبهار : بفتح الهمزة وسكون الباء ، وتشديد الراء بعد الهاء الممدودة، ومعناه شدة ظلام الليل ، وطلوع نجومه وتشابكها . وتأخر رسول الله ﷺ عن الصلاة ، والصحابة المنتظرون ، ومعهم ابو موسى ﷺ وأصحابه - رضوان الله عليهم .

(ثُمَّ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ) إلى الناس المنتظرين (فَصَلَّى بِهِمْ) صلاة العشاء ،

(فَلَمَّا قَضَى) النبي ﷺ (صَلَاتَهُ) أي لما أقبل على أصحابه الذين صلوا وراءه قال لهم : (عَلَى رِسْلِكُمْ) أي تأنوا في الحكم على ما وقع مني ، و(أَبْشِرُوا) بمتوبة الله تعالى لانتظاركم ، واعلموا (أَنَّ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يُصَلِّي هَذِهِ السَّاعَةَ غَيْرُكُمْ) ، أي إن من فضل الله تعالى عليكم أنه لن يحصل على ثواب الانتظار غيركم ، لأن الناس في غير المدينة لم يصلوا لأن الإسلام كان في المدينة فقط ، (أَوْ قَالَ : مَا صَلَّى هَذِهِ السَّاعَةَ أَحَدٌ غَيْرُكُمْ) أي أنتم الوحيدون على الأرض المنتظرون في المسجد للصلاة .

يقول أبو موسى الأشعري رحمه الله راوي الحديث فرجعنا من صلاتنا بالمدينة إلى بقيع بطحان (فَفَرَحْنَا بِمَا سَمِعْنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) أي وسررنا بما بشرنا به رسول الله ﷺ ؛ لأن ما عند الله خير وأبقى ، و المتوبة هي مقصدنا وغايتنا ، ورحمة ربك خير مما يجمعون .

وفي الحديث الخامس : يقول ابن عباس **م** : (أَعْتَمَ رَسُولُ اللَّهِ

ﷺ لَيْلَةً بِالْعِشَاءِ) أي : أخر النبي ﷺ أداء صلاة العشاء حتى نزل الظلام وجاء وقت العتمة .

(حَتَّى رَقَدَ النَّاسُ وَاسْتَيْقَظُوا ، وَرَقَدُوا وَاسْتَيْقَظُوا) الألف واللام في قوله (النَّاسُ) للعهد ، وهم الضعفاء من النساء والولدان ، وقد طال بهم الوقت فناموا واستيقظوا أكثر من مرة ...

وظن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ نسي الصلاة ، أو غفل

عنها (فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه) مناديا : (الصَّلَاةُ) ، والصلاة منصوبة بمحذوف تقديره ، صل الصلاة .

يقول ابن عمر **م** (فَخَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم) من بيته ، فنظرت إليه ورأيت (كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ الْآنَ) ، لحضور صورته في ذهني ، وهو خارج من بيته أمامي ، كما رأيته صلى الله عليه وسلم (يَفْطُرُ رَأْسَهُ مَاءً ، وَاضِعًا يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ) ، وكأنه صلى الله عليه وسلم كان قد اغتسل قبل أن يخرج إلينا ، لأن رأسه صلى الله عليه وسلم كانت تقطر ماء .

(فَقَالَ) صلى الله عليه وسلم عندما وصل إلينا في مكان الصلاة : (لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمْتِي لَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُصَلُّوْهَا) أي العشاء (هَكَذَا) ، أي يؤخروا القيام بها إلى منتصف الليل عند العتمة كما تأخرت الآن .

يقول ابن جرير رضي الله عنه لشيخه عطاء بن أبي رباح رضي الله عنه ، الذي نقل الحديث إليه عن ابن عباس **م** : (فَاسْتَنْبَتُ عَطَاءً) رضي الله عنه أي سألت ابن جرير رضي الله عنه عطاء رضي الله عنه عن صحة الخبر وقال له : (كَيْفَ وَضَعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَى رَأْسِهِ يَدَهُ كَمَا أَنْبَأَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ) ؟ والسؤال حقيقي ، فهو يصدق الحديث ، ويريد أن يعرف الكيفية من عطاء ابن أبي يسار رضي الله عنه ، وهو الذي روى الحديث له كما أنبأه ابن عباس **م** ، فشرح عطاء لابن جرير الكيفية ، يقول ابن جرير : (فَبَدَّدَ لِي عَطَاءٌ بَيْنَ أَصَابِعِهِ شَيْئًا مِنْ تَبْدِيدِ) ، أي فرق بين أصابعه قليلا ، (ثُمَّ وَضَعَ أَطْرَافَ أَصَابِعِهِ عَلَى قَرْنِ الرَّأْسِ) أي وضع النبي صلى الله عليه وسلم أطراف أصابعه على قمة رأسه ، ثم أخذ يحركها ، وينزل بها إلى الأذنين ، فوضع أطراف أصابع اليد اليمنى على الجانب

الأيمن ، وأطراف أصابع اليد اليسرى على الجانب الأيسر .
(ثُمَّ ضَمَّهَا ، يُمِرُّهَا كَذَلِكَ عَلَى الرَّأْسِ) أي وضع رسول الله ﷺ أصابع يديه مفرقة على جانبي رأسه ، ثم أخذ يضمها ، ويفتحها ، ويمررها إلى أذنيه وبحركها من الخلف إلى الأمام ، ومن الأعلى للأدنى . (حَتَّى مَسَّتْ إِبْهَامَهُ طَرَفَ الْأُذُنِ مِمَّا يَلِي الْوَجْهَ عَلَى الصَّدْغِ وَنَاحِيَةِ اللَّحْيَةِ) أي نزل بأصابعه التي يدلك بها شعر رأسه حتى صارت عند الصدغ واللحية ، وهو ، (لَا يُقَصِّرُ وَلَا يَبْطِشُ) أي أخذ ﷺ يحرك أصابع يده على النحو المذكور بهدوء وأناة ، لا يبطئ ولا يستعجل ، (إِلَّا كَذَلِكَ) إلا على الصورة الحانية الهادئة المشار إليها .

(وَقَالَ) ﷺ بعد أن عصر شعر رأسه ، وجفف الماء : (لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرَتُهُمْ أَنْ يُصَلُّوْهَا هَكَذَا) أي لولا المشقة على الناس ، لأمرتهم بتأخير الصلاة إلى هذا الوقت .
(وَلَوْلَا) حرف امتناع لامتناع ، أي أن الرسول ﷺ لم يأمر بذلك ، فلم توجد مشقة .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

رسول الله ﷺ في بشريته واحد من الناس ، تعتريه الأعذار وينشغل بالقضايا الكبرى ، وقد جعل الله سبحانه وتعالى حياة رسول الله ﷺ بوتقة جامعة لسائر أعمال المسلمين ؛ ليعرف العلماء والفقهاء أحكام الأعمال من عمل رسول الله ﷺ ، ويقضوا بها في الناس ، فرسول الله ﷺ بشر يعيش كغيره ، ويصيبه ما يصيبهم ، فيسهو ، وينسى ، وينشغل ،

وبشبع ، ويجوع ، ويعتريه الغنى فيعطي ، ويأتيه الفقر فيصبر ويتحمل
إلا انه ﷺ بشر يوحى إليه بدين الله تعالى ، فيوصله للناس قولاً وعملاً .

وقد أخذ العلماء أحكام دينهم من كتاب الله تعالى ، ومن سنة نبيهم ﷺ ، واختلفوا في تفسير النص ، واجتهدوا لربط الأحكام بأدلتها ، على قدر أفهامهم ، وعلومهم ، واختلف العلماء رحمة بالأمة ، فهم لا يفارقون تعاليم الدين ، وكل اختلافهم في التفسير والتطبيق ، وبذلك يسروا تطبيق الإسلام على وجه صحيح ، وإن اختلفت صور التطبيق ؛ لأنها جميعاً مأخوذة من رسول الله ﷺ ، والكل يلتزم من الرسول ﷺ تأييداً لمذهبه .

ومن هذا المنطلق جاءت أحاديث الباب تتحدث عن ليلة غاب النبي ﷺ عن أصحابه في صلاة العشاء لانشغاله بأمور الحرب والجهاد ، حتى رقد النساء والصبية واستيقظوا ، ثم رقدوا واستيقظوا عدة مرات ، وظن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نسي صلاة العشاء وسها عنها ، فنادى بصوته وقال : (الصَّلَاة) فخرج إليهم رسول الله ﷺ وصلى بهم ، وبين لهم مثوبة انتظارهم ، وعرفهم أن المسلم في صلاة ما انتظر الصلاة ، وبشرهم بتميزهم عن سائر الناس لأنه لن يصلي في هذا الوقت أحد غيرهم ، وأن الله تعالى مطلع عليهم ، وعند الله الأمل والرجاء وتورد الأحاديث هذه الحالة من رسول الله ﷺ في صور قصصية ، تبين فعل رسول الله ﷺ مع أصحابه ، حين تأخر عنهم في صلاة العشاء ، فنقرأ قصة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ورفاقه الذين عادوا معه من الحبشة ، فقد أقاموا في أحد ضواحي المدينة ، في مكان يعرف بـ (بقيع

بطحان) ، وكانوا يتناوبون صلاة العشاء مع النبي ﷺ ، فتأخر عنهم ، وحدث ما حدث في أحاديث الباب من رسول الله ﷺ .

ونقرأ ما حدث من عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ونداء الرسول ﷺ ، ليذكره بصلاة العشاء ، فلما خرج النبي ﷺ كان الماء يقطر من رأسه لاغتساله قبل مجيئه ...

ونقرأ كيفية مسح النبي ﷺ رأسه من الماء وتجفيف شعره بيده .

ونقرأ حرص الصحابة على إثبات صدقهم في رواية الحديث، وسؤالهم عن ما خفي عليهم حتى أكد أنس رضي الله عنه لهم أنه سمع النبي ﷺ ، ورأى بريق خاتمه ، وهو يجلس أمامه ويسمع قوله ويقول ابن عباس م : فخرج إلينا رسول الله ﷺ كأني أنظر إليه الآن ، ونقرأ الكيفية التفصيلية التي مسح بها رسول الله ﷺ ، شعر رأسه بأطراف أصابعه .

إن رسول الله ﷺ هو أساس المنهج الإسلامي في كافة جوانبه ، وقد التزم أصحابه به ، ونقلوا إلينا الوحي كله ، وصوروا حياة رسول الله ﷺ بكاملها وتمامها ، عدالة وثقة .

وعاش العلماء والفقهاء والدعاة مع هذا الموروث الخالد ، وبينوا طرقا عديدة للتطبيق في إطار المنهج الديني الموروث ، ورأوا الصورة العملية الحياتية لرسول الله ﷺ مع أصحابه - رضوان الله عليهم اجمعين وأخذ الدعاة من أحاديث الباب تقدير أعذار من غاب عن واجب ، ولهم أن يسألوه عن عذره ، وأن يؤمنوا بأن المسلم أخ المسلم ، ينصحه ،

ويذكره ، ويعظه ، وأن اختلاف العلماء المسلمين يقع في إطار نصوص الوحي، وأن اختلافهم رحمة بالأمة ، وأن حياة النبي ﷺ مدرسة شاملة لكل أحكام الناس ، فمن امتثل حياة النبي ﷺ واتخذة أسوة ، فهو مطبق لوعي الله تعالى ، فالرسول ﷺ قرآن يتحرك ، كما إن القرآن الكريم هو رسول الله المدون .

وما من حادثة تقع أو أمر يجد إلا وله حكم من رسول الله ﷺ ،
إيجاباً أو سلباً ، ولا حديث عن الإسلام وأحكامه بعد رسول الله ﷺ ، فهو الدين المنزل ، وهو البلاغ المبين .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أن النبي ﷺ شغله عن صلاة العشاء يوماً تدبير شئون جيش الغزو فتأخر عن أول وقت لعشاء ، فانتظره الصحابة ، ومنهم الرجال ، والنساء ، والصبيان ، ومعهم بعض أصحاب السفينة ، وظن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نسي الصلاة ، فنادى بالصلاة ، فخرج رسول الله ﷺ إليهم والماء يقطر من رأسه ، فجففه بيده ، وتوضأ الذين ناموا ، وصلى بهم رسول الله ﷺ ، وعرفهم بمتوبة الله تعالى التي نالوها بانتظارهم صلاة العشاء ، ولولا المشقة لأمر النبي ﷺ المسلمين بتأخيرها إلى شطر الليل لما فيها من خير ومتوبة .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز..... أهمها : -

الركيزة الأولى

الوحي مصدر الدين كله

نزل الوحي على رسول الله ﷺ ؛ لتوضيح الدين ، وبيانه للناس ،
وقام الرسول ﷺ بدوره ، وعلم أصحابه أن يقوموا بالدعوة إلى الإسلام ،
ويعلموها من بعدهم من المسلمين ، واستمر دين الله تعالى في الناس بينا
معلوما لا يغيب منه شيء .

وحرص الصحابة رضوان الله عليهم على التأسي برسول الله ﷺ ،
فكانوا يتناوبون على مجالسته ، والصلاة معه ، فإذا نزل قرآن حفظوه ،
وإذا آثروا منه ﷺ سنة فهموها ، وساروا على هديها ، وتوجيهاتها ،
واستمر أخذ الدين من مصدره الموحى به قرآنا وسنة وإلى ذلك يرجع
سبب نجاحهم وارتقائهم في الحياة الدنيا ، واكتفوا بالأخذ عن رسول الله ﷺ
، ولم يتصوروا مطلقا أن غير الوحي يساويه أو يقرب منه ، واستغنوا به
عن كل ما عداه وإن أتاها من الامبراطوريات الكبرى مثل الفرس أو من
الروم .

وأحاديث الباب تشير إلى هذه الحقيقة ، فلقد كان الصحابة الكرام
يحرصون على الصلاة خلف رسول الله ﷺ ، وكانوا إذا غاب ﷺ عنهم
انتظروه حتى يرجع إليهم ، وإن أصابهم أو بعضهم عنت أو مشقة صبروا
واحتسبوا .

وعلى الدعاة :

أن يعلموا الدين، ويفقهوا دين الله تعالى ، وأن يعلموه غيرهم ممن يدعون .
ولا يصح أبدا أن يهجر المسلمون شرع الله تعالى ، ويأخذوا حاجتهم من رأي الآخرين .

وعليهم : أن يعلموا المدعويين دين الله تعالى ، أخذاً من مصادره القولية والعملية ، وعليهم أن يكونوا قدوة وأسوة لغيرهم من الناس .
وأن يهتموا بما يشغل الناس ، وإن يوضحوا لهم الحقيقة ، حين تغيب عنهم ، حتى لا يغرقوا في ظنون سيئة ، وجهالة السفهاء .

الركيزة الثانية

شفقة النبي ﷺ بأمتة

تأخر النبي ﷺ عن أول وقت العشاء ، لعذر حدث له ، فنام النساء والصبيان ، ثم استيقظوا ثم ناموا ، ثم استيقظوا ثم ناموا ، ثم استيقظوا ثم ناموا ، حتى ظن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ سها عن صلاة العشاء أو عن وقتها فنادى : الصلاة الصلاة ، فجاء رسول الله ﷺ صلى في هدوء وأناة ، ... وعمل على التسرية على المصلين ، وتخفيف المشقة التي عاشوها في الانتظار ، وعرفهم بالمكاسب التي نالوها وذلك كما يلي :

أولاً : بين لهم أنهم بانتظارهم نالوا ثواب المصلين ، لأن الإنسان في صلاة ما ينتظر الصلاة ، وقال لهم : ابشروا .

ثانياً : عرفهم بأنهم بهذا التأخير تميزوا عن سائر الناس ، لأنهم صلوا العشاء في وقت لم يصلها فيه غيرهم من الناس أجمعين .

ثالثاً : بذل رسول الله ﷺ ألمهم وحوله إلى فرح ، فرجعوا إلى بيوتهم فرحين بما سمعوا من رسول الله ﷺ .

رابعاً : بين الرسول ﷺ للصحابة حبه لهم ، وشفقته عليهم حين قال لهم : (لَوْلَا أَنِّي أَشُقُّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرَتُهُمْ أَنْ يُصَلُّوْهَا هَكَذَا) ، ووجههم إلى جواز تأخير صلاة العشاء إلى آخر وقتها المختار .

الركيزة الثالثة

ضرورة التواصل بين الراعي والرعية

تشير أحاديث الباب إلى ضرورة التواصل الإيجابي بين الراعي والرعية ، وذلك يقوم على حب الرعية للراعي ، وطاعته فيما يأمرهم به ، وقبول عذره إن تخلف عنهم ، كما يقوم على حب الراعي لرعيته ، بأن يسوسهم برفق ، ويوضح له ما غاب عنهم ، ويعتذر لهم عن أي ضرر يصيبهم .

وتبين أحاديث الباب هذا التواصل بين رسول الله ﷺ وصحابته ، لأنهم انتظروه لصلاة العشاء حين تأخر عنهم ، ولما خرج إليهم لاطفهم ، وعرفهم ما نالوه من فضل ، وبين لهم سبب تأخره بالقول والفعل .
وهكذا

يكون اهتمام الراعي بالرعية ، وطاعة الرعية لإمامهم ، حتى يستقيم الأمر للجميع ، ويصلح أمر البلاد والعباد .

الركيزة الرابعة

فروق بين العقيدة والشريعة

تبين أحاديث الباب فروق بين العقيدة والشريعة أهمها : -

أ - **العقيدة صانعة الإنسان والجماعة ، فهي تعرفهم بالله تعالى ،**

وتعرض عليهم آياته وعلاماته ، وتحثهم على الإيمان بأركانها جميعا ، وبذلك يوجد المؤمنون الصادقون الملتزمون بطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ .

أما الشريعة فإنها لا تصنع الإنسان ، وإنما يلجا الإنسان لأحكامها التي وجدت بعد أن يؤمن ، فالعقيدة صانعة الإنسان والشريعة توجد الحلول لنشاط الإنسان بعد إيمانه .

ب- تقوم العقيدة على البراهين والآيات العقلية والحسية ، التي لا بد من الاقتناع بها ، والتصديق التام بكل أركانها ، وهذا الحال يحتاج إلى وقت يتم فيه التحليل والبسط ، والمناقشة والحوار .

أما الشريعة فلا تحتاج إلا إلى إظهار الحكم الشرعي لأفعال المكلفين عن طريق النص الشرعي ، واجتهاد العلماء ، ولا يحتاج ذلك إلى نقاش وحوار ، شأن ذلك شأن الطبيب يحتاج إلى الثقة فيه ، وتيقن علمه ، وجدارته ، وهذا يعتمد على تجربة وممارسة ، وطول معاملة ، فإذا حاز هذه الثقة أطاعه المرضى في كل إرشاداته .

ج - العقيدة الإسلامية ثابتة بطريق قطعي بخلاف الشريعة فبعضها قطعي وبعضها ظني .

وعلى هذا :

يمكن القول بأن العقيدة أوجدت المؤمنين ، والمؤمنون هم الذين استنزلوا أحكام الشريعة .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد أحاديث الباب

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية : -

(١) أفعال النبي ﷺ مصدر لتعليم أمته بعض الأحكام الشرعية .

(٢) ضرورة اعتذار الإمام عن أمر مفاجئ وقع منه ، ما لم يكن أخبر الناس به .

(٣) السنة النبوية رياض واسع ، فيها القصة ، والحوار ، والتعامل ، يأخذ منها العلماء العبر ، والدروس ، والمواعظ ، ويستنبطون منها الأحكام الشرعية .

(٤) من حق الثقات العدول أن يبرهنوا لغيرهم على صدقهم وإخلاصهم لتزداد الثقة فيهم ، وفي أقوالهم .

(٥) ترك المسلم أخاه في بشر وهناءه ، خير له من أن يتركه في بؤس وشقاوة .

(٦) حديث النبي ﷺ من جوامع الكلم ، يستفيد منه الناس أجمعون .

(٧) الجيل الأول هو خير الأمة الإسلامية ، فقد تمتع بنور الصحبة ، وتحمل أمانة الإسلام ، وجاب العالم داعيا إلى الله تعالى ، ومجاهدا في سبيله ، حتى لقي الله وهو على الحق المبين .

- ٣٧ -

٤٠ - باب استحباب التبكير بالصبح في أول وقتها
وهو التغليس وبيان قدر القراءة فيها

حديث عائشة ل ، قَالَتْ: كُنْ نِسَاءُ الْمُؤْمَنَاتِ يَشْهَدْنَ [٣٧٧]، (١)

مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْفَجْرِ، مُتَلَفَّعَاتٍ بِمُرُوطِهِنَّ، ثُمَّ ٥٧٨

يَنْقَلِبْنَ إِلَى بُيُوتِهِنَّ حِينَ يَقْضِينَ الصَّلَاةَ لَا يَعْرِفُهُنَّ أَحَدٌ
مِنَ الْغُلَسِ ^(١)

حديث جابر بن عبد الله ع ، قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي [٣٧٨]، (٢)

الظُّهْرَ بِالْهَاجِرَةِ، وَالْعَصْرَ وَالشَّمْسُ نَقِيَّةً، وَالْمَغْرِبَ إِذَا وَجِبَتْ ٥٨٠

، وَالْعِشَاءَ أَحْيَانًا وَأَحْيَانًا: إِذَا رَأَوْهُمْ اجْتَمَعُوا عَجَلًا، وَإِذَا
رَأَوْهُمْ أَبْطَأُوا آخَرًا؛ وَالصُّبْحَ كَانُوا، أَوْ، كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّيَهَا

بِغُلَسٍ ^(٢) .

حديث أبي بركة الأسلمي ع ، وَقَدْ سُئِلَ عَنْ وَقْتِ الصَّلَوَاتِ، [٣٧٩]، (٣)

قَالَ ع : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي الظُّهْرَ حِينَ تَزُولُ الشَّمْسُ، ٧٧١

وَيُصَلِّي الْعَصْرَ وَيَرْجِعُ الرَّجُلُ إِلَى أَقْصَى الْمَدِينَةِ وَالشَّمْسُ
حَيَّةٌ .

قَالَ الرَّائِي عَنْ أَبِي بَرْزَةَ ع : وَنَسِيتُ مَا قَالَ فِي الْمَغْرِبِ
وَلَا يُبَالِي بِتَأْخِيرِ الْعِشَاءِ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ، وَلَا يُحِبُّ النَّوْمَ

(١) أخرجه البخاري في: ٩ كتاب مواقيت الصلاة: ٢٧ باب وقت الفجر .

(٢) أخرجه البخاري في: ٩ كتاب مواقيت الصلاة: ٢٧ باب وقت الفجر، وللحديث رواية أخرى

في صحيح البخاري تحت رقم : ٥٦٥ .

قَبْلَهَا وَلَا الْحَدِيثَ بَعْدَهَا، وَيُصَلِّي الصُّبْحَ، فَيُنْصَرِفُ الرَّجُلُ
فَيَعْرِفُ جَلِيسَهُ؛ وَكَانَ يَقْرَأُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ أَوْ إِحْدَاهُمَا مَا بَيْنَ
السَّتَيْنِ إِلَى الْمِائَةِ ^(١) .

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب استحباب التبكير بصلاة الصبح ، وقدر القراءة
فيها .

- ب -

الدلالات اللغوية في أحاديث الباب

يشتمل الباب على ثلاثة أحاديث تبين أول وقت الصلوات ،
واستحباب التبكير بالصبح ، استنباطا من أحوال رسول الله ﷺ ،
وأصحابه في الصلاة .

ففي الحديث الأول : تقول السيدة عائشة - رضي الله عنها - (كُنَّ
نِسَاءُ الْمُؤْمِنَاتِ يَشْهَدْنَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْفَجْرِ) بدأت السيدة
عائشة **ل** قولها بالفعل الماضي الناقص المؤكد بالنون ، على لغة
بلحارث المعروفة بلغة (أكلوني البراغيث) ، لأن أصل الفعل الإفراد وقد
جاء جمعا ، وإضافة نساء إلى المؤمنات لا يفيد شيئا ؛ لأنه إضافة الشيء
لنفسه فقد شهدت النسوة صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ ، ولذلك ذهب
المحدثون وعلماء اللغة إلى تقدير مضاف إليه لتحقيق فائدة للإضافة ،
وبذلك تكون الجملة (نساء المدينة المؤمنات) ، وكما ذهب البعض إلى

(١) أخرجه البخاري في: ١٠ كتاب الأذان: ١٠٤ باب القراءة في الفجر.

تفسير المؤمنات بالفضليات ، لتستقيم الإضافة ، ويكون المعنى (كن فضليات المؤمنات) (يَشْهَدْنَ) أي يحضرن (صَلَاةَ الْفَجْرِ) مع رسول الله ﷺ في مسجده الشريف بالمدينة المنورة (مُتَلَفَّعَاتٍ بِمُرُوطِهِنَّ) ، أي متجللات متلفعات بأكسيتهن ، وملابسهن .

والمُرُوط : بضم الميم والراء جمع مِرْط بكسر الميم وسكون الراء ، وهو كساء أخضر مزخرف من حرير أو صوف لا يلبسه إلا النساء .

(ثُمَّ يَنْقَلِبْنَ إِلَى بُيُوتِهِنَّ حِينَ يَقْضِيَنَّ الصَّلَاةَ) أي يرجعن إلى بيوتهن بعد الانتهاء من صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ (لَا يَعْرِفُهُنَّ أَحَدٌ) أي لا يعرف أحد أنهن رجال أو نساء ، ويظهرن مثل الشبح .

وقيل : المراد عدم معرفة أعيانهن ، وهل واحدتهن زينب ، أم فاطمة . (مِنَ الْغَلَسِ) أي لا يعرفهن أحد من الغلس وهو ظلام آخر الليل ، الذي كان باقيا بعد الانتهاء من الصلاة ، بسبب التبكير في أدائها

وفي الحديث الثاني : يقول الحسن بن علي م قدم الحجاج بن

يوسف الثقافي وكان واليا على المدينة من قبل عبد الملك بن مروان سنة اربع وسبعين للهجرة ، وكان يؤخر الصلاة عن وقتها ، ولذلك سأل المسلمون جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن أوقات الصلاة فقال : (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي الظُّهْرَ بِالْهَاجِرَةِ) أي في أول وقتها ... ويمكن إطلاق اسم الهاجرة على الوقت بعد الزوال مطلقا ، والمعنى أن رسول الله ﷺ ، كان يصلي الظهر وقت الهاجرة ، إلا إذا احتاج إلى الإبراد في شدة الحر ، وسميت الهاجرة بذلك ؛ لأن الناس يهجرون العمل فيها .

وكان ﷺ يصلي (الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ نَقِيَّةً) أي يصلي العصر والشمس بيضاء صافية نقية ، لم يخالط ضوءها صفرة .

ويصلي (الْمَغْرِبَ إِذَا وَجَبَتْ) أي وكان ﷺ يصلي المغرب إذا وجبت الشمس ، ومعنى وجبت : غياب قرص الشمس في الأفق .

ويصلي (الْعِشَاءَ أَحْيَانًا وَأَحْيَانًا) أي يقدمها أحيانا ، ويؤخرها أحيانا أخرى ، تبعا لأحوال المصلين ، وأحيانا : جمع حين ، وهو اسم مبهم يقع على القليل والكثير من الزمان

(إِذَا رَأَوْهُمْ اجْتَمَعُوا عَجَلًا ، وَإِذَا رَأَوْهُمْ أَبْطَأُوا آخَرَ) أي إنه ﷺ كان إذا رأى اجتماع المصلين في المسجد بعد أذان العشاء صلى بهم مبكرا ، وإن تأخروا عن المجئ آخر الصلاة بهم .

(وَالصُّبْحَ كَانُوا ، أَوْ ، كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّيهِمَا بِغَلَسٍ) أي إن صلاة الصبح كان الرسول ﷺ و الصحابة يبكرون بها .

قوله : (كَانُوا ، أَوْ ، كَانَ) شك من الراوي ومعناها متلازم واحد ؛ لأن كانوا تفيد أن المصلين كانوا يصلون الصبح مع رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ يفيد أن الرسول ﷺ كان يصلي والمسلمون معه فالمعنى واحد ، وكان الجميع يؤدون صلاة الصبح (بِغَلَسٍ) أي في الظلمة الأخيرة من الليل .

وفي الحديث الثالث يقول أبي بكرة الأسلمي رضي الله عنه : (وَقَدْ سُئِلَ

عَنْ وَقْتِ الصَّلَاةِ) المفروضة ؛ لأن صلاة السنة تابعة لها في وقتها ، أي سئل عن بدء وقت الصلوات ، كما تدل عليه إجابته ، والسائل هو

سيار بن سلمة وأبوه **م** ، قال رضي الله عنه : (كَانِ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي الظُّهْرَ حِينَ تَزُولُ الشَّمْسُ) ، وزوال الشمس يكون عند وصول ظل أي شيء إلى أدنى قدر له .

وكان يصلي (العَصْرَ) عندما يصير ظل كل شيء مثله ، سوى ظل الزوال ، وكان الرجل يذهب بعد الصلاة إلى بيته في (أَقْصَى الْمَدِينَةِ وَالشَّمْسُ حَيَّةٌ) وأقصى المدينة مقدار ثلاثة أميال على الأقل . ومعنى (الشَّمْسُ حَيَّةٌ) أي ناصعة البياض والتوهج ، ولا صفرة فيها . وهذا يفيد أن صلاة العصر كانت في أول الوقت .

ويقول الراوي الذي روى عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه وهو سيار بن سلامة رضي الله عنه : (وَنَسِيتُ مَا قَالَ فِي الْمَغْرِبِ) إلا أن الحديث الثاني ذكرها . وأما وقت العشاء فكان ﷺ (لَا يُبَالِي بِتَأْخِيرِ الْعِشَاءِ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ) أحيانا ، وأحيانا أخرى يصليها في أول وقتها .

وكان ﷺ (لَا يُحِبُّ النَّوْمَ قَبْلَهَا وَلَا الْحَدِيثَ بَعْدَهَا) وسبب ذلك أن النوم قبلها قد يؤدي إلى فواتها ، أو فوات وقتها المختار بالاستغراق في النوم حتى لا يتساهل الناس في هذا الجانب فيناموا قبلها ، فتفوتهم صلاة الجماعة .

وأما كراهية الحديث بعدها : فبسبب أنه يؤدي إلى السهر ، ويخاف فيه من غلبة النوم عن قيام الليل ، أو الذكر ، أو القيام لصلاة الصبح في وقتها الأفضل أو المختار ...

ومن المعلوم أن السهر في الليل يسبب الكسل في النهار ، ويؤدي إلى التقصير في الطاعات ، ويضيع مصالح العباد والبلاد .

يقول العلماء : والمكروه من الحديث بعد العشاء ، ما كان في الأمور التي لا مصلحة فيها ، أما ما فيه مصلحة فلا كراهة فيه مثل : مدرسة العلم ، وحكايات الصالحين ، ومؤانسة الضيف ، ومحادثة الرجل أهله وأولاده ، ومحادثة المسافرين بالمحافظة على أنفسهم وأمتعتهم ، والإصلاح بين الناس ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والإرشاد على مصلحة ، فكل ذلك لا كراهة فيه .

ووقت كراهية الحديث يبدأ بعد أداء صلاة العشاء، لا بعد دخول وقتها.
وأما النوم قبلها فكرهه عمر وابن عباس وغيرهم من السلف - رضوان الله عليهم أجمعين ، كما كرهه مالك والشافعية **ورخص فيه علي وابن مسعود والكوفيون** عليه السلام ، واستحبوه إن وجد ما يوقظه من النوم من بشر أو آله^(١) .

(وَيُصَلِّي الصُّبْحَ، فَيَنْصَرِفُ الرَّجُلُ فَيَعْرِفُ جَلِيْسَهُ) أي كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الصبح وهو يعرف جليسه الذي يجلس قريبا منه، أما البعيد عنه فلا يعرفه لظلمة الغسق

(وَكَانَ صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ أَوْ إِحْدَاهُمَا مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى الْمِائَةِ) أي : إنه صلى الله عليه وسلم كان يطيل القراءة ، ومع ذلك كان ينتهي من الصلاة وظلمة الليل ما تزال موجودة .

وليس في معرفة المصلي جليسه فقط مناقضة ، لعدم معرفة النساء من الغلس ؛ لأنهن يكن بعيدات عن الناظر لأن ما في الحديث إخبار عن رؤية الجليس ، وتلك إخبار عن رؤية النساء من بُعد .

(١) انظر شرح النووي على مسلم ج٢ ص ٢٩١، طبع الشعب

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تدور أحاديث الباب حول مسألة رئيسية هي التذكير لصلاة الصبح ، استفادة من صلاة رسول الله ﷺ ، وأحوال أصحابه معه ، فلقد كانت الصحابييات يشاهدن صلاة الصبح ، مع رسول الله ﷺ ، وترجع الواحدة منهن إلى بيتها بعد الصلاة متلطفة بثوبها ، ولا يبدو منها إلا شبح يمشي . وقد اهتم الصحابة بمعرفة أول أوقات الصلاة ؛ ليبادروا إليها في وقتها ، وكان مرجعهم في كل ما يسألون رسول الله ﷺ ، وكانت أمانيتهم أن يأخذوا الدين من رسول الله ، ويعملوا به ، وينقلوه إلى من خلفهم ، ولقد أخبرهم رسول الله ﷺ بدورهم مع الدين فقال لهم ﷺ : (تسمعون ويسمع منكم ، ويسمع ممن يسمع منكم) ^(١) .

إن أحاديث الباب تشير إلى اهتمام الصحابة بمعرفة أوقات الصلاة ، والحقيقة أنهم اهتموا بحفظ القرآن الكريم ، وحفظ السنة النبوية ، وحفظ كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول ، أو فعل ، أو حركة ، أو حال ، أو سكون ... لأنهم امنوا أن ذلك كله هو دين الله تعالى ... وقد تحملوا أمانته ، ومن الضرورة نقلها إلى من بعدهم ، كما تلقوها من رسول الله ﷺ .

لقد بذل الصحابة جهدهم في حفظ الدين ، وفي الدفاع عنه وحمايته من أعدائه المتربصين به .

لقد تلقت الأجيال الإسلام متواترا بواسطة العدول الثقاة ، فبقي

(١) صحيح ابن حبان ، كتاب العلم ، باب : ذكر الأخبار عن سماع المسلمين السنن خلف عن سلف ، حديث رقم : ٦٢ .

الدين بجوهره ، وحقيقته بين الناس ، كما جاء من عند الله تعالى ، ولم يتمكن خصوم الإسلام من النيل منه ، أو من مصادره ... ولكنهم ومع الأسف تمكنوا من صرف المسلمين عن العمل بتعاليم الدين ، فهجروا القرآن الكريم ، وبعدوا عن السنة ، وشب من بينهم من ينكر بعض الحقائق الدينية ، وما ظلموا الدين ولكن أنفسهم يظلمون

لقد انتكس المسلمون وصاروا مثل أهل الكتاب الذين قال الله ﷻ عنهم : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ ^(١) فهم يحملون كتاب الله تعالى ولا يستفيدون منه وصار مثلهم كمثل ﴿ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَاسْلَخْنَا مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ ^(٢)

وخلاصة الباب : ضرورة المحافظة على أداء الصلوات في وقتها المفضل ، واستحباب صلاة الصبح في أول وقتها .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب استحباب التبكير لصلاة الصبح ، اقتداء برسول الله ﷺ وصحابته ، وأداء سائر الصلوات في أوقاتها الفاضلة ، وكراهية النوم قبل صلاة العشاء ، والكلام بعدها ما لم توجد مصلحة وضرورة .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تشتمل أحاديث الباب على عدد من الركائز ... أهمها :-

الركيزة الأولى

(١) سورة الجمعة الآية : ٥

(٢) سورة الأعراف الآية : ١٧٥

النساء شقائق الرجال

خلق الله تعالى الرجل والمرأة ، وساوى بينهم في الحقوق والواجبات ، وراعى في التكليف طبيعة وطاقات كل منهما ، وأوجب عليهما العبادات المفروضة بصورة متساوية .

ومن أحاديث الباب نرى المرأة تذهب إلى المسجد ، وتحضر الجماعات ، وتروي عن رسول الله ﷺ الفقه والحديث .

إن القيود التي وضعها الإسلام للمرأة حين تخرج من بيتها صيانة لعفتها ، وتحقيقا لكرامتها وأخلاقها ، ولذلك رأيناها تخرج لصلاة الفجر متلعة بمرطها ، ساترة لجسدها لا يعرفها الرجال ، وكأنها أمامهم شبح يتحرك ، ومن توجيهات الإسلام للمرأة نقراً :

قوله ﷺ: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ ^(١)
وقوله ﷺ: ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُدْبِرْنَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِي لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ^(٢)

(١) سورة الأحزاب الآية : ٣٣ .

(٢) سورة النور الآية : ٣١ .

وخير للمرأة أن لا يراها رجل ، ولا ترى رجلا ، وواجب عليها أن تسعد بما شرع الله لها ، فهو الخير كله .

الركيزة الثانية

الحرص على التعليم ومعرفة الدين

الإسلام جملة من المعارف تحتاج إلى عمل وتطبيق ، ولابد لهذا العمل من علم يوضحه ، وفهم يحدد مساره ومراميه ، ولذلك كان التعلم والفهم أساس الدخول في الإسلام .

فالإيمان بأركان الإسلام ، يحتاج إلى العلم بهذه الأركان ، والإحاطة بكيفية الإيمان بها ، ومعرفة لوازمها الضرورية ، وتطبيق الأحكام الشرعية يحتاج إلى معرفتها مع أدلتها ، وكيفية العمل بها ... وهذا كله يحتاج للعلم والفهم .

والعلم يكون بالتعلم ، ويزكو بالتقوى ، ويقوى بالتطبيق والتفكير والتذكر .

ولهذا حرص السلف الصالح على تعلم دينهم ، وكانوا ملازمين لرسول الله ﷺ ويتأوبون الجلوس معه ، وكان كل من يعلم أمرا في الدين يعلمه لغيره .

وظهر بين المسلمين دعاة جادون ، تفقهوا في علوم الدين ، وأخذوا في التبليغ والانذار .

وقد بينت أحاديث الباب كيفية نقل الرواة لحديث رسول الله ﷺ ، ورأينا عامة المسلمين يأتون العلماء ؛ ليتفقهوا في دين الله تعالى .

وهكذا كان حال المسلمين في كل أحوالهم وحالاتهم ، حتى صار للإسلام كله حقيقة بيّنة للناس أجمعين

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الأحاديث

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية :

- (١) جواز خروج المرأة للصلاة في الليل والنهار ما أمنت الفتنة .
- (٢) رسول الله ﷺ هو القدوة والأسوة للمؤمنين الصادقين .
- (٣) يستحب المبادرة إلى الصلوات كلها ، وأداؤها في أول أوقاتها .
- (٤) يحمل الإسلام من كل جيل عدوله ، لتبليغه وإيصاله للناس .

- ٣٨ -

٤٢ - فضل صلاة الجماعة وبيان

التشديد في التخلف عنها

[٣٨٠]، (١) حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: تَفْضُلُ

صَلَاةِ الْجَمِيعِ صَلَاةِ أَحَدِكُمْ وَحْدَهُ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ جِزْءًا، ٦٤٨

وَتَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ .

ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: فَأَقْرَأُوا إِن شِئْتُمْ ﷻ إِنَّ قِرَاءَانَ الْفَجْرِ كَانَتْ

مَشْهُودًا ^(١) ^(٢)

[٣٨١]، (٢) حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: صَلَاةُ

الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً ^(٣). ٦٤٥

[٣٨٢]، (٣) حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي

بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَ بِحَطْبٍ فَيُحْطَبَ ، ثُمَّ أَمُرَ بِالصَّلَاةِ ٦٤٤

فَيُؤَذَّنَ لَهَا، ثُمَّ أَمُرَ رَجُلًا فَيُؤَمِّمَ النَّاسَ، ثُمَّ أَخَالَفَ إِلَى رِجَالٍ

فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ

أَنَّهُ يَجِدُ عَرْقًا سَمِينًا، أَوْ مِرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ لَشَهِدَ الْعِشَاءَ ^(٤)

(١) أخرجه البخاري في: ١٠ كتاب الأذان: ٣١ باب فضل صلاة الفجر في جماعة.

(٢) سورة الإسراء الآية: ٧٨ .

(٣) أخرجه البخاري في: ١٠ كتاب الأذان: ٣٠ باب فضل صلاة الجماعة وللحديث رواية أخرى

في صحيح البخاري تحت رقم: ٦٤٩ .

(٤) أخرجه البخاري في: ١٠ كتاب الأذان: ٢٩ باب وجوب صلاة الجماعة .

[٣٨٣]، (٤)

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ليس صلاة أثقل

٨٣٩

على المنافقين من الفجر والعشاء ، ولو يعلمون ما فيهما
لأتوهما ولو حبوا، لقد هممت أن أمر المؤذن فيقيم ثم أمر
رجلاً يؤم الناس، ثم أخذ شُعلاً من نار فأحرق على من لا
يخرج إلى الصلاة بعد^(١).

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب فضل صلاة الجماعة على صلاة المنفرد ،
وتنذر من يتخلف عن صلاة الجماعة بالويل والعذاب .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على أربعة أحاديث ، تبين فضل صلاة الجماعة ،
وزيادة أجرها على صلاة الفرد ببضع وعشرين درجة .

ففي الحديث الأول : يقول أبو هريرة رضي الله عنه : (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

يَقُولُ : تَفْضُلُ صَلَاةِ الْجَمِيعِ صَلَاةِ أَحَدِكُمْ وَحْدَهُ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا) أي
إن ثواب صلاة الفرد في جماعة تزيد عن ثواب صلاة المنفرد بخمس
وعشرين جزءا وحذفت الهاء من (بِخَمْسٍ) باعتبار أن تمييزها مؤكد
لتضمن الجزء معنى الدرجة

وفي بعض الروايات حذفت الباء من (بِخَمْسٍ) وبقيت (خمس)
مخفوضة على تقدير الباء المحذوفة .

(وَتَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ) لتوزيع الأرزاق

(١) أخرجه البخاري في: ١٠ كتاب الأذان: ٣٤ باب فضل العشاء في الجماعة .

، ولحث الناس على صلاة الفجر في المسجد ، حتى قال بعضهم : إن صلاة الجماعة في صلاة الفجر ، تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه ، مستدلاً على شهود الملائكة صلاة الفجر: (فَأَقْرَعُوا إِن شِئْتُمْ ﴿١﴾ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٢﴾) أي إن الملائكة تشهد صلاة الفجر ، وتسمع القرآن الذي يتلى في الصلاة أو في المسجد .

وفي الحديث الثاني : يؤكد عبد الله بن عمر م أن رسول الله ﷺ

قال : (صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً) أي إن ثواب صلاة الجماعة يزيد عن صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة ، والفذ هو المنفرد الذي يصلي وحده .

وقد روى مسلم الحديث بلفظ أوضح ، فيقول قال النبي ﷺ : (صلاة الرجل في الجماعة تزيد على صلاته وحده سبعا وعشرين)^(١) وجاءت الروايات بألفاظ متغايرة للفظ التمييز مثل ، درجة ، ومنزلة ، وحظا ، ونصيبا ، وضعفا ، وصلاة ، وأقواها الدرجة ؛ لأنها تفيد معنى العلو الملازم لارتفاع المنزلة ، والترقي إلى الأعلى كما أن الدرجة تفيد العلو والرفعة لفظا ومعنى .

وقد جمع العلماء بين رفع الدرجات بخمس وعشرين أو بسبع وعشرين بأوجه متعددة ... منها :-

أولاً : أن ذكر القليل لا ينفي الكثير ، والعدد لا مفهوم له .

ثانياً : لعله ﷺ أخبر بالخمس أولاً ، فأخبره الله تعالى بزيادة

(١) صحيح مسلم : كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : فضل صلاة الجماعة ، حديث رقم : ١٠٧٤

الفضل بعد ذلك ، فأخبر بالسبع .

ثالثاً : اختلاف العددين يكون باختلاف مميزهما .

رابعاً : قال بعضهم : الخمس في الدنيا ، والسبع في الآخرة

خامساً : الفرق يكون بسبب قرب المسجد أو بعده .

سادساً : الفرق يكون إن كانت الجماعة داخل المسجد أو خارجه .

سابعاً : الفرق يكون بسبب انتظار الصلاة .

ثامناً : الفرق يكون بمقدار الجزء الذي أدركه مع الجماعة .

تاسعاً : الفرق بكثرة الجماعة وقتلتهم .

عاشراً : السبع مختصة بالفجر والعشاء ، وقيل : بالفجر والعصر ،
والخمس فيما عداها .

حادي عشر : السبع في الصلاة الجهرية ، والخمس في الصلاة
السرية

وقد انتصر ابن حجر للرأي الأخير ^(١) .

وقد اختار ابن حجر خمسا وعشرين صفة من كلام الفقهاء ، وزاد
عليها الجهر والاستماع ، وخصها بالاجتماع في المسجد ، أما إن كانت
الجماعة في غير المسجد فإنها تنقص درجة المشي إلى المسجد ، ودخوله
وصلاة تحيته ، وبذلك ينقص أجر المصلي بقدرها ^(٢)

فإن قيل : لو أدرك المأموم صلاة الجماعة فتأخر عن بعض
ركعاتها، فهل ينقص أجره ؟

(١) فتح الباري ج ٢ ص ١٣٢ ، طبع السلفية

(٢) فتح الباري ج ٢ ص ١٣٣ .

أقول : لا ينقص من أجره شيء ؛ لأن الأجر يحصل لصاحبه بمجرد النية ، ولو لم يقع الفعل ، وقد نوى حين قصد الاشتراك في الجماعة .

وفي الحديث الثالث : يؤكد أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
(**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ**) هذا قسم كان يقسم به النبي ﷺ كثيرا ، ومعناه :
والذي أمر نفسي ونفوس العباد بيده وهو الله تعالى ، فهو مالكها ،
والمتصرف فيها على وجه يليق بالله تعالى .
(**لَقَدْ هَمَمْتُ**) هذا جواب القسم ، ومعناه لقد عزمت أو أوشكت أن أفعل ،
لأن الهم هو العزم على الفعل ، وقيل هو الاحتمال الأدنى من العزم .
(**أَنْ أَمُرَ بِحَطَبٍ فَيُحْطَبَ**) أي أوشكت أن أمر رجلا أو رجالا يجمعون
حطباً من خشاش الأرض ، يسهل إشعال النار فيه
(**ثُمَّ أَمُرَ بِالصَّلَاةِ فَيُؤَذَّنَ لَهَا**) أي أمر المؤذن أن يؤذن للصلاة ليحضر
الناس إلى المسجد لصلاة الجماعة بعد سماع الأذان .
(**ثُمَّ أَمُرَ رَجُلًا فَيُؤْمَ النَّاسَ**) أي أجعل لهم إماما بدلا مني .
(**ثُمَّ أَخَالَفَ إِلَى رِجَالٍ فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ**) أي أخالف الفعل الذي
تعودت القيام به وهو إمامة الصلاة ، وقد أظهرته بالأذان والإقامة ،
واتركه وأسير إليهم ، وآتيهم من خلفهم ، وأفاجئهم بمخالفة ظنهم في أنني
مشغول بالصلاة عنهم .
(**فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ**) أي أضاعف إهلاكهم ، واحرق عليهم بيوتهم وهم
فيها ، فاحرقهم وبيوتهم .
(**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عِرْقًا سَمِينًا ، أَوْ مِزْمَاتَيْنِ**)

حَسَنَتَيْنِ لَشَهْدِ الْعِشَاءِ) أي وأقسم بالله أن من يتخلف عن صلاة الجماعة يسارع إلى لعاعات الدنيا ولهوها لنفاقه ، لأنه لو دعي إلى طعام أو لهو في المسجد لأسرع إليه وصلى العشاء ، **والعرق** : بفتح العين وسكون الراء ، هو العظم الذي عليه بقية من لحم .

والمِرْمَاتين : تنثية مِرْمَاه بكسر الميم الأولى ، وسكون الراء ، وهي : لعبة كانوا يلعبونها بنصال محدودة ، يرمونها في كوم من تراب ، فأيهم أثبتها في التراب غلب .

وانما جمع الحديث بين العرق والمِرْمَاة ، لأنهم كانوا يستحسنون أكل العَرَق ، ولعبة المرماء ، وكانوا يحرصون عليهما ، مع حقارتهما بالنسبة لحضور صلاة الجماعة ، مع ما في الجماعة والصلاة من علو المنزلة ، ورفعة الدرجات .

وهذا الحديث يدل على أنه ورد في المنافقين ، إذ يستحيل أن يفعل ذلك أحد من الصحابة الذين باعوا أنفسهم وحياتهم لله تعالى .

وفي الحديث الرابع : يقول أبو هريرة رضي الله عنه إن رسول الله ﷺ قال :

(**لَيْسَ صَلَاةٌ أَثْقَلُ عَلَى الْمُنَافِقِينَ مِنَ الْفَجْرِ وَالْعِشَاءِ**) أي إن صلاة الفجر والعشاء كانتا من أثقل العبادات على المنافقين .

في الحديث إثبات فضل العشاء والفجر معا ، فقد ساوى الحديث بينهما في موقف المنافقين منهما ؛ فدل ذلك على فضلهما ، لأن الصلوات كلها ثقيلة على المنافقين ، يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالً ﴾ ^(١).

(١) سورة النساء الآية : ١٤٢ .

إلا أن الفجر والعشاء أشد ثقلاً عليهم ، فسوى الله تعالى بين الصلاتين عندهم ، وقد سبق بيان أفضلية صلاة الفجر ، وبهذا يثبت فضل صلاة العشاء ؛ لأن المساوي للأفضل يكون في الفضل مثله .

وإنما كانت صلاة الفجر والعشاء أثقل على المنافقين لقوة الداعي على تركهما ، فالعشاء وقت الراحة والسكون ، والفجر وقت لذة النوم .
(وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا) أي ولو يعلم المنافقون ما في صلاة العشاء ، والصبح ، من فضل وخير لجاءوا إليها ولو زحفا على أيديهم وأرجلهم ، كالصغير حين يتعلم الزحف .

(لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمَرَ الْمُؤَذِّنَ فَيَقِيمَ ثُمَّ أَمَرَ رَجُلًا يَوْمُ النَّاسِ، ثُمَّ أَخَذُ شُعْلًا مِنْ نَارٍ فَأَحْرِقَ عَلَى مَنْ لَا يَخْرُجُ إِلَى الصَّلَاةِ) أي كدت أن أمر المؤذن يؤذن ويقيم ، وأمر رجلاً غيري يؤم الناس ، وأخذ حطبا مشتعلا إلى بيوت أقوام لم يحضروا الجماعة في المسجد فأحرقها عليهم (بَعْدُ) أي بعد الأذان أو بعد أن يبلغه التهديد الذي ذكرته .

وجملة الأحاديث تبين أهمية صلاة الجماعة ، وزيادة فضلها ، وأجر من يؤديها ، وتوضيح الجزاء الشديد الذي يستحقه تارك الجماعة .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب فضل صلاة الجماعة ، وأنها تفضل صلاة الفرد بخمس أو سبع وعشرين درجة ، وتوضح ما يستحقه تارك الجماعة ، فقد هدده رسول الله ﷺ بتحريق بيته عليه ، وهذا ما جعل الفقهاء يتكلمون عن حكم صلاة الجماعة .

فذهب عطاء والأوزعي واحمد وجماعة من محدثي الشافعية كأبي ثور،

وابن خزيمة وابن المنذر وابن حبان رحمهم الله إلى فرضية الجماعة ، مستدلين بحديث التحريق الذي جاء في الباب . وقالوا : لو كانت الجماعة سنة ماهد رسول الله ﷺ تاركها بالنار ، ولو كانت فرض كفاية لامت بالرسول ﷺ ومن معه ، فثبت بذلك انها فرض عين .

وذهب داود ومن معه إلى أن الجماعة شرط في صحة الصلاة ، فلا صلاة مكتوبة إلا في جماعة ، مستدلاً بأن ما وجب في العبادة كان شرطاً فيها ، فلما كان الهم المذكور دالاً على لازمه ، وهو وجوب الحضور صار لازمه وهو الجماعة شرط صحة في الصلاة ...

وذهب جمهور العلماء ، والفقهاء ، والمحدثون إلى أن الجماعة سنة مؤكدة ، وردوا دليل القائلين بفرضية الجماعة على وجه العين أو الكفاية ، وهو حديث التحريق المروي في الباب ، فقالوا : أن حديث التحريق لا يدل على الفرضية بوجه من الوجوه لما يلي :

أولاً : إن ترك رسول الله ﷺ التحريق بعد أن هم به دليل على أن الجماعة سنة ؛ لأنها لو كانت فرضاً ، ما ترك تحريق المتخلفين .
ثانياً : لو كانت الجماعة فرضاً لقال ﷺ حين همّه (من تخلف عن الجماعة لا تصح صلاته) .

ثالثاً : إن خبر التحريق ورد مورد الزجر ، وحقيقته غير مراده ، وإنما المراد المبالغة في الزجر ، وتهديدهم بعقوبة تشبه عقوبة الكافرين والمنافقين رابعاً : يحتمل أن يكون التهديد موجهاً إلى قوم تركوا الصلاة أصلاً ، فتركوا أداءها في جماعة ومنفردين ، وهم العصاة والمنافقون^(١)

(١) فتح الباري ج ٢ ص ١٢٦ .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أهمية صلاة الجماعة ، فهي تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة ، ولا يتخلف عنها عمدا إلا منافق ، أو جاحد ، أو جاهل ، ولذلك هم رسول الله ﷺ أن يحرق بيوت المتخلفين عن الجماعة على رؤوسهم .

ولو تيقن المسلمون فضل صلاة الجماعة لحافظوا عليها مهما كانت اعدارهم ، ولأتوها ولو حبوا ، وتبين الأحاديث أن ضعفاء الإيمان ، ومن عندهم نفاق يسارعون إلى لذات الدنيا، من طعام ، وزخارف ، ويهملون ما في الجماعات ، من خير ، وفضل ، مع ما فيها من سداد وتوفيق .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز أهمها : -

الركيزة الأولى

أثر الجماعة في إصلاح الفرد

الصلاة صلة بين العبد وربه ، مليئة بالقراءة ، والذكر ، والدعاء ، وقائمة على القيام ، والركوع ، والسجود ، والقعود ، وتحتاج كلها إلى التأمل الفاهم ، والاخلاص العميق ، لأنها تربي في الفرد معنى العبودية ، وتمكنه من الخشوع والخضوع ، والطاعة لله رب العالمين .

وقد ينس الشيطان أن يعبد في أرض الله تعالى ، ولكنه رضى بشغل الإنسان بالشهوات ، والهائم بالمعاصي ، وصرفهم عن اليقظة والفهم في قراءته وتذكره ، إنه يشاغب على الفرد وهو وحده أكثر من مشاغبته على الجماعة .

وكل مسلم يلمس وساوس الشيطان أثناء صلاته ، وهو يشده إلى التفكير في أمور لم يكن يفكر فيها ، ويبعده عن صلاته بشواغل الدنيا ، فإذا انتهى المسلم من صلاته ذهبته هذه الخواطر التي شغلته أثناء الصلاة ...

هذه هي الحقيقة التي يلمسها كل مسلم إذا صلى وحده ... فإذا ما صلى في جماعة فإنه يتابع إمامه ، ويتجاوب معه ، وهذا يصرف الشيطان عنه ، وكلما كبر الإمام أو انتقل من عمل لعمل في الصلاة ، انجذب المأموم نحوه ، وبعد عن الشيطان الرجيم

وهذا هو أول ما يجنيه المصلي من صلاته مع الجماعة لأنه يستفيد عدم السهو ، وعدم الغفلة عن شيء من أعمال الصلاة .

فإذا ما انتهت الصلاة ، كبر المصلون وسبحوا ، وهللوا ، والتقت شعورهم ومشاعرهم على العبودية لله ... وعلموا أنهم وإخوانهم شركاء في دين الله تعالى ، يصونونه بالحرص عليه ، ويعيشون معا به .

إن الجماعة تربي المسلم على حب إخوانه ، وعلى طاعة إمامهم ، وعلى مساعدة الآخرين ، والتعاون معهم ، والنصح لهم ، في إطار دين الله تعالى .

الركيزة الثانية

دور الجماعة في وحدة المسلمين

المساجد بيوت الله في الأرض ، وعمارها هم ضيوف الله وزواره ، وحق على المزور أن يكرم زائره .

إن المصلين وهم ينتظرون الجماعة يتحدثون في أمور مجتمعهم ، ويبحثون في حل مشاكلهم ، ومعالجة قضايا المجتمع الذي يعيشون فيه ،

وإيجاد الحلول الإسلامية لكل شئون الحياة .
ويلتقي المصلون في صلاة الجماعة ، ويختمون صلاتهم على
موعد للقاء في الصلاة التالية ، ويفارق بعضهم بعضا في ود ومرحمة ،
راجين اللقاء في الآخرة في صحبة النبيين والشهداء والصالحين .
إن المصلين يجتمعون في المسجد ، لا لدنيا يرجونها ، ولا لطمع
يطلبونه ، ولذلك ينتشر بينهم الإخلاص والصدق والوفاء .

مرض والدي - رحمه الله - أسبوعا ، قبل أن يفارقنا إلى الله
تعالى ، فلما غاب عن المسجد ، أخذ أصحابه الذين كانوا يصلون معه
في المسجد جماعة يأتون إليه عقب كل صلاة ، واستأذنوا أن يزوروه بعد
صلاة الفجر ، لأنهم لم يرضوا أن يغيب عنهم وقتا واحدا مع بعد
بيتنا عن المسجد ...

قلت لأخي : ما سر هذا وكلهم كبار في السن ؟!
فقال : لقد جمعهم الود الصادق ، والإخلاص المتين وضمهم
الحب في الله ... ألم تشاهد سعادة أبيك برؤيتهم ؟ !
ألم يوص أبوك بهم خيرا ...؟!
قلت : صدق الله ورسوله ﷺ ، وعظم دين الله في القلوب والحياة ،
والحمد لله رب العالمين .

الركيزة الثالثة

الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله تعالى

طرق الدعوة وأساليبها إلى الناس عديدة ، ومنها الترغيب والترهيب
الذي يتميز بما يلي :
- أحداث الترغيب والترهيب حقيقية لا خيال فيه .

- وهي وعد الله الذي لا يتخلف ،وهي خالية تماما من الدعايات الكاذبة والمفهوم الأجوف الذي لا حقيقة له ...

والواجب على من يسمع ترغيبا أو ترهيبا أن يأخذه مأخذ الجد،
ويقرر ما يراه بعد فهمه ، لخلوه من المراء والهزء .
وفي أحاديث الباب ترغيب يحث على الطاعة ... وترهيب يخوف
من المعصية .

ففي الترغيب : نجد البيان الواضح ، بأن صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة ، وفيه توجيه الأفهام إلى البحث عن ما في الجماعة من خير ، فلو علم المصلون من خير الجماعة لأتوها ولو حبوا

وفي الترهيب : نجده ﷺ يبين أن نفوس العباد بيد الله تعالى ، يصرفها كيف يشاء ، وهو سبحانه يحاسب على ما في القلب من مقاصد .
وينذر المتخلفين عن صلاة الجماعة بأنه يكاد أن يدع غيره يؤم المصلين ، ويأمر رجلا يجمع الخطب ، ويشعل به بيوت أقوام متخلفين عن الجماعة .

لقد ملأ الصحابة - رضوان الله عليهم - المساجد بالجماعات، والتزموا بتوجيه رسول الله ﷺ فرضي الله عنهم أجمعين .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الأحاديث

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية :

(١) يستحب تقديم التخويف والتهديد على العقوبة نفسها زجرا لمن يفكر فيها ويريدها ؛ لترتفع المفسدة بالطريق الأيسر ، وهذا لون من

التربية الإسلامية .

- (٢) جواز العقوبة بأخذ المال وإهلاكه .
- (٣) جواز أخذ أهل الجرائم على غرة مادام ذلك مفيدا للفرد الجماعة .
- (٤) جواز ترك الواجب لعذر مشروع .
- (٥) جواز إمامة المفضل مع وجود الفاضل لمصلحة .
- (٦) الأعمال الشرعية تتفاعل بعوامل تحيط بها مثل الصلاة في جماعة
- (٧) الغافل هو من ترك الخير إلى توافه الأمور .

- ٣٩ -

٤٢ - باب الرخصة في التخلف
عن الجماعة بعذر

[٣٨٤]، (١)

٤٢٥

حديث عِثْبَانَ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَنْكَرْتُ بَصْرِي، وَأَنَا أَصْلِي لِقَوْمِي، فَإِذَا
كَانَتْ الْأَمْطَارُ سَالَ الْوَادِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ
آتِيَ مَسْجِدَهُمْ، فَأَصَلِّي بِهِمْ، وَوَدِدْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ
تَأْتِينِي فَتُصَلِّيَ فِي بَيْتِي فَأَتَّخِذَهُ مُصَلًّى .
فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : سَأَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قَالَ عِثْبَانُ: فَغَدَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه حِينَ ارْتَفَعَ
النَّهَارُ ، فَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَأَذِنَتْ لَهُ ، فَلَمْ يَجْلِسْ
حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ ، ثُمَّ قَالَ : أَيَنْ تَحِبُّ أَنْ أَصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ ؟
فَأَشْرَتْ لَهُ إِلَى نَاحِيَةِ مِنَ الْبَيْتِ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَكَبَّرَ ،
فَقُمْنَا فَصَفَّنَا فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ .

قَالَ عِثْبَانُ : وَحَبَسْنَاهُ عَلَى خَزِيرَةٍ صَنَعْنَاهَا لَهُ ، فَثَابَ فِي
الْبَيْتِ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الدَّارِ ذَوُو عَدَدٍ، فَاجْتَمَعُوا؛ فَقَالَ قَائِلٌ
مِنْهُمْ: أَيَنْ مَالِكُ بْنُ الدُّخَيْشِنِ أَوْ ابْنُ الدُّخَشْنِ ؟
فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ مُنَافِقٌ لَا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَا تَقُلْ ذَلِكَ، أَلَا تَرَاهُ قَدْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ، يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ ؟!.

قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّا نَرَى وَجْهَهُ وَنَصِيحَتَهُ إِلَى الْمُنَافِقِينَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ ^(١).

حَدِيثُ مُحَمَّدِ بْنِ الرَّبِيعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زَعَمَ أَنَّهُ عَقَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،
وَعَقَلَ مَجَّةً مَجَّهَا مِنْ دَلْوٍ كَانَ فِي دَارِهِمْ، ثُمَّ حَدَّثَ عَنْ عَتَبَانَ
حَدِيثَهُ السَّابِقَ ^(٢)

٨٣٩

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تدور أحاديث الباب حول رخصة التخلف عن صلاة الجماعة
لعذر مشروع مثل المرض والعجز .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

اشتمل الباب على حديثين ، روى الحديث الأول الصحابي الجليل
عتبان بن مالك من بني سالم بن عوف الخزرجي ، وبكسر عين (عتبان)
وضمها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أنصار المدينة ، شهد بدرا ، وكان يصلي بقومه إماما
في ضواحي المدينة ، ويأتئهم في مسجدهم ، قاطعا الوادي الذي يفصله
عنهم ماشيا ، فلما كبر سنه ، وضعف نظره ، رأى مشقة تعجزه عن قطع
الوادي ، وبخاصة عندما يسيل المطر .

(١) أخرجه البخاري في: ٨ كتاب الصلاة: ٤٦ باب المساجد في البيوت .

(٢) أخرجه البخاري في: ١٠ كتاب الأذان: ١٥٤ باب من لم ير رد السلام على الإمام واكتفى
بتسليم الصلاة .

جاء (عُتْبَانُ) إلى النبي ﷺ شاكيا (فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَنْكَرْتُ بِصَرِي) ، أي أصابني ضعف في عيني فلم أعد أبصر بها كسابق عهدي ، أو إني قد عميت فلم أعد أبصر ، وإني اقطع الوادي لأذهب لقومي (وَأَنَا أُصَلِّي لِقَوْمِي) إماما لهم في مسجدهم

(فَإِذَا كَانَتِ الْأَمْطَارُ سَالَ الْوَادِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ، لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ آتِيَ مَسْجِدَهُمْ) كعادتي معهم ، فقد امتلأ الوادي بماء السيول ، وضعف بصري ، ورجائي أن يقبل الله تعالى عذري ، فقد أعجزني السيل ، وضعف النظر عن الذهاب إليهم .

(وَوَدِدْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ تَأْتِينِي فَتُصَلِّيَ فِي بَيْتِي فَاتَّخِذَهُ مُصَلًّى) أي أتمنى يا رسول الله أن تزورني في بيتي، وتصلي في مكان منه فأأخذه مسجدا أصلي فيه اقتداء بك ، وأعلم أن الله قبل عذري ، ورخص لي الصلاة في بيتي .

وظاهر هذا السياق أن الحديث من أوله إلى هنا من رواية محمود بن الربيع عن رسول الله ﷺ بغير واسطة ، ومن هنا إلى آخره من روايته عن عتبان صاحب القصة

(قَالَ) محمود بن الربيع راوي الحديث عن عتبان م : (فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) أي قال ﷺ لعتبان : (سَأَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ) ، ففرح عتبان لقبول رسول الله ﷺ دعوته ، وقبول الله تعالى لعذره .

ولم يتأخر رسول الله ﷺ عن المجيء إلى عتبان في بيته ليصلي فيه ، يقول عتبان : (فَعَدَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ ؓ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ) أي

حضر ﷺ في الغداة ، وهو اليوم التالي حين ارتفع النهار وجاء وقت الضحى ، بعد ارتفاع الشمس ، ومعه أبو بكر الصديق ﷺ .

(فَاسْتَأْذَنَ) في دخول البيت (فَأَذْنَتْ لَهُ) فدخل (فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ ، ثُمَّ قَالَ : أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ) ...؟ أي ما هو المكان الذي تحب ان أصلي فيه ليكون مصلاك بعد ذلك ؟ .

يقول عتبان ﷺ : (فَأَشْرْتُ لَهُ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ الْبَيْتِ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَكَبَّرَ ، فَقُمْنَا فَصَفَّنَا فَصَلَّى رَمْعَتَيْنِ) إماما بنا ، (ثُمَّ سَلَّمَ) أي خرج من الصلاة .

يقول عتبان ﷺ : وأراد ﷺ أن يخرج فـ (حَبَسْنَاهُ) أي منعناه من الخروج ليأكل معنا (عَلَى خَزِيرَةٍ صَنَعْنَاهَا لَهُ) ، والخزيرة : لحم يقطع قطعاً صغيرة ، وبطيخ في الماء ، ويذر عليه بعد النضج دقيقاً ، وإن خلا من اللحم يسمى (عصيدة)

يقول عتبان : ودعوت للطعام مع رسول الله ﷺ رجالاً (فَثَابَ فِي الْبَيْتِ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الدَّارِ) أي : جاء إلينا من القبيلة رجال (نَذَوُ عَدَدٍ) أي جاءوا بعدد ليس قليلاً ، وأخذوا يتسامرون بعد الطعام (فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : أَيْنَ مَالِكُ بْنُ الدُّخَيْنِ أَوْ ابْنُ الدُّخَيْنِ) ؟ وهو واحد منهم لم يحضر الوليمة مع رسول الله ﷺ ، وكانت فرصة للمسلم أن يتشرف بالجلوس مع النبي ﷺ والاستماع منه والتحدث معه ، ولذلك سألوا عن سبب غيابه .

(فَقَالَ بَعْضُهُمْ : ذَلِكَ مُنَافِقٌ لَا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) معللاً سبب عدم حضوره

مجلس هذا الطعام مع رسول الله ﷺ ، وبين أنه النفاق الذي منعه من الحضور لعدم حبه لله ورسوله ﷺ .

(فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) لمن نطق بهذا القول : (لَا تَقُلْ ذَلِكَ ، أَلَا تَرَاهُ قَدْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ) ؟ ... والسؤال ينكر اتهامه بالنفاق ، مبينا أنه كان يقصد بشهادته ذات الله تعالى ، وقد سمعتها منه فلم تتهمه ؟ ؟ ولم تقول عليه ما قلت ؟ .

فقال الرجل القائل : (اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ) ، أي : إن الذي يعلم الحق هو الله ورسوله ﷺ ، وبذلك لام الرجل نفسه ، لأنه أمن بأن العلم الحقيقي لله وحده ، والواجب أن يقف المرء عند حدود علمه ، ولا يتخطاه إلى أمر لا يعلمه .

قال القائل : (فَإِنَّا نَرَى وَجْهَهُ وَنَصِيحَتَهُ إِلَى الْمُنَافِقِينَ) ، أي إنا نحكم بنفاقه لما نراه من مصاحبة المنافقين ، ونصحه المخلص لهم ، ولذلك نعدده منهم .

(فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ) أي إن الله تعالى حرم النار على من شهد بالتوحيد ، قاصدا بشهادته ذات الله تعالى ، فلا تمسه النار ، عسى أن يكون له عذر لا تعرفه ، ولا تحكم عليه بالنفاق بلا بينة قاطعة .

وفي الحديث الثاني : يقول محمود بن الربيع رضي الله عنه راوي الحديث الأول عن عتبان ، أنه كان مع رسول الله ﷺ في دار عتبان ، وأنه شاهده بعد طعامه يرمي بماء من فمه ، أخرجه ورماه في دلو ، كان لهم

في دارهم ، ثم حدث بحديث عتبان الأول ، وهذا دليل يسوقه محمود بن الربيع لتأكيدهِ القصة السابقة ، وأنه عاش وقائعها ، وسمع من عتبان ومن رسول الله ﷺ ونقل عنهما

فإن قيل : إن ظاهر الحديث يفيد أن النار محرمة على من نطق بالتوحيد مع إن أحاديث الشفاعة تدل على أن بعض الموحدين يعذب بمعاصيه ، فكيف نفهم هذا التعارض ؟

أقول : إن من نطق شهادة التوحيد مخلصا لا يترك فرضا ولا يرتكب إثما لا يعذب بالنار ، أو أن المراد تحريم التخليد في النار ، أو تحريم دخول النار المعدة للكافرين ^(١) .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب في أسلوب قصصي ، بعض الرخص التي أجازها الله تعالى لأصحاب الأعذار ، تخفيفا عليهم ، ورفع الحذر عنهم . فلقد كان عتبان ؓ ، يعبر الوادي الذي يفصله عن مسجد أهله ؛ ليصلي بهم إماما ، فلما كبر سنه ، وضعف بصره ، وعجز عن عبور الوادي حين امتلائه بالسيل ، ذهب إلى رسول الله ﷺ شاكيا أعذاره لرسول الله ﷺ راجيا أن يبيح له رسول الله ﷺ رخصة الصلاة في بيته ، وهو يعرف أن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه ، كما يحب أن تؤتى عزائمه ... إلا أنه مع ذلك يطلب من رسول الله ﷺ أن يصلي معه في بيته ليتخذ من المكان الذي سيصلي فيه رسول الله ﷺ مسجدا يواظب على الصلاة فيه

(١) انظر فتح الباري ج ١ ص ٥٢٢ .

وبذلك يتأكد أن عذره مقبول ، وأنه في اتباع الرخصة تابع لرسول الله ﷺ ، ولم يتوان رسول الله ﷺ على عتبان ، ففي الغداة ذهب إليه في بيته ، ومعه أبو بكر رضي الله عنه ، واستأذن ، ودخل ، وطلب ﷺ من فوره من عتبان ﷺ أن يدلّه على المكان الذي يرغب في اتخاذه في بيته مسجداً ، فأشار إليه ، وأقام ﷺ وصلى بالحاضرين ركعتين ، وبعد الصلاة منعه عتبان من الخروج ، وأعد له وليمة من الخريزة ، حضرها عدد من قوم عتبان ، وبعد انتهائهم من الأكل سألوا عن واحد منهم لم يحضر ، فقالوا منعه النفاق من المجيء ... فكره النبي ﷺ منهم ذلك ، وقال للقائل : لا تقل ذلك لقد نطق بالشهادة ، يقصد بها وجه الله تعالى ، فقال القائل : الله ورسوله أعلم .

فقال القوم : إنا نرى نصحه ومصاحبته للمنافقين ، وهذا تجوز منهم لحكمهم على رجل بالنفاق وليس معهم دليل على ذلك . فقال رسول الله ﷺ : إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يقصد بها وجه الله تعالى .

ومن أحاديث الباب ندرك ما يلي :

١ - لجوء المسلمين إلى رسول الله ﷺ ، ليأخذوا منه المنهج

الإسلامي الذي يتبعونه في نشاطهم ، ومرضهم ، وعند حدوث عذر لهم .

٢ - حرص رسول الله ﷺ على إرشاد المسلمين ، وتبيان الحق لهم

، ومخاطبتهم بالحسنى .

٣- من حق صاحب العذر المانع من الذهاب للمسجد ، أن يتخذ في بيته مصلًى للصلاة .

هذا :

ولقد بين الصحابي محمود بن الربيع رضي الله عنه راوي الحديث عن عتبان ، أنه جلس مع رسول الله ﷺ ، وسمع منه ، وأنه شاهده يمج الماء ، ويرشه على الصغار مداعبا لهم ، وكان عمر محمود بن الربيع رضي الله عنه يوم ذاك خمس سنوات .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب جواز إتيان الرخص عند العذر ، وتوضح شفقتة ﷺ بالمسلمين ، وقبوله لأعذارهم ، ودعوتهم على عدم الخوض في سير الناس إلا ببينة ، وحثهم على تجنب أعراض الناس .

- هـ -

ركائز الدعوة في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز أهمها : -

الركيزة الأولى

التكاليف الشرعية عزائم ورخص

التكاليف الشرعية حدود حددها الله تعالى ، ليقوم بها المكلف في الإطار الذي رسمته النصوص الدينية ، وهي شاملة لكل نشاط إنساني من قول أو فعل أو حركة ، كالقراءة والدعاء والصلاة وسائر العبادات ... الخ ... وقد أمر الله تعالى بالالتزام بهذه التكاليف ، والوقوف عند حدودها

يقول ﷺ : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ

جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١﴾ ، ويقول ﷺ : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢) . ويقول ﷺ : ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ (٣)

إن الالتزام بالتكاليف الشرعية عزيمة لابد من الالتزام بأداء فرائضها، وإتيان سننها ومستحباتها ، وتجنب حرامها وسائر ما أنكر الله تعالى .
ولكن :

قد يصاب الإنسان المكلف ، بما يعجزه عن القيام بما كلف به
وهنا تتجلى رحمة الله تعالى ، بتشريع بدائل للعمل في حدود استطاعة الإنسان المكلف ، حتى لا تضربه العزيمة .

يقول الله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ (٤) .

ويقول النبي ﷺ (لا ضرر ولا ضرار) (٥) .

فللمسافر أن يقصر الصلاة ، وللعاجز أن يصلي في بيته ، والذي لا يستطيع الصوم يفطر ويفدي .

(١) سورة النساء الآية : ١٣ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٢٩ .

(٣) سورة الطلاق الآية : ١ .

(٤) سورة البقرة الآية : ٢٨٦ .

(٥) سنن أبن ماجه ، كتاب الأحكام ، باب : من بني في حقه ما يضر بجاره ، حديث رقم : ٢٣٣٧ .

وقال ﷺ : **﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾** ^(١)
وقال رسول الله ﷺ : (من استطاع الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء) ^(٢) .
وحديث الباب بيان لفضل الله ورحمته ، فقد قبل رسول الله ﷺ
عذر عتبان ؓ ، وذهب إليه في بيته ، واتخذ مكانا ، وصلى فيه ليتخذه
عتبان لصلاته في بيته إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن
تؤتى عزائمه .

الركيزة الثانية

قيادة الرسول ﷺ للأمة

بشرية الرسول ﷺ الحسنة ، كملها الله تعالى بالوحي ، فعاش
ﷺ مع الناس برسالته ، وجاءه الوحي وهو في بشريته ، فعاش في الدنيا
إنسانا جامعا للكمال ، واتخذهُ المؤمنون أسوة وقدوة ، وقاد المسلمين في
خلق وأدب إلى معالي الأمور ، ومراقى الفلاح ، وترك في الإنسانية جميعا
صورة رائدة للقائد الصالح .
لقد كان ﷺ لين الجانب مع الناس ، شفوفا بهم فأحبوه ، ورأوا فيه الوالد
الرحيم ، والأخ المحب ، والطبيب المعالج ، والعظيم المتواضع الذي يعيش
بينهم ليساعدهم ، ويأخذ بيدهم إلى سواء السبيل .
عاش رسول الله ﷺ مع أصحابه واحدا منهم ، وعاش أصحابه معه

(١) سورة آل عمران الآية : ٩٧ .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الصوم ، باب الصوم لمن خاف على نفسه العُزْبَه .

طلابا لعلمه ، واتباعه ، يحبون الحياة بمنهجه العظيم .

وحديث الباب ينطق بهذه الحقائق ، فها هو عتبان ، حين ضعف بصره ، وعجز عن عبور الوادي إلى مسجد قومه ، يأتي إلى رسول الله ﷺ ليتخذ من بيته مسجدا ، فوافقه ﷺ ، وحقق له رغبته ، وأتى ﷺ إليه في بيته ، ويصلي أولا في المكان الذي يريد اتخاذ مسجدا في بيته ، ويتأسى به ، ويصلي في المكان الذي صلى فيه ﷺ .

فلم يكتف الرسول ﷺ بالتوجيه النظري ، بل اتبعه بالتطبيق العملي ، واستجاب لرغبة صاحبه ، وسار إليه في صباح اليوم التالي ، ومعه أبوبكر رضي الله عنه ، وصلى في المكان الذي أراه عتبان رضي الله عنه ، وبذلك رخص ﷺ له الصلاة في بيته ، وأقام عتبان رضي الله عنه وليمة لرسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق رضي الله عنه ، حضرها عدد من أفراد القبيلة ، فلما تكلم الناس واتهموا واحدا بأنه غاب عن الحضور للنفاق ، أرشدهم الرسول ﷺ ونهاهم عن الخوض في دين الناس بلا دليل ، وقال لهم : انه نطق الشهادة لوجه الله تعالى ، وقد حرم الله تعالى عليه النار .

إن هذه الصورة جزء من القيادة المحمدية الجامعة للتوجيه ، والمعاونة والشفقة ، وتعبيد الناس لله رب العالمين ، يقول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ^(١) وقال ﷺ : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ

(١) سورة التوبة الآية : ١٢٨ .

رَجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴿١﴾ وَقَالَ ﷺ : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (٢) ، ويقول ﷺ : (يا أيها
الناس إنما أنا رحمة مهداة) (٣)

ويا ليت المسلمين ينقذون أنفسهم باتباع هدي رسول الله ﷺ ،
ويهجروا كل معارض لسنته ، فهو كاره لدين الله تعالى .

الركيزة الثالثة ضرورة البيئة في الدعوى

حينما تكلم الصحابة الذين اجتمعوا في بيت " عتبان بن مالك " ﷺ
سألوا عن سبب غياب " مالك بن الدخشن " ، فعلل أحدهم سبب غيابه
عن لقاء رسول الله ﷺ بالنفاق .

فسألهم رسول الله ﷺ عن إسلامه فقالوا : الله ورسوله أعلم فعرفهم رسول
الله ﷺ بأنه نطق بالشهادتين مخلصا قاصدا بها وجه الله تعالى وحده .

فعلموا أن دعواهم بلا دليل ، وعرفوا أن أي دعوى بلا دليل ساقطة .
إن الحديث في أعراض الناس لا يجوز ، وأي نبأ لا بيئة فيه مردود
، ولا يصح أن يقع مسلم في عرض أخيه ، ويتهمه بلا بينة أو دليل ، ولا
يصح إشغال الوقت بما لا يفيد ، فالإنسان مسئول عن عمله ، وعلمه ،
وماله ، ومقاله ، وعن عمره وشبابه ، وهذا مدعاة للحرص ، حتى لا يؤتى
المرء في واحدة من ذلك .

(١) سورة الأحزاب الآية : ٤٠ .

(٢) سورة الفتح الآية : ٢٩ .

(٣) المستدرک علی الصحيحین للحاکم ، کتاب الإیمان ، حدیث رقم : ٩٧ .

يقول الله تعالى : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَهْلِكِهِمْ فَيُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ تَنِيدِينَ ﴾ ^(١) .

إن الإسلام يعمل على إيجاد المجتمع الطاهر النظيف ، المتميز بالعبادة ، وسلامة القلب والضمير ، الممتلئ بالحب والود والتضحية ، وباليات المسلمون يعودون لدينهم ، لنرى الإسلام في واقع الحياة .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الأحاديث

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية : -

- (١) التبرك بالصالحين والافتداء بهم في عملهم الصالح دين مشروع .
- (٢) ثبوت تواضعه ﷺ ، وقبوله دعوة صاحبه ، وحضور ضيافته .
- (٣) استصحاب العالم والإمام بعض أصحابه معه في حاجة الناس .
- (٤) ضرورة الاستئذان على الرجل في منزله ، وإن تقدم منه طلب المجيء إليه .
- (٥) البدء بالأمور الهامة ، وتقديمها على الأمور الأقل منها .
- (٦) جواز صلاة النفل جماعة .
- (٧) من العادات المستحبة أن يجتمع الأهل والأقارب لاستقبال الرجل الصالح إذا أتى لأحدهم لتكريمه ، والاستماع له .
- (٨) جواز اتخاذ مكان في البيت وإعداده للصلاة .
- (٩) جواز إمامة الأعمى .

(١) سورة الحجرات الآية : ٦ .

- ٤٠ -

**٤٨ - جواز الصلاة على حصير
وخمرة وثوب وغيرها من الطاهرات**

حديث ميمونة **ل** قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي وَأَنَا

[٣٨٦]، (١)

حِذَاءَهُ، وَأَنَا حَائِضٌ ، وَرُبَّمَا أَصَابَنِي ثَوْبُهُ إِذَا سَجَدَ ، قَالَتْ:

٦٢٨

وَكَانَ يُصَلِّي عَلَى الْخُمْرَةِ ^(١).

- أ -

موضوع حديث الباب

يبين الحديث جواز الصلاة على حصير، أو خمرة ، أو ثوب ،
وما أشبهها مما يوضع على الأرض ، ويسجد عليه المصلي ما دام طاهرا

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

تقول السيدة ميمونة **ل** (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي وَأَنَا

حِذَاءَهُ، وَأَنَا حَائِضٌ) أي إن السيدة ميمونة **ل** كانت بجوار النبي

ﷺ وهي حائض ، وكان النبي ﷺ يصلي بجوارها ، لا يبتعد عنها ،

حتى أن ثوبه ﷺ كان يلامسها عند سجوده ، ولا يضر ذلك صلاة

رسول الله ﷺ .

تقول **ل** عن ذلك : (وَرُبَّمَا أَصَابَنِي ثَوْبُهُ إِذَا سَجَدَ) ، أي

إن ثوب رسول الله ﷺ كان يقع على السيدة ميمونة **ل** حين سجوده ،

(١) أخرجه البخاري في: ٨ كتاب الصلاة: ١٩ باب إذا أصاب ثوب المصلي امرأته إذا سجد .

ولم يعلق ﷺ على ذلك ، مما يدل على أن بدن الحائض طاهر ، وأن نجاستها حكمية فقط تفيد الحكم ، ولا تؤذي غيرها ، وإن ملاقة بدن الطاهر وثيابه لا تفسد الصلاة ، ولو كان متلبسا بنجاسة حكمية .

قالت السيدة ميمونة **ل (وَكَانَ يُصَلِّي عَلَى الْخُمْرَةِ)** أي إن مكان صلاة رسول الله ﷺ كان ضيقا ، وإنه كان يصلي بجوار نسائه ، وإنه كان ﷺ يتخذ لسجوده فراشا صغيرا يسجد عليه يسمى (الخمرة) .
وَالْخُمْرَةُ بضم الخاء وسكون الميم مصلى صغير يتخذ من سعف النخيل ، ويمكن اتخاذها من الصوف والقطن والجلد ، وما يشبه ذلك ، سميت بذلك لستره الوجه والكفين فقط من حر الأرض حين السجود ، فإن كبرت مساحتها فهو (الحصير) .

والخمرة طاهرة لاتخاذها من سعف طاهر ، ولذلك كان ﷺ يصلي عليها .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يبين الحديث أن النبي ﷺ كان يصلي في بيته بعض النوافل ، وأنه ﷺ كان يسجد على مصلى مصنوع من سعف النخل ، المتخذ من نبات الأرض .

يقول الإمام النووي : وهذا مجمع عليه ، وتقاس عليه كل ما اتخذ من طاهر ، كالسجادة ، والفرش وغيرها ^(١) .

وما روي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه كان يأتي بتراب يضعه

(١) شرح النووي ج ٢ ص ٣٠٦ .

على الخمرة ، ويسجد عليه ، محمول على المبالغة في التواضع ،
والخشوع ؛ لأن الصلاة قائمة على الخشوع والتواضع ، وكانوا يرون أن
هذا الخشوع يتم بوضع الوجه على التراب ، وقد أشار أبو داود إلى ذلك
بروايته التي فيها (ترب وجهك) ^(١) .

ولذلك كره بعض الصحابة الصلاة على الطنافس ، والفراء ، والفرش
التمينة ، ...

وقال الإمام مالك : لا أرى بأسا بالقيام على الطنافس ، والفراء
على أن يضع المصلي جبهته ويديه على الأرض ^(٢) .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

تبين أحاديث الباب أن بدن الحائض طاهر ، وأن نجاستها حكمية ،
ولذلك كان ﷺ يصلي في بيته ، بجوار زوجته وهي حائض ، وكان ثوبه
ﷺ يلامسها حين سجوده ، وقد اتصف رسول الله ﷺ بالتواضع فكان
يصلي على الأرض ، ويتخذ خمرة يضع عليها جبهته ، ويديه حين
السجود ، ليتقي حر الأرض ويردها .

- ه -

ركائز الدعوة في حديث الباب

يتضمن حديث الباب ركيزة هامة وهي : -

الرسول ﷺ أسوة لأُمَّته

اتخذ السلف الصالح للأمة الإسلامية رسول الله ﷺ أسوة لهم وقدوة

(١) صحيح ابن حبان ، كتاب الصلاة ، باب صفة الصلاة ، حديث رقم : ١٩٣٧ .

(٢) فتح المنعم ج٣ ص ٣٩٢ .

وقدوة ، كما هو شأن المسلم دائما ، ولذلك اهتموا بتتبع أعماله ، وأحواله ، ورواية أحاديثه ومقالاته ، ونقلوها لمن بعدهم لتبقى في حياة المسلمين منهجا يتبع ، ودينا يعيش المسلمون به حتى يلقون الله تعالى .

وقد اخذ المحدثون حكاية الصحابي عن رسول الله ﷺ مثل رأيته يفعل كذا ، أو كان يفعل كذا وعدوه حديثا مرفوعا ؛ لأن الصحابي رواه ليكون شرعا للمسلمين ، ومصدرا دينيا ، يحدد المسار العملي لدين الله تعالى .

وحديث الباب دلالة واضحة على ما قلت ، فلقد روت أم المؤمنين ميمونة ل ما شاهدته في بعض صلاة النبي ﷺ ، فلقد كان يصلي ﷺ بجوارها وهي حائض ، وكان ثوبه ﷺ يصيبها أثناء سجوده ﷺ ، وذكرت انه ﷺ كان يصلي على خمرة .

ونقل المحدثون هذه الأخبار عن أم المؤمنين ل واستتبط منها الفقهاء والعلماء الحكم والأحكام .

إن رسول الله ﷺ رحمة مهداة ، والتأسي به واجب ، وهذا التأسي يقوم على دعائم أساسية .

الدعامة الأولى : الحب الصادق لرسول الله ﷺ أكثر من حب أي مخلوق وموجود ، على أن يتغلغل هذا الحب في القلب والروح ، وفي الأعمال والأبدان ، ويظهر في الفكر والسلوك طاعة ، واستقامة ، يقول النبي ﷺ : (لا يؤمن أحدكم ، حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)^(١).

(١) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان .

ويقول ﷺ وهو يتحدث عن علامات الإيمان : (وأن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما) ^(١) ، إن الحب الصادق لرسول الله ﷺ يؤدي لمعرفة صفاته ، وشمائله ، وأقواله ، وأعماله ؛ ليستقيم المسلم عليها في طاعته .

إن التلازم ضروري بين الحب و الطاعة ، وبين الإعجاب بأمر والرغبة في الحصول عليه ، وصدق من قال :

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمرى في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

الدعامة الثانية : حب مدارس السنة ، والمحافظة على ما صح منها ، لأن مدارس السنة طريق إلى العلم بها ، وفوق أن السنة تجلي شخصية رسول الله ﷺ النظرية والعملية فهي وسيلة تحقيق الإصلاح والهداية ، يقول ﷺ : (إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتي ، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض) ^(٢).

الدعامة الثالثة : تقديم ما جاء في السنة على أي فكر بشري ، فالسنة المطهرة بيان للقرآن الكريم ، وتميزها عن أفكار البشر مؤكد ، وفوق ذلك فهي ثابتة لا تتغير ، صالحة لكل زمان ومكان ، وقد ثبت أثرها في العهود الأولى ، ونجحت في صناعة الإيمان في الأفراد والجماعات ، وما ثبتت صحته جدير بأن يتبع .

(١) مسند احمد بن حنبل ، مسند المدنيين ، حديث رقم : ١٥٨٩٦ .

(٢) المستدرک على الصحيحين للحاكم ، كتاب : العلم ، حديث رقم : ٢٨٨ .

إن رسول الله ﷺ مدرسة كاملة ، صنعت مجتمعاً صالحاً ، ويمكن للمسلمين لو أرادوا أن يعيدوها سيرتها الأولى .

- ٩ -

ملحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من حديث الباب ما يلي : -

- (١) بدن الحائض طاهر لا ينجس ، وأن نجاسة الحيض نجاسة حكمية
- (٢) يجوز صلاة الرجل في بيته وزوجته بجواره .
- (٣) ملامسة النجاسة الحكمية لا شيء فيها .
- (٤) يجوز اتخاذ شيء من نبات الأرض أو ترابها أو غير ذلك للسجود عليه ما دام طاهراً .

- ٤١ -

٤٩ - باب فضل الجماعة وانتظار الصلاة

حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : صَلَاةُ الْجَمِيعِ [٣٨٧]، (١)

٤٧٧

تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ
دَرَجَةً، فَإِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ، وَأَتَى الْمَسْجِدَ لَا يُرِيدُ
إِلَّا الصَّلَاةَ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحُطَّ
عَنْهُ خَطِيئَةٌ حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ ، وَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ
فِي صَلَاةٍ مَا كَانَتْ تَحْبِسُهُ ، وَتُصَلِّي عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مَا دَامَ
فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ،
مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ ^(١).

- أ -

موضوع حديث الباب

يدور الحديث حول فضل صلاة الجماعة ، وجزاء كثرة الخطي
إلى المسجد ، وحكم انتظار الصلاة في المسجد، ودعاء الملائكة لمن
ينتظر الصلاة حتى يصلي

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يروى أبو هريرة رضي الله عنه الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : (صَلَاةُ الْجَمِيعِ)
أي صلاة الفرد مع الجميع في جماعة (تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ) منفردا (فِي
بَيْتِهِ) وعن (صَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ) منفردا كذلك (خَمْسًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً) أو
سبعا وعشرين درجة كما جاء في روايات سابقة.

(١) أخرجه البخاري في: ٨ كتاب الصلاة: ٨٧ باب الصلاة في مسجد السوق

وللمصلي ثواب في مشيه إلى المسجد ، وانتظاره الصلاة (فإنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ) وإحسان الوضوء بإسباغ الماء ، والمحافظة على شروط الوضوء ... (وَأَتَى الْمَسْجِدَ) أي جاء إلى المسجد بعد وضوئه (لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ) ، أي وليس له غرض آخر غير الصلاة ، (لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْهُ خَطِيئَةٌ) أي إنه يثاب عن كل خطوة يخطوها إلى المسجد درجة ، ويمحو عنه خطيئة .
والخطوة : هي المسافة بين القدمين حين المشي ، اتسعت أو ضاقت .

(حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ) أي يستمر في رفع الدرجات ، ومحو الخطايا طول مشيه ، حتى يدخل المسجد ، وينتظر الصلاة ؛ لأنه حينئذ يدخل في عملية أخرى ، يفوز بثوابها الأحسن والأعظم .
يقول النبي ﷺ فإنه : (إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَتْ تَحْبِسُهُ) ، أي إنه يثاب على انتظاره الصلاة بثواب المصلي ؛ لأنه يعد مصليا مادام ينتظر الصلاة ، لا يبغي إلا الصلاة التي ينتظرها .
ويعطيه الله تعالى أمرا آخر ، وهو أن يأمر الملائكة للدعاء له ، وإعانتته ف(تُصَلِّي عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ) أي تستمر الملائكة تدعو له مادام في المسجد منتظرا الصلاة ، وتقول في دعائها له : (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ) أي استر يا الله عيبه ، وامح ذنوبه ، (اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ) أي أحطه يا الله بتوفيقك ومعونتك ، (مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ) ، ما لم يقع له حدث ينقض وضوءه .

وسمى الحدث الناقض بـ (الحدث المؤذي) ، لأنه يصرف الثواب

عنه ، ويوقف دعاء الملائكة له ... وفعل (يُحدث) مجزوم بلم .
ويمكن لمنتظر الصلاة أن يبادر إلى الوضوء إذا انتقض ليفوز بالثواب
الجزيل الذي قدره الله له وهو متوضئ .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

الصلاة أسرع الطرق الموصلة لله تعالى ، والمصلي أثناء
صلاته يكون في أقرب حالاته مع الله تعالى ، ويعيش أقوى الطرق لحب
الله ، والفوز بمرضاته ورضاه .

يقول الله تعالى في الحديث القدسي : (...وما تقرب إلي عبدي
بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل
حتى أحبه ، فإذا أحببته : كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي
يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني
لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله
ترددني عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته) (١) .

ومن حب الله تعالى لعبده ، وفرحه بإقراره بالحاجة إليه أن يسر له
أمر الصلاة التي حثه عليها ، وأحاطها بالثواب الجميل .
والجزاء الأوفى جعله سبحانه مثوبة على التبكير في أداء الصلاة في أول
وقتها ، وفي المشي إليها، وفي انتظارها ، وأمر الملائكة أن تستغفر لمن
صلى ، أو انتظر الصلاة .

وتلك أبواب عديدة للأجر والثواب ، جعلها الله تعالى للمصلين
الذين يؤدونها في جماعة .

(١) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب التواضع .

إن المسلم عندما يعلم هذه الرحمات جدير به أن يسارع إليها ، ليفوز بما أعد الله تعالى للصادقين المطيعين .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب أن الصلاة في جماعة أفضل من الصلاة منفردا ، بخمس وعشرين أو سبع وعشرين درجة ، وأن الماشي إلى المسجد يقصد الصلاة فقط له في كل خطوة درجة يرفعه الله بها ويحط عنه خطيئة ، فإذا ما دخل المسجد فله ثواب المصلي مادام منتظرا للصلاة ، وتسأل الملائكة له المغفرة والرحمة.

- ه -

ركائز الدعوة في حديث الباب

يتضمن حديث الباب ركيزة هامة هي : -

المصلون هم المفلحون

فتح الله تعالى للمسلمين باب الخير ، وشرع لهم الصلاة ليقوموا بها وهم مسرورون سعداء ، وكان النبي ﷺ يقول لبلال ؓ : (أرحنا بها يا بلال) ^(١) وفي الصلاة الخير كله ، فهي تربط المصلي بالله ، وتأمره بالخير والصلاح وتنهاه عن الفحشاء والمنكر وتصنع من جماعة المصلين أمة متماسكة ، متحابية ، تصون الحقوق ، وتحقق العزة ، وتؤكد الكرامة ، وتبهر الطريق للناس أجمعين .

والمفلحون هم المؤمنون المصلون الذين هم في صلاتهم دائمون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون .

(١) المعجم الكبير للطبراني ، من اسمه سهل ، حديث رقم : ٦٠٨٨ .

وقد اشترط الشرع الحنيف للصلاة شروطاً ، يظهر بها المسلم ظاهراً وباطناً ، فأمر بإسباغ الوضوء على الأعضاء ، وخص الأمة الإسلامية بان تبعث بغرة محجلة لتعرف بين الخلائق بصلاحها وصلاتها .

ويجب أن تفهم حقيقة الصلاة من دلالتها الروحية والنفسية ، ليكون عملها رمزاً على آثارها في الفهم والسلوك .

إن الصلاة ذكر ودعاء ، وتضرع وثناء ، وطهارة للأعضاء ، وتنقية وتنظيف للروح والألباب ، وكل هذا رموز توضح تعلق المصلي الدائم بربه ، وخضوعه له ، وتعبد اللسان والجوارح لجلاله ، وترتبط الروح والوجدان لصاحب النعيم ، وهو الله رب العالمين .

ولذلك كان لابد من الصدق في أدائها ، ومن الدقة في المحافظة على أوقاتها ، والإخلاص المتين في تفهم معانيها وغاياتها ...

يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾^(١) ففي الآية تتجلى شخصية المؤمنين حين قيامهم بما أمروا به ، فهم يعبدون الله تعالى قاصدين وجهه في صدق وإخلاص ، ويتمسكون بالإسلام بكل ما جاء به .

إن العقلاء هم الذين يطيعون أمر الله ، ويحافظون على الصلاة ، والله ولي المتقين .

(١) سورة البينة الآية : ٥ .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من الحديث الفوائد التالية :

- (١) صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة .
- (٢) ينتظر الصلاة له ثواب المصلي مادام منتظرا للصلاة .
- (٣) للمشي على الصلاة ثواب وأجر يكثر بكثرة الخطا ، ويقل بقلتها .
- (٤) الملائكة تستغفر للمصلين وتدعو لهم .
- (٥) إحاطة المسلم بثواب المشي إلى الصلاة وانتظارها ، وأدائها مع الجماعة جزاء يشجع على الطاعة والاستقامة .

- ٤٢ -

٤٥ - باب فضل كثرة الخطأ إلى المسجد

حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **أَعْظَمُ** (١)، [٣٨٨]

٦٥١ **النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلَاةِ أَبْعَدُهُمْ فَأَبْعَدُهُمْ مَمْشَى، وَالَّذِي يَنْتَظِرُ**
الصَّلَاةَ حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الْإِمَامِ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي يُصَلِّي
ثُمَّ يَنَامُ ^(١).

- أ -

موضوع حديث الباب

يدور حديث الباب حول فضل كثرة الخطأ إلى المساجد للصلاة .

- ب -

الدلالات اللغوية في حديث الباب

يقول أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : **(أَعْظَمُ**
النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلَاةِ) أي : أفضل المسلمين أجرا عن صلاتهم ،
والأفضلية تشمل الدرجة الحسية ، والمنزلة المعنوية ، وهذا يفيد اشتغال
الفضل ظاهر الإنسان وباطنه ، و أن أجر المصلين يتفاوت بتفاوت تعبهم
البدني ، وإخلاصهم القلبي .

(أَبْعَدُهُمْ فَأَبْعَدُهُمْ مَمْشَى) أي أكثرهم أجرا أكثرهم خطأ في ممشاه إلى
المسجد ، وعودته منه ، وهذا يتحقق بسبب بعدهم عن المسجد ، وكلما زاد
البعد زاد الأجر ، فإن للذهاب إلى المسجد والراجع منه بكل خطوة أجر .
ودليل ذلك أن بني سلمة (بفتح السين وكسر اللام) أرادوا أن يبيعوا دارهم
البعيدة عن المسجد ، وبيتاعوا دارا بجوار المسجد النبوي ، وينزلوا قريبا

(١) أخرجه البخاري في: ١٠ كتاب الأذان: ٣١ باب صلاة الفجر في جماعة

من النبي ﷺ ، فكره النبي ﷺ أن يتركوا أطراف المدينة خالية ، وقال لهم ﷺ : (يا بني سلمة ألا تحتسبون آثاركُم ، فأقاموا)^(١) ؟ والاستفهام إنكار لما عزم عليه بنو سلمة ، وحثهم على ترك ما اعتزموا عليه ، ومع الإنكار عرفهم ﷺ بأن خطاهم إلى المسجد ذهابا وعودة تكتب لهم في صحائف أعمالهم الخيرة ، فلما علموا ذلك أقاموا في بيوتهم ، ولم يستبدلوها بغيرها - وآثاركُم أي خطواتكم التي تمشونها إلى المسجد .
والمعنى : ألا تعدون خطاكم عند مشيكم إلى المسجد ، فإن لكل خطوة ثوبا ، وهذا يقتضي قصد تكثير الخطا بنية صادقة ، ولذا كان البعض يضيق الخطا في مشيه ليكثر عددها .
يقول جابر بن عبد الله رضي الله عنه : (كانت ديارنا نائية عن المسجد ، فأردنا أن نبيع بيوتنا ، فنقرب من المسجد ، فنهانا رسول الله ﷺ ، فقال : " إن لكم بكل خطوة درجة)^(٢) .

وفضل آخر أعده الله تعالى لمن يجلس في المسجد لقوله ﷺ : (وَالَّذِي يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الْإِمَامِ أَغْظَمَ أَجْرًا مِنَ الَّذِي يُصَلِّي ثُمَّ يَنَامُ) ، وذلك لأن منتظر الصلاة يجلس وقتا أطول في المسجد ، وله فيها ثواب المصلي ، لأن المنتظر ثواب من يصلي ، أما الذي يصلي وينام ، ولا ينتظر الصلاة فأجره أقل من الآخر ، لأن الأجر تابع للمشقة ، وكلما زادت المشقة زاد الأجر .

(١) صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب كراهة النبي ﷺ أن تعرى المدينة ، حديث رقم : ١٧٩٧

(٢) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل كثرة الخطا على المساجد ، حديث رقم :

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

الصلاة قيام وركوع وسجود وخشوع ، وتذلل لله تعالى وخضوع ، تتقي الروح ، وتهذب السلوك ، وتذكر بالله تعالى ، وتتهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذلك كان التكليف بها قائم على التعب والمشقة ، وكلما زاد التعب زاد الأجر ، وكثر الثواب .

ومن صور المشقة السعي للصلاة من مكان بعيد ، وكثرة الخطا ، لدرجة أن السلف كانوا يبطئون المشي لتكثير الخطا ، وأيضا فإن انتظار الصلاة في المسجد لها أجر يعادل ثواب المصلي .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب أن كثرة الخطا إلى المسجد سبب لكثرة الثواب ، وأبعد الناس عن المساجد أفضلهم أجرا ومثوبة ، كما أن انتظار الصلاة يزيد الأجر ، لأن منتظر الصلاة له ثواب من هو في الصلاة.

- ه -

ركائز الدعوة في حديث الباب

يتضمن حديث الباب ركيزة هامة هي : -

المشقة أساس التكليف

يقوم التكليف على المشقة ؛ ليطمئز الخبيث من الطيب ، لأن المؤمن يدرك أن العبادة طاعة لله تعالى ، وسبب للقرب منه ، فيقبل عليها ، وهو بها سعيد ، لأنه يعلم يقينا أن التكاليف الشرعية ابتلاء واختبار ، ينال الفائز فيها المقام الأعلى ، ويحوز الدرجات العلا ، ولذلك يؤدي المؤمن ما عليه من تكاليف وهو منبسط السريرة ، راض بالمشقة سعيد بما

قدر الله تعالى له .

والخبيث شخص مضطرب الفكر ، يعجز عن معرفة الحقيقة ، يعلم الخير ويتركه ، وتستهويه الشياطين ، وتستمر في إغوائه حتى يكون من الخاسرين .

وليس معنى أن التكاليف قائمة على المشقة خروجها عن قدرات الإنسان ، وإنما هي مشقة يستطيعها الإنسان ، يقول ﷺ : ﴿ لَا يَكْفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾^(١)

إنما هي مشقة مقدرة بالاستطاعة ، مثل : الصوم فإنه شاق بالنسبة للإفطار ، والصلاة مشقة بالنسبة للتلذذ بالراحة .

أما إذا بلغت مشقة الطاعة حدا يعجز الإنسان عن القيام به ، فإن الله تعالى يستبدل بها ما هو أيسر منها .

فمن عجز عن الصوم يفدي ، ومن عجز عن الذهاب إلى المسجد يصلي في بيته ، ومن عجز عن القيام يصلي جالسا . والمؤمنون بالله تعالى يسعدون بلذة العبادة ، لأنهم يؤمنون بآثارها في الدنيا وفي الآخرة .

إن من يغويه الشيطان ويصرفه عن طاعة الله تعالى ، لا يسعد بالمعاصي التي يبتلى بها ، لأن عقله يوضح له أنه بالمعصية يتعدى على حقوق غيره ، ويبتعد عن طاعة الله تعالى ، وكثير ما ينتهي أمره إلى الفشل والضياع .

ومن يوفقه الله للطاعة يعيش مطمئن الخاطر ، راضيا عن نفسه موفقا في حياته ، ساعيا إلى طاعة الله تعالى .

(١) سورة البقرة من الآية : ٢٨٦ .

يقول ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ آهَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ وَقَوْهُمْ﴾^(١)

إن المؤمنين يحبون ربهم ، وهو سبحانه يحبهم ، ومقتضى هذا الحب مداومة التعلق ، وزيادة القربى ، وإخلاص العمل في كل مايؤكد هذه المحبة ويزيدها ، ولا قيمة لتعب لا يحقق الرغبات والأمانى .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من الحديث الفوائد التالية :-

- (١) بيان تفاضل أجر ثواب الجماعة تبعا للمشقة التي تتصل بها .
- (٢) ذهب البعض إلى أن البطء في المشي إلى المسجد لزيادة الخطى يؤدي إلى زيادة الأجر تبعا لنية الماشي .
- (٣) انتظار الصلاة يثيب الله تعالى عليها مثل الصلاة .
- (٤) حاجة المسلم إلى دوام ذكر الله تعالى لتكثير الأجر والمثوبة .
- (٥) العلاقة بين العابد والمعبود علاقة حب وهيام لا تنقطع .

(١) سورة محمد الآية : ١٧ .

- ٤٣ -

**٤٦ - باب المشي إلى الصلاة
تمحي به الخطايا وترفع به الدرجات**

حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : أَرَأَيْتُمْ

[٣٨٩]، (١)

لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ

٥٢٨

ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ ؟

قَالُوا: لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا.

قَالَ : فَذَلِكَ مِثْلُ اصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا^(١)

حديث أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : مَنْ غَدَا إِلَى

[٣٩٠]، (١)

الْمَسْجِدِ وَرَاحَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ نُزْلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ^(٢)

٦٦٢

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب فضل الصلوات الخمس ، وتوضح أنها تطهر
مقيمها من الذنوب ، وتوضح أن الله تعالى كتب الأجر والثواب لمن ذهب
للمسجد أو رجع منه .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على حديثين يبينان فضل الصلوات الخمس، وما أعده
الله تعالى للمصلي من ثواب كلما ذهب للمسجد أو عاد منه .

ففي الحديث الأول: يؤكد أبو هريرة رضي الله عنه (أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ)

(١) أخرجه البخاري في: ٩ كتاب مواقيت الصلاة: ٦ باب الصلوات الخمس كفارة .

(٢) أخرجه البخاري في: ١٠ كتاب الأذان: ٣٧ باب فضل من غدا إلى المسجد ومن راح .

فهو تأكيد من أبي هريرة رضي الله عنه على سماعه الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة ، وفيه (يَقُولُ صلى الله عليه وسلم أَرَأَيْتُمْ) ؟ ... استفهام تقريرى يتعلق بالاستخبار ، ومعناه اخبروني ، (لَوْ أَنَّ نَهْرًا) (لو) حرف شرط يدل على وجود شيء ، مترتب على وجود غيره أو عدمه ... وهكذا

و (لو) تدخل على الفعل وقد وضع الاستفهام هنا موضع الفعل تأكيداً وتقديراً لمعناه ، وتصويراً واقعياً لهذا الاحتمال الممكن .
والنهر : هو الماء الكثير الجاري ، في المجرى الواسع المحاط بشاطئين ، له منبع ومصب كنهـر النيل ونهر الفرات .

(بَابِ أَحَدِكُمْ) أي أن هذا النهر ليس بعيداً يصعب الذهاب إليه ، وليس محاطاً بسور يمنع النزول فيه فهو أمام باب البيت (يَغْتَسِلُ فِيهِ) صاحب البيت (كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا) عندما يخرج من بيته عند كل صلاة .
(مَا تَقُولُ) في (ذَلِكَ) ؟ أي ما تظن أيها المستمع في نظافة هذا الرجل ؟ فأجرى القول مجرى الظن .

هل (يَبْقَى مِنْ دَرْنِهِ) ؟ الاستفهام للتقرير ، والدرن : هو الوسخ ، أو الحَبّ الذي يظهر على الجلد من أثر الوسخ ، والمعنى هل الاغتسال في النهر خمس مرات في اليوم يبقي من الوسخ شيئاً ؟

(قَالُوا) أي قال الصحابة الحاضرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم : (لَا يَبْقَى مِنْ دَرْنِهِ شَيْئًا) أي إن الاغتسال خمس مرات في النهار والليل يزيل الوسخ ، وما يترتب عليه من ظهور حب ، وأثر في الجلد .

قال صلى الله عليه وسلم : (فَذَلِكَ مِثْلُ اصْلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا) والفاء في (فَذَلِكَ) تدل على شيء محذوف تقديره : إذا تقرر ذلك عندكم ، فهو مثل

الصلوات الخمس المكتوبة على الفرد في الليل والنهار ، تزيل قذارة الذنوب والمعاصي .

وتشبيه الصلوات الخمس بالنهر للتأكيد ، وجعل المعقول كالمحسوس ، ووجه الشبه تحقيق الطهارة في كل طرف لأن المرء كما يتدنس بالقذارة المحسوسة في بدنه وثيابه ، ولا يطهرها إلا الماء الكثير ، فكذلك الصلوات تطهر العبد من أقدار الذنوب حتى لا تبقى له ذنبا إلا أسقطته .
وقد أجاب الصحابة بقولهم : (لَا يُبْقِي مِنْ ذَنْبِهِ شَيْئًا) فأعادوا لفظ السؤال في الإجابة تأكيدا للمعنى ، ومبالغة في نفي الذنوب .
وقد تحدث العلماء عن أحوال العباد مع الأعمال ، واستفادتهم من الصلاة .

يقول ابن حجر - رحمه الله تعالى : وقد فصل شيخنا البلقيني أحوال الإنسان بالنسبة لما يصدر منه من صغيرة وكبيرة ، فذهب إلى أنها تنحصر في خمسة أحوال :
أحدها : أن لا يصدر من العبد ذنب ، فينال عن سائر عمله رفع الدرجات ... حيث لا ذنب له .
ثانيها : أن يأتي المصلي بصغائر ولا يصير عليها ، وهذه تكفرها الصلاة

ثالثها : أن يأتي بصغائر ويصر عليها ، وهذه لا تكفرها الصلاة ؛ لأن الصغائر لا تبقى صغائر بالإصرار عليها .
رابعها : أن يأتي بكبائر قليلة ، وصغائر كثيرة .

خامسها : أن يكثر من الصغائر والكبائر ، والحالتان الآخيرتان هما محل الخلاف .

فذهب البعض إلى أن الصغائر هي التي تكفر إذا اجتنبت الكبائر ، لقوله تعالى : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾^(١). ولما جاء في الحديث : (الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر)^(٢). ومنعا للتعارض بين الآية المذكورة وبين حديث الباب يقول الإمام البلقيني : المراد باجتناب الكبائر في الآية يعني اجتنابها في العمر كله ، والاجتناب في الحديث يعني اجتناب ما بين الصلوات في يومها^(٣).

وفي الحديث الثاني : يروي أبو هريرة رضي الله عنه أن (النبي صلى الله عليه وسلم) قال :

مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَرَاحَ (معنى من غدا إلى المسجد جاء إليه ، ومعنى راح : أي رجع من المسجد بعد الصلاة .

(أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ نُزْلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ) ، أي هيا الله تعالى له المكان الذي سينزله فيه في الجنة المناسب لعمله وأجره بسبب غدوه ورواحه .

(كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ) أي : تتكرر تهيئة المكان له في الجنة في كل غدوة أو روحة.

وظاهر الحديث يدل على الفضل الذي يناله من أتى المسجد مطلقا ، ولكن مقصوده من يأتي المسجد للعبادة ، ورأس العبادة الصلاة .

(١) سورة النساء الآية : ٣١ .

(٢) المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني ، كتاب الصلاة ، باب فضل الصلاة ، حديث رقم : ٢٣٩ .

(٣) فتح الباري ج ٢ ص ١٢ بتصرف يسير .

إن كل شيء موزون ، وجميع عمل الإنسان محسوبة بدقة ، والله جنود السموات والأرض وهو اللطيف الخبير .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

الدنيا مليئة بالشهوات الصارفة عن الطاعة والعبادة ، والإنسان ضعيف ، ومعه وحوله جنود المعصية ... ومنها : -

أ - الشيطان : الملازم للإنسان ، يقول النبي ﷺ : (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم) ^(١) .

ب - النفس الأمارة بالسوء : وهي تعمل على إمالة صاحبها إلى المعصية ، وتيسرها أمامه ، وتمنيه بطول الأمل ، وفرصة التوبة .

ج - قرناء السوء : الذين يجرون صاحبهم إلى الفساد باسم الصحبة والزمانة .

د - الضغوط المادية : وهي عديدة في الدنيا وتدور مع أحلام الإنسان حتى توقعه في المعاصي لينالها بالطرق الحرام .

ورحمة الله تعالى بالإنسان بالغة ، فأحاطه بالمشكرات إلى الخير ، وبالدعوة إلى طريق الله تعالى ، وتخوفه من عقوبة المعصية والعدوان... ، وتحدد له المسار المستقيم من عبادات وأعمال وأخلاق ، وتعينه على التخلص من المعاصي والذنوب .

وحديث الباب يشبه الصلاة بالنهر الموجود أمام باب البيت ، فهو ماء كثير متجدد جار ، يسهل الاغتسال فيه بلا عناء ، فلو كرر

(١) صحيح البخاري ، كتاب : الأحكام ، باب الشهادة تكون عند الحاكم .

الإنسان الاغتسال فيه كل يوم خمس مرات ، لا يخسر شيئاً ، ولا يلقي تعباً ، ويغسل أوساخه كلها صغرت أو كبرت .

هذه هي الصلاة تطهر النفس ، وترفع الذنوب ، وتزيل الغيوم ، وتجعل المصلي عبداً لعلام الغيوب ، وتنتهي المصلي دائماً عن الفحشاء والمنكر .

وللعبادات على تنوعها دور في إصلاح الإنسان ، فالصوم تربية بالجوع ، وتطير للنفس بالخشوع ، والزكاة طهارة وتزكية ، والحج اجتماع للتعاون والتشاور والأخوة ... ويكفي أنها جميعاً من الله تعالى مشروعة ، وإليه مرفوعة ، يحيطها الجلال والكمال ، وتسمو خلالها الأرواح ، وتسلم الأبدان والأجساد .

ومن فضل الله تعالى أن بث الملائكة في الأرض تستغفر للمستغفرين ، وترفع دعاء الذاكرين ، وتسجل الغادين والرائحين إلى المسجد للذكر والصلاة ، لتهيئة مكان يليق بهم في جنات النعيم ، إن رحمة الله واسعة وفضله عظيم

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب فضل الصلاة للمصلي ، فهي تغسل ذنوبه ، وتزيلها ، كما يزيل الاغتسال في النهر وسخ الإنسان ، إذا اغتسل فيه خمس مرات في اليوم .

ومن فضل الصلاة أن الله تعالى أعد للمصلي منزلاً يليق به في الجنة يعدل جهده المبذول أثناء ذهابه إلى المسجد ورجوعه منه .

- ه -

ركائز الدعوة في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب على عدد من الركائز ... أهمها :-

الركيزة الأولى

الصلاة مدرسة للتهذيب والتطهير

الصلاة أعمال وأقوال ، وحركات وإذعان ، يؤديها البدن ، ويعيشها القلب ، وتسرى الروح والوجدان ، ولها دور عظيم في صناعة الإنسان على الحق والصلاح .

فالأعمال تعني الخشوع والخضوع ، والتطبيق العملي للطاعة لما في الصلاة من قيام وركوع وسجود وقعود .

والأقوال : تكبير ، وتحميد ، وقراءة للقرآن الكريم ، وسلام على الأنبياء والصالحين ، وتحيات لآل محمد وآل إبراهيم في العالمين .
ودلالة المعاني تنعكس على البدن ، وتسمو بالروح ، وتسعد الوجدان ، وتأخذ المصلي إلى مقام الجلال والكمال الأسمى .

إن الصلاة في جملتها مدرسة متكاملة ، تصنع الإنسان وتمده بالقيم ، وتعوده الطاعة ، والنظام ، والاستقامة ، والتعاون ، وحب الآخرين إنها تعرف الإنسان بالله الرحمن الرحيم ، مالك الملك ، وتحثه على أن يسأل ربه الهداية والتوفيق ، ليبعده عن الضالين وعن المغضوب عليهم أجمعين .

ويتعلم المصلي أن يكون أول من يطيع ، فيركع ويسجد ، ويجلس على وفق ما تعلم من رسول الله ﷺ .

تصنع الصلاة من الإنسان إنسانا يعرف حق الله تعالى ، وحق الناس

ويعلم أنه تحت رقابة الله الدائمة ، وأنه يعيش في الدنيا في اختبار دائم ، وعليه أن يخلص ويصدق ، ليجد عمله نورا وتوفيقا في جنات النعيم .
إن المصلي يعلم أنه لم يخلق وحده ، وأنه فرد في جماعة ، وأنه بقدر عطائه يأخذ ، وبقدر تضحياته ينال ، وبقدر قصده ونيته يكون الحساب والجزاء .

إن المصلي يجب أن يقبل على الصلاة سعيدا بها ، نشيطا في إقباله ، منقطعا عن كل ماديات الدنيا ، مكتفيا بتواصله مع الله تعالى .
ليست الصلاة حركات خالية من المعاني ، وليست جسدا بلا قلب ، وليست انقطاعا ظاهريا عن شواغل الدنيا ، بينما الباطل مستغرق فيها .
رب مصل لا يأخذ من صلاته إلا التعب وإضاعة الوقت ، ومن المصلين من يدعي الإخلاص والصفاء ، وهو عن ذلك بعيد .

إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ... والعقلاء يسألون لم توجد بين المصلين الفحشاء والمنكر ، ؟ ولم القتل والحرق بين المسلمين ؟ .
إن الصلاة تدعو إلى وحدة الجماعة والأمة ... إلا أن العاقل الفاهم يتعجب من هذا الخصام المنتشر بين الأفراد والجماعات ، والقتل والحرب في أوطان المسلمين ؟!

لقد صنع الإسلام من المسلمين أمة ، امتدت من الهند شرقا إلى المغرب غربا ، ومن جنوب أوروبا شمالا إلى جنوب إفريقيا واليابان جنوبا **واليوم نسأل** كيف تشرذمت هذه الأمة ؟! ولم انقسمت أحزابا وشيعا؟! ، حتى وصل الضياع والخزي إلى أن قاتل بعضهم بعضا ، وانحاز بعضهم إلى من يقاتل أخاه المسلم بكل جرأة ووقاحة.

لقد انحط المسلمون المعاصرون ، وفقدوا روح العبادة ، واكتفوا من الإسلام بالظاهر المحسوب ، وسكتوا عن الباطن مع أنه كاذب ، مخادع ، لئيم .

واليوم أنادي مخلصا جميع المسلمين ، ليتقنوا فهم الإسلام ، ويتمسكوا به ، ويعملوا بمنهجه العظيم ، ويعيشوا العبادة كاملة ، ويأخذوا منها حسن القصد ، وحسن السلوك .

الركيزة الثانية

فنون الدعوة في أحاديث الباب

حين ننظر في أحاديث الباب نخرج منها بألوان من أساليب الدعوة إلى الله تعالى أهمها : -

أولاً : التشبيه المركب ، فقد شبه الحديث الأول الرجل الذي يحافظ على الصلوات الخمس ، بالرجل الموجود أمام باب داره نهر ، يغتسل منه خمس مرات في اليوم بجامع إزالة القذارة ، وتحقيق التطهر من كل خبيث .

وهذا التشبيه مركب من عدة عناصر لتحقيق طهارة شاملة للروح والبدن ففي المشبة المسلم والصلوات الخمس وفي المشبه النهر والاعتسال المتكرر .

ثانياً : إغراء المسلم بأداء الصلاة في المسجد ، حيث أعد الله تعالى له بسبب ذهابه إلى المسجد للصلاة ، ورجوعه منها نزلاً طيباً ينزل فيه في جنات النعيم .

ثالثاً : البدء بسؤال الحاضرين عن أمر معلوم ليبرز اهتمامهم ، ويوقظ أفهامهم ، ويشركهم في مقصود الخطاب ... والاستفهام أحد فنون

الدعوة المؤثرة في الناس ، وعلماء التربية ينصحون بأن يبدأ المعلم درسه بتوجيه أسئلته للطلاب فيها إشارات إلى موضوع الدرس لإيقاظ العقل ، ومساعدة الطلاب في المشاركة والتجاوب مع المعلم .
إن هذه الأساليب : تقرب الخير الذي أعده الله للمصلين الصادقين .

- و -

لمحات موجزة في فوائد الأحاديث

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية : -

- (١) الصلاة مرضاة للرب ، وتطهير للنفس ، وتركيز للروح ، وفوز في الدنيا والآخرة .
- (٢) يقول الله تعالى في الحديث القدسي : (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، ولعبي ما سأل) ^(١) فكلما تعبد العبد بشيء جزاه الله به خيرا .
- (٣) صلاة المسلم في جماعة بالمسجد أقرب الطرق للفوز بالدرجات العلا ، والمقام الدائم .
- (٤) مسئولية الدعاة كبيرة في تعليم الناس بالطرق والأساليب البيانية المختلفة .
- (٥) المثوبة على قدر الإخلاص والمشقة والعمل ، فمن أراد زيادة الخير فليداوم السعي والطرق حتى ينفتح له باب الخير .

(١) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ، حديث رقم : ٦٢٤ .

- ٤٤ -

٤٧- باب من أحق بالإمامة ؟

حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال : أتيت النبي ﷺ في [٣٩١]، (١)

نفر من قومي فأقمنا عنده عشرين ليلةً، وكان ﷺ رحيمًا ٦٢٨

رفيقًا، فلما رأى شوقنا إلى أهالينا قال: ارجعوا فكونوا
فيهم، وعلموهم، وصلوا؛ فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم
أحدكم، وليؤمكم أكبركم ^(١).

- أ -

موضوع حديث الباب

يدور حديث الباب حول عظم خلق رسول الله ﷺ ، ونصحه
للمسلمين ، وتعليمهم دين الله تعالى ، وتوجيههم لأمانة الدعوة إلى الله
تعالى .

- ب -

الدلالات اللغوية في حديث الباب

يقول مالك بن الحويرث رضي الله عنه (أتيت النبي ﷺ) في المدينة بعد
الهجرة ، لنعرف منه الدين ، ونتعلم الأحكام .

(في نفر من قومي) أي أتيت ومعني نفر يبلغ عددهم ثلاثة عشر رجلا
من قبيلتي ، وهي بنو ليث بن بكر بن عبد مناف من كنانة ، يلتقي نسبهم
مع رسول الله ﷺ في بني عبد مناف ، وكان رسول الله ﷺ يتجهز لتبوك

(١) أخرجه البخاري في: ١٠ كتاب الأذان: ١٧ باب من قال ليؤذن في السفر مؤذن واحد ،
وللحديث روايات عدة في صحيح البخاري أرقامها : ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٥٨ ، ٦٨٥ ، ٧١٩ ،
٢٨٤٨ ، ٦٠٠٨ ، ٧٢٤٩ .

آنذاك .

(فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً) أي أقمنا عنده ﷺ في المدينة أو في ضيافته ﷺ عشرين ليلة ، والحساب بالليلة يقتضي أنهم مكثوا في المدينة عشرين يوما بتمامها ، بخلاف النهار ففيه احتمال نقصان ليلة. (وَكَانَ رَحِيمًا رَفِيقًا) في معاملتنا حريصا على تعليمنا الإسلام بهدوء وشفقة ، وحب ، فتعلمنا منه ﷺ الدين والخلق وحسن المعاملة ، وفي صحيح مسلم (رحيمًا رقيقًا) ^(١) بالقاف ومعناها واحد .

(فَلَمَّا رَأَى ﷺ شَوْقَنَا إِلَى أَهَالِينَا) أي علم رسول الله ﷺ أنا اشتقنا لأبنائنا ، وزوجاتنا ، وآبائنا ، وقومنا ، إذن لنا بالرجوع إليهم ، و(قَالَ) ﷺ : (ارجِعُوا فَكُونُوا فِيهِمْ ، وَعَلِّمُوهُمْ ، وَصَلُّوا) أي ارجعوا إلى وطنكم ، وكونوا دعاة لقومكم ، وعيشوا بينهم ، وصلوا كما رأيتموني أصلي ، وليأتكم بكم . (فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَدِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ ، وَلْيُؤَمِّكُمْ أَكْبَرُكُمْ) أي حافظوا على إقامة الصلاة جماعة مع قومكم ، واختاروا للأذان واحدا منكم ، وقدموا للإمامة أكبركم ، فسمح رسول الله ﷺ في الأذان لأي واحد منهم ، وأمرهم أن يؤمهم أكبرهم ، وقد كلف رسول الله ﷺ النفر الذين عاشوا معه بالأذان والإقامة والإمامة دون غيرهم ؛ لأن هؤلاء النفر هم الذين أتوا إلى المدينة ، وعلموا من رسول الله ﷺ ، وتعلموا منه الإسلام ، فكلفهم رسول الله ﷺ بالعودة إلى قومهم ، والعيش معهم ، ودعوتهم إلى دين الله

(١) صحيح مسلم ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : من احق بالإمامة ، حديث رقم : ١١١٥ .

بالحق ، وتعليمهم ما علموه حتى يكونوا روادا لهم في العمل بدين الله تعالى كما تعلموه من رسول الله ﷺ وفي هذالالة على ان العلم بالإسلام أساس للعمل به ، وأن الإسلام محتاج إلى رجال يعلمونه ، ويدعون به ، يقول الله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (١) .

فإن قيل : هذا الحديث معارض لعدة أحاديث رتبت الأحق بالإمامة ، ولم تجعل كبر السن أسبق من غيره بالإمامة ، فقد روى الإمام مسلم عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : (يَوْمَ الْقَوْمِ أَقْرَاهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً ، فَأَعْلَمُهُم بِالسَّنَةِ ، فَإِنْ كَانُوا فِي السَّنَةِ سَوَاءً ، فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً ، فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا) (٢) . فكيف نوفق بين هذه الأحاديث ؟ .

أقول : يقول النووي - رحمه الله : إن نفر الذين جاءوا لرسول الله ﷺ في المدينة هاجروا إليه جميعا ، وأسلموا وعاشوا معه ، وصحبوه ﷺ ولازموه عشرين ليلة ، فاستوتوا في الصفات كلها ، ولم يبق شيء يتميز به أحدهم إلا السن ، فجعله الرسول ﷺ سببا لتقديم أكبرهم للإمامة (٣) وبذلك فلا معارضة بين الأحاديث .

وإن قيل : لم جعل الأذان لأحدهم ، والإقامة لأكبرهم ؟

(١) سورة التوبة الآية : ١٢٢ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب من أحق بالإمامة ، حديث رقم ١١١٣ .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ج٢ ص٣١٨ طبعة الشعب .

أقول : جعل رسول الله ﷺ الأذان لأحدهم ؛ لأن الأذان لا يحتاج لكثير علم ، وأعظم مقصوده الإعلام بوقت الصلاة ، وهذا المقصود يستطيعه كل احد أما الإمامة فهي تحتاج للعلم ، ولذلك يقدم لها الأحق بها **إن هؤلاء النفر** هم دعاة قومهم ، فلقد جاءوا وتعلموا من رسول الله ﷺ ، وأشرقت عليهم أنوار الصحبة ، وعادوا لأهلهم قدوة وقيادة .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

أقبل المسلمون في عهد رسول الله ﷺ على الإسلام صادقين ، وتحملوا المشاق من أجل دينهم ، وحملوا أمانة الإسلام بعلم وعدل وعلموا أن هذا الدين قائم على العلم ، ولذلك اهتموا بالبحث ، وهاجروا إلى رسول الله ﷺ وهو في المدينة ليأخذوا الدين من مصدره ، ويتعلموه نظريا وعمليا لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم .

وكان ﷺ حريصا على تبليغ رسالة الله ، وتعليم المهاجرين ما أوحى الله به إليه في صورة علم تفصيلي ، وتطبيق عملي ، وخلق إنساني كريم ... ولم يبق كل المهاجرين في المدينة ، وإنما عاد بعضهم إلى أهلهم ليقوموا بالدعوة إلى الله تعالى ، فقد جاءوا في مهمة علمية ، فلما تعلموا رجعوا إلى قومهم لتعليمهم ، ومن هذا الفصيل فريق بني ليث بن بكر بن عبد مناف ، فلقد عاشوا في المدينة عشرين ليلة ، وعاشروا رسول الله ﷺ ، وتعلموا منه تطبيقات الإسلام ، وأخذوا منه ما نزل من دين الله تعالى - عقيدة ، وشريعة ، وخلقاً - وصاروا دعاة فاهمين ، ومؤمنين صادقين ، ومعلمين قادرين على التبليغ والإرشاد والبيان .

عاد هؤلاء النفر إلى قومهم تملأ قلوبهم نور الصحبة ، ويحركهم حب الله ورسوله ﷺ ، ويدفعهم إلى العمل صدق الإيمان ، والعيش بالمنهج الذي تعلموه من رسول الله ﷺ وشعورهم بأنهم مسئولون عن الإسلام ، فقد جعله الله أمانة في رقابهم .

لقد وصى رسول الله ﷺ هذا الفريق بالعمل لله تعالى ، والاستمرار في الدعوة ، والتزام حسن الخلق ، والتمسك بالشفقة ، والرفق ، والرحمة وهم يعلمون ويدعون .

لقد أرجعهم رسول الله ﷺ إلى قومهم حين رأى فيهم تمام العلم ، وشدة الوجد لأهلهم ووطنهم ، وأمرهم بأن يحافظوا على الصلاة فهي عماد الدين ، ورمز الإيمان ، وكلفهم بأن يؤذنوا للصلاة ، ويؤموا قومهم ، وحدد لهم الطريق بحيث يؤذن لهم أي واحد منهم ، ويؤمهم أكبرهم .
إن هذا الوفد نموذج حسن لأي جماعة من المسلمين تصدق في إيمانها ، وتعمل في خدمة دينها ، وتسعى لإرضاء الله ورسوله ، وموالاته المؤمنين من عباده

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب قصة وفد بني ليث ابن أبي بكر بن عبد مناف الذين جاءوا على المدينة ، ومكثوا بها مع رسول الله ﷺ عشرين ليلة ، فلما علموا واشتاقوا لأهلهم وبلادهم سمح لهم رسول الله ﷺ بالعودة وأوصاهم بالحرص على الصلاة ، وحدد لهم المنهج الذي يعيشون به في قومهم وهو يدعونهم إلى الله تعالى .

- ه -

ركائز الدعوة في أحاديث الباب

يتضمن حديث الباب عددا من الركائز... أهمها : -

الركيزة الأولى

الدعاة وتبليغ الإسلام

يركز حديث الباب على قضية هامة وهي ضرورة تكوين الدعاة لتبليغ الإسلام ، ونشره بين الناس .

فقد جاء النفر من ديارهم إلى المدينة ليعرفوا دينهم ، ويعلموه نظريا وعمليا من رسول الله ﷺ مباشرة ، وفي هذا بيان ضرورة تربية الدعاة وتعليمهم دين الله تعالى ، وتعريفهم بطرق تبليغ الإسلام ، وحسن اختيارهم وفق صفات تساعدكم فيما يقومون به ، وهم يتعلمون ، وهم يدعون .

وكان رسول الله ﷺ يتعهد أصحابه ، ويرقبهم في عملهم ، وصلاتهم ... ويبدو أن هذا النفر كان وفدا مرسلا من قومهم إلى المدينة ، ليعودوا إليهم دعاة بما تعلموه من رسول الله ﷺ .

فلما أدرك رسول الله ﷺ أنهم يشتاقون لأهاليهم وأنهم بلغوا من العلم مبلغا يمكنهم من إيصال الإسلام بينا إلى قومهم ، حين يرجعون ولما بدت نور الصحبة بدت عليهم جميعا ، أمرهم ﷺ بالرجوع إلى قومهم ، وحدد لهم عملهم في قومهم ليكونوا دعاة لهم ، يعلمونهم الإسلام ، ويصلون بهم ، وعرفهم بأن المؤذن يكون واحدا منهم ، ويؤمهم أكبرهم سنا .

وقد قدم الحديث منهجا في تكوين الدعاة ، وفي قيامهم بالدعوة
ففي مرحلة التكوين : يتم اختيار أناس متميزين ، برجاجة
العقل ، وسرعة الاستيعاب ، وحُسن التطبيق ، وملازمة الصدق
والإخلاص ، وتفريغهم للتعلم ، وتعهدهم الدائم للاطمئنان على تطبيقهم
ما تعلموه عمليا ، واختيارهم بطريقة ما للوقوف على مدى صلاحيتهم
للدعوة ويبدو أن الوفد كان مختارا بعناية من القبيلة كلها لأنهم
تعلموا الإسلام ، واتقنوا أحكامه ، وحفظوا ما نزل من القرآن الكريم في
عشرين يوما فقط .

ومن المستحسن أن يكون عمل الدعاة في قومهم ، فهم الأعرف
بهم ، وبينهم صلة القرى التي تجمع بينهم .

فإذا ما حصلَّ الدعاة العلم المطلوب ، ينتقلون إلى مرحلة القيام
بالدعوة ، على أن يحدد المسئولون عن الدعوة عملهم في الإطار
الممكن .

وهذا ما فعله رسول الله ﷺ مع وفد بني ليث ، فقد أبقاهم معه
في المدينة يتعلمون منه ﷺ ، الدين والخلق والسلوك ، ووراهم يعملون
أمامه ، ليطمئن على فهمهم وعملهم ، فلما وثق منهم أرسلهم إلى قومهم
، وحدد لهم أعمالهم في قومهم وهي :

أولاً : دعوتهم إلى الإسلام ، حين قال لهم ﷺ (كُونُوا فِيهِمْ) أي

عيشوا بينهم ، لتروا عملهم ، وتعرفوا حاجتهم ، وتتنقوا كيفية توجيههم .

ثانياً : تعليمهم الإسلام ، كما تعلموه من رسول الله ﷺ .

ثالثاً : تولي أمور القيادة ، والتوجيه فيهم ؛ لأنهم الأعلام والأقدر ، فإذا حضر وقت الصلاة ، فليؤذن أحدكم ، وليؤمكم أكبركم سناً .
لقد تعلم الوفد الأخلاق عملياً من رسول الله ﷺ ، فلقد كان رسول الله ﷺ بهم رحيماً رفيقاً ، فلما تولوا شأن الدعوة في قومهم نقلوا ما تعلموه من رسول الله ﷺ بالأخلاق التي تعلموها ، وتعودوها من رسول الله ﷺ .

ونستنبط من حديث الباب ملحوظات :

أولها : أن يكون الداعية في قومه وقبيلته ، لأنه الأعراف بهم ، والأعلم بلغتهم ، والثقة بينهم موجودة وهذا ما توصل إليه الباحثون من غير المسلمين ، في العصر الحديث ، فلقد عمل المبشرون على اختيار قساوسة من الأفارقة السود ، أخذوهم من قبائلهم ، وعلموهم في مدارس التبشير ومعاهده ، وأعادوهم إلى قبائلهم يعلمون ، ويبشرون ، ويبصرون ، والمبشرون من خلفهم يعينونهم بكل جديد ، ويمدونهم بالمال ، والمساعدات المختلفة ، لتكون له اليد الطولى في قبائلهم ، ومنهم يكون كبار الساسة ، وأولوا الرأي والمشورة .
إن هذا الذي يحدث اليوم من غير المسلمين صنعه رسول الله ﷺ مع أصحابه منذ أكثر من أربعة عشر قرناً .

ثانيها : ضرورة تعليم الدعاة ، وتثقيفهم ، وتعريفهم بطرق الدعوة ، وأساليبها المناسبة فكل أمر مكون من معارف وعلوم يحتاج إلى من يعلمه ، ويعرفه ليعلم غيره ويدعو بما علم .

ثالثها : الإشراف الكامل على الدعاة عند تكوينهم ، ليتعلموا العلم والعمل معا ، ويبتعدوا عن كافة المؤثرات الضارة ، لينطلقوا بعد ذلك إلى عملهم مخلصين صادقين .

رابعها : العلم أساس الإسلام ، وأساس الحركة بالدعوة ، والمدعوون لابد لهم أن يعلموا قبل أن يؤمنوا ، ليتم إيمانهم على بينة واقتناع ، ولذلك كان العلم بداية لكل فلاح وفوز .
إن حديث الباب يشير بإيجاز دقيق إلى طريقة تكوين الدعاة ، ووسائل الدعوة إلى الله تعالى .

الركيزة الثانية الدقة والتنظيم في الإسلام

جد في العصر الحديث ما يعرف بـ (مؤسسات التنظيم والإدارة) ، و (مؤسسات التخطيط) ، و (وزارات التخطيط) مع ادعاء أنها من محدثات العصر ، وتطور الحياة .

وقال بعضهم : إن التخطيط والتنظيم لا وجود لهما في الإسلام .
وهذا قول باطل ، وزعم ترده الحقيقة ، فالإسلام له إبداعاته في التخطيط والإدارة ، متميزا عن كل ما عداه بالتزامه الخلق الحسن ، ومراعاة حقوق الإنسان ، وارتباطه بتقوى الله تعالى ، والعمل على مرضاته سبحانه وتعالى .

إن التزام المسلم بشريعة الله تعالى عبادة وسلوك ، وطاعة لله ورسوله ، وإيمان مطلق بأن المسلم يحاسب يوم القيامة على كل كبيرة وصغيرة ... ولذلك فهو التزام عقلي ، وبدني ، وروحي ؛ لأن المراقب هو الله .

وحديث الباب يشير إلى تنظيم الإسلام ، في جزئية بسيطة ، أسوقها لأعبر عن تنظيم الإسلام في كافة الجوانب .

ومن هذا التنظيم أنه يبدأ بتعليم القائمين بالأمر ، ليتمكنوا من الفهم ، ووضع الحلول المناسبة لكل أمورهم ، على أن يختار للتعليم ذوو النباهة والعقل ، ليستوعبوا بسرعة ، ويضعوا كل أمر في موضعه . وبعد أن يتم الرواد تعليمهم يكلفون بالأمر ، ويحدد لكل فرد مهمته التي يحسن أداؤها في صورة حسنة .

ويكلف الناس باتباع هؤلاء الرواد ، وسؤالهم في كل ما يريدون ، وهكذا ينتشر التنظيم في أعمال الإسلام كلها .

فهناك راع ورعية ، وهناك إمام ومأموم ، وهناك أعمال مرتبة ، وهناك عهود ومواثيق ، ولكل فعل في الإسلام شروطه ، وأركانه وأحكامه ، وكافة ما يتصل به من مرغبات ومحاذير .

إن من التنظيم والإدارة في الإسلام وجود ولاية في الأقاليم ، وولاية لسائر المؤسسات ، وجميع المهن ، وقادة في السلم والحرب .

ونادى الإسلام بالاعتماد على أهل الخبرة والتخصص ولم يقدم للقيادة ، والمهام إلا من كان أهلاً لها ، رغب أبو ذر رضي الله عنه في الولاية وهو صاحب رسول الله ﷺ ، فقال له ﷺ : (إنها أمانة ، وخزي ، وندامة يوم

القيامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها)^(١).

إن العالم فقيه يعلم ويرشد ، والقائد يقود ويسود ، والمتخصص ماهر في

(١) مسند احمد ابن حنبل ، مسند الأنصار ، حديث أبي ذر الغفاري ، حديث رقم : ٢٠٩٨٥ .

تخصصه ، والعامي يحتاج لكل هؤلاء .يقول الله ﷻ : ﴿ فَسْأَلُوا

أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(١)

وحين نتأمل في جنبات الفقه الإسلامي ، نجد التنظيم في كل أمر ...وحسن الإدارة في كافة الشئون .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من الحديث الفوائد التالية : -

- (١) تكوين الدعاة أمر هام للتعريف بالإسلام .
- (٢) أساس تكوين الداعية الاختيار المناسب ، والعلم الدقيق ، والفظانة الواعية ، والجرأة في الحق ، واليسر في الخطاب والتبليغ .
- (٣) أوليات الإسلام في الإدارة تعتمد على الجدارة ، والإخلاص والخبرة
- (٤) الدعوة إلى الله تعالى نظام متكامل يبدأ باختيار الدعاة ، وتعليمهم دين الله نظريا وعمليا ، وتدريبهم على تبليغ الإسلام ، وإرشاد الناس ، ورسم خريطة العمل أمامهم ليجدوا بالأهم على المهم ، ويقدموا الأصول على الفروع ، ويتجنبوا المنازعات الفكرية والعقائدية ، وأن يكون لهم مرجعية رئيسية تشرف على تبصيرهم بالواقع الاجتماعي، وتوجيههم نحو الغايات المقصودة في إخلاص
- (٥) لا يصلح الناس فوضى لا نظام لهم ، ولا فلاح إذا جهالهم سادوا .
- (٦) التربية العملية اساس التكوين العلمي في كل مجال ؛ لأنها تمكن المتعلم مما علم ، وتُساعد في تعليم الآخرين ، وحسن التطبيق .

(١) سورة النحل الآية ٤٣ .

- ٤٥ -

٥٤ - باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ يَرْفَعُ [٣٩٢]، (١)

رَأْسَهُ يَقُولُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ يَدْعُو لِرَجَالٍ ٨٠٤
فَيُسَمِّيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ؛ فَيَقُولُ: اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ ،
وَسَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ ، وَعِيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، وَاجْعَلْهَا
عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسَنِي يُوسُفَ، ... وَأَهْلَ الْمَشْرِقِ يَوْمَئِذٍ مِنْ
مُضَرَ مُخَالِفُونَ لَهُ ^(١)

حديث أَنَسٍ رضي الله عنه ، قَالَ: قَتَلَ النَّبِيُّ ﷺ شَهْرًا يَدْعُو عَلَى رِغْلٍ [٣٩٣]، (٢)

وَذُكُوَانَ ^(٢) ١٠٠٣

حديث أَنَسٍ رضي الله عنه عَنْ عَاصِمٍ رضي الله عنه ، قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسًا رضي الله عنه ، عَنْ [٣٩٤]، (٣)
الْقُنُوتِ ؟ ٣١٧٠

قَالَ: قَبْلَ الرُّكُوعِ .

فَقُلْتُ: إِنْ فَلَانًا يَزْعُمُ أَنَّكَ قُلْتَ بَعْدَ الرُّكُوعِ ؟

فَقَالَ: كَذَبَ .

ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ قَتَلَ شَهْرًا بَعْدَ الرُّكُوعِ يَدْعُو
عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ .

(١) أخرجه البخاري في: ١٠ كتاب الأذان: ١٢٨ باب يهوى بالتكبير حين يسجد .

(٢) أخرجه البخاري في: ١٤ كتاب الوتر: ٧ باب القنوت قبل الركوع وبعده .

يقول أنس رضي الله عنه : بَعَثَ صلى الله عليه وسلم أَرْبَعِينَ أَوْ سَبْعِينَ (يَشْكُ فِيهِ) مِنْ الْقُرَاءِ إِلَى أَنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَعَرَضَ لَهُمْ هَؤُلَاءِ، فَفَقَتَلُوهُمْ؛ وَكَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم عَهْدٌ، فَمَا رَأَيْتُهُ وَجَدَ عَلَى أَحَدٍ مَا وَجَدَ عَلَيْهِمْ^(١)

حديث أنس رضي الله عنه قَالَ : بَعَثَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم سَرِيَّةً يُقَالُ لَهُمُ الْقُرَاءُ [٣٩٥]، (٤)

٦٣٩٤ ، فَأُصِيبُوا، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَجَدَ عَلَى شَيْءٍ مَا وَجَدَ عَلَيْهِمْ

فَقَنَنْتَ شَهْرًا فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَيَقُولُ صلى الله عليه وسلم فِي قَنَوْتِهِ : إِنَّ

عُصِيَّةَ عَصَاؤِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ^(٢)

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تتناول أحاديث الباب ، مشروعية القنوت في الصلاة ، حين النوازل وغيرها ، وتبين محلها في الصلاة ، وتوضح غير ذلك من الأحكام

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على أربعة أحاديث ، تتصل بمشروعية القنوت وأحكامه ، استنباطاً من قنوت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ففي الحديث الأول : يقول أبو هريرة رضي الله عنه : (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ يَقُولُ) أي إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يدعو في الصلاة ، ويقنت بعد أن يرفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة ويقول : (سَمِعَ اللَّهُ

(١) أخرجه البخاري في : ٥٨ كتاب الجزية : ٨ باب دعاء الإمام على من نكث عهدها .

(٢) أخرجه البخاري في : ٨ كتاب الدعوات : ٥٨ باب الدعاء على المشركين .

لِمَنْ حَمَدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ) ، وهذا القول هو المشروع حين القيام من الركوع...وبعده كان رسول الله ﷺ (يَدْعُو لِرِجَالٍ فَيُسَمِّيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ؛ فَيَقُولُ: اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَسَلْمَةَ بْنَ هِشَامٍ ، وَعِيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ) وهؤلاء قد اسلموا بمكة ، فحبسهم قومهم بمكة من الهجرة ، وعذبوهم ليرجعوا عن دينهم ، وعرضوهم للموت ، فقتل رسول الله ﷺ شهرا يدعو في الصلوات بعد الرفع من الركوع في الركعة الأخيرة ، ويقول : اللهم انج هؤلاء الذين حبسوا في مكة ، وعذبوا ليرجعوا عن دينهم ، ودعا لهم بأسمائهم ، وسأل الله أن ينجيهم مما هم فيه ، فلما نجاهم الله تعالى من الأسر ، ترك النبي ﷺ الدعاء لهم ، وكان ذلك بعد شهر كامل .

والوليد بن الوليد ﷺ هو ابن المغيرة ، أخو خالد بن الوليد ﷺ شهد بدرًا مع المشركين ، وأسر وفدى نفسه ، ثم أسلم فحبس بمكة ، ثم تواعد هو وسلمة وعياش المذكوران في الحديث ، وهربوا من مكة ، فدعا لهم رسول الله ﷺ ، ففرج الله كربهم فقدموا المدينة صبيحة عيد الفطر ، وأخذ النبي ﷺ يذكرهم إذا انفتح عليهم الطريق ، وظهر أن الوليد أركب أخويه وساق بهم ثلاثة أيام ، فلما وصل إلى النبي ﷺ نهج حتى قضي فقال النبي ﷺ : (هذا الشهيد ، أنا على ذلك شهيد) (١) .

وسلمة هو ابن هشام ابن المغيرة أخو أبو جهل ، وابن عم الوليد ، من السابقين إلى الإسلام ، استشهد بالشام سنة أربع عشرة في خلافة أبي بكر ﷺ .

(١) فتح الباري ج ٨ ص ٢٢٥ .

وعياش ابن عمرو بن المغيرة اشتهر بعمر بن ربيعة رضي الله عنه ابن عم الوليد ، من السابقين إلى الإسلام ، هاجر الهجرتين ، خدعه أبو جهل فرجع إلى مكة فحبسه وبقي محبوسا إلى أن فر مع رفيقيه المذكورين ، مات في أول خلافة عمر رضي الله عنه (١) .

ودعا رسول الله ﷺ للمؤمنين المستضعفين في الأرض كلها ، فخصص وعمم ، وكان ﷺ يدعو على أهل مكة ، لعدوانهم على المسلمين ، ويقول : (اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ) أي انزل البأس والشدة على بني مضر ، وهم أهل مكة ، وكانوا يوم ذلك كافرين .
(وَجَعَلَهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسَنِي يُوسُفَ) أي اجعل سنين أهل مكة مليئة بالقحط والغلاء ، وقلة الطعام مثل ما حدث في مصر حينما ولي يوسف عليه السلام شئون الغذاء فيها مصر .

وقد دعا رسول الله ﷺ بالبأس والشدة على أهل مكة ، وكانوا يوم ذاك على كفرهم ، ومعارضتهم لرسول الله ﷺ وعدوانهم بالصد والأذى لكل من أسلم ، يقول أبو هريرة رضي الله عنه : (وَأَهْلُ الْمَشْرِقِ يَوْمَئِذٍ مِنْ مُضَرَ مُخَالِفُونَ لَهُ) أي وكانت مضر وهم أهل مكة معارضين لرسول الله ﷺ وعلى غير دينه ﷺ .

وفي الحديث الثاني: يقول أنس رضي الله عنه : (قَتَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَسَلِمَ شَهْرًا يَدْعُو عَلَى رِغْلٍ وَذَكْوَانَ) ، و (رِغْل) : بكسر الراء وفتح العين ، وقال البعض بفتح الراء وسكون العين ، و (ذَكْوَان) : بكسر الذال وسكون

(١) فتح الباري ج ٨ ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ طبعة السلفية .

الكاف بعدها وأو ممدودة بالألف وهما قبيلتان من سليم ، وقد دعا عليهم رسول الله ﷺ لما فعلوه بالقراء من غدر وقتل في (بئر معونة) ، وقد عرفوا بأنهم أصحابها ، وقد حزن رسول الله ﷺ على من قتل في بئر معونة أكثر من حزنه على أي سرية أخرى .

وملخص قصة " بئر معونة " : أن الذين غدر بهم هم جماعة من فقراء المسلمين ، من المهاجرين والأنصار ، أقاموا في الصفة في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة ، وكانوا يحتطبون وينقلون الماء ، ويشغلون ليلهم بقراءة القرآن والصلاة ، فسموا بـ (القراء) .
جاء عامر بن جعفر الكيلاني من نجد ، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام فلم يسلم ولم يرفض ، وطلب من رسول الله ﷺ أن يرسل معه رجالا يدعون أهل نجد .

فقال له النبي ﷺ : إني أخشى عليهم أهل نجد .

قال عامر : أنا لهم جار إذا تعرض لهم احد .
فبعث رسول الله ﷺ معه القراء كلهم ، وكانوا سبعين رجلا ، ساروا حتى نزلوا بئر معونة ، وأرسلوا واحدا منهم إلى عامر بن الطفيل ، فما قرأ الكتاب حتى عدا على الرجل وقتله ، ثم جمع فريقا من قبائل بني سليم ، فهاجموا القراء ، وقتلوه جميعا ، ما عدا واحد منهم وهو كعب بن زيد رضي الله عنه ، فعاش حتى استشهد يوم الخندق ^(١) .

(١) فتح الباري ص ٣٨٨ طبعة السلفية .

وفي الحديث الثالث : يحدد أنس رضي الله عنه مكان القنوت في الصلاة ، حين سألته عاصم رضي الله عنه عن مكان القنوت في الصلاة فقال :
(سَأَلْتُ أَنَسًا رضي الله عنه ، عَنِ الْقُنُوتِ ،) أي عن مكان القنوت في الصلاة (قَالَ : قَبْلَ الرُّكُوعِ فَقُلْتُ : إِنَّ فَلَانًا يَزْعُمُ أَنَّكَ قُلْتَ بَعْدَ الرُّكُوعِ فَقَالَ : كَذَبَ) ؛ لأن رسول الله ﷺ كان يقنت قبل الركوع .

يقول عاصم (ثُمَّ حَدَّثَنَا) أنس رضي الله عنه (عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ قَتَلَ شَهْرًا بَعْدَ الرُّكُوعِ يَدْعُو عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ) لغدرهم وقتلهم القراء ، يقول أنس رضي الله عنه (بَعَثَ) رسول الله ﷺ (أَرْبَعِينَ أَوْ سَبْعِينَ) شك من الراوي (مِنْ الْقُرَاءِ إِلَى أَنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَعَرَضَ لَهُمْ هَؤُلَاءِ ، فَقَتَلُوهُمْ) غدرا ، ونقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ (وَكَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ عَهْدٌ) ، فتألم رسول الله ﷺ ألما شديدا ، يقول أنس رضي الله عنه (فَمَا رَأَيْتُهُ وَجَدَ عَلَى أَحَدٍ مَا وَجَدَ عَلَيْهِمْ) أي ما رأيت رسول الله ﷺ وهو يحزن عليهم ما رأيت منه ﷺ قبل ذلك قط ، أي إن الرسول ﷺ حزن حزنا شديدا عليهم لم يحزنه على أحد غيرهم .

وفي الحديث الرابع : يجمل أنس رضي الله عنه سبب القنوت ومدته ، وحزن النبي ﷺ على قتل أصحابه ، يقول أنس رضي الله عنه : (بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً يُقَالُ لَهُمُ الْقُرَاءُ ، فَأَصَابُوا) بالقتل والأذى فحزن النبي ﷺ عليهم ، وأخذ يدعو لهم في الصلاة شهرا ، في صلاة الفجر ، ويقول : (إِنَّ عُصِيَّةَ عَصَوْا اللَّهَ وَرَسُولَهُ)

(وَعُصِيَّةٌ) : إحدى قبائل بني سليم ، وتقرأ بضم العين ، وفتح الصاد ،

وتشديد الياء المفتوحة ...

وقد بين رسول الله ﷺ سبب دعائه على المشركين ، وهو أنهم عصوا الله ورسوله ، وغدروا بالقراء وقتلوه .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

القنوت هو الدعاء إثناء الصلاة ، ومحله فيها بعد القيام من ركوع الركعة الأخيرة ، وقد تناولت أحاديث الباب محل القنوت في الصلاة عند حدوث نازلة ، كما وضحت الأحكام الشرعية المتصلة بالقنوت .

فالقنوت مشروع عند حدوث نازلة بالمسلمين في جميع الصلوات
كما هو مشهور مذهب الشافعية .

وقال الإمام أحمد وأتباعه : يكون القنوت في صلاة الصبح فقط ، وهو رأي الشافعية في غير النازلة .

وذهب الأحناف إلى أن القنوت يكون في الوتر ، في جميع السنة
وقال غيرهم يكون في وتر نصف رمضان الأخير .

وذهب مالك وأبو حنيفة إلى أن محل القنوت قبل الركوع .
وذهب غيرهم إلى أن محله بعد الركوع ^(١) .

ويدعو الإمام في القنوت بكل خير في الدنيا والآخرة ، والأولى الدعاء بما ورد عن رسول الله ﷺ ، فقد ورد عن الحسن بن علي م أنه قال : علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في قنوت الوتر وهي : (اللهم أهديني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، وتولني فيمن توليت ،

(١) فتح الباري ج٢ ص٤٩١ .

وبارك لي فيما أعطيت ، وقتي شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، وإنه لا يذل من واليت ، تباركت ربنا وتعاليت) (١).

وعن أبي رافع رضي الله عنه قال : صليت خلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصبح فقلت بعد الركوع : فسمعتَه يقول : (اللهم إنا نستعينك ، ونستغفرك ، ونثني عليك ولا نكفرك ، ونؤمن بك ، ونخلع ونترك من يفجرك ، اللهم إياك نعبد ، ولك نصلي ونسجد ، وإليك نسعى ونحفد ، ونرجو رحمتك ونخاف عذابك إن عذابك بالكفارين ملحق ، اللهم عذب الكفرة ، وألق في قلوبهم الرعب ، وخالف بين كلمتهم ، وأنزل عليهم رجزك وعذابك ، اللهم عذب الكفرة أهل الكتاب الذين يصدون عن سبيلك ، ويكذبون رسلك ، ويقاتلون أولياءك ، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات وأصلح ذات بينهم ، وألف بين قلوبهم ، واجعل في قلوبهم الإيمان والحكمة ، وثبتهم على ملة نبيك ، وأوزعهم أن يوفوا بالعهد الذي عاهدتهم عليه ، وانصرهم على عدوك وعدوهم ، إله الحق ، واجعلنا منهم) (٢).

ويستحب للإمام إذا قنت في صلاة جهريّة ، أن يجهر بالقنوت ، ويؤمن على دعائه المأمومون ، ويجوز للمأمومين أن يدعوا مع الإمام ، ويستحب رفع اليدين في القنوت .

فإن قيل: لم كانت القنوت في القيام، ولم يكن في السجود حين يكون العبد أقرب إلى ربه ؟

أقول : ما قاله ابن حجر رضي الله عنه وهو أن القيام يمكن الإمام والمأموم

(١) صحيح ابن خزيمة، جامع أبواب ذكر الوتر وما فيه من سنن ، حديث رقم : ١٠٢٤ .

(٢) مصنف عبد الرزاق الصنعاني ، كتاب الصلاة ، باب القنوت ، حديث رقم : ٤٨١٣ .

من الاشتراك في القنوت ، ولو بالتأمين ، ولذلك كان في الجهرية ^(١)

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب جواز القنوت عند النازلة ، وعند عدمها ،
وتوضح محل القنوت في الصلاة ، وتبين أن القنوت دعاء ، وذكر وعبادة

- ه -

ركائز الدعوة في أحاديث الباب

يتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز ... أهمها :-

الركيزة الأولى

المسلمون أمة واحدة

المسلم أخ المسلم ، ينصره ويعينه ويدعو له ، ويسعى لخيره قرب
منه أو بعد ، وها هو رسول الله ﷺ يقدم وهو في المدينة نموذجا رائدا
شاهدا على ذلك ، فلقد حزن حزنا شديدا على أصحابه القراء الذين غدر
بهم أعداء الله ، وقتلوه في بئر معونة ، واخذ يدعو عليهم بالشدائد
والقحط والجوع .

ولما علم ﷺ بأن بعض أصحابه اسر في مكة ، ومنع من الهجرة
، أخذ يدعو لهم بالنجاة ، حتى فرج الله تعالى كربهم .
واشترك المسلمون مع رسول الله ﷺ في نصرة إخوانهم والدعاء لهم ،
ولذلك شرع القنوت ، ليكون جامعا للأخوة الدينية على طول الزمن .
إن المسلمين جميعا إخوة ، ويجب أن يعيش كل مسلم هذه الحقيقة
في حياته وعمله .

(١) فتح الباري ج ٢ ص ٤٩١

يقول الله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ ^(١) ، ويقول ﷺ : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ^ﷺ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ ^(٢) .
ويقول رسول الله ﷺ : (المؤمن أخ المؤمن) ^(٣) . ويقول ﷺ : (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) ^(٤) . ويقول ﷺ : (مثل المؤمنين في توادهم ، وتراحمهم ، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) ^(٥) .

الركيزة الثانية إن تنصروا الله ينصركم

الإنسان مخلوق لله رب العالمين ، محدود الطاقات والقدرات أمام قدرة ربه العظيم ، ولذلك كانت حاجة العبد إلى ربه ماسة ، وصار الحرص على الاتصال بالله تعالى ضرورة حياتية ، قبل أن يكون حقيقة دينية، فالله هو العليم الخبير، وهو فعال لما يريد، وهو على كل شيء قدير ومن لوازم الاعتقاد الإيمان بكمال الله وجلاله ، وأنه ﷻ إذا أراد شيئاً ﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ^(٦) .

ومن رحمة الله تعالى أن حدد للإنسان طرق الاتصال به أثناء العبادات ، ومع سائر الأعمال ، وجعل القصد والنية أساس قبول الأعمال

(١) سورة التوبة الآية : ٧١ .

(٢) سورة الفتح الآية : ٢٩ .

(٣) مستخرج ابن عوانه ، كتاب النكاح ، باب خطر المسلم أن يخطب على خطبة المسلم ، حديث : ٣٣٥٣ .

(٤) المعجم الأوسط للطبراني ، باب العين ، حديث رقم : ٧٦١٤ .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم ، حديث رقم : ٤٧٩١ .

(٦) سورة البقرة الآية : ١١٧ .

، وعماد الاتصال بالله تعالى ، ومكن المسلم من جعل عمره كله على طاعة وعبادة .

ومن صور الاتصال : قراءة القرآن الكريم ، وذكر الله تعالى ، والجلوس في المسجد ، وإقامة الصلاة ، والدعاء ، والقنوت ، وتلك أمور سهلة على المسلم الصادق في تدينه وعمله .

إن الله ينصر من ينصره ، ويعين حربه ، ويقوي جنده ، ويعز دينه وأمته ، يقول ﷺ : ﴿ لَا يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾^(١)

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

يمكن استنباط بعض الفوائد من أحاديث الباب ... ومنها :

- (١) بيان رافة النبي ﷺ بأمته ، وحرصه عليهم .
- (٢) جواز الدعاء في الصلاة لأشخاص بعينهم .
- (٣) يحتاج الدين إلى تضحيات بالنفس والمال .
- (٤) يجوز لعن الكافرين والدعاء عليهم في الصلاة وخارجها .
- (٥) لابد من بذل الجهد لنصر دين الله ، كل على قدر استطاعته .
- (٦) من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم .
- (٧) من الضروري تذكر تضحيات المسلمين من أجل دينهم خلال تاريخهم الطويل ، ليكون ذلك زادا في الطريق الطويل ، وشحذا للهمم التي كلت ، وضعفت في طريق السير لله تعالى .

(١) سورة الصف الآية : ٨ .

- ٤٦ -

٥٥ - باب قضاء الصلاة الفائتة

واستحباب تعجيل قضائها

[٣٩٦]، (١)

٣٥٧١

حديث عمران بن حصين رضي الله عنه وفيه يذكر أنهم كانوا مع النبي ﷺ في مسير ، فأدّجوا ليلتهم ، حتى إذا كان وجه الصبح عرسوا ، فغلبتهم أعينهم ، حتى ارتفعت الشمس ، فكان أول من استيقظ من منامه أبو بكر رضي الله عنه ، وكان لا يوقظ رسول الله ﷺ من منامه حتى يستيقظ ، فاستيقظ عمر رضي الله عنه فقعد أبو بكر رضي الله عنه عند رأسه ﷺ ، فجعل يكبر ويرفع صوته حتى استيقظ النبي ﷺ ، فنزل وصلى بنا الغداة .

فاعتزل رجل من القوم لم يصل معنا فلما انصرف ﷺ قال للرجل : يا فلان ما يمنعك أن تصلّي معنا ؟ قال الرجل : أصابني جنابة .

فأمره ﷺ أن يتيمم بالصعيد ، ثم صلى .

وجعلني رسول الله ﷺ في ركوب بين يديه ، وقد عطشنا عطشا شديدا فبينما نحن نسير إذا بامرأة سادلة رجليها بين مَرَدَتَيْنِ ؛ فقلنا لها : أين الماء ؟

فقالت : إنه لا ماء .

فقلنا : كم بين أهلك وبين الماء ؟

قالت : يوم وليلة .

فقلنا : انطلقى إلى رسول الله ﷺ .

قَالَتْ: وَمَا رَسُولُ اللَّهِ؟ فَلَمْ نُمَلِّكْهَا مِنْ أَمْرِهَا حَتَّى اسْتَقْبَلْنَا بِهَا النَّبِيَّ ﷺ فَحَدَّثَتْهُ بِمِثْلِ الَّذِي حَدَّثْتَنَا، غَيْرَ أَنَّهَا حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا مُؤْتِمَةٌ فَأَمَرَ بِمَرَادَتَيْهَا، فَمَسَحَ فِي الْعِزْلَاوَيْنِ، فَشَرَبَنَا عِطَاشًا، أَرْبَعِينَ رَجُلًا، حَتَّى رَوَيْنَا فَمَلَأْنَا كُلَّ قَرِيبَةٍ مَعَنَا وَادَاوَةَ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ نَسْقِ بَعِيرًا، وَهِيَ تَكَادُ تَنْضُ مِنْ الْمِلءِ ثُمَّ قَالَ ﷺ: هَاتُوا مَا عِنْدَكُمْ فَجُمِعَ لَهَا مِنَ الْكِسْرِ وَالتَّمْرِ حَتَّى أَتَتْ أَهْلَهَا فَقَالَتْ لَهُمْ: لَقِيتُ أَسْحَرَ النَّاسِ أَوْ هُوَ نَبِيٌّ كَمَا زَعَمُوا .

فَهَدَى اللَّهُ ذَاكَ الصِّرَمَ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ، فَأَسْلَمَتْ وَأَسْلَمُوا ^(١)
حديث أنسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَنْ نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّ [٣٩٧]، (٢)
إِذَا ذَكَرَهَا، لَا كَفَّارَةَ لَهَا إِلَّا ذَلِكَ ^(٢) وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ^(٣)

٥٩٧

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب جواز صلاة الفائتة في جماعة ، واستحباب تعجيل صلاتها ، عند تذكرها ، أو حين القيام من النوم ، فذلك وقتها ، ولا كفارة على المصلي .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على حديثين ، يبينان جواز صلاة الفائتة في جماعة ،

(١) أخرجه البخاري في: ٦١ كتاب المناقب: ٢٥ باب علامات النبوة في الإسلام .

(٢) سورة طه الآية : ١٤ .

(٣) أخرجه البخاري في: ٩ كتاب مواقيت الصلاة: ٣٧ باب من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها

ولا يعيد إلا تلك الصلاة

واستحاب صلاتها عند تذكرها لمن نسيها ، أو عند القيام من النوم لمن نام عنها .

ففي الحديث الأول : روى الصحابي " عمران بن الحصين " رضي الله عنه قصة حدثت بين رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ، فلقد كانوا أربعين رجلاً ، و (أَنَّهُمْ كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَسِيرِ) السفر (فَأَذَلُّوا لَيْلَتَهُمْ) أي ساروا في أولها حتى لا يتأخروا (حَتَّى إِذَا كَانَ وَجْهُ الصُّبْحِ) أي حتى إذا بدأ وقت الصبح وأقرب منهم ، وأطل عليهم (عَرَّسُوا) أي نزلوا عن رحالهم ليستريحوا (فَعَلَبَتْهُمْ أَغْيُهُمْ) فناموا ، وأصابهم النعاس (حَتَّى ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ) أي ظلوا نائمين حتى أشرقت الشمس ، وعلت في كبد السماء (فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ اسْتَيْقَظَ مِنْ مَنَامِهِ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه) ، وكان من عادة الصحابة أن (لَا يُوقِظُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَنَامِهِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ) بنفسه ، وكانوا - رضوان الله عليهم - يتركونه ﷺ نائماً حتى يستيقظ ليقينهم أن الشيطان لا سلطان له عليه ، وأنه ﷺ تنام عيناه ولا ينام قلبه ، ولذلك لم يكونوا يوقظونه من نومه ، ويتركونه حتى يستيقظ من تلقاء نفسه .

(فَاسْتَيْقَظَ عُمَرُ رضي الله عنه) بعد أبي بكر رضي الله عنه (فَقَعَدَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه عِنْدَ رَأْسِهِ) أي عند رأس رسول الله ﷺ (فَجَعَلَ يُكَبِّرُ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ حَتَّى اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ) ، فنزل (من منامه إلى موضع الصلاة ، وتوضأ ﷺ (وَصَلَّى بِنَا الْعُدَاةِ) أي صلى بنا صلاة الصبح بعد ارتفاع الشمس في جماعة ؛ لأن ذلك هو وقت الصلاة .

(فَأَعْتَزَلَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ) لم يذكر المحدثون اسمه ، وبينوا أن هذا الرجل

(لَمْ يُصَلِّ مَعَنَا) في صلاة الجماعة خلف رسول الله ﷺ (فَلَمَّا انْصَرَفَ)
أي لما انتهى النبي ﷺ من الصلاة سأل الرجل وقال له : (يَا فُلَانُ مَا
يَمْنَعُكَ أَنْ تُصَلِّيَ مَعَنَا) ؟ لم يذكر الحديث اسم الصحابي ، ونداه النبي
ﷺ (يَا فُلَانُ) حتى لا يشيع أمره ، ويفتضح بين إخوانه .

قال الرجل : (أَصَابَتْني جَنَابَةٌ) ولم أجد الماء الذي اغتسل به .
(فَأَمَرَهُ ﷺ أَنْ يَتِيمَمَ بِالصَّعِيدِ) الطاهر على النحو الذي علمهم إياه
رسول الله ﷺ ، فتيمم الرجل (ثُمَّ صَلَّى) بعد تيممه .

يقول عمران بن الحصين ؓ : (وَجَعَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي رُكُوبٍ بَيْنَ يَدَيْهِ
(أي حملني رسول الله ﷺ على دابته التي ركبها ، وجعلني بين يديه لا
خلفه ، (وَقَدْ عَطِشْنَا عَطَشًا شَدِيدًا) ولم يكن معنا ماء ، وكنا ننتظر من
يدلنا على ماء .

(فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَسِيرُ إِذَا بِامْرَأَةٍ سَادِلَةٍ رَجُلَيْهَا بَيْنَ مَرَادَتَيْنِ) أي وأخذنا في
السير عطشى ، فقابلنا امرأة تركب دابتها ، مادة رجلَيْها أمامها فوق قربتين
مملوءتين ماء .

(فَقُلْنَا لَهَا : أَيْنَ الْمَاءُ) ؟ أي اين المكان الذي يوجد فيه الماء في مكاننا
هذا ؟

(فَقَالَتْ : إِنَّهُ لَا مَاءَ) هنا .

(فَقُلْنَا : كَمْ بَيْنَ أَهْلِكَ وَبَيْنَ الْمَاءِ) ؟

(قَالَتْ : يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ) أي نسير إلى الماء مسافة يوم وليلة .

فأخذناها ودابتها وماءها إلى رسول الله ﷺ (فَقُلْنَا) لها (انْطَلِقِي إِلَى

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) أي لا تنزعجي فهو رسول الرحمة والشفقة .

(قَالَتْ: وَمَا رَسُولُ اللَّهِ؟) أي وما معنى رسول الله؟.

(فَلَمْ نُملِكْهَا مِنْ أَمْرِهَا) أي لم ندعها تتصرف وحدها لنفسها، ولم نرد عليها سؤالها ، وأخذناها معنا (حَتَّى اسْتَقْبَلْنَا بِهَا النَّبِيَّ ﷺ) ، فرحب بها ﷺ (فَحَدَّثَتْهُ) المرأة (بِمِثْلِ الَّذِي حَدَّثْنَا) به أي قالت له : وما رسول الله ؟ (غَيْرَ أَنَّهَا حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا مُؤْتِمَةٌ) أي إنها تربي أولادها اليتامى ، فقد مات زوجها ، وإنما ذكرت ذلك خوفا على مامعها من مؤنة وماء ، أملا في أن يتركها الرجال لأولادها اليتامى .

(فَأَمَرَ ﷺ بِمَزَادَتَيْهَا) ، والمزادتان مثنى (مزادة) بفتح الميم والزاي الممدودة بعدها دال، وهي القرية التي ملأتها المرأة بالماء، فأمر رسول الله ﷺ (فَمَسَحَ فِي الْعِزْلَاوِينَ) أي مسح ﷺ فم القريتين ، ففاض الماء ، والعزلاوان مثنى عزلاه والمراد بها فم القرية (فَشَرَبْنَا عِطَاشًا ، أَرْبَعِينَ رَجُلًا ، حَتَّى رَوَيْنَا) وذهب ظمؤنا ، وملأنا قربنا كلها (فَمَلَأْنَا كُلَّ قَرْيَةٍ مَعَنَا وَإِدَاوَةَ) ، والإداوة : هي الإناء الصغير المتخذ من الجلد .

(غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ نَسْقِ بَعِيرًا) فقد رويت من ذاتها .

(وَهِيَ تَكَادُ تَنْضُ مِنَ الْمَلءِ) أي إن القرب تكاد أن تتشق من شدة امتلائها بالماء ، أو تسيل من زيادة مائها .

وأراد النبي ﷺ أن يعين المرأة المعيلة ، فقال لأصحابه : (هَاتُوا مَا عِنْدَكُمْ) أي احضروا ما عندكم من طعام ، وتمر ، وحاجات تصلح لها ولأولادها اليتامى .

(فَجُمِعَ لَهَا مِنَ الْخَسِرِ وَالْثَمَرِ) الكثير ، ورجعت إلى قومها (حَتَّى أَتَتْ أَهْلَهَا) وقصت لهم ما رأت ، وما حدث لها وما رجعت به من طعام ، وقالت لهم : (لَقِيتُ أَسْحَرَ النَّاسِ أَوْ هُوَ نَبِيٌّ كَمَا زَعَمُوا) ، أي لقيت رجلاً أتى بعجائب كثيرة خارقة للعادات ، وهي التي ذكرتها لكم ، وهو إما أن يكون أسحر الخلق ، أو هو رسول الله كما ادعى قومه لي ففكر الناس وتأملوا (فَهَدَى اللَّهُ ذَاكَ الصِّرَاطَ) أي هدى الله هذا النفر من قومها (بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ) أي بسببها (فَأَسْلَمَتْ وَأَسْلَمُوا) ، وصاروا جميعاً عباداً صالحين .
وفي هذا الحديث : جواز صلاة الفاتنة في جماعة ، وأن الجنب إذا لم يجد الماء يتييم ، وأن السعي إلى الحاجة واجب شرعي ، وأن الصحابة يعظمون رسول الله ﷺ ، ويوقرونه ، وأن من معجزات النبي ﷺ نبع الماء وإفاضته ، وأن الضعيف قد يكون سبباً في هداية الكبير وإسلامه .

وفي الحديث الثاني : الذي رواه أنس رضي الله عنه ، وفيه يؤكد أن النبي ﷺ قال : (مَنْ نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّ إِذَا ذَكَرَهَا) فذلك وقتها ، وقد غفر الله تعالى للناسي ، ورفع عنه إثم الغفلة إن أداها بعد تذكرها مباشرة ، فقد جعل الله تعالى وقتها وقت اليقظة .

(لَا كَفَّارَةَ لَهَا إِلَّا ذَلِكَ) أي ليس عليه إلا صلاتها . ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ أي أقم الصلاة وحافظ على أركانها ، وشروطها وخشوعها ، لتتذكرني بالطاعة ، وأذكرك بالمغفرة والمعونة .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تورد أحاديث الباب قصة الرسول ﷺ مع أصحابه ، أثناء سفر

لهم ، وكانوا أربعين رجلا ، فلقد سافروا أول الليل مبكرين ، فلما تعبوا من المسير نزلوا للراحة ، فأخذتهم عيونهم فناموا ، ولم يستيقظوا إلا بعد أن ارتفعت بهم الشمس ، فلما استيقظ رسول الله ﷺ صلى بهم الصبح جماعة بعد طلوع الشمس ، واخذوا في المسير إلى حيث يقصدون ، فعطشوا عطشا شديدا ، وبحثوا عن الماء فلم يجدوه ، وقابلتهم امرأة ، ومعها قربتان مملوءتان بالماء ، فسألوها عن الماء ، فعرفتهم أن بينهم وبين الماء مسيرة يوم وليلة ، فأخذوها إلى رسول الله ﷺ ، فأخبرته بأنها تربي أيتاما ، فوضع رسول الله ﷺ يده الشريفة على فم القريتين ، ففاضتا بالماء ، فشربوها واغتسلوا ، وملأوا قرايبهم جميعا ، ولم ينقص من ماء المرأة شيئا ، وأخذ سيلان الماء على الأرض يلمع ويفيض .

وكان نبع الماء سببا في إسلام المرأة وقومها ؛ لأنها قصت لهم ما حدث من رسول اله ﷺ ، وقالت عنه : لقد قابلت اعظم ساحر ، أو رسولا كما يزعم أصحابه ، ففكر القوم وعلموا أنه رسول الله ﷺ ، وأدركوا أن نبع الماء معجزة خارقة للعادة ، فأسلمت المرأة وأسلم قومها جميعا .
وقد أفادت أحاديث الباب عددا من الأحكام الإيمانية ، والتشريعية ، والاخلاقية .

فقد شاهدوا معجزة نبع الماء من فم القريتين ، بعد أن وضع رسول الله ﷺ يده الشريفة على أفواههما ، وتأكدوا من ظهور خوارق العادات على يد رسول الله ﷺ تصديقا له .

والمعجزة بكافة أنواعها وصورها تشهد بصدق رسالة الرسول ﷺ ، وتؤكد

صدق مايجيء به عن الله تعالى لأنه ﷺ تحداهم أن يأتوا بمثل ما يأتي به ، فإن عجزوا فعليهم أن يصدقوه فيما يدعوههم إليه .
كما علموا جواز صلاة الفائته في جماعة ، وأن قضاء الفائتة كاف في الأداء ورأوا أصحاب النبي ﷺ وإخلاصهم في طاعته ، وخدمته .
وتأكد لهم أن رسول الله ﷺ واحد من الناس في تواضعه وكرم أخلاقه ، وعظم تعاليمه .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تدل أحاديث الباب على جواز قضاء الفوائت في جماعة ، وتبين أنه ليس على المكلف إلا قضاءها منفردا أو في جماعة ، وأن الله تعالى أحاط رسوله ﷺ بالمعجزات تصديقا له ، وأن الصحابة تميزوا بحسن الخلق ، وكرم الصحبة ، ودقة الاتباع .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز ... أهمها .

الركيزة الأولى

معجزات النبي ﷺ ثابتة ومشهورة

أيد الله تعالى رسوله محمدا ﷺ بمعجزات عدة ، كما هو الشأن مع جميع الرسل تصديقا لهم ، لأن لسان حال المعجزة يقول عن الله تعالى :
(صدق عبدي فيما يبلغ عني) ، وقد جعل الله تعالى المعجزة إحدى علامات النبوة .

والمعجزة أمر خارق للعادة ، يظهره الله تعالى على يد من يدعي النبوة تصديقا له ضد من يكذبه .

وهي تختلف عن الكرامة ، والمعونة ، والإهانة ... ؛ لأن الكرامة أمر خارق للعادة ، تقع لعبد صالح تكريما له ، ورفعاً لشأنه بلا ادعاء منه للنبوة .

والمعونة أمر خارق للعادة ، يظهره الله على يد عبد صالح مستور ، إعانة له في أمر يحتاج إليه .

والإهانة أمر خارق للعادة ، يظهره الله تعالى على يد عبد ضال على عكس مقصوده ، إهانة له ، كأن يتقل في عين رجل أعور لتبرأ فتعمى الأخرى .

وصورة التحدي أن يقول النبي ﷺ : أتصدق إن فعلت كذا بأني رسول صادق ؟

أو يقول له من تحداه : لا أصدقك حتى تفعل كذا .

وسميت هذه العلامة بالمعجزة ، لعجز البشر عن الإتيان بمثلها ، والتاء فيها للمبالغة ، أو هي صفة لمؤنث محذوف ، يفهم من معنى الجملة التي وردت فيها .

يقول ابن حجر - رحمه الله : وأشهر معجزات النبي ﷺ القرآن الكريم ؛ لأنه ﷺ تحدى به العرب ، وهم أفصح الناس لسانا ، وأشدّهم اقتدارا على الكلام ، بأن يأتوا بأقصر سورة مثله ، فعجزوا مع شدة عداوتهم له ، وصدّهم عنه ، ...

حتى قال بعض العلماء : أقصر سورة في القرآن الكريم سورة الكوثر

فكل قرآن من سورة أخرى قدر سورة الكوثر ، سواء كان آية أو بعض آية داخل فيما تحداهم به ﷺ .

وعلى هذا فإن معجزة القرآن الكريم تشمل وجوها عدة للإعجاز ، وأهم وجوه إعجاز القرآن الكريم ما يلي :

(١) حُسْن تَأْلِيْفِهِ ، والتَّائِم كَلِمَاتِهِ ، وفَصَاحَتِهِ ، وتَضَمَّن مفرداته لجملة من المعاني .

(٢) بِلَاغَةُ أَسْلُوبِهِ ، وحُسْن نَظْمِهِ ، واشْتِمَالُهُ عَلَى أَوْجِه البَيَان المختلفة ، واللَوَان البَدِيع الجميلة .

(٣) الإِخْبَار بِالمَغِيْبَات المتصلة بالأمم الماضية ، مما كان لا يعلمه إلا أفراد من أهل الكتاب ، لم يلتق الرسول ﷺ بواحد منهم أو يسمع عنهم خبرا .

(٤) إِيْخْبَارُهُ عَنْ أُمُور سَتَقَعُ وَوَقَعَتْ ، وفق ما أخبر به في زمن رسول الله ﷺ وبعده وسوف تقع إن لم تكن وقعت .

(٥) تَيْسِير حِفْظِهِ لمتعلميه ، وتسهيل سرده لقارئه ، وعدم دخول الملل والسآمة لمن يحفظه أو يقرؤه .

(٦) حُصُول الهَيْبَةِ والخَشْيَةِ عِنْد سَمَاعِهِ ، وإِدْرَاك أَنَّهُ بِلَفْظِهِ ومعناه ليس كلاما عاديا .

(٧) اسْتِمْرَار معجزاته مع وجود معارضيه ، واستمرار تحديه لهم ، فقد تحدى اليهود أن يتمنوا الموت للقاء أبيهم كما ادعوا ، ولكنهم لم يفعلوها حتى الآن .

وأما ما عدا القرآن الكريم من معجزات ، فهي تعرف بالمعجزات الحسية ، مثل :

- نبع الماء ببين أصابعه ﷺ .

- وتكثير الطعام .

- وانشقاق القمر .

- ونطق الحجر .

وحنين الجذع ...

ومن المعجزات ما وقع التحدي به ... ومنه ما وقع دالا على صدقه ﷺ

من غير تحد به ، كما حدث في الهجرة ، من وجود بيت العنكبوت على باب الغار ، وبيض الحمامة فوقه ، وما حدث لسراقة ... ألخ

ومجموع ذلك يفيد القطع ، بأنه ظهر على يده ﷺ من الخوارق

شيء كثير ، اشتهرت وانتشرت ، ورواها العدد الكبير من أهل العلم والآثار ، وأصحاب العناية بالسير والأخبار ^(١) .

فإن قيل: إن بعض العلماء لم يقطع ببعض المعجزات .

أقول : هذا شأن بشري ، فليس كل الناس يدركون الشيء الواحد على صورة واحدة ... وقد ظهر هذا جليا بين الفقهاء .

فأصحاب مالك - رحمه الله - تواتر النقل عندهم أن مذهبه أجزاء

النية من أول رمضان عن الشهر كله مرة واحدة ، **خلافا للشافعي** ، الذي أوجب النية في كل ليلة على حدة .

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ٦ ص ٥٨٢ .

واشترط الولي في النكاح عند الجمهور ، خلافا لأبي حنيفة .
ويكتفي الدعوة في دعوة غير المسلمين بالقرآن الكريم ، فهو المعجزة
الدائمة على مر الزمن كله ، اما سائر المعجزات الحسية ، فلا يصدقها
إلا المؤمنون غالبا ، لأنهم يصدقون بالأخبار الواردة عن رسول الله ﷺ
وصحابته الأخيار وغير المسلمين إن أسلموا سلموا بسائر المعجزات .

والقرآن الكريم لا يعتمد على الإبهار الحسي ، والأخذ المفاجئ
للأبصار ، لأن ذلك الإبهار يفيد من رآه وعاشه وليس له فوائد في تعليم
الناس ، وإصلاح الحياة ، وتشريع النظم ، وتثبيت العقيدة والأخلاق في
النفوس .

وإنما يعتمد القرآن الكريم على مخاطبة العقل بالحسنى ، وعلى ما فيه
من نسق بليغ ، وبراهين دقيقة ، وآيات تأخذ القلب والوجدان وتحثه إلى
النظر في ملكوت الله ، وآلائه ، ونعمه ، وتقدم شريعة تنظم للناس كافة
شئون الحياة .

وعلى الدعوة :

أن يعيشوا دعوتهم مع القرآن الكريم ، ويأخذوا منه دلائل الصدق
التي تثبت العقيدة ، وتظهر مزايا الشريعة ، وتحدد مكارم الأخلاق ،
وتظهر غيبا يعجز العقل البشر أن يصل إليه ، سواء كان في الماضي ،
أو الحاضر ، أو المستقبل .

وفي القرآن الكريم إظهار لخبايا النفوس ، وما انطوت عليه صدور
كافة طوائف الناس ، كما هو مفصل في قصص الأنبياء ، والأمم السابقة
إن العلم الحديث يكشف أمورا سبق أن أشار إليها القرآن الكريم منذ

أربعة عشر قرنا ، تبهر العلماء ، وتشد أفهام المفكرين وتدفع الكثيرين إلى الإيمان بالله تعالى .

إن القرآن الكريم هو معجزة الإسلام الكبرى ، ولذلك كانت العناية به عناية للإسلام كله .

وواجب الدعاة حث المدعوين على حفظ نصوصه ، والمحافظة عليه ، وتطبيق تعاليمه ، والاستقامة على ما فيه من نظم ومناهج ، وتتبع ما به في صدق وإخلاص .

وقد اشتد رمي السهام من أعداء الإسلام للقرآن الكريم ، يريدون برميهم ومزاعمهم هدم الإسلام ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(١) .

الركيزة الثانية التعاون على البر سبيل النصر والقوة

عاش الصحابة رضي الله عنهم مع رسول الله ﷺ على قلب رجل واحد ، يحب كل منهم أخاه ، وينصره ، ويتعاون معه ، ولذلك نصرهم الله تعالى ، ونصر الإسلام بهم .

وحديث الباب يدل على هذا التعاون ، فلقد كانوا جميعا في سفر ، وكانوا يتحركون بصورة جماعية ، فلما عطشوا جميعا بحثوا عن الماء ، فلم يجدوه ، وعثروا على امرأة معها قريتان مملوءتان ماء ، فأتوا بها إلى رسول الله ﷺ ، فكثر ماء القريتين بعد أن مج رسول الله ﷺ افواههما بماء من فمه ، وهكذا كان تعاونهم على الخير ، والبر ، والتقوى .

(١) سورة الصف الآية : ٨ .

الركيزة الثالثة ضرورة است فراغ الوسع لتحقيق الأمل

التكاليف أساس إظهار الإسلام ، وهو الجانب الشاق فيه ، فمن آمن بالله ، ودخل في دين الله تعالى ، صار ملتزماً بالشرعة التي تحدد مسار العمل ، والحركة في كافة انشطته وميوله ، حيث الحلال والصراط المستقيم ، والحرام والطرق المعوجة .

إن التكليف قائم على العلم والعمل ، والتمسك بالحلال المشروع بما فيه من الزام وقهر ، وهجر لمساوئ المنكرات ، ولذلك يقول النبي ﷺ : (حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات) ^(١) ، وأعمال الإنسان في الدنيا مسجلة عليه ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ^(٢) ، ولكل إنسان كتاب ، يضم كل قول وكل فعل ، وكل هم ، وكل ترك ، ، وهذا الكتاب هو الذي يحمله صاحبه يوم القيامة ، ويأخذه بيمينه أو بشماله ، وسوف يتعجب الإنسان من مضمون كتابه ، ويقول : ﴿ مَا لِي هَذَا أَلَكِتَابِ لَا يَغْدِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ ^(٣) .

إن الإنسان مكلف بدين الله تعالى ، وعليه أن يبذل فيه جهده ، وطاقته ، ويترك النتائج لله تعالى ، ويدعوا ربه أن يعمل صالحاً يرضيه ، ويتقبل منه عمله ، ويجعله في عباده الصالحين .

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، حديث رقم : ٥١٥٦ .

(٢) سورة ق الآية : ١٨ .

(٣) سورة الكهف الآية : ٤٩ .

ولن يضيع الله عمل عامل مخلص ، وإنما يوفي الله العاملين المخلصين أجرهم بغير حساب .

إن على الإنسان أن يبذل طاقته في طاعة الله تعالى ، وليس عليه أن يفكر فيما عدا ذلك ، فالأمر بيد الله ، والله غالب على أمره ، وحينما يبذل المكلفون طاقتهم في عملهم ، يأتيهم توفيق الله ونصره ، لأن الله تعالى اطلع على قلوبهم ، فعلم صدقهم ، وإخلاصهم ، ولذلك يوفيهما ما يستحقون ويقبل أعمارهم ، ويعفو عن أخطائهم ، وضعفهم .

وأحاديث الباب تشير إلى هذه الحقيقة ، فلقد عاش الصحابة مع رسول الله ﷺ في السفر ، فلما استيقظوا من النوم أيقظوا رسول الله ﷺ حتى صلى بهم ، فلما أصابهم العطش أخذوا في البحث عن الماء ، فلما اشتد العطش وانتظروا الهلاك جاءهم نصر الله ، في صورة تكثير الماء من قريتي المرأة بعد أن مسهما رسول الله ﷺ فشربوا ، واغتسلوا وملأوا قريهم .

إن الله تعالى يعين من أعان نفسه ، ويعطي من أخلص له في قوله وعمله ، وينصر من نصره وهو العليم الخبير .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الأحاديث

نستنبط من احاديث الباب الفوائد التالية : -

- ١- جواز صلاة الفائتة في جماعة ، وهو أمر مستحب عند أكثر أهل العلم ، إلا الليث رحمه الله تعالى .
- ٢- من نام عن صلاة أو نسيها ، فوقتها حين يستيقظ ، أو حين يتذكرها فذلك وقتها .

- ٣- المعجزات كلها - حسية أو معنوية - علامات على النبوة .
- ٤- شفقة رسول الله ﷺ بالأمة أمر ثابت .
- ٥- القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة لرسول الله ﷺ .
- ٦- يجوز الاكتفاء بالتنبيه بالأدنى على الأعلى ؛ لأن الأمر بقضاء الفريضة الفائتة ، يؤدي إلى وجوب أداء الفريضة الحالية من باب أولى .
- ٧- شرع من قبلنا شرع لنا ، ما لم يرد ناسخ ؛ لأن قوله ﷺ : ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ ^(١) كان خطابا لموسى عليه السلام ، وعدت خطابا لرسول الله ﷺ .
- ٨- حسن التأدب مع رسول الله ﷺ واجب على كل مسلم .
- ٩- تنبيه الغافل يكون بالرمز والإشارة ليفهم بلا حرج .
- ١٠- للمرأة دور في الدعوة إلى الله تعالى ، وهداية الرجال .

(١) سورة طه الآية : ١٤ .

- ٧ -

الكتاب السابع

كتاب صلاة المسافرين وقصرها

صلاة المسافرين

السفر تعب بدني ، وآلام نفسية وعقلية ، لما فيه من كثرة الحركة ، والانتقال من مكان إلى مكان ، وجهد مبذول مع الانتقال المحمولة ، والأعراض المقصودة ، ولما يصاحبه من ترك للأوطان ، وبعد عن الأهل والأبناء ، وللمجهول الذي يحيط بالسفر من ناحية الناس والنتائج .

لهذا وغيره شرع الله تعالى للسفر أحكاما خاصة ، وأدابا معينة ، فجعل المسافر ضيفا على من ينزل عليه ، له حقوقه التي تحقق له الأنس ، والشعور بالأخوة مع من يسافر إليهم .

ومما شرعه الله تعالى للمسافر : أن أباح له الفطر في رمضان ، مع القضاء بعد الرجوع من السفر ، وشرع قصر الصلاة وجمعها للتخفيف ، ومراعاة لحال المسافرين .

إن قصر صلاة المسافرين رخصة يحب الله تعالى للمصلي أن يقوم بها ، ويفرح بأدائها إقرارا بها ، واعترافا بفضل الله ورحمته التي أحاط بها عباده المسلمين .

ولا يقال إن السفر اليوم فسحة مريحة ، واستقرار آمني ، ينزل فيه المسافر في البنايات الضخمة ، ويأكل في المطاعم الفاخرة ، مما يسقط قصر الصلاة ، ولا يحتاج المسافر إلى الإفطار في رمضان ؛ لأن تخفيف الله تعالى للمسافرين صدقة ، تصدق الله بها على عباده ، ولن يرجع الله في صدقته ، فله الحمد وله الشكر .

- ١ -

١- باب قصر صلاة المسافرين

(١)، [٣٩٨] حديث عائشة أم المؤمنين **ل** قَالَتْ : فَرَضَ اللَّهُ الصَّلَاةَ حِينَ فَرَضَهَا رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ ، فَأَقْرَ صَلَاةَ السَّفَرِ ، وَزِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ ^(١).

(٢)، [٣٩٩] حديث ابن عمر **م** عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ رضي الله عنه قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ عُمَرَ **م** فَقَالَ : صَحِبْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَلَمْ أَرَهُ يُسَبِّحُ فِي السَّفَرِ وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ^(٢)(٣).

(٣)، [٤٠٠] حديث أنس رضي الله عنه ، قَالَ : صَلَّيْتُ الظُّهْرَ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِالْمَدِينَةِ أَرْبَعًا ، وَيَذِي الْخُلَيْفَةِ رَكْعَتَيْنِ ^(٤).

(٤)، [٤٠١] حديث أنس رضي الله عنه قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ ، فَكَانَ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ حَتَّى رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ. ١٠٨١

(١) أخرجه البخاري في: ٨ كتاب الصلاة: ١ كيف فرضت الصلوات في الإسراء ، وللحديث روايات أخرى في البخاري تحت رقم : ١٠٩٠ ، ٣٩٣٥ .

(٢) سورة الأحزاب الآية : ٢١ .

(٣) أخرجه البخاري في: ١٨ كتاب تقصير الصلاة ، : ١١ باب من لم يتطوع في السفر دبر الصلاة وقبلها ، وللحديث رواية في البخاري تحت رقم : ١١٠٢ .

(٤) أخرجه البخاري في: ١٨ كتاب تقصير الصلاة: ٥ باب يقصر إذا خرج من موضعه ، وللحديث روايات أخرى في البخاري تحت أرقام : ١٥٤٦ ، ١٥٤٧ ، ١٥٤٨ ، ١٥٥١ ، ١٧١٢ .

سَأَلَهُ يَحْيَى بْنُ أَبِي إِسْحَقَ رحمه الله قَالَ : أَقَمْتُمْ بِمَكَّةَ شَيْئًا ؟
قَالَ : أَقَمْنَا بِهَا عَشْرًا ^(١) .

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب حكم تقصير الصلاة الرباعية في السفر ، وما يتعلق بالتقصير من احكام وآراء .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على أربعة أحاديث ، تدور حول تقصير الصلاة في السفر ، وتبين أحكامها من عدة جوانب .

ففي الحديث الأول : تقول السيدة عائشة **ل** (**فَرَضَ اللَّهُ الصَّلَاةَ حِينَ فَرَضَهَا رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ**) أي إن الصلاة في أصل مشروعيتها ، فرضت ركعتين ركعتين في كل صلاة ، ما عدا صلاة المغرب ، والألف واللام في (**الصَّلَاةَ**) للعهد ، والمراد بها الصلاة الرباعية ، المعهودة لكم ، وهي : صلاة الظهر ، والعصر ، والعشاء ، وبهذا لا تدخل معها صلاة المغرب .

وكرر الحديث (رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ) ليفيد عموم التنبيه في كل صلاة رباعية ، فقد فرضها الله تعالى ثنتين (**حِينَ فَرَضَهَا**) أي وقت أن فرضها في ليلة الإسراء قبل الهجرة .

(**فَأَقْرَ صَلَاةَ السَّفَرِ ، وَزَيْدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ**) أي أبقى الله الصلاة ركعتين

(١) أخرجه البخاري في: ١٨ كتاب تقصير الصلاة: ١ باب ما جاء في التقصير وكما يقيم حتى

على أصلها الأول وزادها في الحضر أربعاً في الظهر والعصر والعشاء .
وتؤكد السيدة عائشة **ل** هذا وتقول في حديث آخر : (فرضت
الصلاة ركعتين ، ثم هاجر النبي ﷺ ففرضت أربعاً ، وتركت صلاة السفر
على الأولى) ^(١) كما بقيت صلاة الفجر على الأولى كذلك .

وقد تمسك الأحناف بظاهر حديث الباب : وقالوا : إن تقصير
الصلاة عزيمة لا رخصة ؛ لأنها فرضت ركعتين ابتداء ، وبعد الهجرة
فرضت أربعاً مرة أخرى .

وقال غير الأحناف : إن تقصير الصلاة رخصة لا عزيمة ، لقوله
ﷺ : ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ ﴾ ^(٢) ، لأن نفي الجناح لا
يدل على العزيمة ، والرخصة قائمة على التخفيف ابتداء ، والتقصير يكون
في شيء أطول مما سبقه ، ولقوله ﷺ عن التقصير : (صدقة تصدق
الله بها عليكم ، فاقبلوا صدقته) ^(٣) .

وقد اخرج الإمام مسلم في صحيحه عن ابن عباس - رضي الله
عنهما - قوله : (فرض الله الصلاة على لسان نبيكم ﷺ في الحضر
أربعاً ، وفي السفر ركعتين ، وفي الخوف ركعة) ^(٤) ، وهذا يؤكد أن
التقصير رخصة .

يقول ابن حجر - رحمه الله : " والذي يظهر لي أن الصلوات

(١) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب التاريخ ، حديث رقم : ٣٧٤٠ .

(٢) سورة النساء الآية : ١٠١ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب صلاة المسافرين ، حديث ١١٤٣

(٤) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب صلاة المسافرين ، حديث ١١٤٤

فرضت ليلة الإسراء ركعتين ركعتين ، إلا المغرب ، ثم زیدت بعد الهجرة إلا الصبح " ^(١) ويؤيد ذلك ما روي عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : (فرض صلاة السفر والحضر ركعتين ركعتين ، فلما أقام رسول الله ﷺ بالمدينة زيد في صلاة الحضر ركعتان ركعتان ، وتركت صلاة الفجر لطول القراءة ، وصلاة المغرب لأنها وتر النهار) ^(٢).

فلما استقر ﷺ في المدينة فرض الله تعالى الرباعية ، ونزل قوله ﷺ ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ^(٣) ، أي ليس عليكم ملام أو خطأ إن قصرتم الصلاة ... وقد جاء الإذن بالتخفيف بعد الهجرة ، ويكون معنى قول عائشة - رضي الله عنها - (فَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ) باعتبار ما آل إليه الأمر من التخفيف ، لا أنها استمرت منذ فرضت على التقصير وبهذا لا يكون التقصير عزيمة ، كما ذهب إلى ذلك الأحناف .

وهذه قضية هامة ؛ لأن كون التقصير عزيمة ، يجعل التمسك به واجبا مشروعا لذاته ، وبلا عذر يقتضيه ، أما اعتباره رخصة ، فهو تخفيف من الله تعالى يباح عند وجود عذر له .

ولذلك أوجب الأحناف التقصير ، وجعله غيرهم سنة يُخير المسافر فيها ، وساوى البعض بين الإتمام والتقصير .

(١) فتح الباري ج ١ ص ٤٦٤ طبعة السلفية .

(٢) صحيح ابن خزيمة ، كتاب الصلاة ، باب ذكر الخبر المفسر للفظة المجملة ، حديث رقم : ٣٠٤ .

(٣) سورة النساء الآية : ١٠١ .

وفي الحديث الثاني : الذي يرويه عاصم بن عمر بن الخطاب

م مخبرا عن أخيه عبد الله بن عمر **م** ، وفيه يقول ابن عمر **م** (صَحِبْتُ النَّبِيَّ ﷺ) في بعض أسفاره ، (فَلَمْ أَرَهُ يُسَبِّحُ فِي السَّفَرِ) أي لم اراه يصلي النوافل الراتبة قبل الصلاة أو بعدها .

وهذا يدل على أن رسول الله ﷺ كان لا يزيد في السفر عن ركعتين كما نص ابن عمر **م** على ذلك في حديث آخر قال فيه : (صحبت رسول الله ﷺ فكان لا يزيد في السفر على ركعتين) ^(١) ، وهذا الحديث يفيد أنه ﷺ لم يزد الفريضة عن ركعتين، وبهذا الاحتمال يكون الحديث بعيدا عن النوافل ، ولم يشر إلى صلاة النبي ﷺ ، أو عدم صلاته لها ، وهذا احتمال ضعيف ، لأن حديث الباب نص على أنه ﷺ لم (يُسَبِّحُ فِي السَّفَرِ) ، أي أنه لم يصل نافلة راتبة ومن باب أولى سواها .

يؤيد هذا ما رواه مسلم بسنده قال : (حدثنا عيسى بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، عن أبيه ﷺ أنه قال : (صحبت ابن عمر **م** في طريق مكة ، قال : فصلى لنا الظهر ركعتين ، ثم أقبل وأقبلنا معه ، حتى جاء رحله ، وجلس وجلسنا معه ، فحانت منه التفاتة نحو المكان حيث صلى ، فرأى ناسا قياما ، فقال : ما يصنع هؤلاء ؟ " قلت : يسبحون ،

قال : " لو كنت مسبحا لأتممت صلاتي ، يا ابن أخي إني صحبت رسول

(١) صحيح البخاري ، كتاب : الجمعة ، أبواب : تقصير الصلاة ، حديث رقم : ١٠٦٤ .

الله ﷺ في السفر ، فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله ، وصحبت أبا بكر ﷺ ، فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله ، وصحبت عمر ﷺ ، فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله ، ثم صحبت عثمان ﷺ ، فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله وقد قال الله ﷻ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(١) ، ففهم ابن عمر م أن المقصود من التقصير التخفيف ، ولذلك كان لا يصلي النوافل الراتبة ولا يتم ، ولو ترك التخفيف المشروع ، لكان اتمام الفريضة أولى من النافلة .

ويشير قول ابن عمر م إلى إن الفريضة في السفر شرعت ركعتين ، ولو شرعت تامة لأتمها ابن عمر م ، وحتى يتم التخفيف جعل الله تعالى صلاة النافلة باختيار المصلي المسافر .

ثم قرأ ابن عمر م قوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ ، أي إن على المسلم أن يتخذ الرسول ﷺ أسوة وقدوة ، ويصلي كما صلى رسول الله ﷺ ، ويقصر الصلاة كما قصر رسول الله ﷺ .

فإن قيل : الثابت أن عثمان ﷺ قصر ست سنوات من خلافته وأتم بعد ذلك فما معنى رواية (ثم صحبت عثمان ﷺ فلم يزد على ذلك حتى توفاه الله ؟

أقول : المقصود في حديث مسلم أن عثمان ﷺ لم يزد على ركعتين

(١) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب صلاة المسافرين وقصرها ،

حديث رقم : ١١٤٧ .

حتى قبضه الله في غير منى ، وروايات إتمام عثمان رضي الله عنه محمولة على إتمامه في الصلاة في منى ^(١)

وفي الحديث الثالث : يقول أنس رضي الله عنه : (صَلَّيْتُ الظُّهْرَ مَعَ النَّبِيِّ

ﷺ بِالْمَدِينَةِ أَرْبَعًا، وَبَذِي الْحُلَيْفَةِ رَكْعَتَيْنِ) أي إن رسول الله ﷺ

صلى الظهر في المدينة تاما ، وصلى العصر بذى الحليفة ركعتين ، وقد نص حديث مسلم على ان التقصير كان في صلاة العصر ، وهي الصلاة التالية لصلاة الظهر ، التي أداها الرسول ﷺ تامة في المدينة قبل أن يشرع في السفر .

و(ذِي الْحُلَيْفَةِ) تبعد عن المدينة بستة اميال في طريق الذهاب إلى مكة ، ولذلك تناول الفقهاء مسألة البداية الزمانية ، والمكانية التي يحق للمسافر أن يقصر منها .

" قال ابن المنذر : اجمعوا على أن لمن يريد السفر أن يقصر إذا خرج عن جميع بيوت القرية التي يخرج منها ... واختلفوا فيما قبل الخروج عن البيوت .

فذهب الجمهور إلى أنه لابد من مفارقة جميع البيوت .

وذهب بعض الكوفيين إلى أنه إذا أراد المسافر السفر يصلي ركعتين ، ولو كان في منزله ، ثم يقصر بعد ذلك .

ومنهم من قال : إذا ركب دابته قصر إن شاء .

ورجح ابن المنذر أن القصر يبدأ بعد مفارقة البيوت ، وقال : ولا

(١) شرح النووي ج ٢ ص ٣٤٠ طبعة الشعب

أعلم النبي ﷺ قصر في شيء من أسفاره إلا بعد خروجه من المدينة^(١)
وهذا هو الأظهر لبدء معنى السفر ، وظهور مشاقه بعد ترك
العمران ، وسيأتي تفصيل هذا المبحث في التحليل .
وفي الحديث الرابع : انس ﷺ : (خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ
الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ ، فَكَانَ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ حَتَّى رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ) أي
إنه ﷺ وأصحابه ظلوا يقصرون مدة سفرهم ، حتى رجعوا إلى المدينة
فأتموا .

فسأل يحيى بن أبي اسحاق أنسا ﷺ عن المدة التي مكثها النبي ﷺ
وأصحابه في سفرهم ، وقال له : (أَقْمَنْتُمْ بِمَكَّةَ شَيْئًا) ؟ أي ما هي المدة
التي أقمتوها في مكة ؟
قال أنس ﷺ : (أَقْمَنَّا بِهَا عَشْرًا) .

فأشار بذلك الحديث عن المدة التي يحق للمسافر فيها أن يستمر
في القصر ، على أن يتم بعدها .

فجمهور الفقهاء بينوا أن المسافر إذا نوى الإقامة في المكان
الذي سافر إليه ، فله أن يقصر أربعة أيام ، أما إن ظل على سفره فله إن
يقصر مدة تسعة عشر يوما بلياليهن .

وقد حدد بعض الفقهاء المدة بـ (تسعة عشر يوما) ، وذكر
آخرون **(سبعة عشر)** ، وقال غيرهم **(خمسة عشر)** ، وحديث الباب يدل
على أنها **(عشر)** ليال .

(١) فتح الباري : ج ٢ ص ٥٦٩ ، ٥٧٠ طبعة السلفية .

" وجمع البيهقي - رحمه الله - بين هذا الاختلاف بأن قال :

من قال : تسعة عشر عد يومي الدخول والخروج .

ومن قال : سبعة عشر حذفهما ...

ومن قال : ثمانية عشر حذف واحدة وعد واحدة .

أما رواية مسلم التي جعلت العدد خمسة عشرة ، فرواتها ثقات ، وهي محمولة على أن الراوي ظن أن الأصل سبعة عشر ، فحذف منها يومي الدخول والخروج ، فصارت خمسة عشر .
وأرجح الروايات رواية تسعة عشر ؛ لأن الروايات التي ذكرتها صحيحة كلها ، واتفق أغلب الفقهاء عليها ^(١).

وحديث الباب الذي رواه انس رضي الله عنه كان في حجة الوداع ، فذكر المدة التي مكثها النبي ﷺ في حجته بمكة والمناسك ، ولم يقصد مدة قصر السفر ، فقد وصل النبي ﷺ إلى مكة في الرابع من ذي الحجة ، وأقام في مكة أربعة أيام ، ثم ذهب إلى منى في اليوم الثامن ، وذهب إلى عرفة في اليوم التاسع ، وعاد إلى منى من اليوم العاشر ، حتى رحل إلى مكة في اليوم الثالث عشر ، ورحل إلى المدينة في اليوم الرابع عشر ، وتلك مدة حجته ﷺ ، فقد قضاها في مكة وأماكن الحج ، وهذا يدل على جواز القصر في عرفة ، ومنى ومزدلفة من غير أهل مكة وماقرب منها ، وإلى ذلك ذهب الشافعي ، وأبو حنيفة وأكثر الفقهاء والمحدثين ؛ لأن علة

(١) فتح الباري ج ٢ ص ٥٦٢ .

- وقد اخذ اسحاق بن راهوية برواية تسعة عشر ، وأخذ الثوري وأهل الكوفة برواية خمسة عشر

القصر عندهم السفر ... أما الإمام مالك فإنه رأى جواز قصر أهل مكة ومنى ومزدلفة وعرفة ؛ لأن علة القصر عنده النسك ^(١) .

وبالنظر في أحاديث الباب : نرى أن :

الحديث الأول : يبين مشروعية التقصير في السفر .

والحديث الثاني : يبين تقصير الصلاة في السفر .

والحديث الثالث : يبين الزمان والمكان الذي يبدأ فيه المسافر قصر الصلاة

ويبين الحديث الرابع : المدة التي يشرع فيها التقصير .

وهذه المسال تحتاج إلى تفصيل آراء الفقهاء ، وهذا ما سأعرض له في التحليل .

- ج -

التحليل البياني لأحاديث الباب

أحاط الله تعالى عباده برحمته ، وادع في شريعته الشفقة ، ومراعاة حال الناس ... وأحاديث الباب تدل على هذه الحقيقة ، فالسفر قطعة من العذاب ، ولذلك شرع الله تعالى التخفيف على المسافرين ، فله أن يفطر ويقضي صومه في أيام آخر ، ويقصر في صلاته ، وقد علم المسلمون ذلك من أفعال رسول الله ﷺ وأقواله .

وأحاديث الباب تروي أن رسول الله ﷺ صلى الظهر أربعاً

بالمدينة ، ثم خرج ، فأدركته صلاة العصر في (ذي الحليفة) فصلاها بالناس ركعتين .

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ج٢ ص٣٤٠ ، طبعة الشعب .

وفي غزواته ﷺ كان يصلي بأصحابه قصرا ، من حين خروجه إلى حين عودته ، وسار على هذا المنهج ، أبو بكر وعثمان وعمر رضي الله عنهم ، واستقرت الشريعة على أن السفر بشروط محددة يسمح بتقصير الصلاة الرباعية .

تناول الفقهاء والعلماء عدة أمور تتعلق بالتقصير في السفر ...

وأهمها : -

أولاً : طبيعة السفر .

قال النووي : مذهب الشافعي ومالك ، وأبي حنيفة وأحمد والجمهور ، أنه يجوز القصر في كل سفر مباح ، كما ذهبوا إلى عدم جواز القصر في سفر المعصية خلافا لأبي حنيفة ^(١) وقد اشترط بعضهم أن يكون السفر للحج ، أو للعمرة ، أو للجهاد ، أو للخوف .

ثانياً : مسافة القصر .

السفر المعتبر به الذي يشرع فيه القصر ، لا تقل غايته عن ثمانية وأربعين ميلا ، أي ثمانين كيلو متر تقريبا ، ولذا ذهب الشافعي ومالك واصحابهما ، وفقهاء أهل الحديث ، والإمام احمد - رضوان الله عليهم - إلى القصر في السفر الطويلالمشار إليه .
وقد ذهب البعض إلى تقليل المسافة ، حتى ولو بلغت خمسة أميال فقط ^(٢).

(١) فتح الباري ج ٢ ص ٥٦١ .

(٢) فتح الباري ج ٢ ص ٥٦٧ .

ثالثاً : نية الإقامة في السفر .

إن نوى المسافر الإقامة في بلد ما أربعة أيام ، فله القصر هذه المدة فقط ويتم بعدها ، وإن ظل على سفره فإنه يقصر تسعة عشر يوماً ، فإن زاد عنها أتم الصلاة ، وذهب الأحناف إلى أن أقل مدة الإقامة المعتبرة خمسة عشر يوماً .

رابعاً : ابتداء القصر :

إذا نوى المسافر السفر إلى مكان يحق له أن يقصر بسببه ، فإنه يبدأ في تقصير صلاته حين يغادر بنيان بلده أو سورها ، أو خيام قومه على الأرجح ، ويستمر متمتعاً بهذه الرخصة حتى يرجع إلى بيته .

خامساً : محل نية القصر .

لابد من نية القصر عند ابتداء الصلاة عند الإحرام ، لأن الأصل في الصلاة الإتمام ، فإذا لم ينو القصر لزمه الإتمام عند الجمهور خلافاً للأحناف .

ومعلوم أن النية هي القصد ، واستحضار المنوي ، ومحلها القلب ، والتلفظ بها ليس شرطاً .

وذهب الأحناف إلى عدم وجوب النية ؛ لأن الأصل عندهم القصر ، فلا يحتاج لنية ، والذي يحتاج لنية هو الإتمام .
وذهب البعض إلى جواز النية تقصيراً ، أو إتماماً أثناء الصلاة ، ولو قبل السلام .

سادساً : قضاء فوائت السفر .

إن فاتت المسافر صلاة أثناء سفره ، قضاهما في الحضر قصراً ، كما

ذهب إلى ذلك مالك وأبو حنيفة - رحمهما الله تعالى ، وذهب أحمد والشافعي إلى قضائها تامة .

وإن فاتته صلاة في الحضر فقضاها في السفر لم يجز فيها القصر بلا خلاف بين الفقهاء .

سابعاً : ضرورة القصد في السفر .

اتفق الفقهاء على أنه يشترط في السفر الذي تتغير به الأحكام قصد موضع معين ، عند ابتداء السفر ، فلا قصر ولا فطر لهائم على وجهه لا يدري أين يتوجه ، ولا لتأته ضل الطريق ، ولا لسائح لا يقصد مكاناً معيناً ... وكذا لو خرج أمير مع شيخه في طلب العدو ، ولم يعلم أين يدركهم فإنه يتم ، وإن طالت المدة .. ومثله طالب غريم وأبق يرجع متى وجدته ، ولا يعلم موضعه ، وإن طال سفره ^(١).

ثامناً : الأفضلية بي القصر والاتمام .

اختلف العلماء في أيهما أفضل القصر أم الإتمام في السفر ، فقال الشافعي ومالك يجوز القصر والاتمام ، والقصر أفضل ، وقال الأحناف القصر واجب ^(٢)

تاسعاً : أحكام شرعية تتغير بالسفر .

يترتب على السفر المعتبر شرعاً أحكاماً للتخفيف على المسافرين ، وأحكاماً أخرى لتنظيم السفر بلا تخفيف .
أما أحكام التخفيف فأهمها : -

(١) الفتاوى الهندية ج ١ ص ١٣٨ ، المطبعة الأميرية

(٢) شرح النووي ج ٢ ص ٢٤٠ .

- (١) امتداد مدة المسح على الخفين لتصير ضعف مدة المقيم .
وقد ذهب المالكية إلى أن المدة واحدة في المسح ، للمسافر والمقيم .
(٢) جمع الصلاة مع التقصير : ذهب جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة على أن السفر من الأعذار المبيحة لجمع الصلوات ، وذهب الأحناف إلى إنه لا جمع إلا في عرفة ومزدلفة .
(٣) سقوط الجمعة : اتفق الفقهاء على أن من شروط وجوب الجمعة الإقامة ، فلا جمعة على مسافر وإن صلاها جازت ، وأغنت عن الظهر .

- (٤) جواز التنقل على الراحلة ، والتوجه إلى حيث تتوجه .
(٥) الفطر في رمضان : اتفق الفقهاء على أن السفر المشروع من الأعذار المبيحة للفطر .

وأما الأحكام العامة التي لا تخفيف فيها مثل :

تحريم سفر المرأة إلا مع محرم ، ويستثنى من هذا الحكم المهاجرة والأسيرة ، وأجاز المالكية والشافعية أن تسافر المرأة مع الرفقة المأمونة ، ولهذا تناول الفقهاء والعلماء أحكام السفر المشروع استنباطاً من الأدلة الشرعية الثابتة .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب مشروعية صلاة السفر قصراً في الظهر والعصر ، والعشاء ، وتوضح أن النبي ﷺ كان لا يصلي الرواتب أثناء السفر ، وتبين مدة السفر ، وزمانه الذي يكون فيه القصر ، وللفقهاء تفصيلات عديدة ذكرت أهمها في التحليل

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تشتمل أحاديث الباب على عدد من الركائز ... أهمها: -

الركيزة الأولى

الإنسان والسفر

منذ الأزل والإنسان يعيش في أرض الله متنقلا بين أرجائها ، حيث العمل ، والمعاش ، والحاجة ، وقد يسر الله تعالى للإنسان السفر ، حيث جعل الأرض على اتساعها مأوى للإنسان يسير فيها ، وانتشرت البداوة على الأرض ، حيث الأعراب في البوادي ، والانتقال من بادية إلى أخرى ، بحثا عن الكلا والماء والزرع ... ومنذ القديم والإنسان يسافر ، ويرحل ، حتى عدت بعض الأماكن طاردة للناس لخلوها من سبل المعاش ، وعدت أماكن أخرى أماكن جاذبة ، حيث خصوبة الأرض ، ووجود الماء ، واعتدال المناخ ... وهكذا استمر الناس يرحلون ، ويسافرون للعمل والتجارة ، ولطلب العلم ، وللسياحة ، وللحج والعمرة ، وللجهاد في سبيل الله . وقبل الإسلام كان عرب الجزيرة يسافرون صيفا إلى الشام ، وشتاء إلى اليمن ، وقد امتن الله تعالى على أهل مكة ، وعرب الجزيرة أن يسر لهم السفر ، وحقق لهم الأمن ، ومكن أباهم (قصيا) من الاتفاق مع القبائل على تحقيق الأمن للمسافرين . يقول ﷺ : ﴿ لَا يَلْفِ قَرِيشٌ ① إِيْلَهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ② فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذِهِ الْبَيْتِ ③ أَلَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ④ ﴾ (١) .

(١) سورة قريش كاملة .

ومع تقدم الحضارة واتساع المدنية ، وظهر الإسلام كثرت
الأسفار والرحلات ، فظهرت رحلات السفر للحج والعمرة ، ورحلات طلب
العلم والحديث ، ورحلات الدعوة ونشر الإسلام ، ورحلات العمل والتجارة
، والهجرة .

**لقد انتشر الإسلام في العالم بواسطة الدعاة ، والتجار الذين رحلوا
إلى مواطن العالم المختلفة .**

**ونشط الدعاة والعلماء في الانتقال إلى مواطن عديدة ، للتعليم والتعلم ،
حيث جامعات العلم في قرطبة ، والأندلس ، والقرويين ، والأزهر ،
والزيتونة ، ودمشق ، والبصرة ، والكوفة ، ومكة ، والمدينة ، وحيث
مواطن العلماء ، والفقهاء في كل مدن العالم الإسلامي ،**

**ومن الطبيعي أن يصاحب السفر المشقة ، والتعب النفسي ، ففيه
الحركة ، والسير ، ومفارقة الأوطان والأهل والأبناء ، ولذا كان شرع الله
تعالى مع المسافرين ، للتخفيف ورفع الحرج ، وحينما نرى أحكام الإسلام في
السفر ، ندرك أن الإسلام يعيش واقع الإنسان ، ويضع أحكامه لتنظيم
مسار المعاش وإحاطتها بالأحكام الشرعية المناسبة ، فأينما يعيش الإنسان
، ويتجه يلزمه شرع الله ، يعرفه بالحلال والحرام ، ويذكره بالعمل الصالح
، ويحثه على اتباع صراط الله المستقيم ، ويدفعه إلى ما يحقق له السعادة
في الدنيا والآخرة .**

الركيزة الثانية مراعاة آداب السفر

للسفر المشروع آداب عديدة منها :

١- ينبغي للمسافر أن يبدأ بالتوبة من جميع المعاصي ، ويحدد لبنينه

ومن يخلفه ما له وما عليه ، ويوصيهم بما هو خير ، ليخلفوه إن غاب عنهم ، أو رحل إلى الله تعالى .

٢- يستحب في السفر مرافقة الصالحين ، الراغبين في الخير ، الكارهين للشر ، لسمع منهم المعروف ، ويستفيد من صلاحهم وتقواهم .

٣- يستحب السفر يوم الاثنين أو الخميس ، في وقت مبكر (فلقد خرج رسول الله ﷺ يوم الاثنين إلى قباء)^(١) ، وكان ﷺ (يحب أن يخرج يوم الخميس)^(٢) ، وفي البكور بركة .

٤- يستحب للمسافر أن يصلي ركعتين قبل سفره ، يقرأ في الركعة الأولى سورة الكافرون ، وفي الركعة الثانية سورة الصمد ، يقول النبي ﷺ : (ما خلف عبد على أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد السفر)^(٣) .

٥- يستحب للمسافر أن يودع أهله ، وجيرانه ، وأصدقاءه ، وسائر أحبائه ، ويسلم عليهم ، ويقول كل واحد لصاحبه : " أستودع الله دينك وأمانتك ، وخواتيم عملك ، زدك الله التقوى ، وغفر لك ذنبك ، ويسر الخير لك حيث كنت " لحديث عبد الله ابن عمر م عندما جاءه رجل فقال له : أردت سفرا .

فقال عبد الله : انتظر حتى أودعك كما كان رسول الله ﷺ يودعنا : "

(١) - صحيح مسلم ، كتاب الحيض ، باب إنما الماء من الماء ، حديث رقم : ٥٤٤ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب من أراد غزوة فوري بغيرها .

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ، كتاب : الصلاة ، باب : الرجل يحب ان يسافر في مكان

يستحب له أن يصلي قبل خروجه ، حديث رقم : ٤٨١٢ .

استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك (١) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إني

أريد سفرا فزودني .

قال : " زدك الله التقوى " .

قال : زدني .

قال : " وغفر ذنبك .

" قال : زدني بأبي أنت وأمي .

قال : " ويسر لك حيث ما كنت (٢) .

٦- أن يختار المسافرون من بينهم واحدا منهم يكون أميرا عليهم ، لقول

عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (إذا كنتم ثلاثة فأمرؤا أحدكم) (٣) يعني في السفر

٧- يستحب للمسافر أن يذكر الله تعالى ، والدعاء ، لقوله ﷺ :

(ثلاث دعوات لا شك فيهن : دعوة المسافر ، والمظلوم ، ودعوة الوالد

على ولده) (٤)

٨- يستحب للمسافر ان يسارع بالعودة إلى أهله ، إذا قضى حاجته ،

لحديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ ، قال : (السفر قطعة من العذاب

، يمنع أحدكم طعامه ، وشرابه ، ونومه ، فإذا قضى نهيمته ، فليعجل إلى

(١) صحيح ابن خزيمة ، كتاب المناسك ، باب توديع المسلم اخاه عند السفر ، حديث ٢٣٥٥

(٢) صحيح ابن خزيمة ، كتاب المناسك ، باب دعاء المرء لأخيه المسلم عند إرادة السفر ،

حديث رقم : ٢٣٥٦ .

(٣) مصنف عبد الرزاق الصنعاني ، كتاب الزكاة ، باب احتلاب المشية ، حديث : ٦٧٤٣

(٤) مسند أحمد بن حنبل ، مسند أبي هريرة ، حديث رقم : ٩٤١٤ .

أهله (١) .

ويكره أن يطرق أهله طروقاً بغير عذر ، وهو أن يقدم على أهله ليلاً .
وآداب السفر عديدة ، والمسافر العاقل يلزم آداب السفر المشروعة
ليتخذ طريقاً للتقوى ، وإصلاحاً للحياة ، وتوحيداً للأمة ، وتنظيماً للسعي
في أرض الله تعالى .

الركيزة الثالثة

ضرورة الاستعداد للسفر الذي لا رجوع بعده

السفر قائم على التعب ، ولابد من الاستعداد له ، ليكون محققاً
للخير المقصود منه ... وكثرة الأسفار تؤكد ضرورة الاستعداد للسفر بالنية
، ، والعمل ، وحسن التواصل مع الناس ، والاستقامة على منهج الله مالك
الملك ، الحي القيوم ، وهو الرحمن الرحيم .

وعلى الإنسان أن يعلم أنه سيعيش إلى أجله ، الذي يجهل مواعده
سيسافر سفراً طويلاً ، لا يمشي فيه بقدمه ، وإنما يحمله إخوانه على
خشب يسيرون بها إلى مثواه الأخير الذي لا سفر بعده ، داعين له بالخير
في موطنه الجديد بين يدي الله تعالى .

إنه لن يعمل في موطنه الجديد ، ولكنه سوف يسأل عن عمله قبل
المجيء ؛ ليتسع قبره أو يضيق ، ويكون إما (روضة من رياض الجنة أو
حفرة من حفر النار) (٢) .

إن كل حي يباشر هذه الرحلة ، لا يقف دونها حائل ، يقول ﷺ :

(١) صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب السفر قطعة من العذاب .

(٢) سنن الترمذي ، الجامع الصحيح - الذبائح ، أبواب : صفة القيامة ، حديث رقم : ٢٤٤٣

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(١) . ولذلك وجب أن يستعد كل مسلم لهذا السفر الحتمي بالتطبيق العملي لشرع الله تعالى ، والاستقامة على منهج الله ﷻ ، ليعيش سعيدا في قبره ، متمتعا بما قدم في حياته قبل الممات .
والإنسان العاقل يجب عليه أن يستعد لهذه الرحلة الحتمية ، التي لا نجاة منها ، وتلك حقيقة يشهد لها التاريخ والواقع ، ، ولذا حسن للإنسان أن يستعد لها .

لقد غيب الله تعالى عن الناس موعد هذه الرحلة ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾^(٢) حتى يستعد الإنسان لها ، وتأتيه وهو متيقظ عامل ... والله غفور رحيم .

- ٩ -

ملحات موجزة في فوائد أحاديث الباب

نستنبط من أحاديث الباب عددا من الفوائد ... منها :-

(١) رحمة الله تعالى بعباده واسعة ، وشفقته بهم شاملة في العبادات وفي غيرها .

(٢) حرص الصحابة ، ويقظتهم في نقل كل ما رأوه من رسول الله ﷺ .

(٣) أعمال رسول الله ﷺ في الأمور الدينية ، هي من وحي الله تعالى ، ولذلك أخبر عنها الصحابة ، وعددها المحدثون حديثا مرفوعا .

(٤) الحياة الدنيا دار عمل ، وترحال ، وسفر ورجوع ، وآخرها الموت الذي لا رجوع منه .

(١) سورة آل عمرا الآية : ١٨٥ .

(٢) سورة لقمان الآية : ٣٤ .

- ٢ -

٢ - باب قصر الصلاة بمنى

حديث عبد الله بن عمر م قال: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَنَى رَكَعَتَيْنِ ، وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَمَعَ عُثْمَانَ صَدْرًا مِنْ إِمَارَتِهِ ، ثُمَّ أَتَمَّهَا ^(١) ١٠٨٢

حديث حارثة بن وهب الخُزَاعِيّ ﷺ قَالَ: صَلَّى بِنَا النَّبِيِّ ﷺ ، وَنَحْنُ أَكْثَرُ مَا كُنَّا قَطُّ وَآمَنُهُ ، بِمَنَى رَكَعَتَيْنِ ^(٢) ١٦٥٦

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب جواز قصر الصلاة بمنى أيام الحج ، وتوضح أن التقصير أفضل من الإتمام .

- ب -

الدلالات اللغوية في أحاديث الباب

يشتمل الباب على حديثين يبينان حكم قصر الصلاة في منى

ففي الحديث الأول : يقول عبد الله بن عمر م : (صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَنَى رَكَعَتَيْنِ ، وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَمَعَ عُثْمَانَ صَدْرًا مِنْ إِمَارَتِهِ ، ثُمَّ أَتَمَّهَا) أي إن الرسول ﷺ وأصحابه ﷺ كانوا يصلون الصلاة الرباعية ركعتين في (منى) وهم يحجون ، وقد صلاها ابن عمر م قصرا مع

(١) أخرجه البخاري في: ١٨ كتاب تقصير الصلاة: ٢ باب الصلاة بمنى، وللحديث رواية

أخرى في صحيح البخاري تحت رقم: ١٦٥٥ .

(٢) أخرجه البخاري في: ٢٥ كتاب الحج: ٨٤ باب الصلاة بمنى .

رسول الله ﷺ ، وأبي بكر وعمر م ، وصدرا من خلافة عثمان رضي الله عنه ، ثم أتمها عثمان رضي الله عنه بعد ذلك .

فدل ذلك على أن القصر في منى وفي أماكن النسك أثناء الحج جائز ، وهو الأفضل ، وقد شرعه الله تعالى ليخفف عن الحجاج والمسافرين عناء السفر ، وأعمال الحج

وأن عثمان رضي الله عنه أتم الصلاة في منى في آخر خلافته ؛ لأنه رأى أن كلا من الإتمام والتقصير جائز ، فاختر الإتمام فأتى ، وله ذلك لجوازه ، وكان رضي الله عنه يميل إلى الأشد في العبادة ، ليزداد أجره ويكثر ^(١) .

وفي الحديث الثاني : يقول حارث بن وهب الخزاعي رضي الله عنه : (صَلَّى بِنَا النَّبِيِّ ﷺ ، وَنَحْنُ أَكْثَرُ مَا كُنَّا قَطُّ وَامْنُهُ ، بِمَنْى رَكْعَتَيْنِ) إِيْ إِنْهُ ﷺ
صلى باصحابه بمنى قصرا ، تمتعا برخصة الله تعالى لهم ، لا عن خوف ، ولا عن ضعف ، فلقد كان المسلمون وهم يقصرون صلاتهم في منى أكثر عدداً ، وأكثر أمناً ، وهذا يدل على أن رخصة القصر شرعت لدفع المشقة ، ورفع الحرج ، وليس لقلّة عدد المسلمين ، أو لخوفهم من عدوهم .

(١) ذهب بعض العلماء إلى تأويلات لموقف سيدنا عثمان رضي الله عنه كلها مردودة قالوا : (إنه عد نفسه مقيماً ، فهو الخليفة ، والأرض كلها محل إقامة له ، ... وذلك باطل ؛ لأن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر م أولى بذلك منه .
وقالوا : (إن عثمان تأهل بمكة ... وذلك باطل ؛ لأن رسول الله ﷺ سافر بأزواجه وقصر .
وقالوا : (فعل ذلك لتعليم الأعراب .. وهذا باطل ؛ لأن الرسول ﷺ أولى بذلك .
وقالوا : (إن عثمان نوى الإقامة بمكة بعد الحج ... وذلك باطل ؛ لأن الإقامة بمكة حرام على من هاجر . (فتح الباري ج ٢ ص ٥٧٢) . والأمر لا يعدو إختياره لما هو جائز .

فإن قيل : في العصر الحديث ، لم يعد السفر شاقا ، وصار قطع المسافات الطويلة في ساعات قليلة ، فهل ترفع رخصة القصر ؟
أقول : رخصة قصر الصلاة في السفر صدقة تصدق الله تعالى بها على عباده ، وهي باقية ما بقيت الحياة ، إظهارا لرحمة الله تعالى بعباده .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

أختلف العلماء في سبب قصر الصلاة في منى ومزدلفة وعرفة .
فذهب مالك إلى أن علة القصر إقامة النسك ، وعلى ذلك فإن من نوى أداء الحج من أهل مكة ، وماحولها فله أن يقصر الصلاة .
وقال الشافعية والأحناف والحنابلة ، وأكثر العلماء : إن علة قصر الصلاة هو السفر ، وعلى ذلك فلا يجوز لأهل مكة ومن حولها القصر ، لأن المسافة بينهم وبين أبعد المناسك أقل من مسافة القصر حق لو كان مقيما بمواطن النسك .
ومن المعلوم أن علة القصر سواء كانت النسك أو السفر ، فإنها تقصد رفع المشقة عن المسلمين ، حتى لا يجمعوا بين شدتين ، أحدهما إتمام الصلاة ، والثانية السفر ، أو القيام بالنسك .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أن المسلمين كانوا يقصرون الصلاة مع رسول الله ﷺ ، ومع أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - ، وفي الصدر الأول من عهد عثمان رضي الله عنه .

وأن القصر رخصة على الأرجح ، يجوز فعلها أو تركها على التساوي ،
أو على رجحان القصر ولم يقل بوجوب القصر إلا الأحناف .
ولم يكن القصر لقلة عدد أو لضعف الأمن ؛ لأن المسلمين في
عهد رسول الله ﷺ ، وفي عهد الخلفاء ، كانوا أكثر عددا وأكثر أمنا .
وأما إتمام عثمان رضي الله عنه للصلاة في آخر عهده بمنى ، فهو عمل بما
هو جائز .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في احاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب على ركيزة هامة..... وهي :-

اليسر في شريعة الله تعالى

قامت تكاليف الإسلام على اليسر وعدم المشقة ، ولم يخرج شيء من
التكاليف عن حدود الطاقة البشرية ، يقول ﷺ : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ
مِنْ حَرَجٍ ﴾ ^(١) ، ويقول ﷺ : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ^(٢) ومن
هذا الباب كان قصر الصلاة في أيام الحج ، حتى لا تجتمع على الحاج
مشقة السفر ، ومشقة النسك ، ومشقة إتمام الصلاة والصوم .
وقصر الصلاة بالسفر بمنى رخصة تصدق الله تعالى بها على عباده ،
يجوز الاحتفاظ بها ، أو عدم القيام بها ، إلا أن الأولى القيام بها لأن (الله
يحب أن تؤتى رخصه ، كما يحب أن تؤتى عزائمه) ^(٣) ، والإسلام يدعو

(١) سورة الحج الآية ٧٨ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٨٦ .

(٣) صحيح ابن حبان ، كتاب البر والإحسان ، باب ما جاء في الطاعات وثوابها ، حديث

إلى التيسير على المسلمين ، ولذلك قضى بإبقاء صور التيسير رغم انتهاء المشقة ، وعدمها ، فبرغم السفر بالطائرة ، والسكن بالفنادق الضخمة تبقى مشروعية القصر تيسيرا على الناس ، وبياننا لطبيعة شريعة الإسلام .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد أحاديث الباب

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية : -

- (١) قصر الصلاة تخفيف على الناس ، لا صلة له بالضعف وقلة العدد
- (٢) الإسلام دين اليسر ، لا مشقة فيه ، وتشريعاته في حدود الطاقة .
- (٣) الإسلام اتباع لرسول الله ﷺ ، واجتهاد العلماء مفيد بدلالات النصوص الإسلامية .
- (٤) عظمة الصحابة في نقلهم الإسلام عن رسول الله ﷺ بأمانة وصدق.
- (٥) فهم الإسلام يحتاج إلى تدبر أحداث مرحلة التشريع في عصر رسول الله ﷺ .

- ٣ -

٣- باب الصلاة في الرحال في المطر

[٤٠٤]، (١) حديث ابن عمر م أنه أدن بالصلاة في ليلة ذات برد وريح ، ثم قال: ألا صلوا في الرحال ثم قال: إن رسول الله ﷺ كان يأمر المؤذن، إذا كانت ليلة ذات برد ومطر، يقول: ألا صلوا في الرحال (١).

[٤٠٥]، (٢) حديث ابن عباس م قال لمؤذنه في يوم مطير: إذا قلت أشهد أن محمداً رسول الله فلا تقل حي على الصلاة، قل: صلوا في بيوتكم فكان الناس استنكروا .

قال ابن عباس م : فعله من هو خير مني، إن الجمعة عزمة، وإني كرهت أن أخرجكم فتمشون في الطين والدحض (٢)

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحداث الباب جواز الصلاة في البيت ، بسبب المطر ، وتوضح حرص المسلمين على معرفة الحق ، وعلى العمل به

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يتناول الباب حديثين يبينان جواز الصلاة في البيت عند المطر منعاً للأذى والضرر .

(١) أخرجه البخاري في: ١٠ كتاب الأذان: ٤٠ باب الرخصة في المطر ، أن يصلي في رحله

(٢) أخرجه البخاري في: ١١ كتاب الجمعة: ١٤ باب الرخصة لمن لم يحضر الجمعة في المطر

ففي الحديث الأول : يقول نافع مولى ابن عمر رضي الله عنهما : إن ابن عمر **م** (أَذَّنَ بِالصَّلَاةِ فِي لَيْلَةٍ ذَاتِ بَرْدٍ وَرِيحٍ ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا صَلُّوا فِي الرَّحَالِ) أي إن ابن عمر **م** حث الناس في آذانه بأن يصلوا في رحالهم فرادى أو مجتمعين .

والرحال : جمع رحل ، بفتح الراء وسكون الحاء ، وهو بيت الإنسان الذي فيه أثاثه وإقامته ، ولو كان من شعر ووبر أو خشب أو ثياب .
ووصف الليلة بأنها ذات برد وريح ، لبيان شدة البرد وقوة عصف الريح فيها، ومافي الليلة من مشقة وشدة ، وقاسوا النهار على الليل لوجود المشقة في البرد والريح ليلا أو نهارا .

وفي هذا الحديث جواز إدخال كلام في الأذان ليس منه ، سواء قاله بعد الانتهاء من الأذان ، أو أثناءه ، لما جاء من أن الرسول ﷺ كان يأمر المؤذن أن يقول عند شدة البرد : (أَلَا صَلُّوا فِي رِحَالِكُمْ) بدل (حي على الصلاة) حتى لا يتعارضان ؛ لأن قول المؤذن (حي على الصلاة) معناه : اقبلوا على الصلاة في المسجد ، وقوله : (صلوا في بيوتكم) ، معناه لا تقبلوا على المسجد ، وصلوا في بيوتكم فرادى أو جماعات .

فلما انتهى ابن عمر **م** من أذانه ، استشعر الحرج من إنكار المصلين ، فقال لهم : (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَأْمُرُ الْمُؤَذِّنَ ، إِذَا كَانَتْ لَيْلَةٌ ذَاتُ بَرْدٍ وَمَطَرٍ ، يَقُولُ: أَلَا صَلُّوا فِي الرَّحَالِ) فبين ابن عمر **م** بذلك أن قوله في آذانه للناس (أَلَا صَلُّوا فِي الرَّحَالِ) قد اتبع فيه رسول الله ﷺ .

وفي الحديث الثاني : يقول ابن عباس **م** (لِمُؤَذِّنِهِ) حين قام للأذان

في يوم شديد المطر والبرد ، قال له : (إِذَا قُلْتَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَلَا تَقُلْ حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ) ، ولكن قل مكانها (صَلُّوا فِي بُيُوتِكُمْ) ، أي مرهم بالصلاة في بيوتهم ، بدل ان تتاديههم بالحضور للمسجد للصلاة .

(فَكَأَنَّ النَّاسَ اسْتَنْكَرُوا) ، أي شعر ابن عباس بأن الناس لم يرضوا ذلك ، وفهم ذلك من إشاراتهم ، ونظرهم ، فأخذ يعرفهم سبب قوله هذا لمؤذنه ، وبين لهم مصدره الشرعي الذي دفعه لأن يأمر مؤذنه بما أمره به (قَالَ : فَعَلَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي) ، أي فعل ما أمرت به رسول الله ﷺ ، وهو خير مني ومنكم وهو رسول الله ﷺ ، وأنا متبع ولست مبتدعا ، وأمرني للمؤذن أمر مشروع بفعل رسول الله ﷺ .

ثم قال لهم (إِنَّ الْجُمُعَةَ عَزْمَةٌ) ، أي إن الحضور للجمعة عزيمة واجبة ، فلو تركت المؤذن ينادي على الجمعة (حي على الصلاة) ، لبادر من سمعه إلى المجيء على المسجد في المطر والريح ، فيشق عليه ، فأمرت المؤذن أن يقول للناس (صَلُّوا فِي بُيُوتِكُمْ) ليعلموا أن المطر الغزير من الأعذار التي تجعل ترك العزيمة رخصة ، تجيز للمصلي عدم حضور الجمعة .

يقول ابن عباس م (وَإِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أُخْرِجَكُمْ فَنَتَمَشُّونَ فِي الطَّيْنِ وَالدَّحْضِ) ، أي إني كرهت أن أترككم تقعون في مشقة وقد أباح الله لكم عدم الوقوع فيها ، وهي ان تخرجوا إلى الصلاة تمشون في الطين والدحض .

والدحض : بتشديد الدال بعد الألف واللام الشمسية ، وفتح الحاء أو تسكينها بعدها ضاد ، وهي الزلق الذي يتم بالتقاء الماء بالتراب ، الذي

يؤدي إلى إنزلاق الماشي فوقه ، ووقوعه ، وبذلك تتضاعف المشقة والآذى والدحض ، والزلق ، والذلل ، والردغ بمعنى واحد ، فهي تحول تراب الطريق إلى طين لازب .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

في أحاديث الباب دليل على تخفيف أمر الجماعة في المسجد ، وعدم وضع المسلم في الحرج ، ولذلك أباح الصلاة في البيت أثناء المطر والبرد ونحوها من الأعذار ، مع وجوب أدائها في المسجد عند عدم العذر ، وأنها مشروعة في السفر والإقامة .
وللمؤذن أن يقول في آذانه حين المطر : (أَلَا صَلُّوا فِي الرِّحَالِ) في وسط الأذان أو في آخره ، كما ذهب الشافعي ومن تبعه .

وذهب البعض إلى أن القول يكون بعد الأذان ، محافظة على نظم الأذان ، وهذا الرأي ضعيف ؛ لأنه يؤدي إلى التناقض في كلام المؤذن .
وحديثا الباب يتناولان حدثين وقعا في وقتين ، فلا منافاة بينهما .
فالحديث الأول : يتناول الأذان في ليلة مطيرة .
والحديث الثاني : يتناول الأذان في يوم الجمعة .

وبمجموعهما يتضح حكم الإسلام في إباحة الصلاة المفروضة في البيت أثناء البرد والمطر ، وحين العجز ، ويبيح المناداة على المسلمين أن يصلوا في بيوتهم .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب جواز إدخال كلام في الأذان يدعو إلى الصلاة

في البيوت ، عند المطر الشديد ، والبرد القارس ، كما فعل رسول الله ﷺ ، وبذلك يكون الكلام الزائد في الآذان منحصرا في الذي ثبت أن رسول الله ﷺ أمر به .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

يتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز أهمها : -

الركيزة الأولى

وضوح النص والإرشاد

بعث الله تعالى رسوله محمدا ﷺ للناس ليبلغهم دينه ، ويبين لهم شريعته ، وقد قام رسوله ﷺ بما كلف به خير قيام ، فنصح الأمة ، وكشف الغمة ، وأظهر دينه حتى صار ليله نهارا كله .

وعلم المسلمون ضرورة البينة في الدعوة إلى الله تعالى ، وساروا على هدي رسول الله ﷺ في التوضيح والبيان ، واستمروا يدعون الناس إلى دين الله تعالى بالحسنى ، يقول الله تعالى على لسان رسوله ﷺ ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١).

وكان منهج الصحابة - رضوان الله عليهم - ومن بعدهم من سلف الأمة الصالح في الدعوة أن يبينوا للمدعويين أن مصدر الأحكام الشرعية هو مصدر الدين كله ، فهي في جملتها استتباط من القرآن الكريم ، أو رجوع إلى أقوال النبي ﷺ وأفعاله ، وتقريراته .

(١) سورة يوسف الآية : ١٠٨ .

وأحاديث الباب تدل على ذلك ، فحديث ابن عمر **م** يأمر بما أمر به رسول الله ﷺ ، وحديث ابن عباس **م** يوضح أنه يأمر بما فعله رسول الله ﷺ .

ومن دلالة التوضيح أمر المؤذن بأن يتجنب التعارض في أقواله ، ذلك أنه كان يقول في آذانه المشروع (**حي على الصلاة**) ، ومعناه قوموا إلى الصلاة ، فأمر بتركها ، وأن يستبدل بها أمر المصلين بالصلاة في بيوتهم ، وأن يقول (**أَلَا صَلُّوا فِي الرَّحَالِ**) ، حتى لا يخرجوا إلى المسجد في البرد ، والمطر ، والزلق ، فيحدث الحرج والمشقة ...

وقد امر رسول الله ﷺ بهذا شفقة بالناس ، وحتى لا يقعوا في حرج عند البرد الشديد ، والحر الشديد ، وغيرها من الأعذار ، وبذلك أكد الصحابة رضي الله عنهم أنهم متبعون لرسول الله ﷺ ، وأنهم خائفون من وقوع المصلين في مشقة وحرج ، إن مشوا إلى المسجد ، وسط البرد القارص ، والمطر الهاطل ، والأرض المملوءة بالزلق ، والطين ..

الركيزة الثانية **يسر الإسلام وشفقته**

تشير أحاديث الباب إلى مافي الإسلام من يسر للناس وشفقة بهم ، فقد شرع الإسلام الجماعة في المسجد وجعلها تعدل سبعا وعشرين درجة لصلاة المنفرد ، وحتى لا يكون التكليف عبئاً على المكلفين شرع الله تعالى الرخص وجعل للأعذار محلاً يغير صورة التكليف الأولى ، فشرع الله للمسافر أن يقصر ، ولصاحب العذر أن يصلي في بيته ، وأن يصلي قاعداً أو على جنبه يؤمى إمام .

وأحاديث الباب تبين رخصة هامة للمكلفين حين نزول المطر ،
وحدوث الزلق والدحض ، ووصل الأمر إلى تغيير ألفاظ في الأذان ليعلم
الناس مع الأذان أن الله رفع عنهم الحضور للمسجد ، ويأمرهم أن يصلوا
في بيوتهم حتى لا يشق عليهم ..

إن شريعة الإسلام قائمة على اليسر ورفع الحرج ، وعلى
المسلمين أن يلتزموا بالإسلام فيتمتعوا بمافيه من خير ويسر وسلام .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد أحاديث الباب

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية :-

(١) جواز إدخال كلام له صلة بالصلاة على كلمات الأذان ، كما ثبت
عن رسول الله ﷺ .

(٢) من الأولى أن يظهر المسلم سبب فعله ، عند حدوث شبهة فيه ،
حتى لا يتهمة الناس .

(٣) سماحة الشريعة الإسلامية وبعدها التام عن العسر ، والمشقة ، و
الرجح .

- ٤ -

٤ - باب جواز صلاة النافلة على الدابة

في السفر حيث توجهت

- حديث ابن عمر م قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي السَّفَرِ (١)، [٤٠٦] ١٠٠٠
عَلَى رَاحِلَتِهِ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ بِهِ ، يَوْمِيْ إِيمَاءَ ، صَلَاةَ اللَّيْلِ إِلَّا الْفَرَائِضَ ، وَيُوتِرُ عَلَى رَاحِلَتِهِ (١).
- حديث عامر بن ربيعة ؓ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى السُّبْحَةَ (٢) ١١٠٤
بِاللَّيْلِ فِي السَّفَرِ عَلَى ظَهْرِ رَاحِلَتِهِ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ بِهِ (٢)
- حديث أَنَسٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ سِيرِينَ ؓ ، قَالَ : اسْتَقْبَلْنَا أَنَسًا ؓ (٣)، [٤٠٨] ١١٠٠
حِينَ قَدِمَ مِنَ الشَّامِ فَلَقِينَاهُ بِعَيْنِ التَّمْرِ ، فَرَأَيْنَاهُ يُصَلِّي عَلَى حِمَارٍ ، وَوَجْهُهُ مِنْ ذَا الْجَانِبِ ، يَعْنِي عَنْ يَسَارِ الْقِبْلَةِ ، فَقُلْتُ : رَأَيْتُكَ تُصَلِّي لِغَيْرِ الْقِبْلَةِ .
- فَقَالَ : لَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَعَلَهُ لَمْ أَفْعَلْهُ (٣).

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تتناول أحاديث الباب بيان جواز التنقل على الدابة في السفر ، والإيماء في الركوع والسجود ، وفي أداء النوافل في السفر اختلاف الفقهاء .

(١) أخرجه البخاري في: ١٤ كتاب الوتر: ٦ باب الوتر في السفر

(٢) أخرجه البخاري في: ١٨ كتاب تقصير الصلاة: ١٢ باب تطوع في السفر في غير دبر الصلاة وقبلها

(٣) أخرجه البخاري في: ١٨ كتاب تقصير الصلاة: ١٠ باب صلاة التطوع على الحمار

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على ثلاثة أحاديث ، تبين حكم صلاة النافلة على الدابة أثناء السفر .

ففي الحديث الأول يقول ابن عمر م (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي السَّفَرِ عَلَى رَاحِلَتِهِ) أي كان ﷺ يصلي النافلة في السفر وهو راكب دابته ، وكان يتجه (حَيْثُ تَوَجَّهَتْ) الراحلة (بِهِ) .

وكان ﷺ (يَوْمِيَّ إِيْمَاءٍ) أي يميل برأسه إلى الإمام في ركوعه وسجوده ، ويلمس بوجهه شيئاً من مركب الدابة .

وكان ﷺ يصلي النوافل في (صَلَاةَ اللَّيْلِ) على دابته وهو مسافر ، (إِلَّا الْفَرَائِضَ) ، أي إنه ﷺ لم يصل الفريضة وهو راكب راحلته ، بل كان ﷺ ينزل عن راحلته ، ويؤذن ويقيم ، ويصلي الفرائض على الأرض متجهاً للقبلة ، وكان ﷺ (يُوتِرُ عَلَى رَاحِلَتِهِ) ، أي كان ﷺ يصلي الوتر وهو راكب راحلته ، لأنها سنة عند جمهور الفقهاء ، وكان ابن عمر م يرى أنها واجبة كالأحناف ، إلا أن الواجب غير الفرض عندهم ، وقد بين ابن عمر م جواز أمور عدة مستفادة من الحديث هي :-

١- جواز صلاة النافلة على ظهر الدابة في الليل فقط ، ويتجه باتجاه الدابة .

٢- جواز صلاة الوتر على الراحلة ، لأنه ليس فرضاً .

٣- جواز صلاة النوافل قبل الصلاة المكتوبة ، وفي الليل والنهار بشرط أن لا تكون راتبة ، ويستحب أن لا تكون بعد الصلاة ، حتى لا يظن أحد أنها نافلة راتبة .

وفي الحديث الثاني : يبين عامر بن ربيعة رضي الله عنه (أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أي أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (السُّبْحَةَ) أي أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلى السنة النافلة وهي السبحة ، مأخوذة من التسبيح الذي يكون في الصلاة ، فهو مجاز من باب تسمية الكل ببعضه (بِاللَّيْلِ فِي السَّفَرِ عَلَى ظَهْرِ رَاحِلَتِهِ) أي رأى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي النوافل بالليل على ظهر دابته ، وكان يتوجه (حَيْثُ تَوَجَّهَتْ بِهِ) الدابة .
وفي هذا الحديث بيان جواز صلاة السنة غير الراتبة ، بالليل أثناء السفر ، على الراحلة ، والتوجه أثناء الصلاة حيث اتجهت الدابة .

وفي الحديث الثالث : يقول أنس بن سيرين رضي الله عنه (اسْتَقْبَلْنَا أَنَسًا) بن مالك رضي الله عنه بسكون اللام في (اسْتَقْبَلْنَا) (حِينَ قَدِمَ مِنَ الشَّامِ) أي بعد رجوعه من الشام قادمًا إلينا ، وقد سافر رضي الله عنه إليها ليشكو الحجاج حين ولي المدينة ، وكان هذا الاستقبال حين قرب أنس بن مالك رضي الله عنه من البصرة ، التي توجه إليها بعد زيارة الشام .

(فَلَقِينَاهُ بِعَيْنِ التَّمْرِ) أي خرجنا من البصرة لاستقبال أنس بن مالك رضي الله عنه فالتقينا به في عين التمر ، وهو موضع يقع غرب البصرة ، قريباً منها على الطريق إلى الشام .

وكان بها وقعة شهيرة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، بين خالد بن الوليد رضي الله عنه والأعاجم .

يقول أنس بن سيرين رضي الله عنه (فَرَأَيْتُهُ) أي رأيت أنس بن مالك رضي الله عنه

(يُصَلِّي عَلَى حِمَارٍ، وَوَجْهُهُ مِنْ ذَا الْجَانِبِ) أي رأيته يتجه إلى غير القبلة ، وهو راكب إتانه ، (يَغْنِي) أنه كان يتجه إلى (يَسَارِ الْقِبْلَةِ) ، (فَقُلْتُ) له : (رَأَيْتُكَ تُصَلِّي لِغَيْرِ الْقِبْلَةِ) ، وأنت راكب حمارك ، فما سبب ذلك ؟ (فَقَالَ) ﷺ (لَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَعَلَهُ لَمْ أَفْعَلْهُ) أي إن سبب اتجاهي إلى غير القبلة ، وأنا أصلي فوق الحمار اتباعي لرسول الله ﷺ ، فقد رأيته ﷺ يفعل ذلك ، ولولا ذلك ما فعلته ؛ لأنني اخذ ديني قولاً وعملاً من رسول الله ﷺ ، ولست مبتدعاً في شيء أبداً ، وقد رأيت رسول الله ﷺ ينتقل على الدابة ، وهو تارك لجهة القبلة ..

فإن قيل : وهل يؤخذ من قول أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ صلى على الحمار ؟

أقول : لفظ أنس ﷺ يحتمله ، وقد ذهب البعض إلى أن المعنى يفيد أن رسول الله ﷺ صلى إلى غير القبلة ، وهو ينتقل راكباً دابة ، ولا وجه لقيد الركوب بالحمار ، ويكفي ركوب أية دابة .

وقد رجح البخاري ركوب النبي ﷺ للحمار ، وأيده ما روه مسلم بسنده عن ابن عمر **م** ، قال : (رأيت رسول الله ﷺ يصلي على حمار وهو موجه إلى خيبر) ^(١).

وهذا هو الظاهر ؛ لأن نوع الدابة لا يغير حكم السفر ، ولا دخل له على المسافر .

(١) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب جواز صلاة النافلة على الدابة في السفر ، حديث رقم : ١١٦٧ .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

اختلف العلماء في جواز التنقل في السفر على أقوال عدة
أهمها :-

- القول الأول : المنع مطلقا ورواؤه أنه لا نافلة في السفر .
- القول الثاني : الجواز مطلقا راتبة أو غيرها ، ليلا أو نهارا .
- القول الثالث : منع الرواتب ، وإجازة غيرها .
- القول الرابع : جواز النافلة في الليل دون النهار .
- القول الخامس : جواز النافلة مطلقا ، ما عدا رواتب ما بعد الصلاة ^(١) .

وأجمع العلماء والفقهاء على جواز التنقل على الراحلة في السفر والتوجه حيث توجهت الدابة ، بشرط أن لا يكون السفر سفر معصية ، حيث إنه لا رخصة مع المعصية ، ولا يصح اداء الفرائض على الراحلة ، ولا التوجه فيها إلى غير القبلة ، إلا في حالة الخوف . ويجوز اداء الفريضة على السفينة ، وفي هودج ثابت ، لا يؤثر على التوجه إلى القبلة .

ويجوز أداء الوتر على الراحلة ، والتوجه إلى غير القبلة ؛ لأن جمهور المذاهب ترى الوتر سنة ، ويراه الأحناف واجبا ، والواجب ليس فرضا ، فأجازوا صلاته على النافلة ، ويستثنى من ذلك نافلة الفجر ، فقد ثبت أن النبي ﷺ ما ترك ركعتي الفجر في سفر أو حضر .

(١) انظر فتح الباري ج ٢ ص ٥٧٨ ، المطبعة السلفية .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب جواز صلاة النافلة ، بالليل أثناء السفر على الراحلة ، وعدم الالتزام باستقبال القبلة ، وإنما يتجه المصلي خلالها كلما تتجه الدابة به .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب ركيزة هامة ... هي :-

مراعاة الوسع في التكليف

من قواعد الشريعة التي جاء القرآن الكريم بها ، أن التكليف على قدر الوسع والطاقة ، يقول الله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾^(١) وبذلك يقوم الإنسان بما كلف به بيسر وسهولة .
وحتى يتمتع الإنسان بكرامته ، وحرية في العبادة ، ولا يرى مشقة وحرجا في صلاة الليل أثناء السفر ، أجازت له الشريعة أن يصلي النافلة على الراحلة ، وهي تسير ، يوميء في ركوعه وسجوده إيماء أمامه ، ويتجه حيث اتجاه الراحلة ومسارها ، وبذلك يصلي وهو مطمئن في سيره ، مطلع على أي خطأ تقع فيه الراحلة ، مستريح في جلوسه على مركبه على ظهر الراحلة .
وبهذه الطريقة يعبد المسلم ربه ، ويستمر في سفره ، ويستريح في جلوسه وحركته .

(١) سورة البقرة الآية : ٢٨٦ .

إن الإسلام دين إنساني في تكاليفه ، ومقاصده وغاياته ، وكل تكاليفه ، وتعاليمه تسعد الإنسان وترضيه ، وتتلائم مع حاجاته وقدراته .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد أحاديث الباب

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية :

- (١) من المستحسن التزام الأدب في سؤال التلميذ لشيخه إذا أنكر أمراً ، فيسأله عن مستند فعله الذي يجهله ، ويتلطف في السؤال ، بأن يسند التقصير إلى علم نفسه لا إلى علم شيخه وهو يسأله ... وعلى الشيخ أن يجيب تلميذه بالرفق ، وبالحجة والبينة ، والبرهان الساطع .
- (٢) من المستحب استقبال المسافر القادم عند باب البلدة ، تقديرًا له ، وبخاصة لو كان من العلماء العاملين ، والائمة الصادقين .
- (٣) في الأحاديث دلالة على أخذ الدليل من قوله ﷺ ومن أفعاله .
- (٤) بيان ثقة التابعين بمن سبقهم من الصحابة ، وإقرارهم بثقتهم وعدالتهم
- (٥) الصلاة جائزة فوق نجاسة لا يلمسها المصلي ، ولا تتحرك بحركته.
- (٦) الصلاة في الطائرة كالصلاة على الراحلة ، إلا أنه يستحب عند بدء الصلاة تحري التوجه إلى القبلة لإمكان ذلك .

- ٥ -

٥ - باب جواز الجمع بين الصلاتين

في السفر

(١)، [٤٠٩] حديث ابن عمر م قال: رأيت رسول الله ﷺ إذا أعجله السير

في السفر يؤخر المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء (١). ١٠٩١

(٢)، [٤١٠] حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ارتحل

قبل أن تزيع الشمس أخر الظهر إلى وقت العصر ، ثم نزل ١١١٢

فجمع بينهما ، فإن زاعت الشمس قبل أن يرتحل صلى الظهر
ثم ركب (٢).

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تدور أحاديث الباب حول جواز جمع الصلاة في السفر ، وكيفية

هذا الجمع وحالاته .

- ب -

الدلالات اللغوية في أحاديث الباب

يشتمل الباب على حديثين ، يتناولان جواز الجمع بين الصلاتين

في السفر ، وكيفية هذا الجمع ، وأحكامه عند الفقهاء .

(١) أخرجه البخاري في: ١٨ كتاب تقصير الصلاة: ٦ صلى المغرب ثلاثا في السفر، وللحديث روايات أخرى في صحيح البخاري تحت أرقام: ١٠٩٢، ١١٠٦، ١١٠٩، ١٦٦٨، ١٨٠٥، ٣٠٠٠ .

(٢) أخرجه البخاري في: ١٨ كتاب تقصير الصلاة: ١٦ باب إذا ارتحل بعدما زاعت الشمس صلى الظهر ثم ركب .

ففي الحديث الأول : يقول عبد الله بن عمر **م :** (رَأَيْتُ رَسُولَ

اللَّهِ ﷺ إِذَا أَعْجَلَهُ السَّيْرُ فِي السَّفَرِ) أي دعاه السفر إلى السرعة ، وإسناد العجلة إلى السير مجاز ، ، وذلك بسبب من المسافرين أو طبيعة السفر وبخرج بقوله (أَعْجَلَهُ السَّيْرُ فِي السَّفَرِ) السير في الحضر ، كأن يكون في بستان قريب من بيته .

وكان ﷺ إذا تعجل في السفر (يُؤَخِّرُ الْمَغْرِبَ حَتَّى يَجْمَعَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْعِشَاءِ) ، أي إنه ﷺ كان يجمع بين المغرب والعشاء في وقت العشاء وهو مسافر ، وفي هذا دلالة على أن تأخير المغرب إلى العشاء جائز لمن كان قد بدأ في السفر .

وكان رسول الله ﷺ ، يصلي المغرب تاما ثلاث ركعات ، في السفر والحضر ، فعن علي رضي الله عنه قال : (صلينا مع النبي ﷺ صلاة السفر ركعتين ركعتين ، إلا المغرب ثلاثا)^(١).

وفي الحديث الثاني : يقول انس بن مالك رضي الله عنه : (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ارْتَحَلَ قَبْلَ أَنْ تَزِيغَ الشَّمْسُ آخِرَ الظُّهْرِ إِلَى وَقْتِ الْعَصْرِ ، ثُمَّ نَزَلَ فَجَمَعَ بَيْنَهُمَا ، فَإِنْ زَاغَتِ الشَّمْسُ قَبْلَ أَنْ يَرْتَحَلَ صَلَّى الظُّهْرَ ثُمَّ رَكِبَ) ، أي إنه ﷺ كان يجمع بين الظهر والعصر في السفر ، فإذا بدأ في السفر ، وركب راحلته قبل أن تزيغ الشمس من كبد السماء ، أي قبل الزوال سار في سفره حتى يحين وقت العصر فينزل عن راحلته ، ويصلي

(١) المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني ، كتاب النوافل ، باب قصر الصلاة في

الظهر ثم العصر جمعا وقصرا ، وإن زاغت الشمس ، وحان وقت الظهر قبل أن يرحل صلى الظهر تاما في محله ، وسافر بعد ذلك ، وركب راحلته ، وأخذ في سفره إلى الجهة التي يريدتها .

وهذا الحديث يدل على أنه ﷺ ، كان يصلي الظهر قبل سفره ، أو يؤخره إلى وقت العصر ليجمعه معه .

ومعنى هذا أن الرسول ﷺ لم يجمع العصر في وقت الظهر أبدا ... لكن ما رواه محمد بن عبد الله الواسطي يدل على جواز الجمع في وقت الظهر وفيه : (إذا زاغت الشمس قبل أن يرتحل ، جمع بين الظهر والعصر)^(١) وهو المشهور المروي عن أبي داود ، والترمذي ، وأحمد ، وابن حبان بسندهم إلى معاذ بن جبل رضي الله عنه .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

في الجمع بين صلاتي الظهر والعصر تفصيلات كثيرة بينها الفقهاء والعلماء .

فقد ذهب الشافعي وأحمد ومالك ، وجمهور السلف والخلف من الفقهاء ، والعلماء إلى جواز الجمع بين الظهر والعصر في السفر ، في وقت أيهما شاء المسافر ، تقديمًا أو تأخيرًا . كما ذهبوا إلى جواز الجمع بين المغرب والعشاء ، في وقت أيهما شاء المسافر ، تقديمًا أو تأخيرًا .
وذهب الأحناف إلى أنه لا جمع في السفر مطلقا ، وأن الجمع

(١) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب الجمع بين الصلاتين ، حديث : ١٠٣٥ ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه .

عندهم منحصر في الظهر والعصر في عرفة ، وبين المغرب والعشاء بالمزدلفة ، ويرجع هذا الخلاف إلى علة الجمع عندهم .

فالجمهور يرى إن علة الجمع السفر والمشقة ، ويرى الأحناف أن علة الجمع النسك .

يستدل الأحناف على مذهبهم بما رواه مسلم من أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى صلاة إلا لميقاتها ، إلا صلاتين صلاة المغرب والعشاء بجمع ، وصلى الفجر يومئذ قبل ميقاتها) ^(١). (بجمع) بفتح الجيم ، وسكون الميم ، والمراد به الاجتماع بعرفة ومزدلفة ..

وذهب الأحناف إلى أن السفر لو كان علة القصر ، لجاز للمريض أن يجمع من باب أولى ، لأنه يعيش مشقة أبلغ من مشقة المسافر .
ورد الجمهور على الأحناف بأن استنادهم إلى نفي ابن مسعود رضي الله عنه لا يعني نفي الواقع مطلقا ، فقد اثبتت الأحاديث الصحيحة وقوع الجمع ، والمثبت أقوى من النافي . ويرد قول الحنفية بقياسهم المريض ، على المسافر في حصول المشقة بأن المسافر يرخص له بالجمع ، والمريض يرخص له بما يناسبه ، وهو أكثر من الجمع مثل : الصلاة قاعدا أو نائما ، والمسح على الجبيرة ، ومن المناسب توزيع صلاة المريض على الأوقات لتسهيل عليه ، وقد يكون الجمع له شاقا ومتعبا ^(٢) .

(١) صحيح مسلم ، كتاب الحج باب استحباب زيادة التغليس بصلاة الصبح ، حديث رقم : ٢٣٤٥ .

(٢) فتح الباري ج٢ ص٥٨٣ طبعة السلفية .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب جواز جمع الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء في السفر ، وقد فصل الفقهاء أحكام ذلك .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب ركيزة هامة ... وهي : -

التيسير موسع في شرع الله

الشرع قائم على التيسير ، وقد سبق الإشارة إلى تيسرات الله تعالى على عباده ، بالقصر في السفر ، وفي هذا الباب نجد تيسيرا آخر في شرع الله تعالى ، فمع القصر يكون الجمع ، لتتم الصلاتين جمعا وقصرا ، مع الاقتصار على الفريضة دون السنن الراتبة وغير الراتبة لتزول المشقة ، ويتحقق التيسير بصورة موسعة .

ولا يشعر بهذا التيسير إلا المؤمنون المحافظون على حق الله تعالى . أما غيرهم فقد يطول به السفر ، وتكثر حوله المشاق ، ولا يدري من رحمته شيئا ، ولا يقر بها وإن أحاطته من كل جانب .

- و -

لمحات موجزة في فوائد أحاديث الباب

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية : -

- (١) يستحسن للعالم أن يعلن رأيه بدليله ليقنع به غيره .
- (٢) تشريع الإسلام رحمة بالناس أجمعين .
- (٣) تتنوع الرخص وتختلف بالنسبة للعبادة وللعباد .
- (٤) رحمة الله تعالى بعباده واسعة .

- ٦ -

٦- باب الجمع بين الصلاتين في الحضر

[٤١١]، (١) حديث ابن عباس م قال: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَمَانِيًا

جَمِيعًا، وَسَبْعًا جَمِيعًا^(١) . ١١٧٤

- أ -

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب جواز الجمع بين الصلاتين في الحضر،
وأدائهما متتابعتين ، بلا نافلة راتبة أو غير راتبة بينهما .

- ب -

الدلالات اللغوية في أحاديث الباب

يقول جابر بن عبد الله (أبو الشعثاء) ﷺ : سمعت عبد الله بن
عباس م يقول : (صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَمَانِيًا جَمِيعًا، وَسَبْعًا جَمِيعًا)
أي إنه ﷺ كان يصلي ثمان ركعات متتابعة جمعًا ، وهي صلاة الظهر
والعصر ... وكان يصلي سبع ركعات جمعًا وهي صلاة المغرب ،
والعشاء ، وقوله في الحديث (جَمِيعًا) أي متتابعة بعضها في أثر بعض لا
فاصل بينهما .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

يتناول حديث الباب جواز جمع الصلاة في الحضر ، لعذر
يقتضي هذا الجواز ، فقد أجازته الشافعية عند المطر الشديد ، ومنعه
الأحناف ، وأجاز المالكية والحنابلة ، الجمع بين المغرب والعشاء ، بسبب

(١) أخرجه البخاري في: ١٩ كتاب التهجد: ٣٠ باب من لم يتطوع بعد المكتوبة

المطر ، دون الظهر والعصر .

قال النووي في شرح مسلم : " ذهب جماعة من الائمة إلى جواز الجمع في الحضر للحاجة ، لمن لا يتخذ عادة ، وهو قول ابن سيرين ، وأشهب من أصحاب مالك ، وحكاه الخطابي عن القفال ، والشابش الكبير من أصحاب الشافعي ، وعن أبي اسحاق المروزي عن جماعة من أصحاب الحديث ، واختاره ابن المنذر ، ويؤيده ظاهر قول ابن عباس م : (أراد ﷺ أن لا يخرج أمته ، فلم يحلله بمرض ولا غيره)^(١))^(٢) .

ومن شروط الجمع أن ينويه : فإن نواه في وقت الأولى وجب عليه أن ينويه قبل فراغه من صلاة الأولى .

وإن نوى الجمع في وقت الثانية ، وجب عليه أن ينويه في وقت الأولى ، ويستحب للمصلي أن يرتب بين الصلاتين ، وأن يتابع بينهما ، فإن أخر الأولى إلى الثانية بلا نية ، عصى الله فيها ، وصارت قضاء .

وذكر النووي في شرح المذهب في المواقيت قال : وأما آخر وقت الظهر ، فهو إذا صار ظل كل شيء مثله ، غير الظل الذي يكون له عند الزوال ، وإذا خرج هذا الوقت ، دخل وقت العصر متصلا به ، ولا اشتراك بينهما .

والى ذلك ذهب الشافعية ، وبه قال الوزعي والثوري والليث بن سعد ، وأبو يوسف ، ومحمد ، وأحمد رضي الله عنهم .

وقال عطا وطاووس م إذا صار ظل الشيء مثله سوى ظل

(١) صحيح البخاري ، كتاب التهجد - باب من لم يتطوع بعد المكتوبة .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٥٩ ، طبعة الشعب .

الزوال ، دخل وقت العصر ، وبقي الظهر ممتدا مع وقت العصر ، فما بعد صيرورة ظل الشيء مثله يكون وقتا للظهر والعصر معا على سبيل الاشتراك حتى تغرب الشمس . وعن مالك رحمه الله : إن وقت الظهر يمتد إلى غروب الشمس .

وقال ابو حنيفة - رحمه الله : يبقى وقت الظهر حتى يصير الظل مثليه ، مستدلا بقول ابن عباس م ، من أن النبي ﷺ جمع الظهر والعصر في المدينة ، من غير خوف ولا مرض ولا مطر فدل ذلك على اشتراك الظهر والعصر في وقت واحد .
ولذلك صلاهما رسول الله ﷺ متتابعين ، في هذا الوقت الذي اشتركا فيه ، فصلاة رسول الله ﷺ الظهر مع العصر لاشتراك وقتها فلا جمع بينهما إذا ^(١) .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

يبين حديث الباب جواز الجمع في الحضر ، بسبب المطر ، وقد بين الفقهاء هذا الجواز ، ورأوا ضرورة النية في وقت الصلاة الأولى .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في حديث الباب

يشتمل الباب على ركيزة هامة هي : -

كمال رحمة الله تعالى بالناس

يدل الحديث على ما دلت عليه الأبواب السابقة ، من تأكيد رحمة الله تعالى بعباده ، وشفقته بهم .

(١) فتح الباري ج ٢ ص ٢٤ طبعة السلفية .

فلقد خفف الله عنهم أثناء السفر ، فأباح لهم الفطر على أن يقضوا ،
ورخص لهم في قصر الصلاة وجمعها ، وأداء النوافل على الراحلة ، وخفف
عنهم وهم في الحضر ، ورخص لهم جمع الصلاة في الحضر عند المطر
، ورخصه لهم بلا عذر بشرط أن لا يصير عادة للمصلين .
إن تعاليم الإسلام جميعاً قائمة على اليسر ، وتحقيق العزة ، وتكريم
الإسلام ... وقد سعد المسلمون الأول بدين الله تعالى ، ورضوه لأنفسهم ،
واستقاموا على شريعته فصلحوا ، وأصلحوا الحياة .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من حديث الباب الفوائد التالية :-

- (١) جواز الجمع في الحضر لعذر بلا قصر .
- (٢) اهتمام المسلمين بمعرفة دينهم ، وتعليمه لغيرهم .
- (٣) رواة الحديث متميزون بالعدالة والضبط وأسانيدهم
متصلة

- ٧ -

٧ - باب جواز الانصراف من الصلاة

عن اليمين أو الشمال

حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: لَا يَجْعَلَنَّ أَحَدُكُمْ لِلشَّيْطَانِ شَيْئًا مِنْ صَلَاتِهِ، يَرَى أَنَّ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ لَا يَنْصَرِفَ إِلَّا عَنْ يَمِينِهِ [٤١١]، (١)
لَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ كَثِيرًا يَنْصَرِفُ عَنْ يَسَارِهِ ^(١) ٨٢٧

- أ -

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب جواز انصراف المصلي من صلاته ، جهة اليمين أو الشمال ، فكلاهما سواء .

- ب -

الدلالات اللغوية في حديث الباب

يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : (لَا يَجْعَلَنَّ أَحَدُكُمْ لِلشَّيْطَانِ شَيْئًا مِنْ صَلَاتِهِ) أي لا يصح أن يأخذ المسلم حكم عمل متصل بصلاته ، من غير رسول الله ﷺ ؛ لأنه إن فعل ذلك فقد جعل هذا العمل من نصيب الشيطان ، والواجب أن يكون العمل كله أخذا عن رسول الله ﷺ ، وضرب ابن مسعود رضي الله عنه صورة هذا العمل الذي لا يصح ، وهو أن (يَرَى أَنَّ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ لَا يَنْصَرِفَ إِلَّا عَنْ يَمِينِهِ) أي يرى أن إنصرافه من الصلاة من جهة يمينه حق عليه، ولا يصح غيره وأنى له ذلك ؟
ومن أين أخذ هذا الحكم ؟ إنه بذلك يجعل للشيطان جزءا من صلاته .

(١) أخرجه البخاري في: ١٠ كتاب الأذان: ١٩٥ باب الانفتال والانصراف عن اليمين والشمال.

يقول ابن مسعود رضي الله عنه : (لَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ كَثِيرًا يَنْصَرِفُ عَنْ يَسَارِهِ) ، وبهذه الرؤية ، يبطل من حصر انصرافه عن الصلاة في جهة يمينه فقط ، دون يساره .

ورواية مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : (أَكْثَرُ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَنْصَرِفُ عَنْ شِمَالِهِ)^(١). وهذا يشير إلى أن رسول الله ﷺ انصرف كثيرا عن شماله على خلاف ابن مسعود رضي الله عنه .

فإن قيل : روى مسلم عن طريق السدي ، قال : (سَأَلْتُ أَنَسًا : كَيْفَ أَنْصَرَفَ إِذَا صَلَّيْتُ ؟ عَنْ يَمِينِي ، أَوْ عَنْ يَسَارِي ؟ قَالَ : " أَمَّا أَنَا فَأَكْثَرُ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَنْصَرِفُ عَنْ يَمِينِهِ)^(٢) ، وفي هذا تعارض بين هذا الحديث والحديث السابق ، فكيف نوفق بينهما ؟

أقول : ظاهر الروايتين عند مسلم التعارض لأنه عبر في كل منهما بأفعل التفضيل ، ويجمع بين الروايتين بأنه ﷺ كان يجمع بينهما ، فكان ﷺ يفعل هذا تارة ، وذاك تارة أخرى ، فأخبر الراوي في كل مرة رآها بأنه أكثر حدوثا في انصراف رسول الله ﷺ فالأكثرية كانت بالنسبة لرؤية الراوي وعلمه وحده وليست حكما للواقع .

وكان أنس رضي الله عنه ينصرف من الصلاة عن يمينه ويساره .

(١) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب جواز الانصراف من الصلاة عن اليمين ، حديث رقم : ١١٩١ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب جواز الانصراف من الصلاة عن اليمين ، حديث رقم : ١١٩٢ .

وحديث الباب الذي رواه ابن مسعود رضي الله عنه يدل على كراهية اعتقاد ضرورة الانصراف من جهة اليمين فقط ، حيث لا دليل على ذلك ، فقد رأى ابن مسعود رضي الله عنه رسول الله ﷺ ينصرف كثيرا عن يساره ، وذهب إلى أن من قصر انصرافه عن جهة اليمين فقط فقد جعل للشيطان من عمله شيئا .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يبين الحديث حال انصراف النبي ﷺ من صلاته ، وأنه ﷺ كان ينصرف أحيانا من جهة يمينه ، وأحيانا من جهة يساره ، وذكر أحد الحالتين لا ينفي الحالة الأخرى .

وقد روى كل من ابن مسعود ، وأنس **م** حالة شاهداها من إنصراف رسول الله ﷺ ، فحكيا عنها ، فلا تعارض بينهما .

يقول بعض المحدثين إن ابن مسعود رضي الله عنه حكى خبر إنصراف رسول الله ﷺ عن يساره ، حين كان يصلي في مسجده الشريف ، فكان ينصرف عن يساره ليذهب إلى بيته الموجود في يساره ، وأما أنس رضي الله عنه فقد روى ماراه من النبي ﷺ عقب صلاته في السفر بعيدا عن بيته لانصرافه عن اليمين .

يقول الحافظ ابن حجر : ثم إذا تعارض اعتقاد ابن مسعود ، وأنس **م** رجح ابن مسعود ؛ لأنه أعلم ، وأسن ، وأجل ، وأكثر ملازمة للنبي ﷺ وأقرب لموقفه من أنس رضي الله عنه ... ورواية ابن مسعود رضي الله عنه تشير إلى توافق

ظاهر الحال ؛ لأن حجرة النبي ﷺ كانت على جهة يساره .

ويمكن الجمع بينهما بأن من قال : " كان أكثر انصرافه عن يساره " نظر إلى هيئته في الصلاة ، ومن قال : " أكثر انصرافه عن يمينه " نظر إلى هيئته في حالة استقباله القوم بعد سلامه من الصلاة ... وعلى هذا لا يختص الانصراف بجهة معينة .

ومن ثم قال العلماء يستحب الانصراف إلى جهة حاجته ، فإذا استوت الجهتان فاليمين أفضل لعموم أحاديث تفضيل التيامن ^(١)

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب جواز انصراف المصلي من صلاته جهة اليمين ، أو جهة الشمال ، اقتداء برسول الله ﷺ ، ويوضح أن الابتداء في الدين ، وفي الصلاة يعطي جزءا من الدين ومن الصلاة للشيطان ، الذي يعمل على إبعاد الناس عن دينهم ، وهذا لا يصح من مسلم .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في حديث الباب

يتضمن حديث الباب ركيزه هامة وهي : -

الالتزام بفعل رسول الله ﷺ في سائر المناسك

بُعِثَ رسول الله ﷺ للناس مبشرا ونذيرا ، ومبلغا دين الله تعالى ، وتعاليمه إلى الناس كافة .

واستمر رسول الله ﷺ يدعو إلى اركان العقيدة، ويقدم البراهين

(١) فتح الباري ج٢ ص ٣٣٨ .

والآيات الحسية ، والعقلية ، والعلامات الدالة في خلق الإنسان والكون ، ليكون الاعتقاد قائماً على المعرفة التامة ، والافتناع الكامل ، والوقوف على ما في العقيدة من صدق وواقعية .

ومع الاعتقاد كانت الدعوة إلى مكارم الأخلاق ، وأساسها الصدق والأمانة ، وتبليغ العلم ، وحسن المعاملة ، وحب الخير للناس أجمعين .

وقد سادت مكارم الأخلاق خلق النبي ﷺ ، وأصحابه حين عرفهم بالعقيدة ، وفصل لهم أركانها ، وصورها ، وجوانبها ، وخرج القوم بهذا التزواج بحب الله ورسوله ﷺ ، ومعرفة مقامهما ، وطرق التعامل معهما ، والقيم الرفيعة التي تسود بين الناس في القول والعمل والسلوك .

وفرضت أحكام الشريعة نفسها على أفعال المكلف ، فبحث كل مكلف عن أحكام عمله عند رسول الله ﷺ ، ليتفق عمله مع عقيدته ، وحتى يقبلها الله تعالى ، وقد قدم رسول الله ﷺ الأحكام الشرعية للأعمال بقوله وفعله ، وقال رسول الله ﷺ لأصحابه رضوان الله عليهم :

- (خذوا عني مناسككم) ^(١)

- (صلوا كما رأيتموني أصلي) ^(٢).

وكان الصحابة أوفياء لدينهم ، فكل ما رآوه من رسول الله ﷺ فعلوه ، وأخبروا به من وراءهم .

(١) السنن الكبرى للبيهقي ، جماع أبواب دخول مكة ، باب الإيضاح في وادي محسر ، حديث رقم : ٨٩٤٧ .

(٢) صحيح ابن حبان ، كتاب الصلاة ، باب الأذان ، حديث رقم : ١٦٧٩ .

وفي الباب يخبر ابن مسعود ، وأنس - رضي الله عنهما - بما رأيا من رسول الله ﷺ وهو ينصرف عن صلاته ، فقاموا بمثله ، وأخبروا به من وراءهم ، ودونته كتب السنة لتبقى محفوظة مع القرآن الكريم إلى يوم القيامة .

وينصح ابن مسعود ﷺ المسلمين ، بملازمة فعل رسول الله ﷺ ، وعدم الابتداع في حكم شرعي ؛ لأن الابتداع تحقيق لرغبات الشيطان .
إن المسلمين في حاجة لمعرفة أحكام دينهم ؛ لأن المعرفة أساس العلم ، ولن يكون العمل الديني صحيحا إلا بعد العلم به ...
وهذه الحاجة هامة ، وبخاصة في عصرنا الذي انتشر فيه الجهل بأبسط أحكام الدين ، وأيسر التعاليم التي يحتاج إليها المسلمون أجمعون .
إن العامة اليوم لا يعرفون بسائط الدين ، ولا يزيد الخاصة عنهم في المعرفة الدينية شيئا ... وواجب الدعاة في هذا كبير ، وهم مسئولون عما وكل إليهم .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من حديث الباب الفوائد التالية : -

(١) معرفة الأحكام الشرعية لأعمال المكلفين ضرورة لسائر الأعمال .

(٢) في شريعة الله تعالى أحكام شرعية لكل عمل ، كبير أو صغر ، تؤخذ من النصوص باجتهاد العلماء .

٣) حرص الصحابة - رضوان الله عليهم - على رواية كل ما علموه من أقوال وأفعال رسول الله ﷺ .

٤) حياة رسول الله ﷺ مثال رباني ، ظهرت فيه الأحكام التي يحتاجها الناس إلى يوم القيامة .

- ٨ -

٩- باب كراهة الشروع في النافلة

بعد شروع المؤذن

[٤١٣]، (١) حديث عبد الله بن مالك بن بحينة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ

٦٦٣

رأى رجلاً ، وقد أقيمت الصلاة ، يُصلي ركعتين ، فلما انصرف

رسول الله ﷺ لاث به الناس ، وقال له رسول الله ﷺ : الصبح

أربعاً الصبح أربعاً (١) .

- أ -

موضوع حديث الباب .

يبين حديث الباب كراهة صلاة نافلة بعد إقامة الصلاة قبل الفريضة .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يشتمل الباب على حديث واحد ، وفيه يؤكد عبد الله بن مالك بن

بحينة رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً ، وقد أقيمت الصلاة ، يُصلي

ركعتين) أي رأى النبي ﷺ رجلاً يصلي النافلة بعد إقامة الصلاة قبل

الفريضة ، وهذا لا يجوز ؛ لأنه يشغل بصلاته عن صلاة الإمام .

وقد وهم شعبة راوي الحديث عن عبد الله بن مالك بن بحينة

راوي الحديث من ناحيتين :

الناحية الأولى : أفاد أن بحينة ل (بضم الباء ، وفتح الحاء

بعدها ياء ساكنة) هي أم مالك إذ قال (مالك ابن بحينة) ، وليس الأمر

(١) أخرجه البخاري في: ١٠ كتاب الأذان: ٣٨ باب إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة .

كذلك ، فهي زوجته ، أنجب منها عبد الله بن مالك بن القشرب (بكسر القاف، وسكون الشين)

قدم مالك في الجاهلية إلى مكة، فحالف بني المطلب بن عبد مناف ، وتزوج بحينة بنت الحارث بن المطلب ، وأسماها عبدة ، ولقبها بحينة ، أدركت الإسلام وأسلمت ، وأسلم معها ابنها عبد الله .

الناحية الثانية : أن الصحبة ثابتة لعبد الله الابن لا لمالك الأب ، ولم يذكر احد لمالك صحبة ، إلا بعض من تلقاه من هذا الاسناد ممن لا تمييز له .

وقد اورد شعبة رواية أخرى لهذا الحديث وفيها قال : (مر ﷺ برجل يصلي ، وقد أقيمت صلاة الصبح ، فكلمه بشيء لا ندري ما هو ، فلما انصرفنا أخطنا بالرجل نقول : ماذا قال لك رسول الله ﷺ ؟ قال : قال لي : يوشك أن يصلي أحدكم الصبح أربعاً)^(١) وبينهما اختلاف يسير فحديث الباب يفيد أن الرجل قام وصلى ركعتين بعد أن أقيمت الصلاة ليؤم رسول الله ﷺ أصحابه ، فكلمة الرسول ﷺ بعد انتهاء الصلاة ، وحديث شعبة يفيد أن رسول الله ﷺ مر برجل يصلي وهو ذاهب ليؤم أصحابه ، فكلمة الرسول ﷺ قبل الصلاة ، وبين الحديثين اختلاف في الوقت الذي كلم فيه النبي ﷺ الرجل .

والجمع بينهما أن رسول الله ﷺ كلم الرجل في رواية شعبة ﷺ سراً ،

(١) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب كراهة الشروع في نافلة بعد شروع المؤذن ، حديث رقم : ١١٩٧ .

فلهذا سأله أصحابه ، ثم كلمه في رواية أنس رضي الله عنه جهرا فسمعوه ...
فكلم رسول الله ﷺ الرجل ، ونهاه عن صلاة نافلة بعد الاقامة قبل
الفريضة (فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) وترك الرجل (لَا تَبِهُ النَّاسُ) أي
: داروا حوله ، وطافوا به ، ليسألوه عن قول رسول الله ﷺ له .

فأخبرهم بأن رسول الله ﷺ قال له : (الصُّبْحُ أَرْبَعًا ؟ الصُّبْحُ أَرْبَعًا ؟)
والسؤال إنكاري ، ينكر فيه الرسول ﷺ على الرجل صلاة النافلة بعد
الإقامة ، وكرر الانكار لتأكيد حذفت همزة الاستفهام للعلم بها .
ومعنى السؤال : أ جعلت الصبح أربعاً ؟ وهذا أمر منكراً لا يجوز .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يفيد حديث الباب أن الصلاة ، التي تحدث عنها مالك بن بحينة
هي صلاة الفجر ، وجاء التصريح بها في أحاديث أخرى .
وقد اختلف العلماء ، والفقهاء في حكم صلاة النافلة ، بعد الاقامة للفريضة
، كما اختلفوا في الحكمة من هذا .

أما الحكم :

فقد ذهب الشافعي وأحمد ، وأصحابهما إلى أنه إذا اقيمت
الصلاة المكتوبة كره افتتاح نافلة ، سواء كانت راتبة أو غير راتبة ، وسوا
فرغ المؤذن من الاقامة أم كان في أثنائها ، وسواء فرغ من النافلة قبل
تكبيرة الاحرام أم لا ... وهذا عام في كل الصلوات .

وذهب الاحناف إلى أنه يجوز في صلاة الفجر ، أن يصلي
سننها بعد الاقامة ، إن اطمئن على لحوق الركعة الثانية ، ويستحب أن

يصلي السنة - حينئذ - عند باب المسجد ، لا يشتغل بقراءة الإمام .
وإن نوى النافلة قبل الإقامة ، فعليه أن يقطعها عند الإقامة عند الشافعي ، وقال الاحناف يتمها ويلحق بالجماعة .
وبعض الفقهاء كالنووي والاوزاعي يذهب مذهب الاحناف ، مع جواز صلاة السنة داخل المسجد .
وأما حكمة انكار النبي ﷺ ، صلاة النافلة بعد الإقامة ، فقد اختلف فيها العلماء أيضا :
يقول القاضي عياض : حتى لا يتناول الزمان ، ويظن الناس ، وجوب ركعتي السنة بعد الإقامة ^(١) .
ويقول الإمام النووي : الحكمة فيه أن يتفرغ المصلي للفريضة من أولها ، لأن المحافظة على مكملات الفريضة أولى من الاشتغال بالسنة .
ويقول الطحاوي : الحكمة عدم التباس الفرض بالسنة .
وقال بعضهم : أن الحكمة خوف أن يظن قادم أنه يصلي الفرض ، فيصلي خلفه .
ولا مزاحمة بين هذه الآراء ، ولذلك جاز الأخذ بها جميعا .
ومن المسلمات أن من شغله الفرض عن النفل فهو معذور ، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور ، والاشتغال بالمسلمات أولى من الاشتغال بغير الأفضل ^(٢) والله اعلم .

(١) فتح الباري ج ٢ ص ١٥٠ .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ طبعة الشعب .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب ، كراهة أن يصلي المسلم صلاة نافلة ، بعد الإقامة للصلاة المكتوبة ، في جميع الصلوات ، وإن خص حديث الباب صلاة الفجر .

- ه -

ركائز الدعوة في حديث الباب

يشير حديث الباب إلى ركيزة هامة هي :

صدق الإخلاص في العبادة

لا يحب الله تعالى من عباده أن يعبدوه وهم مشغولون عنه ، لأنهم لا يستطيعون التفكير في عملين في وقت واحد ؛ لأن الإنسان له قلب واحد ، وعقل واحد ، ولا يصح التوجه إلى الله تعالى بعملين مختلفين في وقت واحد .

ومن هنا لا يصح القيام بنافلة ، بعد إقامة صلاة الفريضة ؛ لأن صلاة النافلة - حينئذ - لا تكون خالصة ، لانشغال المصلي بالفريضة التي أقيمت ، ولن يتمكن من اداء الفريضة كاملة لانصرافه عنها بالسنة .

يقول ﷺ : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۖ ﴾^(١).

وحديث الباب يدل على ذلك ، وقد وردت روايات تفيد أنه (لا صلاة بعد الإقامة)^(٢) وهذا النفي يفيد نفي الكمال ، أي أنه لا صلاة كاملة تقام بعد الإقامة قبل الفريضة .

(١) سورة الاحزاب الآية : ٤ .

(٢) مسند احمد بن حنبل ، مسند بن هاشم ، حديث رقم : ٨١٩٥ .

إن دعامة العبادة الحقيقية ، هو الخشوع التام ، والاخلاص الوافي ، والصدق في العبودية القانتة ، ولذلك حسن ملازمة الإمام في الصلاة ، ولا يصح الانشغال عنه بصلاة أخرى .

وتلك هي دعوة الإسلام ، يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾^(١) .
والخشوع يحتاج إلى التفرد والتركيز ، ولذلك جاء حديث الباب

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد حديث الباب

نستنبط من حديث الباب الفوائد الآتية :-

- (١) الإسراع إلى الصلاة التي أقام المؤذن لها .
- (٢) نصيحة السر مستحبة ، تكريما للمنصوح .
- (٣) حرص الصحابة على معرفة كافة مواعظ الرسول ﷺ ونصائحه .
- (٤) اختلاف علماء الأمة رحمة بالناس .
- (٥) أسلوب رسول الله ﷺ في الإنكار بعيد عن السوء .
- (٦) من المستحب بيان علة الإنكار لمن ينكر أمرا دينيا .
- (٧) الإنكار بالاستفهام يؤدي إلى التفكير ، والبحث عن الاجابة ، وهذا يوصل للحق غالبا .

(١) سورة البينة الآية : ٥ .

- ٩ -

١٠ - باب استحباب تحية المسجد بركعتين

وكراهة الجلوس قبل صلاتهما

وأنها مشروعة في جميع الأوقات

[٤١٤]، (١) حديث أَبِي قَتَادَةَ السَّلْمِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِذَا دَخَلَ

أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَجْلِسَ ^(١) . ٤٤٤

- أ -

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب استحباب تحية المسجد لمن يدخله ، وذلك
بصلاة ركعتين .

- ب -

الدلالات اللغوية في حديث الباب

يروي الحديث أبو قتاده السلمي الانصاري رضي الله عنه ، وقتادة (بفتح
القاف والتاء) ، والسلمي (بفتح السين واللام) نسبة إلى بني سلمة ، وهم
من أنصار المدينة .

يؤكد أبو قتادة رضي الله عنه (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ
فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَجْلِسَ) أي فليصل ركعتين ، وسميت الصلاة
بالركوع مجازا من قبيل تسمية الشيء بجزئه . وذكر العدد (رَكْعَتَيْنِ)
ليس مرادا ، لأن أقل الصلاة عند دخول المسجد وفي أي وقت مثني
ماعدا الوتر، ولا حد لأكثرها .

(١) أخرجه البخاري في: ٨ كتاب الصلاة: ٦٠ باب إذا دخل المجلس فليركع ركعتين ، وللحديث

رواية اخريفي صحيح البخاري تحت رقم : ١١٦٣ .

وقد اختلف الفقهاء في الأمر الوارد في الحديث :

فذهب الجمهور إلى أنه للندب ، بدليل أنه ﷺ قال للذي يتخطى الرقاب : (اجلس ، فقد آذيت وآذيت)^(١) ، ولم يأمره بصلاة تحية المسجد ، ولو كانت واجبة لأمره بها .

وذهب أهل الظاهر إلى أن هذا الأمر يفيد الوجوب ، ولم يقل به أحد غيرهم .

فإن قيل : ماذا يفعل المسلم ، إذا دخل المسجد في وقت نهى النبي ﷺ عن الصلاة فيه ، كأوقات ما بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس ، وما بعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس ؟

أقول : في هذه الحالة ذهب الشافعية إلى أن هذه الأوقات ، التي نهى النبي ﷺ عن الصلاة فيها ، ليست داخلة في الأمر بتحية المسجد فهي مستثناة منها .

وقال المالكية والأحناف : الأمر بتحية المسجد ، والنهي عن الصلاة في أوقات معينة عموماً إذا تعارضاً فلا بد أن يخص أحدهما . وقد اختار المالكية والأحناف ، تخصيص النهي بغير صلاة تحية المسجد .

وذهب الشافعية والطحاوي ، إلى تخصيص الأمر بأن تكون الصلاة في غير أوقات النهي .

وإن قيل : إن دخل المسلم المسجد ، وجلس فهل يتدارك ، ويقوم ويصلي

(١) صحيح ابن خزيمة ، كتاب الجمعة ، باب النهي عن تخطي الناس ، حديث رقم : ١٦٩٧

تحية المسجد ؟

أقول : ذهب البعض إلى أن الداخل إذا جلس لا يقوم لتحية المسجد ، فقد فات وقتها ...

إلا أن هذا الرأي مردود ، لما رواه مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه ، أنه قال : (جاء سليك الغطفاني يوم الجمعة ، ورسول الله ﷺ قاعد على المنبر ، فقعد سليك قبل أن يصلي .

فقال له النبي ﷺ : " أركنت ركعتين ؟

قال : لا

قال : " قم فاركعهما " ^(١).

ومن الممكن القول ، بأن تحية المسجد قبل الجلوس هو وقت الاداء والفضيلة ، وبعد الجلوس هو وقت القضاء والجواز .
ويحتمل أن تكون مشروعية القيام بتحية المسجد ، بعد الجلوس ما لم يطل الجلوس ، فإن أطل الجلوس فقد انقضى وقتها ^(٢) .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

ساق مسلم في صحيحه سببا لحديث أبي قتادة رضي الله عنه ، وهو كما رواه قتادة رضي الله عنه قال : (دخلت المسجد ورسول الله ﷺ جالس بين ظهري الناس .
قال : فجلست .

فقال رسول الله ﷺ : " ما منعك أن تركع ركعتين قبل أن تجلس ؟ "

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجمعة ، باب التحية والإمام يخطب ، حديث رقم : ١٤٩٤ .

(٢) شرح النووي ج ٢ ص ٣٦٥ .

قال : فقلت : يا رسول الله رأيتك جالسا والناس جلوس .

قال ﷺ : فإذا دخل أحدكم المسجد ، فلا يجلس حتى يركع ركعتين^(١)

يقول الإمام النووي : في شرحه لحديث قتادة رضي الله عنه كما جاء في صحيح مسلم : أجمع العلماء ، على استحباب تحية المسجد ، ويكره أن يجلس الداخل من غير تحية بلا عذر .

وأقل تحية المسجد ركعتان ، ولا حد لأكثرها ، ويجوز أن يصلي الداخل أكثر من ركعتين بتسليمة واحدة ، فكلها تحية .

وسجدة التلاوة ، وصلاة الجنازة ، والركعة الواحدة لا تعد تحية للمسجد .

ولا يشترط أن ينوي المصلي بالركعتين التحية ، فإن نوى الصلاة مطلقا ، أو نوى سنة راتبة أو فريضة ، أو نذرا أو قضاء ، أجزته الصلاة عن تحية المسجد .

وتكره تحية المسجد في حالتين :

الأولى : إذا دخل المسجد والإمام يصلي الفريضة ، أو شرع المؤذن في الإقامة .

الثانية : إذا دخل المسجد الحرام ؛ لأن تحيته الطواف .

وذهب الشافعية إلى استحباب تحية المسجد ، في كل وقت ، ولو كان في الأوقات المنهي عن الصلاة فيها ؛ لأنه ﷺ صلى بعد العصر سنة الظهر قضاء ، فخص وقت النهي وصلى فيه ، ... وقد ثبت أنه ﷺ

(١) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب تحية المسجد بركعتين ، حديث رقم : ١٢٠٢ .

لم يترك تحية المسجد في حال من الأحوال .
وكره أبو حنيفة والأوزاعي والليث تحية المسجد في أوقات النهي ^(١).

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب أن تحية المسجد مستحبة ، وقد أمر النبي ﷺ بأدائها قبل الجلوس ، وواظب عليها رسول الله ﷺ طول حياته ، وحافظ عليها السلف الصالح ، وبين الفقهاء سائر أحكامها الشرعية .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في حديث الباب

يتضمن حديث الباب عددا من الركائز ... أهمها : -

الركيزة الأولى

منزلة الشعائر في الإسلام

أنزل الله تعالى الإسلام كاملا تاما ، وحفظه بحفظ مصادره ، وباخلاص المسلمين الصادقين له ، حتى صار الإسلام بين العاملين منهجا شاملا لصالح البلاد والعباد ... وقد جعل الله تعالى في الإسلام شعائر ظاهرة ، ومنارات مادية ، يقوم المسلم بها لتأكيد هويته ، وإثبات إخلاصه وصدقه ... ولها دورها التأثيري على العقول والقلوب، مما يجعلها رباطا متينا يصل المسلم بدينه ، ويشده إليه، ويسكنه في القلوب حبا وعشقا وهياما، ويوحد المسلمين، ويجعل لهم علامات تعبر عنهم ، يتحمسون لها ويقومون بها .

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٦٦ طبعة الشعب .

ومن هذه الشعائر :

ما نراه في أماكن الحج مثل الصفا والمروة ، والكعبة ، وعرفة ،
ومنى ، ومزدلفة ...

وما نراه في الصلاة ، من مسجد ، وأذان وجماعة ... الخ
تلك كلها مشاعر لدين الله تعالى

ولذا وجب على المسلم ، أن يرتبط بها ، ويعتبرها منارات الوصول
المستقيمة للخير والسعادة .

إن المسجد بيت الله في الأرض ، ومجمع المسلمين في الصلوات ،
ومكان الطهر والتقوى في المجتمع ، ولذلك يُظل الله رجلا في ظله يوم
القيامة لتعلق قلبه بالمساجد .

وارتياد المسجد دليل الإيمان ، ووجود المسجد في بلد ما دليل
على إسلام أهلها يقول الله تعالى : ﴿ فِيهِ رَجُلٌ يُحْيِيهِمْ أَنْ يُظَاهِرُوا اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ ﴾^(١).

ولتعميق هذا المعنى، شرع رسول الله ﷺ ، للناس صلاة تحية
المسجد ، يؤديها الداخل إلى المسجد قبل أن يجلس .

والمسلم في تحية المسجد يشعر بكيان معنوي واضح ، يجمع الله
به القلوب ، ويحيي الأمة ، ويؤكد الهوية ، ويمنع ذوبان المسلمين في
الافكار، والنظم البعيدة عن الإسلام .

فالمساجد ﴿ يُمَوِّتِ أَوْنَ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُنَكِّرُ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ

(١) سورة التوبة الآية : ١٠٨ .

وَالْأَصَالُ ^(١)

إن أمة تحب الله ورسوله ﷺ تُنزل بيوت الله ממزلتها في الدين ، فلقد أخذ رسول الله ﷺ من المسجد مكانا للعبادة ، والتعليم ، ومقرا للحكم والتوجيه ، ومؤسسة لاستقبال الوفود ، وتوديع المجاهدين .
لقد اتخذ المسلمون المسجد بيتا للشورى ، ففيه بايع المسلمون الخلفاء ، كما اتخذوه مكانا للدعوة ، ونشر الإسلام
وقد ارتبط **المسجد بالعلم والمعرفة** ، ففيه المواعظ والدروس ، وعلى منبره تلقى خطبة الجمعة .

وكان **المسجد في التاريخ الإسلامي** جامعات كبرى ، كما كان في قرطبة ، واشبيلية ، والزيتونة ، والقرويين ، ومكة ، والمدينة ، والكوفة والبصرة ، ودمشق ، والأزهر ، والقاهرة .
والواجب على كل مسلم أن يتعلق بالمسجد مبنى ومعنى ، ومشاعر وشعائر ، ليكون الدين كله لله .. والله ولي التوفيق .

الركيزة الثانية الارتباط بالبيئة المادية

لكل إنسان عواطفه ، التي تربطه بكل ما خلق الله ، من حيوان وجماد .

هذه العواطف : وجدانات معنوية ، يشعر بها العقل والضمير ، ولا تلمسها الأيدي والجوارح .

(١) سورة النور الآية : ٣٦ .

هذه العواطف تجعل الإنسان يعشق وطنه الذي نشأ فيه ، وتربطه بالحواري التي لعب خلالها صغيرا ، واستنشق هواءها وهو يلعب .
وما الوطنية في جملتها إلا جملة من هذه العواطف التي تربط الإنسان بالبيئة المادية التي نشأ وعاش فيها .

وكل إنسان يشعر بهذه العواطف ، حينما يعود إلى الأيام الخوالي والاصحاب الذين ذهبوا ، والأحداث التي صارت ذكريات وأحاديث .
إن العواطف تشد الإنسان لماضيه ، وتذكره بأمجاده ، وتحيي عنده الأمل الذي راوده يوما ، وتشعله حنانا ، وشوقا لكل الذي مضى .
من من الناس لا يذكر أيامه الأولى ، وحياته ، ونشأته في مولده ؟!
ومن من الناس ينسى رفاق الصبا ، ولا يذكر أحلامه وأمانيه التي درجت بين الرفاق ؟ .

ويكبر الإنسان ، وتكبر عواطفه ، فيحب وطنه ، ويسبح في عالمه الفسيح ، ويجوب أركانه المترامية ، متمنيا لها التقدم ، والفلاح ، ولسان حاله يقول :

بلدي وإن جارت علي عزيزة ... وأهلي وإن ضنوا علي كرام
ويقول :

وطني لو شغلت بالخلد عنه ... نازعتني إليه بالخلد نفسي
لقد نظر رسول الله ﷺ يوم هجرته من مكة إليها، وقال : (والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت)^(١).

(١) صحيح ابن حبان، كتاب الحج، باب ذكر البيان بان مكة خير أرض الله، حديث: ٣٧٦٨.

وقال ﷺ : (اللهم إنك أخرجتني من أحب البلاد إلي ، فأسكني أحب البلاد إليك " ، فأسكنه الله المدينة)^(١).

وكان ﷺ عندما يذكر أحد يقول : (هذا جبل يحبنا ونحبه)^(٢) .

والأدلة عديدة تؤكد العواطف الروحية ، وتربطها بالمعالم المادية ، وتحتم التفاعل بينهما ، ولذلك فحب الوطن من الإيمان ، وتعمير الأرض دين ، يقول الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ الشُّورُ ﴾^(٣).

ومن هذا المعنى ارتبط المسلم بمسجده ، ففيه يعبد ويتعلم ، وفي جنباته يذكر ويتذكر ، ، ومنه يكون الانطلاق لإصلاح الحياة ، يقول ﷺ : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(٤).

وعندما يصلي المصلي في المسجد تتجه روحه إلى القبلة البعيدة التي يولي وجهه شطرها ، ويرتبط وجدانه بأيام الإسلام الأولى ، ويعيش مع المسلمين لرؤية الكعبة المشرفة ، ويهيم في قداستها وعظمتها .
إن روح المسلم تهفو إلى بيت الله الحرام ، ويرتبط به حسا ومعنى ، ويتمنى زيارته .

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ، كتاب الهجرة ، حديث رقم : ٤٢٠٥ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب فضل الخدمة في الغزو .

(٣) سورة الملك الآية : ١٥ .

(٤) سورة الجمعة الآية : ١٠ .

لقد عمل المستعمر على أن يفصل المسلم عن ملامح دينه
ووطنيته ويبغضه في التواصل مع الماديات التي تربطه بها ، ومن ذلك
إخافة المسلم من صحرواته وخلواته ، بدعوى وجود الجن والغيلان فيه ،
ليخلو لهم ، ويسهل عليهم استخراج خيراته ، والاستيلاء على معادنه
وثرواته ، وقد نجحوا في ذلك إلى حد بعيد .

وحديث الباب يربط المسلم بمعلم رئيسي ، من معالم البيئة
المادية ، ليقوى بها الدين ، ويصير المسلم فردا إيجابيا بين الناس ، يحبهم
ويحبونه ، ويعملون معا في طاعة الله تعالى ، ويصونون بلداهم ويعمرونها
بالحق والعدل ، إخوة متحابين ، في طاعة الله تعالى .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من حديث الباب الفوائد التالية :-

- (١) ضرورة تفقد الراعي للرعية ، وإرشادهم إلى الحق والصواب .
- (٢) بيان شفقة النبي ﷺ بالناس ، وحرصه على مصلحتهم
- (٣) من أخلاق المسلم تحية من ينال منه معروفا وشكره .
- (٤) أهمية الحوار في الوصول للصواب .
- (٥) بيان الحق ابتداء أسلم طريق للفوز والفلاح .

- ١٠ -

١٢- باب استحباب الركعتين في المسجد

لمن قدم من سفر أول قدومه

حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ فَأَبْطَأَ بِي جَمَلِي وَأَعْيَا ، فَأَتَى عَلِيَّ النَّبِيُّ ﷺ . [٤١٥]، (١)

٢٠٩٧

فَقَالَ : جَابِرٌ

فَقُلْتُ : نَعَمْ .

قَالَ ﷺ : مَا شَأْنُكَ ؟

قُلْتُ : أَبْطَأَ عَلِيٌّ جَمَلِي وَأَعْيَا .

وَقَدِمْتُ بِالْغَدَاةِ فَجِئْنَا إِلَى الْمَسْجِدِ فَوَجَدْتُهُ ﷺ عَلَى بَابِ

الْمَسْجِدِ ، قَالَ ﷺ : الْآنَ قَدِمْتَ ؟

قُلْتُ : نَعَمْ .

قَالَ ﷺ : فَدَعْ جَمَلَكَ وَادْخُلْ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ فَدَخَلْتُ فَصَلَّيْتُ^(١)

- أ -

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب استحباب صلاة ركعتين في المسجد، لمن عاد من سفر ، شكرا لله تعالى على السلامة في السفر قبل أن يذهب لبيته ، وليست هي تحية المسجد ، فإن بقي في المسجد معتكفا أو منتظرا للصلاة كانت الركعتان تحية للمسجد أيضا ^(٢) .

(١) أخرجه البخاري في: ٣٤ كتاب البيوع: ٣٤ باب شراء الدواب والحمير .

(٢) شرح النووي ج ٢ ص ٣٦٧ .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

أورد مؤلف " اللؤلؤ والمرجان " حديث الباب ، من رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنه في صحيح البخاري ، واختصره على استحباب ركعتين حين القدوم من سفر ، وتابع في اختصاره رواية مسلم له في صحيحه عن الصحابي الجليل جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

يقول جابر رضي الله عنه : (كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ) أي : كنت مع النبي ﷺ في سفر غزوة ، هي غزوة (ذات الرقاع) ، (فَأَبْطَأَ بِي جَمَلِي وَأَعْيَا) ، أي تأخرت عن قافلة المجاهدين حين العودة بسبب ضعف جملي ، وتعبه ، ومرضه ، فلحق بي رسول الله ﷺ ، وكان ﷺ يتخلف عن الركب ليساعد الضعفاء ، ويعين المتخلفين ، مالم يكن هناك سبب يجعله يقود الركب .

(فَأَتَى عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ) أي فلحقني رسول الله ﷺ وجاء إليّ وسألني ، ونادى علي ، فَقَالَ : يَا جَابِرُ ..
فَقُلْتُ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

(قَالَ ﷺ : مَا شَأْنُكَ) ؟ أي كيف حالك ، وما الذي أخرك عن الركب ؟
(قُلْتُ) : يَا رَسُولَ اللَّهِ (أَبْطَأَ عَلَيَّ جَمَلِي وَأَعْيَا) أي سبب تأخري ببطء جملي بسبب مرضه ، وتعبه ، فتركني رسول الله ﷺ بعد أن نخس الجمل ، وحلت بركة النبي ﷺ فيه فاسرع .

وسبقني رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فلما كان اليوم التالي وصلت (وَقَدِمْتُ بِالْغَدَاةِ) أي في اليوم التالي .

(فَجِئْنَا إِلَى الْمَسْجِدِ) كما علمنا رسول الله ﷺ (فَوَجَدْتُهُ ﷺ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ) أي: حينما وصلت إلى المسجد ، وجدت رسول الله ﷺ منتظرا (عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ) فد (قَالَ) لي (الآن قَدِمْتَ) ؟
(قُلْتُ: نَعَمْ)

فد (قَالَ ﷺ) : فَدَعُ جَمْلَكَ وَادْخُلْ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ فَدَخَلْتُ فَصَلَّيْتُ (وصلى رجال الغزوة جميعا معنا في المسجد .

وبهذا وجهنا رسول الله ﷺ إلى استحباب ركعتين في المسجد عند القدوم من سفر ، وتعلمنا منه ﷺ الإخلاص ، وحب الإخوة ، والحرص على الناس ، وحسن القيادة ، والتواضع وعدم الاستعلاء .

وقصة الحديث : أن جابرا رضي الله عنه كان في غزوة " ذات الرقاع " مع رسول الله ﷺ ، وفي العودة تأخر جابر رضي الله عنه عن مرافقة القوم لضعف جملة ، وكان النبي ﷺ يتأخر عن القوم ، ليرعى الضعفاء ، ويساعدهم للحاق بإخوانهم .

فلما رأى ﷺ جابرا قال له : مالجمك يا جابر ؟

قال جابر : أبطأ بي وأعيا .

قال له ﷺ : بعنيه .

قال جابر رضي الله عنه : هو لك دون بيع .

قال ﷺ : لا بل بعنيه بأوقية .

قال جابر رضي الله عنه : بعته على أن أركبه حتى أصل .

قال ﷺ : كذلك الأوقية عندما نصل^(١).

ونخس رسول الله ﷺ الجمل ، فسار أسرع من غيره من الجمال ،
فلحق بإخوانه ، وأسرع رسول الله ﷺ في السير ، ووصل المسجد قبل
جابر ، فصلى ركعتين بالمسجد .

وانتظر ﷺ جابرا حتى جاء ، فقال له ﷺ : " أدخل المسجد فصل
ركعتين بالمسجد " ، وكلما جئت من سفر ابدأ بالمسجد ، وصل ركعتين
..... فصلى جابر ركعتين ، ونقده رسول الله ﷺ ثمن الجمل ، فلما وصل
جابر ﷺ إلى داره ، دعاه رسول الله ﷺ ثم قال له : " خذ جملك ولك
ثمنه " (٢) .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يبين حديث الباب من خلال قصة جابر رضي الله عنه ، مع رسول الله ﷺ
عددا من القيم ، والأحكام الشرعية ... فقد ظهر منها حرص النبي ﷺ
على مصلحة أصحابه ، وهو يتأخر عن ركبتهم ، ليساعد ضعيفهم ،
وبعين محتاجهم ، ليعود كل غاز إلى المدينة سالما ، وطبق رسول الله ﷺ
بهذا العمل المبدأ الأخلاقي ، فكان خادما للقوم وهو كبيرهم .

وكان ﷺ يناقش من يلقاه متأخرا عن سبب تخلفه ، بأسلوب رقيق
، ويعرف مشكلته ، ويحل له العقبات التي تؤخره عن الركب ، ويوجه

(١) صحيح البخاري - كتاب البيوع - باب شراء الدواب والحمير .

(٢) صحيح ابن حبان - كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة ، حديث رقم : ٧٢٥٠ .

أصحابه نحو الحكم الشرعي لكل أمر حدث لهم .

ورأى الصحابة - رضوان الله عليهم - حسن خلق رسول الله ﷺ

عمليا ، وعلموا قيمة مكارم الأخلاق في الحياة .

وعرف رسول الله ﷺ جابرا ﷺ حكما شرعيا طبقه عمليا ، وهو أنه

يستحب لكل مسلم أن يقوم به حين أمره أن يأتي المسجد حين قدومه من السفر ، ويصلي ركعتين ، وبهذا وبغيره من الأدلة ، أصبح معلوما من أحكام الشريعة استحباب أن يقدم المسافر إلى المسجد حال قدومه من السفر ، ويصلي فيه ركعتين قبل أن يرجع إلى بيته .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب استحباب القدوم إلى المسجد حين العودة من

السفر قبل الذهاب لبيته ، وصلاة ركعتين شكرا لله تعالى .

- ه -

ركائز الدعوة في أحاديث الباب

يتضمن حديث الباب عددا من الركائز ... أهمها :-

الركيزة الأولى

حسن معاملة النبي ﷺ لأصحابه

تميز رسول الله ﷺ بحسن معاملته لأصحابه ، وشفقته عليهم ،

وحرصه على تحقيق مصالحهم ، ومساعدتهم في كل ما يحتاجون .

ففي الغزوة التي يتحدث عنها حديث الباب يتخلف رسول الله ﷺ

عن الركب ليعين الضعيف ، ويساعد المحتاج ، ويتعامل مع من يلتقي به

بالحسنى، ويكلمه بما يرضيه ، ويرفع الألم عنه .

وكان ﷺ يخدم أصحابه وهو قائدهم المحبوب الذين يعبدون الله تعالى بطاعته ، والذين يعلمون أنه ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾^(١) .

فها هو جابر بن عبد الله ﷺ يتخلف عن الركب ، لضعف ناقته ومرضها ، فيلحق به رسول الله ﷺ ، ويؤنسه، ويشترى منه جملة ، ويزيل ضعفه بنخسة من يده الشريفة ، ولما اطمأن رسول الله ﷺ على الركب ، سبقه إلى المسجد ليعظهم عندما يصلون إليه ، فلما وصل جابر ﷺ إلى المسجد رحب به ﷺ ، وأمره أن يصلي ركعتين بالمسجد الآن، وعند القدوم من كل سفر ... وأكرمه وأعاد له جملة ، وترك له ثمنه هدية منه ﷺ .

وهكذا يتعلم المسلمون حكما شرعيا هو استحباب صلاة ركعتين عند الرجوع من السفر قبل الدخول على أسرته وبيته شكرا لله على السلامة ، ويرون الخلق الكريم الذي يجب أن يسود بينهم ، وأن يكون خلق الحاكم صورة من خلق رسول الله ﷺ .

الركيزة الثانية قيمة المسجد في الحياة الإسلامية

المسجد هو بيت الله في الأرض ، جعله الله تعالى مهبط بركته ، واتخذ المسلمون منطلق أعمال المجتمع ، وحاجاته ، فمنه خرجت الجيوش ، وهو بيت الحكم واستقبال الوفود ، ومكان التعليم، ودار الشفاء .
وقد اهتم المسلمون بالمسجد ، وعلموا مقامه في المجتمع والحياة، وعند الله تعالى ، ودوره في مختلف أنشطة المسلمين ، فاتخذوا المسجد الجامع في كل بلد مسلم ، وجعلوه مجمعا للعبادة ، والحكم، والعلم ، وكافة

(١) سورة النساء الآية : ٨٠ .

الأنشطة الاجتماعية .

وشرع الله تعالى للمسجد ما يحقق غاية المسلمين ، ويربطهم به ، فجعله مكان الجماعة ، واستحب من المسلمين أن يحيوه بالصلاة إذا دخلوا فيه ... وأن يأتوا إليه ليصلوا فيه ركعتين كلما قدموا من سفر . وعاش المسلمون ، وللمسجد مكانه ومكانته عندهم ، وحافظوا على ما استحبه رسول الله ﷺ ، وظلوا يحيون المسجد عند دخوله ، ويأتون إليه والصلاة فيه إذا قدموا من سفر ، وتميزت المجتمعات الإسلامية بتعمير المساجد مبنى ومعنى ، فكان المسجد الجامع في كل مدينة وقرية هو أعظم المؤسسات فيها ، لا يساويه بناء آخر .

ومن الواقع المألوف أنه كلما صدق المسلمون مع الله تعالى انزلوا المسجد منزلته ، وكلما بعد المسلمون عن دينهم انصرفوا عن المسجد إلى دور اللهو والعبث ، وملأوا المسارح ، ودور السينما وأقاموها بأجمل الأشكال ، وأحلى البناءات ، وهجروا المساجد ، وبيوت الله .

إن المساجد هي بيوت الله تعالى ، أقيمت للعبادة والتقوى ، وأنشئت على الطهر والصلاح ، وجدير للمسلمين أن يعمروها بالعبادة كما أسسوها بالتشييد والبناء ، وأن يستمروا على الغاية التي أسسوا المساجد لها . يقول الله تعالى : ﴿ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيمُمْ شَخِرَةً وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿ (١)

(١) سورة النور الآيتان ٣٦ ، ٣٧ .

وعلى المسلمين أن يتقنوا فهم العودة إلى الله تعالى ، والحساب والجزاء
ليعلموا ويحذروا ، لقول الله ﷻ : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١ ﴾^(١).

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد حديث الباب

نستنبط من حديث الباب الفوائد التالية :-

- ١- حرص رسول الله ﷺ على مصلحة أمته ، بأقواله لهم ، وعمله معهم .
- ٢- ضرورة الرفق بالناس وإرشادهم بأناة .
- ٣- يستحب القدوم إلى المسجد ، وصلاة ركعتين حين الرجوع من السفر .
- ٤- الأحكام الشرعية نشأت تالية للفعل ، وعمت كل أعمال الناس .
- ٥- دقة النظام الإسلامي في سفر الجيش وحركته .
- ٦- انتشار مكارم الأخلاق في الجيل الرائد للمسلمين .

(١) سورة النور الآية : ٦٣ .

- ١١ -

١٣ - باب استحباب صلاة الضحى
وأن أقلها ركعتان

حديث عائشة ل قَالَتْ: إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيَدْعُ الْعَمَلَ [٤١٦]، (١)

وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ خَشْيَةً أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيُفْرَضَ ١١٢٨

عَلَيْهِمْ ، وَمَا سَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُبْحَةَ الضُّحَى قَطُّ ، وَإِنِّي
لَأُسَبِّحُهَا (١)

حديث أم هانئ ل عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى ؓ قَالَ: مَا أَنْبَأَنَا [٤١٧]، (٢)

أَحَدًا أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى الضُّحَى غَيْرَ أَمْ هَانِيٍّ ذَكَرْتُ ١١٠٣

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ فَتَحَ مَكَّةَ اغْتَسَلَ فِي بَيْتِهَا، فَصَلَّى ثَمَانِ
رَكَعَاتٍ، فَمَا رَأَيْتُهُ صَلَّى صَلَاةً أَخَفَّ مِنْهَا غَيْرَ أَنَّهُ يُتِمُّ
الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ (٢).

حديث أبي هريرة ؓ قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلَاثٍ، لَا أَدْعُهُنَّ [٤١٨]، (٣)

حَتَّى أَمُوتَ: صَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلَاةُ الضُّحَى، ١١٧٨
وَنَوْمٌ عَلَى وَتَرٍ (٣).

(١) أخرجه البخاري في: ١٩ كتاب التهجد: ٥ باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل

من غير إيجاب، وللحديث رواية أخرى في صحيح البخاري تحت رقم: ١١٧٧ .

(٢) أخرجه البخاري في: ١٨ كتاب تقصير الصلاة: ١٢ باب من تطوع في السفر في غير دبر الصلوات وقبلها ، وللحديث روايات أخرى في صحيح البخاري تحت رقم: ١١٧٦ ، ٤٩٧٢ .

(٣) أخرجه البخاري في: ١٩ كتاب التهجد: ٣٣ باب صلاة الضحى في الحضر ، وللحديث

رواية أخرى في صحيح البخاري تحت رقم: ١٩٨١ .

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب مشروعية صلاة الضحى ، وكيفية صلاة رسول الله ﷺ صلاة الضحى ، واهتمامه ﷺ بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وصلاة الوتر .

- ب -

الدلائل اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على ثلاثة أحاديث، نتحدث عن صلاة الضحى ، وصوم ثلاثة أيام من كل شهر ، وصلاة الوتر .

ففي الحديث الأول : تقول السيدة عائشة **ل** (إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيَدْعُ الْعَمَلَ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ خَشْيَةً أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ) أي إن الشأن والحال في رسول الله ﷺ أنه كان يترك العمل المشروع ندبا في بعض الأحيان مخافة أن يعمل به الناس فيفرضه الله عليهم ، وكان ﷺ (يحب ما خف على الناس من الفرائض) ^(١). وفي الحديث أنه (ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ، ما لم يكن إثما) ^(٢) .

وفي ترك النبي ﷺ المداومة على صلاة الضحى حتى لا تفرض على الناس ، شبه بما فعله ﷺ مع قيام شهر رمضان ، فإنه (ﷺ صلى ذات ليلة في رمضان في المسجد ، فصلّى بصلاته ناس ، ثم صلى من

(١) صحيح ابن خزيمة ، كتاب الصيام ، باب ذكر علة قد كان ﷺ يترك ، حديث: ١٩٥٥

(٢) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي ﷺ .

القابلة فكثرت الناس ، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ ، فلما أصبح قال : " قد رأيت الذي صنعتم ولم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم وذلك في رمضان) (١) .

وقد أحب رسول الله ﷺ صلاة الضحى ، لولا ما عارضه من خشية الافتراض على الناس ، فيعجزوا عن القيام بها بصورة كلية أو جزئية .

فإن قيل : كيف تفرض صلاة أخرى وقد تم الفرض في ليلة الإسراء فقد فرض الله تعالى على المسلمين في ليلة الإسراء خمس صلوات وجعل لها أجر خمسين صلاة ؟

أقول : معنى قوله يفرض عليهم أي يظنونه فرضا ، فيوجبون أداء التراويح على أنفسهم تبعاً لظنهم ، وتأتي الأجيال من بعدهم ، وتلتزم بما التزم به الجيل الأول .

تقول السيدة عائشة **ل** (وما سبَّحَ رسولُ اللهِ ﷺ سُبْحَةَ الضُّحَى قَطُّ، وَإِنِّي لَأُسَبِّحُهَا) ، أي إن السيدة عائشة **ل** لم تر الرسول ﷺ يصلي صلاة الضحى في بيتها إلا أنها تصلّيها لعلمها بمشروعيتها ، ولم ينكر عليها رسول الله ﷺ .

وعدم رؤية عائشة ل لصلاة رسول الله ﷺ الضحى في بيتها لا ينفي صلاة النبي ﷺ صلاة الضحى ، لاحتمال أنه ﷺ لم يكن

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل .

عند عائشة **ل** في وقت الضحى إلا نادرا ، فهو في هذا الوقت كان مشغولا بمصالح المسلمين ، أو مسافرا ، أو في المسجد ، ولو ثبت أنه كان عندها ، فهي تتحدث عن يوم من تسعة أيام موزعة على زوجاته عليه السلام التسع .

وأما قول ابن عمر **م** إن (صلاة الضحى بدعة) ^(١) . فمراده أن صلاتها في المسجد ، والتظاهر بها ، والمداومة عليها بدعة ، وما عدا ذلك فلا بدعة فيها ، وقد فرق العلماء بين البدعة اللغوية والبدعة الاصطلاحية ، فأباحوا البدعة اللغوية لأنها تشمل كل مشروع جديد له دليل شرعي ، وحرموا البدعة الاصطلاحية لأنها تعني إدخال عبادة في الدين ليست منه ، ومما يؤيد هذا أن مراد ابن عمر **م** البدعة اللغوية قوله " صلاة الضحى بدعة ، ونعمت البدعة " ^(٢)(٣) .

وفي الحديث الثاني : يقول ابن أبي ليلى رضي الله عنه : (مَا أَنْبَأَنَا أَحَدٌ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى الضُّحَى غَيْرُ أُمِّ هَانِيٍّ) .

وأم هانئ **ل** هي شقيقة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، بنت عم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكان لها بيت في مكة ، وقد نزل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيتها يوم فتح مكة ، وهذا القول مبني على نفي الواقع لا على نفي الواقعة ، فإن أحدا لم يخبر ابن أبي ليلى بوقوعه حتى يذكره ، لكن غيره من

(١) المعجم الكبير للطبراني ، حديث رقم : ١٣٢٩٩ .

(٢) المعجم الكبير للطبراني ، حديث رقم : ١٣٣٤٤ .

(٣) فتح الباري ج ٣ ص ٥٢ .

الصحابة ذكروا أنهم رأوا ، وسمعوا ، وثبت عندهم أن رسول الله ﷺ صلى الضحى ، فلا حجة في قول ابن أبي ليلى ، والأحاديث الواردة في أنه ﷺ صلى الضحى ، وأمر بها ترد عليه ، وفي استثناء ابن أبي ليلى ﷺ أم هانىء **ل** ، وقوله أنها هي التي أخبرته دليل يثبت أن النبي ﷺ صلى الضحى ، وهذا كاف في الاستدلال ، وقد فصلت أم هانىء **ل** كيفية صلاة النبي ﷺ الضحى في بيتها فـ(ذَكَرْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ اغْتَسَلَ فِي بَيْتِهَا ، فَصَلَّى ثَمَانِ رَكَعَاتٍ) أي أن رسول الله ﷺ صلى الضحى ثماني ركعات يوم الفتح ، وشهدت بذلك أم هانىء **ل** . تقول أم هانىء **ل** (فَمَا رَأَيْتُهُ صَلَّى صَلَاةً أَخَفَّ مِنْهَا غَيْرَ أَنَّهُ يَتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ) أي إن رسول الله ﷺ لم يطل صلاة الضحى ، إلا أنه خففها ، وأتم الركوع والسجود .

وفي الحديث الثالث : يقول ابو هريرة رضي الله عنه : (أَوْصَانِي خَلِيلِي) والمراد به رسول الله ﷺ .

والخليل : هو الحبيب الخالص في حبه ، والعاشق في مودته فقد تخلل الحب قلبه فملكه ، وصار سببا لأقواله وأفعاله ، ودرجة الخليل أعلى وأعظم من درجة الصاحب ، والصديق ، فهي تتميز عن الصحبة بكونها من الجانبين صافية قوية ، شاملة للروح ، والقلب ، والود ، والرحمة ، وقد تخلو الصحبة من ذلك أو بعضه ، ودرجة الصديق تقوم على الصدق ، والصراحة ، والتعاون ، وفيها يكون المدح واللوم ، ودرجة الخليل تقوم على الهيام ، والعشق ، والتعلق ، والتفاني ، لقول النبي ﷺ : (لَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا

خليلا غير ربي ، لاتخذت أبا بكر خليلا ، إن صاحبكم خليل الله^(١) . فقد اتخذ رسول الله ﷺ ربه خليلا لا صاحبا ، وأيضا فإن الخلّة تشمل الصّحبة ، والصداقة ، والمحبة ، وهم أعم منها .

ومعنى (أَوْصَانِي خَلِيلِي) أي طلب مني رسول الله ﷺ أمورا أفعلها هي خير لي في ديني ، ودنياي ، وحياتي ، ومعاشي ؛ لأن الوصية لا تكون إلا في خير .

(بِثَلَاثٍ، لَا أَدْعُهُنَّ حَتَّى أَمُوتَ) أي أوصاني رسول الله ﷺ بالمواظبة على ثلاثة من العبادات المسنونة إلى أن يأتيني أجلي وأموت ، هذه الأمور الثلاثة هي :

الأولى : (صَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ) ، وهي الأيام البيض ، الثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر من كل شهر عربي .

الثانية : (وَصَلَاةِ الضُّحَى) وفي هذا دلالة على استحبابها ، وعدم مواظبة النبي ﷺ على المداومة عليها لا ينافي استحبابها ؛ لأن الحكم ثابت بالقول وهو أقوى من الفعل .

وليس من شرط الحكم الشرعي تضافر القول والفعل، لكن ما واطب النبي ﷺ على فعله يرجح على ما لم يواظب عليه ، ما لم تكن عدم المواظبة لعلّة وسبب .

الثالثة : (وَنَوْمٍ عَلَى وَتْرٍ) وفي ذلك استحباب تقديم الوتر على

(١) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي بكر الصديق ،

النوم لمن لا يثق في الاستيقاظ .

والحكمة في الوصية بالمحافظة على هذه العبادات الثلاثة تمرين
النفس على جنس الصلاة والصيام ، ليدخل المسلم في الواجب وهو
منشرح ، وليجبر ما لعله وقع في الفرض من نقص وحتى لا يطول عليه
الوقت بلا عبادة ففي صيام ثلاث أيام تعود على استمرار الصيام حتى
يجيء رمضان ، وفي صلاة الضحى قطع لطول الوقت بين الفجر
والظهر ، وفي صلاة الوتر قطع لطول الوقت بين العشاء والفجر .

ومن فوائد ركعتي الضحى : أنها تجزئ عن الصدقة التي تصبح
على مفاصل الإنسان في كل يوم ، يقول ﷺ : (كل سلامى من الناس
عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس ، يعدل بين الاثنين صدقة ،
ويعين الرجل على دابته فيحمل عليها ، أو يرفع عليها متاعه صدقة ،
والكلمة الطيبة صدقة ، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة ، ويميط
الأذى عن الطريق صدقة)^(١)

وروى مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه قال : (يصبح على كل
سلامى من أحدكم صدقة ، فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ،
وكل تهليل صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي
عن المنكر صدقة ، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى)^(٢) .

ونورد هنا بعض التنبيهات هي :-

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب من أخذ بالركاب ونحوه .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب صلاة الضحى ، حديث

الأول : اقتصر ﷺ في الحديث على الوصية بالأمر الثلاثة المذكورة ؛ لأن الصلاة والصيام أشرف العبادات البدنية ، ولم يكن المذكورون من أصحاب الأموال حتى يأمرهم بصدقة ، وخصت الصلاة بشيئين ، لأنها تقع ليلا ونهارا ، بخلاف الصيام ، فإنه يقع نهارا فقط .

الثاني : ليس في حديث أبي هريرة ؓ التقيد بحضر ولا سفر ، فهو يتضمن الحضر ، وحمله على الحضر والسفر ممكن ، اما حمله على السفر دون الحضر فبعيد .

الثالث : لم يتناول الحديث العبادات المفروضة من صوم وصلاة وزكاة وحج ؛ لأنها معلومة مقررة وأدلتها كثيرة واضحة ، وكل مسلم يعرفها ويحتاج لمن يذكره بمشروعية غيرها .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

يناجي العبد ربه في صلاته ، وحاجته إلى هذه المناجاة بالغة ، ولذلك وزع الله تعالى الصلوات على اليوم واللييلة ... ولما كان الوقت يطول بين العشاء والفجر ، وبين الفجر والظهر ، شرع الله لهذين الوقتين ، صلاة التهجد والوتر ليلا ، وصلاة الضحى نهارا ، ولم يؤكد رسول الله ﷺ صلاة الضحى كما أكد على صلاة التهجد ، حتى لا يثقل على الناس نهارا لانشغالهم بأعمالهم ، ومعاشهم ، وكما دعا رسول الله ﷺ إلى الصلاة في الليل والضحى دعا إلى الصوم يوم الاثنين والخميس ، وثلاثة أيام من كل شهر ، وعاشوراء .

وتأتي أحاديث الباب ، لتأكيد استحباب صلاة الضحى مع مراعاة التخفيف فيها ، والاكتفاء بما أمكن من ركعات ، فقد صلى النبي

ﷺ الضحى ركعتين ، وأربعاً ، وستاً ، وثمان ، وأثنى عشر ، ليختار منها المسلم ما يناسبه .

وقد جمع ابن القيم الأقوال في مشروعية صلاة الضحى فبلغت خمسا هي :-

الأول : استحباب صلاة الضحى على اختلاف عدد ركعاتها وأقلها ركعتان وأكثرها ثمان أو اثنتا عشرة .

الثاني : أن صلاة الضحى لم تشرع إلا لسبب ، فقد صلى النبي ﷺ الضحى في مكة بسبب الفتح ، وصلاها يوم فتح خيبر ، وصلاها حين بشر برأس أبي جهل ، وكل هذه صلوات شكر وقعت في الضحى

الثالث : لا تستحب صلاة الضحى أصلا وصح أن عبد الرحمن ابن عوف وابن مسعود م لم يصليا الضحى لعدم استحبابها ، لدليل ثبت عندهما إلا أن موقفهما لا ينفي ما ثبت بأدلة أخرى عند غيرهم .

الرابع : استحباب صلاة الضحى تارة ، وتركها تارة أخرى بحيث لا يواظب عليها ، ودليل هؤلاء ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال : (كان رسول الله ﷺ يصلي الضحى حتى نقول : لا يدعها ، ويدعها حتى نقول : لا يصلّيها)^(١)

الخامس : استحباب صلاة الضحى في البيوت ، لأمن الخوف من المواظبة على صلاتها أمام الناس في المسجد^(٢) .

(١) مسند أحمد بن حنبل ومن مسند بني هاشم ، حديث رقم : ١٠٩٣٩ .

(٢) فتح الباري ج ٣ ص ٥٥ طبعة السلفية .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب استحباب صلاة الضحى ، وقد بين الفقهاء التفاصيل الفقهية للصلاة ، وعدد ركعاتها ، وشروطها ، وآدابها ، وقد تعددت أحكام الضحى على نحو ما بينت .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن احاديث الباب على عدد من الركائز ... أهمها :-

الركيزة الأولى

شفقة النبي ﷺ بأمة

خلق الله تعالى محمدا ﷺ وصنعه للرسالة ، وأرسله للناس أجمعين ، مبشرا ونذيرا ، وأودع في عمله وسلوكه الرأفة ، والشفقة بالمسلمين أجمعين ، وكان من هذه الشفقة أن رسول الله ﷺ كان يتخفى في صلاة الضحى ، ويصلّيها في بيته بعيدا عن أصحابه ، حتى لا يتصور الصحابة فرضيتها ، ويستمرون في أدائها فتفرض عليهم ، وأخبرهم بذلك وهو يحثهم على أداء صلاة الضحى ، ويعرفهم بعدد ركعاتها ، وأنها لا تقل عن ثنتين ، وأكثرها اثنا عشرة ركعة ، وللمسلم أن يختار العدد الذي يناسبه .

إن رسول الله ﷺ رحمة مهدها للأمة ، فقد حمل الوحي لها ، وبلغها دين الله تعالى ، وحدد المنهج المستقيم الذي يضع كل سالك في طريق الفوز والفلاح .

الركيزة الثانية حاجة المخلوق لله تعالى

تسعد الأرواح بالعودة إلى الله تعالى ، والاتصال به ، والرجوع من حيث أتت ، وينشد الجسد الرجوع للأرض ، بينما الروح ترجو الاتصال بالله تعالى ، وأقوى حالات الاتصال الروحي تكون في الصلاة ، ففيها يحرم الإنسان على نفسه أعمال الدنيا ، ويتركها بتكبير الإحرام ، ويعيش مع القرآن والذكر ، والركوع والسجود ، مستحضرا جلال الله وكماله ، واطلاعه عليه ، وبذلك تصفو مشاعره ، وتتجدد أحاسيسه وأمانيه .

وكان من حكمة الله في التشريع أن وزع الصلاة على اليوم واللييلة للإرتقاء بالروح شيئا فشيئا ، والتخلص من الهموم التي تعترها بين الفينة والفينة ، وكان ﷺ إذا حز به أمر لجأ إلى الصلاة ، وكان ﷺ يقول لبلال

ﷺ : (أرخنا بها يا بلال) ^(١)

وحتى يستمر المسلم في جنابات عفو الله ورحمته ، شرع الله صلاة قيام الليل ، بين العشاء والفجر ، قطعاً لطول هذه المدة ، وشرع صلاة الضحى ، لتقطع طول المدة بين الفجر والظهر .

وحتى لا تؤدي صلاة الضحى إلى إهمال أعمال المعاش شرعها الله صلاة خفيفة أقلها ركعتان خفيفتان .

إن المسلم في حاجة دائمة إلى معونة الله تعالى ، والصلاة هي الطريق الأسرع للاتصال به ، وأقوى وسيلة لتحقيق العبودية القانئة ، والفوز برضى الله ورضوانه .

(١) المعجم الكبير للطبراني : حديث رقم : ٦٠٨٨ .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الأحاديث

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية : -

(١) كمال شفقة النبي ﷺ بأمته ، ومخافته أن تكثر الفرائض عليهم .

(٢) محاورة الفقهاء في الحكم دليل عمق فهمهم ، ودقة مناقشتهم ، وسعة علمهم بسنة رسول الله ﷺ ونظرتهم الثاقبة في أوجه الاستدلال بالنصوص .

(٣) أتاحت الشورى المشروعة للفقهاء إثراء الفقه ، وتقديم الأحكام الصالحة للناس .

(٤) عظم صلاة الضحى ، واستحباب القيام بها .

(٥) استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر .

(٦) استحباب صلاة الوتر قبل النوم لمن لم يأمن الاستيقاظ .

- ١٢ -

١٤ - باب استحباب ركعتي سنة الفجر
والحث عليهما

- (١) [٤١٩] حديث حفصة ل أن رسول الله ﷺ كان إذا اعتكف المؤذن للصبح ، وبدا الصبح ، صلى ركعتين خفيفتين قبل أن تُقام الصلاة (١)
- ٦١٨
- (٢) [٤٢٠] حديث عائشة ل أنها قالت: كان النبي ﷺ يصلي ركعتين خفيفتين بين النداء والإقامة من صلاة الصبح (٢).
- ٦١٩
- (٣) [٤٢١] حديث عائشة ل قالت : كان النبي ﷺ يخفف الركعتين اللتين قبل صلاة الصبح ، حتى إني لأقول هل قرأ بأَم الكتاب (٣)
- ١١٧١
- (٤) [٤٢٢] حديث عائشة ل قالت: لم يكن النبي ﷺ على شيء من النوافل أشد منه تعاهداً على ركعتي الفجر (٤).
- ١١٦٩

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أهمية صلاة ركعتين نافلتين ، قبل صلاة الفجر ، بين الأذان والإقامة بلا تطويل فيهما .

(١) أخرجه البخاري في: ١٠ كتاب الأذان: ١٢ باب الأذان بعد الفجر ، وللحديث روايات أخرى في صحيح البخاري تحت رقم : ١١٧٣ ، ١١٨١ .

(٢) أخرجه البخاري في: ١٠ كتاب الأذان: ١٢ باب الأذان بعد الفجر ، وللحديث رواية أخرى في حديث البخاري تحت رقم : ١١٥٩ .

(٣) أخرجه البخاري في: ١٩ كتاب التهجد: ٢٨ باب ما يقرأ في ركعتي الفجر

(٤) أخرجه البخاري في: ١٩ كتاب التهجد: ٢٧ باب تعاهد ركعتي الفجر ومن سماها تطوعاً

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على أربعة أحاديث تبين محافظة النبي ﷺ على صلاة ركعتين خفيفتين ، بعد آذان الفجر وقبل الإقامة .

ففي الحديث الأول : يقول عبد الله بن عمر **م** أخبرتني أم المؤمنين حفصة **ل** (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اعْتَكَفَ الْمُؤَدِّنُ لِلصُّبْحِ) أي إن أم المؤمنين حفصة **ل** أخبرت عبد الله بن عمر **م** بما كان يفعله رسول الله ﷺ قبل أداء فريضة الفجر ... (كَانَ ﷺ إِذَا اعْتَكَفَ الْمُؤَدِّنُ) أي أخذ يرقب وقت الفجر ، وينتظره ليؤذن عند أول إدراكه . (وَبَدَا الصُّبْحُ) أي وظهر وقت الصبح ، ووقع ، وأذن المؤذن . (صَلَّى) رسول الله ﷺ (رَكَعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ تَقَامَ الصَّلَاةُ) ، أي كان ﷺ يصلي ركعتين خفيفتين قبل الإقامة ، وهذا يدل على استحباب المسارعة إلى أداء ركعتي السنة بعد الآذان ، وقبل الإقامة .

وهو ما عناه الحديث الثاني ، الذي روته السيدة عائشة **ل** وفيه تقول : (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ بَيْنَ النَّدَاءِ وَالْإِقَامَةِ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ) ، فتحدد وقت أداء الركعتين وكيفيتهما كما جاء في الحديث الأول .

وفي الحديث الثالث : تقول السيدة عائشة **ل** : (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُخَفِّفُ الرِّكَعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الصُّبْحِ ، حَتَّى إِنِّي لَأَقُولُ هَلْ قَرَأَ بِأَمِّ الْكِتَابِ) أي إنه ﷺ كان يخفف صلاة سنة الفجر ، ويؤديها بسرعة

واضحة مع التمام ، حتى إن السيدة عائشة **ل** تظن أنه ﷺ لم يقرأ الفاتحة ، وتسأل نفسها : (هل قرأ بأَمِّ الْكِتَابِ) ؟ وليس معنى هذا أنها شكت في قراءته ﷺ الفاتحة ، ولكنه يفيد أنه ﷺ كان يخفف ركعتي النافلة في الفجر ، حتى صار كأنه لم يقرأ الفاتحة فيهما لقصرهما بالنسبة لغيرهما من النوافل .

وفي الحديث الرابع : تقول السيدة عائشة **ل** : (لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى شَيْءٍ مِنَ النَّوَافِلِ أَشَدَّ مِنْهُ تَعَاهُداً عَلَى رَكْعَتِي الْفَجْرِ) أي أنه ﷺ كان أكثر تعاهدا ومحافظة على أداء ركعتي الفجر ؛ لأنه ﷺ ما ترك السنة عموما إلا نادرا ، وكانت محافظته على صلاة سنة الفجر أكثر من غيرها

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

صلاة الصبح من أفضل الصلوات ، ففيها يجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار ، ومعها توزع الأرزاق ، وفيهما ترفع أعمال اليوم السابق .
وقد فرض الله تعالى صلاة الصبح ركعتين ، تخفيفا للناس ، وتيسيرا عليهم ، ليقوموا من نومهم ، ويؤدوا فريضة الله ، ويتركوا لذة النوم والراحة ، ولذلك كان ﷺ يبالغ في تخفيف صلاة الفجر ، وصلاة الركعتين قبلهما ، وكان ﷺ يقول عن سنة الفجر : (ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها) ^(١)
، وقد واطب عليهما ﷺ في السفر والحضر على سواء .

(١) صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب ركعتي الفجر حديث ١٢٢٨

وقد أجمع الفقهاء على تخفيف ركعتي السنة ، قبل صلاة الفجر ، ولهم في التخفيف ثلاثة آراء : -

الرأي الأول : تخفيف القراءة في ركعتي الفرض حتى أن أصحاب هذا الرأي قالوا تكفي قراءة الفاتحة فقط ، وهو مذهب المالكية .

الرأي الثاني : تخفف القراءة ، فتقرأ الفاتحة وسورتين قصيرتين وقد ثبت أنه ﷺ كان يصلي في ركعتي الفجر بسورتين (الكافرون ، والصمد) ، وهذا مذهب الشافعية .

الرأي الثالث : لا بأس بإطالة القراءة في ركعتي الفجر ، وهو مذهب الاحناف .

والحكمة في تخفيف صلاة سنة الفجر : تنشيط المصلي ليتأهب ويستعد لصلاة للفريضة بلا تعب أو مشقة ، ولذلك استحب للمصلي أن يستريح بعد الفريضة ليبدأ نشاط النهار .

ومن تشديد العناية بسنة الفجر قال العلماء بقضائها إن فاتت بعد صلاة الصبح ، أو بعد طلوع الشمس ، وذهب الاحناف إلى عدم قضائها ^(١) .

وقد ذهب مالك والجمهور ، إلى كراهة أن يصلي المصلي أكثر من ركعتين نافلة للفجر ، فإن صلى أكثر من ركعتين فصلاته مكروهة وذهب غيرهم إلى أن الكراهة لا تحدث إلا في الصلاة التي تكون بعد صلاة ركعتي السنة ، وقال الشافعية لا تدخل السنة إلا بعد صلاة الفرض ^(٢) .

(١) فتح الباري ج ٣ ص ٤٦ .

(٢) فتح الباري ج ٣ ص ٤٩٩ - ٥٠٠ .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب ضرورة المحافظة على ركعتي سنة الفجر ، وأدائها بين الأذان والإقامة ، والتخفيف فيهما ، ويستحب تعهدها وأداؤها أكثر من غيرها من السنن .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب ركيزة هامة هي : -

واقعية التشريع الإسلامي

أنزل الله تعالى دينه للناس مناسبا لطاقتهم ، وواقعهم ، وبالرغم من أنه إلهي نزل من عند الله تعالى ، إلا أنه بشري في التطبيق والمسار ، والنتائج ، وكل ما جاء في الدين يلتقي مع العقل الكامل .

ونلمح واقعية التشريع في كل ما أمر الله به ، فصلاة الفجر تكون في آخر الليل ، وأول النهار ، وهو وقت يحلو فيه النوم ، ولذلك خفف الله صلاته فرضا، ونفلا ليصليها المسلم ، وليعود إلى راحته وسكونه .

وترجع أهمية القيام بصلاة الفجر إلى أن النشاط فيه يؤدي إلى النشاط في أعمال النهار ، كما أن عبادة الله في أول اليوم يجلي روح الإيمان ، وينشط الهمة ، ويربط العبد بربه ، ويذكره بنعمه ، وأفضاله في هذا الوقت المبكر ليداوم على ذلك طوال اليوم .

توصل صلاة الفجر العبد بالله تعالى ، وتسم أعمال اليوم كله بطاعة الله ، وتصرف الإنسان عن وسوسة الشيطان وإغوائه ، يقول النبي ﷺ : (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد ،

يضرب كل عقدة عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقدة ، فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان (^١) .

وصلاة الفجر دليل على استقامة من يؤديها ؛ لأن من هجر لذة النوم للصلاة ، فهو مع غيرها من الطاعات أسرع ، وأقوى ، وأرضى .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الأحاديث

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية : -

- (١) تأكيد البركة في البكور .
- (٢) بدء الأمر عنوان عليه ، ولذا يجب بدء اليوم بالصلاة ، وذكر الله تعالى .
- (٣) ثبوت مثالية الإسلام وواقعيته .
- (٤) العبودية الحقّة امتثال العابد لمنهج المعبود بخشوع ورضى .

(^١) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب عقد الشيطان على قافية الرأس .

- ١٣ -

١٥ - باب فضل السنن الراتبة قبل الفرائض

وبعدهن وبيان عددهن

حديث ابن عمر م قال: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سَجْدَتَيْنِ قَبْلَ

[٤٢٣] (١)

الظُّهْرِ، وَسَجْدَتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ، وَسَجْدَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، وَسَجْدَتَيْنِ

١١٧٢

بَعْدَ الْعِشَاءِ، وَسَجْدَتَيْنِ بَعْدَ الْجُمُعَةِ؛ فَأَمَّا الْمَغْرِبُ

وَالْعِشَاءُ، فَفِي بَيْتِهِ (١)

- أ -

موضوع حديث الباب

يتناول حديث الباب بيان السنن الراتبة للصلوات الخمس ، ومكان أدائها

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يقول عبدالله بن عمر م (صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سَجْدَتَيْنِ قَبْلَ

الظُّهْرِ، وَسَجْدَتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ، وَسَجْدَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، وَسَجْدَتَيْنِ بَعْدَ

الْعِشَاءِ، وَسَجْدَتَيْنِ بَعْدَ الْجُمُعَةِ؛ فَأَمَّا الْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ، فَفِي بَيْتِهِ) أي إن

ابن عمر م صلى مع رسول الله ﷺ النوافل الراتبة مع الصلوات الخمس

، وعد منها ثماني ركعات، أداها ابن عمر م مع رسول الله ﷺ وهي: -

ثنتان قبل الظهر ، وثنتان بعده ، وثنتان بعد المغرب ، ومثلهما بعد

العشاء .

كما صلى ابن عمر م مع رسول الله ﷺ سجدتين بعد الجمعة ،

(١) أخرجه البخاري في: ١٩ كتاب التهجد: ٢٩ باب التطوع بعد المكتوبة

وهذا يفيد أن رواتب الصلاة النافلة ثمان ؛ لأن سنة يوم الجمعة لا تعد منها ، فهي خاصة بصلاة الجمعة .

ومن الحديث نفهم أن صلاة النافلة مثنى مثنى ، كل منها بتسليمة ، وهو ما ذهب إليه الجمهور ، خلافا للأحناف الذين أجازوا صلاة النافلة مهما بلغ عددها بتسليمة واحدة .

ونفهم أن صلاة النافلة تؤدي في المسجد نهارا ، وفي البيت ليلا ، لقوله ﷺ في الحديث : (فَأَمَّا الْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ) فكان ﷺ يصليها (في بيته) .

ونلاحظ أن حديث ابن عمر م لم يتحدث عن سنة الفجر ، مع أنه ﷺ حث عليها حين قال : (لا تدعوها ، وإن طردتكم الخيل)^(١) .

وهي منحصرة في ركعتين خفيفتين ، لا تحتل الزيادة أو النقصان ، كما سبق في الباب السابق ، ولأن ركعتي فرض الصبح أقل الفروض عددا ، فكانت السنة ضرورية معها ، ومكملة لها .

وأحاديث السنة عديدة ، اختلفت في عدد الركعات ، وفي الوقت ، وهذا ما سنتناوله في البيان التحليلي للحديث .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

أورد المحدثون عددا من الأحاديث ، تتناول عدد ركعات النوافل الراجعة مع الصلوات الخمس ، التي اختلف عدد ركعاتها مع عدد ركعات حديث الباب ، الذي رواه ابن عمر م ومن مجمل الأحاديث نرى أن

(١) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب في تخفيفها ، حديث رقم : ١٠٨٠ .

رواتب الصلوات الخمس كمايلي :

١- راتبة صلاة الفجر :

راتبة صلاة الفجر ركعتان خفيفتان ، بين الأذان والاقامة ، وهي أكد الرواتب ، لما ورد فيها من أحاديث عدة .

٢- راتبة صلاة الظهر :

الأكثر من أصحاب الشافعي ، على أن راتبة الظهر ركعتان قبل الظهر ، وركعتان بعده .

وقال الأحناف : راتبة صلاة الظهر أربع قبل الظهر ، وركعتان بعده

٣- راتبة صلاة العصر :

يؤدي المصلي أربع ركعات قبل العصر ، وهي سنة مستحبة ، وليست من الرواتب المؤكدة .

٤- راتبة صلاة المغرب :

راتبة صلاة المغرب ركعتان بعد أداء الفرض، وقال البعض : يصلي المصلي ركعتين قبل المغرب - أيضا - إلا إنها سنة مستحبة ، وليست من الرواتب ، وقد منعها بعضهم .

٥- راتبة صلاة العشاء :

أجمع العلماء على أن رواتب العشاء ، ركعتان بعد الفرض ، وقال البعض : يجوز صلاة ركعتين قبل الفرض استحبابا وليست من الرواتب ، وكرهها بعضهم .

وعلى هذا يكون عدد ركعات الرواتب اثنتي عشرة ركعة ، وأدنى

الكمال عشر ركعات ، هي الثماني الموجودة في حديث الباب ، مع

ركعتي الفجر ^(١) .

ووقت الرواتب القبلية : دخول الوقت إلى أن تقام الفريضة .

ووقت الصلاة البعدية : يبدأ من أداء الفريضة ، إلى أن ينتهي وقت

الصلاة .

وأجاز الجمهور صلاة القبلية مع البعدية ، بعد أداء الفريضة ، ما

عدا سنة الفجر والعصر .

وذهب الجمهور إلى تحديد رواتب للصلوات المكتوبة على النحو المذكور

، إلا أن الإمام مالك - رحمه الله - يرى أنه لا رواتب محددة مع الفرائض

والرواتب لا تقضى بعد فوات وقت الصلاة ، عند الشافعية وأحمد ،

الذين ذهبوا إلى أن الصلاة لن تقضى إذا فات وقت الصلاة .

وأجاز الجمهور للمسافر أداء صلاة الرواتب ، ومنع ذلك غيرهم .

والحكمة في صلاة الرواتب مع الفروض : تكميل ما عساه قد وقع

من نقص في صلاة الفرض ، ولترويض النفس على الطاعة ، والإقبال

على الصلاة ، لأن النفس تحب ما ألقت ، وتميل إلى ما عملت وعلمت ،

وترضى بمسارها الذي عاشت فيه ، فمن راض نفسه على كثرة النوافل

أحب الصلاة كلها ، وصدق من قال :

والنفس كالطفل إن ترضعه شب على ...

حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم.

وأيضا فإن العبد يسعده الاتصال بالله ، ويرضيه حب الله ، وطريق ذلك

هو الاكثار من النوافل .

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٧٩: ٢٨١ بتصرف .

يقول الله تعالى في الحديث القدسي : (.... وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته) (١).

وأیضا فإن الله تعالى أكرم الإنسان ، بأن جعل الحسنة بعشر أمثالها ، وفرض خمس صلوات في اليوم والليلة ، وجعل أجرها أجر خمسين صلاة ، وهذا كرم عظيم من الله تعالى ، يدفع المسلم إلى أن يكثر من النوافل ، شكرا على العطاء والكرم ، وطلباً للمزيد . ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (٢).

وقد وردت الأحاديث مرغبة في صلاة النافلة يقول النبي ﷺ :
(ما من مسلم يصلي كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعا غير الفريضة إلا بني له بيتا في الجنة - أو بني الله له بيتا في الجنة) (٣).
والأحاديث كثيرة تأتي في أبوابها .

وقد فصل الفقهاء في وقت أداء هذه الصلوات ، إلا أن باب التطوع مفتوح لغيرها ، أما الراغبون في حب الله تعالى ، الراجون العلا في مدارج الترقى ، والصعود إلى ربهم الكريم ، والفوز بالجنة والنعيم ، لا يقصرون

(١) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب التواضع .

(٢) سورة الإسراء الآية : ٢٠ .

(٣) مستخرج ابن عوانة باب الصلاة بين الأذان والإقامة ، حديث رقم : ١٦٧١ .

في الطاعة ، ويحبون المزيد في العبادة .
وقد حرص الصحابة رضي الله عنهم على صلاة التطوع ، واقتدوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وتيقنوا أنهم سيلاقون الله تعالى ، واجتهدوا في الاستعداد لهذا اللقاء .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب الصلوات الراتبة التي يؤديها المسلم مع الفرائض
الخمسة ، في اليوم والليلة .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في حديث الباب

يتضمن حديث الباب ركيزة هامة هي :

الصلاة عماد الدين

خلق الله تعالى عباده ليعبدوه ، يقول تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ^(١) . فغاية الخلق عبادة الله تعالى ، لا حاجة ومنفعة . يقول
تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ﴾ ^(٢) .

ويقول تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ ^(٣) .
إن إيجاد الإنسان في الأرض نعمة ، وتسخير الكون والحياة له
كرم ، وتكليفه بالعبادة ابتلاء ، واختباره ومجيء الرسول صلى الله عليه وسلم للناس إرشاد
للطريق المستقيم ، وبيان لكيفية الشكر ، وتذكر لآلاء الله تعالى وآياته ،

(١) سورة الزلزات الآية : ٥٦ .

(٢) سورة محمد الآية : ٣٨ .

(٣) سورة فاطر الآية : ١٥ .

ودعوة واضحة ليعلم الإنسان ما له ، وما عليه ، بالنسبة لنفسه ، وللناس ،
ولله رب العالمين .

لقد خلق الله الإنسان من نطفة قذرة ، وأخرجه من بطن أمه لا
يدري شيئاً ، ورزقه الحواس ، وأعطاه العقل ، وأحاطه بالنعمة ، التي لا تعد
ولا تحصى ، يقول ﷻ : ﴿ وَإِنْ نَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾ ^(١) ، ويقول
الله ﷻ : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ
السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ^(٢).

والمأمول من الإنسان العامل أن يعرف نعم الله ، ويؤدي لله حقه
في الشكر والطاعة .

- أليس الهواء الذي نستنشقه نعمة تستحق الشكر ؟
- أليس الماء الذي نشربه نعمة تستحق الشكر ؟
- أوليس الحيوان ، والطير ، والسمك ، والنبات الذي أوجده الله
نعمة تستحق الشكر ؟ .
- أوليس في الأبدان كما ركبت ، والجوارح كما وظفت ،
والمفاصل
- كما كُونت ، نعمة تستحق الشكر ؟
- إن من ينكر هذه النعم أو بعضها ، عليه ان يتخيل عدمها ،
ويسأل نفسه : كيف أعيش ؟

(١) سورة ابراهيم الآية : ٣٤ .

(٢) سورة النحل الآية ٧٨ .

ويزيد ويسأل عن موجدتها ، وعن من يسرها لعملها ، وجعلها في خدمة حاجات الإنسان ورغباته ، وحياته .

إن نعم الله عديدة ،... ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾^(١).

وقد علمنا رسول الله ﷺ مناهج شكر الله ، وأساسها المحافظة على الصلاة بشروطها وأركانها ، وهيئاتها ، فقد جعلها الله تعالى عنوان شكره ، ووسيلة الاتصال به ، ووعاء الطلب والدعاء والسؤال .

إن الصلاة عماد الدين وأساس التدين ، و (أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ، فإن صلحت صلح له سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله)^(٢).

ولذلك أخذ الرسول ﷺ يعلم الناس الصلاة ، ويعرفهم بأوقاتها ، ويحدد لهم فرائضها ورواتبها ، ونوافلها ، وطرق تهئية الروح والجسد للقيام بها لتجلب لصاحبها المزيد من الخيرات والنعم ، يقول ﷺ : ﴿ لَيْنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾^(٣).

وتجلت رحمة الله تعالى بالناس وهو يبسر لهم أداء الصلاة تامة كاملة ، فأمر بإقامتها لا بمجرد أدائها ، ولقن رسول الله ﷺ الناس علما وعملا كيف تتم إقامة الصلاة .

ونظرا لحالات الضعف ، التي تصيب الإنسان في الصلاة ، شرع

(١) سورة الذريات الآية : ٢١ .

(٢) المعجم الأوسط للطبراني ، باب : الألف ، حديث رقم : ١٨٨٥ .

(٣) سورة إبراهيم الآية : ٧ .

الله السنن والنوافل ، لتكميل ما فاته من إقامة الصلاة على وجهها الصحيح .

إن إجادة الصلاة ، والمحافظة على أركانها ، وشروطها ، وعملها مع الخضوع والخشوع ، أمور تعود على المصلي وحده ، فهو العاجز المحتاج لله ، في صحته وبدنه ، وأهله ، وولده ، وعمله ، وإخوانه ، وهذه من مسلمات وجوده ، وعليه أن يخلص لله ليفوز برضاه ، ويأخذ جزءا من عطاياه فجزاءات الله لا تنفذ ، والله ملك السموات والأرض وما بينهما .

إن العاقل هو من يعرف الخالق بمخلوقاته ، ويعرف الدين من رسول الله ﷺ ، ويلزم نفسه بالخشوع القانت ، والخضوع التام لربه العظيم .

والصلاة هي فرصة العبد في الطاعة ، فهي توصله بالله ، وتفتح أمامه الأبواب المغلقة ، وتنير له الطريق ، وتخرجه بعون الله تعالى من الظلمات إلى النور .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من حديث الباب الفوائد التالية : -

١ - الرسول ﷺ مدرسة معلومة من سيرته ﷺ ، يأخذ المسلمون

المنهج والسلوك .

٢ - على المسلم ان يجتهد في الصلوات ، كما فعل رسول الله

ﷺ .

٣ - حاجة المسلم إلى ربه بالغة ، وعليه ان يتبع المنهج الديني

الموصل لله تعالى

- ١٤ -

**١٦ - باب جواز النافلة قائماً وقاعداً
وفعل بعض الركعة قائماً وبعضها قاعداً**

حديث عائشة **ل** قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي [٤٢٤](١)

شَيْءٍ مِنْ صَلَاةِ اللَّيْلِ جَالِسًا حَتَّى إِذَا كَبَّرَ قَرَأَ جَالِسًا ، فَإِذَا
بَقِيَ عَلَيْهِ مِنَ السُّورَةِ ثَلَاثُونَ أَوْ أَرْبَعُونَ آيَةً ، قَامَ فَقَرَأَهُنَّ
ثُمَّ رَكَعَ ^(١) ١١٤٨

حديث عائشة أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ **ل** أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي [٤٢٥](٢)

جَالِسًا ، فَيَقْرَأُ وَهُوَ جَالِسٌ فَإِذَا بَقِيَ مِنْ قِرَاءَتِهِ نَحْوُ مِنْ ثَلَاثِينَ
أَوْ أَرْبَعِينَ آيَةً قَامَ فَقَرَأَهَا ، وَهُوَ قَائِمٌ ، ثُمَّ رَكَعَ ثُمَّ سَجَدَ ، يَفْعَلُ
فِي الرُّكْعَةِ الثَّانِيَةِ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَإِذَا قَضَى صَلَاتَهُ نَظَرَ ، فَإِنْ كُنْتُ
يَقْضَى تَحَدَّثَ مَعِيَ ، وَإِنْ كُنْتُ نَائِمَةً اضْطَجَعَ ^(٢) ١١١٩

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب جواز صلاة النافلة قائماً ، أو قاعداً ، أو قائماً
وقاعداً معاً ، في ركعة واحدة ، ويتضح ذلك من فعل رسول الله ﷺ .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على حديثين ، يبينان جواز صلاة النافلة قياماً وقعوداً .

(١) أخرجه البخاري في: ١٩ كتاب التهجد: ١٦ باب قيام النبي ﷺ بالليل في رمضان وغيره .

(٢) أخرجه البخاري في: ١٨ كتاب تقصير الصلاة: ٢٠ باب: إذا صلى قاعداً ثم صح أو وجد

خفة تمم ما بقي

ففي الحديث الأول : تقول السيدة عائشة **ل** (ما رأيتُ النَّبِيَّ

ﷺ يقرأُ في شيءٍ من صلاةِ اللَّيْلِ جَالِسًا) أي إنها **ل** لم تر النبي ﷺ

وهو معها في ليلتها ، يقرأ شيئاً من القرآن في صلاته وهو جالس .

ومن تقييد عائشة **ل** الصلاة بالليل ، إخراج للفريضة ، لأن

المراد بصلاة الليل النوافل ، والتهجد ، والقيام.

(حَتَّى إِذَا كَبَرَ قَرَأَ جَالِسًا) أي إنه ﷺ لما كبر سنة صلى وقرأ وهو جالس ،

وكان ذلك قبل وفاته ﷺ بعام ، كما روت ذلك السيدة حفصة **ل**

وقالت : (ما رأيت رسول الله ﷺ صلى في سبحته قاعدا ، حتى كان

قبل وفاته بعام ، فكان يصلي في سبحته قاعدا ، وكان يقرأ بالسورة

فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها) ^(١) ، أي إنه ﷺ لما كبر سنه ،

أخذ يصلي نوافل الليل جالسا ، إبقاء لنفسه ليستديم في الصلاة ، وأنه ﷺ

كان لا يجلس عما يطيقه ، فإن أطاق القيام صلى قائما ، وكان ﷺ يطيل

القراءة ويرتلها حتى تبدو أطول من قراءتها حذرا .

ورواية عائشة **ل** لحديث الباب تفيد أن رسول الله ﷺ لم يصل

جالسا إلا بعد كبره ؛ لأنها **ل** أخبرت عما رأت ، وما لم تره بعيد عن

خبرها، ومن المحتمل أن يكون ما لم تر على غير ما حدثت به .

وتشير السيدة عائشة **ل** إلى حكم آخر ، وهو أنه ﷺ كان يصلي

(١) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب جواز النافلة قائما وقاعدا ،

جزءاً من الركعة جالسا من غير عذر ، ويصلي باقي الركعة قائماً ، (فَإِذَا بَقِيَ عَلَيْهِ مِنَ السُّورَةِ ثَلَاثُونَ أَوْ أَرْبَعُونَ آيَةً ، قَامَ) من قعوده (فَقَرَأَهُنَّ ثُمَّ رَكَعَ) وهذا يدل على جواز الجمع ، بين القعود والقيام في ركعة واحدة .

وفي الحديث الثاني : تؤكد السيدة عائشة **ل** (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي جَالِساً ، فَيَقْرَأُ وَهُوَ جَالِسٌ ، فَإِذَا بَقِيَ مِنْ قِرَاءَتِهِ نَحْوُ مِنْ ثَلَاثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ آيَةً قَامَ فَقَرَأَهَا ، وَهُوَ قَائِمٌ ، ثُمَّ رَكَعَ ثُمَّ سَجَدَ) أي إنه ﷺ كان يبدأ الصلاة جالسا ، فيكبر ويقرأ الفاتحة ، وشيئا من القرآن الكريم ، وكان ﷺ إذا بقي عليه شيء من قراءته نحو من ثلاثين إلى أربعين آية نهض واقفا فآتم قراءته ، ثم يركع بعدها ، ويسجد ، وبذلك تنتهي ركعة .
(وَيَفْعَلُ فِي الرُّكْعَةِ الثَّانِيَةِ مِثْلَ ذَلِكَ) أي يفعل في الركعة الثانية مثل ما فعل في الركعة الأولى ، من بدء القراءة جالسا ، والانتهاء بها واقفا .
(فَإِذَا قَضَى صَلَاتَهُ نَظَرَ) ، أي كان ﷺ إذا انتهى من صلاته نظر إلينا ليعرف أحوالنا ، ويرى كيفية صلاتنا وكيفية عبادتنا ، وليعرف يقظتي وانتباهي .

(فَإِنْ كُنْتُ يَقْظَى تَحَدَّثَ مَعِي) في أمور الدين والدنيا ، وفي أي شأن يريده مني ﷺ استئناسا وحنانا معي .
(وَإِنْ كُنْتُ نَائِمَةً اضْطَجَعَ) أي إن لم أكن مستيقظة ، اضجع على جانبه ، وتركني نائمة لأستريح ولا يقلقني .

وفي هذه الأحاديث دلالة على جواز صلاة نافلة الليل جلوسا مع القدرة على القيام ، وعلى إيقاع بعض الصلاة قاعدا ، وبعضها قائما ،

ولو كان هذا البعض جزء ركعه واحدة .

وفي قول عائشة **ل** (فَأَذَا بَقِيَ مِنْ قِرَاءَتِهِ نَحْوُ مِنْ ثَلَاثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ آيَةً) إشارة إلى طول قراءة النبي ﷺ في صلاة الليل ؛ لأن الباقي يكون أقل من السابق ، فإن كان الباقي ثلاثين أو أربعين آية يكون السابق أكثر من هذا العدد ، وبمجموع السابق والباقي يظهر طول قراءة النبي ﷺ في الليل .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

شرع الله تعالى النوافل تأليفا للطاعة ، وتكميلا للفرائض ، وإكثارا في طلب المغفرة ، والرحمة ، وقد يسر الله تعالى أداءها ، وأجاز الجلوس في أدائها مع القدرة على القيام

وقد فصل الفقهاء في حكم القعود مع صلاة النافلة .

فقالوا : للمتفل أن يصلي قاعدا مع قدرته على القيام ، وله نصف ثواب القائم ، لقوله ﷺ : (من صلى قائما فهو أفضل ، ومن صلى قاعدا فله نصف أجر القائم ، ومن صلى نائما فله نصف أجر القاعد)^(١).

ولو قعد لعذر فله ثواب القائم كاملا ، والأعذار في الصلاة مقررة ، فمن عجز عن القيام صلى قاعدا ، ومن عجز عن القعود صلى مضجعا ، ومن عجز عن الاضجاع صلى نائما يومئذ إيماء برأسه وعينه ، ومن عجز عن كل ذلك ، صلى بعقله وتخيله .

(١) صحيح البخاري ، كتاب : الجمعة ، باب : صلاة القائم بالإيماء ، حديث رقم : ١٠٧٨

والقيام شرط صحة في صلاة الفرض ، مالم يقدر المصلي على القيام ، فإن صلى الفرض جالسا ، مع قدرته على القيام ، فصلاته باطلة ويأثم ، وإن استحل ذلك كفر .

ويستفاد من الأحاديث أن من بدأ صلاته قاعدا لعذر ، ثم زال هذا العذر ، فعليه أن يتم صلاته قائما ، ولو كان التغيير في ركعة واحدة . وهذا رأي أبي حنيفة ومالك والشافعي ، وعامة العلماء ، خلافا لمن تشدد ورأى استئناف الصلاة .

يقول النووي رحمه الله تعالى : يجوز أداء الركعة الواحدة بعضها من قيام ، وبعضها من قعود ، وهو مذهب الشافعي ومالك وأبو حنيفة والجمهور سواء قام ثم قعد ، أو قعد ثم قام ، وحكى القاضي عياض عن أبي يوسف ومحمد صاحبي أبي حنيفة كراهية القعود بعد القيام ^(١) ويقعد من له عذر بالكيفية التي يتمكن منها وله أن يقعد مفترشا أو متريعا ، أو ناصبا ركبته اليمنى أمامه ، كجلوس التلميذ أمام معلمه .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب ، جواز صلاة النافلة قعودا ، مع القدرة على القيام ، وجواز القيام والقعود في الصلاة الواحدة ، وفي الركعة الواحدة ، وأنه لا يجوز القعود في صلاة الفرض إلا لعذر ، فمن قعد في صلاة الفرض من غير عذر تبطل صلاته ويأثم ، وإن استحل كفر كمن يستحل الزنا والربا .

(١) شرح النووي ج ٢ ص ٣٨٣ ، ٣٨٤

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب ركيزة هامة ... وهي : -

فرح الله تعالى بصلاح عباده

الوصول إلى الله تبارك وتعالى سهل لمن أراده ، وعمل له ، إلا أنه يحتاج إلى يقين العامل بالله ، وثقته في كمال حوله وقوته ، وصدقه في عبوديته لربه ، وتمسكه بكل منارات الطريق وضروراته .

إن الطريق إلى الله تعالى سهل ، وواضح ، ومعبد ، يحتاج من مرتاده اتباع المنهج الذي تركه لنا رسول الله ﷺ .

ومن حب الله تعالى لعباده أن عرفهم بحقائق الوجود ، ومساراته بصورة كلية عامة .

- عرفهم بأن الإنسان خلق ليكون عبدا شكورا .
- وعرفهم الدين المرتضى لهم ، بطريق مفصل ومحكم .
- وعرفهم بمجمل الكائنات ، التي خلقها الله تعالى في الكون .
- وعرفهم بأن للحق أعداء ، يعملون ضده ، منذ أن خرج إبليس من الجنة ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها
- وحذرهم من وساوس الشيطان وإغوائاته ، وحدد لهم الوسائل التي تنقذهم من سائر الضلالات .
- وبين لهم الطريق المستقيم ، الموصل إليه سبحانه ، وحثهم على اتباعه ، والبعد عن كل ما يعارضه .
- وحبب إليهم الإيمان ، وزينه في قلوبهم ، وبين لهم آثاره الحسنة في الدنيا وفي الآخرة .

- ويسر لهم الطاعات ، وأحاطها بالرخص ، والأحكام التي تمكنهم من القيام بها ، في حب وإخلاص ورضى

ومن يسر الطاعات مآثره في الصلاة ، فقد جعلها الله تعالى خمسا في العمل ، وخمسين في الأجر والثواب ، ووزعها على اليوم كله ، وشرع لأصحاب الأعذار رخصا تمكنهم من القيام بها ... فللمسافر أن يجمع ويقصر ، وراكب الدابة لا ينزل عنها ، ويتوجه حيث اتجهت به الدابة ، وإباح صلاة النفل قعودا بلا عذر ، وإباح للمرضى أن يصلوا نياما ، وعلى جنوبهم ، وبأعينهم وقلوبهم .

وقبل الله أعذار من له عذر ، واستبدل به حكما آخر فمن لم يجد الماء يتيمم ، ومن يسافر يمسح على الخفين ، والمجروح يمسح على الجبيرة ... ومن يضره الماء يتيمم .

ويعم يسر الله سائر العبادات المحددة ، وغير المحددة ، بل إنه ﷺ وسع مجال العبادة ، فجعلها في كل عمل ، أو قول ، أو حال ، إذا نوى صاحبها سبيل الله ، قاصدا بها وجه الله وحده ، ولكل امرئ ما نوى . يقول النبي ﷺ : (الكلمة الطيبة صدقة ، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة)^(١).

ويقول ﷺ : (تبسمك في وجه أخيك لك صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة ، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة ، وإماطتك الحجر والشوكة

(١) صحيح ابن خزيمة ، كتاب الإمامة في الصلاة ، باب ذكر كتابة الصدقة بالمشي إلى

والعظم عن الطريق لك صدقة ، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة (^(١)).

وأحاديث الباب تدل على ذلك بوضوح ، إلا أنها تتناول جانبا شرعيا واحدا ، ومثلها جوانب الحياة كلها ، كما تدل عليه الأدلة النقلية والعقلية .

إن الله يحب عباده ، ولذلك أرسل لهم الرسل ، ودعاهم إليه وأحاطهم بنعمه وآلائه ، وذكرهم بفضله وكرمه ﴿ نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾ (١١) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿١٢﴾ (^(٢)).

وليعلم كل عاقل : أن الله تعالى يرحب بعبده في كل وقت ، ليهتدي الضالون ، ويتوب العصاة والمنافقون ، وينشط الكسالى الغافلون .

يقول ﷺ : (الله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة ، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها ، فأتى شجرة ، فاضطجع في ظلها ، قد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك إذا هو بها ، قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ، ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح) (^(٣)).

(^١) سنن الترمذي ، الجامع الصحيح - الذبائح ، باب ما جاء في صنائع المعروف ، حديث رقم : ١٩٢٨ .

(^٢) سورة الفرقان الآيتان : ٦١ ، ٦٢ .

(^٣) صحيح مسلم ، كتاب التوبة ، باب في الحض على التوبة والفرح بها ، حديث رقم : ٥٠٣٩ .

إن تيسير العبادات أمام الناس فرصة يجب اغتنامها ، على منهج
الله ورسوله ﷺ ، ليفوز العابدون بولاية الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾^(١).

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد أحاديث الباب

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية : -

- (١) جواز صلاة الليل قعودا للقادرين على الوقوف .
- (٢) اهتمام الصحابة بنقل سنة النبي ﷺ قولاً ، وفعلًا ، وحالاً .
- (٣) يجوز الجمع بين القيام والقعود ، في الصلاة الواحدة ، وفي
الركعة الواحدة .
- (٤) إظهار سماحة الإسلام ، وبعده عن التشدد والمغالاة
- (٥) على من يجهل أمرا دينيا أن يسأل عنه أهل الذكر بلا تردد
فإنه (لا حياء في الدين) .
- (٦) علو منزلة أم المؤمنين عائشة **ل** في رواية الحديث .

(١) سورة محمد الآية : ١١ .

- ١٥ -

١٧- باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ في

الليل وأن الوتر ركعة، وأن الركعة صلاة صحيحة

حديث عائشة ل عَنْ أَبِي سلمة بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ع أَنَّهُ [٤٢٦]، (١)

سَأَلَ عَائِشَةَ: كَيْفَ كَانَتْ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي رَمَضَانَ؟ ١١٤٧

فَقَالَتْ: مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةِ رَكْعَةً .

يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسْلُ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسْلُ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلَاثًا .

قَالَتْ عَائِشَةُ ل : فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُؤْتِرَ؟

فَقَالَ ع : يَا عَائِشَةُ إِنَّ عَيْنِي تَنَامَانِ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي ^(١)

حديث عائشة ل قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ [٤٢٧]، (٢)

ثَلَاثَ عَشْرَةِ رَكْعَةً ؛ مِنْهَا الْوُتْرُ ، وَرَكْعَتَا الْفَجْرِ ^(٢) . ١١٤٠

حديث عائشة ل عَنْ الْأَسْوَدِ ع ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ [٤٢٨]، (٣)

ل كَيْفَ كَانَ صَلَاةَ النَّبِيِّ ﷺ بِاللَّيْلِ ؟ ١١٤٦

قَالَتْ : كَانَ يَنَامُ أَوَّلَهُ ، وَيَقُومُ آخِرَهُ ، فَيُصَلِّي ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى

(١) أخرجه البخاري في: ١٩ كتاب التهجد: ١٦ باب قيام النبي ﷺ بالليل في رمضان وغيره ،

وللحديث روايات أخرى في صحيح البخاري تحت أرقام ٢٠١٣ ، ٣٥٦٩ .

(٢) أخرجه البخاري في: ١٩ كتاب التهجد: ١٠ باب كيف كان صلاة النبي ﷺ وكم كان النبي

يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ .

فَرَاشِهِ، فَإِذَا أَذِنَ الْمُؤَدِّنُ وَثَبَ فَإِنْ كَانَ بِهِ حَاجَةٌ اغْتَسَلَ،
وَالَا تَوَضَّأَ وَخَرَجَ ^(١).

حديث عائشة ل عَنْ مَسْرُوقٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ
أَيُّ الْعَمَلِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ؟ ١١٣٢ [٤٢٩]، (٤)

قَالَتْ: الدَّائِمُ .

قُلْتُ: مَتَى كَانَ يَقُومُ؟

قَالَتْ: كَانَ يَقُومُ إِذَا سَمِعَ الصَّارِخَ ^(٢).

حديث عائشة ل قَالَتْ: مَا أَلْفَاهُ عِنْدِي إِلَّا نَائِمًا تَغْنِي
النَّبِيَّ ﷺ ^(٣). ١١٣٣ [٤٣٠]، (٥)

حديث عائشة ل قَالَتْ: كُلَّ اللَّيْلِ أُوتِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
(٦)، [٤٣١]، ٩٩٦ ، وَانْتَهَى وَثَرُهُ إِلَى السَّحَرِ ^(٤) .

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب عدد ركعات قيام الليل ، وعدد ركعات الوتر ،
ووقتها نقلا من فعل رسول الله ﷺ ، وتوضح الدلالة التي اعتمد عليها
الفقهاء في آرائهم .

(١) أخرجه البخاري في: ١٩ كتاب التهجد: ١٥ باب من نام أول الليل وأحيا آخره

(٢) أخرجه البخاري في: ١٩ كتاب التهجد: ٧ باب من نام عند السحر ، وللحديث روايات في
صحيح البخاري تحت رقم : ٦٤٦١ ، ٦٤٦٢ .

(٣) أخرجه البخاري في: ١٩ كتاب التهجد: ٧ باب من نام عند السحر .

(٤) أخرجه البخاري في: ١٤ كتاب الوتر: ٢ باب ساعات الوتر .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يتكون الباب من ستة أحاديث ، تدور حول قيام الليل ،
وصلاة الوتر ..

ففي الحديث الأول : يسأل الصحابي أبو سلمة رضي الله عنه أم المؤمنين عائشة **ل** (كَيْفَ كَانَتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي رَمَضَانَ) ؟ ...
والسؤال حقيقي وفيه سأل أبو سلمة رضي الله عنه أم المؤمنين عائشة **ل** عن
كيفية صلاة النبي ﷺ في الليل ، كما سألها عن عدد الركعات التي
صلاها رسول الله ﷺ لظنهم ان رسول الله ﷺ كان يصلي كثيرا في بيته
بعيداعن أصحابه .

وانما كان السؤال لأم المؤمنين ؛ لأن أمهات المؤمنين هن
الأعرف بصلاة رسول الله ﷺ في بيوتهن .

وقصد السائل معرفة كيفية صلاة النبي ﷺ في رمضان خاصة ؛
لأن العبادة فيه تكون أكثر إخلاصا ، وكمالا ، فإذا حافظ عليها المسلمون
، كانوا على ما هو أقل منها أحفظ .

فأجابت ل (فَقَالَتْ: مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا
فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةِ رَكْعَةً) أي إن السيدة عائشة **ل** أجابت أبا
سلمة رضي الله عنه وعرفته أن رسول الله ﷺ كانت صلاته بالليل متساوية طوال
السنة ، لا تزيد شيئا في رمضان ، ولا تقل في غير رمضان ، وكان ﷺ
يدأوم على صلاة إحدى عشرة ركعة كاملة تامة .

وكان ﷺ (يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسْلُ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسْلُ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلَاثًا)، أي أنه ﷺ صلى إحدى عشرة ركعة في الليلة شملت القيام والوتر ، وأنه ﷺ كان يصلي أربعا ويستريح ، ثم يصلي أربعا ويستريح ، ثم يصلي ثلاثا .
فإن قيل : كم عدد تسليمات النبي ﷺ في هذه الركعات ؟

أقول : يمكن فهم الحديث على أن الركعات الإحدى عشر أداها النبي ﷺ بثلاث تسليمات ، كل أربعة بتسليمية ، والثلاث الآخر بتسليمية كما يمكن فهمها إنها صليت بست تسليمات ، كل ركعتين بتسليمية ، ما عدا الركعة الأخيرة فهي بتسليمية وحدها ، ويجوز أن يشمل أربع أو خمس تسليمات ..

وهذه الأفهام جائزة إلا أن الأفضل التسليم في كل ركعتين ، لقوله ﷺ :
(صلاة الليل مثنى مثنى) ^(١).

ومعنى (فَلَا تَسْلُ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ) أي هن في نهاية الحُسن ، والكمال ، والطول، كما ظهر من الرسول ﷺ حين ادائهن ، ولا يحتجن إلى السؤال عنهن ، فإنهن ظاهرات معلومات

ثم سألت عائشة ل رسول الله ﷺ وقالت : (فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُؤْتِرَ) ؟... وإنما سألت عائشة ل عن ذلك ؛ لأنها تعلم كراهية النوم قبل الوتر ، لمن يخاف من عدم الاستيقاظ ، فعرفها رسول

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب ما جاء في الوتر .

الله ﷺ ، أن نومه قبل الوتر حكم خاص به ، وقال لها : (يَا عَائِشَةُ إِنَّ عَيْنِي تَنَامَانِ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي) أي إن نومه قبل الوتر خاص به لخصوصية جعلها الله فيه ، وهو أن تنام عينه ولا ينام قلبه، فهو إن نام في حكم من لم ينام .

وفي الحديث الثاني : تبين السيدة عائشة **ل** عدد ركعات القيام والوتر كما صلاها رسول الله ﷺ ، فتقول : (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثَ عَشْرَةِ رَكْعَةٍ؛ مِنْهَا الْوُتْرُ، وَرَكْعَتَا الْفَجْرِ) أي إن مجموع ركعات النوافل التي كان يصليها رسول الله ﷺ في الليل كله ثلاث عشرة ركعة ، يقيم بعشرة ، ويوتر بواحدة ، ويصلي ركعتي الفجر .

وقد بين مسلم ذلك في صحيحه فقال : (كانت صلاة رسول الله ﷺ من الليل عشر ركعات ، ويوتر بسجدة ، ويركع ركعتي الفجر ، فتلك ثلاث عشرة ركعة)^(١).

وقد ورد عن عائشة **ل** أن رسول الله ﷺ صلى بالليل سبعا ، وتسعا ، وإحدى عشر ، وكلها روايات صحيحة ، تخبر عن أحوال مختلفة لرسول الله ﷺ ، إلا أن غالب حاله ﷺ إحدى عشرة ركعة .

ومن المحتمل أن الإحدى عشر ، تشمل القيام بالليل ، والثلاثة عشر تضم معها ركعتي الفجر ، والخامسة عشر تشمل راتبة العشاء والفجر .

(١) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب صلاة الليل ، حديث رقم :

فإن قيل: لم لم يرد في الحديث تحديد دقيق لعدد ركعات صلاة الليل؟
أقول : والله أعلم لم يرد هذا التحديد في صلاة الليل ليجد المسلم أمامه فسحة يختار منها ما يناسبه .

وفي الحديث الثالث : تقول السيدة عائشة **ل** حين سألها الأسود راوي الحديث عنها (كَيْفَ كَانَ صَلَاةُ النَّبِيِّ ﷺ بِاللَّيْلِ) وإنما توجه الأسود ﷺ بالسؤال للسيدة عائشة **ل** لأن أمهات المؤمنين هن الأعراف بصلاة رسول الله ﷺ في بيته .

ل قالت (كَانَ يَنَامُ أَوَّلَهُ ، وَيَقُومُ آخِرَهُ ، فَيُصَلِّي ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى فِرَاشِهِ ، فَإِذَا أَدْنَى الْمُؤَذِّنُ وَثَبَ) أي إنه ﷺ كان ينام في أول الليل ، ويقوم آخره فيصلّي قياما ، ثم يوتر ، ثم يأوي إلى فراشه ، ويضع منتظرا أذان الفجر ، فإذا أذن المؤذن نهض من مضجعه واقفا في نشاط وقوة .
(فَإِنْ كَانَ بِهِ حَاجَةٌ اغْتَسَلَ) أي إن كان نام على جنبابة ووضوء ، نهض من نومه واغتسل وتطهر ، (وَإِلَّا تَوَضَّأَ وَخَرَجَ) ، أي وإن لم يكن جنبا توضا وخرج ليصلي في المسجد .

وفي هذا الحديث دلالة على جواز النوم قبل الوتر ، وقبل قيام الليل ، وعلى أهمية النشاط والهمة ، في القيام للصلاة ، وجواز النوم على جنبابة ، وجواز النوم بعد الوتر إلى أن يدخل وقت الفجر .

وفي الحديث الرابع : يروي مسروق ﷺ أنه سأل السيدة عائشة

ل عن أمرين لرسول الله ﷺ ، قال مسروق ﷺ عن السؤال الأول :

(سَأَلْتُ عَائِشَةَ ، أَيُّ الْعَمَلِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ) ؟

أي ما أحب الأعمال في صلاة الليل إلى رسول الله ﷺ ؟ ...

وإنما خص الحديث العمل المحبوب في صلاة الليل ؛ لأن مقام الحديث كان صلاة الليل ويريد مسروق ﷺ أن يقف على أحبه إلى رسول الله ﷺ ليقوم به ، ويخبر المسلمين عنه .

وقد أجابت السيدة عائشة **ل** بقولها (الدائم) أي أحب أعمال الليل عند رسول الله ﷺ الدائم منه في كل ليلة ، وليس المراد به الدوام المطلق وإنما المراد الدوام النسبي .

(قُلتُ) أي قال مسروق ﷺ عن السؤال الثاني (مَتَى كَانَ يَقُومُ) ؟ .. أي ما هو الوقت الذي كان يقوم فيه رسول الله ﷺ ، من نومه لصلاة الليل ؟

(قَالَتْ) **ل** : (كَانَ يَقُومُ إِذَا سَمِعَ الصَّارِخَ) ، أي إذا سمع صوت الديك ؛ لأنه يصرخ بشدة ، والصرخة : هي الصيحة الشديدة ، وجرت العادة بأن الديك يصيح عند نصف الليل - غالبا - أو قبله بقليل أو بعده بقليل ، وهذا التفسير موافق لقول ابن عباس **م** (فنام رسول الله ﷺ حتى انتصف الليل - أو قبله بقليل ، أو بعده بقليل - ثم استيقظ) ^(١) . وقد ورد أنه (إذا مضى شطر الليل ، أو ثلثاه ، ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا ، فيقول : هل من سائل يعطى ؟ هل من داع يستجاب له ؟ هل من مستغفر يغفر له ؟ حتى ينفجر الصبح) ^(٢) .

(١) صحيح البخاري، كتاب الجمعة ، باب استعانة اليد في الصلاة .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل ، حديث رقم : ١٣٠٣ .

وبذلك يحسن التحري عن أحب الأعمال إلى رسول الله ، وعن الأوقات التي واطب رسول الله ﷺ على القيام فيها بصلاة الليل ، لأنها مظنة الكمال والخشية ، ومهوى القلب والفؤاد ، ورجاء الاستجابة والقبول ، والأعرف بالوقت المناسب هو رسول الله ﷺ ، ولذلك كان السؤال وكانت الاجابة .

وفي الحديث الخامس : توضح السيدة عائشة **ل** أن رسول الله ﷺ كان ينام بعد صلاة الوتر ، فتقول **ل** : (مَا أَفَاهُ السَّحَرُ عِنْدِي إِلَّا نَائِمًا تَغْنِي النَّبِيُّ ﷺ) أي ما أجد رسول الله ﷺ عندي في وقت السحر إلا نائما .

والسحر : مرفوع على الفاعلية ، أي ما وجده السحر إلا نائما، أي لم يأت سحر عليه ﷺ إلا وهو نائم بعد صلاة الليل، ويجوز نصبه على الظرفية وعند مسلم في صحيحه : (ما ألقى رسول الله ﷺ السحر الأعلى في بيتي ، أو عندي ، إلا نائما)^(١)، ورفع السحر في الروایتين لتأكيد الخبر ... **والسحر هو :** آخر الليل قبيل الفجر .

وهذا يؤكد أنه ﷺ كان يستيقظ عند سماع صياح الصارخ ، ويصلي ثم ينام بعدها ، ويستيقظ بعد السحر عند دخول وقت الفجر .

وفي الحديث إدراج قاله مسروق، وهو قوله (تَغْنِي النَّبِيُّ ﷺ)

وفيه إشارة إلى أن الحديث من مرسل عائشة **ل** ، إلا أن روايات

(١) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب صلاة الليل ، حديث : ١٢٦٢

أخرى صرحت برفعه .

وفي الحديث السادس : تقول السيدة عائشة **ل** (كُلَّ اللَّيْلِ

أَوْتَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) أي كان رسول الله ﷺ يوتر في الليل كله في أوله بعد العشاء ، وفي وسطه في منتصف الليل ، وفي آخره قبيل الفجر (وَأَنْتَهَى وَتَرَهُ ﷺ إِلَى السَّحَرِ) أي امتد وتره ﷺ إلى الليل كله ، وكان آخره السحر ، وهو قبيل وقت الفجر ، وعنده يتوقف ﷺ عن الوتر .

ويرجع اختلاف وقت القيام والوتر عند رسول الله ﷺ ، إلى

اختلاف الأحوال :

فحيث أقام وأوتر في أول الليل لعله ﷺ كان وجعا .

وحيث أقام وأوتر في وسط الليل لعله ﷺ كان مسافرا .

وأما قيامه ووتره ﷺ في آخر الليل فهو غالب أحواله ﷺ وهو مقيم

ومن جملة أحاديث الباب تؤخذ جميع أحكام القيام والوتر ،

وهو ما سنفصله في التحليل البياني لموضوع أحاديث الباب .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

شرع الله تعالى مع بدء البعثة قيام الليل ، وأمر الرسول ﷺ بقوله ﷻ

﴿يَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ ① قُرْ أَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ② يَصْفَهُ ③ أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ④ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ⑤

وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ⑥﴾^(١).

(١) سورة المزمل الآيات ١ : ٤ .

ثم خفف الصلاة عن رسول الله ﷺ بقوله ﷺ : ﴿عَلِمَ أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرَضٌ ۖ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ۖ وَآخَرُونَ يُقِنُّونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْرَأُوا مَا تَشَاءُونَ﴾^(١) .

ولما فرضت الصلاة في ليلة الإسراء ، تحددت الفرائض ، وخفف الله تعالى النوافل عن المسلمين ، ووجه رسول الله ﷺ أصحابه إلى صلاة الليل ، بعد أن يسرها الله وخففها ... وعاش الفقهاء مع تيسير صلاة الليل ، ووضحوا معها الأحكام التالية :

أولاً : حكم صلاة الليل :

أجمع الفقهاء والعلماء على أن صلاة الليل سنة مشروعة في حق جميع الأمة ، ورسول الله ﷺ بلا خلاف .

وقالوا : إن فرضها على رسول الله ﷺ في أول الدعوة تم نسخه ، كما جاء في آخر سورة المزمل .

ثانياً : فضل صلاة الليل :

خير العبادات الصلاة ، وقد بين رسول الله ﷺ فضل صلاة الليل ، وحث على المحافظة عليها ، يقول رسول الله ﷺ عن عبد الله بن عمر

ل : (نعم الرجل عبد الله ، لو كان يصلي من الليل " فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلاً) ^(٢) .

(١) سورة المزمل الآية : ٢٠ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب فضل قيام الليل .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : (... ، وأفضل الصلاة ، بعد الفريضة ، صلاة الليل) ^(١) .

ثالثا : عدد ركعات صلاة الليل :

وردت روايات عدة ، توضح عدد ركعات صلاة الليل ، وأكثرها يحددها بأحد عشرة ركعة .. بما فيها الوتر ، والأقل يحددها بسبع ركعات ، أو ثماني ركعات ، أو تسع ركعات .
قال القاضي عياض - رحمه الله : في هذه الأحاديث إخبار كل واحد بما شاهد ، وأما اختلاف عائشة رضي الله عنها في العدد ، قيل هو منها ، وقيل هو من الرواة ...

والصحيح أن أكثر ما أخبر به هو أنه ﷺ واطب على إحدى عشرة ركعة وهو الأغلب ، وباقي رواياتها إخبار منها بما كان يقع نادرا في بعض الأوقات ...

فأكثره خمسة عشرة ركعة ، بركعتي الفجر .

وأقله سبع ... وذلك بحسب ما كان يحصل من اتساع الوقت أو ضيقه بطول القراءة ، أو النوم ، أو عذر ، أو مرض ، أو غيره ، أو في بعض الأوقات عند كبر السن ، أو تارة تعد الركعتين الخفيفتين في أول قيام الليل ، وتارة تعد ركعتي الفجر ، وتارة تحذفهما ... وقد تعد راتبة العشاء مع ذلك تارة ، وتحذفهما تارة أخرى

يقول القاضي عياض : ولا خلاف أنه ليس في ذلك حد لا يزداد

(١) صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، باب فض صوم محرم ، حديث رقم : ٢٠٥٦

عليه ، ولا ينقص منه ، وأن صلاة الليل من الطاعات ، التي كلما كثرت زاد الأجر ، وإنما الخلاف في فعل النبي ﷺ ، وما اختاره لنفسه ، وقد جاءت الروايات السابقة توضح ذلك .

رابعاً : كيفية أداء صلاة الليل :

أفضل صلاة الليل مثنى مثنى كل ثنتين بتسليمة ، ويجوز لها أن تصلى أربعاً أربعاً ، كل أربع بتسليمة واحدة .
وصلاة الوتر تنفصل عن صلاة الليل بالتكبير والتسليم ، سواء كانت ثلاثاً ، أو ركعة واحدة .

خامساً : وقت صلاة الليل :

الليل كله وقت لصلاة الليل والوتر الذي يبدأ بعد صلاة العشاء ، وينتهي عند السحر ، قبيل وقت صلاة الفجر .

سادساً : حكم صلاة الوتر :

جميع الفقهاء على أن صلاة الوتر سنة ، ولم يخالف ذلك إلا أبو حنيفة فإنه ذهب إلى أن الوتر واجب ، وقد واظب عليه النبي ﷺ

سابعاً : عدد ركعات الوتر :

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن ، صلاة الوتر ركعة واحدة ، خلافاً لأبي حنيفة الذي ذهب إلى أن الصلاة لا تكون ركعة واحدة ، ولذلك قالوا : إن الوتر ثلاث ركعات بتسليمة واحدة .

ثامناً : وقت صلاة الوتر :

وقت الوتر هو وقت صلاة العشاء ، والأفضل في أدائها أن يكون في الثلث الأخير من الليل .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب عدد الركعات التي كان يصليها النبي ﷺ في الليل ، ووقت صلاتها ، وحكم النوم قبلها ، او بعدها ، ومداومته ﷺ على القيام بها .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز أهمها : -

الركيزة الأولى

حاجة المؤمن إلى ثواب الله تعالى

الدنيا دار سفر وترحال ، أعدها الله تعالى للعمل ، والابتلاء ، فعمرها قصير ، ومتاعها قليل ، والثواب في الآخرة مترتب على العمل الصالح في الدنيا و (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت) ^(١) .
والعبد في الدنيا ، في أمس الحاجة إلى عمل يثيبه الله تعالى عليه ؛ لأن الجزاء يكون في الآخرة ، حيث يتمنى كل إنسان أن ينال جزءا من الثواب يبعده عن النار ويقربه من الجنة ، فقد بانته الحقيقة ، وانتهت الدنيا بمفاتها ، وظهرت لكل الناس حقيقة ما جاء به رسول الله ﷺ .

ولذا كان على الإنسان أن يعمل للآخرة ، حيث توفى كل نفس ما عملت ، ويفوز بالنعيم من يستحقه بفضل الله تعالى ورحمته .
ومن هنا ندرك الفوائد المترتبة على الطاعات ، وأساسها الصلاة ، وأفضل الصلاة النافلة صلاة الليل ، وقد اهتم الفقهاء بالأحاديث الواردة

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ، كتاب الإيمان ، حديث رقم : ١٧٥ .

في صلاة الليل ، وفي طاعة الله تعالى ، وقاموا باستخراج الأحكام الشرعية منها لتكون بيئة جلية أمام الجميع .

في يوم القيامة يندم المجرمون ، على تفريطهم في طاعة الله تعالى ، ولسان حالهم ينطق بالندم ﴿ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَّةً ۖ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَّةً ۖ ﴾ (١) .

في الوقت الذي يسعد فيه المؤمنون وهم يرفعون كتابهم بأيمانهم ، وهم يقولون : ﴿ هَآؤُمْ أَقْرَأُ وَكِتَابِيَّةً ۖ ﴾ (٢) .

إن الحساب حق ، والوزن دقيق ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ ﴾ (٣) فهو في عَيْشِهِ رَاضٍ ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۖ ﴾ (٤) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةُ ۖ ﴾ (٥) نَارُ حَامِيَةٍ ﴿ ﴾ (٦) .

ألا ... فلينتبه الناس ... ويعملوا لأخرتهم .

الركيزة الثانية

دلالة حوار الفقهاء على الشورى

يعيش المرء على آراء الفقهاء ، والاحكام التي استنبطوها من نصوص القرآن الكريم ، والسنة النبوية المشرفة ، ومنهجية استنباط احكام كل نص ، وربط المنقول بما دل عليه .

ونلاحظ فيهم دقة النظر ، وعمق الحوار حتى يخيل لكل من يتابعهم أنهم جميعا على صواب ، وإن اختلفوا في الحكم والتوجيه ...

(١) سورة الحاقة : الآيتان : ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) سورة الحاقة : الآيتان : ١٩ ، ٢٠ .

(٣) سورة القارعة : الآيات : ٦ : ١١ .

لقد اعتمد الفقهاء على : القواعد الشرعية الكلية ، والأصول
الفقهية الموضوعية ؛ لتحديد معنى الكلمات ، وتنظيم طرق الوصول للحكم
الشرعي للأفعال التكليفية .

وأخرج من حوار الفقهاء بعدة نتائج .. أهمها :-

الأولى : اختلاف العلماء رحمة بالناس ، لاعتمادهم على نصوص
مشتركة ، استخرجوا منها أحكاما متعددة ، وهذا فتح الباب لإيجاد عدة
أحكام للفعل الواحد من النص الواحد ، يختار منها المكلف ما يريد ، وما
يناسبه ، فالكل راجع إلى دين الله تعالى .

الثانية : وضوح العمق العلمي لعلماء المسلمين ، وفقهائهم ، إذ نرى
في فكرهم قوة الإدراك ، وسعة الأفق ، والفتنة البالغة في الفهم والتحليل
والحوار .

الثالثة : تقديرهم واحترامهم لإخوانهم ، وأنفسهم ، فلم يخرج خلافهم
وحوارهم عن حدود الحكم الشرعي ، الذي استنبطه كل منهم من النص ،
وكان كل منهم يستمع لأخيه ، ويجادله بالحسنى ، وإذا كان الحق عنده
كان معه .

الرابعة : التزم المحاورون بالخلق الكريم ، فقد مثلوا جميعا مجموعة
من الجند ، تعمل لرفع شأن الإسلام في العالمين ، ولكل منهم دوره الذي
يقوم في إطار عمل كلي يهدف مصلحة الإسلام والمسلمين .

الخامسة : التزام الجميع - أفرادا وجماعات - بالشورى ، واتباع
سبله ، فلقد كان التلميذ يحاور شيخه ، ويناقشه للوصول للرأي الصحيح ،
فإذا لم يتفقا بقي كل على رأيه ، مع احترامه لآراء الآخرين .

لقد قدم الفقهاء والعلماء صورا مشرفة للشورى ، وصار منهجهم
معلما ومدرسة ، ليتعلم من يريد منها طرق الحوار ، وسبل الشورى .
فلم يحاور إلا الفقهاء والعلماء ، ولم يكن للعامة والدهماء دور في الحوار
والجدل ... ولم يقم حكم شرعي لخدمة غاية سياسية ، وكان الفصل
واضحا ببين جهد العلماء ، ورغبات الساسة الحائرين .
ويجب ان يبقى واضحا أن الصراع السياسي كان له رجاله البعيدون عن
علماء الدين والشريعة بعدا واضحا .
لو انصف المسلمون لاتخذوا من حوار الفقهاء منهجا للشورى ، ليصلوا
إلى الرأي السديد ، والمنهج الرشيد في الشورى ، وتطبيقاتها

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد أحاديث الباب

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية : -

- ١- جواز صلاة النافلة جلوسا مع القدرة على القيام .
- ٢- توضيح إقبال النبي ﷺ على الصلاة ، واهتمامه بالقيام بها
- ٣- جواز الكلام والاضطجاع ، بين الوتر وصلاة الفجر .
- ٤- سؤال أهل الذكر طريق الوصول للحق .
- ٥- ضرورة الإكثار من الذكر والدعاء في الليل .
- ٦- الحث على المسارعة إلى العمل وإن قل .
- ٧- استحباب الاقتصاد في العبادة ، وعدم التشدد فيها ؛ لأن
ذلك أنشط للقلب ، وأقوى للروح .

- ١٦ -

**٢٠ - باب صلاة الليل مثنى مثنى
والوتر ركعة من آخر الليل**

حديث ابن عمر م أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن صلاة الليل . [٤٣٢]، (١)
٩٩٠

فقال رسول الله ﷺ : صلاة الليل مثنى مثنى ، فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى (١)

حديث ابن عمر م عن النبي ﷺ ، قال : اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً (٢)
٩٩٨

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أن صلاة الليل مثنى مثنى ، وأن صلاة الوتر هي آخر صلاة الليل .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على حديثين ، يبينان عدد ركعات صلاة الليل ، وكيفية أدائها ، ووقتها المفضل .

ففي الحديث الأول : يؤكد ابن عمر م (أن رجلاً سأل رسول

الله ﷺ عن صلاة الليل) أي إن رجلاً من الصحابة سأل رسول الله ﷺ

(١) أخرجه البخاري في: ١٤ كتاب الوتر ١ باب ما جاء في الوتر .

(٢) أخرجه البخاري في: ١٤ كتاب الوتر: ٤ باب ليجعل آخر صلاته وتراً .

عن صلاة الليل زمنا ، وعددا ، وفضلا ، ولم يبين علماء الحديث اسم هذا الرجل ، وقال بعضهم إنه ابن عمر الراوي ، رواه عن رجل هو نفسه تجردا ، وقيل هو رجل من البادية .

واختلف في المراد من السؤال ، وكيفية القائه ، فقالوا : المراد من السؤال معرفة عدد ركعات صلاة الليل ، وفضلها ، ووقتها .

وقد وردت روايات عدة توضح كيفية السؤال وهياته ، ومنها :-

- رواية ابن عمر م (أن رجلا سأل النبي ﷺ ، وأنا بينه وبين السائل ، فقال : يا رسول الله كيف صلاة الليل ؟) (١).

- رواية ابن عمر م (ثم سأل رجل على رأس الحول ، وأنا بذلك المكان من رسول الله ﷺ فلا أدري هو ذلك الرجل ، أو رجل آخر ، فقال له مثل ذلك) (٢).

- جاء في رواية نافع ﷺ ، عن ابن عمر م أن رجلا ، جاء إلى النبي ﷺ وهو يخطب ، فقال : كيف صلاة الليل ؟ (٣).

- و عن ابن عمر م قال : قال رجل يا رسول الله كيف تأمرنا أن نصلي من الليل ؟ (٤).

(١) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب صلاة الليل مثنى مثنى ، حديث رقم : ١٢٨٢ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب صلاة الليل مثنى مثنى ، حديث رقم : ١٢٨٢ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب الحلق والجلوس في المسجد .

(٤) مسند أحمد بن حنبل ، مسند بني هاشم ، حديث رقم : ٤٣٤٩ .

وتعدد الروايات ، يؤكد تعدد السؤال ، وتعدد من سألته ، وقد وقع الجواب ببيان كيفية الصلاة إذ قال ﷺ (مثنى مثنى) أي إن صلاة الليل ركعتان ركعتان ، يسلم مع كل منهما بتسليمة ، ما عدا صلاة الوتر الأخيرة ، فإنها ركعة واحدة .

وتفسير الحديث بالحديث أولى بالاتباع والتسليم .
وقد ذهب أبو حنيفة إلى أن معنى (مثنى مثنى) أن يتشهد المصلي بعد كل ركعتين بلا تسليم ، كصلاة فريضة العصر .
وقد دل الحديث بمنطوقه على أن صلاة الليل ركعتان ركعتان ، كل منهما بتسليمة .

ودل بمفهومه على أن صلاة الليل أربع ، وذلك على وجه الأفضلية ، إلا أن أداء الصلاة ليلاً أو نهاراً مثنى أو ثلاث أو رباع جائز ، وقد جاءت الأحاديث بها .

(ومثنى) اسم غير منصرف للوصفية والعدل ، فقد عدل بها عن اثنتين ، ويكرر الحديث مثنى للتأكيد .

وقد فسر المراد حديث عقبة بن حريث رضي الله عنه قال : سمعت ابن عمر ، يحدث أن رسول الله ﷺ ، قال : " صلاة الليل مثنى مثنى ، فإذا رأيت أن الصبح يدركك فأوتر بواحدة " .

ف قيل لابن عمر م : ما مثنى مثنى ؟

قال : " أن تسلم في كل ركعتين ^(١) .

(١) صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب صلاة الليل مثنى مثنى ، حديث

واستدل بعض العلماء بهذا الحديث على تعيين الفصل بين كل ركعتين من صلاة الليل ، يقول ابن دقيق العبد : وهو ظاهر السياق ، لحصر المبتدأ في الخبر .

وحمل الجمهور الحديث على أنه بيان للأفضل ، لما صح من فعله ﷺ بخلافه ، ولم يتعين أيضا ورود الحديث لذلك ... بل يحتمل أن يكون للإرشاد إلى الأخف ، إذ السلام على رأس كل ركعتين أخف للمصلي من الأربع فما فوقها ، لما فيه من الراحة غالبا ، وقضاء ما يعرض له من أمر .

ولو كان الفصل لمجرد البيان فقط كما قال البعض ، ما واطب عليه ﷺ ... وقد صح عن النبي ﷺ الفصل ، كما صح عنه الوصل .

يقول ﷺ : (فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمْ الصُّبْحَ ، صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً تَوْتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى) أي إذا قرب وقت الفجر ، وضاق وقت العشاء وخاف المصلي دخول وقت الصبح قبل أن يوتر فليوتر بركعة واحدة ... فإن الركعة توتر لصلاة الليل على اختلاف عدد الصلوات التي سبقتها .

وفي الحديث الثاني : يروي ابن عمر م عن النبي ﷺ أنه قال : (اجْعَلُوا آخِرَ صَلَاتِكُمْ بِاللَّيْلِ وَتَرًا) أي صلوا آخر الليل ركعة توتر لكم ما صليتم قبلها .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب ، أن الأفضل في صلاة الليل أن تكون مثني مثني ، كما أن الأفضل في صلاة النهار أن تكون أربعاً ، ولا مانع من

مخالفة الفاضل ، فقد جوز الفقهاء في صلاة النهار أن تكون مثني ، وأن تكون أربعاً ، كما جوزوا في صلاة الليل أن تكون أربعاً أو خمساً
وأجمع الفقهاء ، على أن يكون آخر صلاة الليل وترًا ، ولو كانت ركعة واحدة بتسليمة واحدة .

إلا أن أبا حنيفة - رحمه الله : يرى أن الصلاة مطلقاً لا يصح أن تكون ركعة واحدة ، ولذلك رأى أن الوتر ثلاث ركعات بتشهد واحد ، وتسليمة واحدة .

والمستحب في صلاة الليل أن تكون في آخره لمن آمن التيقظ ، أما من خاف منه فله أن يصلي النوافل ، والوتر بعد العشاء قبل أن ينام .
وأجمع الفقهاء على أن الوتر سنة مؤكدة ، خلافاً لأبي حنيفة الذي يراه واجباً ، وهو فوق السنة المؤكدة ودون الفرض .

وقد سبق في الباب بعض تفاصيل أحكام صلاة الليل والوتر

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب ، أن الأفضل في صلاة الليل ، أن تكون مثني مثني ، وأن الوتر هو آخر صلاة الليل ، ولو كان ركعة واحدة .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب ركيزة واحدة ... هي : -

معالم العبادة والالتزام والطاعة

خلق الله تعالى الناس ليعبدوه ، وليعيشوا بمنهجه الذي أنزله لهم

بواسطة رسله الذين ختمهم بسيدنا محمد ﷺ .

وقد حدد الله للناس الطريق المستقيم الذي يسلكونه ، فعملوا أسسه النظرية ، وتطبيقاته العملية ، وكل ما فيه من قول ، وعمل ، وحركة ، وسكون ... ولم يترك الله الناس يتيهون بين الخرص والتخمين ، وإنما حدد الحدود ، ونظم النظم ، وبين الحلال والحرام ، وبذلك عرف الجميع المسار الإسلامي بوضوح .

وتندرج أحاديث الباب في هذا الطريق ، فقد حدد الله جواز صلاة الليل ، وكيفيةها ووقتها ، وختمها بتشريع صلاة آخر الليل ، وإجازة النوم قبلها وبعدها .

وبهذا وغيره صارت العبادات، فرضا أو نفلا معلومة سلفا ، لا يصح الابتداع فيها .

إن الله خالق الخلق ، وعالم الغيب والشهادة ، والمحيط بعباده جميعا قدر وقضى ، وله ما يشاء ويريد ، ولذلك كان على المكلف الاستقامة على الطاعة ، والالتزام بما أمر الله تعالى به أو نهى عنه ، وما عليه إلا أن يتأكد من ثبوت ما شرع الله له .

لقد كان العربي البدوي يأتي إلى رسول الله ﷺ ويسأله : ماذا علي من صلاة ؟ ... ماذا علي من كذا وكذا ؟ ... فيخبره رسول الله ﷺ بما عليه ، ويعلن البدوي على الفور التزامه بما عليه كما وضع رسول الله ﷺ .

فعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ، قال (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس ، يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول ، حتى دنا ، فإذا هو يسأل عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : " خمس

صلوات في اليوم والليلة " .

فقال الرجل : هل علي غيرها ؟

قال ﷺ : " لا ، إلا أن تطوع " .

قال رسول الله ﷺ : " وصيام رمضان " .

قال الرجل : هل علي غيره ؟

قال ﷺ : " لا ، إلا أن تطوع " .

وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة ، قال : هل علي غيرها ؟ قال : " لا ، إلا

أن تطوع " .

فأدبر الرجل وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص .

قال رسول الله ﷺ : أفلح إن صدق ^(١) ، هذا هو المنهج المستقيم في

يسره واستقامته ، ووضوحه وجلائه ، ولا يصح معه التتبع ، ولا يجوز

الابتداع بالزيادة أو بالنقص عن ما حدده رسول الله ﷺ .

إن الابدان والقلوب يصيبها الكل والملل ... والمشرع لها هو

خالقها ، والأعلم بها وبأحوالها ، ولن تكون عبادة الله كاملة إلا بما شرع

الله تعالى .

والأمر يحتاج إلى العلم بالدين ، والفهم في تفاصيله ، والإحاطة

بجوانبه النظرية ، وأحكامه العملية ، ليكون الاتباع وفق الحكم ، والطاعة

ملازمة للأمر والنهي .

ومن هنا

(١) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب الزكاة في الإسلام .

نرى في الفرق العديدة ، والمذاهب الفكرية الكثيرة إنحرافات بعيدة عن الدين ، واهتمام بالقشور دون الجوهر ، وهذا يعطي للدعاة دورا ، لابد لهم من القيام به على منهج الله تعالى ، كما جاء به رسوله ﷺ .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد أحاديث الباب .

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية : -

- ١) عبادة الله تعالى تقوم على المعرفة والتطبيق .
- ٢) لا يعبد الله إلا بما أباحه وأمر به .
- ٣) الجهل بالدين لا يجوز ، وسؤال أهل الذكر وأجب لمن جهل
- ٤) يستحب تعيين مجموعة عالمة للفتوى والبيان .
- ٥) الدعاة هم النور وسط الظلام الحالك ، والجهل الكبير .

- ١٧ -

٢٤ - باب الترغيب في الدعاء والذكر

في آخر الليل والإجابة فيه

حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : يَنْزِلُ رَبُّنَا

[٤٣٤]، (١)

تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ

١١٤٥

الْآخِرِ، يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ ... مَنْ يَسْأَلُنِي

فَأُعْطِيَهُ ؟ ... مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ؟ ...^(١).

- أ -

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب ، نزول الله تعالى بقدرته ، ورحمته إلى السماء الدنيا ، في الثلث الأخير من الليل ، مناديا الناس للدعاء ، والذكر والاستغفار ، والسؤال ، ويوضح استجابته سبحانه وتعالى للطالبين .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يروى الحديث أبو هريرة رضي الله عنه وفيه يؤكد (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ :

يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا) نزولا يليق بجلاله ﷻ.

ومعظم روايات الحديث تبين أن السماء هي السماء الدنيا وذلك في كل ليلية ... وهذا الحديث من الأحاديث التي تكلمت عن صفات الله تعالى ، ومنها نزول الله تبارك وتعالى (إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا) (كُلَّ لَيْلَةٍ) ، وقد ذهب السلف ، إلى اثبات نزول الله تعالى إلى السماء الدنيا ، وإمرار صفة

(١) أخرجه البخاري في: ١٩ كتاب التهجد: ١٤ باب الدعاء والصلاة في آخر الليل ، وللحديث

روايات أخرى عند البخاري تحت أرقام ٦٣٢١ ، ٧٤٩٤ .

النزول على وجه يليق بالله تعالى من غير تكليف ، ولا تمثيل ، كسائر صفاته سبحانه وتعالى الخيرية ، وهذا يقتضي الإيمان بماذهب إليه السلف في الصفات الخيرية ، وتمريها كما نزلت ، والتوقف عن غير مالم يرد عن رسول الله ﷺ .

وجمهور العلماء يؤيدون مذهب السلف ، ويرون أن التأويل غير واجب وأن التفويض أسلم ، وأعلم ، وأحكم ، ولذلك لم يؤولوا .

وأما الذين ذهبوا إلى التأويل ، فإنهم تعارضوا ، وتناقضوا حين قال بعضهم بنزول الذات ، وقال غيرهم بنزول الأفعال والصفات .

وقد حكى أبو بكر بن فورك أن بعض المشايخ ضبط (يُنزل) بضم أوله وكسر الزاي ، على حذف المفعول بمعنى (أن الله يُنزل ملكا) مستدلين بما رواه النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه : (إن الله ﷻ يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ، ثم يأمر مناديا ينادي يقول : هل من داع يستجاب له ، هل من مستغفر يغفر له ، هل من سائل يعطى) ^(١) حيث جاء جواب الطلب مبنيًا للمجهول ليتمكن صرف الفاعل إلى الملائكة .
(حين يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ) برفع الآخر صفة للثالث ، وأصح روايات الحديث ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وقد انحصرت الروايات التي حددت الوقت في ستة آراء هي :-

١- ثلث الليل الأخير، وهي التي في حديث الباب

٢- إذا مضى الثلث الأول .

(١) السنن الكبرى للنسائي ، كتاب عمل اليوم والليلة ، باب الوقت الذي يستحب فيه

الاستغفار ، حديث رقم : ٩٩٤٢ .

٣- الثلث الأول أو النصف .

٤- النصف .

٥- النصف أو الثلث الأخير .

٦- الإطلاق^(١) .

فأما الروايات المطلقة : فهي محمولة على المقيدة ، وأما المحددة بأوقات ، فإن كانت للشك ، فالمجزوم مقدم على المشكوك ، وإن كانت للتردد فتحتاج إلى جمع بين الآراء .

وتجمع الآراء بأن نزول الله تعالى ، يقع بحسب اختلاف الأحوال ، مع اختلاف الليل زمانا ، ومكانا ، وأقفا .

ويمكن القول بأن :

النزول : يتم في الثلث الأول .

والقول : يقع في النصف أو في الثلث الثاني .

والاستجابة : تقع في الثلث الأخير .

والأولى التسليم بظاهر الحديث ؛ لأن رسول الله ﷺ أعلم بأحد

الأمر في وقت ما فأخبر به ، ثم أعلم بغيره في وقت آخر فأخبر به ، فنقل الصحابة عنه ما سمعوه منه في كل مرة .

(يَقُولُ) الملك وهو في الناس (مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، مَنْ

يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ) اقتصر الحديث على الدعاء

والسؤال ، والاستغفار ؛ لأن المطلوب إما دفع الضرر ، أو جلب النفع ،

وذلك إما ديني ، وإما دنيوي ، ففي الاستغفار إشارة إلى الأول ، وفي السؤال

(١) فتح الباري ج ٢ ص ٣٠ .

إشارة إلى الثاني ، وفي الدعاء إشارة إلى الثالث .
وقال الكرمانى : يحتتمل أن يكون الدعاء مالا طلب فيه ، نحو : يا الله ،
والاستغفار والسؤال ما فيه طلب .

وقيل : إن المعنى في الثلاثة واحد ، وإن اختلفت الألفاظ ^(١)

وفي وايات أخرى للحديث زيادة في الدعاء والطلب منها : -

- (هل من تائب فأتوب عليه) . ^(٢)

- (من ذا الذي يسترزقني أرزقه) . ^(٣)

- (من يقرض غير عدوم ، ولا ظلوم) . ^(٤) أي غير فقير ولا ظالم

- (من ذا الذي يستكشف الضر فاكشفه عنه) ^(٥)

- (ألا سقيم يستشفى فيشفى) ^(٦) .

وجاء النص (فاستجيب له) على جواب الاستفهام المفيد للحث والحض .

ومعنى : فاستجيب فأجيب ، فالسين والتاء ليستا للطلب ، وكذا

(فأعطيه ، وأغفر له) فإنهما تروبان على النصب، من قبيل قوله تعالى:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ ^(٧) .

^(١) فتح الباري ج ٣ ص ٣١ .

^(٢) مسند أحمد بن حنبل ، ومن مسند بني هاشم ، حديث رقم : ٩٤٠١ .

^(٣) صحيح ابن حبان ، كتاب الرقائق ، باب الأدعية ، حديث رقم : ٩٢٠ .

^(٤) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل ، حديث رقم : ١٣٠٤ .

^(٥) مسند أحمد بن حنبل ، ومن مسند بني هاشم ، حديث رقم : ٧٣٤٠ .

^(٦) سنن الدرامي ، كتاب الصلاة ، باب ينزل الله إلى السماء الدنيا ، حديث رقم : ١٥٠٢ .

^(٧) سورة البقرة الآية : ٢٤٥ .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يبين حديث الباب رحمة الله تعالى بعباده ، وحبه الخير لهم ،
ولذلك ينزل الله على وجه يليق بجلاله وكماله ، ويحثهم على السؤال
والدعاء ، ويعدهم بالاستجابة .

وفهم الحديث على ما ذهب إليه السلف ، وأصحاب رسول الله
ﷺ أولى وأسلم ؛ لأن التأويل يؤدي إلى التشبيه، والتجسيم ، وفي اللغة
تأكيد لما ذهب إليه السلف الذي يجعل كل الصفات الخبرية تؤخذ بلفظها
على وجه يليق بالله تعالى ، ومن أمثلة ذلك اليد ، فإن للإنسان يد ،
وللآلة يد ، وللحقيبة يد ... وكل يد لها معنى يليق بما اتصلت به ، ولذا
وجب الإيمان بالصفة الخبرية على وجه يليق بجلال الله تعالى .

ومنها النزول ، والتسليم بها كما جاء به الخبر واجب ، والبحث عن
الكيفية، والهيئة بدعة لا يصح السؤال عنها ؛ لاستحالة أن يتصورها
الإنسان لإلفه بالمحسوسات ، ولأنه دائماً يقيس ما غاب عنه بما يراه
وبشأده ، وهذا لا يجوز .

فإن قيل مثلاً أن للغول عين يسارع العقل البشري إلى أن هذه العين تشبه
عين الإنسان ، أو الحيوان ، أو غيرهما من الكائنات الحية ، وهذا التصور
غير صحيح لا دليل عليه .

ويؤيد ما ذهب إليه السلف أن الذين أولوا اضطروا- أحياناً- إلى عدم
التأويل واضطربوا بين دلالات الألفاظ ، وانكروا نصوصاً ثابتة ، ولم يتفقوا
على تأويل محدد ، فخاضوا في متاهات لا يجوز الخوض فيها .

إن المسلم مخلوق أحاطته رحمة الله تعالى حين يقرب منه ﷻ

، ويستحثه على الطاعة ، ويمنيه بالاستجابة ، والمغفرة ، والعطاء ،
ويحدد له الوقت المناسب لاستجابة الدعاء والطلب ، والكيفية التي يتم بها
هذا .

إن الإنسان يظلم نفسه حين يعرف الطريق ويتركه ، وحينما
يناديه ربه ولا يستجيب ، وعليه أن لا يلوم إلا نفسه لخوضه فيما فوق
قدرات العقل ، وبذلك يظلم نفسه ، والحق يقول : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ
كَفَّارٌ﴾^(١).

- د -

المعنى لعام لحديث الباب

يبين حديث الباب ، نزول الله تعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة في
ثلث الليل الأخير ، حاثا الناس على الطلب ، والدعاء ، ليستجيب لهم .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في حديث الباب

يتضمن حديث الباب ركيزة هامة ... هي :-

استجابة الله تعالى لدعاء المؤمن

(الدعاء مخ العبادة) ^(٢) ؛ لأنه يعني معرفة العبد لضعفه وحاجته إلى
ربه القادر ، ولجوءه إليه في السراء والضراء ، يقول ﷺ : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ
عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾^(٣). فالله قريب من عباده ،
يعلم سرهم ونجواهم ، وعملهم وقولهم ، وطاعتهم ومعاصيهم ، وقد وعدهم

(١) سورة إبراهيم الآية : ٣٤ .

(٢) سنن الترمذي الجامع الصحيح - الذبائح أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ حديث رقم : ٣٣٧٧

(٣) سورة البقرة الآية : ١٨٦ .

ﷺ بالاستجابة ، وقبول الدعاء ، ولكن عليهم أن يخلصوا في الدعاء والطلب والطاعة .

تحدث رسول الله ﷺ عن (الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، يمد يديه إلى السماء ، يا رب ، يا رب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذي بالحرام ، فأنى يستجاب لذلك) (١).

إن العبد المسلم ، يجب عليه أن يتجرد من المعاصي ، ويخلص النية ، ويصدق في الطاعة ليستجاب دعاؤه .

يقول الله تعالى في الحديث القدسي : (أنا الله الملك الذي إذا أردت أمراً أقول له كن فيكون فهلّموا إلي أجعلكم إذا أردتم أن تقولوا للشيء كن فيكون) (٢).

إن المؤمن إذا أخلص في عبوديته ، واستقام على منهج الله تعالى يحبه الله تعالى ، فإذا أحبه كان له السمع والبصر ، ويده ، ورجله فلا يسمع إلا خيراً ، ولا يبصر إلا خيراً ، ويمشي إلى الصلاح ولا يبطش إلا بظالم .

والمؤمن دائماً في تواصل مع ربه ، وأمره كله خير ، ودنياه وآخرته فوز وفلاح .

وحديث الباب يبين حب الله لصلاح عباده ، وقربه منهم، ليجتهدوا في أوقات القبول، وأعظمها في الليل، ليمألوه بالذكر ، والدعاء والاستغفار ، والله ولي التوفيق .

(١) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب ، حديث رقم : ١٧٤٨

(٢) هواتف الجنان لابن أبي الدنيا ، حديث رقم : ٢٩ .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد حديث الباب

نستنبط من حديث الباب الفوائد التالية : -

- ١- سرعة الاستجابة لدعاء الليل .
- ٢- الله قريب من عباده المؤمنين يعلم سرهم ، ويسمع نجواهم وهو السميع البصير .
- ٣- باب التوبة مفتوح لكل إنسان ، فلا تقنطوا من رحمة الله
- ٤- الاتباع المطلق هو الطريق الصحيح لتطبيق الإسلام .
- ٥- الإسلام علم وتطبيق ، ولا قيمة لفلسفات لا تعرف العمل .

- ١٨ -

٢٥ - باب الترغيب في قيام رمضان

وهو التراويح

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ قَامَ رَمَضَانَ [٤٣٥]، (١)

إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ (١) ٣٧

حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنْ [٤٣٦]، (٢)

جَوْفِ اللَّيْلِ ، فَصَلَّى فِي الْمَسْجِدِ ، فَصَلَّى رِجَالٌ بِصَلَاتِهِ، ٩٢٤

فَأَصْبَحَ النَّاسُ فَتَحَدَّثُوا، فَاجْتَمَعَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ فَصَلُّوا مَعَهُ،

فَأَصْبَحَ النَّاسُ فَتَحَدَّثُوا، فَكَثُرَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ مِنَ اللَّيْلَةِ

الثَّالِثَةِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَصَلُّوا بِصَلَاتِهِ، فَلَمَّا كَانَتِ

اللَّيْلَةُ الرَّابِعَةُ عَجَزَ الْمَسْجِدُ عَنْ أَهْلِهِ حَتَّى خَرَجَ لِمَصَلَاةِ

الصُّبْحِ؛ فَلَمَّا قَضَى الْفَجْرَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَتَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ:

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَخَفْ عَلَيَّ مَكَانُكُمْ، لَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ

عَلَيْكُمْ فَتَعْجُزُوا عَنْهَا (٢)

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب فضل قيام رمضان إيمانا واحتسابا ، وتوضح

سبب تخلف النبي ﷺ عن أصحابه - رضوان الله عليهم - في صلاة

القيام بعد أن قام ثلاث ليال أو أربع .

(١) أخرجه البخاري في: ٢٧ كتاب الإيمان: ٢٧ باب تطوع قيام رمضان من الإيمان .

(٢) أخرجه البخاري في: ١١ كتاب الجمعة: ٢٩ باب من قال في الخطبة بعد التثاء أما بعد .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على حديثين يبينان حُسن قيام الليل ، وأداء التراويح في رمضان جماعة في المسجد .

ففي الحديث الأول : يقول أبو هريرة رضي الله عنه : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ

: مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا) أي من أدى قيام الليل في شهر رمضان ، وهي صلاة التراويح مؤمناً بها، مستسلماً لشرع الله تعالى، محتسباً الأجر عند مولاه ...

والتراويح : جمع ترويجة ، وهي اسم للمرة الواحدة ، مشتقة من الراحة ، مثل إشتقاق تسليمة من السلام .

والمراد بها : الراحة الواحدة التي كان المسلمون يقومون بها بعد كل تسليمة ، ومن جميعها كانت التراويح .
وكان أهل مكة يطوفون حول الكعبة المشرفة بعد كل تسليمة من الركعتين مكان راحتهم .

وأسلوب الحديث يدل على أن القيام للتراويح سنة مستحبة ، فليس فيه أمر ، وإنما هو إرشاد وترغيب بأسلوب الشرط الذي يرغب في صلاة التراويح ، ومعنى (إِيمَانًا) تصديقاً بربهم ، وامتنالاً لإرشاده ، وبقينا بأن دين الله هو الدين ، ووعد الله هو الحق المبين .

ومعنى (وَاحْتِسَابًا) قصد الطلب والأجر من الله وحده ، مع البعد عن الرياء والسمعة .

(غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) أي إن من أقام التراويح في ليالي

رمضان لله الذي آمن به ، واحتسب عنده وحده الأجر والمثوبة ... من فعل ذلك غفر الله (لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) أي إن الله تعالى قدر لمن أقام ليالي رمضان مخلصا ، محاسن ذنبيه ، وأبعد عنه آثار الذنوب التي وقع فيها .

والمراد بالذنوب الصغائر ما لم تتعلق بحق مخلوق ، فإن لم يكن على العبد صغائر رفع من كبائره مثل ما كان سيرفع من صغائره فإن لم يكن له كبائر ، أضيف لحسناته حسنات بمثل ما يستحقه من مغفرة .

وفي الحديث الثاني ، تؤكد السيدة عائشة ل (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ) أي أنه ﷺ خرج للناس وهم في المسجد ليلا في رمضان .

(فَصَلَّى فِي الْمَسْجِدِ ، فَصَلَّى رِجَالٌ بِصَلَاتِهِ) أي أنه ﷺ لما خرج ليلا في رمضان ، صلى صلاة القيام جماعة بأصحابه الموجودين في المسجد (فَأَصْبَحَ النَّاسُ فَتَحَدَّثُوا) أي أخذ الناس يتحدثون عن صلاة رسول الله ﷺ في الليلة السابقة بمن حضر من أصحابه .

(فَاجْتَمَعَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ) في الليلة الثانية (فَصَلُّوا مَعَهُ) ﷺ (فَأَصْبَحَ النَّاسُ فَتَحَدَّثُوا) وفعلوا في اليوم الثاني مثل ما فعلوا في اليوم الأول ، وتحدثوا عن صلاة رسول الله ﷺ بأصحابه .

(فَكَثُرَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) صلى (فَصَلُّوا بِصَلَاتِهِ) وانتشر الخبر في المدينة (فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الرَّابِعَةُ)

اجتمع المسلمون في المسجد حتى (عَجَزَ الْمَسْجِدُ عَنْ أَهْلِهِ) أي ضاق المسجد عن الذين حضروا لكثرتهم ، فلم يخرج لهم رسول الله ﷺ ، ومكث في بيته (حَتَّى خَرَجَ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ) ، وصلى بهم صلاة الفجر (فَلَمَّا قَضَى الْفَجْرَ) أي انتهى من الصلاة (أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ) أي أقبل عليهم بوجهه ﷺ (فَتَشَهَّدَ) أي نطق بالشهادة ، كما هو المشروع في أول الخطبة .

(ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَخَفَ عَلَيَّ مَكَانُكُمْ) أي إني عرفت اجتماعكم في المسجد البارحة ، ولم أتخلف عنكم لنسيان أو لعمل آخر (لِكُنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفَرِّضَ عَلَيْكُمْ فَتَعْجِزُوا عَنْهَا) أي إني لم أخرج عليكم الليلة لصلاة التراويح ؛ لأنني خفت من حرصكم عليها أن يفرضها الله عليكم ، (فَتَعْجِزُوا عَنْهَا) عن القيام بها كسلا وتهاونا .

فدل الحديث على شفقة الرسول ﷺ على أمته ، وأن التراويح سنة مستحبة ، يؤديها المسلم اختيارا ليغفر الله له ما تقدم من ذنبه .
والمراد بالعجز تركها مع القدرة ، فتعاقبون بهذا الترك ، وليس المراد العجز الكلي ؛ لأنه لا ذنب معه ، ولا عقوبة فيه .
وقد فصل الفقهاء أحكام صلاة التراويح ، وهذا ما سنبينه في تحليل أحاديث الباب .

وخوف الرسول ﷺ من أن تفرض عليهم التراويح معناه خوفه ﷺ من مداومة الصحابة على التراويح حتى يظنوا فرضيتها، ويأتي خلفهم ويتمسكون بالتراويح لظنهم أنها فريضة .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

فضل الله تعالى شهر رمضان على سائر الشهور، فشرع صيام نهاره ، وقيام ليله ، وفتح أبواب الجنة ، وأغلق أبواب النار ، وصفد خلاله الشياطين .

يقول النبي ﷺ : (إذا كان أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين مردة الجن ، وغلقت أبواب النار ، فلم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنان ، فلم يغلق منها باب ، ونادى مناد : يا باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر ، ولله عتقاء من النار)^(١).

وضاعف الله ﷻ الثواب فيه ، فمن أدى فيه نافلة كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فريضة ، كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه .

وكل هذا الخير - الذي جعله الله تعالى في رمضان - يحتاج إلى الإيمان التام بالله ، واحتساب الأجر عنده وحده ، والالتزام بالدين الذي أنزله الله للناس ، وانتظار الأجر والثواب منه ، فهو المعطي والباسط ، وهو على كل شيء قدير .

إن نيل ثواب رمضان لا يحتاج إلى كثرة العمل بقدر ما يحتاج للإيمان والصدق ، فلقد رغب الصحابة في صلاة التراويح ، وتجمعوا في المسجد في الليلة الرابعة ؛ ليصلوا مع رسول الله ﷺ صلاة التراويح

(١) صحيح ابن خزيمة ، كتاب الصيام ، باب ذكر البيان ان النبي ﷺ إنما أراد ، حديث رقم

، كما صلاها في الليالي الثلاثة السابقة ، فلم يخرج رسول الله ﷺ إليهم خشية أن تفرض عليهم ، فسكتوا عنها وتركوها ، وأخذ كل منهم يقيم الليل كما كان يقيمه قبل ذلك ، واستمر المسلمون على ذلك حتى الصدر الأول من عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ لأنه ﷺ لما دخل المسجد ، وجد المسلمون يصلون جماعات عديدة على عدد من الأئمة ، فهاهنا ذلك الأمر ، وأمر الناس أن يجتمعوا على إمام واحد في صلاة التراويح ، لزوال خوف الفرضية بعد رسول الله ﷺ .

وقد أمر عمر رضي الله عنه أن يؤم الناس إمام واحد هو أبي بن كعب رضي الله عنه .
ولما قيل لعمر رضي الله عنه : هذه بدعة .

قال : نعم البدعة هذه .

يريد البدعة اللغوية لا اصطلاحية .

وقد فصل العلماء والفقهاء والمحدثون أحكام التراويح على

النحو التالي :

أولاً : مشروعية صلاة التراويح :

توضح أحاديث الباب أن صلاة التراويح سنة مشروعة ، وعد

الله تعالى من أقامها إيماناً واحتساباً بغفران ذنوبه التي فعلها .

وعلم المسلمون فضل قيام الليل وصلاة التراويح ، وعلموا أنها

سنة مستحبة فأخذوا في أدائها كل وما تيسر له فمن الصحابة من

كان يقيم الليل منفرداً في بيته ، أو في المسجد ، أو يصلّيها جماعة في

المسجد ، أو بأهله في بيته .

وتدل أحاديث الباب على أن الرسول ﷺ لم يصل التراويح في جماعة في المسجد سوى ثلاثة ليال فقط

فصل في الليلة الأولى التراويح جماعة بأصحابه الذين كانوا في المسجد حين خرج لهم رسول الله ﷺ في جوف الليل .

وفي الليلة الثانية كثر الناس ، وصلوا مع رسول الله ﷺ ، وفعل المسلمون في الليلة الثالثة مثلما فعلوا في الليلة السابقة بعدما كثر عددهم .

وفي الليلة الرابعة ضاق المسجد بالناس ، فلم يخرج لهم رسول الله ﷺ ، وقال لهم : **إني (خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ)**

فتخلف رسول الله ﷺ عن صلاة التراويح وبقيت المشروعية ، وأخذ المسلمون يقيمون ليالي رمضان كما كانوا يقيمون ليالي العام ، وهم يعلمون استحباب صلاة التراويح ، وأحيوا ليالي رمضان بالذكر ، وقراءة القرآن الكريم ، والصلاة ، كما أحيوا نهاره بالصيام والذكر ، واهتموا بالنوافل في رمضان أكثر من غيره ، لما فيه من خير ، ولما ميزه الله تعالى به من مضاعفة الثواب ، وفتح ابواب الخير وغلق أبواب الشياطين .

وظل المسلمون على هذا النحو في رمضان حتى جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ورأى انقسام المسلمين في قيام رمضان على عدد من الأئمة في وقت واحد ، وفي مسجد واحد ، وهاله هذا التفرق ، وخشي على الأمة من التمزق ، فجمعهم على إمام واحد في المسجد ، ليصلوا

التراويح في جماعة ، وخاف أن يظن أن ما فعله ابتداعا في الدين ، فعرفهم أنه أحيا أمرا مشروعا ، بعد أن زال الخوف الذي خشيه رسول الله ﷺ ، وقال : نعمت البدعة هذه ... أي نعم هذا الجديد في صورته المشروع في حقيقته ، فقد شرعه الله تعالى ، وفعله رسول الله ﷺ ، وما تركه إلا خوف أن يفرض ، فلما زال الخوف صار القيام به مشروعا ، وأقره الصحابة - رضوان الله عليهم - ، فكان هذا إجماعا منهم .

ثانياً : الأفضل في صلاة التراويح :

أجمع المسلمون على مشروعية صلاة التراويح ، وقالوا أنها سنة مستحبة ، ما عدا الطحاوي فقد ذهب إلى أنها فرض على الكفاية .

بعد ذلك اختلفوا في صلاتها من ناحيتين : -

الناحية الأولى : صلاة التراويح في البيت أو في المسجد .

ذهب الشافعي وأصحابه ، وأبو حنيفة وأحمد في أحد قوليه ، وبعض المالكية - رحمهم الله تعالى - إلى أن صلاتها في المسجد هو الأفضل مستدلين بما يلي :

١- صلاة رسول الله ﷺ ، فقد صلاها ﷺ في المسجد ، وأعاد عمر رضي الله عنه صلاتها في المسجد ، وصلاها الصحابة مع عمر رضي الله عنه وصلاها الخلفاء بعد عمر رضي الله عنه في المسجد ، واستمر المسلمون على ذلك .

٢- صلاة التراويح من الشعائر الإسلامية الظاهرة ، مثل صلاة العيد ، والمستحب في الشعائر أن تظهر في الناس ، وبين الجماعات .

وذهب مالك وأبو يوسف ، وبعض الشافعية إلى أن صلاة التراويح في البيت أفضل من صلاتها في المسجد ، لقوله ﷺ : (...، فصلوا أيها الناس

في بيوتكم، فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة (١) .
فلم يستثن ﷺ من أفضلية الصلاة في البيت إلا الفرائض ، وبقيت
الأفضلية عامة في النوافل عموما بما فيها صلاة التراويح (٢) .
فإن قيل : إن عورض هؤلاء العلماء بأنه ﷺ صلى التراويح في
المسجد في الليالي الثلاث التي صلاها فيها ، فلم ذهبتم إلى أفضلية
صلاتها في البيت ؟

أقول : ذهب القائلون باستحباب صلاة التراويح في البيت إلى أن
رسول الله ﷺ في الحقيقة صلى الليالي الثلاث التراويح في بيته ، لأن
بيته كان مجاورا للمسجد لا يفصله عنه إلا جدار قصير ، فلما رأى
الصحابة رسول الله ﷺ في بيته إئتوا به ، يسمعون صوته ، ويرون عمله
، وليس بينه وبينهم إلا الجدار ،

وقد روى الإمام احمد في مسنده أن رسول الله ﷺ أمر عائشة ل أن
تنصب له حصيرا على باب حجرتها ، ففعلت (٣) ، وصلى فيه ﷺ ،
فالحصير وإن كان في المسجد إلا أن نصبه يجعل جزءا منه من البيت ،
وهو المكان الذي صلى فيه رسول الله ﷺ .

وأجاب أصحاب الرأي الأول إلى أن الحديث الخاص بصلاة الرجل
في بيته خاص بالنوافل التي شرعت في غير الجماعة ، أما النوافل التي

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب صلاة الليل .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ج ٢ ص ٤١٥ ، طبع الشعب .

(٣) مسند احمد بن حنبل ، مسند الأنصار ، حديث عائشة ل ، حديث رقم : ٢٥٧٦٢

شرعت في جماعة مثل التراويح فهي غير داخلة في منطوق الحديث ،
وأیضا فإن الأصحاب الذين صلوا خلف رسول الله ﷺ في الیالي الثلاث
كانوا في المسجد ، وأجاز النبي ﷺ صلاتهم .

الناحية الثانية : صلاة التراويح بين الجماعة والفردية :

يمكن إجمال أقوال الفقهاء في هذه الناحية إلى أن العلماء الذين
ذهبوا إلى أن صلاتها في المسجد أفضل ، ذهبوا إلى أن أدائها في
جماعة أفضل ... وأن الذين ذهبوا إلى أدائها في البيت رأوا أن الأفضل
أداؤها منفردة .

وأرى - والله اعلم - أن أدائها في جماعة وفي المسجد أفضل ،
لشيوخ الجهل ، وقلة الحفظة ، ولقصور الهمم والنشاط ، وحفاظا على
تعمير المساجد في رمضان ... والله اعلم .

ثالثاً : عدد ركعات الوتر :

اختلفت الروایات والآراء في عدد ركعات الوتر ، وأشهرها ما روته
السيدة عائشة **ل** : (مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي
غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةِ رَكْعَةٍ) ^(١) كما سبق بيانه .

وهناك روايات أخرى تذكر أعدادا متباينة لركعات التراويح ،
والجمع بين كل هذه الروایات ممكن ، وذلك باعتبار اختلاف عدد
الركعات كان بحسب تطويل القراءة وتقصيرها ، وبسبب البعد عن البيت
الحرام ، فلقد كان أهل مكة يطوفون بالبيت بعد كل ترويحه ، فاستبدل بها

(١) سبق تخريجه ص ٤٣٧ .

أهل المدينة صلوات أكثر ... ومن المعلوم أن عدد ركعات النوافل ليست منحصرة ، وكلما استطاع المسلم الإكثار منها كثر أجره ، وعلت منزلته ، وارتفعت درجته في الجنة .. حتى قال الترمذي : " إن أكثر ما قيل في التراويح أنها إحدى وأربعون ركعة " يعني التراويح والوتر^(١) .

وعن مالك أنها ثمان وثلاثون ركعة ، والوتر واحدة ... والمشهور عن مالك أنها ست وأربعون ، وبعدها ثلاث ركعات هي الوتر^(٢) .

رابعاً : وقت صلاة التراويح :

ووقت صلاة التراويح يبدأ بالانتهاء من صلاة العشاء في وقتها المفضل ، وينتهي بعد صلاتها ولو كان آخر الليل ، كما ذهب إلى ذلك الأحناف . والأصح أن وقتها بعد العشاء إلى آخر الليل ، قبل الوتر وبعده ، وهو المشهور عند مالك رحمه الله^(٣) .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أن الإخلاص والصدق في الصيام والقيام ، يؤديان إلى مغفرة ما سبق من صغائر الذنوب .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن احاديث الباب ركيزة هامة هي : -
أهمية قيام رمضان

خلق الله تعالى الناس لعبادته ، فأرسل لهم الرسل ، وحبب إليهم

(١) فتح المنعم ج ٣ ص ٥٤١ .

(٢) انظر فتح المنعم بشرح صحيح مسلم ج ٣ ص ٥٤٢ .

(٣) فتح الباري ج ٤ ص ٢٥٢ بتصرف .

الإيمان ، وزينه في قلوبهم ، ووسع لهم باب القبول ، وضاعف لهم أجر الأعمال الصالحات ، وعرفهم بما في بعض الأوقات والأماكن من خصائص وأفضال .

إن شهر رمضان من الأوقات التي فضلها سبحانه وتعالى على بقية شهور السنة ، ففيه نزل القرآن الكريم ، وفيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ، وزاد من فضل الله تعالى على الناس أن جعل للفريضة فيه أجر سبعين فريضة في غيره ، والنافلة فيه تساوي الفريضة ، وفرض الصوم ، وسن سنة التراويح ، وأمر الناس أن يصوموا ويقوموا طاعة لربهم الذي آمنوا به ، رجاء أن يثيبهم على طاعتهم ، ويكرمهم بالرضا والرضوان ، فعنده الجزاء الأوفى والحساب الكريم ، ووعدهم على الطاعة بمغفرة الصغائر التي يكونوا قد وقعوا فيها ، وزيادة الحسنات بقدر ما أدوا من طاعة .

فإذا ما اقترب شهر رمضان من آخره ، جاءت ليلة القدر ، وهي ليلة خير من ألف شهر ، ولذا حث رسول الله ﷺ على إقامتها ، وغفر الله لمن أقامها ، ومحا ذنوب من أطاع ربه مؤمناً بصدقه ، عالماً أنه وحده العليم الخبير ، وهو العدل في قضائه الذي لا يظلم الناس شيئاً ، الفعال لما يريد .

إن المسلم في شهر رمضان يعيش مواطن الخير كله ، فهو في النهار صائم مطيع ، وفي الليل قائم في الصلاة ، مواظب على قراءة القرآن الكريم ، وقد بشر الله تعالى من صام نهار رمضان ، وقام ليله ، واجتهد في الذكر وقراءة القرآن الكريم بالفوز في جنات النعيم ، يقول

رسول الله ﷺ : (الصيام والقرآن يشفعان للعبد ، يقول الصيام : رب
إنني منعتك الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن :
منعتك النوم بالليل فيشفعان)^(١).

فإن قيل : هل تتعارض أحاديث الباب مع ما ورد عن رسول الله
ﷺ من أن أفضل الأيام العشر الأول من شهر ذي الحجة في قوله ﷺ :
(ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله من هذه الأيام يعني أيام العشر
" قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله قال : " ولا الجهاد في سبيل الله إلا
رجل خرج بنفسه وماله ، ثم لم يرجع من ذلك بشيء)^(٢) .

أقول : لا تعارض بين افضلية العشر الأواخر من رمضان ، وفيها
ليلة القدر ، والعشر الأول من ذي الحجة ؛ لأن المراد بالعشر الأواخر من
رمضان الليالي ، ففيها ليلة القدر ، والمراد بالعشر الأول من ذي الحجة
النهار ، وبذلك فلا تعارض في الأفضلية بين العشريتين ، ففي كل منها
وقتها الخاص بها المختلف عن الآخر .

ومن علامات فضل الله تعالى على عباده ، أن ختم كلا من
العشريتين بعيد يعيشه المسلمون حسا ومعنى ، ففي نهاية عشر رمضان
يكون عيد الفطر ، وفي نهاية عشر ذي الحجة يكون الأضحى
إن عيد الفطر يعيد المسلم إلى ذكريات الاتصال بالله تعالى ، بذكره
، وطاعته ، وتلاوة قرآنه ، وضرورة التواصل الدائم مع الله تعالى .

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ، كتاب فضائل القرآن ، حديث رقم : ١٩٧٩

(٢) صحيح ابن خزيمة ، كتاب المناسك ، باب فضل العمل في ذي الحجة ، حديث رقم :

ويُعِيد الأضحى المسلم إلى ضرورة العطاء للوصول لله ، وإلى أهمية ترك وساوس الشيطان ، وهجر المعاصي ، والإلحاح في القرب من الله تعالى ، والوقوف بالطاعات ، والصبر عليها حتى ينفتح له باب القبول ، ويفوز برضوان الله تعالى .

إن عيد الفطر يركز في الروح الإسلامية ما كان في رمضان من عمل وإخلاص وتجرد ، ويركز عيد الأضحى في روح المسلم وصايا إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - للناس ، والتواصل مع حجيج بيت الله الحرام
إن أحاديث الباب تبين ضرورة الإخلاص والصدق مع الله في رمضان صياما وقيامًا ... والعاقبة للمتقين .

فإن قيل : إن مغفرة الذنب يتكرر بالصيام ، والقيام ، وقيام ليلة القدر ، فهل تتكرر الذنوب ؟ أم هي واحدة ؟
أقول : إن المعنى من قام رمضان دون ليلة القدر ، ومن قام ليلة القدر دون رمضان ، ومن صام دون القيام ، أما إذا جمع المسلم بين الطاعات ، غفرت ذنوبه بواحدة ، ورفعت بغيرها درجاته وخيراته .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الأحاديث

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية : -

- ١- جواز صلاة النافلة في جماعة .
- ٢- تقديم الأهم على المهم .
- ٣- ضرورة بيان العلة الشرعية للعمل إذا غابت عن الناس .
- ٤- استحباب التشهد في أول الخطاب ، وبدء الموعظة بقول الخطيب (أما بعد)

- ١٩ -

٢٦ - باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه

حديث ابن عباس م قال: بَتُّ عِنْدَ مَيْمُونَةَ لَ فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ (١)، [٤٣٧]

٦٣١٦

فَأَتَى حَاجَتَهُ، غَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ ثُمَّ نَامَ، ثُمَّ قَامَ فَأَتَى الْقُرْبَةَ فَأَطْلَقَ شِنَاقَهَا، ثُمَّ تَوَضَّأَ وَضُوعًا بَيْنَ وَضُوعَيْنِ لَمْ يُكْثَرْ، وَقَدْ أْبْلَغَ، فَصَلَّى، فَفُتْتُ فَتَمَطَّيْتُ كَرَاهِيَةً أَنْ يَرَى أَنِّي كُنْتُ أَرْقُبُهُ، فَتَوَضَّأْتُ، فَقَامَ يُصَلِّي، فَفُتْتُ عَنْ يَسَارِهِ، فَأَخَذَ بِأُذُنِي فَأَدَارَنِي عَنْ يَمِينِهِ، فَتَتَمَّتْ صَلَاتُهُ ثَلَاثَ عَشْرَةِ رَكْعَةٍ، ثُمَّ اضْطَجَعَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ، وَكَانَ إِذَا نَامَ نَفَخَ، فَأَذْنُهُ بِلَالٌ بِالصَّلَاةِ فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ؛ وَكَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا .

قَالَ كُرَيْبُ (الرَّأَوِي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ) وَسَبْعٌ فِي التَّابُوتِ، فَلَقِيتُ رَجُلًا مِنْ وَلَدِ الْعَبَّاسِ فَحَدَّثَنِي بِهِنَّ فَذَكَرَ عَصْبِي وَلَحْمِي وَدَمِي وَشَعْرِي وَبَشْرِي، وَذَكَرَ خَصْلَتَيْنِ (١)

حديث عبد الله بن عباس م أنه بات ليلة عند ميمونة، (٢)، [٤٣٨]

١٨٣

زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ وَهِيَ خَالَتُهُ، فَاضْطَجَعْتُ فِي عَرْضِ الْوَسَادَةِ ، وَاضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلُهُ فِي طُولِهَا ، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ،

(١) أخرجه البخاري في: ٨٠ كتاب الدعوات: ١٠ باب الدعاء إذا انتبه من الليل

اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَجَلَسَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ
بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَرَأَ الْعَشْرَ الْآيَاتِ الْخَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ ، ثُمَّ
قَامَ إِلَى شَنْ مُعَلَّقَةٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ ، ثُمَّ قَامَ
يُصَلِّي .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَقُمْتُ فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا صَنَعَ ، ثُمَّ ذَهَبْتُ
فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى رَأْسِي وَأَخَذَ بِأُذُنِي
الْيُمْنَى يَفْتِلُهَا ؛ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ
رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ أَوْتَرَ ؛ ثُمَّ اضْطَجَعَ حَتَّى
أَتَاهُ الْمَوَدُّنُ فَقَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى
الصُّبْحَ (١)

حديث ابن عباس م قال : كانت صلاة النبي ﷺ ثلاث
عشرة ركعة ، يعني بالليل . (٢)

[٤٣٩] ، (٣)
١١٣٨

حديث ابن عباس م قال : كان النبي ﷺ إذا تهجد من الليل
قال : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ
أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ أَنْتَ الْحَقُّ ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ ، وَقَوْلُكَ
الْحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ
وَالسَّاعَةُ حَقٌّ ؛ اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ،

[٤٤٠] ، (٤)
٧٤٩٩

(١) أخرجه البخاري في: ١٩ كتاب التهجد: ١٠ باب كيف كانت صلاة النبي ﷺ وكم كان

النبي ﷺ يصلي من الليل

(٢) أخرجه البخاري في: ٤ كتاب الوضوء: ٣٦ باب قراءة القرآن بعد الحدث وغيره.

وَالْيَكْ أَنْبَتْ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَالْيَكْ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا
قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ
إِلَّا أَنْتَ ^(١).

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب استحباب قيام الليل ، وتكثير الدعاء فيها كما
فعل رسول الله ﷺ ، وتورد أدعية ماثورة لأدعية دعا بها رسول الله ﷺ .

- ب -

الدلالات اللغوية في أحاديث الباب

يشتمل الباب على أربعة أحاديث ، تتناول عدد ركعات قيام الليل ،
وتوضح الأدعية التي كان يقولها النبي ﷺ في صلاة الليل .

ففي الحديث الأول : يقول عبد الله بن عباس **م** (بَتْ عِنْدَ

مَيْمُونَةَ) **ل** وميمونة أم المؤمنين هي أخت لبانة **ل** ، وكلتاها
بنتا الحارث ، تزوج النبي ﷺ ميمونة ، وتزوج العباس ﷺ لبانة فولدت له
عبد الله ، ولذا بات ابن العباس عند ميمونة خالته .

وسبب مبيته ﷺ عندها أن رسول الله ﷺ وعد العباس ﷺ ببعض
إبل الصدقة ، فلما جاءت الأبل أرسل ولده عبد الله ليكلم النبي ﷺ في
شأن ما وعد ، وذهب عبد الله بن العباس **م** إلى خالته في ليلة يبيت
رسول الله ﷺ عندها ، وتأخر عندها حتى دخل الليل ، وأذن له الرسول

(١) أخرجه البخاري في: ٩٧ كتاب التوحيد: ٣٥ باب قول الله تعالى (يريدون أن يبدلوا كلام الله)

ﷺ أن يبيت عند خالته ، فأخذ عبد الله يراقب رسول الله ﷺ ، واستحيا منه فلم يسأله عن الإبل .

يقول ابن عباس **م** (فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَتَى حَاجَتَهُ) أي قام النبي ﷺ من مكانه وذهب وقضى حاجته (فَبَالَ) ^(١) كما جاء التصريح بذلك ثم (غَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ) للتنشيط والتنظيف ، ويمكن أن يكون ذلك كناية عن الوضوء كاملاً ، فقد روي أنه ﷺ (أَتَى الْقُرْبَةَ فَحَلَّ شَنَاقَهَا فَتَوَضَّأَ وَضُوعًا بَيْنَ الْوَضُوعَيْنِ ، ثُمَّ أَتَى فَرَّاشَهُ فَنَامَ ، ثُمَّ قَامَ قَوْمَةً أُخْرَى ، فَأَتَى الْقُرْبَةَ فَحَلَّ شَنَاقَهَا ، ثُمَّ تَوَضَّأَ وَضُوعًا هُوَ الْوَضُوءُ) ^(٢).

فهذا الحديث بهذه الرواية يدل على أن رسول الله ﷺ تَوَضَّأَ وضوعين في هذه الليلة ؛ لأن الحادثة واحدة ، ومن الصعب حمل الوضوء على غسل الوجه واليدين فقط ، والأولى حمل غسل الوجه واليدين على الوضوء بدلالة الحديث ، وهو مجاز من باب ذكر الجزء وإرادة الكل . وقد تَوَضَّأَ النبي ﷺ أولاً لِينَامَ على وضوء (ثُمَّ نَامَ ، ثُمَّ قَامَ) من نومه (فَأَتَى الْقُرْبَةَ) المملوءة بالماء (فَأَطْلَقَ شَنَاقَهَا) أي فك رباطها ، وَشَنَاقَهَا : بكسر الشين وفتح النون الممدودة وقاف بعدها .

فأخذ منها جزءاً من الماء (ثُمَّ تَوَضَّأَ وَضُوعًا بَيْنَ وَضُوعَيْنِ لَمْ يُكْثَرْ) أي تَوَضَّأَ وضوءاً كاملاً ، اسبغ فيه الماء ، إلا أنه اقتصد في الماء ، فلم

(١) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ، حديث رقم : ١٣١٩ .

(٢) نفس التخريج السابق .

يثلث غسل الأعضاء ، أو أنه ثلث الغسل واقتصد في الماء (وَقَدْ أَبْلَغَ) أي أوصل الماء إلى ما يجب إيصاله إليه ، وبذلك أتم الوضوء ، واقتصد في الماء ، (فَصَلَّى) أي أخذ ﷺ في صلاة الليل بعد وضوئه .

يقول ابن عباس م (فَكُنْتُ فَتَمَطَّيْتُ كَرَاهِيَةً أَنْ يَرَى أَنِّي كُنْتُ أَرْقِبُهُ) أي تحركت وتمددت ليعلم ﷺ أنني يقظ ، وكرهت أن يظن أنني أتابع عمله وأعده وكنت منتبها له ، فحركني ﷺ فقامت .

وجاءت روايات عدة تغاير لفظ (أَرْقِبُهُ) ، فمنها رواية (أَنْقِيهِ) بهمزة ونون ساكنة بعدها قاف ، ومنها رواية (أَنْقِيهِ) ^(١) بفتح الهمزة وتاء مفتوحة مشددة بعدها قاف مكسورة ممدودة

ومنها رواية (أَبْغِيهِ) ^(٢) بفتح الهمزة بعدها باء ساكنة وغاء مكسورة وممدودة ، وكلها بمعنى واحد .

(فَتَوَضَّأْتُ ، فَقَامَ ﷺ يُصَلِّي) ، فصليت بصلاته ﷺ (فَكُنْتُ عَنْ يَسَارِهِ) لأنني لم أشأ أن يكون الرسول ﷺ على يساري .

(فَأَخَذَ ﷺ بِأُذُنِي فَأَدَارَنِي عَنْ يَمِينِهِ) فصليت بصلاته ﷺ هذه الليلة (فَتَنَامْتُ) أي تكاملت صلاته ﷺ حتى بلغت (صَلَاتُهُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً) ، وهي صلاة القيام وركعة الوتر .

(ثُمَّ اضْطَجَعَ ﷺ) على جنبه الأيمن (فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ) أي خرج

(١) صحيح البخاري ، كتاب الدعوات ، باب الدعاء إذا انتبه من الليل .

(٢) مصنف عبد الرزاق الصنعاني ، كتاب الصلاة ، باب صلاة النبي ﷺ .

منه نفس يدل على نومه ، (وَكَانَ ﷺ إِذَا نَامَ نَفَخَ) ، وبقي ﷺ نائماً حتى أذن (بِلَالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالصَّلَاةِ) لصلاة الفجر ، فقام ﷺ (فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ) ، فلما سئل ﷺ عن صلاته بلا وضوء بعد نومه قال ﷺ : (تَنَامَ عَيْنِي وَلَا يَنَامُ قَلْبِي) ^(١).

يقول ابن عباس م (وَكَانَ ﷺ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا). ومع هذا الدعاء المذكور في الحديث نوضح بعض المسائل وهي :-

المسألة الأولى

النور بين الحقيقة والمجاز

من الممكن حمل النور المذكور في الدعاء على ظاهره ، وهذا يعني أن المصلي يدعو الله تعالى ، ويسأله أن يجعل له نورا يوم القيامة ، يسري في كل عضو من أعضائه يغنيه عن تلك الظلمة التي يبعث فيها هو ومن تبعه ، أو من شاء الله تعالى منهم

وقيل : إن النور استعارة وهو يعني الهداية والعلم ، والتوفيق ، فهو

مثل قوله ﷺ : ﴿ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ ^(٢). ومثل قوله ﷺ : ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ ^(٣)

(١) صحيح ابن حبان ، كتاب التاريخ ، حديث رقم : ٦٤٧٧ .

(٢) سورة الزمر الآية : ٢٢ .

(٣) سورة الأنعام الآية : ١٢٢ .

والتحقيق في معناه أن النور مظهر لما نسب إليه ، وهو يختلف بحسبه ، فنور السمع مظهر للمسموعات ، ونور البصر كاشف للمبصرات ، ونور القلب كاشف للمعلومات ، ونور الجوارح ما يبدو عليها من أعمال الطاعات .

ولا تعارض بين تحقيق المعنيين كل بحسبه ، في الدنيا ، وفي الآخرة على سواء .

يقول الطيبي : ومعنى طلب النور للأعضاء عضوا عضوا أن يتحلى بأنوار المعرفة والطاعات ، ويتعزى عما عداهما ، فإن الشياطين تحيط بالجهات الست بالوساوس ، فكان التخلص منها بالأنوار السادة لتلك الجهات وكل منها راجع إلى الهداية والبيان ، وضياء الحق .

المسألة الثانية

هل ما جاء في الحديث يحصر الرجاء في العشر المذكورة ، أم أن هناك روايات أخرى تذكر أكثر منها ؟

والجواب عن هذا يشير إلى وجود روايات أخرى تشير إلى جوانب

أخرى في الدعاء أكثر من هذه العشرة ... منها : -

- " عظم لي أو قال " أعظم لي نورا " ^(١) .

- " اجعلني نورا " ^(٢) .

- " واجعل لي يوم القيامة نورا " ^(٣) .

(١) معجم ابن الأعراب حديث رقم : ٣٩٤ .

(٢) قيام الليل لمحمد بن نصر المروزي - نوع رابع من صلاة النبي ﷺ ، حديث رقم : ١٢٩

(٣) مسند أبي يعلى الموصلي - أول مسند ابن عباس ، حديث رقم : ٢٤٨٩ .

- " وفي لساني نورا " ^(١).

- " اللهم اجعل لي في عظامي نورا وفي قبري نورا " ^(٢).

يقول ابن عباس - رضي الله عنهما : (سمعت النبي ﷺ ليلة حين فرغ من صلاته يقول : (اللهم إني أسألك رحمة من عندك
اللهم اجعل لي نورا في قلبي ، ونورا في قبري ، ونورا من بين يدي ،
ونورا من خلفي ، ونورا عن يميني ، ونورا عن شمالي ، ونورا من فوقني ،
ونورا من تحتي ، ونورا في سمعي ، ونورا في بصري ، ونورا في شعري ،
ونورا في بشري ، ونورا في لحمي ، ونورا في دمي ، ونورا في عظامي ،
اللهم أعظم لي نورا ، وأعطني نورا ، واجعل لي نورا ، ..) ^(٣).

المسألة الثالثة

الفصاحة والبيان في الدعاء

أورد الحديث النور نكرة ليفيد التكثير والتنوع ، ويعم الحسي والمعنوي ،
والهداية الدائمة ، والعلم الواسع ... وأيضا فقد استعمل حروف الجر
لتدل في موضوعها على الغاية المقصودة منها ، فاستعمل " في " مع
السمع والبصر والقلب للدلالة على أن هذه الأعضاء هي السبيل لمعرفة
آلاء الله ﷻ ، ومقر التفكير في نعمه وفضله ، ولذلك جعلها مأوى النور.

(١) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء في الليل وقيامه ، حديث رقم : ١٣٢٠ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء في الليل وقيامه ، حديث رقم : ١٣١٩ .

(٣) سنن الترمذي ، الجامع الصحيح - الذبائح ، أبواب الدعوات عن النبي ﷺ ، باب : منه حديث رقم : ٣٤٢٤ .

وخص اليمين والشمال بـ" عن " إيدانا بتجاوز الأنوار عن قلبه وسمعه وبصره إلى من عن يمينه وشماله من اتباعه لإفادة المجاورة التي تستفيد منها هذه الجوارح

وعبر عن باقي الجهات بـ" من " ليشمل استنارته ، وإنارته من الله والخلق ، وجاء في آخره تنمة لكل ما سبق وتأكيدا له . وبمثل هذا البيان تفهم الروايات الأخرى .

(قَالَ كَرِيبٌ ؓ) الرَّاوي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ م (وَسَبْعًا فِي التَّابُوتِ)
أي قال كريب ؓ : إن ابن عباس م حدثه عن رسول الله ﷺ بسبع أماكن دعا رسول الله ﷺ بملئها نورا ، وضعها كريب في التابوت ونسيها ، والمراد بالتابوت الصدر ، وهو وعاء القلب ، كما يقال لمن يحفظ العلم (علمه في التابوت مستودع) أي في الصدر .

يقول النووي : المراد بالتابوت : الأضلاع ، وما تحويه من القلب وغيره ، تشبيها بالتابوت التي نحرز فيه المتاع ^(١).

(فَلَقِيتُ رَجُلًا مِنْ وَلَدِ الْعَبَّاسِ فَحَدَّثَنِي بِهِنَّ) ، القائل (فَلَقِيتُ) هو سلمة بن كهيل ؓ ، رأوي الحديث عن كريب ، أو هو كريب نفسه ، ومعناه أن كريبا نسي السبع التي وضعها في صدره ، وقلبه ، فسأل عنها أحد أولاد العباس ؓ فبينها له (فَذَكَرَ عَصْبِي وَلَحْمِي وَدَمِي وَشَعْرِي وَبَشْرِي) أي وعدد كريب أو سلمة خمسا من الأعضاء السبعة المذكورة ، ونسي اثنتين من السبع ... قال الراوي : هما العظم والمخ وقال الكرمانى : لعلمهما

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ج ٢ ص ٤١٥ ، طبعة الشعب .

الشحم والعظم ، وقال الحافظ بن حجر : المراد بهما اللسان والنفس ^(١) .
وفي الحديث الثاني :يؤكد ابن عباس م (أَنَّهُ بَاتَ لَيْلَةً عِنْدَ
مَيْمُونَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ وَهِيَ خَالَتُهُ ﷺ) ويبين ما ذكره في الحديث الأول
مع بعض الاختلاف ؛ لأن الحديث الأول يتناول دعاء النبي ﷺ في
صلاة الليل ، وفي الحديث الثاني يحدد عدد ركعات الصلاة في الليل .
يقول ابن عباس م (فَاضْطَجَعْتُ فِي عَرْضِ الْوِسَادَةِ، وَاضْطَجَعَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلُهُ فِي طُولِهَا) أي نام الثلاثة على فراش واحد ، وهو
المقصود من الوسادة (على وجه المجاز) ؛ لأن معنى الوسادة الفراش
الذي يوضع تحت الرأس ، ولذلك كان القول بأن المقصود من الوسادة
الفراش أولى بالقبول .

وهيئة نوم الثلاثة على فراش واحد يمثل مثلثا حاد الزوايا ، أتخذ
ابن عباس م فيه مكان ضلع القاعدة عند رأس النبي ﷺ وخالته ل
، وأتخذ الرسول ﷺ ، وميمونة ل هيئة الضلعين الآخرين ، مع فتح
رأس المثلث بتباعد الأرجل عن بعضها .
وإنما جاز ذلك ؛ لأن ميمونة ل خالة ابن عباس م ، وهي محرم
له ، وقد أذن رسول الله ﷺ له بالمبيت .

(فَتَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) بعد صلاة العشاء ، (حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ أَوْ
قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ، اسْتَيْقَظَ رَسُولُ ﷺ) من نومه ، وأخذ يغالب

(١) فتح الباري ج ١١ ص ١١٨ .

النوم (فَجَلَسَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ بِيَدِهِ) ويعمل على إزالة آثار النوم ، وما فيه من كسل وخمول ، وحب للراحة .

(ثُمَّ قَرَأَ الْعَشْرَ الْآيَاتِ الْخَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ) وهي من قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ ^(١)....إلى آخر السورة .

(ثُمَّ قَامَ إِلَى شَنْ مُعَلَّقَةٍ) أي قام إلى قربة خلقة قديمة متخذة من الجلد مملوءة ماء كانت معلقة على جدار الحجرة .

(فَتَوَضَّأَ مِنْهَا فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ) أي أتم وضوءه وأكمله ، فأسبغ الماء على جوارحه ، وحافظ على شروطه وأركانه .

(ثُمَّ قَامَ ﷺ يُصَلِّي) صلاة الليل ، وفي هذا دليل على جواز قيام الليل في منتصف الليل ، أو قبله بقليل ، أو بعده بقليل .

(قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ) م : (فَقُمْتُ فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا صَنَعَ) أي قمت من نومي ، وقرأت خواتيم سورة آل عمران ، ثم توضأت مثل وضوئه ﷺ ،

وقول ابن عباس م : (فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا صَنَعَ) يحتمل أنه صنع كل ما فعله

الرسول ﷺ ، ويحتمل أنه صنع بعضا مماثلا لفعل رسول الله ﷺ ، (ثُمَّ

ذَهَبْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى رَأْسِي وَأَخَذَ بِأُذُنِي الْيُمْنَى

يَفْتُلُهَا) أي أنه ﷺ أدار ابن عباس م من يساره إلى يمينه كما في

الحديث الأول ، ثم أخذ في إيناسه وتسليته ، والحنو عليه ، فمد يده

(١) سورة آل عمران الآية : ١٩٠ .

اليمنى على رقبة ابن عباس ، وأمسك طرف أذنه اليمنى وفتلها ﷺ بأصابعه ليتخلص ابن عباس من النعاس وينتبه للصلاة ، ولإمام ، وللذكر ، وقراءة القرآن

يقول ابن عباس م في رواية أخرى : (فعرفت أنه إنما صنع ذلك ، ليؤنسني بيده في ظلمة البيت)^(١) .

(فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ أَوْتَرَ) أي أنه ﷺ صلى اثنتي عشرة ركعة ، سلم على رأس كل ركعتين ، وصلى بعد ذلك ركعة واحدة أوتر بها صلاته ، فدل ذلك على أن صلاة الليل مثني مثني ، وأنها اثنتا عشرة ركعة ، وأنها تختم بوتر ، وأن أدائها في الليل في جماعة جائز شرعا ، (ثُمَّ اضْطَجَعَ ﷺ) بعد ذلك (حَتَّى أَتَاهُ الْمُؤَذِّنُ فَقَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ) في بيته (ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ) ، فدل ذلك على جواز النوم بعد الوتر ، وأن سنة الفجر ليست من صلاة الليل ، وأن صلاتها في البيت افضل .

وفي الحديث الثالث : يقول ابن عباس م راوي الحديث أن عدد صلاة النبي ﷺ في قيام الليل ثلاث عشر ركعة مع الوتر ، وفيه يقول ابن عباس م (كَانَتْ صَلَاةُ النَّبِيِّ ﷺ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً) .

يقول أبو جمرة رأوي الحديث عن ابن عباس م يعني ابن عباس في هذا الحديث صلاة الليل ، ويؤكد قوله ﷺ : حديث (كان النبي ﷺ يصلي

(١) قيام الليل لمحمد بن نصر المروزي ، باب عدد صلاة النبي ﷺ بالليل ، حديث : ١٢٣

من الليل ثلاث عشرة ركعة (١).

وفي الحديث الرابع : يروي ابن عباس **م** بعض دعاء النبي ﷺ

في تهجده ، وصلاته بالليل فيقول : (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا تَهَجَّدَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ينادي ربه في دعائه ، ويذكر الميم المشددة في (اللَّهُمَّ) بدل حرف النداء ، ويقر في دعائه ابتداء بأن الثناء والشكر لله وحده ، فهو المتفضل على خلقه ، والمنعم عليهم ، ومن صفات أفعاله ﷺ أنه نور السموات والأرضين ، فهو سبحانه خالق كل ما ينير السماء والأرض من شمس ، وقمر ، وكوكب ، ونجم ، والله خالق النور كله حسا أو معنى ؛ لأن النور المحسوس مخلوق لله تعالى بخلق أجرامه ، وهو هاديها لما خلقت له ... وأما نور الهداية فإله سبحانه خالقه ومقرره والقاضي به ، ومعنى الحديث أنت يا الله خالق النور الهادي في السموات والأرض إلى سواء السبيل ، وخالق الهداية بما فيها من خير وفائدة .

(وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قِيمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي ولك الحمد فأنت الحافظ لدوام السموات والأرض كما تشاء ، ومتى تشاء ، فهو سبحانه ﴿قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ (٢).

(وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ) أي أنت العظيم المطاع لكل من في السموات والأرض ، فأنت المتولي شئونها ، المنعم المتفضل بالوجود لكل موجود ، ولولاك ما كان للوجود وجود .

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب كيف صلاة النبي ﷺ .

(٢) سورة الرعد الآية : ٣٣ .

(أَنْتَ الْحَقُّ) أي أنت الحق الثابت، الذي لا يزول ولا يتغير، وكل ما عداك هالك وزائل ، والحق من أسمائه سبحانه وتعالى ، ومعناه المتحقق وجوده بصفات كماله وجلاله .

(وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ) أي إن كل ما وعدت به ، وأخبرت عنه حق وصدق ، فأنت يا الله إله نؤمن بك بيقين ، ونصدق بإخبارك ووعدك ، فأنت الحق في ذاتك ، وأنت حق في إخبارك ودينك ، فوعدك ثابت ، ولقائك بعد البعث مؤكد ، والجنة والنار موجودتان كما ذكرت ، ويوم القيامة آت لا ريب فيه ، وأكد الحديث ثبوت كل هذا وبين أنه حق وصدق (اللَّهُمَّ لَكَ أَسَلْتُ) أي انقذت لتعاليمك يا الله ، وخضعت لأمرك ونهيك .

(وَبِكَ آمَنْتُ) أي صدقت بوجودك ، وبكل ما أخبرت به تيقنت منه ، وملأت به عقلي وروحي ، فأنت المعبود لا إله غيرك .
(وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ) أي اعتمدت عليك وحدك يا الله .

(وَالَيْكَ أُنَبِّئُ) أي رجعت إليك وحدك ، وفوضت أمري لك .
(وَبِكَ خَاصَمْتُ) أي أخاصم غيري بما تعلمته منك ، وبالبراهين الموجوده في كتابك ، وسنة نبيك ﷺ .

(وَالَيْكَ حَاكَمْتُ) أي جعلت حكمك هو الحكم الذي أعتمده وأتمسك به ، وليس لي حاكم سواك ، وحكم غيرك جاهلية ممقوتة .

(فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ) أي إني يا إلهي محتاج إليك في كل أحوالي وأعمالي ، فاغفر لي يا الله ذنوبي التي وقعت فيها ، ، ونجني من الذنوب الآتية بصرفها عني ، وغفرانك عنها إن

وقعت مني ، واغفر لي يا رب كافة ذنوبي ، المعلنة والسرية ، فأنت العليم بكل شيء ، القادر على كل أمر ، وأنت العفو الغفور .
(أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ) أي أنت الإله الواحد الأحد الذي آمنت به ، وأتوجه له بالطاعة والخشوع ، واستغفره وأتوب إليه ، فلا إله غيرك ، ولا رب سواك ، ولك حياتي وصلاتي ، ونسكي ، ومماتي ، ، وأنت المتصف بكل كمال يليق بك ، ولذلك أحمذك بصفاتك ، واعتمد عليك راجيا كرمك وعفوك ، وغفرانك ، ومحو ذنوبي ، وستر عيوبي ، وقبول توبتي ، فلا إله إلا أنت ، وأنت رب العالمين .

يقول الكرمانى : هذا الحديث من جوامع الكلم ؛ لأن لفظ " القيم " إشارة إلى أن وجود الجواهر كلها وقوامها منه سبحانه وتعالى .
و " والنور " يشير إلى أن الأعراض أيضا منه .

وقوله : " والملك " إلى أنه حاكم عليها إيجابا وإعداما يفعل ما يشاء ، وكل ذلك من نعم الله على عباده ، فلهذا قرن كل منها بالحمد ، وخص الحمدله

ثم قوله " أنت الحق " إشارة إلى المبدأ ... " والقول " ونحوه إلى المعاش

وقوله " والساعة " ونحوها إلى المعاد ... وفيه إشارة إلى النبوة ، وإلى الجزاء ثوابا أو عقابا ووجوب الإسلام والإيمان ، والتوكل والإنابة ، والتفرغ إلى الله ، والخضوع له ^(١) .

(١) فتح الباري ج ٣ ص ٥ .

وقد اوردت أحاديث كثيرة بعضا من دعاء النبي ﷺ ومناجاته لربه ﷻ
... منها : -

سُئِلَتْ عائشة أم المؤمنين **ل** ، بأي شيء كان نبي الله ﷺ
يفتح صلاته إذا قام من الليل ؟

قالت : كان إذا قام من الليل افتتح صلاته بقول : (اللهم رب جبرائيل ،
وميكائيل ، وإسرافيل ، فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ،
أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه
من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم) ^(١).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ ، أنه كان إذا
قام إلى الصلاة قال : (وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض
حنيفا ، وما أنا من المشركين ، إن صلاتي ، ونسكي ، ومحياي ،
ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين
، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت أنت ربي ، وأنا عبدك ، ظلمت نفسي ،
واعترفت بذنبي ، فاغفر لي ذنوبي جميعا ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ،
واهدي لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عني سيئها
لا يصرف عني سيئها إلا أنت ، لبيك وسعديك والخير كله في يديك ،
والشر ليس إليك ، أنا بك وإليك ، تباركت وتعاليت ، أستغفرك وأتوب إليك
وإذا ركع قال : " اللهم لك ركعت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، خشع
لك سمعي ، وبصري ، ومخي ، وعظمي ، وعصبي " .

(١) صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ،

وإذا رفع قال : " اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات ، وملء الأرض ،
وملء ما بينهما ، وملء ما شئت من شيء بعد " .

وإذا سجد قال : " اللهم لك سجدت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، سجد
وجهي للذي خلقه ، وصوره ، وشق سمعه وبصره ، تبارك الله أحسن
الخالقين " .

ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم : " اللهم اغفر لي ما
قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت ، وما أنت أعلم
به مني ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت (١) .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تتناول أحاديث الباب بيان مشروعية صلاة الليل ، وتدور حول
أمور محددة .

الأول : اهتمام الصحابة بنقل ما رأوا من رسول الله ﷺ ، حتى ولو
قام به في بيته ، وكانوا يستفيدون بكل وسيلة مشروعة لمعرفة صلاة النبي
ﷺ في الليل ، وعبادته لربه ﷻ .

فهذا هو ابن عباس **م** يستفيد بقرابته لأم المؤمنين ميمونة **ل**
وببيت عندها ، وينقل ما رآه من النبي ﷺ ، ويبين كيفية صلاته بالليل ،
وعدد الركعات التي بلغت ثلاث عشرة ركعة .

الثاني : بيان اهتمام النبي ﷺ بصلاة الصغير معه ، مع شففته عليه

(١) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسارين وقصرها ، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ،

ورحمته به ، ومؤانسته وتسليته ، وذلك بوضع يده اليمنى على كتفيه ، وفرك أذنه اليمنى ، ليصرف عنه النوم والكسل ، ويزيل عنه الخوف من صلاة الليل .

الثالث : اكتفت الأحاديث بأن عدد ركعات صلاة الليل ثلاث عشرة ركعة ، وهي تصور حادثة مبيت ابن عباس **م** عند خالته في بيت رسول الله ﷺ ، وهذا العدد لا يعارض الروايات الأخرى التي ذكرت عددا من الركعات أقل أو أكثر ؛ لأن العدد يتغير بتغير الأحوال والظروف .

الرابع : تشير أحاديث الباب إلى أن صلاة الليل موطن إجابة الدعاء ، وقد ذكرت الأحاديث جزءا منها ، ويلاحظ أن هذه الأدعية تتضمن ما يلي : -

- أ - التوجه إلى الله وحده ، فهو الرحمن الرحيم .
 - ب - البدء في الدعاء بتمجيد الله وحمده ، ووصفه بما هو أهل له ..
 - ج - التركيز على الخير الأعظم ، والنعم الكبرى في الطلب
- فإنه خالق النور وواهبه لعباده ، ولذلك كان السؤال الأعظم بهذا النور حسيا كان أو معنويا .
- د - إثبات ما لله من حقوق ، وما في الدين من أساسيات قبل إظهار الضعف أمام الله ، وإبراز شدة الحاجة إليه حين الطلب منه .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب عدد ركعات صلاة الليل والوتر ، وأهمية الدعاء في السحر الأخير من الليل ، وتورد بعض الأدعية المأثورة عن النبي ﷺ

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز ... منها :-

الركيزة الأولى

الدعاء مخ العبادة

تشير أحاديث الباب إلى حاجة العبد لربه ، وترشده إلى أفضل أوقات الدعاء ، ومكانه في الصلاة ، وألفاظه المأثورة

يقول الخطابي : والدعاء طلب العبد من ربه العناية ، واستمداد المعونة منه ، وإظهار الافتقار إليه ، والبراءة من الحول والطول التي له ^(١).

وقد امر الله تعالى عباده بالدعاء فقال ﷺ : **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً** ^(٢)

ويقول النبي ﷺ : **(إن الله حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين)** ^(٣).

وقال ﷺ : **(سلوا الله من فضله ، فإن الله ﷻ يحب أن يسأل ، وأفضل العبادة انتظار الفرج)** ^(٤).

وللدعاء فوائد عديدة أهمها أنه يؤكد حقيقة العبادة، لأنه يعني الخضوع والتذلل لله تعالى والرجاء منه وحده .

(١) اتحاف السادة المتقين ج٥ ص ٢٧ .

(٢) سورة الأعراف الآية : ٥٥ .

(٣) سنن الترمذي الجامع الصحيح - الذبائح، أبواب الدعوات عن النبي ﷺ حديث ٣٥٦٤ .

(٤) سنن الترمذي - الجامع الصحيح - الذبائح ، باب : انتظار الفرج وغيره ، حديث ٣٥٧٣

والدعاء يحتاج إلى آداب معينة ، منها :-

- طيب مطعم الداعي ومسكنه وملبسه ، لقوله ﷺ : (أيها الناس ، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال ﷺ : ﴿ يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ وقال ﷺ : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، يمد يديه إلى السماء ، يا رب ، يا رب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذي بالحرام ، فأنى يستجاب لذلك ؟)^(١)

وقوله ﷺ : (أظب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذي نفس محمد بيده ، إن العبد ليقتذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوما)^(٢).

- وأن يتخير الداعي لدعائه الأوقات الشرعية ، كوقت السحر ، ويوم عرفة ، وليلة القدر ، وأثناء التهجد والسجود .

- وأن يتوجه إلى القبلة أثناء الدعاء .

- وأن يلح في الدعاء موقنا بالأجابة .

- وأن يفتتح الدعاء بذكر الله تعالى ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، وبختمه بذلك ، فقد (سمع رسول الله ﷺ رجلا يدعو في صلاته لم يحمد الله ، ولم يصل على النبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ : " عجل هذا ")

(١) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب ، حديث ١٧٤٨ .

(٢) المعجم الوسط للطبراني ، باب العين ، حديث رقم : ٦٦١٤ .

ثم دعاه فقال له : " إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ، ثم ليصل على النبي ﷺ ، ثم ليدع بعد بما شاء) (١).

ويقول ﷺ : (لا تجعلوني كقدح الراكب ، إن الراكب إذا علق معاليقه أخذ قدحه فملأه من الماء ، فإن كانت له حاجة في الوضوء توضأ ، وإن كانت له حاجة في الشرب شرب ، وإلا أهرق ما فيه ، اجعلوني في أول الدعاء ، وفي وسط الدعاء ، وفي آخر الدعاء) (٢) .
- ويستحب تتبع معاني وكلمات الدعاء .

والدعاء في الصلاة سنة ، كما هو سنة خارج الصلاة ، فيسن الدعاء بين تكبيرة الإحرام والقراءة ، وأثناء السجود ، وبعد التشهد الأخير قبل السلام .

إن الدعاء يضع العبد في موضعه ، ويرفع مقام الله تعالى إلى مكانته اللأئقة به ، وبذلك تُعرف الحقوق ، وتُصان الواجبات .

الركيزة الثانية

تميز الصحابة في حمل الإسلام وتبليغه

هياً الله تعالى لدينه أن ينتشر في العالمين ، وأن يبلغ كل مكان بلغه الليل والنهار ، وخص أصحاب رسول الله ﷺ في زمانهم بحب الإسلام ، وحب خدمته ، والإخلاص التام لتبليغه ، ونشره بين الناس أجمعين .

(١) صحيح ابن حبان ، كتاب الصلاة ، باب صفة الصلاة ، حديث رقم : ١٩٨٤

(٢) المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني ، كتاب الأذكار والدعوات ، باب الصلاة

على النبي ﷺ كثيراً ، حديث رقم : ٣٣٨٤ .

وأحاديث الباب تشير إلى هذه الميزة لصحابة النبي ﷺ ، فما هو

ابن عباس **م** يبيت عند خالته ميمونة **ل** وينقل كل ما رآه من فعل وقول النبي ﷺ ، وصلاته ، ونومه في الليل ، ولم يقصر الصحابة في هذا الشأن أبدا ، فنقلوا - رضوان الله عليهم - كل ماسمعه وشاهده ورأوه من رسول الله ﷺ حتى ظهرت حياة النبي ﷺ كاملة ، بأحداثها ، وأوصافها وأحوالها للأمة كلها ، وبقيت مدونة في كتب السنة ، وفي صدور الرجال ، واستمرت في ثبوتها وثباتها كما وقعت بين الناس إلى يوم القيامة .

إن اهتمام الصحابة بالقرآن الكريم ، والسنة النبوية اهتمام بالإسلام كله ، وقد هياهم الله تعالى لذلك ، فرزقهم سرعة الحفظ ، وقوة الضبط ، وسلامة العدالة والإيمان ، فحفظوا ما سمعوه مرة واحدة ، ونقلوا ما شاهدوا لمن بعدهم .

واهتمت الأجيال بعد الصحابة بهديهم ، فبقي الإسلام ببقاء مصادره ، محاطا بالرعاية والاهتمام ، وزادها التابعون ومن بعدهم شرحا وتفصيلا ، فظهرت المذاهب ، وكثرت آراء العلماء التي رحم الله بهم الأمة ، ليختار المسلم ما يناسبه من المذاهب ، فكلها مستنبطة من المصادر الإسلامية .

ومن الواجب

على المسلمين الاستمرار في العناية بمصادر الإسلام ، ودعوة الجمهور إلى أن يعلموا شئون دينهم ، ويعملوا بها ، ويربطوا الحاضر بالماضي ؛ لإنارة المستقبل بنور الإسلام الحنيف .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد أحاديث الباب

نستنبط من الحديث الفوائد التالية : -

- (١) موقف المأموم يكون عن يمين الإمام في الصلاة .
- (٢) جواز صلاة الليل في جماعة ولو كان المأموم صبيا
- (٣) جواز قراءة القرآن الكريم للمحدث ، فقد قرأ النبي ﷺ أواخر سورة آل عمران قبل أن يتوضأ .
- (٤) ملاطفة الصغير ومؤانسته ، وتشجيعه على الصلاة .
- (٥) استحباب الدعاء في صلاة الليل .
- (٦) استحباب تقديم الثناء على الله قبل الطلب منه .
- (٧) جواز العمل القليل في الصلاة .
- (٨) الالتزام بآداب الدعاء لأن ذلك أدعى للقبول .

- ٢٠ -

٢٧ - باب استحباب تطويل القراءة

في صلاة الليل

حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ [٤٤١]، (١)

لَيْلَةً فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سَوْءٍ. ١١٣٥

قِيلَ لَهُ: وَمَا هَمَمْتَ ؟

قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَفْعَدَ وَأَذَرَ النَّبِيَّ ﷺ ^(١).

- أ -

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل

- ب -

الدلالات اللغوية في حديث الباب

يتضمن الباب حديثاً واحداً رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وفيه يقول : (صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سَوْءٍ) أي إن ابن مسعود رضي الله عنه صلى خلف النبي ﷺ ذات ليلة ، فأطال النبي ﷺ القراءة إطالة كاد بسببها أن يقعد ابن مسعود رضي الله عنه عن الصلاة ، ويترك ما بدأه خلف رسول الله ﷺ ، ولكنه لم يفعل لأن الهم غير الفعل ، وما منعه من الفعل إلا علمه انه عمل سيء .

وهذا يدل على استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ؛ لأنه ﷺ

ظل قائماً يقرأ ، وتطويل الصلاة يعني طول القيام والقراءة وهذا يدل على

(١) أخرجه البخاري في: ١٩ كتاب التهجد: ٩ باب طول القيام في صلاة الليل

طول الصلاة ؛ لأن العرف يفيد أن القيام أطول من الركوع والسجود ،
والجلوس للتشهد .

(قِيلَ لَهُ) أي قال الصحابة لابن مسعود رضي الله عنه .

(وَمَا هَمَمْتَ) ؟ ... ما هذا الفعل السيء الذي كدت أن تفعله ؟

(قَالَ) رضي الله عنه (هَمَمْتُ أَنْ أَقْعِدَ وَأَذَرَ النَّبِيَّ ﷺ) أي أقعد عن الصلاة ،
وأترك النبي ﷺ يصلي وحده لطول قراءته .

وقد كان ابن مسعود رضي الله عنه قويا محافظا على الاقتداء بالنبي ﷺ ،
وما هم بالقعود إلا بعد طول كثير على ما اعتاده .

وابن مسعود في هذا الحديث يبين استحباب تطويل القراءة في صلاة
الليل ليكون سنة في الناس ، فإنه أتم صلاته مع النبي ﷺ ، وبقي طول
القراءة سنة مشروعة في أحكام الشريعة ، لم تتأثر بحالة ابن مسعود رضي الله عنه .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

دعا الإسلام إلى تخفيف القراءة في صلاة الفريضة ، يقول النبي
ﷺ : (إذا أم أحدكم الناس ، فليخفف ، فإن فيهم الصغير ، والكبير ،

والضعيف ، والمريض ، فإذا صلى وحده فليصل كيف شاء)^(١)

وقد جاءت الأحاديث بأن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة العشاء بسورة
الشمس ، أو الليل ... فعن جابر رضي الله عنه : (أن النبي ﷺ أمر معاذا أن يقرأ
في صلاة العشاء بـ) والشمس وضحاها ، والليل إذا يغشى ، وسبح اسم

(١) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة ، حديث رقم : ٤٧٣ .

ربك الأعلى ، والضحى ، ونحوها من السور) ^(١)

أما صلاة النافلة بالليل : فالجماعة فيها غير مؤكدة ، والقصد منها طلب العون ، والاستغفار ، وتحقيق العبودية ، وهذا مدعاة لتطويل القراءة ، فمن صلى مع النبي ﷺ صلاة الليل استمتع للقراءة الطويلة ، وسعد بها .

ويدل حديث الباب على أنه ﷺ أطال القراءة مع ابن مسعود رضي الله عنه في تلك الليلة ، وهذا يعني أنها ماثلت صلاة حذيفة رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ ، وعنهما يقول حذيفة رضي الله عنه : (صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة ، فافتتح البقرة فقلت : يركع عند المائة ، ثم مضى فقلت : يصلي بها في ركعة ، فمضى فقلت : يركع بها ، ثم افتتح النساء ، فقرأها ، ثم افتتح آل عمران ، فقرأها ، يقرأ مترسلا ، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح ، وإذا مر بسؤال سأل ، وإذا مر بتعوذ تعوذ ، ثم ركع فجعل يقول : " سبحان ربي العظيم " ، فكان ركوعه نحوا من قيامه ، ثم قال : " سمع الله لمن حمده " ، ثم قام طويلا قريبا مما ركع ، ثم سجد ، فقال : " سبحان ربي الأعلى " ، فكان سجوده قريبا من قيامه) ^(٢).

يقول ابن حجر : وهذا إنما يتأتى في نحو من ساعتين ، فلعله ﷺ أحيا تلك الليلة كلها ... وأما ما تقتضيه حاله في غير تلك الليلة فكان على غير ذلك .

(١) صحيح ابن حبان ، كتاب الصلاة ، باب صفة الصلاة ، حديث رقم : ١٨٦١

(٢) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ، حديث رقم : ١٣٣١ .

فقد أخبرت عائشة **ل** أنه ﷺ كان يقوم قدر ثلث الليل ، وأنه (ﷺ لم يكن يزيد في رمضان ولا في غيره على أحد عشر ركعة)^(١)^(٢).
وقد خاض العلماء في الأفضل للمصلي ، فقال بعضهم الأفضل تطويل القراءة ، وقال غيرهم الأفضل كثرة الركوع والسجود. والذي يظهر أن الأفضل يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال .

- د -

معنى حديث الباب

يبين حديث الباب استحباب طول القراءة في صلاة الليل ، كما بينه ابن مسعود رضي الله عنه .

- ه -

ركائز الدعوة في حديث الباب

يتضمن حديث الباب ركيزة هامة ... هي : -
الصدق التام في الخبر والرواية

خلق الله تعالى الإنسان مزودا بغريزة حب المعرفة ، وصار من عاداته الاستماع لما يروى من أخبار ، وما يذاع من أنباء ، حتى صارت الأخبار هي المكون الرئيسي للرأي العام .
وقد درج الإعلاميون على إحاطة الخبر بالمبالغة ، والإثارة ، وحين يعملون لخدمة نظام سياسي معين ، فإنهم يكثرون من أخباره ، ويخفون الحقيقة حين تعارضهم ، ويصنعون الإشاعات، ويكونون الرأي العام ، بالخداع والغش.

(١) مستخرج أبي عوانه مبدأ كتاب الصيام - أنظر باب صلاة الليل ص ٣٩٩ .

(٢) فتح الباري ج ٣ ص ١٩

وفي أزمنة الحروب والصراعات نجد الإعلام السياسي يقتل من الناس أضعاف عددهم الحقيقي ، ويقوم قصورا من الرمال والهواء بلا حياء في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٦٧م ظل الإعلام يشيع في الناس انتصار الجيش المصري ، والاقتراب من هزيمة اسرائيل ، والسيطرة على عاصمة اسرائيل ، وسرعان ما ظهر كذب الإعلاميين ، وبعدهم عن الحقيقة .

إن نقل الحقيقة أمانة دينية ، وحياتية لإقامة الحياة على الحق والعدل ، وتكوين رأي عام طاهر ونظيف ، وكذلك عدّ الإسلام إشاعة الكذب من أكذب الكلام ، يقول النبي ﷺ : (وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا) (١) .

وقد تواترت أخبار صدق الصحابة في أقوالهم وأخبارهم ، وحديث الباب يوضح هذا الأمر بجلاء ، فها هو ابن مسعود رضي الله عنه يصلي خلف النبي ﷺ ، ويطيل الرسول ﷺ القراءة ، ويتم ابن مسعود الصلاة خلف النبي ﷺ ، وكان هذا كافيا في الدلالة المطلوبة ، إلا أن ابن مسعود رضي الله عنه أبى إلا أن يصور حديث نفسه ، وخواطره في صلاته ، بيانا للواقع ، وتصويرا للحالة النفسية ؛ ليعلم الناس ظاهر الحق وباطنه كما هو على حقيقته ؛ لبناء الأحكام الشرعية على الواقع كما هو .

لم يغاير ابن مسعود رضي الله عنه الحق ، ولم يستح في دين الله ، وقدم الصورة الصحيحة للإنسان المسلم .

(١) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله ،

إن الإسلام يقيم حياة المسلم على التعاون ، والنصرة ، والتواد ،
والتراحم ، والصدق ، والإخلاص ... والعودة إلى هذا المنهج هو طريق
الفوز والفلاح .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستبط من حديث الباب الفوائد التالية : -

- (١) مخالفة الإمام عمل سيئ لا يصح الوقوع فيه إلا لضرورة دينية
- (٢) ضرورة معرفة الحقيقة ، والسؤال عنها حين غموضها ، أو
تعدد الأسباب المحتملة ، وذلك أن أصحاب ابن مسعود رضي الله عنهم
سألوه عن ما أهم به ، فعرفهم به .
- (٣) استحباب القراءة بتمهل في صلاة الليل ، مع التدبر والنظر ،
والإطالة .
- (٤) استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ، مع اختلاف التطويل
بالنسبة للأحوال والأشخاص .
- (٥) ضرورة تأدب الصغير مع الكبير ، وتقديره لموقفه وعمله ، ولا
تصح الفوضى في العلاقات الاجتماعية .
- (٦) جواز الجماعة في صلاة النافلة .
- (٧) تأكيد عدالة وصدق الصحابة رضوان الله عليهم .

- ٢١ -

٢٨ - باب ما روي فيمن نام الليل

أجمع حتى أصبح

حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَهُ حَتَّى أَصْبَحَ . [٤٤٢]، (١)
٣٢٧٠

قَالَ ﷺ : ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ ، أَوْ قَالَ : فِي أُذُنِهِ ^(١) .

حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ النَّبِيِّ عليها السلام لَيْلَةً ، فَقَالَ : أَلَا تُصَلِّيَانِ ؟ [٤٤٣]، (٢)
١١٢٧

فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا .

فَانْصَرَفَ حِينَ قُلْنَا ذَلِكَ ، وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا ، ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُوَلِّ يَضْرِبُ فَخِذَهُ وَهُوَ يَقُولُ : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ ^{(٢)(٣)}

حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ ؛ يَضْرِبُ عَلَى كُلِّ عُقْدَةٍ ، عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ ، فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ

١١٤٢

(١) أخرجه البخاري في: ٥٩ كتاب بدء الخلق: ١١ باب صفة إبليس وجنوده .

(٢) سورة الكهف الآي : ٥٤ .

(٣) أخرجه البخاري في: ١٩ كتاب التهجد: ٥ باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل.

عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ
كَسْلَانَ (١) .

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب فعل الشيطان مع من ينام الليل ولم يصل ؛
لأنه يحثه على النوم ، ويلهيه عن الصلاة حتى يدخل وقت الصبح .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على ثلاثة أحاديث تبين مايفعله الشيطان في
المسلم حين نومه .

ففي الحديث الأول : يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : (ذُكِرَ عِنْدَ
النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَهُ حَتَّى أَصْبَحَ) أي ذكر الصحابة رجلا عند النبي
ﷺ بسوء ؛ لأنه نام الليل ولم يستيقظ حتى طلعت الشمس ، وخفى اسمه
حتى لا يساء إليه ، ولم يبين أي أحد من هو هذا الرجل ، ولكن ذكر
النخعي عن ابن مسعود رضي الله عنه ما يفيد أنه هو ، فقد ساق الحديث بلفظ (وايم
الله لقد بال الشيطان في أذن صاحبكم) . يعني نفسه ... وقد نام الرجل
حتى أصبح ، ولم يقم إلى الصلاة ، كما في رواية أخرى : (ما قام إلى
الصلاة) (٢) .

(١) أخرجه البخاري في: ١٩ كتاب التهجد: ١٢ باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل
بالليل

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب إذا نام ولم يصل بال الشيطان في أذنه .

و" ال " في الصلاة تكون للجنس ، فتعم كل صلاة بالليل فرضا أو نفلا ، أو تكون للعهد ، فتقيد أن المقصود بها صلاة الليل فقط ، وهو الأولى لأن الصحابة ما كانوا ينامون قبل القيام بالفريضة غالبا .

ف(قَالَ) النبي ﷺ (ذَاكَ رَجُلٌ بَالُ الشَّيْطَانِ فِي أُذُنَيْهِ ، أَوْ قَالَ: فِي أُذُنَيْهِ) بضم الذال وسكونها في المفرد والتنثنية ... والمراد من الشيطان جنسه ، وفاعل البول هو القرين ، وقيل غيره ، وقيل هو إبليس من باب المجاز ، فهو الذي يأمر ذريته بذلك .

وفعل الشيطان هذا قيل هو على حقيقته لأن الشيطان يأكل ويشرب ، ويتزوج ، فلا مانع من أن يبول وهذا احتمال بعيد ؛ لأن البول لو كان حقيقيا ما صحت به الصلاة لنجاسته ، كما أن النائم لا يلمس جرما في أذنه لا بيده ولا بحواسه ، ولا بالآلات المعدة لذلك .

وقيل : بول الشيطان كناية عن سد أذن الذي ينام على الصلاة حتى لا يسمع الذكر ولا الأذان وسبيله أن يملأ أذنه بالأباطيل حتى يحجب عنه الذكر ، **وقيل معناه :** أن الشيطان يستخف به ، ويزدريه ، ويتخذ موطنا للأمور القبيحة .

وقيل : هذا مثل مضروب للغافل عن القيام بثقل النوم ^(١) .

يقول ابن مسعود رضي الله عنه : " حسب الرجل من الخيبة ، أو من الشر أن ينام ليلة حتى يصبح وقد بال الشيطان في أذنه " ^(٢) .

وخص الحديث الأذن مع أن العين أنسب للغفلة ، لأن العين يغطيها

(١) فتح الباري ج ٣ ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) قيام الليل لمحمد بن نصر المروزي ، باب ما يعاقب به تارك قيام الليل ، حديث : ٩٤

الجفن ، وتبقى المسامع موارد الانتباه ... وخص البول بالذكر لأنه أسهل دخولا إلى تجويف الأذن ، وأسرع نفوذا في العروق ، فيورث الكسل في جميع الأعضاء

وفي الحديث الثاني : يؤكد علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً) أي أتاها النبي ﷺ ليلا ، ودق عليهما الباب ليصليا و (لَيْلَةً) تفيد أن هذا الفعل حدث مرة واحدة من رسول الله ﷺ ، أو أن المقصود منه تحديد وقت مجيء النبي ﷺ لهما .

(فَقَالَ) لهما ﷺ (أَلَا تُصَلِّيَانِ) ؟! ... أي حثهما على الصلاة برفق ولين باستعمال الاستفهام معهما (فَقُلْتُ) أي : قال علي ﷺ : (يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿لِلَّهِ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ ^(١) أي أن نفوسنا بيد الله تعالى ، لا نملك من أمرنا شيئا .
وفي رواية أخرى لعلي ﷺ أنه قال : (ففقت ، وأنا أعرك عيني ، فقلت : يا رسول الله ، والله ما نصلي إلا ما كتب الله لنا ، إنما أنفسنا بيد الله إذا شاء يبيعنا بعثنا) ^(٢) . فأثبت على المشيئة لله ، وأكد أن العبد لا يفعل شيئا إلا بإرادة الله (فَأِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثْنَا) أي إذا أراد الله أن يوقظنا للصلاة أيقظنا .

(١) سورة الزمر الآية : ٤٢ .

(٢) صحيح ابن خزيمة ، جامع أبواب ذكر الوتر وما فيه من سنن ، باب استحباب إيقاظ

المرء لصلاة الليل ، حديث رقم : ١٠٦٩ .

(فَانصَرَفَ ﷺ حِينَ قُلْنَا ذَلِكَ) أي تركهم النبي ﷺ حين أجابه علي
ﷺ بما قال ، ووافقته فاطمة **ل** ، فقد أسند علي ﷺ القول إليهما معا .
(وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا) أي لم يرد عليهما ، وتركهما متعجبا من
سرعة رد علي ﷺ ، وأشار ﷺ إلى عدم موافقته ﷺ على اعتذار علي ﷺ ،
ولذلك انصرف وتركه .

يقول علي ﷺ : (ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُوَلِّ يَضْرِبُ فَخِذَهُ وَهُوَ يَقُولُ
: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ أي ولى رسول الله ﷺ ظهره وانصرف
، وضرب فخذه وهو يقرأ قوله تعالى : ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدَلًا﴾^(١)
فأفاد بذلك عدة أمور :-

- السكوت أحيانا يكون أبلغ من الإجابة ، والإشارة أولى من التصريح
- ضرب رسول الله ﷺ فخذه متأسفا من رد علي ﷺ ؛ لأنه كره منه
الاحتجاج بالآية ، وكان الأنسب أن ينسب التقصير لنفسه .
- عدم التشديد في الأمر بالنوافل ، حيث قنع النبي ﷺ بقول علي ﷺ
ولم يراجع فيه .
- اعتذار علي ﷺ بمشيئة الله تعالى بيان للعلم الواجب تبليغه للناس ؛
ليعرفوا مقام ربهم ، ويؤمنوا بأن كل شيء بيده سبحانه ، وقد أثر علي
ﷺ هذا الاعتذار ، ولم يكتم العلم ، ثم قام فصلى .
- وأعتقد علي ﷺ أن انصراف رسول الله ﷺ بلا إجابة إشارة إلى عدم
رضاه عن إجابته لأنها تعني إهمال الأسباب ... نعم كل حركة منا أو

(١) سورة الكهف الآي : ٥٤ .

قول بيد الله يقدرها كيف يشاء ، فلو اعتذرنا عن أي خطأ بهذا العذر لجاز جدلا ، ولكنه لا يجوز عبادة وتكليفاً ... وكان من الأفضل لعلي ﷺ أن يعد بالاستجابة وأن يبذل جهده ، ويطلب العون من الله تعالى ؛ لأنه من السلف الصالح الذين يُقتدى بهم .

وفي الحديث الثالث : يؤكد أبو هريرة ﷺ : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

قَالَ: يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ) ، والشيطان المذكور هو الذي يبول في أذن النائم ، ويعقد على رأسه حملاً على الحقيقة كما يعقد الساحر على قفا من يسحره ، وأكثر ما يفعله النساء تأخذ إحداهن الخيط ، فتعقد منه عقدة ، وتتكلم عليه بالسحر ، فيتأثر المسحور عند ذلك، ومنه قوله ﷺ : ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَثَاتِ فِي الْمَقَدِّ ﴾ ^(١) وعلى هذا فالمعقود شيء عند قافية الرأس ، لا على قافية الرأس نفسها .

والأظهر أن هذا العقد عند القفا وليس في شعر الرأس ؛ لأن بعض الناس لا شعر لهم ، وأيضا فقد ورد على رأس كل آدمي حبل فيه ثلاث عقد ، في روايات عدة ... هي :

- (على قافية رأس أحدكم حبل فيه ثلاث عقد) ^(٢)
- (إذا نام أحدكم عقد على رأسه ثلاث عقد بحرير) ^(٣)
- (ما من ذكر ولا أنثى إلا على رأسه حرير معقود حين يرقد) ^(٤).

^(١) سورة الفلق الآية : ٤ .

^(٢) مسند أحمد بن حنبل ، مسند بني هاشم ، حديث رقم : ٧٢٧٣ .

^(٣) مسند أحمد بن حنبل ، مسند بني هاشم ، حديث رقم : ١٠٢٤٨ .

^(٤) صحيح ابن خزيمة ، جامع أبواب ذكر الوتر وما فيه من السنن ، باب الدليل على أن

الشيطان يعقد على قافية النساء كما يعقد على ، حديث رقم : ١٠٦٣ .

وقيل : أن العقد مجاز ، كأنه شبه فعل الشيطان بالقائم بفعل الساحر ، فلما كان الساحر يمنع بعقده ذلك تصرف من يحاول عقده ، كان هذا مثله من الشيطان للنائم .

والمراد بقوله ﷺ (إِذَا هُوَ نَامَ) أي إذا نام بدون صلاة بفعل الشيطان ما يفعله على رأسه حتى لا يقوم النائم لصلاته .

(يَضْرِبُ عَلَى كُلِّ عُقْدَةٍ) أي يضرب الشيطان بيده على العقدة تأكيدا وإحكاما ، قائلا : (عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ) أي باق عليك ، أو يبقى أمامك ليل طويل فنام وارقد ، ولا تقلق ، ومقصود الشيطان بذلك تسويفه بالقيام ، والإلباس عليه بطول الليل .

وخص الشيطان القافية بالعقد لكونه محل الوهم ، ومجال التصرف وهي أطوع القوى للشيطان ، وأسرعها إجابة لدعوته .

(فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ) أي إن ذكر الله تعالى بعد استيقاظه تتحل عقدة من العقد الثلاث.

(فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ) ثانية

(فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ) ثالثة ، وبذلك تتحل العقد كلها .

(فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ) أي يصير المسلم مقبلا على الصلاة قويا ، سعيدا ، مسرورا بما وفقه الله تعالى من الطاعة ، وبما وعده من الثواب ، وبما زال عنه من عقد الشيطان .

والذي يبدو أن في صلاة الليل سرا يطيب النفس ، ويريحها ،

وبشرحها ، ويسعدها ، وإلى ذلك الإشارة بقوله ﷺ : ﴿ إِنْ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ

وَمَا أَقْوَمُ قِيلًا ^(١)

(وَالْأَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ) بسبب تركه ما كان اعتاده ، أو
أراده من فعل الخير ، وهذه الحال تصيب من رضى بالعقد الثلاث ونام ،
أما من حل بعضها فإنه يرفع عنه بقدرها .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أن الشيطان يجتهد في صرف الأدمي عن
دينه ، ويبعده عن صلاة الليل بما فيها من تجليات ربانية ، وفيوضات
إلهية ، تطهر المسلم ظاهرا وباطنا ، وتبعده عن الشيطان ووساوسه ، فإذا
نام المسلم بال الشيطان في أذنه ، وعقد على قافية رأسه ثلاث عقد ،
وبذلك يقعده عن الصلاة في الليل ؛ ليصبح خبيث النفس كسلان ، يشعر
بالعجز والخوف ، ويتألم لسيطرة الشيطان عليه .

إلا أن الله ﷻ عرف الإنسان بطرق طرد الشيطان ، وتطهير
الأذن ، وحل العقد ، وذلك بذكر الله تعالى ، وطاعته ، والحرص على
الصلاة في وقتها ، وقيام الليل ؛ لأن المسلم إن واطب على ذلك استيقظ
نشيطا مسرورا ، ومع تحليل الأحاديث نلاحظ ما يلي :

أولاً : المسلم إن صلى صلاة الليل انصرف الشيطان عنه ، وعجز
عن البول في أذنه ، وباءت عقده بالهشاشة ؛ لأنها تنفك عند يقظته ،
وذكره الله وصلاته .

ثانياً : بعض المسلمين يبيتون على وضوء ، ويقومون لصلاة الليل

(١) سورة المزمل الآية : ٦ .

وهؤلاء تتحل عقدهم كلها بالصلاة .

ثالثاً : من كانت عادته الدائمة القيام للصلاة النافلة بالليل ، فغلبته عيناه فنام مرة ، فقد ثبت أن الله تعالى يكتب له أجر صلاته ، ونومه على صلاته تلك .

رابعاً : نهى النبي ﷺ أن يضيف المسلم إلى نفسه الخبث ، يقول ﷺ **(لا يقولن أحدكم خبثت نفسي)** ^(١) ولكنه حذره من إيقاع ما يجعله خبيث النفس حين يترك عقد الشيطان بلا حل ، ولا يصح لمسلم ان يصف أخاه بخبث النفس .

خامساً : في قوله ﷺ **(عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ)** يجعل النوم خاصاً بالليل ، وهو كذلك، ولكنه لا يبعد أن يجيء مثله في نوم النهار .
سادساً : ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال : إن قارئ آية الكرسي لا يقربه الشيطان ، وفي حديث أبو هريرة ؓ وقصته مع الشيطان قال الشيطان له : **إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ، لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فقال النبي ﷺ " صدقك وهو كذوب (٢) .**

وليس معنى ذلك أن لا يعقد الشيطان عقده على قفاه إذا نام عن صلاته ، لأن العقد يحمل على الأمر المعنوي ، وقرب الشيطان يحمل على المعنى الحسي ، فلا اشكال ولا تعارض حينئذ ، ومن

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب لا يقل خبثت نفسي .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده .

الممكن تخصيص حديث الباب وتقييده بمن لم يقرأ آية الكرسي عند النوم .

سابعاً : خص الحديث الوضوء بحل عقدة ، إلا أن الأمر جرى مجرى الغالب ، فمن تيمم أو اغتسل كان كمن توضأ .
ثامناً : ذكر الحديث أن ذكر الله يحل عقدة ، ويشمل الذكر كل ما فيه ذكر الله تعالى ، مثل قراءة القرآن ، وقراءة الحديث النبوي ، والاشتغال بالعلم الشرعي .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب ما يقوم به الشيطان من محاولات لصرف الإنسان عن صلاة الليل ، وتبين طرق التغلب على هذا العدو اللئيم ، وتتصحح المسلم بسد منافذ الشيطان إلى النفس ، وغلق طريقه بالذكر والطاعة والاستقامة .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز ... أهمها :

الركيزة الأولى

عداوة الشيطان للإنسان

منذ أن أنظر الله تعالى الشيطان أخذ يعمل على إضلال عباد الله تعالى ، وصرفهم عن طاعة الله ﷻ بوسائل شتى .

إن الشيطان يتفنن في تزيين الكسل ، والخمول لمن يعتزم العبادة ... ويثبط العزائم ، ويمني النفس بالشهوات ، ويؤملها في التوبة لتأخيرها

إلى ما قبل الموت ، إذا أراد المسلم أن يقوم للصلاة شغله بالعمل ، وإن فكر في معروف صرفه إلى منكر ... ويلبس الشيطان ثوب الناصح ، ويستمر في لؤمه وخداعه ... ومن العجيب أن الشيطان أعلن عمله وغايته حين أنظره الله تعالى ، كما حكى الله عنه.

يقول ﷺ : ﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا تَجِدَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (١).
والأعجب أن الله تعالى فصل قصة الشيطان مع آدم ﷺ ، ومع الناس ، وحذر من أفاعيله ، وحدد الحكم الشرعي لكل فعل ، وأمر الإنسان أن يخلص في العبادة ، ليرد الشيطان وليبعده عنه ملوما محسورا ، وعرف الإنسان بأن الشيطان له مدخل إلى باطن الإنسان ، وأن له جندا كثيفا تحيط بالإنسان من كل جانب ، ففي داخل الإنسان يوجد القرين الذي يجري في الإنسان مجرى الدم في العروق ، ولهذا القرين أعوان من الشيطان وذريته .

وأحيث الباب تصور الإنسان سعيدا منشرجا إذا تخلص من الشيطان ، وبعد عنه .

وقد عرف الله تعالى المسلمين بالوسائل التي يتغلب بها المسلم على وساوس الشيطان ، وعقده وقاذوراته ، وذلك بذكر الله تعالى ، وقرأة القرآن الكريم ، والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم .

لا يليق بإنسان عاقل أن يعرف عدوه ويركن إليه ... ويعرف وسائل

(١) سورة الأعراف الآيتان : ١٦ ، ١٧ .

خداعه ولا يبتعد عنها، ويعرف طريق النجاة والفوز ويتركه، يقول الله ﷻ :
﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفْرٌ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾^(١).

الركيزة الثانية ليحذر الإنسان عدوه

أرشد الله تعالى الإنسان إلى طرق الفوز والفلاح ، وعرفه
بالصراط المستقيم ، واتضح لكل إنسان أنه أمام طريقين ، طريق الهداية
وطريق الضلال ، وفصلت أعمال كل طريق ، وترك للإنسان اختيار أي
الطريقين يريد ... فأما من سلك طريق الهداية فعليه أن يحافظ على
معالمه ، وأعماله ، فيطيع ربه ، ويتأسى برسول الله ﷺ في الطاعة ،
والخشوع والانقياد ...

وأما إن أراد طريق الضلال والفساد سار خلف الشيطان ، وعمل الفحشاء
والمنكر ، وسوف تتال كل نفس ما قدمت ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَّى ۝٥ ﴾ وَصَدَقَ
بِالْحَقِّ ۝٦ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ ۝٩ فَسَنِيَرُهُ
لِلْعُسْرَى ۝١٠ ﴾^(٢).

وليعلم المسلم أن الشيطان لا يعرف الإخلاص ، وإنما هو يوقع
فريسته في شركه ثم يتبرأ منها ، يقول ﷻ : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ
أَكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾^(١).

(١) سورة فاطر الآية : الآية : ٦ .

(٢) سورة الليل الآيات : ٥ : ١٠ .

وعلى الساعين نحو الله ، القاصدين نيل الفلاح ، أن يسلكوا الصراط المستقيم ، ولا يتركوه وإن صعب عليهم ، فما عند الله خير وأبقى .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الأحاديث

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية : -

- ١- صلاة الليل مستحبة يحسن الاهتمام بها .
- ٢- على الولاة والكبار مداومة النصح لمن دونهم .
- ٣- في الجنة باب لمن ترك المراء ولو كان محقا .
- ٤- شفقة النبي ﷺ بأهله وأمته .
- ٥- الشيطان أعدى اعداء الإنسان ، يبذل جهده لإضلال الإنسان وإفساد حياته .
- ٦- مقاومة الشيطان تكون بالذكر ، والوضوء ، والصلاة ، وكل ما يسمى ذكرا وطاعة .

(١) سورة الحشر الآية : ١٦ .

- ٢٢ -

٢٩ - باب استحباب النافلة في بيته

وجوازها في المسجد

[٤٤٥]، (١) حديث ابن عمر م عن النبي ﷺ قال : اجعلوا في بيوتكم

من صلاتكم ولا تتخذوها قبوراً (١) . ٤٣٢

[٤٤٦]، (٢) حديث أبي موسى ؓ قال : قال النبي ﷺ : مثل الذي يذكر

ربه والذي لا يذكر مثل الحي والميت (٢) . ٦٤٠٧

[٤٤٧]، (٣) حديث زيد بن ثابت ؓ أن رسول الله ﷺ اتخذ حُجْزَةً مِنْ

حَصِيرٍ ، فِي رَمَضَانَ ، فَصَلَّى فِيهَا لَيْالِي ، فَصَلَّى بِصَلَاتِهِ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا عَلِمَ بِهِمْ جَعَلَ يَقْعُدُ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : قَدْ عَرَفْتُ الَّذِي رَأَيْتُمْ مِنْ صَنِيعِكُمْ ، فَصَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ فَإِنَّ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ صَلَاةُ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ (٣) . ٧٣١

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب ضرورة تعمير البيوت بذكر الله تعالى ، واتخاذها مساجد للصلوات غير المكتوبة ، لأن الذكر في مكان ما يحييه ، وفي صلاة البيت تعليم للأهل ، وتذكير وترغيب في عبادة الله تعالى .

(١) أخرجه البخاري في: ٨ كتاب الصلاة: ٥٢ باب كراهية الصلاة في المقابر ، وللحديث رواية أخرى في صحيح البخاري تحت رقم : ١١٨٧ .

(٢) أخرجه البخاري في: ٨٠ كتاب الدعوات: ٦٦ باب فضل ذكر الله ﷻ .

(٣) أخرجه البخاري في: ١٠ كتاب الأذان: ٨١ باب صلاة الليل .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على ثلاثة أحاديث تبين استحباب النافلة في البيت ،
وتعمير البيوت بذكر الله تعالى .

ففي الحديث الأول : يروي ابن عمر **م** (عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أنه
(قَالَ: اجْعَلُوا فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ صَلَاتِكُمْ) أي اتخذوا في بيوتكم أمكنة للصلاة
فيها ، تؤدون فيها بعضاً من صلاتكم النافلة ، بدليل قوله ﷺ : (إِذَا
قَضَى أَحَدُكُمْ الصَّلَاةَ فِي مَسْجِدِهِ ، فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصِيْبًا مِنْ صَلَاتِهِ ، فَإِنْ
اللَّهُ جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ مِنْ صَلَاتِهِ خَيْرًا)^(١) .

وليس في هذا الحديث ما ينفي احتمال أن المراد بها الفريضة ،
وهذا وإن كان محتملاً إلا أن المراد بها النافلة ، وهو الأرجح والأقوى .
وأما قوله ﷺ : (وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا) أي لا تجعلوا البيوت تشبه
المقابر فلا تصلوا فيها ، كما لا يصلي الموتى في القبور .

وحاصل معنى : (وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا) ثلاثة معان هي :

المعنى الأول : لا تكونوا كالموتى الذين لا يصلون في بيوتهم .

المعنى الثاني : لا تجعلوا بيوتكم للنوم فقط ، لا تصلون فيها
فتكونون كالموتى ، فإن النوم أخو الموت .

المعنى الثالث : أن من لا يصلي في بيته جعل نفسه كالميت ،
وجعل بيته كالقبر ، ويؤيد هذا المعنى الحديث الثاني ، وما رواه مسلم في

(١) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب صلاة النافلة في بيته

، حديث رقم : ١٣٣٨ .

صحيحه عن رسول الله ﷺ إذ قال : (مثل البيت الذي يذكر الله فيه ،
والبيت الذي لا يذكر الله فيه ، مثل الحي والميت) ^(١).

وظاهر الحديث يقتضي النهي عن الدفن في البيوت مطلقا ، وأما
دفن النبي ﷺ في المكان الذي مات فيه في بيته ، فهي خصوصية له
وللأنبياء ، حيث ورد (ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض) ^(٢).

وفي الحديث الثاني : يوضح أبو موسى الأشعري ﷺ أن رسول
الله ﷺ قال : (مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ) ، فقد
مثل الحديث الذي يذكر الله تعالى بالإنسان الحي ، والذي لا يذكره
بالإنسان الميت ، لما للذكر من فضل ومزايا ومنافع .

يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله : والمراد بالذكر هنا الاتيان
بالألفاظ التي ورد الترغيب في قولها في حديث الباقيات الصالحات وهي :
(سبحان الله ، و الحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر) ، وما يتصل
بها من الحوقلة ، والبسملة ، والحسيلة ، والاستغفار ، والدعاء بخيري
الدنيا والآخرة .

ويطلق ذكر الله ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه الله أو
ندب إليه ، كتلاوة القرآن الكريم ، وقراءة الحديث ، ومدارسة العلم ، والتنفل
بالصلاة ثم الذكر تارة يقع تارة باللسان ، ويؤجر عليه الناطق على
قدر قصده لمعناه ، وإن انضاف إلى ذكر اللسان ذكر القلب كان أكمل ،

(١) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب صلاة النافلة في بيته ،
حديث رقم : ١٣٣٩ .

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب الجنائز ، باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ ، حديث رقم : ١٦٢٣ .

فإن كان معهما الذكر بالعمل والطاعة ازداد كمالا ... فإن صح التوجه وأخلص لله تعالى فيه فهو أبلغ الكمال ^(١) .

يقول الرازي : المراد بذكر اللسان الألفاظ الدالة على التسبيح والتحميد والتمجيد .

والمراد بذكر القلب التفكير في أدلة الذات والصفات ، وفي أدلة التكاليف من الأمر والنهي حتى يطلع على أحكامها ... وفي أسرار مخلوقات الله ...

والمراد بذكر الجوارح أن تكون مستغرقة في الطاعات ، ولهذا سمي الله الصلاة ذكرا فقال ﷺ : ﴿ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ ^(٢)

ونقل عن بعض العارفين أنه قال : الذكر على سبعة أنحاء ...
فذكر العينين البكاء ، وذكر الأذنين الإصغاء ، وذكر اللسان الثناء ،
وذكر اليدين العطاء ، وذكر البدن الوفاء ، وذكر القلب الخوف والرجاء ،
وذكر الروح الرضا بالقضاء .

ومن الأحاديث الدالة على الذكر قوله ﷺ : -

- فيما بلغ رسول الله ﷺ عن رب العزة ، يقول الله تعالى : (أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منهم ، وإن تقرب مني شبرا تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلي ذراعا تقربت

(١) فتح الباري ج ١١ ص ٢٠٩ .

(٢) سورة الجمعة الآية : ٩ .

- منه باعا ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة) (١) .
- (لا يقعد قوم يذكرون الله ﷻ إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده) (٢) .
- (سئل النبي ﷺ أي الكلام أفضل ؟ قال : " ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده : سبحان الله ويحمده) (٣) .
- (خرج ﷺ على حلقة من أصحابه ، فقال : " ما أجلسكم ؟ " قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ، ومن به علينا .
- قال : " آله ما أجلسكم إلا ذاك ؟ " قالوا : والله ما أجلسنا إلا ذاك .
- قال : " أما إنني لم أستحلفكم تهمة لكم ، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني ، أن الله ﷻ يباهي بكم الملائكة) (٤) .
- (أحب الكلام إلى الله أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر . لا يضرك بأيهن بدأت) (١) .

(١) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب الحث على ذكر الله تعالى ، حديث رقم : ٤٩٣٩ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ، حديث رقم : ٤٩٧٥ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل سبحان الله ويحمده ، حديث رقم : ٥٠١٧ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ، حديث رقم : ٤٩٧٦ .

- (لأن أقول سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس) (٢).
- (جاء أعرابي لرسول الله ﷺ وقال له يا رسول الله : إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأنبئني بشيء أتشبث به ، فقال ﷺ : " لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله) (٣).
- (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا " قالوا : وما رياض الجنة ؟ قال : " حلق الذكر) (٤).

ويختلف لفظ الحديث الثاني ، عن لفظ الحديث الأول ؛ لأن لفظ الحديث الأول يجعل البيت قبرا إذا لم يذكر الله تعالى فيه ... والحديث الثاني الذي رواه البخاري يذهب إلى أن الذي يوصف بالحياة والموت هو الساكن لا السكن ، وأن إطلاق الحي والميت في وصف البيت إنما يراد به ساكن البيت ، وتشبيهه الذاكر بالحي الذي ظاهره متزين بنور الحياة ، وباطنه متزين بنور المعرفة ، وغير الذاكر بالبيت الذي ظاهره باطل ساكن وباطنه باطل ساكن .

وجاء التشبيه بالحي والميت لما في الحي من الحيوية والنفع لنفسه وللمن يواليه ، والضرر لمن يعاديه ، وليس ذلك في الميت .

(١) صحيح مسلم، كتاب الآداب ، باب كراهية التسمية بالأسماء القبيحة ، حديث: ٤٠٧٩

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل التهليل والتسبيح والاستغفار ، حديث رقم : ٤٩٦٨ .

(٣) المستدرک علی الصحيحین للحاکم ، أول كتاب المناسك باب الدعاء، حديث: ١٧٦١ .

(٤) سنن الترمذي ، الجامع الصحيح - الذبائح ، أبواب الدعوات ، باب : ما جاء في عقد التسبيح باليد ، حديث رقم : ٣٥١٥ .

وفي الحديث الثالث : يؤكد زيد بن ثابت رضي الله عنه (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اتَّخَذَ حُجْرَةً) قرئت حجرة بالراء وبالزاي ، والمعنى بالراء : أن رسول الله ﷺ اتخذ من الحصير جدارا قصيرة احتوت حجرة كان يصلي فيها والمعنى بالزاي : أن رسول الله ﷺ اتخذ من الحصير حاجزا بين بيته وبين المسجد .

(مِنْ حَصِيرٍ)، أي اتخذ رسول الله ﷺ الحجرة أو الحاجز من حصير مصنوع من الغاب الذي ينبت في البراري ، وكان قصيرا .
(فِي رَمَضَانَ، فَصَلَّى فِيهَا لَيْلِي) أي اتخذ الرسول ﷺ هذا الحصير في ليلي رمضان ، ليكون مصليا في بيته المجاور للمسجد .
فرآه الصحابة رضي الله عنهم لقصر الحاجز أو الجدار (فَصَلَّى بِصَلَاتِهِ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ) ، فكان هو داخل الحجرة وهم خارجها .
(فَلَمَّا عَلِمَ بِهِمْ جَعَلَ يَقْعُدُ) أي فلما علم ﷺ أن الصحابة أخذوا يتجمعون ليصلوا خلفه صلاة القيام في رمضان ، ترك الصلاة بهم ، واستمر يقعد عنهم ، فرفعوا أصواتهم وسبحوا ، وحصب بعضهم الباب لظنهم أنه ﷺ نائم أو ناس .

(فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ ﷺ) ، فَقَالَ: قَدْ عَرَفْتُ الَّذِي رَأَيْتُمْ مِنْ صَنِيعِكُمْ، فَصَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ فَإِنَّ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ صَلَاةَ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ) أي أنه ﷺ توقف عن الصلاة في الحجرة ، حتى لا يصلي الناس خلفه بصلاته في المسجد ، وأمرهم أن يصلوا النوافل في بيوتهم ، وعرفهم أن صلاة النوافل في البيت أولى من صلاتها في المسجد ما عدا المفروضة .

وقد وقع ذلك الأمر في رمضان مع صلاة التراويح ، والمراد بالمرء الرجل ، أما المرأة فصلاتها في بيتها أفضل لها .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أن الأفضل في صلاة النافلة أن تكون في البيت ؛ لأن البيت الذي لا يصلى فيه يكون كالقبر الخرب ، وأن الإنسان مكلف بذكر الله دائما ، والأفضل له أن يجعل للبيت نصيبا من الذكر والصلاة .

وذهب بعض الفقهاء إلى ضرورة أداء صلاة بعض الفرائض في البيت ؛ ليقترن بالمصلي من لا يخرج من البيت ، كالنساء ، والمرضى .
والجمهور على أن المراد بصلاة البيت النوافل فقط ؛ لأن السر في عمل التطوع أفضل .

وفائدة الصلاة في البيت حصول البركة ، ونزول الرحمة ، وحضور الملائكة ، وطرد الشياطين ، وتعليم الأهل كيفية الصلاة .
والجمهور على أن النوافل تكون في البيت ، ماعدا النوافل التي هي من شعائر الإسلام ، مثل صلاة العيد ، والكسوف ، والاستسقاء ، والتراويح بعد الأمن وعدم الخوف من الفرضية .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب استحباب أداء النوافل في البيت ، وتعمير البيوت بالذكر ، وأداء صلاة النوافل التي هي من شعائر الإسلام في المسجد .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب ركيزة هامة ... هي : -

تحري مواطن القبول

يعيش الإنسان بين ماضٍ قد ذهب ، لا يدري ما الله قاض فيه ، وحاضر قد وقع لا يدري ما الله صانع فيه، وبين مستقبل آتٍ لا يدري من يعيشه ، وما الله يريد فيه ... إنه يعيش والغيب يحيط به من كل جانب ، حتى نفسه التي بين جنبيه لا يدري عنها إلا القليل .

هذه الحقائق يدركها كل الناس على اختلاف الأزمان ، والأوطان ، ولذلك وجب على الإنسان أن يحيا في الإطار المحدد له .

إن عقل الإنسان له مجالاته التي لا يصح الخروج منها ، ولذلك له عمله ، ومعه خلقه ... والأولى له أن يتخذ المنهج الذي وضعه عالم الغيب والشهادة ليسلكه ، ويتخذ طريقا له لا يتخطاه لغيره .

إن الله ﷻ هو خالق الإنسان ، وهو العليم بما يرضيه ويسعده ، وبما يحقق له الخير في الدنيا وفي الآخرة ، وقد حدد المسار والطريق ، وعرفه المزالق والمخاطر ، وأمره ونهاه ، وعرفه بمواطن قبول الأعمال زمانا ومكانا ، وأدار الزمان وسيره ، وجعل بعض الأماكن خيرة ، وبعضها الآخر مليئة بالشرر والفجور .

إن الإنسان جرم صغير في هذا الكون ، ومع ذلك سخر الله له كل خلقه ؛ ليستفيد بها في معاشه وحياته ، وأن يطيع الله تعالى في نشاطه كله ، ويسأل الله التوفيق والقبول .

على الإنسان أن يلازم مواطن القبول ، ويعمر بيوت الله ، ويتخذ من

بيته مسجدا ، ويهفو إلى الأماكن المقدسة ، ويستقبل القبلة خاشعا لربه ، مستسلما لجلاله ، مقرا بفضله وكماله .

وعليه أن يتخير مواسم الخير ، فيقيم الليل ، ويصوم رمضان ، ويهفو بقلبه إلى الأماكن المقدسة ، ويشد إليها رحاله كلما أمكنه .

إن مواطن الخير وأوقات القبول معلومة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية ، والعاقل هو الذي يبحث عنها ، ويعرفها ويعمل صالحا فيها .

إن الإنسان وهو يعبد الله ، يجد نفسه تتحرك نحو مواطن القبول ، فيتجه إلى الكعبة مصليا ، وينفق ماله مذكيا ، ويعيش في المناسك حاجا ومعتبرا ، ويقرأ القرآن صائما .

وأحاديث الباب تساعد الإنسان ، وتعرفه بمواطن القبول ، وأعمال الطاعات ، تعرفه بأهمية الصلاة في البيت ليعمر ، وأهمية الذكر في القلب ليحيا ، وأهمية عبادة الله بما أمر به أو نهى عنه .

وليس على العبد إلا الإخلاص في العمل ، والصدق في الطلب والدعاء ، ومداومة الذكر والاستغفار ، متحليا برداء العبودية ، لابسا ثوب الخشوع ، متعلقا بعفو ربه الكريم ، والله غفور رحيم .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد أحاديث الباب

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية :

- ١- ضرورة جعل جزء من البيت مسجدا .
- ٢- ذكر الله حياة للقلوب المؤمنة ، وطريق لاستجابة الدعاء .
- ٣- يعلو الإنسان بالطاعة ، وينحط بالمعاصي .

- ٢٣ -

٣٠ - باب أمر من نعس في صلاته
أو استعجم عليه القرآن أو الذكر
بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك

حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : دخل النبي ﷺ فإذا حبلٌ

[٤٤٨]، (١)

ممدود بين السارين؛ فقال: ما هذا الحبل؟

١١٥٥

قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت .

فقال النبي ﷺ : لا ... خلوه ، ليصل أحدكم نشاطه ، فإذا

فتر فليقعد^(١).

حديث عائشة رضي الله عنها ل أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة

[٤٤٩]، (٢)

قال: من هذه؟

٤٣

قالت: فلانة، تذكر من صلاتها .

قال : مه عليكم بما تطيقون ، فوالله لا يمل الله حتى تملوا

وكان أحب الدين إليه ما دأوم عليه صاحبه^(٢).

حديث عائشة رضي الله عنها ل أن رسول الله ﷺ قال: إذا نعس أحدكم

[٤٥٠]، (٣)

وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلى

٢١٢

وهو ناعس لا يدري لعله يستغفر فيسب نفسه^(٣).

(١) أخرجه البخاري في: ١٩ كتاب التهجد: ١٨ باب ما يكره من التشديد في العبادة .

(٢) أخرجه البخاري في: ٢ كتاب الإيمان: ٣٢ باب أحب الدين إلى الله أدومه ، وللحديث رواية

أخرى في صحيح البخاري تحت رقم : ١١٥١ .

(٣) أخرجه البخاري في: ٤ كتاب الوضوء: ٥٣ باب الوضوء من النوم .

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب يسر الإسلام ، وعدم التشدد في تعاليمه ،
وتوضح أن أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قلت .

- ب -

الدلالات اللغوية في أحاديث الباب

يشتمل الباب على ثلاثة أحاديث ، تبين ما في الإسلام من يسر ،
وتدعو إلى عدم التشدد في الطاعة .

ففي الحديث الأول : يقول انس بن مالك رضي الله عنه (دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ

فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ) أي دخل رسول الله ﷺ يوما المسجد فرأى
فيه حبلا مربوطا بين ساريتين ، والساريتان جمع سارية ، وهي العمود
الذي يرفع السقف ، وفوجئ النبي ﷺ بحبل ممدود بين العمودين ، و"الـ"
في الساريتين للعهد ، لبيان أنهما كانتا في جانب المسجد معهودتان
للمصلين ، وجاءت في رواية مسلم بالتكثير (بين ساريتين)^(١) ، لإفادة
عدم العهد بهما .

(فَقَالَ ﷺ سائلا (مَا هَذَا الْحَبْلُ) ؟ ... أي من ربطه ؟ وما المقصود من
ربطه بين الساريتين ؟ والسؤال حقيقي .

(قَالُوا) أي قال الصحابة الذين سألهم رسول الله ﷺ (هَذَا حَبْلٌ لِرِزْنَبَ، فَإِذَا
فَتَرْتِ تَعَلَّقَتْ) أي إن زينب هي التي أقامته لتصلي بجواره ، وتداوم على

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب أمر من نعس في صلاته ، حديث

الصلاة في حال نشاطها وكسلها ، فهي تصلي بجواره ، فإن كسلت وتعبت عن القيام في الصلاة تعلقت به ؛ ليساعدها في القيام ، ويخفف تعبها .
و " زينب " هي أم المؤمنين زينب بنت جحش **ل** ، وجاء في روايات أخرى أن الحبل **ل** " حمنة بنت جحش " **ل** ، فهذه قرينة توضح أن زينب هي أم المؤمنين ، ويفسر الأمر بأن الحبل كان مملوكا لحمنة ، وأن الذي أقامته هي أم المؤمنين **ل** ومن المعلوم أن بنات جحش الثلاثة كن يسمون بـ " زينب " ، وعلى هذا يكون الحبل لحمنة ملكا ، واستعمالا لزينب **ل** .

(فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لا) والمراد بـ " لا " النفي أو النهي ، فإن كانت للنفي يكون المعنى : لا يكون هذا الحبل ، ولا يعد ، ولا يحمد ، ولا يصح ، وإن كانت للنهي يكون المعنى : لا تفعلوه ، (حُلُوهُ) أي فكوه ، وأعيدوه إلى صاحبه .

(لِيُصَلَّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ) اللام الداخلة على يصلي لام الأمر ، أي ليقوم كل واحد منكم صلاته وهو قوي نشط .

(فَإِذَا فُتِرَ فَلْيَقْعُدْ) أي إذا كسل وتعب فليقعد من فوره . وهذا أمر بالقعود أخذ منه الفقهاء الأحكام التالية ، بناء على دلالة (فَلْيَقْعُدْ) اللغوية :

- ذهب البعض أن معناه فليتم صلاته قاعدا ، وأجازوا بذلك افتتاح الصلاة قائما ، والقعود في أثنائها لعذر .

- وذهب البعض إلى أن معناه ترك الصلاة ، وقطعها ، وأجازوا بذلك قطع النافلة بعد الدخول فيها .

- وذهب البعض إلى أن المعنى ترك ما عزم عليه من النوافل .

وفي هذه المذاهب دلالات على أن اختلاف الأئمة كان في إطار الدلالات اللغوية ، لما ثبت عن رسول الله ﷺ ، وفي هذا رحمة بالأمة .

وفي الحديث الثاني : تؤكد السيدة عائشة **ل** (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ) هي الحولاء من بني أسد بنت ثويب بن حبيب ابن أسد ابن عبد العزى من رهط أم المؤمنين خديجة **ل** .
فسأل النبي ﷺ عن المرأة ، و (قَالَ : مَنْ هَذِهِ) ؟ أي ما هي ؟ وما قصتها ؟

(قَالَتْ) عائشة **ل** : هي (فَلَانَةٌ) أي هي الحولاء المذكورة ، وأخذت **ل** (تَذْكُرُ مِنْ صَلَاتِهَا) أي أخذت عائشة تذكر كثرة صلاتها ، وأنها لا تنام الليل .

ورويت (تَذْكُرُ) بضم التاء وفتح الكاف على البناء للمجهول أي أن غير عائشة **ل** أخذ يذكر كثرة صلاتها ، وأنها تقوم الليل كله .
(قَالَ) ﷺ لعائشة **ل** : (مَهْ) أي اكفني ، و (مَهْ) اسم فعل بمعنى أكفف ، وأصل " مه " ما هذا ؟ للزجر والانكار ... فطرحوا بعض حروف اللفظ واكتفوا بـ " مه " .

وهذا الزجر يحتمل أن يكون موجها إلى عائشة **ل** والمراد نهيتها عن مدح المرأة بما ذكرت ويحتمل أن يكون موجها لعامة المسلمين لبيان كراهية قيام الليل كله ، كما ذهب إلى ذلك البعض .
ثم قال ﷺ (عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ) أي اشتغلوا بالعبادة ، واختاروا منها ما تستطيعون المداومة عليه

فمنطوقه يقتضي الأمر بالاختصار على مايطاق من العبادة .
ومفهومه يقتضي النهي عن تكلف ما لا يطاق والحديث خاص
بصلاة الليل ، وهو المعتبر من دلالاته .

(فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا) بفتح الميم وضم اللام في الموضعين ،
والممل والملال استئثار الشيء ، ونفور النفس منه بعد محبته ، وهذا يقع
للإنسان عند المشقة ، والقيام بما فوق الطاقة .

أما نسبة الملل إلى الله تعالى فهو محال باتفاق العلماء ، ولذلك
ذهبوا إلى صرف معناه بما يليق بجلال الله وكماله بذكر وجوه عدة للمجاز
قال جماعة معهم الاسماعيلي : إنما اطلق هذا على وجه المقابلة
اللفظية مجازا ، كما قال الله ﷻ : ﴿ وَحَزَنُوا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلَهَا ﴾ ^(١) وكما في
قوله ﷻ : ﴿ وَيَنْكُرُونَ وَيَكْفُرُونَ ﴾ ^(٢) .

وقال البعض : وجه المجاز أن الله تعالى يقطع ثوابه عن من يقطع
العمل ملالا ، عبر عن ذلك بالملال من باب تسمية الشيء باسم سببه .
وقال آخرون : وجه المجاز أن الله تعالى لا يقطع عنكم فضله
حتى تملوا سؤاله ، فتزهدوا في الرغبة إليه ...

وقال آخرون : وجه المجاز أن الله ﷻ لا يتناهى حقه عليكم في
الطاعة حتى يتناهى جهدكم .

وهذه الأوجه بناء على أن " حتى " على معناها الحقيقي ، ولذلك
كان توجيه الحديث إلى معناه المجازي ، وهذا هو الأولى والأليق .

(١) سورة الشورى الآية : ٤٠ .

(٢) سورة الأعراف الآية : ٣٠ .

وذهب بعض العلماء : إلى أن تأويل معنى " حتى " فقالوا :
إن معنى " حتى " " إذا " ، ومعنى الحديث على هذا هو (لا يمل الله إذا
مللتم) ، فعلق الشرط على أمر مستحيل ، كما يقول العرب : " لا أفعل
كذا حتى يشيب الغراب " ومنه قولهم في البليغ " لا ينقطع حتى
تنقطع فصاحته " ، فإن الغراب لا يشيب ، والفصاحة لا تنقطع .
أو هي بمعنى الواو: ويكون المعنى (إن الله لا يمل وتملون)^(١) ،
فنفت الملل عن الله ونسبته إلى الناس .
(وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ) (مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ) أي كانت
أحب الأعمال إلى الله تعالى أو إلى رسوله ﷺ ومآلهما واحد ؛ لأن طاعة
رسول الله ﷺ طاعة لله تعالى ، كما يقول الله تعالى : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ
فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾^(٢) ، ما داوم عليها المكلف واستمر في أدائها .
يقول النووي : بدوام القليل تستمر الطاعة بالذكر ، والمراقبة ،
والإخلاص ، والإقبال على الله ، بخلاف الكثير الشاق ، فإن القليل
الدائم ينمو ويتضاعف حتى يزيد على الكثير المنقطع أضعافا كثيرة^(٣) .
يقول ابن الجوزي : إنما أحب الله ورسوله ﷺ العمل الدائم لمعنيين :
أولاهما : أن التارك للعمل بعد الدخول فيه كالمعرض بعد الوصول
وكانه اكتشف أمرا معيبا ، فهو متعرض للذم .

(١) فتح الباري ج ١ ص ١٠٢ .

(٢) سورة النساء الآية : ٨٠ .

(٣) فتح الباري ج ١ ص ١٠٤ .

ثانيهما : مداومة الخير ملازمة العبد للخدمة التي كلف بها ، وليس
بلازم أن تكون الخدمة كل اليوم حتى لا تنقطع .

فإن قيل : وقع في حديث الباب أن رسول الله ﷺ دخل على
عائشة **ل** والحولاء عندها ... وفي رواية أخرى أن الحولاء مرت
بعائشة **ل** ولم تكن عندها ، فكيف نفهم التباين بين الروایتين ؟

أقول : يحتمل أن التي مرت امرأة أخرى من بني أسد غير الحولاء
، فظنها الراوي هي ... أو أن الحادثة تعددت مع الحولاء .
وذكر البعض أن الحادثة واحدة ، وأن المرأة هي الحولاء ، ويوضحون
ذلك أن الحولاء كانت عند عائشة **ل** ، فلما دخل رسول الله ﷺ
قامت المرأة ، وحين خروجها مرت برسول الله ﷺ خلال ذهابه ، فسأل
عنها رسول الله ﷺ ... وبهذا تجتمع الروايات .

وإن قيل : كيف تمدح عائشة **ل** المرأة في وجهها ، وقد نهى
النبي ﷺ أن يمدح الإنسان غيره في وجهه ؟

أقول : مدحت السيدة عائشة **ل** المرأة في وجهها بعد ما أمنت
عليها الفتنة ، أو أن السيدة عائشة **ل** مدحت المرأة بعد خروجها ،
وبعد ما سأل عنها رسول الله ﷺ بعد ما خرجت ، أو أن السيدة عائشة **ل** مدحت
المرأة قبل نهى النبي ﷺ عن المدح ، يؤيد هذا الرأي ما روي أن السيدة
عائشة **ل** أنها قالت: كانت عندي امرأة فلما قامت قال رسول الله ﷺ
: " من هذه يا عائشة ؟ "

فقلت : يا رسول الله أما تعرفها ؟ ... هذه فلانة ، لا تنام الليل ، وهي أعبد أهل المدينة .

فقال رسول الله ﷺ : " مه مه عليكم من العمل ما تطيقون فإن الله تعالى لا يمل حتى تملوا " وكان أحب العمل إليه أدومه وإن قل (^١) .

وفي الحديث الثالث : تؤكد السيدة عائشة **ل** (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ) أي إذا أصاب النوم أحدكم و(نَعَسَ) بفتح العين بمعنى نام أو قارب النوم ، فليرقد : بمعنى فلينصرف من الصلاة ويسلم لغلبة النوم ، فإن لم يغلبه فليستمر في صلاته .

(فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ) أي إن علة قطع الصلاة عند النعاس أن النعاس لا يعي ما يقول ، فلربما يسب نفسه وهو يستغفر ، وهي علة محتملة ، ومراعتها أولى من الوقوع فيها .

وأحاديث الباب توضح أن العبادة قائمة على اليسر وعدم المشقة ، وترك المبالغة في صلاة الليل ، وأن يتخير العبد لصلاته وقت نشاطه وبقظته ؛ لأن المتعب الكسلان مشغول بتعبه ، والنعسان لا يعي ما يقول ، وأحب الأعمال إلى الله تعالى أدومه و(يكتب للرجل من صلاته ما عقل منها) (^٢) .

(^١) حلية الأولياء - الحولاء بنت توييت ، حديث رقم : ١٥٣٣ .

(^٢) حلية الأولياء - سفيان الثوري ، حديث رقم : ٩٨٢٦ .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أن أحكام الشريعة شرعت لتحقيق مصالح العباد ، وأنها جاءت علاجاً لواقع ، وتحديد مسار الناس على منهج الله تعالى المتميز بأمور عدة ، أهمها :-

الأمر الأول : ضرورة المحافظة على استمرار الحياة في راحة وهدوء وسكينة ؛ لأنه ﷺ أرشد المسلمين في أحاديث الباب إلى ما يصلحهم ، ويمكنهم الدوام عليه بلا مشقة وبلا ضرر ، وبذلك تكون النفس نشيطة ، والقلب منشرحاً ، فتتم العبادة ... بخلاف من تعاطى من الأعمال ما يشق عليه فإنه بصدد أن يتركه كله أو بعضه ، أو يفعله بكلفة وكراهة بعيداً عن الرضى والانشراح ، فيفوته لذلك خير عظيم ، وقد ذم الله تعالى من عبادة من أفرط وبالعكس ثم ترك وأهمل ، وذلك في قوله ﷺ : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةٌ ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَارِعُوهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَتَأْتِينَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴾^(١)

وقد ندم عبد الله بن عمرو بن العاص م على تركه قبول رخصة رسول الله ﷺ في تخفيف العبادة ، ومجانبة التشدد .

الأمر الثاني : أن يبدأ القائد بنفسه وأهله ، تقول السيدة عائشة ل قال رسول الله ﷺ : إن أحب الأعمال إلى الله ما دووم عليه ، وإن قل

(١) سورة الحديد الآية : ٢٧ .

" وكان آل محمد ﷺ إذا عملوا عملاً أثبتوه ^(١) أي داوموا عليه .

الأمر الثالث : معرفة الحكم الصحيح لمن كان يجهله ، لا يسيء إلى الفعل ولا إلى الفاعل الذي سبق معرفة الحكم ، فصلاة زينب **ل** قبل حل الحبل لا إثم فيها ، وقيام الحوراء الليل كله قبل خبر النبي ﷺ بكراهية ذلك عبادة صحيحة ، ومن صلى نعسانا قبل معرفة حديث الباب معذور ، والعبرة بعد ظهور الحكم واتضاحه ، والإسلام يجب ما قبله .

الأمر الرابع : لقد نشر رسول الله ﷺ الإسلام ، وعلمه للناس بطريقة تربوية سليمة ، فهو ﷺ لم يجمع أصحابه في مكان يعلمهم فيه ، وإنما كان يتخير الحدث ، ويسأل عنه ، ويتحقق منه ، ويشارك أصحابه ، ويسألهم ، ثم يبين لهم حكم الله في هذا الحدث إيجاباً أو سلباً .

ففي الحديث الأول : يسأل ﷺ عن الحبل المربوط بين الساريتين ، وعن فاعله ، وعن الفائدة من شده ، فلما علم كل ذلك قال لهم : حلوه فمن كسل فليقعد .

وفي الحديث الثاني رأى ﷺ امرأة مع عائشة **ل فسأل عنها فأخبروه بكثرة صلاتها ، وأنها تقوم الليل كله ، فنهى ﷺ عن مدحها ، وترك عملها لعلم الله تعالى .**

وفي الحديث الثالث بين ﷺ للناس أن الصلاة لا تصح مع النوم ، فربما دعى الناعس على نفسه حين يستغفر الله تعالى ، وربما زاد كلاماً

(١) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل العمل الدائم من قيام الليل

لا يقصده ، أو نقص ألفاظا تضر المعنى .
وهكذا نشأ الفقه الإسلامي من بين أحداث الناس ، وعلم رسول الله ﷺ أصحابه العقيدة بالنظر في ملكوت الله ، وتأمل الآيات ، وتذكر النعم ، وتدبر كافة جوانب الدنيا ، فهي كلها تعرف بالله تعالى .
وفي الأحاديث أحكام تتصل بصلاة الليل ، وبالوضوء ذكرت في مجالها .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب عدم التشدد في صلاة الليل ، وضرورة الراحة والسلامة ، واليقظة ، فمن كسل في الصلاة فليقعد ، ومن غلبه النعاس فليرقد ، ولا يصح اتخاذ وسائل للتنبيه فوق الطاقة أثناء الصلاة ، ونهى النبي ﷺ عن المدح ، وبين أن التكليف على قدر الوسع ، ومن عجز فليستقد بالرخص .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز .. أهمها :

الركيزة الأولى

يسر العبادات في الإسلام

أنزل الله تعالى دينه ، وشرع للناس شرائعه ، وجعلها على قدر الطاقة والوسع ، وهي في جملتها اليسر والسهولة خالية من المشقة والحرص ، يقول الله ﷻ : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ^(١) .

(١) سورة البقرة الآية : ٢٨٦ .

ويقول ﷺ : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾^(١).

وجعل الله تعالى شريعته عزيمة مقبولة لا تعب فيها ، وشرع معها الرخص في حالات معينة حتى لا يقع المكلف في عنت .
ولما رأى ﷺ أقواما يشددون على أنفسهم نهاهم عن ذلك ، وأمرهم بالرفق واللين .

لم يرتض رسول الله ﷺ لزوجه زينب - رضي الله عنها - أن تصلي بالليل وهي كسلانه متعبة ، وأمر بحل الحبل ، وترك الصلاة حين الكسل ، ونهى عن صلاة الليل كله ، وأمر بترك الصلاة حين غلبة النعاس ، وما كل هذا إلا لمواكبة شرع الله بما فيه من سعة ، وشفقة ، ورحمة .

ومن هذا المجال ما روي أنه (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله ﷺ إليهم ، فقال : " أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني)^(٢).

(١) سورة الحج الآية : ٧٨ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح .

الركيزة الثانية الإخلاص يضاعف الأجر

العبادات أعمال وأحوال تحتاج إلى التوجه التام لله تعالى ، بحيث تشمل الظاهر والباطن ، والبدن والروح ، يقول الله ﷻ : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾^(١) إن الإخلاص يضاعف الأعمال ، ويزيد الحسنات ، ويوسع طريق القرب من الله تعالى ، ولذلك كان شرط الصدق والإخلاص أولى من المبالغة في العمل ، وكثرة الحركات ، وأي عبادة تخلو من الإخلاص لا فائدة فيها ، فلإنسان من صلاته ما عقل منها ... ورب مصل لا يأخذ من صلاته إلا التعب .

إن المسلم يتحول إلى دين الله بكليته ، وأي تقصير مادي أو معنوي لا يجوز

الركيزة الثالثة مسارعة المؤمن إلى الطاعة

أساس الدعوة تثبيت العقيدة ، وبدونها لا يكون للإنسان دين ، فهي التي تملأ القلب باليقين ، وتقنعه بالحق ، وتعرفه بالله تعالى وبصفاته ، وبكل كمال يليق به سبحانه ، وبطاعته بكل ما يأمر به أو ينهى عنه ... وأهمية العقيدة أنها تعتمد على الاقناع والرضى ، وتقوم على البرهان العقلي ، ومشاهدة آيات الله في الكون والحياة ... فلقد ظل ﷺ يدعو الناس إلى دين الله تعالى وهو في مكة ليؤمنوا بخالقهم ، ويتأملوا في آياته

(١) سورة البينة الآية : ٥ .

الدالة عليه ، ويسمعوا للقرآن وللرسول الله ﷺ ، وهو يأمرهم بالنظر في النفس والكون القريب والبعيد .

وظل الرسول ﷺ في دعوته حتى اعتقد الناس ، وآمنوا بالله ، وصاروا عبيدا للخالق العظيم .

وبعد الاعتقاد جاءت الشريعة ، ولم تلق من المؤمنين غيا ، ولم تقابل منهم رفضا ، بل كانوا يسارعون إلى الطاعة لصدق اعتقادهم .

ولما أخذ الرسول ﷺ يشرع لهم أطاعوه في كل امره ونهيه ، وأحاديث الباب شاهد على ذلك ، فلقد استجاب الصحابة لرسول الله ﷺ ، وحلوا الحبل بين الساريتين ، وتركوا قيام الليل كله ، ولجأوا إلى النوم إن أتاهم وهم يصلون ، وأخذت الشريعة مسارها السريع بين الناس بكل حب ورضى ، لأنها الطريق العملي لله تعالى ، وهي البرهان على صدق الاعتقاد والإيمان بالله تعالى .

وعلى الدعاة :

الاهتمام ببيان أركان العقيدة وتنشيتها في القلوب والعقول ، وحث الناس على التمسك بلوازم العقيدة ، وبعد ذلك يسعى الناس إلى الشريعة ، ويسارعون في أدائها طاعة لله الذي آمنوا به .

الركيزة الرابعة منهجية الحوار في الدعوة

الحوار أساس عملية الدعوة إلى دين الله تعالى ، لأنه يشرك كافة الأطراف فيه ، وفي قراراته ، ولذلك كثر الحوار والجدل في القرآن الكريم ، والسنة النبوية .

وأحاديث الباب توضح ذلك ، فلقد حاور النبي ﷺ أصحابه فيما رأى ، وفيما سمع ، وركز معهم على الجوانب المنهي عنها ، ولذلك استقبلوا الحكم وطبقوه ، وهم له فاهمون ، وعنه راضون .

ومن فطنة الدعاة معرفة الواقع وأسبابه ، وبيان حكم الله فيه ، والنهي عنه إن كان منكرا مع قبول عذر فاعله ، وعدم لومه على خطأ وقع فيه ... وأن يصرف محدثه عما لا يفيد بلا عنت ، ويوضح له العمل الصالح الجدير بالتوضيح ، وأن يلزم اليسر في كل ما يدعو إليه .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية :

- (١) أحكام الإسلام قائمة على الشفقة والرحمة والتيسير .
- (٢) جواز مدح الرجل في وجهه عند أمن الفتنة .
- (٣) أفضل الأعمال عند الله تعالى أدومها وإن قلت .
- (٤) الحث على الخشوع وحضور القلب في الطاعات .
- (٥) ضرورة تجنب المكروهات في الطاعات .
- (٦) جواز الدعاء في الصلاة ، في المواطن التي عرفنا رسول الله

ﷺ بها

- ٢٤ -

**٣٣ - باب الأمر بتعهد القرآن وكراهة قول نسي
آية كذا وجواز قول أنسيته**

(١)، [٤٥١] حديث عائشة **ل** قَالَتْ : سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَارِئًا يَقْرَأُ مِنْ

اللَّيْلِ فِي الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ ﷺ : يَرْحَمُهُ اللَّهُ لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا ٥٠٤٢

آيَةً أَسْقَطْتُهَا مِنْ سُورَةٍ كَذَا وَكَذَا (١)

(٢)، [٤٥٢] حديث ابن عمر **م** أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : إِنَّمَا مِثْلُ صَاحِبِ

الْقُرْآنِ كَمِثْلِ صَاحِبِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا ، ٥٠٣١

وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ (٢)

(٣)، [٤٥٣] حديث عبد الله بن مسعود **هـ** قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : بِئْسَ

مَا لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ نَسِيتُ آيَةً كَيْتَ وَكَيْتَ ، بَلْ نُسِيَ ؛ ٥٠٣٢

وَاسْتَذْكُرُوا الْقُرْآنَ ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَفْصِيًّا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ

النَّعَمِ (٣) .

(٤)، [٤٥٤] حديث أبي موسى **هـ** عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ ،

فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفْصِيًّا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقْلِهَا (٤) ٥٠٣٣

(١) أخرجه البخاري في: ٦٦ كتاب فضائل القرآن: ٢٧ باب من لم ير بأساً أن يقول سورة البقرة وسورة كذا وكذا

(٢) أخرجه البخاري في: ٦٦ كتاب فضائل القرآن: ٢٣ باب استنكار القرآن وتعهده

(٣) أخرجه البخاري في: ٦٦ كتاب فضائل القرآن: ٢٣ باب استنكار القرآن وتعهده ، وللحديث رواية أخرى في صحيح البخاري تحت رقم : ٥٠٣٩ .

(٤) أخرجه البخاري في: ٦٦ كتاب فضائل القرآن: ٢٣ باب استنكار القرآن وتعهده .

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب ضرورة استذكار القرآن الكريم ، وتعهده بالقراءة والحفظ ؛ لأن عدم تعهده بالقراءة يؤدي إلى تفلته ونسيانه .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على أربعة أحاديث ، تبين أهمية تعهد القرآن الكريم بالقراءة ، واستذكاره حتى لا ينسى .

ففي الحديث الأول : تقول السيدة عائشة **ل** (سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ

قَارِئًا يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ فِي الْمَسْجِدِ) وهذا القارئ هو عباد بن بشر، الصحابي الجليل رضي الله عنه، فقد روى البخاري عن عائشة **ل** أنها قالت : (تهجد النبي ﷺ في بيتي ، فسمع صوت عباد يصلي في المسجد ، فقال : " يا عائشة أصوت عباد هذا ؟ "

قلت : نعم ،

قال : " اللهم ارحم عبادا ^(١) .

فهذا الحديث يوضح أسم الصحابي الذي كان يقرأ في المسجد .
(فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ ج: يَرْحَمُهُ اللَّهُ لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذًا وَكَذًا، آيَةً) أي يعينه الله ويوفقه فقد ذكرني كذا وكذا آية أي آيتين، وقال بعضهم كذا وكذا تعني واحدا وعشرين آية ، أو كذا أو كذا تشير إلى معنيين في آية واحدة .
(أَسْقَطْتُهَا مِنْ سُورَةٍ كَذًا وَكَذًا) أي نسيتها من سورة كذا وسورة كذا ،

(١) صحيح البخاري ، كتاب الشهادات ، باب شهادة الأعمى وأمره ونكاحه .

فدل ذلك على القول بسورة البقرة وسورة آل عمران ... ولا كراهية في ذلك ، وهو الصواب ، وهو الأولى من قول من رأى كراهية القول بـ (سورة البقرة ...) وذهب إلى معنى القول في الحديث (السورة التي فيها البقرة...

وفي الحديث الثاني : يروي ابن عمر **م** (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ،

قَالَ: إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ) مع القرآن ، والمراد بصاحب القرآن الذي ألف قراءته من حفظه أو من المصحف ؛ لأن الذي يداوم على قراءته يذلل لسانه ، وتسهل عليه القراءة ، فإذا هجره شقت عليه القراءة ، وتفلت عليه .

و(إِنَّمَا) تفيد الحصر ، للدلالة على دقة التشبيه ؛ لأنها تقصر المبتدأ على الخبر ، والحصر هنا إضافي لأنه يتضمن أن لقارئ القرآن أشباها أخرى ، وأنه قصد هنا تشبيه الحفظ بالتلاوة ، والنسيان بالترك دون غيره .

(كَمَثَلِ صَاحِبِ الْإِبِلِ) مع الإبل (الْمُعَقَّلَةِ) ، والأبل المعقلة بضم الميم ، وفتح العين ، وتشديد القاف المفتوحة ، هي الإبل المربوطة بالعقال ، وهو الحبل الذي تشد به ركبة البعير ، وكان العربي يستخدم العقال الذي يضعه على رأسه في ربط جملة .

شبه الحديث دراسة القرآن الكريم ، واستمرار تلاوته بربط البعير الذي يخشى عليه الشراد ، فإن زال التعاهد موجودا فالحفظ موجود ، كما أن البعير إذا بقى مشدودا بالعقال فهو محفوظ .

وخص الحديث الأبل بالذكر لأنها أشد الحيوانات الأليفة نفورا ، وفي

استرجاعها بعد نفورها صعوبة .

(إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا) أي إن استمر إمساكه لها حفظها .

(وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ) أي وإن تركها لحريتها انفلتت وفرت ...

وفي صيغة الحديث جاءت روايات أخرى منها : -

- رواية نافع عن مسلم : (..... إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل

المعقلة ، إن عاهد عليها أمسكها ، وإن أطلقها ذهبت)^(١)

- وفي رواية نافع أيضا : (وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل ، والنهار

ذكره ، وإذا لم يقرأ به نسيه)

- عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (مثل القرآن

مثل الإبل المعقلة إن تعاهدها صاحبها بعقلها أمسكها ، وإن أطلق عقلها ذهبت)^(٢) .

والحاصل تشبيه من يتقلى منه القرآن الكريم بالناقة التي تفلتت من

عقالها ، وبقيت متعلقة به ... وتحرير المسألة أن التشبيه مركب ، وقع

فيه تشبيه ثلاثة بثلاثة ، فحامل القرآن يشبه صاحب الناقة ، والقرآن يشبه

الناقة ، والحفظ والمدارسة تشبه الربط وليس بين القرآن والناقة مناسبة

؛ لأن القرآن قديم ، والناقة حديثة ، ولكن التشبيه وقع في المعنى .

وفي الحديث الثالث : يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : (قَالَ النَّبِيُّ

ﷺ : بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ) بئس فعل جامد لا ينصرف يفيد الذم ،

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الأمر بتعهد القرآن، حديث ١٣٥٣

(٢) مستخرج أبي عوانة ، مبدأ فضائل القرآن ، باب ذكر الخبر الموجب لاستذكار القرآن

ودراسته ، حديث رقم : ٣٥٩٥

ويرفع فاعلا ظاهرا معرفا بـ " ال " ، نحو " بئس الرجل زيد " ... أو يرفع نكرة مضافة لمعرفة بـ " ال " ، مثل " بئس زعيم القوم زيد " ... وزيد في الحالتين هو المخصوص بالذم ، خبر لمبتدأ محذوف تقديره " المذموم زيد "

وقد يكون فاعل بئس أسما مضمرًا تأتي بعده نكرة منصوبة على التمييز تفسر الأسم المضمرة ، مثل " بئس رجلا زيد " ففاعل بئس اسم مضمرة تقديره " بئس هو "

و (ما) الواردة في الحديث بعد " بئس " تحل محل النكرة ، والتقرير " بئس هو " ، والمخصوص بالذم المصدر المؤول من (أَنْ يَقُولَ) ، والمعنى العام للحديث " بئس هو شيئًا قول الرجل " أي إن المذموم قوله كذا ... وهو أن يقول : (نَسِيتُ) بفتح النون وتخفيف السين وكسرهما ، فينسب النسيان إلى نفسه ويقول : (نَسِيتُ آيَةً كَيْتَ وَكَيْتَ) .

يقول القرطبي : كيت وكيت يعبر بهما عن الجمل الكثيرة ، والحديث الطويل ، ومثلها ديت وديت .

(بَلْ نُسِيَّ) بضم النون وتشديد السين المكسورة بعد البناء للمجهول في جميع روايات البخاري ، وفي أكثر الروايات عند غيره مما يجعل العمل بها أولى .

والتثقيل : يفيد أن الله تعالى أوقع النسيان على قلب الناس لتفريطه أو لحكمة ارادها الله تعالى .

والتخفيف : يفيد أن الرجل ترك القرآن حتى تفلت منه .
(وَاسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ) أي واطبوا على تلاوته واطلبوا من أنفسكم مذاكرته به

..... وهو عطف من حيث المعنى على قوله : (بئس ما لأحديهم) أي لا تقصروا في معاهدته ، واستذكروه .

(فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَفْصِيًّا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ) تفصيا بفتح التاء والفاء ، وتشديد الصاد المكسورة بعدها ياء خفيفة ممدودة ، ومعنى تفصيا تفلنا وتخلصا ، نصب على التمييز .

وفي الحديث الثالث : زيادة على الحديث الثاني ؛ لأن الحديث الثاني شبه أحد الأمرين بالآخر ، وفي الحديث الثالث بيان أن تفلت القرآن من الصدور أبلغ في النفور من الإبل ، ولذا أفصح عنه الحديث وقال : (فَإِنَّهُ) أي القرآن (أَشَدُّ تَفْصِيًّا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ) أشد (مِنْ النَّعَمِ) أي من الإبل .

وجاء الحديث الرابع : بما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه ﷺ قال : (تَعَاهِدُوا الْقُرْآنَ) أي حافظوا على القرآن الكريم بالتلاوة ، والحفظ ، والتزموا قراءته ليلا ونهارا .

(فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفْصِيًّا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقْلِهَا) وهذا قسم من رسول الله ﷺ يوضح فيه أن القرآن يتفلت من صدر من لا يتعهدده ، ويترك مدارسته تفلنا أشد من تفلت الأبل إذا ترك عقالها .

وأحاديث الباب الأربعة تحت على الاهتمام بتلاوة القرآن الكريم وحفظه ، وقهر النفس على مدارسته وفهمه .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

بينت أحاديث الباب ضرورة الاهتمام بترتيل القرآن الكريم ، والمحافظة

على حفظه ومدارسته ، واتفق العلماء على كراهية نسيان القرآن بعد حفظه ، ورأوا في بعض الأحاديث ذما لمن ينسب الذم لنفسه ، ولكنهم اختلفوا في متعلق الذم وحكمة النهي عن نسبة الذم إلى الناسي .

ذكر ابن حجر عدة أوجه في متعلق الذم ، وهي : -

الوجه الأول : أراد الله تعالى أن يجري على لسان العباد نسبة الأمور إلى فاعلها الحقيقي ، لما في ذلك من الإقرار بالعبودية ، والاستسلام لقدرة الله تعالى ، لأن ذلك أولى من نسبة الفعل إلى مكتسبه ، وخصوصا أن النسيان لا صنع للإنسان فيه ؛ لأنه عارض للإنسان لا عن قصد منه ؛ لأنه لو قصد نسيان الشيء لكان ذاكرة له في حال قصده ، فكيف ينسبه إلى نفسه ، فيوهم بأنه انفرد بفعله ، فكان ينبغي أن يقول : أنسيت أو نسيت بالنتقيل على البناء للمجهول فيهما ، أي إن الله هو الذي أنساه ، كما قال ﷻ : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾^(١)

وهذا الوجه بعيد عن أن يكون النهي للزجر بل هو من باب خلاف الأولى إرشادا للناس ؛ لأن نسبة الشيء إلى مكتسبه جاء كثيرا في القرآن الكريم ، فقد أضاف موسى ﷺ النسيان إلى نفسه في قوله ﷻ : ﴿ لَا تُوَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾^(٢) وأضافه يوشع إلى نفسه حين قال : ﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ ﴾^(٣) .

(١) سورة الأنفال الآية : ١٧ .

(٢) سورة الكف الآية : ٧٣ .

(٣) سورة الكهف الآية : ٦٣ .

ونسىه الصحابة إلى أنفسهم في قولهم : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ
أَخْطَأْنَا﴾^(١) ، وثبت أن رسول الله ﷺ قال : (إنما أنا بشر مثلكم ،
أنسى كما تنسون ، فإذا نسيت فذكروني)^(٢) ، وعلى هذا يكون النهي
للإرشاد .

الوجه الثاني : يحمل النهي على أن يكون معنى نسيت تركت ،
لا بمعنى السهو العارض ومنه ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾^(٣) .

وهذا الوجه بعيد ؛ لأنه يؤدي إلى المجاز الواقع بين النسيان والترك
بلا قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي ، بل القرينة تبعد هذا المجاز بما
جاء في رواية (بل هو نُسِّي) بضم النون وتشديد السين المكسورة .

الوجه الثالث : جعل النبي ﷺ هو الفاعل للنسيان ، أي لا يقل أحد
أن محمدا ﷺ نسى ، بل الله هو الذي نساه لنسخ أو لحكمة أرادها ﷻ .

الوجه الرابع : أن يكون النهي خاصا بزمن النبي ﷺ ، حيث قدر
الله النسيان للنسخ .

الوجه الخامس : أن النهي بسبب دلالة اللفظ على عدم الاعتناء
بالقرآن الكريم ، وترك تعهده ومدارسته ، وهذا يفيد أن الذم متصل بالحال
لا بالقول ، أي بئس الحال حال من حفظه ثم غفل عنه حتى نسيه ...
وحاصل هذا الوجه النهي عن ترك المحفوظ بدون مذاكرة وتعاهد ، وذم

(١) سورة البقرة الآية : ٢٨٦ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب التوجه نحو القبلة حيث كان .

(٣) سورة التوبة الآية : ٦٧ .

لغفلة عن تلاوة المحفوظ منه .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب ضرورة تعهد القرآن الكريم بالتلاوة والحفظ ، وتتهى عن أن ينسب الإنسان النسيان إلى نفسه ، وتوضح أن القرآن الكريم إذا لم يتعاهده حافظه بالترتيل ، والقراءة ، والحفظ ؛ فإنه يتقلت من الصدور أشد من تقلت الإبل من عقالها إن لم يعقلها صاحبها .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تشتمل أحاديث الباب على عدد من الركائز ... أهمها : -

الركيزة الأولى

مسئولية المسلم عن الأمانة التي حملها

حمل الإنسان أمانة الدين فأصبح مسئولاً عنه ، وقد خلقه الله تعالى مؤهلاً للمحافظة على الدين ، وفرزقه عقلاً يحفظ ما يسمع ، ويفهم معانيه ودلالاته ، كما رزقه القدرة التي بها يستطيع العمل الذي يكلف به ببسر . والدين قيم وأحكام وتوجيهات محددة في القرآن الكريم والسنة النبوية ، وهما مصدر الدين كله ..

ومن الحقائق الثابتة أن المحافظة على الدين تتم بالمحافظة على مصادره ومدارسها ، والعلم بها ليبقى بوضوحه كما نزل من عند الله تعالى .

ولا ينقص الدين في حياة الناس إلا بهجر القرآن الكريم والسنة المطهرة ؛ لأن الدين قائم على العلم والمعرفة ، والجهل بمصادره يعني

اختفاء أصول الدين والجهل بها ، وضعف العلماء عن الدفاع عنه أمام موجات الغزو الفكري ، وهجوم المتربصين به ، يقول النبي ﷺ : (إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعاً ، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم ، فيبقى ناس جهال ، يستفتون فيفتون برأيهم ، فيضلون ويضلون) (١) .

وقد حذر النبي ﷺ من إهمال العلم بالقرآن الكريم، والجهل بالدين ، وأمر بتعهد القرآن الكريم بالحفظ ، والقراءة ، والمداومة على ذلك ، حتى لا يتفلت القرآن من القلوب ، وينتشر الجهل بالدين بعد ذلك .
إن أعداء الإسلام نشطوا في هذا الجانب ، ونجحوا في كثير من أهدافهم كما ينطق واقع المسلمين اليوم ... ولنتأمل :

- في عدد حفظة القرآن الكريم ، ونقارنهم بعدد من يحفظ الأغاني الهابطة ، وأحداث الفحش والجريمة ، وأخبار اللهو والعبث في مجال الرياضة ومسابقات الجمال والأزياء والعرافة.
- مستوى مؤسسات التعليم التي تهتم بتعليم الإسلام ، وتحفيظ القرآن الكريم ومقارنتها بمؤسسات التعليم الخاص والأجنبي .
- المستوى الاجتماعي لحافظ القرآن الكريم وقياسه بالذين تخصصوا في الدراسات المدنية الحديثة والكليات العسكرية .

(١) صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس .

- التطبيق العملي للإسلام في حياة المسلمين الاجتماعية ،
مثل العمل ، والاختلاط ، واللباس ، والتنقل يُبين بُعد المسلمين
كثيرا عن تطبيق الإسلام .
- وبالنسبة لحفظ القرآن الكريم كليا أو جزئيا لا وجود له بين
علية القوم وعامتهم لدرجة أن الكثير لا يجيد قراءة ما تصح
به الصلاة .

أين المسلمون اليوم من

- * قوله ﷺ : ﴿ وَتَكَرَّذُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ ^(١) .
- * ومن قوله ﷺ : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) ^(٢)
- * ومن قوله ﷺ : (اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ، فإذا
اختلفتم ، فقوموا عنه) ^(٣)
- * ومن قوله ﷺ في الحديث القدسي : (أنا عند ظن عبدي بي
، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن
ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم ، وإن تقرب إلي بشبر تقربت
إليه ذراعا ، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا ، وإن أتاني يمشي
أتيته هرولة) ^(٤)

(١) سورة البقرة الآية : ١٩٧ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن .

(٣) الإبانة الكبرى لابن بطة باب بيان كفر الجهمية الذين أزاغ الله قلوبهم ، حديث ٢٣٨١ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى ويحذركم الله نفسه .

إن الأمر جد خطير ، والمسئولية الدينية اليوم كبيرة ، والاهتمام بحفظ القرآن الكريم ومدارسته أمر واجب ، ولذلك أقول للناس ﴿وَرَحِمْتُ رَيْكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(١) .

الركيزة الثانية من فنون الدعوة إلى الله تعالى

تورد الأحاديث لونا من ألوان الدعوة إلى الله تعالى وهو ضرب المثل لتقريب المعنى البعيد ، وإظهار الخفي .
وجملة أحاديث الباب تأمر بتعهد القرآن الكريم بالتلاوة والحفظ ، وتشبيه القارئ بصاحب الإبل ، إن ربطها بقيت وإن أهملها وتركها فرت ، وكذلك القرآن الكريم يثبت في الصدر بالمدائمة على قراءته ، ويتقلت من الصدر ، ويثقل على اللسان إن أهمله صاحبه ، ويتميز التشبيه في الأحاديث بما يلي : -

١- التشبيه بأمر معروف للجميع ، لأن الجمل هو حامل التجار و التجارة إلى المدن البعيدة ، وفيافي الصحراء المختلفة .

٢- اختيار الإبل دون غيرها ، لأنه حيوان أليف مطيع لكن نفوره شديد ، ورجوعه صعب ، وتلك صفات معلومة عن الإبل .

٣- الإشارة إلى أمر بديهي وهو أن تعهد الإبل ، وربطها يحفظها من الإفلات والهرب .

(١) سورة الزخرف الآية : ٣٢ .

٤- ويأتي التشبيه ويوضح أن القرآن الكريم أشد تفلتا من الإبل

، ولن يستقر في القلب إلا بالحفظ والمدارسة .

وبالنظر في هذا التشبيه يصير المسلم مسئولا عن تعهد ما حفظ من القرآن الكريم ، وأن يحفظ بالضرورة ما يحتاج إليه في الصلاة ، وفي حياته كلها .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الأحاديث

نستنبط من الأحاديث الفوائد التالية :

- (١) المسلم مكلف بالمحافظة على مصادر الدين والعمل بها .
- (٢) يحسن استعمال الأساليب البيانية في الدعوة إلى الله تعالى .
- (٣) مخاطبة الناس بالحسنى من الحكمة والموعظة والحوار الحسن
- (٤) ضرورة نصح الناس بما ينفعهم في الدنيا والآخرة ،
- وتذكيرهم بما يجب عليهم ، ﴿ فَإِنَّ الذِّكْرَ نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(١)
- (٥) مجتمع المسلمين متألف متعاون على البر والتقوى .

(١) سورة الذاريات الآية : ٥٥ .

- ٢٥ -

٣٤ - باب استحباب تحسين

الصوت بالقرآن

[٤٥٥]، (١) حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

لَمْ يَأْذَنْ اللَّهُ لشيءٍ مَا أَدْنَى لِلنَّبِيِّ أَنْ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ ، يُرِيدُ
يَجْهَرُ بِهِ ^(١).

[٤٥٦]، (٢) حديث أبي موسى رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ لَهُ: يَا أَبَا مُوسَى

لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ ^(٢) ٥٠٤٨

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب ضرورة تحسين الصوت بقراءة القرآن الكريم ،
والجهر به حين تلاوته ، وبيان فضل الله تعالى على من يحسن تلاوته .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على حديثين يبينان استحباب الجهر بالقراءة ، وتحسين
الصوت فيها .

ففي الحديث الأول : يقول أبو هريرة رضي الله عنه : (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَمْ

يَأْذَنْ اللَّهُ لشيءٍ) الإذن مصدر أذن ، وهو يعني أحد معنيين :

أحدهما : السماح بالاطلاق والإباحة .

(١) أخرجه البخاري في: ٦٦ كتاب فضائل القرآن: ١٩ باب من لم يتغن بالقرآن

(٢) أخرجه البخاري في: ٦٦ كتاب فضائل القرآن: ٣١ باب حسن الصوت بالقراءة ، وللحديث

روايات أخرى في صحيح البخاري تحت أرقام ٥٠٢٤ ، ٧٤٨٢ ، ٧٠٤٤ .

وثانيهما : الاستماع والاصغاء ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَذِّنْ لِرَبِّهَا

وَحُفَّتْ ﴾ ^(١) .

والمراد لازم المعنى الثاني من الاستجابة والطوعية ، يؤيد ذلك

ما أخرجه الإمام أحمد بسنده قال : قال رسول الله ﷺ : (الله أشد أذنا إلى

الرجل حسن الصوت بالقرآن ، من صاحب القينة إلى قينته) ^(٢) .

وقوله : (لَشَيْءٍ) يعم العقلاء وغيرهم ويعم كل أقوال الإنسان وأعماله .

(مَا أَذِنَ لِلنَّبِيِّ) ، ما مصدرية ، والمعنى اذن للنبي ، وفي العبارة تشبيهه

، أي كإذنه للنبي محمد ﷺ .

(أَنْ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ) أي يحسن صوته ، ويرفعه ، ويُسمع غيره حين

يقرأ القرآن ، يؤيد هذا المعنى ما ذكره أبو هريرة ؓ توضيحا لمعنى يتغني

، وهو قوله ﷺ (يُرِيدُ يَجْهَرُ بِهِ) أي يحسن بالقرآن صوته ، ويرفعه ،

ويترنم به على طريق التحزن .

وهذا أمر حسن في قراءة القرآن الكريم ؛ لأن النفوس تميل إلى

إستماع القرآن بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم ، لأن للتطريب تأثيرا في

رقة القلب ، وتهذيب الروح ، وتدبر المعاني بالقلب والوجدان .

وقد اتفق السلف والخلف على تحسين الصوت ، وتقديم حسن

الصوت على غيره .

أما القراءة بالألحان ففيه الخلاف الذي سنشير إليه في التحليل .

(١) سورة الانشقاق الآية : ٢ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ، مسند الانتصار ، حديث رقم : ٢٣٣٣٦ .

وقد ذهب البعض إلى أن المعنى المراد للتغني ، هو الاستغناء ، ومعناه الاستغناء بالقرآن عن غيره ، ولا مانع من إرادة هذا المعنى مع المعنى الذي سبق ذكره فلانفاضة بينهما .

وفي الحديث الثاني : يؤكد أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قَالَ لَهُ: يَا أَبَا مُوسَى لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مِزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ) ، والمزمار : آله تصدر صوتا ، استعملها داود عليه السلام وهو يقرأ مزاميره على بني اسرائيل ، وكانت تشد أسماعهم ، وتجمعهم حول داود عليه السلام ، والمراد لازم هذه الآلة ، وهو الصوت الحسن الذي تتحلى به القراءة ... ومن المعلوم أن القراءة غير المقروء .

والمراد بآل داود : داود عليه السلام نفسه ؛ لأنه لم يثبت أن أحدا من أولاد داود ، ولا من أقاربه أعطي حسن الصوت ، أو أنه كان يقرأ التوراة بالمزامير .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أهمية تحسين الصوت بالقرآن الكريم ؛ لما له من تأثير في النفس ، وفي عواطف المستمعين . وقد اتفق العلماء على ضرورة تحسين القراءة ، واستحبوا ذلك لميل النفوس إلى الترنيم والتطريب .

وفرق المحققون بين تحسين الصوت ، وبين اللحن القائم على التمطيط الذي يؤدي إلى زيادة حرف أو إنقاصه .

ومفهوم اللحن في الأغاني المعاصرة يؤكد حرمة قراءة القرآن الكريم بمثله ، لأنه يطمط الكلام ، ويعتمد على أصوات المغنيين بلا ضابط لأقوالهم نطقا ومعنى ، مع مصاحبة الحركات والتغنيات التي تثير شهوات

وغرائز المستمعين والناظرين .

وعلى هذا دار الخلاف بين العلماء فقد فهم البعض أن اللحن هو تحسين الصوت ، والجهر به ، والتغني بالقرآن الكريم مع المحافظة على كافة جوانب تجويده ، فذهب إلى جواز قراءة القرآن الكريم ملحنا مثل قراءة القراء المشهورين .

ومنهم من يفهم اللحن على أنه تطريب في النطق بيزيد حروفا وينقص أخرى ، فحرم اللحن في قراءة القرآن الكريم وبهذا يتضح عدم وجود خلاف بين العلماء حول اللحن في قراءة القرآن الكريم ، لأن كل فريق يتصوره بمعنى معين يخالف مفهوم الفريق الآخر عنه ، وبذلك اختلف الموضوع فانتفى الخلاف .

ومن الواجب تحديد المفاهيم قبل استعراض أي خلاف ، لأن تغاير الموضوع يبين أنه لا خلاف .

يقول ابن حجر - رحمه الله : يتحصل من الأدلة أن تحسين الصوت عند قراءة القرآن أمر مطلوب ، فإن لم يكن القارئ حسن الصوت ، فليحسنه ما استطاع ، ومن جملة التحسين مراعاة قوانين النغم والتجويد ، فإن حسن الصوت يزداد حسنا بذلك ... وإن خرج عن قوانين النغم والتجويد فهو لحن لا تجوز قراءة القرآن به

إن حسن الصوت بالقرآن يزداد جمالا بمراعاة قوانين النظم ، مالم يخرج عن شرط الأداء المعتبر عند أهل القراءات ، فإن خرج عنها لم يف بتحسين الصوت بقبح الأداء ، فإن وجد من يراعيهما معا ، فلا شك في أنه أرجح من غيره ؛ لأنه يأتي بالمطلوب من تحسين ، ويتجنب الممنوع

من حرمة الأداء^(١) .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب استحباب تحسين الصوت بقراءة القرآن الكريم ، مع المحافظة على أحكام القراءة المعتبرة عند أهل القراءات .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب على عدا من الركائز ... أهمها : -

الركيزة الأولى

توظيف القرآن للدعوة للإسلام

أنزل الله تعالى القرآن الكريم مشتملا على أصول الإيمان وأحكام الشريعة ، ومكارم الأخلاق ، وجعله في الناس منارة يهتدي بها أولوا الألباب ... وكما اشتمل القرآن الكريم على حقيقة الإسلام أشتمل على طرق دعوة الناس إلى الإسلام ، ومخاطبتهم بالحسنى ، حيث نجد فيه القصص ، والأمثال ، والقسم ، والجدل متضمنة البراهين الساطعة ، والحجج البينة على صدق الإسلام ، وصدق الدعوة إليه ، ولذلك حسن تقديمه للناس في حسن وجمال يزين الإسلام ويحبب الإيمان ، ويهدي للتي هي أقوم .

إن القرآن الكريم هدى للمتقين ، ونور للقلوب والعقول ، وحتى يحقق

القرآن الكريم أثره في الناس شرع الله مايلي : -

أولاً : تنبيته في القلوب والعقول بألفاظه المتلقاه من الله تعالى ، فقد

(١) فتح الباري ج ٧ ص ٧٢ .

سمعه جبريل عليه السلام من الله تعالى ونقله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونقله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصحابة ، واستمر توارث النقل والتلقي ليحافظ المسلمون على كلام الله تعالى ، ويستمر النطق بالآيات كما قرأها جبريل عليه السلام .

ثانياً : وفق الله تعالى علماء الأمة فوضعوا قواعد منضبطة لنطق حروف القرآن ، وكلماته كما سمعوها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبذلك كانت علوم التجويد ، وعلوم القراءات .

ثالثاً : اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان القرآن الكريم كما بينه الله له ، فكانت السنة النبوية بيانا للقرآن الكريم .

رابعاً : حث المسلمين على حفظ القرآن الكريم ، ومداومة قراءته والجهر به ، وفق قواعد القراءة كما ذكرها العلماء .

ومن هنا

كان تحسين الصوت بالقرآن في إطار قواعد التجويد دعوة مشروعة تؤدي إلى إيصاله لعقول الناس وأفهامهم ، ولذلك أذن الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم وللمسلمين أن يتغنوا بالقرآن الكريم ، ليقبل عليه الناس ، ويؤمنوا بما ينادي به .

ولهذا أباح الله اللحن المشروع في قراءة القرآن الكريم ليصل للناس حسناً جميلاً في لفظه ومعناه .

والأمر يحتاج إلى الاهتمام بالقرآن الكريم على الوجه المشروع ليطاع بإذن الله تعالى .

الركيزة الثانية أهمية تزيين الإسلام للناس

الناس أعداء ما جهلوا ، وخصوم الإسلام يصورونه بصورة منفرة ،

ويزعمون أن الإسلام تخلف ورجعية ، ويعملون على تشويه تعاليم الإسلام حتى تخدم كيدهم ومكرهم ، إنهم يصورون الحدود قسوة ، ومنع الاختلاط رجعية ، والتكاليف الشرعية اعتداء على الحرية وهم بذلك يعملون على صرف الناس عن دين الله تعالى .

والواجب على المسلمين إظهار محاسن الإسلام وإبراز مزاياه فقد أنزله الله تعالى حسنا ، يهدي للحق ، ويجمل حقائق الإسلام كما أنزله الله ، يقول ﷺ : ﴿ وَلَئِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ ^(١) ، وجعل الله للإسلام دستوراً يحفظه ، ويصونه ، ويظهر حقائقه ، ولذلك نزل القرآن للناس ، يقول ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ ^(٢) وفي القرآن الكريم دعوات إلى الجمال المشروع في الإسلام

يقول ﷺ : ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ ^(٣)

ويقول ﷺ : ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ ^(٤)

ويقول ﷺ : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ ^(٥)

وأحاديث الباب تشير إلى أمر رسول الله ﷺ بتحسين الصوت في القراءة ، فقد أذن الله تعالى لرسوله ﷺ بالتغني بالقرآن الكريم ، وقدمح رسول الله ﷺ أبا موسى الأشعري ﷺ لصوته الحسن .

(١) الحجرات الآية : ٧ .

(٢) سورة القمر الآية : ١٧ .

(٣) سورة الأعراف الآية : ٣١ .

(٤) سورة النحل الآية : ٨ .

(٥) سورة النحل الآية : ٦ .

يجب على العلماء أن يظهروا محاسن الإسلام ، ورد الأصوات التي
تزعم رجعية الإسلام ، وبعده عن جمال الحياة ، وتحسين الوجود .
وعلى الدعاة الاهتمام بتحفيظ القرآن الكريم للناس ، والعمل على
رفع أحوال الحفظة ،....

وعلى افراد الأمة أن يعلموا حاجتهم إلى الإسلام ، ويسلكوا الطريق
إليه ، ولن يكون لهم شأن في عالم اليوم إلا إذا عادوا للقرآن الكريم ،
وعاشوا معه حفظا ، وقراءة ، وعملا ، وتطبيقا ، والله يهدي إلى سواء
السييل .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الأحاديث

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية : -

- ١- حاجة الناس إلى معرفة القرآن الكريم ، والوقوف على
حسنه وجماله .
- ٢- فضل حفظ القرآن الكريم وتلاوته ، والتغني به .
- ٣- وجوب الحكم بما أنزل الله تعالى .
- ٤- العلم والحكمة بابهما واسع ، وحفظ القرآن الكريم وتلاوته
فروع منهما .
- ٥- العاجز الذي يتمنى القدرة ليصنع الخير له ثواب فعل
الخير إن عجز عنه .

- ٢٦ -

٣٥ - باب ذكر قراءة النبي ﷺ سورة الفتح

يوم فتح مكة

[٤٥٧]، (١) حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ يوم

٤٢٨١ فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح ، يرجع .

قال عبد الله بن مغفل رضي الله عنه : لولا أن يجتمع الناس حولي
لرجعت كما رجعت ^(١) .

- أ -

موضوع حديث الباب

يبين الحديث كيفية ترجيع النبي ﷺ قراءة القرآن الكريم وهو يدخل
مكة عام الفتح ، ويوضح استحسان الراوي لهذه القراءة ، لما فيها من
تحسين الصوت ، و التغني بالقراءة .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يقول الصحابي عبد الله بن مغفل رضي الله عنه : (رأيت رسول الله ﷺ يوم
فتح مكة على ناقته) وسمعه (وهو يقرأ سورة الفتح ، يرجع) في القراءة ،
و (يرجع) بضم الياء وفتح الراء وتشديد الجيم ، مضارع (رجع)
المضعف ، ومصدره الترجيع ، ومعناه ترديد الصوت بالحرف ، وإعادته .
والمراد منه في الحديث ما ذكره البخاري في كتاب التوحيد عند روايته

(١) أخرجه البخاري في: ٦٤ كتاب المغازي: ٤٨ باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح

وللحديث روايات أخرى في صحيح البخاري تحت أرقام ٤٨٣٥ ، ٥٠٣٤ ، ٥٠٤٧ ، ٧٥٤٠

لقول معاوية رضي الله عنه : (لولا أن يجتمع الناس عليكم لرجعت كما رجعت ابن مغفل ، يحكي النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت لمعاوية : كيف كان ترجيعه ؟ قال : آ آ ثلاث مرات ^(١) .

حيث يمد الهمزة في كل مرة ، ويقف وقفة لينة بعدها ... ثم قالوا : إن الترجيع يوم فتح مكة يحتمل أمرين .
أحدهما : أن ذلك حدث من هز الناقة .

والثاني : أنه صلى الله عليه وسلم أشبع المد في موضعه فحدث الترجيع ^(٢) .

والاحتمال الثاني أشبه بالسياق لأن صوت هز الناقة فيه اضطراب ، ولا يكون في إطار القراءة المشروعة أما الاحتمال الثاني فهو يفيد قصد النبي صلى الله عليه وسلم الترجيع والتغني ، ويؤيد ذلك ما جاء في بعض طرق الحديث فقد جاء في رواية ابن مغفل رضي الله عنه (لولا أنني أخشى أن يجتمع علي الناس لقرأت بذلك اللحن الذي قرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم) ^(٣) . وفي الترجيع تحسين التلاوة ، والتغني المشروع في التلاوة وليس معناه ترجيع الغناء ؛ لأن ترجيع الغناء ينافي الخشوع الذي هو مقصود التلاوة ، وهو اللحن المحرم .

يقول الحافظ بن حجر - رحمه الله : وفي الترتيل قدر زائد على الترجيع : فعن علقمة بن قيس رضي الله عنه قال : (بت مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في داره ، فنام أول الليل ، ثم قام ، فكان يقرأ قراءة الإمام في

(١) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وروايته .

(٢) فتح الباري ج ٩ ص ٩٢ .

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ، كتاب الشهادات ، باب تحسين الصوت بالقرآن ، حديث رقم :

مسجد حيه لا يرفع صوته ، ويسمع من حوله يرتل ، ولا يرجع ^(١) .
والقراءة بالترجيع تجمع نفوس الناس وتدفعهم إلى الاصغاء ،
وتستميلها بذلك حتى لا تكاد تصبر عن استماع الترجيع المشوب بلذة
الحكمة .

يقول عبد الله بن مغفل رضي الله عنه : (لَوْلَا أَنْ يَجْتَمِعَ النَّاسُ حَوْلِي لَرَجَعْتُ كَمَا
رَجَعْتُ) ومعنى هذا أنه خاف أن يفتتن الناس به ، ولم يرض لنفسه أن يقف
موقف رسول الله ﷺ ، ويقرأ مثل قراءته مخافة الفتنة .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يروى الصحابي عبد الله بن مغفل رضي الله عنه الحديث ويؤكد في روايته دقة
ضبطه ، وشدة عدالته ، فبين أنه رأى رسول الله ﷺ راكبا ناقته ، وسمعه
وهو يقرأ القرآن الكريم ، ويرجع في قراءته ﷺ ، ويوضح ﷺ أنه لم يرجع
في القراءة مثل قراءة رسول الله ﷺ منعا لاجتماع الناس ، وخوفا من
افتتانهم به ، وبذلك جعل مصدر التلقي في حياة رسول الله ﷺ هو رسول
الله ﷺ ، فهو يقرأ القرآن الكريم ، ويرجع في القراءة نقلا عن جبريل عليه السلام
عن الله ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَام .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب جواز الترجيع في قراءة القرآن الكريم تلقيا من
ترجيع الرسول ﷺ في قراءته يوم فتح مكة .

(١) مسند ابن الجعد ، من حديث أبي خيمنة زهير بن معاوية ، حديث رقم : ٢١١٠ .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في حديث الباب

يتضمن حديث الباب عددا من الركائز ... أهمها : -

الركيزة الأولى

إعلان السرور بفضل الله تعالى

أحداث الحياة تسير بما قدره الله تعالى لها سواء كان خيرا أو شرا لحكمة يريد بها الله ﷻ ، يقول الله ﷻ : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ ^(١) والأحداث متقلبة فيوما تسى ويوما تسر ... والعاقل هو من يرضى بذلك ، ويراجع نفسه ، ويبحث عن سر ماحدث له في حدود إمكاناته العقلية .

وفي كل الحالات يجب أن يعلم المسلم أن الأمور تمشي بالمقادير ، ويسلم الأمر لله تعالى ، ويعود لإيمانه ، ويرضى بقول النبي ﷺ (عجا لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر ، فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء ، صبر فكان خيرا له) ^(٢) وما دام المسلم يؤمن بأن الأمر بيد الله تعالى فعليه أن يشكر الله على خير يأتيه ، ويصبر على ضر يصيبه .

ومن المستحب أن يصاحب الشكر السرور والفرح اعترافا بفضل الله تعالى ، وطلبا لدوام الخير ، ولذلك يصاحب السرور الخشوع لله والخضوع له ﷻ .

(١) سورة الحديد الآية : ٢٢ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرفائق ، باب المؤمن أمره كله خير ، حديث رقم : ٥٤٢٩

وقد ضرب رسول الله ﷺ للمسلمين مثلاً يوم فتح مكة فقد أخذ يعلي صوته بالقرآن ، ويجهر به وهو يرجع في قراءته ، ويتغنى به إعلاناً للسرور بالفتح ، وطلباً للمزيد ، وشكراً لله تعالى بترجيع كلامه ، والتغني بآيات القرآن الكريم .

الركيزة الثانية **حرص الصحابة على سلامة المجتمع**

شهد الصحابة رسول الله ﷺ وهو يدخل مكة راكباً ناقته شاكراً ، وسمعه وهو يرجع آيات القرآن الكريم فرحاً بالفتح .
ونلاحظ أن رسول الله ﷺ كان يعلن سروره بطاعة الله تعالى ، فقد بدأ بالصلاة عند دخول مكة ، وركب ناقته وأخذ يرجع في قراءة القرآن الكريم وعلم الصحابة كيفية الترجيع في القراءة من رسول الله ﷺ ، إلا أنهم لم يباشروا هذه القراءة ، خوفاً من جمع الناس حول القارئ وينصرفوا عن أعمالهم .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من حديث الباب الفوائد التالية : -

- ١- استحباب إظهار السرور عند تحقيق فوز .
- ٢- شكر الله تعالى يكون بطاعته .
- ٣- رسول الله هو معلم الناس سبيل الخير والفلاح .

- ٢٧ -

٣٦ - باب نزول السكينة لقراءة القرآن

حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قَرَأَ رَجُلٌ الْكَهْفَ ، وَفِي الدَّارِ (١)، [٤٥٨]

٣٤١٦

الدَّابَّةُ ، فَجَعَلَتْ تَنْفِرُ ، فَسَلَّمَ ، فَإِذَا ضَبَابَةٌ أَوْ سَحَابَةٌ غَشِيَتْهُ؛

فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ أَقْرَأْ فَلَانَ فَإِنَّهَا السَّكِينَةُ نَزَلَتْ لِلْقُرْآنِ أَوْ

تَنَزَّلَتْ^(١)

حديث أسيد بن حضير رضي الله عنه قَالَ : بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ (٢)، [٤٥٩]

٥٠١٨

الْبَقَرَةِ ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ ، إِذْ جَالَتِ الْفَرَسُ ، فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ ،

فَقَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ ، فَسَكَتَ وَسَكَتَتِ الْفَرَسُ ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتِ

الْفَرَسُ ، فَأَنْصَرَفَ وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا ، فَأَشْفَقَ أَنْ

تُصِيبَهُ ، فَلَمَّا اجْتَرَّهُ ، رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى مَا يَرَاهَا ، فَلَمَّا

أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيَّ ﷺ .

فَقَالَ ﷺ : أَقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ ، أَقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ .

قَالَ ﷺ : فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى ، وَكَانَ مِنْهَا

قَرِيبًا ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَأَنْصَرَفْتُ إِلَيْهِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ

فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ ، فَخَرَجْتُ حَتَّى لَا أَرَاهَا

قَالَ ﷺ : وَتَدْرِي مَا ذَاكَ ؟

قَالَ ﷺ : لَا .

قَالَ ﷺ : تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ دَنَتْ لِمِصْرَتِكَ ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ

يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا ، لَا تَتَوَارَى مِنْهُمْ^(١)

(١) أخرجه البخاري في: ٦١ كتاب المناقب: ٢٥ باب علامات النبوة في الإسلام .

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب نزول السكينة والطمأنينة والملائكة عند قراءة القرآن الكريم .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على حديثين يبينان نزول السكينة والطمأنينة ، والملائكة على من يتلو القرآن الكريم حين يتلوه .

ففي الحديث الأول : يقول الصحابي الجليل البراء بن عازب رضي الله عنه (قَرَأَ رَجُلٌ) هو " أسيد بن حضير " رضي الله عنه كما صرح به البخاري ومسلم في صحيحيهما ، وأسيد تصغير (أسد) وحضير بضم الحاء المهملة وفتح الضاد وسكون الياء ، وقد قال البعض إنه الصحابي " ثابت بن قيس بن شماس " رضي الله عنه ، ويبدو أن الحادثة تعددت مع الصحابين .

قرأ الرجل سورة (الْكَهْفَ) في صلاته بالليل (وَفِي الدَّارِ الدَّابَّةُ) بجواره ، وذلك في جوف الليل ، وكانت الدابة فرسا مربوطا ، وأخذ الرجل يقرأ سورة الكهف في هدوء الليل وروعته ، متغنيا بها ، فلما سمعته الملائكة أتت إليه لتسمعه ، واقتربت منه لتستمع بصوته الشجي ، فلما رأى الفرس الملائكة في صورة سحابة نازلة من السماء (فَجَعَلَتْ تَنْفَرُ) أي تخاف وتضطرب وتضرب الأرض برجلها ، وتتوجه ذات اليمين وذات الشمال لتفر خوفا مما ترى ، وخاف أسيد على ولده من الفرس (فَسَلَّمَ)

(١) أخرجه البخاري في: ٦٦ كتاب فضائل القرآن: ١٥ باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن .

أي دعا لولده بالسلامة ، وفوض الأمر لله ، وترك القراءة ، فهدأ الفرس ، ونظر أسيد ﷺ فوقه إلى السماء (فَإِذَا ضَبَابَةٌ أَوْ سَحَابَةٌ عَشِيَّةٌ) ، أي وجد ظلة سوداء تغطي السماء فوقه تشبه الضباب الكثيف ، أو السحاب المتراكم ، فهاهنا ما رأى ، وذهب (فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ) ليعرف سبب ما رأى من الفرس ، ومن الظلة التي رآها في السماء (فَقَالَ) له ﷺ (اقْرَأْ فَلَانَ) أي كان ينبغي أن تستمر في القراءة ، وتغتنم ما حدث لك (فَإِنَّهَا السَّكِينَةُ نَزَلَتْ لِلْقُرْآنِ أَوْ نَزَلَتْ لِلْقُرْآنِ) ، أي : إن هذه الظلة التي رأيته في السماء فوقك هي مجموعة من الملائكة ، نزلت لتسمع قراءتك ، وقد نفرت الفرس حين رأتهم ، ولن يصيب ولدك مكروه .

وقد سمي الحديث الملائكة بالسكينة ؛ لأنها تحقق الطمأنينة ، والهدوء في القلب والحياة .

وقد فسر المحدثون السكينة تفسيرات كثيرة ...

فسرها البعض في صورة مادية مثل وجه الإنسان ، ورأسها مثل البر ، ولعينها شعاع ، ولا سند لهذه الصور المادية ، وكل ما جاء عنها أنها كانت مثل السحابة، فيها الملائكة كأمثال المصابيح المرسجة والأولى تفسير السكينة بصورة معنوية فهي الطمأنينة يبعثها الله في قلب من يشاء من عباده .

ومنها قوله ﷺ : ﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ

لَمْ تَرَوْهَا ۚ 》^(١) .

(١) سورة التوبة الآية : ٤٠ .

وقوله ﷺ : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ

إِيمَانِهِمْ﴾^(١)

و (نَزَلَتْ لِلْقُرْآنِ) بالتخفيف (أَوْ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ) بالتشديد ، ومعناها أن الملائكة نزلت إلى السماء الدنيا ، وأنت لأسيد لسماع صوته ، ولتتمتع بحلاوة القرآن على لسان المؤمنين .

والسكينة نزلت مع الملائكة لتوضع في قلوب المؤمنين ، ولم تر الفرس إلا الصورة المتحركة للملائكة ، فخافت واضطربت ، أما الإنسان فقد حجب الله عنه رؤية الملائكة على صورتها ، ولذلك لم يشاهد أسيد ﷺ إلا نفور الفرس .

وفي الحديث الثاني : يروي أسيد بن حُضير ﷺ ما حدث معه وهو يقرأ سورة البقرة يقول ﷺ (بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ) فهو يصور بيئة حكايته ، فالوقت كان ليلا ، وكان يجلس بجوار فرسه المربوط في مريد للتمر ، وكان ابنه يحيي معه يلعب بجوار الفرس ، وأخذ هو يقرأ سورة البقرة .

ولا منافاة بين هذا الحديث والحديث الأول ، الذي جاء فيه أنه كان يقرأ سورة الكهف ، لأحتمال أنه ﷺ قرأ السورتين في هذا المجلس .
(إِذْ جَالَتِ الْفَرَسُ) أي تحركت حركة شديدة لتفر من مكانها خوفا مما رأت ، وأحدثت الفرس ضجة عنيفة عندما رأت الملائكة التي نزلت لسماع قراءة أسيد ﷺ . (فَسَكَتَ) أسيد ﷺ (فَسَكَتَتْ) الفرس لذهاب الملائكة ، ثم عاود أسيد ﷺ الترتيل (فَقَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ) لنزول الملائكة (فَسَكَتَتْ

(١) سورة الفتح الآية : ٤ .

وَسَكَتَتِ الْفَرَسُ) ، وقد تكرر ذلك عدة مرات ، وبعد المرة الثالثة أخذ في إبعاد ابنه عن الفرس .

(وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا) فخاف عليه من الفرس ، فأبعده عنها (فَلَمَّا اجْتَرَّهُ) ، أي لما جرّه وسحبه بعيدا عن الفرس (رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى مَا يَرَاهَا) ، أي نظر إلى السماء ليراها فلم يرها لاتساع الظلة التي كونتها الملائكة أثناء رجوعها ، يوضح ذلك ما رواه أبو عبيدة رضي الله عنه عن أسيد رضي الله عنه أنه قال : (فرفعت رأسي إلى السماء ، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح ، فخرجت حتى لا أراها) ^(١) . أي أنه لما رفع رأسه إلى السماء لم يتمكن من رؤية السماء بسبب الظلة والمصابيح التي مثلت أمام عينيه ، وغطت الأفق .

وظل أسيد رضي الله عنه منبها بما رأى طوال ليلته (فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيَّ ﷺ) بما رأى ، (فَقَالَ) له النبي ﷺ : (اقرأ يا ابن حُضَيْرٍ ، اقرأ يا ابن حُضَيْرٍ) أي استمر يا ابن حضير في القراءة .. أي كان عليك أن تستمر في القراءة ... وليس هذا أمر له بالقراءة فقد مضى وقته ، وكأنه ﷺ استحضر صورة الحال فصار كأنه حاضر عندما رأى ما رأى ، فكان ﷺ يقول : استمر على قراءتك لتستمر لك البركة ، وتستمر الملائكة محاطة بك لتستمع لقراءتك .

فهم أسيد نصيحة رسول الله ﷺ فأجاب بعذره عن قطع القراءة (وَقَالَ : فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَطَأَ) الفرس (يَحْيَى) ولدي ؛ لأنه كان

(١) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن .

يلعب بجوارها (وَكَانَ مِنْهَا قَرِيبًا) ولم أرفع رأسي إلا بعد اشتداد الخطب (فَرَفَعْتُ رَأْسِي) أولا ونظرت إلى يحيى (فَأَنْصَرَفْتُ إِلَيْهِ) أي ذهبت إليه لأطمئن عليه ، (فَرَفَعْتُ رَأْسِي) بعد ما جئت عنده ، ونظرت (إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا مِثْلُ الظِّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ ، فَخَرَجْتُ) أنظر إليها (حَتَّى لَا أَرَاهَا) أي فخرجت أنظر إلى السماء لأعرف ما فيها فلم أرها من كثافة الظلة ومصابيحها .

(قَالَ) ﷺ : (وَتَدْرِي مَا ذَاكَ) ؟ وهمزة الاستفهام محذوفة والتقدير وأتدري

ماذا لك ؟

قلت : (لَا) .

(قَالَ) ﷺ : تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ دَنَتْ لِمِصْرَتِكَ (أي هذه الظلة ، وتلك

المصابيح ملائكة جاءت لسماع صوتك ، فلما سكت عرجت في ظلة كما رأيتها .

(وَلَوْ قَرَأْتَ) أي لو استمررت في القراءة لبقيت الملائكة حولك ، و(لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا ، لَا تَتَوَارَى مِنْهُمْ) أي لا تستتر عليهم ، لاستغراقهم في الاستماع ، وانشغالهم به عن الاختفاء الذي هو شأنهم .

والحديثان يبينان حالة واحدة حدثت مع أسيد ﷺ ، إلا أن رواية الحديث الأول جاءت مجملة ، ورواية الحديث الثاني جاءت مفصلة ، وهما معا يوضحان نزول الملائكة لاستماع القرآن الكريم في صلاة الليل ، ولهذا يسن تطويل القراءة في صلاة الليل ؛ لأنها سبب لنزول الرحمة والسكينة ونزول الملائكة .

فإن قيل : الحكم المذكور أعم من الدليل، وهذا لا يجوز، فالدليل قراءة

خاصة في وقت خاص ، من سورة خاصة ، بصفة خاصة ويحتمل من الخصوصية ما لم يذكر .. بينما الحكم بنزول الملائكة وتحقيق السكينة بصورة عامة .

أقول : إن ذكر الأسباب الخاصة يفتح الباب ليقوم المسلم بمثلها ، أملا في الحصول على نتائجها ، وليعلم المسلم فضل قراءة سورتي البقرة والكهف في صلاة الليل ، ويلتزم الخشوع في الصلاة ، ويعلم أن التشاغل أثناء الصلاة بأمر من أمور الدنيا وإن كان مباحا يفوت الخير الكثير ، فكيف لو كان الانشغال بغير المباح ؟
فالمقصود الأكبر التزام الأسباب ... وترك الحكم والنتائج لله تعالى ، والله ذو الفضل العظيم .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

القرآن الكريم أفضل الكلام ، له حلاوة وطلاوة ، تنتزل الطمأنينة والسكينة والملائكة لقراءته ، لا يخلق مع كثرة القراءة ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يمل أحد من قراءته ، وأنه يعلو ، ولا يُعلى عليه .
إن تأثير القرآن الكريم في النفس كبير ، فهو يزيد الإيمان ، ويسعد الروح ، ويقوي العزائم ، ويرضي العواطف ، يقول الله تعالى واصفا المؤمنين ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾^(١)

(١) سورة الأنفال الآية : ٢ .

ويقول ﷺ : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ ^(١) ، ويقول ﷺ : ﴿ كُتِبَ أَنْزَلَتْهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَذَبَّ رَوْءَايَتِهِمْ وَلِيَسْتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ ^(٢) . ويقول ﷺ عن عقلاء النصارى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ^(٣) .

وأحاديث الباب تشير إلى جواز رؤية حافظ القرآن الصالح ، صاحب الصوت الحسن للملائكة - إذا شاء الله ذلك - ما دامت تظهر للرائي على غير صورتها الحقيقية ، فقد رآها قوم لوط عليهم السلام على هيئة رجال ، ... ورأى أصحاب رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام وهو يسأل عن الإيمان والإسلام والإحسان ... ورأى المسلمون المجاهدون الملائكة يوم بدر وهم يقاتلون معهم ، ورحمة الله بعباده لا تنقطع ، وأعمال الخير كثيرة والتكاليف الشرعية معلومة ، وأمة الإسلام هي أمة الخير إلى يوم القيامة ،

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أن الملائكة تنزلت لتستمع لقراءة أسيد بن حضير رضي الله عنه الشجي ، ومعها السكينة والطمأنينة ، والرحمة ، وفي هذا توجيه للأمة ليحافظوا على القرآن الكريم ، تلاوة وحفظاً ؛ ليعمهم الفضل والخير ، ويستمتروا على دين الله تعالى علماً وعملاً ، وقراءة القرآن الكريم

(١) سورة الإسراء الآية : ٩ .

(٢) سورة ص الآية : ٢٩ .

(٣) سورة الأنفال الآية : ٨٣ .

في الصلاة أقوى أثراً وأكثر مثوبة .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عدداً من الركائز ... أهمها : -

الركيزة الأولى

ضرورة التعرض لفضل الله تعالى

فضل الله تعالى على الإنسان عظيم ، ورحمته به واسعة ، وإمداده بكل ما يحقق له الخير دائم ، وتعريفه الطريق المستقيم فضل ورحمة ، فقد حدد الله له الفرائض ، وبين له السنن ، وعرفه بمواطن الخير المتصلة بالإنسان ، وبالمكان ، وبالزمان قطعاً لأي عذر يلجأ الإنسان إليه حين يكون التقصير والإهمال .

لقد عرف الله تعالى الناس بضرورة الإخلاص في الطاعة ، والصدق في الأداء ، وصفاء القلب في الذكر ، وعدم الاشتغال عن العبادة بأمور خارجة ولو بالمباحات ، وتحسين قراءة القرآن الكريم ، وقيام الليل بالصلاة وقراءة القرآن الكريم .

وعرفهم بأماكن تقبل العبادة أكثر من غيرها ، مثل بيوته في الأرض ، والمساجد المقدسة الثلاثة .

وعرفهم بالآزمنة التي يكون فيها الإخلاص ، ويكثر أثناءها القبول ، مثل عند إقامة الصلاة ، وبعد التشهد وقبل السلام ، وفي وقت السحر ، وفي السجود ، وأثناء السفر وساعة الإجابة ، وليلة القدر .

وأحاديث الباب توضح نزول الملائكة وحدوث السكينة عند تلاوة القرآن في صلاة الليل ، لتستمع إلى الصوت الرخيم لأسيد ﷺ .

وتحدث الملائكة مع نزولها الهدوء والسكينة في نفس القارئ والمستمع ، وحين يعلم المسلم مواطن الخير والفضل يحسن له أن يلجأ إليها ، ويستفيد بها ؛ لينال ما يريد ويتمنى .

إن قراءة القرآن الكريم ، وتدبر معانيه ، والنظر في أحكامه وحكمه أحد المواطن الكبرى للحصول على السكينة والفوز برضوان الله تعالى ، يقول النبي ﷺ : (وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، إلا حفتهم الملائكة ، ونزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وذكرهم الله فيمن عنده) ^(١)

وفي الحديث القدسي أن رسول الله ﷺ قال : (يقول الرب ﷻ : من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ، وفصل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه) ^(٢)

إن مواطن الفضل عديدة ، وتعرض المسلم لها عقل وحكمة ؛ لأن العقل يؤكد الحاجة إلى السكينة والخير ، والحكيم هو من يسعى للمصلحة ، ويبتعد عن كل ما يجرمه من عطاء الله ورحمته ، والمؤمن هو الذي يعرف قدر ربه ، ويلجأ إليه ويدعوه .

الركيزة الثانية الإنسان لا يعيش وحده

كون الله واسع ، ومخلوقاته عديدة ، ومخطئ من ظن أنه يعيش وحده

(١) سنن ابن ماجه - المقدمة ، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ، حديث رقم ٢٢٣

(٢) سنن الترمذي - الجامع الصحيح - الذبائح ، أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ ،

حديث رقم : ٢٩٢٧ .

ففيه الملائكة، وهم خلق شفاف ، خلقهم الله تعالى من النور ، ينزلون من السماء للأرض للقيام بما يأمركم الله تعالى به ، فهم يتعاقبون في الناس بالليل والنهار ، ولا يعيش الإنسان برهة من الزمان إلا وهم معه ، ولا يفعل الإنسان فعلاً أو يقول قولاً إلا وبعض الملائكة معه ، تسجل قوله ، وتدون فعله، وهم جند الله ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(١) وفي هذا الكون الجن بأنواعهم ، وأعمالهم ، يقول الله تعالى عنهم ﴿وَأَنَا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْفَاسِقُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ۖ وَأَمَّا الْفَاسِقُونَ فَكَانُوا أِجْهَةً حَاطَبًا﴾^(٢)

وفي الكون مخلوقات عديدة كالأرواح الهائمة ، والفيروسات المتحركة ، والأمراض النادرة، وكل ذلك مقدر وموزون في علم الله تعالى. إن الإنسان لا يعيش في أرض الله وحده والعلماء يكتشفون كل يوم جديدا... والعاقل من يعلم ذلك ، ويسلم أمره لله تعالى ، وينقاد لربه ، فهو العليم الخبير ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٣)

إن حديث الباب يشير إلى نزول الملائكة لسماع القرآن الكريم ومعها الهدوء والطمانينة والسكينة ، والبشر يحتاجون لذلك ، والطريق إليه هو قراءة القرآن الكريم بصوت ندي جهير ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾^(٤)

(١) سورة التحريم الآية : ٦ .

(٢) سورة الجن الآيتان : ١٥ ، ١٦ .

(٣) سورة الأنعام الآية : ١٠٣ .

(٤) سورة المطففين الآية : ٢٦ .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الأحاديث

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد الآتية : -

- ١) فضل قراءة سورتي البقرة والكهف في صلاة الليل .
- ٢) عدم الاشتغال بشيء من أمور الدنيا أثناء العبادة ، وعند قراءة القرآن الكريم .
- ٣) الفضل كله بيد الله تعالى ، يقدره لمن يشاء من عباده بالصورة التي يريدّها الله ﷻ .
- ٤) لا عذر للإنسان في التقصير بعد أن وضّح الله تعالى له كل ما يحتاج إليه وما يسعده .
- ٥) الانصراف عن القرآن الكريم انصراف عن الخير كله ، وعجبا للإنسان يترك القرآن الكريم ، ويستبدل به الأغاني وما يشابهها من أعمال تثير الشهوة ، وتنتشر الفتن ، وتشيع الفحشاء بين الناس ... والأمر لله .

- ٢٨ -

٣٧ - باب فضيلة حافظ القرآن

حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [٤٦٠]، (١)

مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرَجَةِ ، رِيحُهَا طَيِّبٌ
وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ . ٥٤٧٢

وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ ، لَا رِيحَ لَهَا
وَطَعْمُهَا حُلْوٌ .

وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرِّيحَانَةِ ، رِيحُهَا طَيِّبٌ
وَطَعْمُهَا مُرٌّ .

وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ ، لَيْسَ لَهَا
رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ ^(١) .

- أ -

موضوع حديث الباب

يضرب حديث الباب أمثلة للمؤمنين والمنافقين وحالهم مع القرآن الكريم ، ويشبه كل واحد منهم بثمرة معلومة ، فالمؤمن إما أن يكون مواظبا على قراءة القرآن أو لا ، والمنافق كذلك ، ولكل مثال في الحديث .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

ضرب رسول الله ﷺ أمثلة للمؤمن الذي يقرأ القرآن الكريم ، والذي لا يقرؤه ، كما ضرب مثلا للمنافق الذي يقرأ القرآن ، والذي لا يقرؤه ، فبلغت الأمثلة في الحديث أربعاً ، تشمل موقف عموم من دخل في دين

(١) أخرجه البخاري في: ٧٠ كتاب الأطعمة: ٣٠ باب ذكر الطعام .

الله تعالى مع القرآن الكريم ، ويمكن تقسيم المثل إلى عدد من الأمثلة ،
كالمؤمن الذي يقرأ ويعمل ، والذي يقرأ ولا يعمل ، والذي يعمل ولا يقرأ ،
والذي لا يعمل ولا يقرأ ، وبهذا التقسيم تتعدد الصور ، إلا أن الحديث
اكتفى بالصور الأربع لعمومها ، ولاشتمالها على سائر الصور .

يروى الحديث أبو موسى الأشعري رضي الله عنه فيقول : (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

: **مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرَجَةِ**، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ)
أي أن المؤمن الذي يقرأ القرآن ، ويعمل به مثل الأترجة ، و " أترجة " بفتح
الهمزة وسكون التاء ، وضم الراء ، بعدها جيم مشددة مفتوحة ، وقد تخفف
الجيم فتقرأ " أُتْرَجَة " ، كما يجوز أن تقرأ بزيادة نون ساكنة قبل الجيم
المخففة ، فتقول : " أترجة " .

و(الأُتْرَجَة) فاكهة قريبة من شكل البرتقال ، وحجمها أكبر منه ،
ولونها أصفر ، وجلدها أنعم أملس .

وقد شبه الحديث المؤمن الذي يقرأ القرآن ب(الأُتْرَجَة) دون غيرها
من الأطعمة التي تجمع طيب الطعم ، وحسن الريح مثل التفاح ، لما في
الأترجة من فوائد عدة ، فإنه يتداوى بقشرها ، ويستخرج من حبها دهن له
منافع ، وغلاف جسمها أبيض ، وحجمها كبير ، ومنظرها حسن ، ولونها
يسر الناظر إليها ، وفي أكلها لذة طعم ، وطيب نكهة ، وهي تفيد الهضم
والمعدة ، وتشترك الحواس الأربع " البصر والذوق والشم واللمس في
السرور بها ، وثمنها قليل يشتريها الجميع .

وقد اختار الحديث من الأترجة الطعم والرائحة ليناسب صفة الإيمان

والتلاوة ، فشبه الإيمان بالطعم ؛ لأنه ملازم للإنسان وحياته به ولا يشعر به إلا صاحبه ، بخلاف الرائحة فإنها تنتشر وتجري مع الهواء ويشمها الآخرون ، فالطعم ملازم للجوهر ... والرائحة عرض للجوهر ، كما أن اختيار الطعم والرائحة في التشبيه لبيان أن المؤمن الذي يقرأ القرآن يفيد نفسه بالأكل ، ويفيد غيره برائحة طيبة .

(وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الثَّمَرَةِ ، لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ) ، فهو يستفيد بإيمانه ولا يفيد غيره ؛ لأن الثمر مفيد أكله وليس له رائحة تنفع الناس .

(وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، مَثَلُ الرِّيحَانَةِ ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ) أي إن المنافق الذي يقرأ القرآن ولا يعمل به مثل الريحانة فهي لا تؤكل ، ولكنها تشم ، والمنافق يشبهها فهو يفيد غيره بالقراءة ، ولا يستفيد هو لعدم إيمانه .

(وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ) فهو يسيء لنفسه بنفاقه ، ولا يفيد غيره بشيء .

والتشبيه في الحديث يبرز المعنى المعقول في صورة المحسوس المشاهد ، فكلام الله تعالى له تأثير في نفس العبد وأعماقه ، وفي عمله وسلوكه ، والعباد متفاوتون مع القرآن الكريم ، فمنهم من لا نصيب له البتة .. ومنهم من له نصيب ما ، ومنهم من له النصيب كله ، فجاء التشبيه بالمحسوسات الأربع ليوضح كل محسوس ما يقابله من المعاني .

ومن جمال التشبيه في الحديث أنه شبه بثمرات محسوسة ، موجودة في كل البيئات ، ومعلومة للناس والحصول عليها سهل ، وبلا ثمن أحيانا ، كما ترك التشبيه أمورا أخرى توجد في مكان دون غيره .

ونلاحظ أن المشبه في الأمثال الأربعة جاء بالفعل المضارع إثباتاً أو نفياً (يقرأ أو لا يقرأ)، ليشير إلى استمرار هذا التشبيه في الناس ليختار المسلم لنفسه في أي وقت المثال الذي يرضاه لنفسه .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

القرآن الكريم كلام الله تعالى أنزله على عبده محمد ﷺ ليبقى دستور الأمة ، ومرجع الإسلام في كل أحكامه ، وتشريعاته ، والعلم به واجب ، يقول ﷺ : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) ^(١) .

والمشتغل بالقرآن العامل به له من الفضل والمنزلة ما ليس لأحد سواه ، وقد يصل بعمله إلى منزلة الملائكة الكرام البررة ، ويصير له في الناس مقام عال كريم ... لأنه ينفع نفسه ويفيد غيره .

ويبين الحديث أن المؤمنين ليسوا درجة واحدة في الإيمان ، والإقبال على الله تعالى ، فمنهم النافع لنفسه المفيد لغيره ، ومنهم من يستفيد ولا يفيد ، وكذلك المنافقون فمنهم من يفيد ولا يستفيد ، ومنهم من لا يفيد ولا يستفيد .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب أن المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به شأنه عال ومقامه كريم ، فهو كالأترجة حسنة الشكل والطعم والرائحة ؛ لأنه ينفع نفسه ، ويفيد غيره ويكون إنساناً ودون المؤمن القارئ العامل نماذج

(١) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب خيركم من تعلم القرآن .

أخرى من الناس تتدنى منزلتها من الإيمان إلى النفاق إلى الكفر .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في حديث الباب

يتضمن حديث الباب عددا من الركائز ... أهمها :-

الركيزة الأولى

مقام القرآن الكريم في حياة المسلمين

أنزل الله تعالى القرآن الكريم ليكون دستور المسلمين في حياتهم الخاصة والعامة ، ويجعلهم صورة ربانية اقتداء برسول الله ﷺ الذي جعل حياته العملية صورة تطبيقية للقرآن الكريم ، (فلقد سنلت السيدة عائشة **ل** عن خلق ، رسول الله ﷺ ، فقالت : " كان خلقه القرآن) ^(١) .

حتى قال البعض لقد تقرأ الصحابة ، أي صار الصحابة قرآنا يتحرك بين الناس ، حتى جعل الإمام مالك - رحمه الله تعالى - عملهم في المدينة مصدرا للتشريع مع القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة ، لأنه تيقن أن عملهم تطبيق للقرآن الكريم والسنة النبوية .

لقد نزل القرآن الكريم لتحريك الناس إلى الخير ، وصبغهم بصبغة الله تعالى ، يقول ﷺ : ﴿ كَتَبْتُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ ^(٢)

وعلى المسلمين أن يحسنوا التعامل مع القرآن الكريم ، فیهتموا بحفظه ، ومدارسته ، ومعرفة أحكامه وحكمه ، وعليهم أن يجعلوه حكما

(١) المعجم الأوسط للطبراني ، باب الألف ، من اسمه أحمد ، حديث رقم : ٧١ .

(٢) سورة إبراهيم الآية : ١ .

بينهم في كل شئونهم وحياتهم .

لن يكمل إيمان المسلم إلا بالتحكم إلى دين الله تعالى في كل صغيرة وكبيرة ؛ لأنه لا يتصور مسلم يهجر القرآن الكريم ، ويدع ما فيه إلى غيره من فلسفات وقوانين .

إن الإنسان يطبق ما يحبه ويرغبه ، ويترك ما يكرهه ويرفضه ، ونوجه المسلم إلى هذه الحقيقة ، ونسأله أين أنت من القرآن الكريم ؟
لقد ضاعت الأمة يوم أن ضيعت القرآن الكريم من حياتها ،
وبعدت عن الإسلام ساعة أن رضيت التحاكم بغير تعاليم الله ، إن كل أمة تتمسك بتراتها ، وتعيش بهديه وتعاليمه .. ومن هنا تصيبنا الدهشة حين نرى بعد المسلمين عن دينهم ومصادره فإلى أين يذهبون !!؟

الركيزة الثانية

من فنون الدعوة إلى الله تعالى

يتضمن الحديث أسلوباً بيانياً له أهمية في الدعوة إلى الله تعالى وهو التشبيه والتمثيل ، ذلك لأنه يقرب البعيد ، ويسهل العسير ، ويضع المعنى الصعب في قالب المحسوس المشاهد ، وحتى يصل أسلوب التمثيل إلى تحقيق البيان المطلوب يختار المشبه به من بيئة المخاطب ليتجلى له ما خفي عنه ، فالمشبه به في الصور الأربعة زرع ونبات له طعم ، ولون ، ورائحة يعرفها المزارعون ، ويعرفها الراغبون في الزينة والجمال ، ويشاهده كل إنسان في طعامه وشرابه ... وبإيراد المثل يظهر المراد ، ويتضح ما للإيمان من هدف وغاية .

وقد جاءت التشبيهات كاملة الأطراف ، ففيها المشبه ، والمشبه به وأداة التشبيه ، وإظهار وجه الشبه ببعض صفات المشبه به التي تتصل

بوجه الشبه .

والتشبيهات الأربعة تشبيهات تمثيلية ، مركبة توضح كافة المعاني المقصودة من التمثيل .

ومن فنون الدعوة إلى الله تعالى وضع الحقيقة أمام القارئ أو المستمع ، وتركه يتأمل فيها ، ويختار لنفسه مايرضاه منها .
ومن فنون الدعوة إلى الله تعالى التشبيه لما فيه إحياءات تدفع المستمع أو القارئ إلى الأخذ بما في دين الله تعالى ... فعندما يقارن الأترجة بالحنظلة ، ويعلم الفرق بينهما يعود لنفسه ، ويعلم مناط الخير ، ومناط السوء ، ويرى أيهما أهدى سبيلا ، فيختار لنفسه .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من حديث الباب الفوائد التالية :

- (١) استحباب ضرب الأمثال لتقريب المعنى في الدعوة إلى الله تعالى .
- (٢) يفضل حين التشبيه أن يكون المشبه به معروفا وواضحا للمدعويين
- (٣) تعدد درجات المؤمنين تعتمد على الصدق والإخلاص في الإيمان .
- (٤) ضرورة الاهتمام بالقرآن الكريم قراءة، وحفظا ، وعملا وحكما
- (٥) يبدأ الدعاة دعوتهم بما فيه خير وتيسير .

- ٢٩ -

٣٨ - باب بيان فضل الماهر بالقرآن والذي

يتتبع فيه

حديث عائشة **ل** عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ [٤٦١]، (١)

وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ، ٤٩٣٧

وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ، فَلَهُ أَجْرَانِ ^(١).

- أ -

موضوع حديث الباب

يبين الحديث الدرجة العالية للذي يقرأ القرآن وهو حافظ له ، وماهر في قراءته ، ويوضح أن الذي يقرؤه وهو يتتبع فيه له أجران .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

تروي السيدة عائشة **ل** الحديث عن النبي ﷺ فتقول : (قَالَ

ﷺ : مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ) أي إن صفة

حافظ القرآن الذي يقرؤه ويحسن تلاوته في صفائه وإخلاصه كأنه مع

السفرة الكرام البررة فيما يستحقونه من الثواب .

والسفرة الكرام البررة هم الملائكة الذين يحملون الوحي ، وينزلون

به لإيصاله إلى رسول الله ﷺ ، فهم سفراء الخير ، المتميزون بالكرم

والطاعة ، ونشر البركة بين الناس، والحديث لا يعني التشبيه ، وإنما يعني

بيان منزلة حافظ القرآن الذي يداوم على قراءته ، والعمل به .

(١) أخرجه البخاري في: ٦٥ كتاب التفسير: ٨٠ سورة عبس .

وظاهر الحديث يشير إلى أنه لا رابط بين المبتدأ (مَثَلُ الَّذِي) والخبر وهو (مَعَ السَّفَرَةِ) ولذلك قال العلماء : معنى مثل شبيهه ، فيصير معنى الحديث (شبيهه الذي يحفظ القرآن ويقرؤه كائن مع السفرة وينال منزلتهم عند الله تعالى) .

يقول الخطابي : كأنه قال : صفته وهو حافظ له كأنه مع السفرة في الأجر والمثوبة ^(١).

والسفرة هم الملائكة الكتبة ، واحداها سافر أي كاتب ، ومنه قوله ﷺ: ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ ^(٢) أي كتبا ، وقد وصف الحديث الملائكة بالكرم والطاعة لأمر الله تعالى ، وهم بذلك يجمعون بين الكتابة لكلام الله تعالى ، وكرم الخلق ، والطاعة الدائمة لا يعصون الله أبدا ، وكون حافظ القرآن القارئ معهم في الثواب والأجر يعني أنه يستفيد كثيرا من حفظه للقرآن الكريم ، فهو بقراءته مسافر إلى ربه ، كريم في خلقه ، طائع لخالقه في كل ما أمر به ، وهو بهذا يستحق أجر ومثوبة الملائكة السفرة الكرام البررة .

(وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ، فَلَهُ أَجْرَانِ) أي الذي يقرأ القرآن وهو غير حافظ له ، وهو بذلك يتعاهده بالقراءة مع شدتها عليه فله أجران ، الأجر الأول أجر المشقة التي يتحملها ، والأجر الثاني أجر القراءة التي يواظب عليها .

ولا مقارنة بين من يقرأ القرآن وهو حافظ له ، وبين من يقرؤه وهو غير

(١) فتح الباري ج ٨ ص ٦٩٣ .

(٢) سورة الجمعة الآية : ٥ .

حافظ له ، وإن كان للثاني أجران فللأول أكثر منه لتمييزه بالحفظ والقراءة ، يدل على زيادة أجر الأول أن الله تعالى شبه أجره ومثوبته بأجر وثواب الملائكة وهؤلاء أمة لا معصية لها البتة ، وهذا يعني أن أجر الحافظ القارئ أعظم وأكبر من غيره

فإن قيل : الأجر على قدر المشقة ، وغير الحافظ يتحمل لمشقة أكبر في قراءته .

أقول : غير الحافظ يتعتع في قراءته ، ويتحمل المشاق في قراءته ، وليس معنى ذلك أن الحافظ لا يتحمل مشاقا في قراءته ؛ لأن انقطاعه للقراءة مشقة ، وقد تحمل الكثير من المشاق حين انقطاعه للحفظ على يد شيخ معلم ومشقة الحفظ أول مرة أطول وأصعب من مجرد القراءة .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يبين الحديث أهمية القرآن الكريم لكل مسلم ومسلمة ، ففيه أركان العقيدة وبراهينها ، وأصول الشريعة وصورها ، ومكارم الأخلاق بكل جوانبها .

وحين نتأمل في براهين القرآن الكريم ونقارنها بأدلة الفلاسفة والمتكلمين نرى تميز القرآن الكريم في روعة أسلوبه ، ودقة دلالاته ، وربطه الدليل بما يحيط به من نعم وآلاء ، وآيات لا يقدر عليها إلا الله تعالى .

إن براهين القرآن تأخذ الإنسان إلى ما يحيط به من مخلوقات أوجدها الله في كونه القريب والبعيد ... وتضع الإنسان أمام أدلة تقنع العقل وترضي الروح ، وتشد الوجدان ، وتجعل الإنسان يعيش بكليته أمام الآيات العديدة، والآلاء الكثيرة في صورة تقرير للواقع ، أو بيان للمنافع، أو صور

بيانية بليغة .

إن أدلة القرآن الكريم خالية من الجمود ، وبعيدة كل البعد عن جفاف المنطق الرياضي المجرد .

ومن أجل إبراز الجمال القرآني حث الله تعالى على حفظه ، وتلاوته ، وقراءته ، والتغني به ، وتحسين الصوت في القراءة حتى كأن القارئ يستعمل مزمارا من مزامير داود .

ولهذا أعد الله تعالى لمن يتلو القرآن الكريم أجرا عظيما ، فإن كان حافظا له فهو يشبه الملائكة الكتبة الأبرار المطيعين ، وإن لم يكن حافظا فله أجران .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب المثوبة العظيمة التي يستحقها قارئ القرآن الكريم سواء أكان حافظا له أو لم يكن حافظا له فإن كان حافظا له فله بقراءته ثواب الملائكة الذين نزلوا بالقرآن في كرم وطاعة ، وإن لم يكن حافظا فله أجر القراءة وأجر المشقة التي يعيشها وهو يقرأ

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان في حديث الباب

يتضمن حديث الباب عددا من الركائز ... أهمها : -

الركيزة الأولى

القرآن الكريم نور للمؤمنين .

أنزل الله تعالى القرآن الكريم هاديا للحق ، ودستورا للفوز والفلاح ، من حكم به عدل ، ومن استقام عليه هدى للحق والصواب .
وقد تيقن المسلمون الأول من منافع القرآن الكريم فاهتموا به حفظا لكلماته

، وفهما لأحكامه ، وتطبيقاً لشريعته ، وكان من اهتمامهم به الاستمرار في تلاوته ومدارسته لمعرفة أحكامه ومنافعه .

واستقام المسلمون في كافة العصور على الاهتمام بالقرآن الكريم ، فحفظوه وحافظوا عليه بمختلف الطرق والوسائل ، وأنزلوه منزلته اللائقة به ليستفيدوا به في دنياهم وآخرهم .

إن القرآن الكريم يهدي للتي هي أقوم ، وينشر العدل وينظم العمل ، ويحدد الحقوق والواجبات ، وبذلك أناروا الدنيا ، واستعدوا للقاء الله في الآخرة .

الركيزة الثانية العناية بتحفيظ القرآن الكريم

القرآن الكريم هو دستور الإسلام ، ومنهجه في التبليغ والانتشار ، ولا جديد عن الإسلام في غير القرآن الكريم ، ولذلك وجب الاهتمام بحفظه والعمل به ، وحديث الباب يبين ما للحفظة من منزلة ، ومثوبة ، والواقع خير شاهد على الخير الذي يعود على حفظة القرآن الكريم .
والواجب ان تقوم الأمة بوضع خطة لتحفيظ القرآن الكريم للصغار ، ليكبروا وهم له حافظون .

لقد اهتم أبائنا بتحفيظ القرآن الكريم فأنشأوا الكتاتيب في القرى والمساجد ، وخرجوا أجيالا من الحفظة التحقوا بالأزهر الشريف ، وخرجوا علماء فاهمين .

واليوم تغير الحال فظهرت المدارس المدنية الخاصة والعامة التي أهملت تحفيظ القرآن الكريم بصورة كلية ، وقلت الكتاتيب ، وهجر كثير من الناس اهتمامهم بالقرآن الكريم .

وقد ساعد الواقع الاجتماعي بمساوئه على هجر القرآن الكريم ،
على اعتبار الحفظة طبقة متخلفة بين الناس ، حتى لا نرى لهم منزلة
يستحقونها في المجتمع الحديث .

إن تجفيف منابع الإسلام يبدأ بتجفيف مواطن تحفيظ القرآن الكريم
، وهذا حال لا يصح وجوده بين المسلمين .

إن الأمة الإسلامية متدينة بفطرتها ، ويكفي أن تشاهد تجمع
الناس في ليالي رمضان ليتمتعوا بصوت قارئ للقرآن في صلاة التراويح
... وكذلك ننادي بضرورة الاهتمام بتحفيظ القرآن الكريم ، وحديث الباب
يُعلي منزلة حافظ القرآن الكريم ، ويجعل أجره وهو يقرؤه كأجر السفارة
الكرام البررة ، وهي منزلة عالية يتمناها كل إنسان .

وعلى الدعاة أن يبذلوا جهدهم في هذا المجال لينالوا مثوبة
العاملين لخدمة القرآن الكريم

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من حديث الباب الفوائد التالية : -

- ١ - القرآن الكريم دستور المسلمين في كل زمان ومكان .
- ٢ - حفظ القرآن الكريم وتلاوته نور وهداية .
- ٣ - الاهتمام بالقرآن الكريم يحقق الخير لصاحبه ولآخرين .
- ٤ - المحافظة على القرآن الكريم محافظة على الإسلام كله .
- ٥ - من الضرورة قيام المسلمين بواجبهم مع القرآن الكريم .

- ٣٠ -

**٣٩ - باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل
والحذاق فيه وإن كان القارئ أفضل من المقروء عليه**

[٤٦٠]، (١) حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي : إِنَّ

الله أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ ﴿لَا يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ^(١) ٣٨٠٩

قَالَ أَبِي : وَسَمَّانِي ؟

قَالَ ﷺ : نَعَمْ . فَبَكَى ^(٢) .

- أ -

موضوع حديث الباب

يبين الحديث استحباب أن يستمع أهل الفضل القرآن من غيرهم ، وإن كانوا أقل منهم في الفضل ، ويوضح مناقب الصحابي أبي بن كعب رضي الله عنه .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يروى الحديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، ويقول : (قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي : إِنَّ اللَّهَ

أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ ﴿لَا يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾

وأبي ابن كعب رضي الله عنه هو الصحابي الجليل ابن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك الأنصاري النجاري الخزرجي ، يكنى بأبي المنذر ، وأبي الطفيل ، وهو من الأنصار السابقين إلى الإسلام ، شهد العقبة ، وبدر ، وسائر الغزوات ، مات سنة ثلاثين للهجرة ، في زمن

(١) سورة البينة الآية : ١ .

(٢) أخرجه البخاري في: ٦٣ كتاب مناقب الأنصار: ١٦ باب مناقب أبي بن كعب رضي الله عنه ،

وللحديث روايات أخرى في البخاري تحت رقم : ٤٩٥٩ ، ٤٩٦٠ ، ٤٩٦٤ .

الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بقراءة سورة البينة على أبي ﷺ لإظهار منزلته عند الله تعالى، وبيان بعض مناقبه ، وحفظه وترتيله للقرآن الكريم .
وسورة البينة في مجملها توضح ضرورة بيان الإسلام وظهوره للناس واضحا سهلا ، وقد سمى الله رسوله ﷺ بالبينة لقيامه بقراءة القرآن الكريم على الناس ، بما يشتمل عليه من صحف مطهرة فيها كتب قيمة ، وما كفر الذين أوتوا الكتاب إلا بعد أن جاءتهم البينة التي أمرتهم باتباع الحق ، وعبادة الله وحده في إخلاص وتجرد ، وقد انقسم الناس بعد مجيء البينة إلى مؤمنين وهم خير البرية ، وإلى كفار وهم شر البرية ، وسيلقى كل فريق جزاءه عند الله تعالى .

وقد سعد أبي ﷺ بقراءة النبي ﷺ القرآن عليه ، فسأله و(قَالَ: وَسَمَانِي) ؟ أي وهل نص على أسمى ؟ أو قال اقرأ على واحد من أصحابك فاخترتني أنت ؟

(قَالَ ﷺ : نَعَمْ) أي سماك الله لي ، وخصك بقراءتي .

(فَبَكَى) أبي ﷺ من شدة الفرح والسرور ، أو من الخشوع والخوف من التقصير في شكر نعمة حسن القراءة .

يقول القرطبي : تعجب أبي ﷺ من ذلك ؛ لأن تسمية الله له ، ونصه عليه ليقراً عليه النبي ﷺ شرف عظيم ، فبكى فرحاً وشكراً وخشوعاً^(١) .

وإنما أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالقراءة على أبي ﷺ لتحقيق

(١) فتح الباري ج ٧ ص ١٢٧ المطبعة السلفية .

بعض الأمور هي : -

أولاً : ليتثبت أبي من القراءة السليمة بسماعه القراءة من رسول الله ﷺ ، فهو مصدر التلقي ومنه ﷺ تؤخذ القراءة اللفظية ، والمعاني البيانية ثانياً : ليعلم أبي ﷺ أن القرآن الكريم يحتاج في حفظه للقراءة على يد شيخ متقن ، والاستماع من قارئ حسن ، ليتعلم الحفظ من بعضهم ما يفوت عليهم .

ثالثاً : ليعلم حافظ القرآن الكريم المجيد مقامه عند ربه ، فها هو رسول الله ﷺ يقرأ عليه القرآن بأمر الله ، وها هي الملائكة تلتف حوله لتسمع قراءته .

رابعاً : الشعور بمعية الله تعالى عند قراءة القرآن الكريم ، وبهذا يسعد القراء ، وبارك الله لهم ...

ومن مشاهداتي للواقع أؤكد سعة رزق من أقام حياته وعمله على حفظ القرآن الكريم ، وقراءته ، والمحافظة عليه .

فإن قيل : لم أمر الله تعالى رسوله ﷺ بقراءة سورة البينة دون غيرها؟

أقول : خص الله تعالى سورة البينة بالقراءة لما اشتملت عليه من التوحيد ، والرسالة ، والإخلاص ، والصحف والكتب المنزلة على الأنبياء ، وذكر الصلاة ، والزكاة ، والميعاد ، وبيان أهل الجنة والنار مع وجازتها .

وأيضا لما فيها من بيان انقسام الناس إلى أشرار وأخيار ف ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا

مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾^(١)

(١) سورة البينة الآية : ٦ .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يبين حديث الباب طرق العناية والمحافظة على القرآن الكريم ، وذلك بتعهد الجميع له ، ومدارسته فيما بينهم ، وقيام الولاة والأمراء ، والعلماء بالاهتمام به ، ونشر المؤسسات لتحفيظ القرآن الكريم ، وتجويد قراءته ، وإعلاء شأن القراء في المجتمع ، ليقندي بهم الناس ويتخذوهم أسوة لهم .

وقد حث الفقهاء على تقديم القراء في إمامة الصلاة على العلماء ؛ لأن القارئ يجمع بين العلم والقراءة .

وكان أبو بكر رضي الله عنه يرتب في العطية الرجال بقدر حفظهم للقرآن الكريم ، ووضع مبدأ (الرجل وحفظه للقرآن الكريم) وكان الرجل يتزوج بتحفيظ زوجته بعض آيات القرآن ، وكان الولي يعد ذلك مهرا لموليته .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب منقبة لأبي بن كعب رضي الله عنه فقد خصه الله تعالى بسماع سورة البينة من رسول الله صلى الله عليه وسلم

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في حديث الباب

يتضمن حديث الباب ركيزة هامة هي : -

منهجية المحافظة على القرآن الكريم

القرآن الكريم كتاب الله الخالد مع الناس ، ووأجب المسلمين أن يحافظوا عليه لفظا ومعنى وعملا ... والحق أن سلف الأمة قاموا بما

وجب عليهم إزاء القرآن الكريم حفظوه ، وأنشأوا المدارس والمقارئ لتحفيظ الناشئة القرآن الكريم مجودا ، وتعويدهم على ترتيله ، وحسن تلاوته ، وجعلوا المساجد مدارس للتحفيظ ، واستمرت الأمة على هذا الاهتمام ، فنشأت الكتاتيب في القرى ، ونشأت الجامعات الإسلامية في كل مكان ، وإلى اليوم توجد المقارئ في المساجد الكبرى للحفظ والمراجعة .

وكما اهتم المسلمون بحفظ القرآن الكريم في الصدور حفظوه في الصفحات المطبوعة ، وسجلوه على الاسطوانات الرقيقة ، وأنشأوا له إذاعات خاصة به .

إلا أن هذا الجهد معارض بضعف الإيمان عند المسلمين ، فأخذوا يهتمون بتعليم ألابهم في المدارس المدنية ، وعدم الإشراف عليهم حتى صار كثير من المثقفين لا يستطيعون القراءة الصحيحة ، ولو بالقدر الذي يصلون به .

وكما اهتم المسلمون بحفظ القرآن الكريم ، اهتموا بتوضيح معانيه ، وإخراج أحكامه وحكمه ، وتفهم وجوه الإعجاز فيه ، ولذلك كثرت مؤلفات التفسير ، وتنوعت مدارسه ، وصار الحصول عليها أمرا ميسرا .. والأمل أن يقبل الناس على فهم كلام الله تعالى ، ومدارسة القرآن الكريم .

ويحتاج فهم القرآن إلى تدبر معانيه ، وتأمل أسرارهِ وعجائبه ، واستخراج أحكامه وحكمه ؛ ليكون أساس العمل والحركة ، ومنهج سلوك المسلمين .

والأمل كبير أن يتفهم المسلمون وأولوا الأمر منزلة القرآن الكريم ، ويعودوا إليه ليصلحوا به الحياة ؛ لأن من الحقائق

- أن حال الأمة لن يصلح إلا بما صلح به أولها .
- وأن التجربة الثابتة أولى في التطبيق من الجري وراء تجارب ثبت فشلها .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنتج من حديث الباب الفوائد التالية : -

- ١- ضرورة الخشوع والتواضع عند قراءة القرآن الكريم ، وعند الاستماع إليه .
- ٢- الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها التقطها ، ولو من صغير ضعيف .
- ٣- قيمة الإنسان عند الله تعالى بمنزلته من القرآن الكريم حفظا ، وقراءة ، وعملا .
- ٤- مدارس القرآن الكريم تتم بالقراءة والاستماع وتدبر معانيه .

- ٣١ -

٤٠ - باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظه
للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر

حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
اقْرَأْ عَلَيَّ . ٥٠٥ (١)، [٤٦٣]

قُلْتُ : أَقْرَأْ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أَنْ نَزَلَ ؟
قَالَ ﷺ : إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي .
فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ، حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ
أُمَّةٍ شَهِيدٌ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ ^(١) قَالَ ﷺ لِي
: كُفْ أَوْ أَمْسِكْ فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَذْرِفَانِ ^(٢) .

حديث ابن مسعود رضي الله عنه عَنْ عَلْقَمَةَ رضي الله عنه قَالَ : كُنَّا بِحِمَصَ
فَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ سُورَةَ يُوسُفَ . ٥٠١ (٢)، [٤٦٤]
فَقَالَ رَجُلٌ : مَا هَكَذَا أَنْزَلْتَ .

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه : قَرَأْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِي :
أَحْسَنْتَ .

وَوَجَدَ مِنْهُ رِيحَ الْخَمْرِ، فَقَالَ ﷺ : أَتَجْمَعُ أَنْ تُكَذِّبَ بِكِتَابِ
اللَّهِ وَتَشْرَبَ الْخَمْرَ فُضْرِبَهُ الْحَدَّ ^(٣)

(١) سورة النساء الآية : ٤١ .

(٢) أخرجه البخاري في : ٦٦ كتاب فضائل القرآن : ٣٥ باب البكاء عند قراءة القرآن وله رواية
أخرى في البخاري تحت رقم : ٤٧٧١ .

(٣) أخرجه البخاري في : ٦٦ كتاب فضائل القرآن : ٨ باب القراء من أصحاب النبي ﷺ

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب اهتمام الصحابة بحفظ القرآن الكريم ، وتلقيه من رسول الله ﷺ ، وبكائهم عند سماعه .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على حديثين يبينان منقبة ابن مسعود رضي الله عنه ، واستماع رسول الله ﷺ لقراءته .

ففي الحديث الأول : يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : (قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اقْرَأْ عَلَيَّ) ، وقد وردت روايات أخرى تحدد حالة النبي ﷺ حين طلب القراءة من ابن مسعود رضي الله عنه .

ففي رواية الاعمش رضي الله عنه عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : (قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ : اقْرَأْ عَلَيَّ) ^(١)

وفي رواية محمد بن فضالة عن أبيه : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَاهُمْ فِي بَنِي ظَفَرٍ ، فَجَلَسَ عَلَى الصَّخْرَةِ الَّتِي فِي مَسْجِدِ بَنِي ظَفَرِ الْيَوْمِ وَمَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَمَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَارِئًا ، فَقَرَأَ حَتَّى أَتَى عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى اضْطَرَبَ لِحَيَّاهُ وَجَنَابِهِ ، فَقَالَ : " أَيُّ رَبِّ ، هَذَا شَهِدَتْ عَلَيَّ مِنْ أَنَا

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن، حديث: ١٣٧٣

بين ظهريه ، فكيف من لم أر ؟ ^(١))

ولا تعارض بين هذه الروايات فهي تدل على تكرار طلب النبي ﷺ ، فمرة وهو جالس مع أصحابه ، ومرة وهو على المنبر ، ومرة وهو في بني ظفار ، وقد خص النبي ﷺ ابن مسعود ﷺ بالطلب لحسن صوته ، وجمال تغنيه في القراءة .

فأجاب ابن مسعود ﷺ على رسول الله ﷺ متعجبا و (قَالَ : قُلْتُ : أَقْرَأُ عَلَيْكَ ، وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ) ؟ وهمزة الاستفهام محذوفة تقديرها أقرأ ؟ ، والاستفهام للتعجب ، وسبب تعجب ابن مسعود ﷺ من طلب رسول الله ﷺ أنه ﷺ تلقى القرآن الكريم من جبريل ﷺ ، وألقاه للناس كما تلقاه بلفظه المجود ، وترتيله المطلوب ، وهو ﷺ خير من يقرؤه .

(قَالَ) ﷺ (إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي) أي أحب حبا شديدا أن أسمع القرآن من غيري ، لأرى حسن قراءته ، وأطمئن على قراءة أمتي ، وأعودهم الجهر به ، وأعلم القارئ القراءة الحسنة إن أخطأ في شيء ، ولأعلم المسلمين آداب استماع القرآن الكريم .

أخذ ابن مسعود ﷺ يقرأ سورة النساء ، حتى وصل إلى قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ ، وكان رسول الله ﷺ يسمع وينصت ، ويتابع القراءة ، ويتتبع المعاني ، فلما وصل ابن مسعود ﷺ إلى هذه الآية شعر الرسول ﷺ بنقل

(١) معرفة الصحابة لابي نعيم الأصبهاني ، ومحمد بن فضالة ، حديث رقم : ٦٣٣ .

المسئولية حين يشهد على أمته من أول ظهورها إلى يوم القيامة ثم أخذته العبرة فبكى وقال : (أي رب ، هذا شهدت على من أنا بين ظهريه ، فكيف من لم أر ؟) ^(١) . أي سأشهد بأمرك على من أنا بينهم وقد رأيتهم ، وسمعتهم ، وشهدت أحوالهم ، فكيف أشهد على من يأتي بعد مماتي؟...، فعرفه الله تعالى بأنه حي في قبره ... يقول سعيد بن المسيب رضي الله عنه : (ليس من يوم إلا يعرض فيه على النبي ﷺ أمته غدوة وعشية ، فيعرفهم بسيماهم ، ليشهد عليهم) ^(٢) .

يقول ابن مسعود رضي الله عنه لما قرأت آية النساء أمرني رسول الله ﷺ و(قَالَ لِي: كُفَّ أَوْ أَمْسِكْ) أي كفى قراءة أو أمسك عن القراءة ، أو قف هنا يقول ابن مسعود رضي الله عنه : (فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَذُرْفَانِ) أي رأيت عينيه ﷺ يسيل الدمع منها من شدة البكاء ، وإنما بكى النبي ﷺ عند تلاوة الآية ؛ لأنه مثل لنفسه أهوال يوم القيامة ، وشدة الحال الداعية له إلى شهادته لأمرته بالتصديق ، وسؤاله الشفاعة لأهل الموقف، وهو أمر يستحق البكاء ؛ لأن رسول الله ﷺ بالمؤمنين رءوف رحيم ، ولما علم أنه لا بد أن يشهد عليهم بدلالة الآية ، اشفق عليهم لتصوره قصور أمته الذي قد يفضي بهم إلى العذاب ، وهو ﷺ شاهد عليهم .

وفي الحديث الثاني : يقول الصحابي الجليل علقمة رضي الله عنه (كُنَّا بِحِمَصَ ،

(١) سبق تخريجه

(٢) الزهد والرقائق لابن المبارك - ما رواه نعيم ابن حماد ، باب : في عرض عمل الأحياء على الأموات ، حديث رقم : ١٧٧٥ .

فَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ سُورَةَ يُوسُفَ) ظاهر هذا القول أن علقمة رضي الله عنه كان حاضرا ؛ لأنه جعل نفسه مع من كان بحمص بلفظ (كُنَّا) .

وفي رواية للحديث جاءت في صحيح مسلم يقول ابن مسعود رضي الله عنه :
(كنت بحمص ، فقال لي بعض القوم : اقرأ علينا ، فقرأت عليهم سورة يوسف) ^(١) وهي تدل على أن علقمة رضي الله عنه لم يكن حاضرا، وإنما نقل الخبر عن ابن مسعود رضي الله عنه .

ويجوز تعدد الحالين فمرة كان علقمة حاضرا ، ومرة أخرى لم يكن حاضرا
(فَقَالَ رَجُلٌ: مَا هَكَذَا أُنْزِلَتْ) لم يذكر أحد اسم الرجل ، وقال البعض أنه " بهتيك ابن سنان " الذي له مع ابن مسعود في القرآن قصة غير هذه ، وفي رواية لمسلم (فقال لي بعض القوم : اقرأ علينا ، فقرأت عليهم سورة يوسف ، فقال رجل من القوم : والله ما هكذا أنزلت) ^(٢) ففي الرواية يوجد رجلان مبهمان ، إن لم يكن السائل هو المعترض ، وإن كان هو فالمبهم رجل واحد .

(قَالَ) ابن مسعود رضي الله عنه (قَرَأْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَحْسَنْتَ) هكذا ولم يعترض عليها ، وفي رواية (ويحك ، والله لقد قرأتها على رسول الله ﷺ ، فقال لي : " أحسنت ") ^(٣). واقسم له ورد اعترضه ، ثم اقترب منه

(١) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل الاستماع إلى القرآن ، حديث رقم : ١٣٧٥ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل الاستماع إلى القرآن ، حديث رقم : ١٣٧٥ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل الاستماع إلى القرآن ، حديث رقم : ١٣٧٥ .

(وَوَجَدَ مِنْهُ رِيحَ الْخَمْرِ فَقَالَ: أَتَجَمَّعُ أَنْ تُكَذِّبَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَتَشْرَبَ الْخَمْرَ) ، يقول ابن مسعود رضي الله عنه : (فبينما أنا أكله إذ وجدت منه ريح الخمر ، فقلت : أتشرب الخمر ، وتكذب بالكتاب ؟ لا تبرح حتى أجلدك) ^(١) ، (فَضَرَبَهُ أَحَدٌ) ؛ لأن ابن مسعود رضي الله عنه كان والياً على إقامة الحدود في البصرة .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

حياة القرآن الكريم مدارسته حيث القراءة ، والفهم ، والاستماع ، والتدبر ، فقد كان صلى الله عليه وسلم يحب أن يسمع القرآن الكريم من أصحابه المجيدين للحفظ والقراءة ، وعلى رأسهم أبي بن كعب رضي الله عنه ، وكان صلى الله عليه وسلم يتأثر ويبيكي وهو يسمع ما يقرأ .

ويستحسن من الناس أن يطلبوا من الحفظة أن يقرأوا عليهم شيئاً من القرآن الكريم ، ويمكن أن يحددوا سورة معينة ، وآيات معينة للتعلم ، والمراجعة والتدبر ، فقد طلب بعض القوم من ابن مسعود رضي الله عنه أن يقرأ عليهم سورة يوسف عليه السلام .

وحتى تظهر مواقف الناس من القرآن الكريم اعترض السائل على قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ، فأكد له ابن مسعود وأقسم على أنها قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحتى يظهر الحق اكتشف ابن مسعود رضي الله عنه من حديث الرجل أنه شرب الخمر ، وأن ريحه تدل على أنه شرب الخمر ، فدل ذلك على وجود

(١) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل الاستماع إلى القرآن ، حديث رقم : ١٣٧٥ .

فريق من الناس يهرف بما لا يعرف ، ويدعي العلم ليظهر على الناس ، كما دل على ضرورة مواجهة هذا الفريق ببيان الحق ، وتأكيده ، والتدليل على صدقه حتى لا يؤثروا في غيرهم .

وقد فصل الفقهاء في عقوبة شارب الخمر بمجرد شم رائحته ، فأجمعوا على أن شم رائحة الخمر لا يكفي للجلد ، وإنما جلده ابن مسعود رضي الله عنه لاعترافه بالشرب ، أو لأن الرجل كان مشتهرا بالشرب والفجور .
وأجاز بعض افقهاء الجلد بشم الرائحة ، وجعلوا الشم دليلا على الشرب^(١)
وقول الرجل : (مَا هَكَذَا أُنْزِلْتُ) يثبت نزول الآية ، وينكر الكيفية التي نزلت بها ، وقال الرجل ذلك إما جهلا منه ، أو عدم تثبت دفعه إليه السكر
وقالوا : الذي أقام الحد هو الوالي ، وإسناده لابن مسعود رضي الله عنه مجاز لأنه سببه .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب مقام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقد أنزل الله تعالى وحيه على رسوله ﷺ ليأمر ابن مسعود بقراءة شيء من القرآن على رسول الله ﷺ ، وتوضح أنه ﷺ قرأ من سورة النساء حتى وصل إلى قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ فبكى ﷺ وأمر ابن مسعود رضي الله عنه أن يتوقف ، وتبين أيضا أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قرأ سورة يوسف عليه السلام ، فأنكر رجل قراءته ، فرده بأنها قراءة رسول الله ﷺ ، ولما شم منه الخمر جلده .

(١) فتح الباري ج ٩ ص ٥٠ .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز أهمها:-

الركيزة الأولى

مقام القرآن الكريم بين المؤمنين

يقول النبي ﷺ : (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)^(١) ، وأساس الفقه القرآن الكريم ، فهو المصدر الأول للأحكام الفقهية ، ولذا كان مقام المسلم بمقدار حفظه للقرآن الكريم ، فاهتموا بحفظه والمحافظة عليه ، وكان جبريل عليه السلام ينزل عليه ﷺ بالقرآن الكريم ، وبأتيه في رمضان ليقرأ عليه ما أنزل من القرآن كله خلال العام ، ولما شغل رسول الله ﷺ بشأن الحفظ ، قال الله ﷻ له : ﴿ لَا تُحَرِّك بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۚ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾^(٢) ، وصار من سنة المسلمين أن يشغلوا فراغهم بقراءة القرآن الكريم ، والاستماع إليه وانتداب من يقرأ أمامهم ؛ لأن القراءة تأكيد للحفظ ، والاستماع أساس الفهم ، ولقد علم المسلمون (إن الذي ليس في جوفه من القرآن شيء كالبيت الخرب)^(٣) .

وأحاديث الباب تبين صورا من قراءة القرآن الكريم وسط الجماعة ، ويوضح مدى التأثير بقراءته ، وهذا مدخل أساسي للعمل به والتحاكم إليه .

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم ، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين .

(٢) سورة القيامة الآيتان : ١٦ ، ١٧ .

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم ، كتاب فضائل القرآن - أخبار عن فضائل القرآن

جملة ، حديث رقم : ١٩٨٠ .

الركيزة الثانية نمو المعاصي وتآلفها

لا تقف المعصية في إطار محدد ، وإنما تنمو وتتمدد ، وتتكاثر
ويجر بعضها بعضا كما هو شأن المعاصي دائما .
إن المعصية تترك على القلب نكتة سوداء ويتكاثر النقاط يسود
القلب ، ويصير جزءا من المعصية .
إن من يآلف معصية يتمنى غيرها ، ويبعد نفسه اللوامة عن اللوم
والنقد ، ولذلك وجدنا الرجل الذي ينكر قراءة ابن مسعود يشرب الخمر ،
وينشط في الهدم ، ولولا حرص المسلمين على الحق ما جلد الرجل بعد
وجود ريح الخمر في فمه .
وحين يتسع الخرق على الراقع ينتشر الفساد ، وتعم البلوى ويفقد
الناس الأمن والأمان .

الركيزة الثالثة البكاء عند قراءة القرآن الكريم

التدبر في معاني القرآن الكريم تنقل القارئ والمستمع إلى الجو
الذي نزل فيه القرآن الكريم على رسول الله ﷺ ، وتمثل أمام المستمع
سبب النزول ، ومعاني الآيات ، ودلالاتها على قضايا إيمانية عديدة ،
ولذلك عاش رسول الله ﷺ مع معاني سورة النساء ، وعلم أنه سيشهد على
أمتة بما عمل أفرادها ، وتذكر هول الموقف والحساب ، فبكى تألما على
العصاة من أمتة .

والعارفون بالله وبقدره يزدادون خشية وذكرًا عند استماع كلام الله
تعالى ، ولذلك قالوا أن المستمع للقرآن أقوى على التدبر ، وأخلى وأنشط

من القارئ ، لأن القارئ كالحالب ، والسامع كالشارب .
والأفضلية تدور مع الخشية ومدى الانتفاع ، وكان الصالحون
يستمعون للقرآن ﴿ وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾^(١) و﴿ إِذَا نُنَادِي
عَلَيْهِمْ ءَايَتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًا ﴾^(٢) .

ويقول حجة الإسلام : يستحب البكاء مع القراءة وعندها ، وطريق
تحصيله أن يتأمل ما في الآيات من التهديد والوعيد الشديد ، ثم ينظر في
تقصيره ، ويتصور الجزاء المستحق ... وحينئذ يكون الخوف والحزن ...
فإن لم يحزن ففي قلبه قسوة وجمود ، وتلك من أعظم المصائب^(٣) .

الركيزة الرابعة منهجية تحفيظ القرآن الكريم

تشير أحاديث الباب إلى منهجية عملية لتحفيظ القرآن الكريم
وملخصها البدء بالاستماع لقراءة مجودة من قارئ حسن في قدر بسيط من
الآيات وسط من يريد تحفيظهم ، وبعد ذلك يبدأ كل متعلم في قراءة هذه
الآيات تحت إشراف شيخه ، ويظل يقرأها حتى يجيد القراءة والحفظ ،
ومن الممكن تقسيم راغبي الحفظ إلى مجموعات قليلة العدد ، يقوم شيخ
بتلقينهم ، ويجب على الشيخ أن يعود طلبته على طاعة الله تعالى ليسر
لهم حفظ القرآن الكريم .

وبعد الحفظ يحتاج الطالب إلى مداومة القراءة حتى لا يتفلت ما حفظ ،

(١) سورة الإسراء الآية : ١٠٩ .

(٢) سورة مريم الآية : ٥٨ .

(٣) فتح المنعم ج ٣ ص ٦١٤ بتصرف .

ومقارئ المساجد قريبة من هذا النموذج إلا أنها تحتاج إلى العناية ، وضم طلاب من غير القراء .

- ٩ -

ملحات موجزة في فوائد أحاديث الباب

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية :

- (١) اهتمام المسلمين بالقرآن الكريم قراءة وحفظا وعملا .
- (٢) تعهد رسول الله ﷺ أصحابه بالإرشاد والتعليم .
- (٣) جرأة أهل المعاصي على الحق .
- (٤) من العدل أخذ كل إنسان بما يستحق .
- (٥) يجوز البكاء والسرور عند البشرى ، وعند النجاح في شيء ما .
- (٦) يجوز سؤال الكبير للتثبت في أي أمر يخص السائل .

- ٣٢ -

٤٣ - باب فضل الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة

والحث على قراءتهما

[٤٦٤]، (١) حديث أبي مسعود البصري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

الآيتان من آخر سورة البقرة، من قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ ^(١). ٣٨٠٥

- أ -

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب فضل قراءة الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يقول راوي الحديث أبو مسعود رضي الله عنه ، وهو عقبة بن عمرو رضي الله عنه : (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : الْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا) أي من قرأ الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة ، وهما من قوله تعالى : ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﴾ إلى آخر السورة .

(فِي لَيْلَةٍ) أي من قرأهما في أي ليلة، وفي أي زمان، ووقتها ممتد من بعد صلاة العشاء إلى الصبح (كَفَتَاهُ) أي أغنته عن أعمال صالحة كثيرة لقوله ﷺ : (مَنْ قَرَأَهُمَا بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ أَجْزَأُهَا) ^(٢) وزاد أبو عبيدة : (فَاقْرَأُوهُمَا وَعَلِّمُوهُمَا أَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ فَإِنَّهُمَا قُرْآنٌ وَصَلَاةٌ وَذِكْرٌ) ^(٣).

(١) أخرجه البخاري في: ٦٤ كتاب المغازي ١٢ باب حدثني خليفة . وللحديث روايات أخرى في البخاري تحت رقم ٥٠٠٨ ، ٥٠٠٩ ، ٥٠٤٠ ، ٥٠٥١ .

(٢) فتح الباري ج ٩ ص ٥٦ .

(٣) المرجع السابق .

وهاتان الآيتان تكفيان الإنسان عن أعمال صالحة كثيرة تؤدي في الليل ،
ومنها : -

١- قيام الليل ، يقول رسول الله ﷺ : (من قرأ خواتم سورة البقرة في ليلة أجزأت عنه قيام تلك الليلة)

٢- قراءة القرآن في الليل سواء كان في الصلاة أم خارجها .

٣- التعبير عما في قلبه من الاعتقاد والإيمان .

٤- كل سوء وشيطان يقول النبي ﷺ (إن الله تبارك وتعالى كتب كتابا قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام ، وأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة ، ولا تقرأن في دار فيقربها الشيطان ثلاث ليال)^(١)
ويقول ﷺ : يقول ابليس اللعين : (لا يقرأ أحد منكم خاتمة البقرة فيدخل أحد منا في بيته تلك الليلة)^(٢) .

٥- كل الثواب الذي يحصل عليه بأعمال أخرى .

إن هاتين الآيتين اختصنا بذلك لما تضمناه من الثناء على الصحابة بجميل انقيادهم إلى الله تعالى ، وابتغالهم ورجوعهم إليه ، وما حصل لهم من الإجابة إلى مطلوبهم .

ولا مانع من إرادة الحديث لكل هذا ، حيث لا تضارب بينها ، كما أن بعضها يدخل في بعض .

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ، كتاب فضائل القرآن ، اخبار في فضائل سورة البقرة ، حديث رقم : ٢٠٠٧ .

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم ، كتاب فضائل القرآن ، اخبار في فضائل سورة البقرة ، حديث رقم : ٢٠٠٩ .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يبين الحديث أهمية قراءة القرآن الكريم في الليل ، وأهمية الاستماع ، ويخص الحديث بالفضل قراءة الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة ، ويوضح أن قراءتهما تكفي ، وتغني عن أمور كثيرة وسبب كفايتهما ما يتضمنان من ذكر وعلم وطلب ، فهي تؤكد أن الرسول ﷺ والمؤمنين يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله ، ويعلنون سمعهم وطاعتهم لله تعالى ، ويطلبون منه المغفرة والرحمة ، ويؤكدون إيمانهم باليوم الآخر ، ويدعونه تضرعا وخفية ، ويسألونه أن لا يؤاخذهم بذنوبهم وأخطائهم ، وأن يتسامح معهم ، وأن لا يكلفهم ما لا يطيقون ، ويسألونه العفو والمغفرة والرحمة ، فهو مولاهم بيده الأمر كله ، وهو على كل شيء قدير .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب فضل الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة ، وأثرهما فيمن يقرأهما ليلا .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في حديث الباب

يتضمن حديث الباب عددا من الركائز ... أهمها : -

الركيزة الأولى

كسب بركات القرآن الكريم

القرآن الكريم كلام الله تعالى ، ومن يريد أن يسمع كلام الله تعالى فليستحضر القرآن في قلبه ولسانه ، وقد عرفنا الله تعالى بأن القرآن الكريم لا ريب فيه ، وأنه يهدي للتي هي اقوم ، أنزله الله بالحق على رسوله ﷺ

مشتتملا على الحكمة والبركة ، والبيان ، وجعله الله تعالى نورا للناس ،
وسببا من أسباب قبول الأعمال .

ويتضاعف فضل الله تعالى على الناس وهو يحثهم على قراءة القرآن
الكريم ، ويحدد لهم بعض السور والآيات ليزدادوا بها فضلا ، ويتمتعوا
بخيراتها ، وذلك في قوله ﷺ :

- (أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان ، أو إلى العقيق ،
فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ، ولا قطع رحم ؟ " ،
فقلنا : يا رسول الله نحب ذلك ، قال : " أفلا يغدو أحدكم إلى
المسجد فيعلم ، أو يقرأ آيتين من كتاب الله ﷻ ، خير له من
ناقتين ، وثلاث خير له من ثلاث ، وأربع خير له من أربع ،
ومن أعدادهن من الإبل ، (اقرعوا الزهراوين البقرة ، وسورة آل
عمران ، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أو كأنهما
غيايتان ، أو كأنهما فرقان من طير صواف ، تحاجان عن
أصحابهما ، اقرعوا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة
، ولا تستطيعها البطلة)^(١) .

- (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من
الدجال.... وقال شعبة : من آخر الكهف)^(٢) .

(١) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة
وتعلمه ، حديث رقم : ١٣٧٧ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل سورة الكهف ، حديث رقم
: ١٣٨٣ .

- (قال النبي ﷺ لأصحابه : " أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة ؟ " فشق ذلك عليهم وقالوا : أينا يطيق ذلك يا رسول الله ؟ فقال : " الله الواحد الصمد ثلث القرآن) (١).

- عن عقبة بن عامر ؓ ، قال : قال لي رسول الله ﷺ : (ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط ، قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس) (٢).

- (إن لكل شيء قلبا ، وإن قلب القرآن يس ، من قرأها ، فكأنما قرأ القرآن عشر مرات) (٣).

إن يس قلب القرآن ، وفاتحة الكتاب أفضل سور القرآن ، والبقرة سنام القرآن ، وآية الكرسي سيدة آيا القرآن ، ولذلك يستحب التعرض لمواطن الثواب في القرآن الكريم .

والمسلم اليقظ ينتهز ما في القرآن الكريم من خيرات فيسارع إليه ، فذلك خير له من الدنيا وما فيها... ولا يتصور أحد أن القراءة تشغل عن عمل آخر من أعمال الدنيا .. لأنها تحقق البركة في الوقت وفي العمل .

الركيزة الثانية

مفهوم الأفضلية بين آيات القرآن الكريم

يدل ظاهر حديث الباب ، وجملة الأحاديث المذكورة في الركيزة الأولى

(١) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب فضل قل هو الله أحد ، حديث ٤٧٣١ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل قراءة المعوذتين ، حديث رقم : ١٣٩٠ .

(٣) سنن الدارمي ، كتاب : فضائل القرآن ، باب فضل يس ، حديث رقم : ٣٣٥٧ .

أن بعض آيات القرآن الكريم أفضل من غيرها ، وقد أنكر هذا المفهوم الظاهر عدد من العلماء ، لأن كل القرآن الكريم كلام الله تعالى ، ولا يصح القول بأن هذه الآية أفضل من تلك ، ومن هؤلاء العلماء الأشعري ، والباقلاني ، وابن حبان ، وروي هذا القول عن الإمام مالك .

وأرى أن قولهم هو الصواب إذا أخذت ظواهر الآيات على اعتبار أنها كلام الله تعالى ، أما إذا نظر إلى معنى الآيات ، وتأثيرها على النفوس والعقول ، فإن بعض الآيات تؤثر في النفوس أكثر من غيرها ، وبذلك تكون الأفضلية في المعنى والتأثير ^(١) .

يقول الإمام الغزالي : لعلك أن تقول قد أشرت إلى تفضيل بعض آيات القرآن على بعض ، والكلام كلام الله ، فكيف يتفاوت بعضها عن بعض ؟ وكيف يكون بعضها أشرف من بعض ؟

إعلم أن نور البصيرة إن لم يرشدك إلى الفرق بين آية الكرسي وآية المداينات ، وبين سورة الإخلاص وسورة تبت ، فقلد صاحب الرسالة ﷺ فهو من أنزل عليه القرآن ، وهو الذي عرفنا بفضل بعض السور والآيات ، وعرفنا بكثرة الثواب في تلاوتها ^(٢) .

والحق أن كلام الله تعالى كله لا يفضل بعضه بعضا ، وهو متساو من حيث حقيقته ، أما إذا نظرنا إلى عظم الأجر والمثوبة ، والأثر المترتب على قراءته عند من يقرؤه ويسمعه فهناك آيات تفضل غيرها كتفضيل الأيام على بعض ، وبعض الأماكن على بعض من ناحية الأجر

(١) شرح النووي ج ٢ ص ٤٦٠ .

(٢) فتح الباري ج ٩ ص ٩٦ .

والمتوبة ، ولا يتعارض ذلك مع أن القرآن كله كلام الله ، وأن الأيام والمساجد كلها لله رب العالمين .

الركيزة الثالثة أهم قضايا الآيتين

نلاحظ في آيتي آخر سورة البقرة اشتمالهما على عدد من الأركان الإيمانية الأساسية ... وهي : -

أولاً : الإيمان بالله تعالى وبصفاته ، وبملائكته ، وكافة رسله ،
وجميع كتبه المنزلة بلا تفرقة بين الرسل والكتب ، وتلك ميزة لا وجود لها عند أهل الكتاب من اليهود والنصارى .

ثانياً : الالتزام المطلق بطاعة الله تعالى في كل ما أمر به أو نهى
عنه ، وهذا هو الفصل بين المؤمنين وغيرهم من المنافقين والضالين .

ثالثاً : الإقرار المطلق بانه لا حول ولا قوة إلا بالله تعالى ، وكل ما
عدا الله عاجز لا يفعل شيئاً لا يريد الله تعالى ... ومن لوازم هذا الإقرار اللجوء إلى الله تعالى في السراء والضراء ، فهو الرب الرحيم الودود .

رابعاً : الإيمان التام بأن الموت قدر لازم ، والرجوع إلى الله أمر
حتمي للحساب و الجزاء .

خامساً : الدعاء الدائم لله تعالى ليديم عفوه وغفرانه ورحمته لما يقع
من أخطاء عن طريق النسيان أو العمر ، وأن يكرمهم بالإسلام الذي آمنوا به ، وأن لا يأخذهم بالشدة والعدل ، وأن يكرمهم ويرحمهم بالإحسان والفضل .

ويلحظ أن هذه القضايا تشمل العقيدة والشريعة والأخلاق ، وترتبط
الدنيا والآخرة ، والمخلوق بخالقه العظيم ﷻ .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من حديث الباب الفوائد التالية :

- ١ - القرآن الكريم نور وهداية لمن يؤمن به .
- ٢ - تدبر المعاني ضرورة لمن يقرأ القرآن الكريم أو يسمعه .
- ٣ - موضوعات القرآن الكريم تتفاضل بمقدار تأثر النفوس بها .
- ٤ - مهمة العلماء والولاه توجيه الناس إلى ما يصلحهم ويزكيهم.

- ٣٣ -

**٤٧ - باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه
وفضل من تعلم حكمه من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها**

حديث ابن عمر م عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : لَا حَسَدَ إِلَّا فِي

[٤٦٦]، (١)

اِثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ

٧٥٢٩

اللَّيْلِ وَأَتَاءَ النَّهَارِ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ
اللَّيْلِ وَأَتَاءَ النَّهَارِ ^(١).

حديث عبد الله بن مسعود ؓ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا حَسَدَ

[٤٦٧]، (٢)

إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ
، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا ^(٢).

٧٣

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ويعلمه ، وفضل إنفاق
المال في الخير ، والحكمة في معاملة الناس .

- ب -

الدلالات اللغوية في أحاديث الباب

يشتمل الباب على حديثين يبينان فضل قراءة القرآن وتلاوته ،
والفصل بين الناس بالحق ، وفضل إنفاق المال في أبواب الخير .

(١) أخرجه البخاري في: ٩٧ كتاب التوحيد: ٤٥ باب قول النبي ﷺ رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به.

(٢) أخرجه البخاري في: ٣ كتاب العلم: ١٥ باب الاغتباط في العلم والحكمة ، وللحديث روايات
أخرى في البخاري تحت رقم : ١٤٠٩ ، ٧١٤١ ، ٧٣١٦ .

ففي الحديث الأول : يقول راويه عبد الله بن عمر **م** أن (النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ) أي لا غبطة مشروعة إلا في أمرين اثنين ، والغبطة ليست هي الحسد ، لأن معنى الحسد تمنى زوال النعمة عن من أنعم الله عليه مطلقاً سواء تمنّاها لنفسه بعده أو لم يتمنه لأحد .

وسبب الحسد حب الإنسان لنفسه ، وأنايته ورغبته في الاستعلاء ، وكراهيته أن يسبقه غيره ، فإذا رأى لغيره ما ليس له أحب أن يزول ذلك عنه ؛ ليرتفع عنه أو يتساوى معه .

والحسد مذموم لأنه قائم على سوء الخلق ، وعدم الرضا بما قدر الله تعالى ، والحاسد مذموم إن عمل لما يتمنى بقلبه أو بلسانه أو بجوارحه .

وينبغي لما خطر عليه هذا الحسد أن يتبرأ منه ، ويتركه ، ويكرهه لأنه من الخواطر السيئة التي تميل إليها النفس الأمارة بالسوء ، وتردي صاحبها في عذاب أليم ... ولكن ... هل الحسد المذكور في الحديث هو الحسد المذموم المشار إليه ؟

ذهب العلماء في تفسير الحسد المراد من الحديث بأحد معنيين : -

المعنى الأول : الغبطة ، ومعناه تمنى أن يكون له مثل ما لغيره أو أكثر من غير تمنى زوال أي نعمة عن الآخر ، وهذه هي المنافسة التي أمر الله تعالى بها إن كانت في طاعة ، فقال ﷺ : ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾^(١) ، ونهى عنها النبي ﷺ إن كانت في معصية فقال ﷺ :

(١) سورة المطففين الآية : ٢٦ .

(ولا تنافسوا) ^(١) ، وإن كان في المبيحات فهو جائز فكأنه ﷺ قال

: لا غبطة أفضل وأحسن من الغبطة في هذين الأمرين .

المعنى الثاني : إبقاء معنى الحسد على حقيقته ، ويكون الاستثناء منقطعا ، والمراد نفي الحسد مطلقا ، عدا هاتين الخصلتين فهما محمودتان ، ولا حسد فيهما أصلا لانقطاع المستثنى عن المستثنى منه (إِلَّا فِي اثْنَيْنِ) أي لا غبطة إلا في خصلتين فقط :

أولهما : (رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ) ورجل مرفوع على الابتداء أقيم مقام المضاف ، والمعنى صفة رجل ، والجملة كلها خبر عن المبتدأ الأول ، وصفة هذا الرجل محل الغبطة أن الله تعالى آتاه القرآن الكريم فحفظه، وأحسن قراءته ، واستمر في تلاوته خلال ساعات الليل والنهار .

ثانيهما : (وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ) .
والثاني رجل رزقه الله تعالى مالا كثيرا فأخذ ينفقه في الطاعات ليلا ونهارا .

ووجه حصر الغبطة في صفات هذين الرجلين أن الطاعات إما بدنية أو مالية ، أو مكونة منهما ، فأشار إلى البدنية بقراءة القرآن الكريم والحكمة ، وأشار إلى المالية بإنفاق المال ،

وفي الحديث الثاني : يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : (قَالَ النَّبِيُّ

ﷺ : لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ

(١) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظن ، حديث رقم : ٤٧٥٢ .

أي رزقه الله مالا ووفقه إلى إنفاقه في الحق ، وعبر عن الإنفاق بالإهلاك ليشير إلى إنه ينفق ماله كله ، وأشار الحديث إلى ما في النفس من شح وبخل ، ولذلك سلط المنفق على قهر نفسه ، وإجبارها على غير ما جبلت عليه وقيد الله تعالى الأنفاق بأنه (فِي الْحَقِّ) لبيان أن الإنفاق المحمود هو ما كان من الطاعات أما إن كان الإنفاق سفها وتبذيرا فهو مذموم .

(وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا) أي والرجل الثاني رجل اتاه الله الحكمة ، والمراد بها القرآن الكريم ، أو العلم ويدخل فيه القرآن الطكريم دخولا أوليا ، ومعنى الحكمة الإصابة في القول والعمل ، وهي التي تمنع صاحبها من الجهل ، وتزجره عن فعل القبيح .

فإن قيل : أحاديث الباب تفيد حصر الغبطة في هاتين الخصلتين ، فهل هذا صحيح ؟ وكيف نعلم الصحيح إذا ؟

أقول : الحصر في أحاديث الباب غير مراد ، فهناك خصال أخرى كثيرة محمودة ويتمناها الإنسان لنفسه مثل التفوق العلمي ، وإجادة العمل ، وإحسان التعامل مع الناس ، وكسب ود الآخرين ، إلا ان الأحاديث اهتمت بالخصلتين لأهميتهما للمسلم ، ولأن كل ما سواهما يندرج تحتها من قريب ومن بعيد .

وإن قيل : وهل نأخذ من تغني رسول الله ﷺ بالقرآن شيئا لولائنا ؟

أقول : والحسرة تملأ النفس يا ليت ولاتنا على شيء من بعض هذا ، لأنه لا يوجد وال من ولادة المسلمين اليوم يهتم بهذا الجانب الهام ، والكثير منهم لا يجيد قراءة آية ... والأمر لله .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أهمية الاهتمام بالعلم والحكمة ، وضرورة تحسين قراءة القرآن الكريم للرجل والمرأة على السواء ، وجاء الرجل في الأحاديث من باب التغليب ؛ لأن المرأة الصالحة تملك هذه الخصال .

والأحاديث تبين حرمة الحسد ، وضرورة البعد عنه ، وتجيز المسارعة في الخير ، والتسابق في الطاعات ، وتوضح ما يجب أن يكون عليه المسلم في تعامله مع الله ومع الناس .

فهو مع الله يذكر فضله ، ويشكر نعمه ، ويستمر يتلو القرآن الكريم في أناء الليل وأطراف النهار ، ومع المال يكسبه من حلال ، وينفقه في حلال ، ويكون حكيما في كافة تصرفاته ، لا يتجاوز حدا ، ولا يرضى بمعصية ، ويرضى بحكم الله تعالى في كافة أعماله وقضاياه .

إن المسلم محب لإخوانه يسمعهم القرآن شجيا طريا ، ويعطيهم المال سخيا ، ويرضى معهم بحكم الله سوياً ، وبهذا يكون مثالا وقدوة لغيره ، يقول من يراه : يا ليتني أفعل أفعاله عسى أن أكون من الفالحين .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب حرمة الحسد ، وتوضح استحباب الغبطة وتمنى أن يكون للفرد مثل ما لغيره من الخير والطاعة .

ومنها : أن يرزقه الله تعالى ما لا كثيرا فينفقه في الطاعات .

ومنها : أن يؤتیه الله تعالى حفظ القرآن الكريم وتلاوته ، فيستمر في تلاوته في ساعات الليل والنهار ، وأن يعرفه الله الحكمة فيقضي بها بين

الناس ويعلمها لهم .

ومنها : أن يكون نصوحا لإخوانه ، خادما لهم ، ساعيا في كل ماينفعهم

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن احاديث الباب ركيزة هامة هي : -

الترابط الاجتماعي في الإسلام

المسلمون أخوة يسعى بذتهم أدناهم ، وكل منهم في عون أخيه ، ونصحه وتمنى الخير له ... وأحاديث الباب توضح أهم ملامح الاتصال الأخوي بين المسلمين فمن علم يعلم غيره ، ومن حفظ القرآن الكريم يرفع صوته بين الناس ، ومن أتاه الله تعالى الحكمة فهو يقضي بالعدل ويتحاكم إلى حكم الله تعالى .

وبهذا التصور :

تبرز الأحاديث أهم الأعمال الصالحة التي يقوم بها المؤمنون .

فمنها : بذل المال وأنفاقه في أبواب الخير ، والطاعة .

ومنها : التمسك بالحكمة في السلوك والحكم .

ومنها : تلاوة القرآن الكريم أثناء الليل وأثناء النهار .

تتادي أحاديث الباب بضرورة تحقيق الأخوة الإسلامية بين المسلمين ، في شعورهم الخاص وفي أقوالهم ، وأمانيتهم ، وأعمالهم ، فكل مؤمن ينصح أخاه ، ويعطيه من ماله وينصحه ، ويعلمه ويسمعه القرآن الكريم . إن الأخوة الإسلامية عملية أساسية في صناعة المجتمع المسلم ، يقول

ﷺ : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(١)

ويقول النبي ﷺ :

- (المؤمن اخ المؤمن)^(٢)

- (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم)^(٣)

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد أحاديث الباب

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية :

- ١) الأخوة الإسلامية ضرورة حياتية وإيمانية .
- ٢) التنافس في أعمال الخير ينمي الخير ويزيده .
- ٣) من أساسيات الحياة الإسلامية الاهتمام بالمصادر الدينية ، والعمل بها ، والتحاكم إليها .
- ٤) من علامات المجتمع الصالح أن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه ، وأن يعين أخاه كنفسه .
- ٥) من الضروري أن يهتم المسلمون بحفظ القرآن الكريم ، وتلاوته والعمل به .

(١) سورة التوبة الآية : ٧١ .

(٢) مستخرج ابن عوانة ، مبتدأ كتاب النكاح ، باب حظر المسلم أن يخطب على خطبة المسلم حتى يترك ، حديث رقم : ٣٣٥٣ .

(٣) المعجم الأوسط للطبراني ، باب العين ، حديث رقم : ٧٦١٤ .

- ٣٤ -

**٤٨ - باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف
وبيان معناه**

حديث عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ
بْنِ حِزَامٍ رضي الله عنه يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأُهَا
، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَقْرَأُهَا ، وَكِدْتُ أَنْ أَعْجَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ
أَمَهَلْتُهُ حَتَّى انْصَرَفَ ، ثُمَّ لَبَّيْتُهُ بِرِدَائِهِ فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ .

[٤٦٨]، (١)
٢٤١٩

فَقُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ عَلَى غَيْرِ
مَا أَقْرَأْتِهَا .
فَقَالَ لِي : أَرْسَلُهُ .
ثُمَّ قَالَ لَهُ : اقْرَأْ فَقَرَأَ .
قَالَ ﷺ : هَكَذَا أُنْزِلَتْ .
ثُمَّ قَالَ لِي : اقْرَأْ فَقَرَأْتُ .
فَقَالَ ﷺ : هَكَذَا أُنْزِلَتْ ، إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ
فَأَقْرَعُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ^(١) .

حديث ابنِ عَبَّاسٍ م أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ
عليه السلام عَلَى حَرْفٍ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ
أَحْرَفٍ ^(١)

[٤٦٩]، (٢)
٣٢١٩

(١) أخرجه البخاري في: ٤٤ كتاب الخصومات: ٤ باب الخصوم بعضهم في بعض، وللحديث
روايات أخرى ف البخاري تحت أرقام : ٤٩٩٢ ، ٥٥٤١ ، ٦٩٣٦ ، ٧٥٥٠ .

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب ان القرآن الكريم انزل على سبعة احرف ، وتوضح
المراد منها

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على حديثين يبينان نزول القرآن الكريم على سبعة
أحرف ، وما دار حولها من الآراء .

ففي الحديث الأول : يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (سَمِعْتُ هِشَامَ
بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ) وهو أسدي من بني مخزوم ، أسلم مع أبيه يوم فتح
مكة ومات في خلافة علي رضي الله عنه قبل أبيه .

(يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأُهَا) أي أن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه سمع هشاماً يقرأ بقراءة لم يسمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فظن عمر أن
هشاماً ابتدعها ، لأن قراءته خالفت قراءة عمر رضي الله عنه التي يقول عنها عمر
رضي الله عنه (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَقْرَأَنِيهَا) أي علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءتها .

وذهل عمر رضي الله عنه لما سمع لأنه تصور ذلك تحريفاً لكلام الله تعالى ،
يقول عمر رضي الله عنه : (وَكِدْتُ أَنْ أَعْجَلَ عَلَيْهِ) أي اقتربت من مخاصمته ،
وإخراجه من صلاته ، والتعصب عليه ، لكنني راجعت نفسي ، وتركته
حتى يتم صلاته ، وينصرف منها .

(١) أخرجه البخاري في: ٥٩ كتاب الخلق ، باب ذكر الملائكة ، وللحديث رواية في البخاري

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (ثُمَّ أَمَهَلْتُهُ حَتَّى أَنْصَرِفَ) أي تركته حتى أتم صلاته ، وانصرف منها .

(ثُمَّ لَبَّيْتُهُ بِرِدَائِهِ) أي ضمت بيدي فتحة ثوبه ، وضيقتهما بيدي حتى لامست لبتة ، وهي العظمة الناشئة في وسط العنق من الأمام حتى لا ينفلت مني ، ثم جررته (فَجِئْتُ بِهِ) إِلَى (رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) (فَقُلْتُ) : يا رسول الله (إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأْتِيهَا) أي أن هشاما قرأ سورة الفرقان بقراءة لم أسمعها منك ولهذا جئت به إليك .

(فَقَالَ لِي ﷺ : أَرْسِلْهُ) أي قال رسول الله ﷺ لعمر رضي الله عنه : أحضره لي عسى أن يكون له عذر لا تعرفه يا عمر ، (ثُمَّ قَالَ) رسول الله ﷺ (لَهُ) أي للرجل (اقْرَأْ فَقَرَأَ) ، فقال ﷺ : (هَكَذَا أُنْزِلَتْ) .

(ثُمَّ قَالَ لِي) رسول الله ﷺ (اقْرَأْ) أنت يا عمر ، (فَقَرَأْتُ) فقال ﷺ (هَكَذَا أُنْزِلَتْ) ثم بين رسول الله ﷺ لعمر ولهشام سبب صحة قراءتهما ، فقال : (إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ) أي أنزل الله القرآن على سبعة أوجه للقراءة يجوز القراءة بواحدة منها (فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ) أي فاقروا بالقراءة التي تسهل عليكم ، ويتيسر فيها الأداء ، والنطق ، والإظهار ، والإدغام ، والتفخيم ، والترقيق ، والإمالة ، والمد ، وذلك لأن العرب كانت أمة مختلفة اللهجات ، فيسر الله عليهم ليقروا كل بما يسهل عليه .

وفي الحديث الثاني : يؤكد ابن عباس **م** (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ،

قَالَ : أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ

أَحْرَفٍ) ويبدو من ظاهر الحديث أن ابن عباس **م** لم يسمع الحديث من رسول الله ﷺ ، وكأنه سمعه من أبي ﷺ ، يوضح ذلك أن النسائي روى الحديث عن ابن عباس **م** عن أبي ﷺ عن رسول الله ﷺ ، ورواية أبي ﷺ للحديث مشهورة في كتب السنة .

ومعنى (**أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى حَرْفٍ**) أن جبريل ﷺ أقرأ رسول الله ﷺ بقراءة واحدة ، فطلب الرسول ﷺ تفسير القراءة على أمته ، فأقرأه الثانية ، فاستمر رسول الله ﷺ يطلب زيادة عدد أوجه القراءة لتعدد لهجات ولغات العرب ، حتى وصل عدد القراءات إلى سبع .

وكان ذلك سببا في الاختلاف بين الصحابة ؛ لأن كل من سمع من النبي ﷺ قراءة قرأ بها ، ولم يتصور غيرها ، فعن أبي بن كعب ﷺ أن تشدد عمر ﷺ كان لظنه أن هشاما خالف قراءة رسول الله ﷺ ، ولم يكن سمع حديث (**إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ**) وظن عمر ﷺ اتباع هشام للقراءة ، ففعل ما فعل حفاظا على القرآن الكريم ، ومنعا للإبتداع فيه ، فلما أخبره رسول الله ﷺ بنزول القرآن الكريم على سبعة أحرف علم صواب الرجل وصوابه في قرائتيهما .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

أنزل الله تعالى القرآن الكريم على سبعة أحرف ، أي على سبعة أوجه للقراءة تيسيرا على الناس ، وتخفيفا عليهم .
وذهب بعض العلماء إلى أن ذكر السبعة غير مراد ، والمقصود إظهار

التيسير، ولا يراد به حقيقة العدد ؛ لأن السبعة تفيد كثرة الأحاد ،
والسبعين تفيد كثرة العشرات، والسبعمائة تفيد كثرة المئات ، وجنح إلى ذلك
القاضي عياض ، ومن تبعه ^(١).

وحمل ابن قتيبة معنى الأحرف السبعة على الوجوه الآتية : -

الوجه الأول : ما تتغير حركته ولا يتغير معناه ، ولا تتغير صورته

، مثل ﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ ^(٢) بنصب الراء وضمها.

الوجه الثاني : ما يتغير بتغير الفعل مثل : ﴿بَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ ^(٣)

و (بعد بين أسفارنا) فيقرأ بالأمر وبالماضي .

الوجه الثالث : ما يتغير بنقط بعض الحروف المهملة مثل (ثم

ننشرها أو ننشرها) بالراء والزاي .

الوجه الرابع : ما يتغير بسبب تغير حرف قريب من مخرج الآخر

مثل ﴿وَطَلَحَ مَنُضُورٌ﴾ ^(٤) و (طلع ممدود) .

الوجه الخامس : اختلاف الأسماء بالإفراد والتنثنية والجمع .

الوجه السادس : ما يتغير بوجوه الإعراب .

الوجه السابع : ما يتغير بسبب اللغة كالفتح والإمالة ، والترقيق ، ،

والتفخيم ، والإدغام ، والإظهار ونحو ذلك ^(٥).

(١) فتح الباري ج ٩ ص ٢٣ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٨٢ .

(٣) سورة سبأ الآية ١٩ .

(٤) سورة الواقعة الآية : ٢٩ .

(٥) فتح الباري ج ٩ ، ص ٢٨ ، ٢٩ .

وبهذه الأوجه تكون القراءة مشروعة في دائرة اللهجات واللغات ، مع ثبات الكلمة والمعنى .

وقد فسر البعض أوجه القراءة بأنها وضع كلمة مكان كلمة بمعناها ، أو تقديم كلمة على كلمة ، أو تأخير كلمة عن كلمة ، وهذه آراء غير مسلمة ، وبخاصة بعد أن اجتمع المسلمون على مصحف عثمان رضي الله عنه .

يقول البغوي : المصحف الذي استقر عليه الأمر هو آخر العروضات على رسول الله ﷺ ، فأمر عثمان رضي الله عنه بنسخه في المصاحف ، وجمع الناس عليه ، وأذهب ما سوى ذلك قطعاً لمادة الخلاف ، فصار ما يخالف خط المصحف في حكم المنسوخ والمرفوع ، كسائر ما نسخ ورفع ، فليس لأحد أن يعدو في اللفظ إلى ما هو خارج عن الرسم ^(١) .

وليست الأحرف السبعة هي القراءات السبعة كما يظن البعض ، وقد اشترط أصحاب القراءات لجواز القراءة أن تكون صحيحة السند في السماع ، والاستقامة مع العربية ، وموافقة لخط مصحف عثمان رضي الله عنه ، وزاد بعضهم الاتفاق على القراءة بين قراء مكة والمدينة ، أو المدينة والكوفة ، أو اتفاق نافع وعاصم ^(٢) فقراءتهما أصح القراءات سنداً .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين الأحاديث مشروعية القراءة بالأحرف السبعة ، فقد نزل القرآن الكريم بها ؛ لتيسير القراءة على الأمة ، حتى تتمكن كل جماعة بقراءة

(١) فتح الباري ج ٩ ص ٣٠ .

(٢) المرجع السابق ج ٩ ص ٣٢ .

القرآن الكريم بلغتها ولهجتها .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز ... منها : -

الركيزة الأولى

عموم رحمة الله تعالى

رحمة الله واسعة ، وضعها ﷺ في كل أركان الدين وشرائعه ، وقد تعامل المسلمون مع رحمة الله تعالى شاكرين فضل الله ، ومقرين بما أنعم عليهم به ، وأحاديث الباب تشير إلى عدة أمور : -

الأمر الأول : حرص الصحابة على تلقي دينهم من رسول الله ﷺ

بلا تزيد أو تنقص ، وهذا عمر رضي الله عنه حينما سمع صاحبه يقرأ القرآن الكريم بغير ما تلقاه رضي الله عنه من رسول الله ﷺ أصابته دهشة فانتظر انتهاءه من الصلاة ، وأخذ بتلايب ثوبه ، وجره إلى رسول الله ﷺ ، وشكاه إليه ، فاستمع رسول الله ﷺ لقراءته ، وقراءة عمر رضي الله عنه ، وعرفهما بصحة قراءتهما ، وبين لهما أن القرآن أنزل على سبعة أوجه .

الأمر الثاني : إن الأوجه السبعة لا تجتمع في كلمة واحدة أو جملة

واحدة ، وإنما تتوزع على كلمات القرآن الكريم .
وهذه الأوجه تبقى في صورتها المشروعة التي لا تغير معنى الكلمة أو تستبدل بها غيرها .

الأمر الثالث : في أعمال الخير يظهر الشيطان ، ويعمل على

إبطال الخير ، وتحويله إلى شر ، مستغلا حال ضعف الإنسان ، أو ظنا منه أنه لا دليل عليه ، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي يخاف الشيطان

منه ، ويسلك طريقا غير طريقه ، يأتي بالرجل إلى رسول الله ﷺ ظنا منه ارتكابه بدعة منكورة مع القرآن الكريم ، فجر صاحبه وأمسك بتلابيبه خوفا من فراره وجاء (فاختصما عند النبي ﷺ ، فقال عمر رضي الله عنه : يارسول الله ، ألم تقرني آية كذا وكذا ؟ قال رسول الله ﷺ : " بلى " .

فوقع في صدر عمر رضي الله عنه شيء ، فعرف النبي ﷺ ذلك في وجهه وأدرك أن الشيطان يوسوس له بشيء . فضرب صدره ، وقال : " ابعد شيطاننا " ، قالها ثلاثا . ثم قال : " يا عمر ، إن القرآن كله صواب ، ما لم تجعل رحمة عذابا ، أو عذابا رحمة) ^(١) أي إن القراءات التي قرأتها بها صواب ، لأنها لم تغير معنى ولا تقلب حكما ، وإنما هي لهجات العرب .

- ومن ذلك ما رواه زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ ، فقال : أقرأني عبد الله بن مسعود سورة ، أقرأنيها زيد ، وأقرأنيها أبي بن كعب ، فاختلفت قراءتهم ، فبقراءة أيهم آخذ ؟ فسكت رسول الله ﷺ . وعلي رضي الله عنه إلى جنبه . فقال علي رضي الله عنه : ليقرأ كل إنسان كما علم ، كله حسن جميل) ^(٢)

(١) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري - القول في اللغة التي نزل بها القرآن من لغات العرب ، حديث رقم : ١٤ .

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري - القول في اللغة التي نزل بها القرآن من لغات العرب ، حديث رقم : ١٢ .

ويقول أبي بن كعب رضي الله عنه بعد أن اختلفت مع رجل في القراءة ، وحسن رسول الله ﷺ قراءتهما ، وسوس لي الشيطان : (فسقط في نفسي من التكذيب ، ولا إذ كنت في الجاهلية ، فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني ، ضرب في صدري ، ففضت عرقا وكأنما أنظر إلى الله ﷻ فرقا فقال لي رسول الله ﷺ : " يا أبي أرسل إلي أن اقرأ القرآن على حرف ، فرددت إليه أن هون على أمتي ، فرد إلي الثانية اقرأه على حرفين ، فرددت إليه أن هون على أمتي ، فرد إلي الثالثة اقرأه على سبعة أحرف)^(١) . إن الشيطان حاول إضلال كبار الصحابة لشبهة وقعوا فيها ، ولولا رسول الله ﷺ لأضلها .

وهذا أمر يبين ضرورة أخذ الحذر من الشيطان ، وعدم المسارعة إلى الشبه ، وعدم التعجل في الحكم ، وإنما على المسلم أن يتأنى في الحكم ، ويرجع إلى أهل الذكر ، ويجمع الأدلة ، وينظر فيها ويقارن بينها ولا يسارع في التحليل والنظر ليصل إلى الحكم السليم ، وعليه أن يستمر على يقينه بصدق الله تعالى ورسوله ﷺ ،

الأمر الرابع : اتفق الفقهاء والقراء على أن أي قراءة تخالف رسم المصحف ليست من القرآن ، وما يوافق رسم المصحف لابد له أن يكون مشهورا عند أئمة القراء ، كقراءة يعقوب وأبي جعفر وغيرهما .

(١) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب بيان ان القرآن الكريم على سبعة أحرف ، وبيان معناه ، حديث رقم : ١٣٩٨ .

الركيزة الثانية اسألوا أهل التخصص

خلق الله تعالى الناس أصنافا شتى ، يختلف كل منهم عن أخيه في لونه ، وطوله وميوله ، ودرجة ذكائه وفطنته ، وهذا حال يسلم به العلماء والعقلاء ، وقد أبرز التقدم الحضاري هذا التفاوت بين أصحاب المهنة الواحدة ، والتخصص الواحد فمن الأطباء من يهبه الله تعالى معرفة المرض بنظرة سريعة ، ومنهم من لا يعرفه ولو عاش مع المريض يوما كاملا ، والأمثلة معلومة في كل علم وفن .

ومن هنا أمر الله تعالى باختيار قيادات في كل تخصص نظري وعملي ، يتميزون بعمق النظرة ، وسعة الأفق ، والقدرة على العمل إن كلفوا به .

لم يكن الصحابة جميعا رواة للحديث ، ولم يكونوا جميعا من القراء والحفظة ، ولم يتقدم واحد في كل تخصص ، ولذلك عرف رسول الله ﷺ المتميز في كل جانبه ليقود إخوانه في الطريق المستقيم ، ويوجد الحل لكل مشكلة تعرض عليه ، يقول الله تعالى : ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وحديث الباب دليل على هذا المنهج ، فقد اختلفت قراءة عمر رضي الله عنه عن قراءة صاحبه ، فظنه مبتدعا فأخذه إلى رسول الله ﷺ ، فهو الذي تلقى القرآن من الله تعالى ، وتلقاه الصحابة رضوان الله عليهم منه ﷺ ، وصار هذا الحال منهجا عمليا في شريعة الله تعالى .

(١) سورة النحل الآية : ٤٣ .

إن أهل التخصص هم الأجدر بتخصصهم ، وهم الأحق بالقيام به ، وإهمال أهل التخصص ، وعدم تقديم أهل الثقة ضياع للأمر كله ، وانهيار للمجتمع كله ... وشيوع للفوضى في كافة جوانب الحياة .
لقد أدى جهل القائمين على الفتوى ، أو أنانيتهم وحبهم لذواتهم إلى تضليل الناس بالدين ، فقد تحدثوا فيما لا يعلمون .
إن وضع الإنسان في غير موضعه فساد كبير يؤذن بقيام الساعة ، يقول النبي ﷺ : إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة .

قالوا : كيف إضاعتها يا رسول الله ؟
قال : " إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة ^(١) "

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث .

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية : -

١- لا يصح الاختلاف في أمر ديني لغير العلماء ؛ لأن العلماء يتحاورون بالدليل مع بقاء المودة بينهم ، يقول النبي ﷺ : (إنما أهلك من كان قبلكم الاختلاف) ^(٢) .

٢- استعمال الحكمة واللين في نصح الناس .

٣- الرجوع إلى مرجعية دينية لتوضيح ما غمض في أي أمر .

٤- لا يضر الدين أحد أكثر من حديث الجاهل في أمر لا يعلمه .

٥- إذا شعر المسلم بالشيطان في صدره فليستعذ بالله ويسارع إلى ذكر الله تعالى

(١) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب رفع الأمانة .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ، مسند بني هاشم ، كتاب رقم : ٣٨٦٣ .

- ٣٥ -

٤٩- باب ترتيل القرآن واجتناب الهدّ وهو الإفراط في السرعة وإباحة سورتين فأكثر في ركعة

حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن أبي وائل رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى ابن مسعود رضي الله عنه ، فقال : قرأت المفضل الليلة في ركعة . فقال رضي الله عنه : هذا كهذا الشعر لقد عرفت النظائر التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن فذكر عشرين سورة من المفضل ، سورتين في كل ركعة ^(١).

٧٧٥

- أ -

موضوع حديث الباب

يبين الحديث استحباب ترتيل القرآن ، وتجنب الهدّ في القراءة .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يقول الصحابي أبو وائل رضي الله عنه : (جاء رجل إلى ابن مسعود رضي الله عنه) والرجل هو تهيك (بفتح النون وكسر الهاء ممدودة) ابن سنان البجلي (فقال) له (قرأت المفضل الليلة في ركعة) .

والمفضل من سور القرآن الكريم يبدأ من سورة " ق " إلى سورة " الناس " ، وسميت هذه السور بالمفضل لكثرة الفصل بين سورته بالبسملة . وسور القرآن الكريم تنقسم باعتبار طولها إلى ثلاثة أقسام : القسم الأول : السور الطوال ، وهي سبع تبدأ بسورة البقرة وتنتهي

(١) أخرجه البخاري في: ١٠ كتاب الأذان: ١٠٦ باب الجمع بين السورتين في الركعة ، وللحديث روايات أخرى في البخاري تحت رقم : ٤٩٩٦ ، ٥٠٤٣ .

بسورة التوبة .

القسم الثاني : المثاني ، وهي من " يونس " إلى " ق " .

القسم الثالث : المفصل وهو من " ق " إلى " الناس " .

وسبب رواية الحديث أن نهيك بن سنان رضي الله عنه جاء إلى عبد الله بن

مسعود رضي الله عنه ، فقال : يا أبا عبد الرحمن كيف تقرأ هذا الحرف ﴿ مِنْ مَّآءٍ غَيْرِ

مَاسِنٍ ﴾ ^(١) أو غير ياسن ؟

فقال عبد الله رضي الله عنه : كل القرآن أحصيت غير هذا .

قال : إني لأقرأ المفصل في ركعة واحدة .

فقال له عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : (هَذَا كَهَذَا الشَّعْرِ) ؟...والجملة استفهامية

حذفت منها همزة الاستفهام وأصلها (أهذا ؟) ، لإنكار ما تصوره ابن

مسعود رضي الله عنه من سرعة القراءة ، ومعنى هذا كهذا الشعر سردا وإفراطا في

السرعة كما كانت عاداتهم في قراءة الشعر وإنشاده وهذه السرعة لا تجوز

مع قراءة القرآن الكريم ، لأنها لا توصل القلب بكلام الله تعالى ، وفي

الحديث : (إِنْ أَقْوَامًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ) ^(٢) .

أي لا يجاوز حناجرهم ، ولا يتدبرون فيه... وفي المسند (ولكنه إذا

قرأه ، فرسخ في القلب نفع) ^(٣) وهذا يعني أنه لا ينفع إذ لم يجاوز

التراقي وإن صحت الصلاة .

يقول ابن مسعود رضي الله عنه (لَقَدْ عَرَفْتُ النَّظَائِرَ) أي عرفت السور المتماثلة في

(١) سورة محمد الآية : ١٥ .

(٢) صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب ترتيل القراءة ، حديث رقم : ١٤٠٠

(٣) مسند احمد بن حنبل ، من مسند بني هاشم ، حديث رقم : ٣٥٠٠ .

المعاني كالموعظة أو الحكم أو القصص ، لا المتماثلة في عدد الآيات .
(الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرُنُ بَيْنَهُنَّ) أي عرفت السور التي كان يجمعها
رسول الله ﷺ في كل ركعة من صلاته ، و(يَقْرُنُ) بفتح الياء وكسر
الراء أو ضمها من باب ضرب ، أو نصر .

(فَذَكَرَ عِشْرِينَ سُورَةً مِنَ الْمُفَصَّلِ، سُورَتَيْنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ) أي كان ﷺ
يجمع هذه السور في صلاته ، كل سورتين في ركعة ، وقد بين ذلك
الأعمش رحمه الله فقال: (أولهن الرحمن وآخرتهن الدخان) ^(١) ثم سردها فقال
: (كان النبي ﷺ يقرأ النظائر السورتين في ركعة ، الرحمن والنجم في
ركعة ، واقتربت والحاقة في ركعة ، والطور والذاريات في ركعة ، وإذا
وقعت ونون في ركعة ، وسأل سائل والنازعات في ركعة ، وويل
للمطففين وعبس في ركعة ، والمدثر والمزمل في ركعة ، وهل أتى ولا
أقسم بيوم القيامة في ركعة ، وعم يتساءلون والمرسلات في ركعة ،
والدخان وإذا الشمس كورت في ركعة) ^(٢)

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يبين حديث الباب أهمية تطويل القراءة في الصلاة ، وضرورة أن
يتمهل القارئ في قراءته ، وليتدبر في المعاني ، ووينظر في الدلالات
الظاهرة والخفية .

(١) صحيح ابن خزيمة ، كتاب الصلاة ، باب إباحة قراءة سورتين في الركعة الواحدة ،
حديث رقم : ٥١٧ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب تحزيب القرآن ، حديث رقم : ١٢٠١ .

إن المسلم يقرأ القرآن بلسانه ، ويفهمه بعقله ، ويتمثله في وجدانه وروحه ، ولذلك كان المسلمون حين يقرأون القرآن الكريم بخشوع ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾^(١) ، أما الإسراع في القراءة فهي لا تسمح لصاحبها بالفهم والتدبر ، ولذا لا تتجاوز القراءة تراقيهم .

ونفهم من حديث الباب جواز قراءة أكثر من سورة في الركعة الواحدة ، وأن الترتيب ليس بشرط في القراءة ، وأن رسول الله ﷺ كان يصلي من الليل عشر ركعات يختتمها بالوتر .

وتظهر أخلاق أصحاب النبي ﷺ ، فقد أنزلوا رسول الله ﷺ في حياتهم منزلة القائد الموجه ، والرسول الموحى إليه ، الحريص عليهم ، وهو بالمؤمنين رءوف رحيم .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب الطريقة المثلى لقراءة القرآن الكريم ، وتدبر معانيه وكراهية الإسراع في القراءة وجواز قراءة سورتين في ركعة واحدة .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان في حديث الباب

يتضمن حديث الباب عددا من الركائز أهمها :-

الركيزة الأولى

كيفية الاستفادة بالقرآن الكريم

يتميز القرآن الكريم بعدة مزايا قدرها الله له ، فهو يقين ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾

(١) سورة الإسراء الآية : ١٠٩ .

، وهو حق ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ وهو كامل وتام لا عوج فيه ، وهو نور وهداية ، ومزاياء عديدة لا يحصيها إلا منزله ﷺ ، وحاجة الإنسانية إليه ماسة . والتمتع بآثار القرآن الكريم يحتاج إلى ما يلي : -

أولاً : الاستمرار في تلاوته بالوجه الذي نزل به ، مع المحافظة على تجويده ، وإعطاء كل حرف حقه ومستحقه في النطق ، والتلفظ الدال على المعنى .

ثانياً : فهم معانيه ، والتدبر في حكمه وأحكامه ، والتعمق في إعجازه وأسراره .

ثالثاً : الاهتمام بهدي القرآن الكريم في السكون والحركة ، وفي القول والعمل ، فقد تضمن القرآن كافة أساليب البلاغة العربية وأرشد إلى صالح الأعمال .

رابعاً : اتخاذ القرآن الكريم دستور الحكم ، وأصل التشريع ، وعدم تجاوزه لغيره يقينا وقناعة .

هذه الأمور مجتمعة يجب أن يقوم بها المسلم ليستفيد بالقرآن الكريم ، وبدونها لا ينال المسلم شيئاً .

إن الله تعالى أنزل القرآن الكريم لصناعة الحياة بالحق ، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، وما حال المسلمين اليوم من فقر وتخلف وهوان إلا بسبب هجرهم للقرآن الكريم ، وابتعادهم عن تعاليمه ومنهجه ... والعقل يعجب من أمة رفعاها الله تعالى بمنهجه ، وإذا بها تنتكس ، وتهمل طريق العزة والعلا ، وترضى بالصغار والهوان .

إن القرآن الكريم لم ينزل ليقرأ على الموتى ، أو ليعلق في السيارات والأماكن العامة والخاصة ... وإنما نزل ليحيا الفرد به ، وتحيا الأمة به ، ويتحول بالتطبيق إلى نشاط كامل في حياة الفرد والجماعة ... وياليت قومي يعلمون .

الركيزة الثانية **دور الصلاة في صناعة الإنسان**

الصلاة فريضة مشروعة وركن رئيسي في الإسلام ، ودورها كبير في صناعة الإنسان الصالح ، والجماعة الصالحة ، عن طريق توجيه المصلي نحو القيم العالية ، والعمل المستقيم ، والأخلاق الكريمة ، ... إن الصلاة ليست مجرد القيام والركوع والسجود ، ولكنها تكون بالعمل الحركة ، وتقام بالحمد والذكر ، وقراءة القرآن الكريم ، وتتم بالخشوع و التدبر ، والتأثر بمايتلى فيها من كلام الله تعالى .

إن الصلاة عماد الدين ، وقراءة القرآن الكريم عماد الصلاة ، وذلك يحتاج إلى مايلي : -

أولاً : التجرد التام من ماديات الدنيا، والانقطاع الكلي عن شواغلها ، فتكبيرة الإحرام تعني الفصل المطلق ، والاستغراق الروحي ، والخضوع التام لله تعالى .

ثانياً : قراءة القرآن الكريم بتأن وهدوء يحافظ على حقوق النظم والقراءة ، وتؤدي إلى تدبر المعاني ، والاتصال بالله تعالى، وتجنب طريقة الشعراء في قراءة الشعر .

إن فاتحة الكتاب تقرأ في كل ركعة ، وتدبر ما فيها يربي في النفس العقيدة القوية التي تقوم على اليقين بما لله من حقوق ، فهو رب

العالمين المستحق للحمد وحده ، المتصف بكل كمال يليق به ، وتؤكد الإيمان باليوم الآخر ومافيه من حساب ، وجزاء ، وجنة ونار ، وبها يتبرأ المسلم من أي دين يخالف دين الإسلام .

ومايقراً مع الفاتحة من القرآن الكريم مواعظ وارشادات وأحكام ، إن المسلم بصلاته يقرن القول بالعمل ، ويرتقي بعقله وروحه إلى الملاء الأعلى ، ويناجي الله ليكون من الصالحين .

ثالثاً : إن تكامل الصلاة والقرآن في الصلاة تصنع من المصلي إنساناً مؤمناً صالحاً لنفسه ولدينه ولغيره من الناس

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من حديث الباب الفوائد التالية :

- (١) كراهة الإفراط في سرعة التلاوة ؛ لأنها تنافي المطلوب من التدبر والتفكر في معاني القرآن الكريم .
- (٢) لا خلاف في جواز السرد بدون تدبر، لكن القراءة بالتدبر أكثر أجراً
- (٣) القراءة بالسورة الكاملة في الركعة الواحدة أفضل من قراءة آيات متماثلة من سورة طويلة .
- (٤) ضرورة اتباع المسلم لرسول الله ﷺ واهتدائه بهديه .

- ٣٦ -

٥٠- باب ما يتعلق بالقراءات

حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ
فهل من مدكر ^(١). ٤٨٧ [٤٧١]، (١)

حديث أبي الدرداء رضي الله عنه عن إبراهيم النخعي رضي الله عنه قال : قدم
أصحاب عبد الله رضي الله عنه على أبي الدرداء رضي الله عنه فطلبهم فوجدهم
فقال: أيكم يقرأ قراءة عبد الله ؟
قال: كلنا .

قال: فأيكم أحفظ ؟، ... فأشاروا إلى علقمة.

قال: كيف سمعته يقرأ والليل إذا يغشى ؟.

قال علقمة: والذكر والأنثى.

قال: أشهد أنني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هكذا، وهؤلاء

يريدوني على أن أقرأ ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴾ ^(٢) ، والله لا
أتابعهم ^(٣) .

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين الأحاديث جزءا من قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وتوضيح
الحكم فيها .

(١) أخرجه البخاري في: ٦٥ كتاب التفسير: ٥٤ سورة اقتربت الساعة: ٢ باب تجرى بأعيننا .

(٢) سورة الليل الآية : ٣ .

(٣) أخرجه البخاري في: ٦٥ كتاب التفسير: ٩٢ سورة الليل: ٧ باب وما خلق الذكر والأنثى .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على حديثين يبينان بعض أوجه القراءة المشروعة
ففي الحديث الأول : يروي ابن مسعود رضي الله عنه (عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ) بالذال المهملة لا بالذال المنقوطة (المعجمة) ، ومعنى الحديث أن الله تبارك وتعالى يسر تلاوة القرآن وهونه على من يقرؤه ، فهل من مدكر لذلك يستفيد من هذا التيسير ؟ .

وقراءة الدال نسخت قراءة الذال المعجمة لما رواه ابن مسعود رضي الله عنه
قال : (قرأت على النبي ﷺ : (فهل من مذكر) بالذال ، فقال النبي ﷺ : ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ ^{(١)(٢)} بالذال المهملة ، وهذا يبين أن قراءة الذال قد نسخت وأن (مذكر) بالذال كانت قراءة فنسخت بقراءة (الدال) إحدى صور الأحرف السبعة ، حيث تكون بزيادة نقطة فيتغير اللفظ ، ولا يتغير المعنى ، ومن هذا الباب قراءة ﴿ فَتَيَّنُوا ﴾ فقد قرأها البعض (فتنبثوا)
وفي الحديث الثاني : يقول إبراهيم النخعي رضي الله عنه : (قَدِمَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه فَطَلَبَهُمْ فَوَجَدَهُمْ) أي لما قدم أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه على أبي الدرداء رضي الله عنه أراد أن يعرف منهم شيئاً فطلبهم أو التقى بهم فسألهم عن قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .
(فَقَالَ) أبو الدرداء رضي الله عنه لهم : (أَيُّكُمْ يَقْرَأُ قِرَاءَةَ عَبْدِ اللَّهِ) ؟ .. وهو عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه ، ومن قواعد التحديث ان ذكر عبد الله فقط يعني ابن

(١) سورة القمر الآية : ١٥ .

(٢) صحيح البخاري ، ٦٥ كتاب : تفسير القرآن - ٥٤ سورة القمر ، باب ولقد أهلكنا أشياكم

مسعود رضي الله عنه .

فقالوا : (كُنَّا) يقرأ قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(قَالَ : فَأَيُّكُمْ أَحْفَظُ) ؟

(فَأَشَارُوا إِلَى عِلْقَمَةَ) ، فسأله أبو الدرداء رضي الله عنه و (قَالَ : كَيْفَ سَمِعْتَهُ يَقْرَأُ وَاللَّيْلَ إِذَا يَغْشَى) .

(قَالَ عِلْقَمَةُ : وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى) أي قرأ الذكر والأنثى بالجر على أن الواو للقسم فتجر مابعدهما .

ثم قال علقمة رضي الله عنه : (أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ هَكَذَا) أي إن علقمة سمع رسول الله ﷺ يقرأ (وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى) بالجر إلا أن (هؤلاء) يقصد بالإشارة أهل الشام (يُرِيدُونِي) أن اقرأ (وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى) بالنصب مفعولا لخلق (وَاللَّهِ لَا أَتَابِعُهُمْ) لسماعي من رسول الله ﷺ ما أقرأني به ابن مسعود رضي الله عنه .

وكان القوم غير أصحاب ابن مسعود رضي الله عنه يقرأون ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴾ وهو ما استقر عليه الأمر ، وما كان عليه أصحاب ابن مسعود قد نسخ ولم يبلغهم .

ومن العجب أن القراء الذين رووا حديث الباب ، لم يأخذوا بما رووا ولم تكن قراءة ابن مسعود عندهم ... ، ولم يبينوا أنها نسخت .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

أثبت الجمع الثاني للقرآن الكريم الذي أمر به عثمان رضي الله عنه الأوجه التي نزل القرآن الكريم بها ، وما عداها قد تم نسخها .

ولهذا وجب ترتيل القرآن الكريم بأوجهه السبعة التي لا تخالف رسم مصحف عثمان رضي الله عنه ، ولا يصح القول بوجود مصاحف لأحد من الصحابة ؛ لأن ما في صحفهم من زيادة أو نقص تم نسخه ، لأنهم دونوا في هامش مصاحفهم بعض الكلمات التفسيرية ، فظنها المدونون جزءا من المصحف ، فدونها وأخذوا في ردها باحتمالات عديدة .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب وجود قراءات في كتاب الله تعالى قد نسخت لا تصح القراءة بها ، وأن الحكم الصحيح هو التمسك بمصحف عثمان رضي الله عنه .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن الأحاديث على ركيزة واحدة هي :-

ضرورة العلم بتاريخ القرآن الكريم

أنزل الله تعالى القرآن الكريم مراعيًا أحوال الناس ، وحاجتهم ، وتصور حياتهم الدينية ، ودعوتهم إلى الله تعالى ، وربط الآيات بالواقع يظهر معناها ، وتصور الحدث ... فهناك القرآن المكي ، و القرن المدني ، وهناك آيات تحدثت عن الهجرة كما في سورة التوبة ، وهناك آيات تحدثت عن غزوة بدر كآيات سورة الأنفال ، وهناك آيات تحدثت عن غزوة (أحد) كآيات سورة آل عمران ، وهناك آيات تحدثت عن غزوة الأحزاب كآيات سورة الأحزاب ، وهناك آيات تحدثت عن فتح مكة كآيات سورة الفتح .

وحينما نعيش تاريخ القرآن الكريم نرى التدرج في تشريع تحريم الخمر ، وتشريع الجهاد ، وتقدم آيات العقيدة على آيات الشريعة ، ولما كمل الدين ، واستقرت أحوال الناس أقرأ جبريل عليه السلام الرسول ﷺ بالصورة الأخيرة ، وهي التي أودعها رسول الله ﷺ في قلوب المسلمين وأسفارهم ، وجمعها أبو بكر رضي الله عنه حفاظا عليها ، ودون عثمان رضي الله عنه المصحف المتلقى عن رسول الله ﷺ ، ووزعه على الأمصار ، وأمر بتحريق ما سواه ، وصار معلوما نسخ ما عدا مصحف عثمان رضي الله عنه ، وأصبح مصحف عثمان رضي الله عنه مرجع المسلمين في كل زمان ومكان .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الأحاديث

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية :

- ١- يجب الفصل بين القراءة وبين الزيادة والنقص في كلمات القرآن الكريم .
- ٢- نلتمس العذر لسلف الأمة ، وبخاصة من لم يصله خبر النسخ .
- ٣- ضرورة التحري والتثبت للوصول للحق .
- ٤- لا يصح الحكم على أمر ما إلا بعد انتضاح كافة جوانبه .

- ٣٧ -

٥١ - باب الأوقات التي نهي
عن الصلاة فيها

- حديث عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ م قَالَ : شَهِدَ
عِنْدِي رِجَالٌ مُرْضِيُونَ وَأَرْضَاهُمْ عِنْدِي عُمَرُ ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم
نَهَى عَنِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّى تَشْرُقَ الشَّمْسُ ، وَيَعْدَ
الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ ^(١) . [٤٧٣] ، (١) ٥٨١
- حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم
يَقُولُ : لَا صَلَاةَ بَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّى تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ ، وَلَا صَلَاةَ بَعْدَ
الْعَصْرِ حَتَّى تَغِيبَ الشَّمْسُ ^(٢) . [٤٧٤] ، (٢) ٥٨٦
- حديث ابْنِ عُمَرَ م قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : لَا تَحَرُّوا
بِصَلَاتِكُمْ طُلُوعَ الشَّمْسِ وَلَا غُرُوبَهَا ^(٣) . [٤٧٥] ، (٣) ٥٨٢
- حديث ابْنِ عُمَرَ م قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : إِذَا طَلَعَ حَاجِبُ
الشَّمْسِ فَادْعُوا الصَّلَاةَ حَتَّى تَبْرُرَ ، وَإِذَا غَابَ حَاجِبُ الشَّمْسِ
فَدَعُوا الصَّلَاةَ حَتَّى تَغِيبَ ^(٤) . [٤٧٦] ، (٤) ٣٢٧٢

(١) أخرجه البخاري في: ٩ كتاب مواقيت الصلاة: ٣٠ باب الصلاة بعد الفجر حتى ترتفع الشمس .

(٢) أخرجه البخاري في: ٩ كتاب مواقيت الصلاة: ٣١ باب لا يتحرى الصلاة قبل غروب الشمس وللحديث روايات أخرى في البخاري تحت أرقام ١٩٩٥، ١٩٩٢، ١١٩٧، ١١٨٨ .

(٣) أخرجه البخاري في: ٩ كتاب مواقيت الصلاة: ٣٠ باب الصلاة بعد الفجر حتى ترتفع الشمس

(٤) أخرجه البخاري في: ٥٩ كتاب بدء الخلق: ١١ باب صفة إبليس وجنوده .

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب حكم صلاة النافلة بعد صلاة الصبح حتى تشرق الشمس وترتفع ، وبعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس .

- ب -

الدلالات اللغوية في أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب النهي عن صلاة النافلة بعد صلاة الصبح إلى أن تطلع الشمس ، وبعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس .

ففي الحديث الأول : يقول ابن عباس **م** (شَهِدَ عِنْدِي رِجَالٌ مَرَضِيُونَ) أي أعلمني وأخبرني رجال لم يذكر ابن عباس **م** اسم أحدهم واكتفى بذكر صفتهم عنده، ولم يذكر أسماءهم أحد .

وليس المراد شهادة الحكم والقضاء ، وإنما المراد بها العلم والإخبار ، وهؤلاء الرجال (مَرَضِيُونَ) في صدقهم ودينهم وهم عنده عدول ثقات ومحل رضى (وَأَرْضَاهُمْ عِنْدِي عَمْرٌ) أي أحبهم لي ، وأكثرهم عندي صدقا ودينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

لقد شهداؤ عندي أن (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّى تَشْرُقَ الشَّمْسُ ، وَبَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ) أي أنه ﷺ نهى عن الصلاة في هذين الوقتين و(تَشْرُقُ) بضم التاء وكسر الراء ، أو بفتح التاء وضم الراء ، وشروق الشمس يعني ارتفاعها وظهور ضوئها ،

وفي الحديث الثاني : يقول أبو سعيد الخدري رضي الله عنه (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : لَا صَلَاةَ بَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّى تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ ، وَلَا صَلَاةَ بَعْدَ

الْعَصْرِ حَتَّى تَغِيبَ الشَّمْسُ) والنفي في الحديث يفيد النهي ، ومعناه لاتصلوا .

وقال جماعة من السلف : إن النهي عن الصلاة بعد الصبح وبعد العصر إنما هو إعلام بأنهما لا يتطوع بعدهما ، ولم يتوجه النهي إلى وقت الطلوع ووقت الغروب وإنما توجه إلى المصلين ، لقوله ﷺ : (لا تصلوا بعد الفجر حتى تطلع الشمس ، ولا بعد العصر حتى تغرب الشمس)^(١) ، وما دامت الصلاة المنهي عنها غير صحيحة فعلى المكلف ألا يقصدها ، لأن العاقل لا يشغل نفسه بما لا فائدة فيه .

والحديث الثاني حديث مرفوع ، يؤيد الحديث الأول المرسل ويؤكد ارتفاع الشمس لا مجرد بزوغها .

وفي الحديث الثالث : يقول ابن عمر م : (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَا تَحَرَّوْا بِصَلَاتِكُمْ طُلُوعَ الشَّمْسِ وَلَا غُرُوبَهَا) أي لا تقصدوا هذين الوقتين بصلاة ، وهذا تأكيد للحديث الأول أيضا .

وفي الحديث الرابع : يقول ابن عمر م : (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِذَا طَلَعَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَدَعُوا الصَّلَاةَ حَتَّى تَبْرُزَ ، وَإِذَا غَابَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَدَعُوا الصَّلَاةَ حَتَّى تَغِيبَ)

وحاجب الشمس طرفها الأعلى عند الطلوع لأنه الذي يظهر أولا عند الشروق ، وهو طرفها الأدنى حين الغروب ، والمراد ترك الصلاة عندما يظهر طرف الشمس عند الشروق إلى أن يتم ظهور الشمس كلها وترتفع

(١) المعجم الأوسط للطبراني ، باب العين ، حديث رقم : ٥٦٠٩ .

عن الأرض ، وكذلك عند الغروب فلا بد من اختفاء الشمس كلها ، ولا يقتصر على اختفاء طرفها .

ويقال تعليل لذلك أن الشيطان ينتصب في محاذاة الشمس حين طلوعها وحين غروبها ، ولا تصح الصلاة حين ظهوره وحضوره .
والحديث يؤكد الحديث الأول ، ويوضح ضرورة ارتفاع الشمس في الطلوع ، واختفائها في الغروب .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

يقول الإمام النووي في أحاديث الباب نهى النبي ﷺ عن الصلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس وترتفع ، وبعد العصر حتى تغرب الشمس .

وأجمعت الأمة على كراهية أي صلاة لا سبب لها في هذه الأوقات .
واتفقوا على جواز الفرائض المؤداه فيها كصلاة الجنازة
واختلفوا في النوافل التي لها سبب مثل تحية المسجد ، وسجود
الشكر ، والتلاوة ، وصلاة الخوف ، وصلاة الكسوف والخسوف ،
وصلاة قضاء الفوائت .

فذهب الشافعي ومن تبعه إلى جواز صلاة النوافل التي لها سبب
بلا كراهية ، واستندوا بأن النبي ﷺ صلى سنة الظهر بعد العصر .

وذهب أبو حنيفة ومن معه إلى حرمة أي صلاة بعد العصر ولو
كان لها سبب لعموم الأحاديث الواردة في النهي بعد صلاة الصبح
والعصر ، واستثنى من ذلك عصر يومه فقط .

وذهب مالك إلى تحريم النوافل دون الفرائض .
وذهب أحمد إلى رأي مالك إلا إنه استثنى ركعتي الطواف ^(١).

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين الأحاديث حرمة صلاة النوافل بعد صلاة الصبح إلى أن
تطلع الشمس ، وبعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن الأحاديث ركيزة هامة هي : -

شمول علم الله لكل خلقه

الله خالق كل شيء وهو الواحد القاهر ، ومن المعلوم أن الخالق
يعلم ما خلق ظاهرا وباطنا ، وما دق وما عظم ، ولذلك كان منهجه
ملائما لكل مخلوق لصدوره من حكيم خبير .

ومن هنا وجبت طاعته فيما يأمر وفيما ينهي ، وعلى الإنسان أن
يتأكد من ثبوت الأمر ، وليس له أن يبحث في علله وأسبابه ، لأن علمه
قاصر وإدراكه محدود ... وما دام قد آمن بما قضى وقدر فعليه أن
يستسلم ويرضى .

وهنا مسألة لابد من التنبيه عليها وهي أن الإنسان في آيات
العقيدة له أن يسأل ويناقش وينظر في الآيات والبراهين بقدرما يستطيع ،
والى المدى الذي يريد ليتم الاعتقاد بقناعة ، وفهم ، ويقين .

(١) شرح النووي ج ٢ ص ٤٧٧ ، طبع الشعب ، فتح الباري ج ٢ ص ٦١ طبعة السلفية .

أما الآيات والأحاديث المتصلة بالشرعية فإن للإنسان أن يفهم معناها ، ويقف على المقصود منها للعمل بها وليس معها يكون الجدل والحوار ... وما اختلاف الفقهاء في الأحكام إلا بسبب اختلافهم في فهم النص وثبوته عندهم .

إن المؤمن بالله تعالى يشعر بالسعادة وهو في معيته يتعلم ويعلم ويعمل .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الأحاديث

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية : -

- ١- ضرورة الالتزام بالأحكام الشرعية كما فسرها الفقهاء .
- ٢- طاعة الله تعالى في الترك تكون بمثل طاعته في العمل .
- ٣- ارتباط الأحكام الشرعية بالأدلة التفصيلية .

- ٣٨ -

٥٤ - باب معرفة الركعتين اللتين كان يصليهما

النبي ﷺ بعد العصر

حديث أم سلمة ل عن كريب ﷺ أن ابن عباس، والمِسْوَر [٤٧٧]، (١)

١٢٣٣

بن مخرمة، وعبد الرحمن بن أذهر ﷺ، أرسلوه إلى عائشة
ل فقالوا: اقرأ عليها السلام منا جميعاً، وسلها عن
الركعتين بعد صلاة العصر.

وقل لها: إنا أخبرنا أنك تَصَلِّيْنَهُمَا، وقد بلغنا أن النبي ﷺ
نهي عنهما.

وقال ابن عباس م: وكنت أضرب الناس مع عمر بن
الخطاب ﷺ عنهما.

قال كريب ﷺ: فدخلت على عائشة ل فبلغتها ما
أرسلوني.

فقلت: سل أم سلمة فخرجت إليهم فأخبرتهم بقولها،
فردوني إلى أم سلمة ل بمثل ما أرسلوني به إلى
عائشة.

فقلت أم سلمة ل: سمعت النبي ﷺ ينهي عنها ثم
رأيتُهُ يُصَلِّيْهُمَا حِينَ صَلَّى الْعَصْرَ، ثُمَّ دَخَلَ وَعِنْدِي نِسْوَةٌ
مِنْ بَنِي حَرَامٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ الْجَارِيَةَ، فَقُلْتُ
قُومِي بِجَنْبِهِ، فَوَلِي لَهُ: تَقُولُ لَكَ أم سلمة يَا رَسُولَ اللَّهِ

سَمِعْتُكَ تَنْهَى عَنْ هَاتَيْنِ وَارَاكَ تُصَلِّيهِمَا فَإِنْ أَشَارَ بِيَدِهِ
فَاسْتَأْخِرِي عَنْهُ فَفَعَلَتِ الْجَارِيَةُ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ فَاسْتَأْخَرَتْ عَنْهُ
فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ ﷺ : يَا بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ سَأَلْتِ عَنِ
الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَإِنَّهُ أَتَانِي نَاسٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ
فَشَغَلُونِي عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ، فَهُمَا هَاتَانِ^(١)

حديث عائشة **ل** قَالَتْ: رَكْعَتَانِ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

يَدْعُهُمَا سِرًّا وَلَا عَلَانِيَةً؛ رَكْعَتَانِ قَبْلَ صَلَاةِ الصُّبْحِ، وَرَكْعَتَانِ
بَعْدَ الْعَصْرِ^(٢)

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب حكم صلاة الفائتة بعد صلاة العصر ،
وتوضح حرص الصحابة - رضوان الله عليهم - على المحافظة على ما
ثبت لهم من رسول الله ﷺ قولاً وفعلًا .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على حديثين يبينان حكم صلاة ركعتين نافلتين بعد صلاة
العصر، وحرص الصحابة على معرفة الحكم الثابت عن رسول الله ﷺ
فيهما .

(١) أخرجه البخاري في: ٢٢ كتاب السهو: ٨ باب إذا كُلم وهو يصلي فأشار بيده واستمع ،
وللحديث رواية أخرى في صحيح البخاري تحت رقم : ٤٣٧٠ .

(٢) أخرجه البخاري في: ٩ كتاب مواقيت الصلاة: ٣٣ باب ما يصلي بعد العصر من الفوائت
ونحوها .

ففي الحديث الأول : يقول كريب رضي الله عنه مولى ابن عباس **م** (أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، وَالْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَزْهَرَ رضي الله عنه أَرْسَلُوهُ إِلَى عَائِشَةَ **ل**) لسؤالها عن جواز صلاة الركعتين النافلتين بعد العصر؛ لأنهم لم يسمعوا عنها شيئاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرادوا أن يستوثقوا منها .
فأما ابن عباس **م** فقد بلغه خبر الركعتين من عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد بين ذلك بقوله : (شهد عندي رجال مرضيون وأرضاهم عندي عمر) ^(١) .

أما المسور ، وعبد الرحمن **م** فلم يشر أحد إلى من أخبرهما ، ويبدو أنه ابن الزبير رضي الله عنه .
(فَقَالُوا) أي قال الثلاثة لكريب رضي الله عنه : (اقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنَّا جَمِيعًا ، وَسَلِّمْهَا عَنِ الرُّكْعَتَيْنِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ ، وَقُلْ لَهَا : إِنَّا أَخْبَرْنَا أَنَّكَ تُصَلِّيْنَهُمَا ، وَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم نَهَى عَنْهُمَا) أي سل عائشة **ل** عن صلاة ركعتين بعد صلاة العصر ، وعرفها أننا نعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة بعد العصر ، وأنها تصلي ركعتين بعد العصر ، ونحن نريد معرفة حكم هاتين الركعتين (وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ **م** : وَكُنْتُ أَضْرِبُ النَّاسَ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه عَنْهُمَا) أي وكان ابن عباس **م** يشارك عمر رضي الله عنه في خلافته في منع الناس من صلاة نافلة بعد صلاة العصر لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة نافلة بعد العصر ، وفي رواية (كُنْتُ أَصْرِفُ النَّاسَ عَنْ

(١) صحيح البخاري ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب صلاة الفجر حتى ترتفع الشمس .

الصلاة بعد العصر) وهذا كله يحتم ضرورة معرفة الحكم الشرعي لهاتين الركعتين بعد صلاة العصر من فعل رسول الله ﷺ وصلاته .

يقول كريب رضي الله عنه : (فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ لَ فَبَلَّغْتُهَا مَا أُرْسَلُونِي) به ، وانتظرت ردها (فَقَالَتْ: سَلْ أُمَّ سَلَمَةَ) لَ فعندها الخبر اليقين .

فرجع كريب رضي الله عنه إلى الثلاثة ، يقول رضي الله عنه : (فَخَرَجْتُ إِلَيْهِمْ فَأَخْبَرْتُهُمْ بِقَوْلِهَا) أي رجعت إليهم ، وأبلغتهم ما قالت لي وأمرها بأن أرجع لأُم سلمة لَ

(فَرَدُّونِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ لَ بِمِثْلِ مَا أُرْسَلُونِي بِهِ إِلَى عَائِشَةَ لَ) ، أي قالوا لي : بلغها السلام منا جميعا ، وسلها عن الركعتين بعد صلاة

العصر فذهبت إليها ، وسلمت عليها وسألتها (فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ لَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَنْهَى عَنْهَا ثُمَّ رَأَيْتُهُ يُصَلِّيهِمَا حِينَ صَلَّى الْعَصْرَ) أي

قالت أُم سلمة لَ : سمعت النبي ﷺ ينهى عنهما ، ثم رأيتُهُ يصليهما

عقب صلاة العصر : (ثُمَّ دَخَلَ) البيت (وَعِنْدِي نِسْوَةٌ مِنْ بَنِي حَرَامٍ مِنَ الْأَنْصَارِ) ، فأردت أن أعرف حكم هاتين الركعتين (فَأُرْسَلْتُ إِلَيْهِ الْجَارِيَةِ)

يحتمل أنها ابنتها " زينب " ، وقلت لها : (قُومِي بِجَنْبِهِ ، قُولِي لَهُ : تَقُولُ

لَكَ أُمُّ سَلَمَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ سَمِعْتُكَ تَنْهَى عَنْ هَاتَيْنِ وَارَاكَ تُصَلِّيهِمَا) الآن

(فَإِنْ أَشَارَ بِيَدِهِ فَاسْتَأْخِرِي عَنْهُ فَفَعَلْتُ الْجَارِيَةُ ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ فَاسْتَأْخَرْتُ

عَنْهُ) ورجعت لأُم سلمة (فَلَمَّا انْصَرَفَ) النبي ﷺ من صلاته أي انتهى

من أدائها جاء إلى أُم سلمة لَ ، وقال لها : (يَا بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ سَأَلْتُ

عَنِ الرُّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ ، وَإِنَّهُ أَتَانِي نَاسٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ فَشَغَلُونِي عَنْ

الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ، فَهُمَا هَاتَانِ) أي هما ركعتا الظهر البعدية أقضيتهما بعد العصر .

وعن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه قال : (دخلت مع ابن عباس على معاوية رضي الله عنه فأجلسه معاوية على السرير ، ثم قال له : ما ركعتان يصليهما الناس بعد العصر لم نر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاهما ، ولا أمر بهما ؟

قال ابن عباس م : ذلك ما يفتي به الناس ابن الزبير رضي الله عنه .

فأرسل معاوية - رضي الله عنه إلى ابن الزبير م فسأله .

فقال ابن عباس م : أخبرتني ذلك عائشة ل .

فأرسل معاوية رضي الله عنه إلى عائشة ل فقالت : أخبرتني ذلك أم سلمة ل .

فأرسل معاوية رضي الله عنه إلى أم سلمة ل فانطلقت مع الرسول فسأل أم سلمة فقالت : يرحمها الله : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنهما ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو في بيتي يتوضأ الظهر وكان قد بعث ساعيا وكثر عنده المهاجرون ، وكان قد أهمه شأنهم ، إذ ضرب الباب فخرج إليهم فصلى الظهر ، ثم جلس يقيم ما جاء به فلم يزل كذلك حتى صلى العصر ، فلما فرغ رأى بلالا فأقام الصلاة فصلى العصر ، ثم دخل منزلي فصلى ركعتين ، فلما فرغ قلت : ما الركعتان التي رأيته تصليهما بعد العصر لم أرك تصليهما ؟

فقال صلى الله عليه وسلم : " شغلني أمر الساعي لم أكن صليتهما بعد الظهر فصليتهما

" فقال ابن الزبير رضي الله عنه : " قد صلاهما رسول الله ﷺ فأنا أصليهما (^(١)) . أقتداء برسول الله ﷺ .

وليس بمتعين صلاة هاتين الركعتين بعد صلاة العصر ؛ لأنه ﷺ سئل عنهما : (أأمرت بهما ؟ قال : لا ، ولكني كنت أصليهما بعد الظهر فشغلت عنهما فصليتهما الآن) ^(٢) .

وفي الحديث الثاني : تقول السيدة عائشة ل (رَكَعَتَانِ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُهُمَا سِرًّا وَلَا عَلَانِيَةً ؛ رَكَعَتَانِ قَبْلَ صَلَاةِ الصُّبْحِ ، وَرَكَعَتَانِ بَعْدَ الْعَصْرِ) .

وقد تكلم الفقهاء عن ركعتي ما بعد العصر فقال بعضهم : إنها من خصوصياته ﷺ ، والدليل على ذلك ما رواه ذكوان مولى عائشة ل أنها حدثته (أن رسول الله ﷺ كان يصلي بعد العصر وينهى عنها ، ويواصل وينهى عن الوصال) ^(٣) .

تقول أم سلمة ل (أن رسول الله ﷺ صلى في بيتها بعد العصر ركعتين مرة واحدة) ^(٤) .

(١) مصنف ابن أبي شيبة ، كتاب صلاة التطوع والإمامة ، باب من رخص في الركعتين بعد العصر ، حديث رقم : ٣٢٣٧ .

(٢) شرح معاني الآثار للطحاوي ، باب الركعتين بعد العصر ، حديث رقم : ١١٤٢ .

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ، كتاب الصلاة ، باب ذكر البيان أن هذا النهي مخصوص ببعض الصلوات دون بعض ، حديث رقم : ٤٠٩٢ .

(٤) السنن الكبرى للنسائي ، مواقيت الصلاة - ذكر الرخصة في الصلاة بعد العصر : ١٥٤٠ .

وقالت **ل** : (ما رأيته صلاحها قبلها ولا بعدها)^(١) .

ويجمع هذا الخلاف أن الله تعالى خص نبيه ﷺ بصلاة النافلة بعد العصر ، وأنه ﷺ كان يصليهما في بيته عند عائشة **ل** ، ولم تره أم سلمة **ل** ولا ابن عباس **م** ، ولذلك قالت السيدة عائشة **ل** : وكان (لا يصليها في المسجد مخافة أن تثقل على أمته ، وكان يحب ما خفف عنهم)^(٢) ، ويؤكد خصوصية النبي ﷺ في ركعتي مابعد العصر ما تحدثت به عائشة **ل** أنه ﷺ كان يصلي بعد العصر وينهى عنها ، ويواصل وينهى عن الوصال)^(٣) .

وقد استنبط الفقهاء من أحاديث الباب أحكاما تتصل بصلاة النافلة بعد صلاة العصر ، وهذا ما سنشير إليه في تحليل أحاديث الباب .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

اتفق الفقهاء على جواز قضاء الفرائض بعد صلاة الصبح ، وبعد صلاة العصر بلا كراهة ، وذهب الأحناف إلى جوازها بعد العصر ، ومنعها بعد الفجر ، وذهبوا إلى أن من أدرك من صلاة الفجر المفروضة ركعة واحدة قبل طلوع الشمس بطلت صلاته ، خلافا لجمهور الفقهاء . أما السنن الرواتب فأجاز الشافعية أدائها ، ومنعها الأحناف والمالكية .

(١) مسند أحمد بن حنبل - مسند الأنصار ، حديث رقم : ٢٦٠١٠ .

(٢) معرفة السنن والآثار للبيهقي - كتاب الصلاة ، حديث رقم : ١٣٩٨ .

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ، كتاب الصلاة ، باب ذكر البيان أن هذا النهي مخصوص

ببعض الصلوات دون بعض ، حديث رقم : ٤٠٩٢ .

أما النوافل التي لها سبب مثل تحية المسجد ، وسجدة الشكر وصلاة الاستسقاء، والرواتب الفائتة ، فقد أجازها الشافعية في أوقات النهي بلا كراهة ، ومنعها الأحناف .

وتكره النوافل المطلقة عند الجمهور خلافا للظاهرية .

واستثنى الفقهاء من الخلاف صلاة الجنازة ، فقد أجازوها جميعا إلا الأحناف ، والحنابلة منعوها عند طلوع الشمس، وعند غروبها ، وأجازوها قبل ذلك بعد فريضة الصبح والعصر .

واستثنى الشافعية ركعتي الطواف من المنع خلافا لغيرهم من الفقهاء ^(١) وبين الفقهاء حوار طويل في هذا الموضوع ، فليرجع إلى كتب الفقه من أراد المزيد .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أحكام صلاة ركعتين بعد صلاة العصر مع توضيح سبب صلاة رسول الله ﷺ لهما .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز ... أهمها :-

الركيزة الأولى

حرص الصحابة على معرفة الحق

علم الصحابة - رضوان الله عليهم - من رسول الله ﷺ أنه نهى عن صلاة السنة بعد صلاة العصر ، فكرهوا ذلك واستمروا على عدم

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ج ٢ ص ٤٧٦ وما بعدها .

القيام بسنة بعد صلاة العصر ، وكان عمر ﷺ يصرف الناس عن الصلاة بعد صلاة العصر فلما علم الصحابة أن عائشة - رضي الله عنها - تصلي ركعتين بعد صلاة العصر ، اصبروا على الوقوف على الحكم الشرعي الصحيح في هذا الأمر ، فسألوا عائشة - رضي الله عنها - ، وسألوا أم سلمة - رضي الله عنها - ، فعلموا أن رسول الله ﷺ قضى بهذه الصلاة ما فاتته من سنة الظهر .

وعاش الفقهاء والمحدثون مع هذه المسألة ، وفصلوا في أحكامها ، وبراهينها ، حتى صارت معلومة لكل عاقل مخلص ، والدلالة العامة لكل هذا هو تأكيد إخلاص الصحابة ﷺ والتابعين في اتباع هدي الله ﷻ ورسوله ﷺ .

الركيزة الثانية **دور أمهات المؤمنين في نشر الإسلام**

علم أمهات المؤمنين دورهن مع الإسلام بقوله تعالى ﴿وَأذْكُرَنَّ مَا يَتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ (١) أي تعلمنه وأذكرنه للمؤمنين والمؤمنات ليقوموا به ، ففي بيوتكن ينزل الوحي ، ويقرأ القرآن ، وتتلّى الأحاديث ، وتبدو الآيات في دقة وإيجاز ، ولهذا كانت أمهات المؤمنين حريصات على نقل ما سمعنه ، وشاهدنه من رسول الله ﷺ ، وعلم المسلمون هذا الدور لأمهات المؤمنين فكانوا يقصدونهن لمعرفة أحكام دينية يريدون معرفتها ، ويأخذون منهن ما قلنه عن رسول الله ﷺ

(١) سورة الأحزاب الآية : ٣٤ .

فهو الوحي المنزل ، والصراط المستقيم ، وبعد انتقال رسول الله ﷺ ظلل - رضوان الله عليهن - مأوى الباحثين عن أقوال وأفعال رسول الله ﷺ ، وكثيرا ما اشتركن في القضايا العامة ملتزمات بما كن عليه مع رسول الله ﷺ .

وقمن - رضوان الله عليهن - بتبليغ ما عندهن من وحي ، واستمرت مكانتهن عند المؤمنين أمهات لهم .

وظهر دور امهات المؤمنين في الدعوة ونشر الإسلام من خلال
كثرة مروياتهن للحديث ، وتعدد آرائهن في التفسير ، وتنوع فتاويهن في الأحكام الشرعية لأفعال المكلفين العملية .

وهذا الدور الخالد لأمهات المؤمنين ، يجب أن يبقى منهاج الزوجات العلماء الذين يشغلون وقتهم بالبحث والدرس والتدوين حتى ينتشر العلم بين الناس ، ويبقى علم العلماء بين المسلمين .

الركيوزة الثالثة

حُسن الخلق في التعامل العلمي

غاية العلماء والدعاة الوصول للحقيقة ، وتوصيلها للناس ، وليس لهم هدف آخر ، ولذلك تلقوا العلم ونقلوه في إطار من الخلق الكريم ، والإخلاص للحقيقة وحدها .

لقد علم رسول الله ﷺ أصحابه بأهمية الخلق ، وضرورته في حياة المسلمين ، فقال ﷺ : **(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)** (١) وكان ﷺ

(١) السنن الكبرى للبيهقي ، كتاب الشهادات ، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها ، حديث

إذا أراد إرشاد قوم لا يخصصهم بالذكر ، وإنما كان يقول في الجمع الغفير :
(ما بال أقوام يقولون كذا وكذا) ، وتخلق الصحابة الكرام بخلق رسول
الله ﷺ ، وهامهم يرسلون لعائشة **ل** يسألونها عن صلاة رسول الله ﷺ
ركعتين بعد العصر ، ويأمرون الرسول بالسلام قبل الطلب ، والتأدب في
السؤال ، ويرجع إليهم ثم يعود لأُم سلمة **ل** بنفس الأدب والاحترام .
وبنفس الخلق الكريم تحاول أم سلمة ل معرفة الحكم من
رسول الله ﷺ كما وضحته أحاديث الباب .

إن العلم نور يقوم على الخلق وحسن المعاملة ، والله يوفق لعلمه
من يشاء ، وكما يشاء ، ولذلك وجب على طلاب المعرفة أن يتأدبوا لمن
يتعلمون منهم ، ويتجنبوا المعاصي ليفتح الله أنوار العلم ومساربه ، وصدق
الإمام الشافعي وهو يقول :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يعطى لعاصي
لا يتحقق العمل الطيب ، والتعاون الخير إلا بالخلق ، ولن يقبل
طلاب العلم على من ساء خلقه ، وغلظ طبعه ، لقول الله تعالى لرسوله
ﷺ : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (١) .

لقد اختلف العلماء الأول وتعاضت أراؤهم ، وبقي الود بينهم ، وهذا
حال نسوقه للدعاة ليتعاونوا على نشر دين الله تعالى .

(١) سورة آل عمران الآية : ١٥٩ .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الأحاديث

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية : -

- (١) ضرورة التثبت من الحكم بسؤال العالمين به .
- (٢) أهمية احترام التلميذ لشيخه ، والصغير للكبير ليسود التآلف بين الناس .
- (٣) التقديم للطلب بشيء من الأدب والتواضع .
- (٤) ضرورة تمييز المرسل بالصدق ، والأمانة ، والفتنة لينقل السؤال ويرجع بالإجابة بدقة تامة .
- (٥) مراعاة حال المسئول ، وتخير الطرف المناسب لسؤاله .
- (٦) دقة الصحابة في البحث والمعرفة .

- ٣٩ -

٥٥ - باب استحباب ركعتين قبل صلاة المغرب

حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، قَالَ : كَانَ الْمُؤَذِّنُ إِذَا أَدَّنَ ، قَامَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَبْتَذِرُونَ السَّوَارِيَ حَتَّى يَخْرُجَ

[٤٧٩]، (١)

٦٢٥

النَّبِيُّ ﷺ وَهُمْ كَذَلِكَ يُصَلُّونَ الرَّكَعَتَيْنِ قَبْلَ الْمَغْرِبِ ، وَلَمْ

يَكُنْ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ شَيْءٌ ^(١)

- أ -

موضوع أحاديث الباب

يبين الحديث حكم صلاة ركعتين خفيفتين بين الأذان والإقامة في صلاة المغرب .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يقول انس بن مالك رضي الله عنه : (كَانَ الْمُؤَذِّنُ إِذَا أَدَّنَ) لم يبين أنس رضي الله عنه في الحديث لأي صلاة كان هذا الأذان ، إلا أن رواية مسلم تحدد أن المراد بالحديث الأذان لصلاة المغرب في روايته عن أنس رضي الله عنه قال : (كُنَّا بِالْمَدِينَةِ إِذَا أَدَّنَ الْمُؤَذِّنُ لَصَلَاةِ الْمَغْرِبِ ابْتَدَرُوا السَّوَارِيَ ، فِيرْكَعُونَ رَكَعَتَيْنِ ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ الْغَرِيبَ لِيَدْخُلَ الْمَسْجِدَ فَيَحْسِبُ أَنَّ الصَّلَاةَ قَدْ صَلَّيْتُ مِنْ كَثْرَةِ مَنْ يَصْلِيهِمَا) ^(٢).

(١) أخرجه البخاري في: ١٠ كتاب الأذان: ١٤ باب كم بين الأذان والإقامة.

(٢) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب ركعتين قبل صلاة

المغرب ، حديث رقم : ١٤٢٨ .

(قَامَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ) أي قام أشخاص من أصحابه ﷺ وصلوا ركعتين قبل الإقامة ، ونكر الحديث (نَاسٌ) للتعظيم ؛ لأنهم كانوا من كبار الصحابة ، لما روي أنه (كَانَ إِذَا نُودِيَ لِلْمَغْرِبِ ، قَامَ كِبَارُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَبْتَدِرُونَ السَّوَارِيَ يَصْلُونَ الرُّكْعَتَيْنِ) (١) .

و(يَبْتَدِرُونَ السَّوَارِيَ) أي يستبقون أعمدة المسجد ، ويستترونها بها ، ويصلون ركعتين قبل القيام للصلاة (حَتَّى يَخْرُجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُمْ كَذَلِكَ يُصَلُّونَ الرُّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْمَغْرِبِ) ، ويراهم النبي ﷺ على حالهم وهم يصلون خلف السواري (وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ شَيْءٌ) أي لم يكن بينهما وقت طويل ، وقد أقر النبي ﷺ تلك الصلاة ولم يعترض عليها ، ولم يصلها ، فدل ذلك على أنها مستحبة .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يدل حديث الباب على استحباب صلاة ركعتين بين آذان وإقامة المغرب وهو الصحيح .

وللسلف في هذه المسألة مذهبان : -

المذهب الأول : الاستحباب ، وهو رأي جماعة من الصحابة والتابعين ، ومن المتأخرين أحمد وإسحاق بن راهويه ، وأصحاب الحديث - رضوان الله عليهم أجمعين .

المذهب الثاني : عدم الاستحباب ، وقد ذهب إلى ذلك الخلفاء الأربعة

(١) مشاكل الآثار للطحاوي ، باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله ﷺ ، حديث : ٤٧٩٩

وغيرهم من الصحابة والتابعين ومن الفقهاء مالك ، وأكثر الفقهاء .
وحجتهم : أن هاتين الركعتين تؤديان إلى تأخير صلاة المغرب عن أول وقتها .

والمختار أنها صلاة مستحبة لصحة الأحاديث التي جاءت بشأنها ، ولقوله ﷺ : (**صلوا قبل المغرب ركعتين** " ، ثم قال : " **صلوا قبل المغرب ركعتين** " ، ثم قال عند الثالثة : " **لمن شاء**)^(١). أي قال ﷺ لمن شاء بعد ثلاث أو أربع مرات .

وأما القول بأنها تؤدي إلى تأخير صلاة المغرب فهذا كلام غير مسلم ؛ لأن زمنه يسير لا تتأخر به الصلاة عن أول وقتها ... والزعم بنسخ الحديث لا يجوز لصحة التأويل ببقائه^(٢).

وهاتان الركعتان ليستا من الرواتب ، ولذلك لم يؤدهما كثير من الصحابة ومن بعدهم ، وقد منعهم الشغل عنهما .

ومجموع الأدلة ترشد إلى أدائهما خفيفتين مثل ركعتي الفجر
والحكمة في الندب إلى هاتين الركعتين رجاء إجابة الدعاء ؛ لأن الدعاء بين الآذان والإقامة لا يرد ، وكلما كان الوقت أشرف كان ثواب العبادة فيه أكثر .

(١) صحيح ابن خزيمة ، باب إباحة الصلاة عند غروب الشمس وقبل صلاة المغرب ، حديث رقم : ١٢١٧ .

(٢) شرح النووي ج ٢ ص ٤٨٧ ، ٤٨٨ .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب استحباب صلاة ركعتين بين آذان المغرب وبين إقامته ، ويوضح ما كان يفعله الصحابة حين يسمعون صلاة المغرب ، لأنهم كانوا يتبادرون إلى أعمدة المسجد يتخذونها ستارا يصلون وراءها ركعتين خفيفتين قبل إقامة الصلاة ليسمحوا للداخل بالمرور ، وقد أقرهم النبي ﷺ عليها .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في حديث الباب

يتضمن حديث الباب ركيزة هامة هي :

الرغبة في زيادة الخير

الخير كله في عبادة الله تعالى ، فقد خلق الإنسان لذلك ، وحين يقوم الإنسان بواجبه يمتلكه السرور ، ويشعر بالرضا ويسعى للمزيد .
ومن هنا أسرع المسلمون لصلاة ركعتين خفيفتين بعد صلاة المغرب وقبل الإقامة لعلمهم أن الدعاء أرجى قبولا بين الآذان والإقامة ، فبادروا إلى صلاة هاتين الركعتين ، وقد أقر النبي ﷺ أصحابه على هذه الصلاة ، واستحبها الفقهاء والمحدثون ، وغاية هذه الصلاة شكر الله تعالى على أن أعانهم ، ورزقهم ، ومكنهم مما هم فيه من معاش حسن ، وعطاء جميل .

ويمكن فهم نوايا المصلين في أداء هاتين الركعتين على أساس أنهم قصدوا بها شكر الله تعالى على ما مكنهم منه في يومهم ، والأمل أن يعمهم برحمته وعونه ليدأوموا على الطاعة والعبادة ، وما أقرهم رسول الله

ﷺ على هذه الصلاة إلا لما رأى فيهم من صدق النية ، ورجاء القبول ،
فصدقوا الله فصدقهم ، وأجزل جزاءهم .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من حديث الباب الفوائد التالية : -

- (١) سعادة المؤمن في اتصاله بربه ﷻ .
- (٢) من علامات الإخلاص الإقبال على طاعة الله تعالى .
- (٣) خير ما يقوم به المسلم المحافظة على الدين .

- ٤٠ -

٥٦ - باب بين كل أذانين صلاة

[٤٨٠]، (١) حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : بَيْنَ كُلِّ

٦٢٧ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ ، بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ ثُمَّ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ : لِمَنْ شَاءَ^(١)

- أ -

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب استحباب صلاة ركعتين بين الأذان والإقامة في كل صلاة من الصلوات الخمس .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يقول عبد الله بن معقل رضي الله عنه : (قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ ، بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ ثُمَّ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ : لِمَنْ شَاءَ) ومراده ﷺ بالأذانين ، الأذان والإقامة في كل صلاة ، فسمى رسول الله ﷺ الإقامة آذانا من قبيل المغالبة .

وكرر النبي ﷺ التذكير بالصلاة بين الأذانين لبيان أهميتها ، ومشروعيتها ، كما هو ثابت في النوافل الراتبة وغيرها ، ... راجين إجابة الدعاء ، وتنشيط النفس للصلاة ... وحتى لا يؤدي هذا التكرار إلى الوجوب ، أو التأكيد قال ﷺ بعد الثالثة (لِمَنْ شَاءَ) أي إن أداء هاتين الركعتين مستحب لم أراد .

(١) أخرجه البخاري في: ١٠ كتاب الأذان: ١٦ باب بين كل أذانين صلاة لمن شاء .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

صلاة ركعتين بين الأذان والإقامة سنة مستحبة في كل صلاة ، وقد أجمع الفقهاء والمحدثون على ذلك ، ولم يختلفوا إلا في صلاة الركعتين بعد آذان المغرب وقبل الإقامة ، وقد بينت ذلك في الباب السابق .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب جواز صلاة ركعتين خفيفتين بين الأذان والإقامة في كل صلاة من الصلوات الخمس .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في حديث الباب

يتضمن حديث الباب ركيزة هامة ... هي : -

رغبة المؤمن في التواصل مع الله تعالى

شرع الله تعالى للمسلم سبل الاتصال به ، فالتدبر والتأمل في ملكوت الله يؤدي إلى الاتصال به ، وكذلك قراءة القرآن الكريم ، وسائر الطاعات القولة والعملية ، وكان المسلم يتبع ما نزل الله تعالى ويفعله ، ويبحث عن غيره حتى لا يفوته ، ومن ذلك قيامه للصلاة بعد آذان المغرب عند الآذان آملين نوال الخير في وقت استجابة الدعاء .

وبقي حكم صلاة الركعتين بين الأذان والإقامة عملاً مندوباً يثاب فاعله ، ولا يعاقب تاركه .

وأداء ركعتين بين الأذان والإقامة قبل صلاة المغرب يسائر الفطرة البشرية ، ويوافق الصلوات الأخرى ... أما مسابقتها للفطرة البشرية ، فقد جبل الإنسان على سرعة الإقدام على من يحبه ويحنو عليه كإقبال

الوليد على أمه ، وسرور الحبيب لمن أحبه ، وقد جرت عادة الناس أن يقدموا عليهم من يصنع معروفا ، ويحافظون على تحسين معاملته بالقول الطيب ، والهدية البسيطة ، والتودد إليه بكل جميل ممكن ، ومن السنة تقديم الطاعة قبل الطلب ، وعلى هذا تكون الركعتان بين الأذان والإقامة في صلاة المغرب ملائمة للفطرة ، تؤكد شكر الله تعالى على نعمه وتهئ النفس للخشوع التام في صلاة الفرض بعدها .

وهاتان الركعتان قبل المغرب تتفق مع الصلوات الأخرى فلكل صلاة سنة قبلها ، ولذلك توافقت الركعتان مع سنة باقي الصلوات .
إن التقاء المسلم مع ربه في الصلاة يريح النفس ، ويهدئ الخواطر ، ويزيل كثيرا من المخاوف التي تعيش مع الناس ، ولذلك حسنت السنة قبل الصلاة إعدادا للخشوع الواجب .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من حديث الباب الفوائد التالية : -

- ١- استحباب صلاة ركعتين خفيفتين بعد آذان المغرب وقبل الإقامة .
- ٢- المسارعة إلى الطاعة عقب الأذان استجابة للنداء .
- ٣- الصلاة راحة للنفس ورياضة للروح .

- ٤١ -

٥٧ - باب صلاة الخوف

(١)، [٤٨١] حديث ابن عمر م أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى بِإِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ

٤١٣٣

وَالطَّائِفَةُ الْأُخْرَى مُوَاجِهَةً الْعَدُوِّ، ثُمَّ انْصَرَفُوا ، فَقَامُوا فِي مَقَامِ
أَصْحَابِهِمْ ، فَجَاءَ أُولَئِكَ فَصَلَّى بِهِمْ رَكْعَةً ، ثُمَّ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ
قَامَ هَؤُلَاءِ فَقَضَوْا رَكْعَتَهُمْ، وَقَامَ هَؤُلَاءِ فَقَضَوْا رَكْعَتَهُمْ (١)

(٢)، [٤٨٢]

٤١٣١

حديث سهل بن أبي حثمة ؓ قَالَ : يَقُومُ الْإِمَامُ مُسْتَقْبِلَ
الْقِبْلَةِ، وَطَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَهُ، وَطَائِفَةٌ مِنْ قِبَلِ الْعَدُوِّ، وَجُوهُهُمْ إِلَى
الْعَدُوِّ، فَيُصَلِّي بِالَّذِينَ مَعَهُ رَكْعَةً، ثُمَّ يَقُومُونَ فَيَرْكَعُونَ
لَأَنْفُسِهِمْ رَكْعَةً، وَيَسْجُدُونَ سَجْدَتَيْنِ فِي مَكَانِهِمْ، ثُمَّ يَذْهَبُ
هَؤُلَاءِ إِلَى مَقَامِ أُولَئِكَ فَيَرْكَعُ بِهِمْ رَكْعَةً، فَلَهُ ثِنْتَانِ، ثُمَّ
يَرْكَعُونَ وَيَسْجُدُونَ سَجْدَتَيْنِ (٢).

(٣)، [٤٨٣]

٤١٢٩

حديث خواتِ بنِ جُبَيْرِ ؓ عَنْ صَالِحِ بْنِ خَوَاتِ ؓ عَمَّنْ
شَهِدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ ذَاتِ الرِّقَاعِ صَلَّى صَلَاةَ الْخَوْفِ؛ أَنَّ
طَائِفَةً صَفَّتْ مَعَهُ، وَطَائِفَةٌ وَجَّاهَ الْعَدُوَّ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ مَعَهُ
رَكْعَةً، ثُمَّ ثَبَتَ قَائِمًا، وَأَتَمُّوا لَأَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ انْصَرَفُوا فَصَفُّوا
وَجَّاهَ الْعَدُوَّ وَجَّاهَتِ الطَّائِفَةُ الْأُخْرَى فَصَلَّى بِهِمُ الرَّكْعَةَ الَّتِي
بَقِيَتْ مِنْ صَلَاتِهِ ، ثُمَّ ثَبَتَ جَالِسًا وَأَتَمُّوا لَأَنْفُسِهِمْ ، ثُمَّ سَلَّمَ

(١) أخرجه البخاري في: ٦٤ كتاب المغازي: ٣١ باب غزوة ذات الرقاع .

(٢) أخرجه البخاري في: ٦٤ كتاب المغازي: ٣١ باب غزوة ذات الرقاع .

بِهِمْ^(١)

حديث جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِذَاتِ الرَّقَاعِ، فَإِذَا

[٤٨٤]، (٤)

أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرْكَنَاهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ

٤١٣٦

الْمُشْرِكِينَ وَسَيْفُ النَّبِيِّ ﷺ مُعَلَّقٌ بِالشَّجَرَةِ ، فَاخْتَرَطَهُ،

فَقَالَ: تَخَافُنِي ؟

قَالَ ﷺ : لَا .

قَالَ: فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟

قَالَ ﷺ : اللَّهُ .

فَتَهَدَّدَهُ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ ، وَأَقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَصَلَّى ﷺ

بِطَائِفَةٍ رَّكَعَتَيْنِ ثُمَّ تَأَخَّرُوا، وَصَلَّى بِالطَّائِفَةِ الْأُخْرَى رَّكَعَتَيْنِ؛

وَكَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعٌ، وَلِلْقَوْمِ رَّكَعَتَانِ^(٢).

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب مشروعية صلاة الخوف ، وتوضح كيفية أدائها

سفراً أو حضراً مع الإمام ، وتقدم عدداً من صورها .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على أربعة أحاديث تبين أحكام صلاة الخوف في

السفر والحضر .

(١) أخرجه البخاري في: ٦٤ كتاب المغازي: ٣١ باب غزوة ذات الرقاع .

(٢) أخرجه البخاري في: ٦٤ كتاب المغازي: ٣١ باب غزوة ذات الرقاع .

ففي الحديث الأول : الذي رواه ابن عمر - رضي الله عنهما -
يبين كيفية صلاة الخوف قصرا في السفر أثناء مواجهة العدو ، والقبلة في
غير جهة العدو ، فيؤكد (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى بِإِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ) أي
أنه ﷺ قسم أصحابه المجاهدين إلى طائفتين ، فصلى بأحدهما ركعة
واحدة إلى القبلة ، وكانت (الطَّائِفَةُ الْأُخْرَى مُوَاجِهَةً الْعَدُوَّ) فلما صلى
رسول الله ﷺ بالطائفة الأولى ركعة (انصرفتوا) إلى إخوانهم (فَقَامُوا فِي
مَقَامِ أَصْحَابِهِمْ) في مواجهة العدو (فَجَاءَ أُولَئِكَ) وهم الفريق الثاني (فَصَلَّى
بِهِمْ) رسول الله ﷺ (رُكْعَةً ثُمَّ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ) أي سلم الرسول ﷺ فقد أتم
الصلاة ، وبعد ذلك أتمت كل طائفة صلاتها بصلاة ركعة ، وهو معنى
قوله ﷺ (ثُمَّ قَامَ هَؤُلَاءِ فَقَضَوْا رُكْعَتَهُمْ) (وَقَامَ هَؤُلَاءِ فَقَضَوْا رُكْعَتَهُمْ)
الباقية مثل الطائفة الأولى .

وفي هذه الصورة يتضح ما يلي :

- ١- الصلاة كانت قصرا للسفر .
- ٢- وأن النبي ﷺ صلى بكل فريق ركعة واحدة .
- ٣- وأن الفريق الأول حضر مع النبي ﷺ تكبيرة الإحرام ، وحضر
الفريق الثاني مع النبي ﷺ التشهد .
- ٤- وأن النبي ﷺ بعد أن صلى الركعة الثانية سلم ، وأن كل فريق
صلى وحده الركعة الباقية في صورة الجماعة وكأن الرسول ﷺ إمامهم
وفي الحديث الثاني : يقول سهل بن حثمة رضي الله عنه مصورا كيفية صلاة
الخوف مع الإمام ، يقول : (يَقُومُ الْإِمَامُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ، وَطَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَهُ ،

وَطَائِفَةٌ مِنْ قَبْلِ الْعَدُوِّ، وَجُوهُهُمْ إِلَى الْعَدُوِّ، فَيُصَلِّيُ) الإمام (بِالَّذِينَ مَعَهُ رُكْعَةً، ثُمَّ يَقُومُونَ فَيَرْكَعُونَ لِأَنْفُسِهِمْ رُكْعَةً) ثانية متصلة بالأولى (وَيَسْجُدُونَ سَجْدَتَيْنِ فِي مَكَانِهِمْ) ، ويتشهدون ويسلمون .

(ثُمَّ يَذْهَبُ هَؤُلَاءِ إِلَى مَقَامِ أُولَئِكَ) ويأتون إلى رسول الله ﷺ فيصلي بهم (فَيَرْكَعُ بِهِمْ رُكْعَةً،) ثانية (فَلَهُ ثِنْتَانِ) فيسلم ويتم هؤلاء صلاتهم فيقومون (ثُمَّ يَرْكَعُونَ وَيَسْجُدُونَ سَجْدَتَيْنِ) ويسلمون.

وهذه الصورة في صلاة الخوف تفيد أن الفريق الأول ينوي الصلاة خلف النبي ﷺ متجها للقبلة ، ويصلي الركعة الأولى ، وبعدها يقوم للركعة الثانية ليتم صلاته وحده مفارقا لرسول الله ﷺ ، على أن يأتي الفريق الثاني بعده ، ويصلي خلف النبي ﷺ ركعة يسلم الرسول ﷺ بعدها ، ويتم الفريق الثاني صلاته بركعة ثانية ويسلم من غير فصل ، وهذه الصورة غير الصورة الأولى لأن كل طائفة تتم صلاتها قبل أن تعود للقتال **وفي الحديث الثالث :** يروي صالح بن خوات رضي الله عنه (بفتح الخاء المعجمة وتشديد الواو الممدودة بالالف وآخره تاء مثناة) وهو صالح بن جبير بن النعمان الأنصاري ، تابعي ثقة ، وأبوه صحابي من السابقين للإسلام ، وأول مشاهده أحد .

يروى صالح عن شهد مع رسول الله ﷺ يوم ذات الرقاع صلاة الخوف ، ويصور كيفية صلاة النبي ﷺ في هذا اليوم . يروي (أَنَّ طَائِفَةً صَفَّتْ مَعَهُ) أي مع النبي ﷺ (وَطَائِفَةٌ وَجَّاهَ الْعَدُوَّ) أي في اتجاهه (فَصَلَّى) النبي ﷺ (بِالَّتِي مَعَهُ رُكْعَةً، ثُمَّ ثَبَتَ قَائِمًا) ففارقت الطائفة (وَأَتَمُّوا

لأنفسِهِمْ، ثُمَّ انصَرَفُوا) وَخَلُّوا مَكَانَ الطَّائِفَةِ الثَّانِيَةِ (وَجَاءَتِ الطَّائِفَةُ الْأُخْرَى) وَالنَّبِيُّ ﷺ يَنْتَظِرُهُمْ وَاقِفًا (فَصَلَّى بِهِمُ الرُّكْعَةَ الَّتِي بَقِيَتْ مِنْ صَلَاتِهِ) وَفَارَقَتْهُ الطَّائِفَةُ الثَّانِيَةُ ، وَأَتَمَّتْ صَلَاتَهَا بِصَلَاةِ رُكْعَةٍ ثَانِيَةٍ (ثُمَّ ثَبَّتَ ﷺ جَالِسًا) حَتَّى تَتِمَّ الطَّائِفَةُ الثَّانِيَةُ رُكْعَتَهَا الثَّانِيَةَ ، وَتَجْلِسَ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي يَنْتَظِرُهُمْ فَيَسْلُمُونَ بِسَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وهذه الصورة تشير إلى انفرادها بما يلي : -

١- كانت كل طائفة تتم صلاتها ، فتصلي خلف رسول الله ﷺ الركعة الأولى ، وتقوم على الفور وتصلي الركعة الثانية ، بعد مفارقة النبي ﷺ .

٢- انتظر رسول الله ﷺ الطائفتين ، ولم يخرج من صلاته ، فكبر تكبيرة الإحرام مع الطائفة الأولى ، وسلم مع الطائفة الثانية .

وفي الحديث الرابع : يقول جابر بن عبد الله ﷺ : (كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِذَاتِ الرَّقَاعِ) أَي فِي الْغَزْوَةِ الَّتِي سَمِيَتْ بِهَذَا الْأَسْمِ ، وَعِنْدَ اسْتِرَاحَتِنَا (فَإِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ) أَي وَجَدْنَا شَجَرَةً كَثِيفَةَ الظِّلِّ لكَثْرَةِ وَرْقِهَا ، فَ(تَرَكْنَاهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ) فَعَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ سَيْفَهُ عَلَى الشَّجَرَةِ ، وَنَامَ تَحْتَ ظِلِّهَا (فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) وَهُوَ غُورَثُ بْنُ الْحَارِثِ (وَسَيْفُ النَّبِيِّ ﷺ مُعْلَقٌ بِالشَّجَرَةِ) كَمَا عَلَّقَهُ النَّبِيُّ ﷺ (فَاخْتَرَطَهُ) الرَّجُلُ أَي أَخَذَ السَّيْفَ وَأَسْرَعَ بِتَهْدِيدِ النَّبِيِّ ﷺ (، فَقَالَ) لَهُ الرَّجُلُ : (تَخَافُنِي) ؟ أَي أَتَخَافُنِي ؟ ، وَهَمَزَةُ الاسْتِفْهَامِ مُحَذَوْفَةٌ لِلْعِلْمِ بِهَا .

(قَالَ) له النبي ﷺ : (لَا) .

(قَالَ) الرجل : (فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي) ؟ ، منكرا وجود مانع يحول بينه وبين قتل رسول الله ﷺ .

(قَالَ) النبي ﷺ : (الله) أي الذي يمنعني منك الله ، فسقط السيف من يده ويبدو من دلالة الحديث أن الرجل رأى ما يمنعه من قتل رسول الله ﷺ ، ويرده لأن الرسول ﷺ كان جالسا ، وكان الرجل قائما ، والسيف في يده ، ولم يكن في حاجة لمراجعة رسول الله ﷺ ، وسؤاله عما يمنعه منه يريد أن يعرف المانع الذي يصرفه عن القتل ؛ لأنه لو لم يجد هذا المانع لباشر القتل بلا سؤال لينال حظوة كبرى عند قومه إذا قتل رسول الله ﷺ ، لكنه لم يفعل لوجود ما يمنعه من أذى رسول الله ﷺ ، ويوضح هذا رواية ابن اسحاق وهو يقول : (ودفع جبريل في صدره فوق السيف من يده فأخذه رسول الله ﷺ وقام على رأسه .

فقال ﷺ : من يمنعك مني ؟

قال الرجل : لا أحد ^(١) .

فدعا النبي ﷺ أصحابه ليروا ما وقع للرجل وهو جالس عند رسول الله ﷺ بلا عقوبة أو أذى (فَتَهَدَّدَهُ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ) أي هددوه ، وتوعده لمعاقبته على ما فعل مع رسول الله ﷺ .

فلما رأى الصحابة الرجل جالسا تعجبوا من عدم معاقبته على عدوانه .

(١) دلائل النبوة للبيهقي ، باب : غزوة غطفات ، حديث رقم : ١٠٣١ .

فلما أخبر النبي ﷺ أصحابه بقصة الرجل عرفهم بأنه من على الرجل لشدة رغبة النبي ﷺ في استئلاف قلوب الكفار ، ليدخلوا في الإسلام ، ولذلك عفا ﷺ عن الرجل ، ولم يعاقبه ، فـ (أدبر الرجل ثم أقبل بوجهه ثم قال : والله لأنت خير مني)^(١).

(وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ) أي وبعد ذلك أقيمت الصلاة (فَصَلَّى النبي ﷺ بِطَائِفَةٍ رَكْعَتَيْنِ) ثم سلم (وَصَلَّى بِالطَّائِفَةِ الْأُخْرَى رَكْعَتَيْنِ) فكان رسول الله ﷺ مع الأولى مفترضا ومع الثانية متنفلا (وَكَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعُ) ركعات (وَلِلْقَوْمِ رَكْعَتَانِ)

وبذلك تكون صورة الصلاة في هذا الحديث : -

١- ان النبي ﷺ صلى أربع ركعات ، سلم فيهما تسليمتين ،

تسليمة مع الطائفة الأولى ، وتسليمة مع الطائفة الثانية .

٢- وأن كل طائفة صلت ركعتين خلف النبي ﷺ ، وكبرت

كل طائفة معه تكبيرة الإحرام ، وسلمت معه ﷺ .

٣- صلى الرسول ﷺ فرضا مع الطائفة الأولى ، ونفلا مع

الطائفة الثانية ، وهذا صحيح عند من يجيز صلاة الخوف

وقد تحدث الفقهاء والمحدثون عن صور أخرى لصلاة الخوف

سنبينها في البيان التحليلي لأحاديث الباب .

وقد دارت الأحداث المذكورة في غزوة ذات الرقاع ، فمتى كانت هذه

(١) دلائل النبوة للبيهقي ، باب : غزوة غطفات ، حديث رقم : ١٠٣١ .

الغزوة ؟ ولم سميت بهذا الأسم ؟

وقعت غزوة ذات الرقاع سنة خمس من الهجرة بأرض غطفان من نجد
وسميت بهذا الأسم لأن أقدام المسلمين نقبت من الحفاء ، فلفوا عليها
الخرق وقيل : سميت بذلك الإسم لجبل فيها يسمى بهذا الأسم لتعدد
ألوانه وتداخلها ... وقيل : سميت بشجرة هناك ، يقال لها " ذات الرقاع "
.... وقيل : لأن المسلمين رقعوا فيها راياتهم

ويمكن القول بأن كل ذلك كان سببا للتسمية ، حيث لا تعارض بينها ،
ويمكن جمعها معا ، ولم يرد ما يرجح اسما منها على غيره .

ومذهب العلماء كافة أن صلاة الخوف مشروعة اليوم كما كانت ،
ولم يخالف ذلك إلا أبو يوسف والمزني ، فقد قالوا : إن صلاة الخوف غير
مشروعة لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ ﴾ ^(١) فقد
اشتترط الآية لصلاة الخوف وجود رسول الله ﷺ مع الناس .

ويستدل الجمهور بأن الصحابة لم يزالوا على فعلها ، وأن عليا عليه السلام
صلاها ، ولا تخصيص في الآية برسول الله ﷺ ، وقد قال عليه السلام : (صلوا
كما رأيتموني أصلي) ^(٢)

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

بالنظر في أحاديث الباب تجد كيفيات معينة لصلاة الخوف :
أحدها: أن يصلي الإمام بطائفة ركعة ، وبالثانية ركعة ويسلم ، وتصلي

(١) سورة النساء الآية : ١٠٢ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب : الأذان ، باب : الأذان للمسافر .

كل طائفة ركعة ثانية بعد ذلك ، وبهذا أخذ الأشهب والأوزاعي ، وهو جائز عند الشافعي .

ثانيها : أن يصلي الإمام بطائفة ركعة ، وتقوم وتكمل وتصلي الثانية وتسلم ، وتأتي الطائفة الثانية وتصلي مع الإمام ركعة ، فيسلم الإمام ولا ينتظر أن تتم الطائفة الثانية صلاتها ، وتقوم الطائفة وتكمل الركعة الثانية وتسلم ... وبهذا أخذ مالك والشافعي وأبو ثور ، ومن تبعهم .

ثالثها : أن يصلي الإمام بالطائفة الأولى ركعة ، ويتركها تتم صلاتها ، وتأتي الطائفة الثانية وتصلي مع الإمام ركعته الثانية ، وينتظرها الإمام حتى تصلي ركعتها الثانية ، وتجلس وتسلم معه .

رابعها : أن يصلي الإمام بالطائفة الأولى ركعتين ويسلم ، ويصلي بالطائفة الثانية ركعتين ويسلم ، وتكون الركعتان الأخيرتان له نافلة .

هذا

وإن كانت الصلاة هي صلاة المغرب صلى بأحد الطائفتين ركعة ، وبالأخرى ركعتين ، وفي كل غزوة كان ﷺ يصلي بصحابته صلاة الخوف ، مختلفة عن سابقتها في كیفيتها ، مراعيًا ظروف الحذر والحيلة ، مع تمكين جميع الجيش من الصلاة والجماعة معه ﷺ ...

وبذلك تكون مشروعية صلاة الخوف فضلا من الله تعالى ورحمة ، وتخفيفا وتيسيرا على الأمة ، وتنبیها دائما على ضرورة أخذ الحذر من أعداء الله الذين يبعون في الأرض فسادا ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفَأَ نُورُ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(١).

(١) سورة الصف الآية : ٨ .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب مشروعية صلاة الخوف ، وتوضح كيفية ادائها ، والصور التي صلى بها رسول الله ﷺ صلاة الخوف مراعيًا أحوال المعركة، وظروف أصحابه .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز أهمها : -

الركيزة الأولى

ثقة النبي ﷺ في نصر الله تعالى

محمد ﷺ هو عبد الله ورسوله ، واجه وحده عناد الكفار ، وجهالة الضالين وقد عصمه الله تعالى منهم ، ونجاه من مكائدهم ، ووفقه وأصحابه ، وأعطاه القوة والتمكين ، وتلك إرادة الله تعالى ، يقول ﷺ : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾^(١) لقد قاد رسول الله ﷺ أصحابه في الغزوات ، وسار بهم إلى الأماكن البعيدة ، وأراه الله من آياته الكبرى ، فازداد يقينا وإيمانا ، وقد رأينا ذلك حين استظل بشجرة ، وعلق سيفه عليها ، فجاء أعرابي وأخذ السيف ، وهدد به الرسول ﷺ ، وقال له من يمنعك مني ؟ ، فلم يخف رسول الله ﷺ ، ولم يرتجف ، وإنما قال للرجل : الله وحده يمنعني منك .

(١) سورة القصص الآية : ٥ .

وهكذا كان رسول الله ﷺ في المواقف كلها واثقا بربه ، مؤملا في النصر ، متيقنا بوعد الله تعالى .

وشرع الله للمسلمين صلاة الخوف ليأخذوا حذرهم ضد عدائهم لأنهم يتربصون بهم الدوائر .

ويروى المحدثون سبب مشروعية صلاة الخوف أن رسول الله ﷺ صلى بأصحابه صلاة الظهر في جماعة واحدة ، ولم يترك مجموعة للحماية والدفاع ، ولم يشعر بهم الكفار ، فندموا واستعدوا لما قد يحدث في صلاة العصر ، فأخبر الله تعالى رسوله ﷺ بنوايا القوم ، وشرع له صلاة الخوف التي صلاحها في صلاة العصر ، ليصلوا وهم آمنون ويجاهدوا وهم مطمئنون لوعد الله تعالى .

الركيزة الثانية اليسر والدقة في التشريع

في كل جوانب الشريعة نجد اليسر والدقة بأحلى الصور وأوضحها ،
ففي الحرب والقتال شرع الله صلاة سماها " صلاة الخوف " تراعي وجود العدو وبحته عن ثغرة ينفذ منها لهزيمة المسلمين ، وتمكن المجاهد من القيام بالصلاة في دقة تامة ، وحكمة متناهية ، فقد شرع الله تعالى هذه الصلاة وأباح للمسلمين أدائها فرقا فرقا ليستمروا مواجهين لأعدائهم ، ويؤدون حق بربهم .

ومن علامات اليسر تنوع صور الصلاة ، واستفادة الجميع بإمامة رسول الله ﷺ ، ومن علامات الدقة تتابع الصحابة بين الصلاة ، ومواجهة العدو بانتظام .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد أحاديث الباب

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية :-

- ١- ظهور شجاعة النبي ﷺ وبقينه من نصر الله تعالى .
- ٢- ليس المراد بالخوف الرعب والفرع ، وإنما المراد ضرورة كسر العدو .
- ٣- الخوف يكون من القتال ، ومن أشياء أخرى عديدة .

- ٨ -

كتاب الجمعة

كتاب الجمعة

يوم الجمعة هو أفضل أيام الأسبوع ، وأحسنها عند الله تعالى ، جعله الله عيداً أسبوعياً للمسلمين ، ففيه تتوحد مشاعرهم ، وتوجههم له تعالى في منسك واحد ، وقد كان يوم الجمعة قبل الإسلام محل تقدير عند العرب يلتقي فيه خطبائهم وشعراؤهم ، للبيان والمفاخرة ، وسموه بـ (يوم العروبة) ، ومعناه البيان العظيم .

وأول من سمي اليوم بالجمعة هم الأنصار في المدينة ، فلقد جاءوا للنبي ﷺ وقالوا له : لليهود يوماً يجتمعون فيه كل سبعة أيام ، وكذا للنصارى ، فهل فلنجعل يوماً نجتمع فيه ، ونذكر الله ، نصلي له ، ونشكره ، فعرفهم الله تعالى بيوم الجمعة ، وهو يوم العروبة لديهم ، فلما اجتمعوا للصلاة سموه يوم الجمعة .

ويوم الجمعة يكون بمعنى اسم المفعول أي المجموع فيه ، ويكون بمعنى اسم الفاعل أي الجامع للناس ، والتاء في الجمعة للمبالغة .

عن سعد بن عبادة رضي الله عنه ، أن رجلاً قال : (يا رسول الله ، أخبرنا عن يوم الجمعة ، ماذا فيه من الخير ؟ قال ﷺ : " فيه خمس خلال : فيه خلق الله آدم عليه السلام ، وفيه أهبط الله آدم عليه السلام ، وفيه توفى الله آدم عليه السلام ، وفيه ساعة لا يدعو فيها مسلم إلا آتاه الله إياه ، ما لم يسأل إثماً ، أو قطيعة رحم ، وفيه تقوم الساعة ، ما من ملك مقرب ، ولا أرض ، ولا جبال ، ولا ريح إلا وهي تشفق من يوم الجمعة) ^(١)

(١) المطالب العالية للحافظ بان حجر العسقلاني ، كتاب النوافل ، باب من صلى بعد

- ١ -

باب الاستعداد ليوم الجمعة (١)

حديث عبد الله بن عمر م أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِذَا جَاءَ [٤٨٥]، (١)

أَحَدُكُمْ الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ (٢) . ٨٧٧

حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عَنِ ابْنِ عُمَرَ م أَنَّ عُمَرَ [٤٨٦]، (٢)

بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ فِي الْخُطْبَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ١٧٨
إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ
ﷺ، فَنَادَاهُ عُمَرُ: أَيَّةُ سَاعَةٍ هَذِهِ ؟

قَالَ: إِنِّي شُعِلْتُ فَلَمْ أَنْقَلِبْ إِلَى أَهْلِي حَتَّى سَمِعْتُ التَّأْدِينَ،
فَلَمْ أَزِدْ عَلَى أَنْ تَوَضَّأْتُ .

فَقَالَ عمر رضي الله عنه : وَالْوُضُوءُ أَيْضًا ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ كَانَ يَأْمُرُ بِالْغُسْلِ (٣)

- ١ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أهمية الاستعداد لصلاة الجمعة، بمثل الاغتسال

(١) لم يبوب الإمام النووي لكتاب الجمعة مكتفيا بشرحها مع المحافظة على تتابعها كما وردت في صحيح مسلم ، وجاء مؤلف اللؤلؤ والمرجان فوضع للأحاديث أبوابا ماعدا هذين الحديثين ، فوضعت لهما عنوانا وجعلتهما الباب الأول تحت عنوان (باب الاستعداد ليوم الجمعة)

(٢) أخرجه البخاري في: ١١ كتاب الجمعة: ٢ باب فضل الغسل يوم الجمعة وللحديث

روايات أخرى في صحيح البخاري تحت رقم : ٨٩٤ ، ٩١٩ .

(٣) أخرجه البخاري في: ١١ كتاب الجمعة: ٢ باب فضل الغسل يوم الجمعة ، وللحديث رواية

أخرى في البخاري تحت رقم : ٨٨٢ .

والتبكير ، والذكر ، والدعاء .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على حديثين يبينان كيفية الاستعداد لصلاة الجمعة ، والاستماع للخطبة .

ففي الحديث الأول : يؤكد ابن عمر **م** أن رسول الله ﷺ **(قَالَ:**

إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ) أي إذا أراد المجيء للجمعة فليغتسل ، والفاء في قوله ﷺ **(فَلْيَغْتَسِلْ)** للتعقيب ، وظاهرها أن الاغتسال يكون عقب المجيء ، وذلك لا يصح عقلا ، وهو غير مراد ، ولهذا قال المحدثون تقدير الكلام **(إذا اراد أحدكم المجيء ...)** ، ولقد جاء هذا المقدر مصرحا به في رواية مسلم بسنده عن نافع **رضي الله عنه** ، ولفظه **(إذا أراد أحدكم أن يأتي الجمعة فليغتسل)** ^(١) ونظير ذلك قوله تعالى : **(يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰتِكُمْ صَدَقَةٌ ۖ)** ^(٢) أي إذا أردتم مناجاة الرسول ﷺ فقدموا صدقة قبلها .

وبهذا التقدير في الحديث يظهر فساد من منع التقدير ، وحمل

الحديث على ظاهره ، وقال : إن الأمر بالغسل لليوم لا للجمعة ، وهو ظاهر البطلان ؛ لأنه لا غسل على من لا جمعة عليه ^(٣) .

وقد جاءت أحاديث عدة تؤكد ضرورة تقدير المحذوف في الحديث منها:

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجمعة ، حديث رقم : ١٤٣٨ .

(٢) سورة المجادلة الآية : ١٢ .

(٣) فتح الباري ج ٢ ص ٣٥٧ .

- (كان الناس ينتابون يوم الجمعة من منازلهم والعوالي ، فيأتون في الغبار يصيبهم الغبار والعرق ، فيخرج منهم العرق ، فأتى رسول الله ﷺ إنسان منهم وهو عندي ، فقال النبي ﷺ : " لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا)^(١) ومعنى ينتابون أي يأتون مجموعات .

يقول ابن دقيق العيد : في الحديث دليل على تعليق الأمر بالغسل بالمجيء إلى الجمعة ^(٢).

وفي الحديث الثاني : يقول ابن عمر **م** : (إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ فِي الْخُطْبَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ) ، أي إن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يخطب ويؤم أصحابه ، وهو خليفة ، وقد جرت أحداث الحديث وهو على المنبر يخطب ، بلا ترتيب سابق ، وأصل (بَيْنَمَا) (بين) اشبعت فتحت النون وزيدت ما ، فصارت بينما ، وهي تدل على المفاجأة ، وفي حتمية (إِذْ) بعدها تتأكد المفاجأة .

(إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ) ، أي فوجئ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بدخول رجل من المهاجرين الأوائل من أصحاب النبي ﷺ والمهاجرون الأولون اصطلاح يسمى به من صلى القبلتين ، أو من شهد بدرا ، أو من شهد بيعة الرضوان ، ولا شك أنها مراتب نسبية متفاوتة، والأول أولى في التعريف لسبقه ، فمن هاجر بعد تحويل القبلة قبل غزوة بدر هو آخر بالنسبة لمن هاجر قبل تحويل القبلة ، ومن شهد

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب من أين نؤتي الجمعة

(٢) فتح الباري ج ٢ ص ٣٥٨ .

بيعة الرضوان هو آخر لمن شهد بدرا .

والرجل الذي دخل هو عثمان بن عفان رضي الله عنه **(فَنَادَاهُ عُمَرُ)** رضي الله عنه باسمه ، وقال له : يا فلان **(أَيَّةُ سَاعَةٍ هَذِهِ؟)** ... والسؤال للإنكار ؛ لأن عمر رضي الله عنه رأى أن تأخر عثمان رضي الله عنه عن الحضور للمسجد قبل صعود الإمام على المنبر أمر يستحق اللوم ، واللوم الأكثر أن يكون المتأخر هو عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ولذلك سأله عمر رضي الله عنه سؤال توبيخ وإنكار ، وكأنه يقول له : لم تأخرت إلى هذه الساعة ؟ وقد ورد أن عمر رضي الله عنه قال : (لم تحتبسوا عن الصلاة) ؟ ^(١) . وقد عرض عمر رضي الله عنه به فقال : (ما بال رجال يتأخرون بعد النداء ؟) ^(٢) يشير بذلك إلى حديث رسول الله ﷺ الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه وفيه بين النبي ﷺ أن : (من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح ، فكأنما قرب بدنة ، ومن راح في الساعة الثانية ، فكأنما قرب بقرة ، ومن راح في الساعة الثالثة ، فكأنما قرب كبشا أقرن ، ومن راح في الساعة الرابعة ، فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح في الساعة الخامسة ، فكأنما قرب بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر) ^(٣) ، وقد فهم عثمان رضي الله عنه هذا التعريض فبادر إلى الاعتذار ، و(قَالَ: إِنِّي شَغِلْتُ) بأمر من أمور المعاش (فَلَمْ أَنْقَلِبْ إِلَى أَهْلِي حَتَّى سَمِعْتُ التَّأْذِينَ) أي لم أرجع إلى البيت ، وفوجئت بالأذان وأنا في شغلي .

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب فضل الجمعة .

(٢) صحيح مسلم كتاب الجمعة ، حديث رقم : ١٤٤١ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب فضل الجمعة .

(فَلَمْ أَزِدْ عَلَى أَنْ تَوَضَّأْتُ) أي لم أتمكن من الاغتسال ، فاكتفيت بالوضوء وجئت إلى المسجد .

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (وَالْوُضُوءُ أَيْضًا) ؟ أي وأيضا اكتفيت بالوضوء ولم تغتسل ، والمعنى ما اكتفيت بتأخير الوقت ، وتقويت الفضيلة حتى تركت الغسل وأقتصرت على الوضوء .

ولم يرد عثمان رضي الله عنه ، واكتفى بالاعتذار الأول ؛ لأنه بين فيه أنه رضي الله عنه كان ذاهلا عن الوقت ، وأنه بادر عند سماع الأذان إلى الوضوء ، وترك الغسل لتعارضه مع سماع الخطبة ، فأثر سماع الخطبة .

وقال عمر رضي الله عنه : (: وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَأْمُرُ بِالْغُسْلِ) أي أتفعل هذا وأنت تعلم أن رسول الله ﷺ كان يأمر بالغسل يوم الجمعة قبل الذهاب للصلاة ؟!

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب عددا من الأعمال التي يتهيأ بها المسلم للمسجد ويستعد بأدائها لصلاة الجمعة ، وقد جاء ذكر بعضها صريحا ، وجاء البعض الآخر ضمنا ، وعلى الجملة فأهم الأعمال هي :-
أولاً : الاغتسال لصلاة الجمعة .

بينت الأحاديث أن الله تعالى أمر بالاغتسال ليوم الجمعة ، ولأم الخليفة عمر رضي الله عنه عثمان بن عفان رضي الله عنه لعدم اغتساله لصلاة الجمعة .
وقد ذهب أهل الظاهر ورواية عن الإمام أحمد والإمام مالك إلى القول بوجوب الاغتسال لصلاة الجمعة ، مستدلين بأن رسول الله ﷺ أمر

به ، وبأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قطع الخطبة ، وأنكر على عثمان رضي الله عنه تركه الاغتسال للجمعة ؛ لأنه لو لم يكن واجبا لما قطع عمر رضي الله عنه الخطبة وهو مذهب الشافعي وأبي حنيفة ومالك ورواية عن احمد .

وذهب الجمهور من السلف والخلف وفقهاء الأمصار إلى أن الاغتسال للجمعة سنة مستحبة ، واستدلوا على مذهبهم بأن عمر رضي الله عنه أنكر على عثمان رضي الله عنه ، ولم يخرج من المسجد ، ولم يخرج عثمان رضي الله عنه ، ولو كان الغسل واجبا لخرج عثمان واغتسل ، ولكنه لم يخرج فدل ذلك على أن الغسل مستحب وهو مشروع على سبيل الاختيار^(١) ، وقد قال رضي الله عنه : (من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ، ومن اغتسل فالغسل أفضل)^(٢) . فهذا صريح في الجواز .

ثانياً : المحافظة على النظافة والطهارة .

إن النظافة أحد المعالم المرغبة في التآلف الاجتماعي ... لأنها بصورة عامة تبعث على الإشراق النفسي ، وهدوء الأعصاب ، وتحقيق المودة والتآلف .

يذهب علماء الاجتماع والسياسة إلى أن النظافة والجمال من العوامل الهامة لتحقيق التواصل مع الآخرين ... ولذلك يذهب الإمام مالك إلى أن شرط الاتصال بين الغسل والحضور إلى المسجد حتى لا يحدث ما يزيل الطهارة لو طالعت المدة بين الاغتسال والحضور إلى المسجد .

ويذهب الجمهور إلى أن وقت الغسل يبدأ من صلاة الفجر وينتهي عند

(١) فتح الباري ج ٢ ص ٤٩٨ ، طبعة الشعب .

(٢) المطالب العالية للحافظ بن حجر ، كتاب النوافل ، باب الغسل للجمعة ، حديث: ٧٢٦

صلاة الجمعة ، فمن أحدث بعد الغسل فليتوضأ ، وقد سقط عنه غسل الصلاة^(١)

والحق أن اتصال الغسل بالصلاة أو بعده عنها مرتبط بحال الشخص ، ونظافته وعمله ، لأن المقصود بالغسل تحقيق جو حسن للاجتماع ، وأي أمر لا يتعارض مع هذا لا حرج في فعله .

ثالثاً : التبكير إلى المسجد يوم الجمعة

أنكر عمر رضي الله عنه على عثمان رضي الله عنه تأخره في الذهاب إلى المسجد ، فدخل بعد بدء الخطبة ، وقد دلت الأحاديث على الثواب الجزيل لمن يبكر في الذهاب للمسجد ، وقد أنكر عمر رضي الله عنه على عثمان رضي الله عنه تأخره في الحضور واعتذر عثمان رضي الله عنه بشغله وعمله ، فدل ذلك على أن السنة التبكير في الذهاب إلى المسجد .

رابعاً : السفر يوم الجمعة

تشير أحاديث التبكير إلى المسجد يوم الجمعة إلى معرفة حكم السفر يوم الجمعة فقد يكون سبباً في التأخير ، والحق أن السفر يأخذ أحكاماً عدة باعتبارات عدة .

فالسفر مباح لا شيء فيه لمن شاء السفر قبل الفجر أو بعد صلاة الجمعة ، أو قبلها لمن يتيقن أداءها في الطريق .
ويحرم السفر إذا بدأه المسافر قبل الصلاة ، ولم يتيقن من أداء الجمعة في الطريق .

(١) فتح الباري ج ٢ ص ٣٥٨ - ٣٦٠ بتصرف ، طبعة السلفية .

خامساً : البيع ساعة الجمعة

يؤدي التذكير على صلاة الجمعة إلى تحريم البيع والشراء وقت الجمعة لقوله ﷺ : **يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَوَدَّى لِّلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ^(١)

ولذلك ذهب الفقهاء والجمهور إلى تحريم البيع والشراء بعد الأذان الذي يكون بين يدي الإمام وهو على المنبر ، وقد ذهب إلى ذلك جمهور الفقهاء ، ولم يخالف إلا أبو حنيفة .

وذهب الفقهاء إلى أن عقد البيع أو الشراء في هذا الوقت المحرم جائز مع الكراهة خلافاً لمالك والظاهرية ، فقد قالوا إن البيع باطل لا يصح ^(٢)
سادساً : المحافظة على حق من سبقه إلى المسجد

إذا حضر المصلي إلى المسجد لزمه أن يجلس حيث ينتهي به المجلس ، ولا يتخطى رقاب أحد إلا لضرورة ، وذلك لأن تخطي الرقاب يتم برفع الرجلين على رعوس الجالسين وأكتافهم ، وربما تعلق بثوب الجالس شيء مما في رجليه ، ولا يجوز له ذلك إلا لضرورة كأن يجد فرجة في الأمام ، وحينئذ فله أن يتخطى الرقاب ؛ لأن الجالس فرط في حق نفسه ، ولذا يستحب لمن يأتي إلى المسجد أن يجلس في الصف الأمامي ، إن كان خالياً ، و لا يترك فراغا أمامه .

وهكذا

يأتي المصلي إلى المسجد مهياً للجماعة ، مستعداً للتألف معهم ، ومؤدياً

(١) سورة الجمعة الآية : ٩ .

(٢) شرح النووي ج ٢ ص ٤٩٥ بتصرف .

كل ما يحافظ على حقوقهم .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب ضرورة التهيؤ لصلاة الجمعة ، طاعة لله تعالى ، ومحافظة على حقوق الناس عليه ، وحتى تؤدي الجمعة دورها الإصلاحي في الناس .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب ركائز للدعوة والإيمان أهمها : -

الركيزة الأولى

منهج الإسلام في تحقيق وحدة المسلمين

المسلمون جماعة مؤتلفة يجمعها الإيمان بالله تعالى ، ويوحدتها الهدف الواحد ، والغاية المشتركة ، وقد قدر الله تعالى إيجادهم على الأرض ليكونوا مثلاً عالية بين الناس ... وفي كل مجال شرعه الله تعالى نجد روح الجماعة في التشريع ، فإذا نظر الفرد في الوجود شكر الله تعالى على أن خلقه للعالمين ، وإذا قام يعمل وجب عليه أن يحافظ على حقوق الآخرين .

وفي أحاديث الباب نعيش مع آداب يوم الجمعة قبل الذهاب للمسجد نجد خلالها ما شرع الله لها حيث الطهارة ، والنظافة ، والغسل والتبكير في الذهاب للمسجد ، والجلوس حيث ينتهي المجلس ، وكرامية تخطي الرقاب ، وإدراك ما للناس من حقوق ، وما له من واجبات .

إن المسلم وهو يعيش المشاعر الروحية الراقية المستفادة من الأعمال الشرعية التكليفية ، يدرك أنه يعيش في إطار يحدد أمام المصلي الطريق

إلى السعادة ، ويصله بالمأ الأعلى ، ويتملك عليه أحاسيسه وعواطفه ، ويربطه بالخير والبركة ولا يدعه يهيم في حياته بلا هدف ولا غاية ، إن هدف المسلم تحقيق العبودية لله ﷻ ، وغايته الكبرى تحقيق السعادة ، والوصول إلى المقام الأعلى في الجنة ليكون من السعداء الذين قال الله عنهم : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُورٍ﴾^(١)

الركيزة الثانية

دور الجمعة في صناعة المجتمع الصالح

شرع الله تعالى للمسلمين يوماً كل أسبوع يجتمعون خلاله في رحاب الله تعالى ، وفي بيته ﷻ ، لتحقيق بعض الأمور : -
الأول : تطهير الذات من الأدران الحسية والمعنوية ، وذلك بالغسل ولبس الثوب النظيف ، والاستعداد للذهاب للمسجد في وقت مبكر مع التطيب بالمسك ، والريحانة ، يقول ﷺ : (من عرض عليه ريحان فلا يردّه ، فإنه خفيف المحمل طيب الريح)^(٢).

إن الملائكة تحب الرائحة الطيبة وتميل إلى كل ما هو حسن وجميل ، ويختلفون في حبهم عن الشياطين فهي تحب الروائح الكريهة ، وترغب في الحياة بين الأنجاس والأرجاس .

إن الأرواح الطيبة تحب النظافة ، والرائحة الطيبة ، والأرواح النجسة

(١) سورة هود الآية : ١٠٨ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها ، باب استئصال المسك وأنه اطيب

الطيب ، حديث رقم : ٤٢٧٩ .

تميل إلى ما يناسبها ف ﴿الْخَيْثُوتُ لِلْخَيْثِينَ وَالْخَيْثُوتُ لِلْخَيْثَاتِ وَالْطَّيِّبَتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ ^(١)، وهذا وإن كان في النساء والرجال فإنه يتناول الأعمال والأقوال والمشارب والمطاعم ، وكل ما يتصل بالإنسان ، إما بعموم لفظه أو بعموم معناه .

الثاني : الاستعداد لتلقي العلوم والمعارف عن طريق إطلاع كل مصل على حاجة أخيه ، وبواسطة الخطبة التي تقدم الحلول الدينية لحياة الناس ، والتعرف لما يجب على المسلم أن يعرفه ويعلمه .

الثالث : تحقيق التواصل الاجتماعي بين المسلمين ، فهم يجتمعون في كل اسبوع لمراجعة الذات ، ومناقشة ما يلاقيه المصلون من قضايا وأحكام .

الرابع : صناعة الإنسان المسلم المحب لأخيه ، الناصح له الساعي نحوه بالمعروف والصواب .

إذا قام المسلمون بواجبهم ، وعاشوا المناسك بأبدانهم وعقولهم ، وأرواحهم فإنهم يصنعون المجتمع الصالح الذي يعمل الإسلام لتحقيقه في عالم الناس .

الركيزة الثالثة

الحق أحق أن يتبع

عثمان بن عفان رضي الله عنه من السابقين للإسلام وله أياد بيضاء على المسلمين في مكة والمدينة إلا أنه لما دخل المسجد بعد صعود عمر رضي الله عنه على المنبر لأمه على تأخيره أمام المصلين ، فاعتذر بانشغاله وذهوله

(١) سورة النور الآية : ٢٦ .

عن الأذان وبين أنه توضأ وجاء إلى المسجد ولم يذهب لبيته ، فلامه عمر رضي الله عنه مرة أخرى وقال له : والوضوء أيضا ؟

إن الحق أحق أن يتبع ، ولا يعرف الإسلام إلا العدل في الحكم والاستقامة في العمل ، ولذلك لام النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد رضي الله عنه حين أتاه يسأله العفو عن المخزومية التي سرقت ، وقال له : (أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة ؟

ثم قام صلى الله عليه وسلم فخطب وقال : يا أيها الناس ، إنما ضل من قبلكم ، أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد ، وإيم الله ، لو أن فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ، سرقت لقطع محمد يدها ^(١) .

ومن هنا فلا لوم على عمر رضي الله عنه لنقده عثمان فهو الحق الذي يجب أن يعلو ويسود .

الركيزة الرابعة المسارعة إلى الخير

اعتذر عثمان رضي الله عنه عن عدم تكبيره وسكت عن وضوئه فقط ؛ لأن العذر واحد ... وقد سمع المسلمون لوم عمر واعتذار عثمان - رضي الله عنهما - والتزموا بالتكبير والاعتسال ، ولم يخالفوا ما جاءهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

إن الإنسان يحتاج إلى المداومة على الطاعة والاستقامة حتى تكون الطاعة له عادة تريحه وترضيه .

(١) صحيح البخاري ، كتاب الحدود ، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا وصل إلى السلطان

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد أحاديث الباب

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية :-

- ١- ارتباط خطبة الجمعة بالواقع الاجتماعي للمصلين .
- ٢- قيام ولي الأمر بقيادة الناس إلى الله تعالى ومواصلة نصحتهم ، وتوجيههم إلى ما يحقق لهم التقدم والخير .
- ٣- الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر في الخطبة بأمر خارج عن الخطبة لا يفسدها .
- ٤- على ولي الأمر توجيه الناس إلى الحق وإن يبدأ في إنكاره على ما هو عظيم المحل ، ليرتدع من هو أقل منه .
- ٥- لمستمع الخطبة أن يدافع عن نفسه إن قصده الخطيب بأمر ، أو لأمه على رعوس الناس .
- ٦- قيام كبار الصحابة بخدمة أنفسهم والذهاب إلى السوق كما فعل عثمان رضي الله عنه .
- ٧- جواز إقامة السوق يوم الجمعة ، لأن عمر رضي الله عنه لم يأمر بمنعها والمطلوب أن يدع المسلم العمل بعد الأذان الأول .
- ٨- يقظة ولي الأمر ، وفطنته ، ومباشرة النصيحة لمن يستحق فور الحاجة إليه .
- ٩- الأخوة الإسلامية تقوم على الحب والمودة ، وتزداد رسوخا بالنصح الصادق ، ولو كان فيه ملامة .
- ١٠- من الأولى أن يقود الناس أعرفهم بالدين ، وأقواهم على حمايته وأشدّه في حراسة الدنيا .

- ٢ -

١ - باب وجوب غسل الجمعة على كل بالغ
من الرجال وبيان ما أمروا به

حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: الْغُسْلُ يَوْمَ

[٤٨٧]، (١)

الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ ^(١)

٨٥٨

حديث عائشة رضي الله عنها لَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: كَانَ النَّاسُ يَنْتَابُونَ

[٤٨٨]، (٢)

يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ مَنَازِلِهِمْ وَالْعَوَالِي فَيَأْتُونَ فِي الْغُبَارِ يُصِيبُهُمْ

٩٠٢

الْغُبَارُ وَالْعَرَقُ، فَيَخْرُجُ مِنْهُمْ الْعَرَقُ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

إِنْسَانٌ مِنْهُمْ وَهُوَ عِنْدِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَوْ أَنَّكُمْ تَطَهَّرْتُمْ

لَيَوْمِكُمْ هَذَا ^(٢).

حديث عائشة رضي الله عنها لَ قَالَتْ: كَانَ النَّاسُ مَهْنَةً أَنْفُسِهِمْ، وَكَانُوا

[٤٨٩]، (٣)

إِذَا رَاحُوا إِلَى الْجُمُعَةِ رَاحُوا فِي هَيْئَتِهِمْ، فَقِيلَ لَهُمْ لَوْ اغْتَسَلْتُمْ ^(٣)

٩٠٣

- ١ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب استحباب النظافة ، والتزين لصلاة الجمعة ،

وذلك بالاغتسال وإزالة الأوساخ عن البدن والثوب ، وكل ما يتصل

بالإنسان ، وتوضح دور ولي الأمر في توجيه الجمهور إلى النظافة

بأسلوب مقبول .

(١) أخرجه البخاري في: ١٠ كتاب الأذان: ١٦١ باب وضوء الصبيان ومتى يجب عليهم

الغسل ، وللحديث روايات أخرى في البخاري تحت أرقام ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٩٥ ، ٢٦٦٥ .

(٢) أخرجه البخاري في: ١١ كتاب الجمعة: ١٥ باب من أين تؤتى الجمعة .

(٣) أخرجه البخاري في: ١٠ كتاب الجمعة: ١٦ باب وقت الجمعة إذا زالت الشمس .

- ب -

الدلالات اللغوية في أحاديث الباب

يشتمل الباب على ثلاثة أحاديث تبين ضرورة التطهر والنظافة لمن يأتي للصلاة يوم الجمعة .

ففي الحديث الأول : يروي أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ (قَالَ : **الْغُسْلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ**) أي إن الغسل واجب يوم الجمعة على كل بالغ .

وفي الحديث دلالة على أن الصغير الذي لم يبلغ الحلم لا يجب عليه غسل يوم الجمعة ، وأن الاحتلام شرط لوجوب الغسل .

وقال بعض أهل العلم بوجوب الغسل يوم الجمعة على الصغير الذي لم يبلغ الحلم ، لقول الرسول ﷺ : (علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين ، واضربوه عليها ابن عشر) ^(١) ووجه هؤلاء العلماء الحديث فقالوا لو لم يكن الغسل واجبا لما أمر رسول الله ﷺ بضرب الصغير على تركه ، ومن ذهب إلى هذا الرأي الإمام أحمد في أحد رواياته والشافعي **م** ^(٢) .

وذهب الجمهور إلى أن الغسل لا يجب إلا بعد البلوغ ، والأمر بضرب الصغير هو للتربية والتعليم ، و" الصبي " هو الرضيع ويسمى " الغلام " إذا ترك الرضاعة حتى يبلغ سبع سنوات ، ويصير " يافعا " إلى عشر سنوات ، ثم يكون " شابا " ، إن زاد على عشر سنوات ،

(١) صحيح ابن خزيمة ، باب أمر الصبيان بالصلاة ، وضربهم على تركها ، حديث رقم :

(٢) فتح الباري ج ٢ ص ٣٤٦

وإطلاق أسم مرحلة على مرحلة أخرى جائز من قبيل المجاز من باب إطلاق اسم على ما كان أو على ما سيكون عليه .

وفي الحديث الثاني : تقول السيدة عائشة **ل** (كَانَ النَّاسُ

يَنْتَابُونَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ مَنَازِلِهِمْ وَالْعَوَالِي) أي إن الناس كانوا يأتون إلى المسجد جماعات جماعات قادمين من بيوتهم الواقعة في أطراف المدينة ، أو من العوالي وهي إحدى ضواحي المدينة تقع على بعد أربعة أميال تقريبا جنوب شرق المدينة ، في طريق السائر إلى مكة ، وهذا يعني أن القادمين من بيوتهم أو من العوالي كانوا يأتون من مكان بعيد يتعرضون خلاله لحرارة الشمس ، وعصف الريح ، وهذا الحال يخرج العرق من أجسادهم ، ويأتيهم التراب والرمل فيلتصق بأثوابهم وأبدانهم ، (فَيَأْتُونَ فِي الْغُبَارِ، يُصِيبُهُمُ الْغُبَارُ وَالْعَرَقُ، فَيَخْرُجُ مِنْهُمْ الْعَرَقُ) أي إنهم يصيبهم الوسخ من التراب والعرق ، وهذا يشير إلى حاجتهم إلى التطهر والغسل (فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِنْسَانٌ مِنْهُمْ) أي أتى رجل منهم رسول الله ﷺ وسأله عن حكم هذا الحال ، وعن العمل المشروع معه ، ولم يبين أحد من المحدثين من هو هذا الرجل . (وَهُوَ عِنْدِي) أي ورسول الله ﷺ معي في بيتي هذا من كلام السيدة عائشة **ل** لتحديد المكان الذي كان فيه رسول الله ﷺ وقت مجيء السائل .

ف (فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لَوْ أَنَّكُمْ تَطَهَّرْتُمْ لَيَوْمِكُمْ هَذَا) " لو " إما أن تكون للتمنى فلا تحتاج إلى جواب ، ومعناها " ياليتكم تتطهرون " وإما أن تكون للشرط فتحتاج إلى جواب تقديره " لو تطهرتم لكان حسنا " ، وفي الحديث إشارة إلى تشريع الغسل للتطهير ، والنظافة ، وإزالة الأوساخ ، لا لمجرد

العبادة فقط .

وفي الحديث الثالث : تقول السيدة عائشة **ل** (كَانَ النَّاسُ مَهْنَةً أَنْفُسِهِمْ) أي كان الناس يعملون في مهنتهم التي تعلموها ، ومهنة بالنون وفتحات على كل الحروف على وزن كتبة ، ويمكن قراءتها بكسر الميم ، وسكون الهاء ، وفتح النون ، والمعنى " ذوو مهنة " على حذف المضاف : " ذوو " ، ومعناه أن الناس كانوا يشتغلون في مهنة تعلموها ، ولم يكن لهم كفاة ، أو خدم ، أو مال يكفيهم عن العمل ، فاتخذوا مهنة وتعلموها ، وعاشوا في مهنتهم (وَكَانُوا إِذَا رَاحُوا إِلَى الْجُمُعَةِ رَاحُوا فِي هَيْئَتِهِمْ) أي إنهم كانوا إذا ذهبوا إلى المسجد يوم الجمعة ذهبوا في هَيْئَتِهِمْ ، وملابسهم التي يمتنعون بها من مكان عملهم إلى المسجد بعد الزوال لما في (رَاحُوا) من دلالات على ذلك ، (فَقِيلَ لَهُمْ لَوْ اغْتَسَلْتُمْ) لكان أفضل وأحسن ، وفي ذلك إشارة على الأولى من غير أمر أو تغليظ

- ج -

البيان التحليل لأحاديث الباب

تبين الأحاديث الثلاثة استحباب الغسل يوم الجمعة قبل الذهاب للمسجد ، وتوضح أن الهدف الأكبر للاغتسال هو النظافة والتخلص من القاذورات ، والتخلص من الثياب التي يلبسها أصحاب المهن المختلفة أثناء عملهم في مهنتهم على اختلافها ، وبهذا يتضح أن من أهداف تشريع الاغتساب يوم الجمعة النظافة وأخذ الزينة المشروعة .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أهمية النظافة والتطهر لمن يصلي الجمعة مع الناس

، وبذلك يزيل الإنسان عن بدنه وثوبه وسخ العرق والتراب ، ويغير ثوب المهنة ويستبدل به ثوبا طاهرا جميلا .

- ه -

ركائز الدعوة و الإيمان في أحاديث الباب

تشتمل الأحاديث على عدة ركائز أهمها : -

الركيزة الأولى

النظافة من الإيمان

يهتم الإسلام بتحقيق النظافة والطهارة بشكل عام ، فاشتراط للعبادة طهارة المكان والبدن والثوب والماء ، وربط هذا بصحة العبادة .

ودعا الإسلام إلى الحرص على جمال الحياة ، وزينة الدنيا ، فقال

ﷺ : ﴿ يَنْبَغُ أَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ ^(١) وقال ﷺ : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا

جَمَالٌ حِينَ تَرْتَمِحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ ^(٢) . إن طيب المطعم والمشرب والملبس

يقوم على النظافة، وتمام الصحة ، والتقدم ، والتألف والتماسك يقوم على النظافة .

إن من مقاصد الإسلام الكبرى المحافظة على النفس والنسل ، وهذان المقصدان يعتمدان على النظافة ؛ لأن القاذورات تأتي بالجراثيم الجالبة للمرض ، والعلماء المعاصرون يرون أن أساس الصحة نظافة البيئة بكل محتوياتها، كما سبق ونادى الإسلام بذلك ، وقضية النظافة يجب أن يهتم بها الدعاة والعلماء ، ويحثوا الناس على تحقيقها في أنفسهم، وفي بيوتهم ، وفي البيئة التي يعيشون فيها .

(١) سورة الأعراف الآية : ٣١ .

(٢) سورة النحل الآية : ٦ .

ويجب أن يتحول المسلمون إلى صورة تطبيقية للنظافة والجمال الذي جاءت في الإسلام ونادى الناس بها .

الركيزة الثانية **حسن الخطاب في حياة الناس**

الدعوة إلى دين الله تعالى قائمة على الحكمة والموعظة الحسنة ، بعيدا عن العنف والقسوة ، وهذا ما قام به رسول الله ﷺ كما نراه في أحاديث الباب فهذا هو رسول الله ﷺ يرى الرجل وقد أتى من العوالي وأطراف المدينة ، وقد بلله العرق وعلاه التراب ، ومع ذلك لم يأمره بالنظافة ، وإنما يعرضها عليه أمنية يتمناها ، وهو قوله ﷺ لهذا الرجل (لَوْ اغْتَسَلْتُمْ) ... ؟ وأيضا فإن ذوي المهن ، ولهم ثيابهم الخاصة بعملهم كانوا يأتون إلى المسجد بثيابهم وأوساخهم ، ولا يزيد الرسول ﷺ في نصحهم عن التمني ، ويقول لهم : (لَوْ اغْتَسَلْتُمْ) ؟

هذا هو خلق الدعوة يوضح القضية ، ويحث على الصواب برفق ولين ، تطبيقا لقوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمُ الْبَالِغَ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١)

(١) سورة النحل الآية : ١٢٥ .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد أحاديث الباب

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية : -

١ - على العالم أن يترفق بمن يعلمه ، ويأخذه باللين ، ويرغبه فيما يريد إمداده به .

٢ - ضرورة تجنب إيذاء الآخر بكافة صور الإيذاء حسية كانت ، أو معنوية

٣ - أهمية النظافة عند التقاء الآخرين ، وتنظيف محل الاجتماع ، وإعداد ثوب خاص للقاء الغرباء يوضح ما عند القادة من نظام وجمال .

٤ - تأكيد حرص الصحابة والمؤمنين في كل وقت على امتثال الأمر الثابت عن رسول الله ﷺ .

٥ - على المسلم أن يكون في مهنة أخيه ، يعينه ، ويساعده ، وأن يحب له ما يحب لنفسه ، فالمؤمنون جميعا إخوة يسعى بذمتهم أدناهم .

٦ - مواجهة الحالة اثناء وقوعها ببيان حكم الله تعالى فيها أولى من تأخير البيان عن زمن الوقوع ، لأن الوقوع يبين الحكم ويوضح علته بلا جهد وعناء ، أما تأخير الحكم عن الحدث فهو يحتاج إلى استحضار الحدث ، وبيان مدى اتفاق الحكم معه .

٧ - على المربين وأولي المر ان يعاملوا من دونهم بالحسنى و الرفق ، لأن الرفق يحقق مالا تحققه القسوة والشدة .

-٣-

٢- باب الطيب و السواك

حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال : أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [٤٩٠]، (١)

قال صلى الله عليه وسلم : الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم ، وأن يستن ، وأن يمس طيبا ، إن وجد ^(١) . ٨٨٠

حديث ابن عباس م عن طاوس رضي الله عنه عن ابن عباس أنه [٤٩١]، (٢)

ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم في الغسل يوم الجمعة فقلت لابن عباس ٨٨٥

م : أيمس طيبا أو دهنًا إن كان عند أهله ؟

فقال : لا أعلمه ^(٢)

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حق على [٤٩٢]، (٣)

كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يوما يغسل فيه رأسه ٨٩٧
وجسده ^(٣)

حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من اغتسل يوم [٤٩٣]، (٤)

الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة ، ومن راح في ٨٨١
الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح في الساعة
الثالثة فكأنما قرب كبشًا أقرن ، ومن راح في الساعة الرابعة

(١) أخرجه البخاري في : ١١ كتاب الجمعة : ٣ باب الطيب للجمعة .

(٢) أخرجه البخاري في : ١١ كتاب الجمعة : ٦ باب الدهن للجمعة .

(٣) أخرجه البخاري في : ١١ كتاب الجمعة : ١٢ باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من

النساء والصبيان وغيرهم ، وللحديث روايات أخرى في البخاري تحت رقم : ٨٩٨ ، ٣٤٨٧ .

فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا
قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ
الذِّكْرَ^(١)

- أ -

موضوع احاديث الباب

تبين أحاديث الباب استحباب الاغتسال يوم الجمعة ، والتطيب
واستعمال الدهن عند الذهاب للمسجد وضرورة التكبير في الذهاب إلى
المسجد .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على أربعة أحاديث تبين استحباب الغسل والتطيب ،
واتخاذ الدهن ، والتكبير في الذهاب إلى المسجد .

ففي الحديث الأول : يقول أبو سعيد الخدري رضي الله عنه (أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ) وهذا تأكيد من أبي سعيد رضي الله عنه على أنه سمع الحديث من رسول
الله ﷺ ووعاه أنه ﷺ (قَالَ: الْغُسْلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ) أي
إن الغسل مؤكد على المحتلم ، يقوم به كما يقوم الرجل الكبير ، والقول
بوجوب الغسل محل اختلاف المحدثين والفقهاء وقد سبق ذكره .
(يَسْتَنُّ، وَأَنْ يَمَسَّ طَيِّبًا، إِنْ وَجَدَ) أي عليه أن يستن أي يذلك أسنانه
بالسواك ، ويمس الطيب إن وجده .
وبذلك يخرج إلى المسجد نظيف البدن ، طيب الفم ، حسن الرائحة .

(١) أخرجه البخاري في: ١١ كتاب الجمعة: ٤ باب فضل الجمعة .

وفي الحديث الثاني : يؤكد ابن عباس **م** (أَنَّهُ ذَكَرَ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ

فِي الْغُسْلِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ) أي إن ابن عباس **م** ذكر لأصحابه قول النبي ﷺ في حكم الغسل يوم الجمعة ، وأنه

واجب أو مؤكد (فَقُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ) أي قال طاووس الراوي عن ابن عباس (أَيَمُّسُ طَيِّبًا أَوْ دُهْنًا إِنْ كَانَ عِنْدَ أَهْلِهِ) ؟ والسؤال حقيقي ، وفيه يطلب طاووس ﷺ معرفة حكم الطيب والدهن من ابن عباس **م** ، والدهن خاص بشعر الرأس ، والطيب عام للبدن كله .

(فَقَالَ) ابن عباس **م** : (لَا أَغْلَمُهُ) أي لا أعلم حكم الدهن والطيب ، فالجميع مرغّب فيه ، ولكن الحكم يختلف لكني لا أعلمه .

وفي الحديث الثالث : يقول أبو هريرة ﷺ (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : حَقٌّ

عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةٍ أَيَّامٍ يَوْمًا يَغْسِلُ فِيهِ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ) أي واجب على كل مسلم أن يتخذ من أيام الأسبوع السبعة يوما يغتسل فيه ، ويغسل رأسه وجسده ، ولا يترك شيئاً من بدنه ، وفي ذكر الحديث (حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ) ترجيح لمن قال بوجوب الغسل ، كما ذهب إلى ذلك الظاهرية ومن تبعهم .

والحديث لم يحدد يوما ، وإنما جعله جائزا في كل يوم من أيام الأسبوع ولكن جاءت رواية أخرى للحديث تقيد هذا الغسل بيوم الجمعة .

- فعن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (على كل رجل مسلم في كل

سبعة أيام غسل يوم ، وهو يوم الجمعة) ^(١)

(١) صحيح ابن خزيمة ، كتاب الجمعة ، باب ذكر الدليل على غسل يوم الجمعة ١٦٤١ .

- وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إن من الحق على كل مسلم أن يغتسل يوم الجمعة وأن يمس من طيب ، إن كان عند أهله ، فإن لم يكن عندهم طيب فإن الماء طيب) ^(١) وعليه يحمل المطلق وهو استعمال الطيب على المقيد وهو إن كان عند أهله .

وفي الحديث الرابع : يؤكد أبو هريرة رضي الله عنه : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ) أي من اغتسل من ذكر أو انثى و "غسل الجنابة" منصوب على أنه مفعول مطلق متضمن للتشبيه تقديره (يغتسل غسلا كغسل الجنابة) أي يؤدي أركانها وشروطها ... أو على أنه مفعول به أي (يغتسل غسل الجنابة التي لزمته)

والفرق بينهما أن من قال أنه مفعول به ذهب إلى أن ليوم الجمعة غسلين أحدهما للجماع ، والثاني للجمعة ، وهذا يفيد استحباب الجماع يوم الجمعة ليغتسل منها ، والحكمة في هذا أن تسكن نفسه عند ذهابه إلى الصلاة ، ولا تمتد عيناه إلى شيء يراه وبخاصة عند كثرة الفتن والشهوات ، والرجل والمرأة في ذلك سواء .

ومن ذكر أنه مفعول مطلق يعني الكيفية لا الحكم ، وهو الأغلب .
(ثُمَّ رَاحَ) إلى المسجد في الساعة الأولى (فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدْنَهُ) أي من ذهب إلى المسجد في الساعة الأولى فكأنه تصدق ببذنه تقرباً إلى الله تعالى .
وقد ذكر المحدثون لهذا التشبيه عدداً من المعاني منها :

- المراد من التشبيه أن المبادر إلى الذهاب إلى المسجد في أول ساعة له من الثواب مالمالرجل تقرب ببذنه .

(١) شرح المعاني للطحاوي ، باب : غسل يوم الجمعة ، حديث رقم : ٤٢٤ .

- أو لكان له من الأجر مثل الجزور ، أي لو تجسد الثواب لكان قدر الجزور في الكبر والضخامة .

والمعنى المراد من الحديث في الجملة بيان تفاوت المبادرين إلى المسجد كتفاوت البدنة عن البقرة عن الشاة ... الخ ، يؤيد هذا المعنى قوله ﷺ : (ففضلهم كفضل صاحب الجزور على صاحب البقرة وعلى صاحب الشاة)^(١) ، ومعنى (قرب) أهدى وهو يشير إلى تعظيم شأن الجمعة ، والتقرب إلى الله تعالى فيها بالهدية شكرا له على نعمه وآلائه واستجلابا لعونه .

والمراد بالبدنة البعير ، والهاء للوحدة لا للتانيث ، والبدنة لا تكون إلا من الإبل ، بخلاف الهدي فهو يجوز بالأبل والبقر والغنم ، ويستمر التنزل في الثواب والقربى من بدنة إلى بقرة إلى شاة إلى دجاجة إلى بيضة ، حتى إذا خرج الإمام وصعد المنبر يغلق الكتاب ، وتترك لملائكة وتدخل المسجد لتستمع للذكر ، وفي ذلك يقول النبي ﷺ (وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقْرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً ، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ) أي إذا حضر الإمام إلى المسجد ، وصعد على المنبر ، تترك الملائكة الأبواب ، وتدخل إلى المسجد لتستمع إلى الخطبة والذكر .

وفي الحديث مسائل :

(١) مصنف عبد الرزاق الصنعاني ، كتاب الجمعة ، بتاب عظم يوم الجمعة ، حديث رقم

المسألة الأولى

المراد بالساعة ومعنى تعددها

المراد بالساعة وقت من الزمن ، ويراد بها في الحديث بيان درجة المبكرين في الذهاب إلى المسجد ، ولذلك حددوا أول الساعات وآخرها ، وقسموها إلى ست أوقات أو ساعات .

قال الإمام الغزالي : أول الساعات طلوع الفجر ، فجعل الساعة الأولى من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، وجعل الساعة الثانية إلى ارتفاع الشمس ، والثالثة إلى انبساطها ، والرابعة إلى أن تحس الأقدام بحرارة الرمال حين السير فوقها ، والخامسة إلى الزوال ^(١) وأفضل ما قيل فيها إنها أوقات متداخلة ، أولها زوال الشمس وآخرها قعود الخطيب على المنبر .

المسألة الثانية

تفاوت الحاضرين في الساعة الواحدة

وضح الحديث تفاوت الناس في التبكير ، فجعلهم يأتون في خمسة أوقات ، لكل وقت درجة معينة ... لكن قد يحضر الناس متتابعين في الساعة الأولى ، وبهذا يتفاوت جزاؤهم ، كما تتفاوت البدنة أو البقرة في قيمتها ووصفها ، وقال البعض أول الساعة وآخرها سواء

المسألة الثالثة

كيفية تدوين أسماء المبكرين إلى المسجد .

تبين الأحاديث أن الملائكة تقف على أبواب المساجد فقد جاء

(١) فتح الباري ج ٢ ص ٣٦٩

أنه : (إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول)^(١) فال للاستغراق
يقول أبو هريرة رضي الله عنه : (على كل باب من أبواب المسجد يوم الجمعة ملكان يكتبان الأول فالأول)^(٢).

ويقول ابن عمر **م** في صفة الصحف التي يدون فيها يوم الجمعة يقول : (إذا كان يوم الجمعة بعث الله الملائكة بصحف من نور ، وأقلام من نور ، فيجلسون على أبواب المساجد فيكتبون الأول فالأول حتى تقام الصلاة)^(٣) وفي هذا الحديث إشارة إلى أن هؤلاء الملائكة ليسوا هم الحفظة لأن الله تعالى يبعثهم إلى المساجد ، بينما الحفظة لا يتركون قراءتهم ، ويفهم منها أيضا إن الذي يدون في الصحف الفضائل المتعلقة بالتبكير دون غيرها ، كالاستماع للخطبة ، وأداء الصلاة وغيرها ، فإن الحفظة هم الذين يكتبون ذلك وغيره .

إن الملائكة تكتب أسماء من حضر وتستغفر له ، فقد ثبت أن الله تعالى يأمر الملائكة بالكتابة فـ(تبعث الملائكة على أبواب المسجد يوم الجمعة يكتبون مجيء الناس ، فإذا خرج الإمام طويت الصحف ، ورفعت الأقلام ، فتقول الملائكة بعضهم لبعض : ما حبس فلانا ؟ فتقول الملائكة : اللهم إن كان ضالا فاهده ، وإن كان مريضا فاشفه ، وإن

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب الاستماع إلى الخطبة .

(٢) صحيح ابن خزيمة ، كتاب الجمعة ، باب ذكر عدد من يقعد على كل باب من أبواب المسجد ، حديث رقم : ١٦٦٣ .

(٣) حلية الأولياء ، مالك ابن أنس ، حديث رقم : ٩٢١٦ .

كان عائلا فأغنه ^(١) ودلالات هذا الدعاء خير ما يدفع الناس إلى التبكير في الذهاب للجمعة .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تدل أحاديث الباب على أهمية الغسل ليوم الجمعة ، والتطيب والإدهان ، كما تبين أهمية التبكير في الذهاب إلى الجمعة ، وهي أمور متصلة ببعضها ، لأن الغسل والتطيب يهيئان الاجتماع الحسن لمن يبكر في الذهاب للمسجد ، وتوضح أهمية التبكير في الذهاب للمسجد يوم الجمعة للفوز بالثواب الجزيل .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تضمنت أحاديث الباب ركيزة هامة هي : -

الاهتمام بالاجتماع لصلاة الجمعة

الإسلام يكلف المسلم بالطهارة مع كل صلاة ، إلا أن الحضور للمسجد يوم الجمعة ينال اهتماما أكبر ، حيث وجوب الغسل أو تأكيده على من يأتي للمسجد بمجرد بلوغه ، مع التطيب والإدهان ، ويرجع هذا الاهتمام إلى طول المكث في المسجد ، حيث شرع التبكير في الذهاب إلى المسجد حتى قال البعض : إن الساعة الأولى تبدأ من طلوع الفجر ، أو من طلوع الشمس ، وأيضا فإن تطيب المكان ونشر الرائحة الطيبة ، وخلو المسجد من القاذورات والأوساخ يشجع المصلي إلى المكث فيه ، ويفرغه لاستماع الخطبة ، وتدبر ما فيها من حكم وأحكام .

(١) صحيح ابن خزيمة ، كتاب الجمعة ، باب ذكر دعاء الملائكة للمتخلفين عن الجمعة .

إن الذهاب إلى المسجد في الساعات الأولى يفيد بدء الذكر والصلاة ،
وقراءة القرآن من هذا الوقت إلى صعود الخطيب على المنبر ، لأن المسجد
لا يصلح فيه شيء من أمور الدنيا ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ
وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(١)

إن اللقاء في المسجد يوم الجمعة يتم في جو نظيف مع طهارة
الأبدان والمكان ، وانتشار الروائح الحسنة ، وتوجه القلوب إلى الله تعالى ،
وهذا يوجد مجالا روحانيا يرقق الجوارح ، وينشر القيم ، وينشط الوجدان ،
وبذلك يخرج المصلي من المسجد بعد الصلاة ، وقد صار إنسانا تائبا ،
صالحا .

إن الاهتمام بيوم الجمعة ، وإحاطته بالأحكام الشرعية العديدة له
تأثيره التربوي الكبير في إصلاح الفرد والجماعة ، وصدق رسول الله ﷺ
في قوله : (خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة)^(٢)

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد أحاديث الباب

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية :

١- الفضل المذكور في أحاديث الباب يكون لمن بكر ، وصلى
الجمعة معا .

٢- تفاوت الطائعين في الفضل ، فليسوا جميعا على درجة واحدة كما
أن درجات المبكرين إلى المسجد تتفاوت .

(١) سورة الجمعة الآية : ١٠ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب : الجمعة ، باب : فضل يوم الجمعة ، حديث رقم : ١٤٥٥ .

- ٣- أهمية المحافظة على نظافة وطهارة المسجد .
- ٤- ضرورة الرفق في التوجيه والنصح .
- ٥- اجتناب أذى المسلم بأي وجه .
- ٦- من المستحسن التهيئة بالطهارة وبالنثياب عند ملاقة أهل الفضل
- ٧- مسارعة الصحابة في الطاعة والعمل .
- ٨- التقرب إلى الله تعالى جازئ بالقليل والكثير ، ولكل قدر تقربه .

- ٤ -

٣- باب الانصات يوم الجمعة في الخطبة

[٤٩٤]، (١) حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ

يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَنْصِتْ، وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ، فَقَدْ لَعَوْتَ ^(١).

- أ -

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب منع الحديث أثناء إلقاء الخطبة ، ويوضح حكم من تكلم والإمام يخطب .

- ب -

الدلالات اللغوية في حديث الباب

يؤكد أبو هريرة رضي الله عنه (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَنْصِتْ، وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ، فَقَدْ لَعَوْتَ) أي إن المصلي لا يصح له أن يتكلم مع غيره أثناء إلقاء الإمام الخطبة قبل الصلاة ، ولو كان الكلام أمراً بالصمت ؛ لأن معنى انصت أسكت ، والمراد بالصاحب الشخص الذي يخاطبه ويجاوره فهو صاحبه في المسجد .

ويعم الأمر الصمت عن الكلام ، والذكر ، وقراءة القرآن لتعارض هذا مع حسن الاستماع لمواعظ الخطيب ، فقد ربط الحديث الأمر بحال الخطيب فقال (وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ) وربط الأمر بالخطبة بيوم الجمعة يشير إلى أن الكلام في غير يوم الجمعة جائز أثناء الخطبة إلا أنه خلاف الأولى ، وليس الأمر كذلك فاختصاص الأمر بيوم الجمعة لا يعني عدم الأمر لغير يوم الجمعة ، فلكل وقت أدلته وأحكامه .

(١) أخرجه البخاري في: ١١ كتاب الجمعة: ٣٦ باب الإنصات يوم الجمعة والإمام يخطب

(فَقَدْ لَغَوْتُ) أي إن قول المستمع لصاحبه : (أَنْصِتْ) يؤدي إلى اللغو .
قال أهل اللغة : يقال لغا يلغو كغزا يغزو ، ويقال : لغى يلغي كعمى
يعمي ، لغتان ، والأولى أفصح ، وظاهر القرآن يدل على الثانية ، ومنها
قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ ﴾ ^(١) .
لأن (وَالْغَوْا) مأخوذة من لغى يلغى ، ولو كان من الأول لقال يَلْغُوا بضم
الغين ^(٢)

ولقد فسر العلماء اللغو بعدة معان لغوية أهمها : -

- ١) اللغو هو الكلام الذي لا أصل له من الباطل وشبهه .
 - ٢) اللغو هو القول الساقط الذي لا قيمة له .
 - ٣) اللغو هو الميل عن الصواب .
 - ٤) اللغو هو الإثم .
 - ٥) اللغو هو فقدان الأجر ، وضياع الثواب .
 - ٦) اللغو هو بطلان فضيلة الجمعة ، وصيرورة الجمعة ظهرا .
- ويؤيد المعنى الأخير ما رواه ابن عمر **م** عن رسول الله ﷺ أنه قال:
(ومن لغا وتخطى رقاب الناس كانت له ظهرا) ^(٣) .
وفي المسند من حديث علي عليه السلام جاء (ومن قال : صه ، فقد تكلم ، ومن
تكلم فلا جمعة له) ^(١) .

^(١) سورة فصلت الآية ٢٦ .

^(٢) شرح النووي ج ٢ ص ٥٠٢ طبع الشعب .

^(٣) سنن أبي داود ، كتاب الطهارة ، باب في الغسل يوم الجمعة ، حديث رقم : ٢٩٦

وعن ابن عباس **م** قال : قال رسول الله ﷺ : (من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب ، فهو كالحمار يحمل أسفارا ، والذي يقول له : أنصت ، ليست له جمعة) ^(٢)

والمعاني التي ذكرها علماء اللغة للغو متقاربة المعنى ، ولذلك فهي كلها مرادة من اللفظ .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يبين الحديث أن النهي شامل لجميع أنواع الكلام حال الخطبة ، وينبه بذلك على ما سواه ، لأنه إذا قال لصاحبه انصت ، وهو في الأصل أمر بالمعروف فإن كلام غيره أولى بالسكوت ، وإنما طريقه إذا أراد نهى غيره عن الكلام أن يشير إليه بالسكوت إن فهمه ، فإن تعذر فهمه فلينبهه بكلام مختصر وبأقل كلام ممكن .

واختلف العلماء في حكم الكلام في المسجد والإمام يخطب ، فذهب مالك وأبو حنيفة ، وقول للشافعي وعامة العلماء إلى وجوب الانصات للخطبة .

وذهب النخعي والشعبي وبعض السلف إلى أن الصمت لا يجب إلا إذا تلى في الخطبة قرآن .

وذهب الجمهور إلى وجوب الإنصات حال الخطبة فقط ، ولم يخالف إلا أبو حنيفة ، فأوجب الإنصات بخروج الإمام من حجرته وصعوده على

(١) مسند احمد بن حنبل ، مسند العشرة المبشرين بالجنة ، ، مسند علي بن ابي طالب ؓ ، حديث رقم : ٧٠٨ .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ، كتاب الجمعة ، حديث رقم : ٥٢٣ .

المنبر (١)

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين الحديث وجوب الانصات لسماع الخطبة وبلغى جمعة من يقول لصاحبه انصت .

- ه -

ركائز الدعوة و الإيمان في حديث الباب

يتضمن حديث الباب ركيزة هامة ... هي : -

أهمية الخطبة في نشر العلم بالإسلام

أجمع الفقهاء على اشتراط خطبتين قبل الصلاة ، كما اشتراطوا الاشتهار العام بصلاة الجمعة في المسجد ، ومعنى هذا أن يؤذن للجمعة ويفتح المسجد ، ويهيأ للصلاة والخطبة ، وقد سميت الجمعة باسمها لإلتقاء الجماعات في المسجد ، واستماعهم للخطبة ، فلو لم يسمح للجميع بدخول المسجد لا تعد جامعة لمن يريد الصلاة (٢).

وهذا شرط له وجهته ، لأنه يجعل الاجتماع إيجابيا ، ويحول المسجد إلى جامعة شعبية يتعلم فيها المسلمون جميعا بصورة متساوية ، وبلا شروط مسبقة ، وبلا مصروفات معلومة ، بل جميع المصلين إخوة مترابطون يجتمعون للعبادة والذكر ، والتعلم .

إن المسلم من خلال اجتماع الجمعة يستمتع اسبوعيا لموضوع إسلامي علمي ، مشتمل على الأدلة والبراهين ، ومرتبطة بحاجة الناس وواقعهم ...

(١) شرح النووي ج ٢ ص ٥٠٣ طبع الشعب .

(٢) بدائع الصنائع ج ١ ص ٢٢٩ .

وعند مواظبة المسلم على الاستماع لخطبة الجمعة واتقان ما يسمعه يتحصل عنده العلم بمائتين وخمسن موضوعا إسلاميا هو عدد أسابيع العام ، ويتكرر السنوات يكسب المسلم قدرا واسعا من العلوم والمعارف ، تفوق ما تقدمه أية جامعة .

ومن هنا

ننادي المسلمين بعدة أمور: -

الأمر الأول : ضرورة الاهتمام بخطبة الجمعة ، باختيار الإمام العالم الذي يقدم خطبة شاملة لدراسات كثيرة ، ومعارف عديدة ، وموضوعات متنوعة ، وأن يقدمها بأسلوب سهل جذاب ، ولغة تناسب المستمعين ، وهذا الأمر يحتاج إلى اختيار دعاة مرموقين متميزين بمعرفة الواقع ، وبالذكاء والفتنة ، واتقان أساليب الاتصال المختلفة ، على ان تمدهم الجهات المسؤولة بالمراجع والدراسات المتنوعة ، وبالإمكانات المادية التي تعلي شأنهم بين المدعويين ، وتمكنهم بالقيام بما يفيد الدعوة والدعاة ، ولا مانع من تكليف الخطيب بالإرشاد الاجتماعي ، والمساعدة في توزيع المعونات على المحتاجين ، ومباشرة الإشراف الديني على المدارس والتجمعات العمالية ، والمؤسسات الكبرى .

الأمر الثاني : القيام بربط المستمعين بالخطبة ، وذلك بدراسة السلبيات التي تصرف المصلين عن التعلم ، فقد منع حديث الباب الكلام أثناء الخطبة وأوجب الاستماع إلى الخطيب ... وما هو حادث اليوم في المستمعين لا يجوز ، فغالبيتهم يسمع ولا يعي ، ويخرج من المسجد وكأنه لم يسمع شيئا ... وتلك مشكلة يجب العمل على التخلص منها .

الأمر الثالث : ضرورة ارتباط الخطبة بالواقع ، حتى يعيش الخطيب مع الناس ، ويجد الناس حاجتهم في الخطبة ، وإذا وجد الترابط الروحي بين الخطيب ومستمعيه يسهل الاستفادة ، ويتحقق المأمول .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من حديث الباب الفوائد التالية :-

- ١ - ضرورة الاستماع للموعظة يوم الجمعة ، لأنها تعريف بدين الله تعالى .
- ٢ - يجب على الخطيب أن يجود خطبته ، ويبعدها عما لا يفيد .
- ٣ - العبادات كلها تقوم على الإخلاص ، والصدق في لقاء الله تعالى .
- ٤ - اتخاذ الوسائل الموصلة للغايات أمر ضروري لإيصال الدين للناس .
- ٥ - ضرورة متابعة الدعاة ، ومعرفة مدى الاستفادة منهم ، وهذا يعرف حديثاً بـ (قياس الرأي العام)

- ٥ -

٥ - باب في الساعة التي في يوم الجمعة

[٤٩٥]، (١) حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ

٩٣٥ فَقَالَ: فِيهِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ

اللَّهُ تَعَالَى شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَأَشَارَ بِيَدِهِ يَقْلُلُهَا ^(١)

- أ -

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب أن في يوم الجمعة ساعة إجابة إذا وافقها العبد المسلم وهو قائم يصلي يستجاب له .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يؤكد أبو هريرة رضي الله عنه (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقَالَ: فِيهِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ بِيَدِهِ يَقْلُلُهَا) أي في يوم الجمعة وقت لا يصادفه عبد مسلم بصورة تلقائية ، وهو في حالة طيبة يصلي خلال هذا الوقت ، ويسأل الله تعالى خيرا إلا حقق له الله سؤاله ، واستجاب لدعائه .

(وَأَشَارَ) ﷺ (بِيَدِهِ يَقْلُلُهَا) أي وضع أنملة إبهامه على بطن الوسطى أو الخنصر ، يشير إلى أنها ساعة قليلة لطيفة قدر طرف الأصبع الموجود فوقه أنملة الإبهام الموضوعة على الوسطى أو الخنصر ، وجاءت (شَيْئًا) نكرة لتفيد العموم .

(١) أخرجه البخاري في: ١١ كتاب الجمعة: ٣٧ باب الساعة التي في يوم الجمعة، وللحديث

رويات أخرى في البخاري تحت أرقام : ٥٢٩٤ ، ٦٤٠٠ .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

اختلف السلف في وقت هذه الساعة ، وفي معنى (قَائِمٌ يُصَلِّي) .

اختلف السلف في وقت هذه الساعة ، وفي معنى (قَائِمٌ يُصَلِّي) .

فقال بعضهم : هي من بعد العصر إلى الغروب .

وقل غيرهم : هي من خروج الإمام وصعوده على المنبر إلى وقت

فراغ الصلاة .

وقال غيرهم : هي من حين تقام الصلاة حتى يفرغ المصلون منها .

وقيل : من حين يجلس الإمام على المنبر حتى يفرغ من الصلاة .

وقيل : هي آخر ساعة من يوم الجمعة ...

والأقوال كثيرة في تحديد ساعة الإجابة أوصلها ابن حجر إلى أكثر

من أربعين رأيا ، ثم ذكر أن الله تعالى أبهما كλίلة القدر ليحث الداعي

للاكتثار من العبادة والدعاء ، لأن الله لو بينهما لأهمل الناس واهتموا

بالوقت المحدد ، وأهملوا مآعاده .

ومعنى (قَائِمٌ يُصَلِّي) أي يداوم على الدعاء ، ويناجي الله تعالى ،

وينتظر الصلاة .

فإن قيل : كيف تقع ساعة إجابة واحدة للناس جميعا مع أن الزمان

مختلف ، والوقت مختلف أيضا ؟

أقول : إن كل إجابة متعلقة بفعل المصلي ، كما في ساعات الكراهة

، والوقت في كل مكان مظنة ساعة الإجابة كل بحسبه .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب أن في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يدعو الله إلا استجاب الله دعاءه ، وحقق رجائه ، وهي (ساعة الإجابة) .

- ه -

ركائز الدعوة في حديث الباب

في حديث الباب ركيزة هامة هي : -

الدعاء يوم الجمعة

تعهد أي عمل بالحرص والعمل ينميهِ ، ويبرز ما فيه من خير وإصلاح ، ولذلك وجدنا الإسلام ينشئ الصلاح في النفس البشرية ، ويعمل على تقويته واستقراره ليشمل كل جوانب الفرد ، وكل جوانب الحياة ، ولم يترك الله تعالى عباده هملا يلعب بهم الشيطان ، وتشقيهم آراء الفلاسفة ، ولم يدعمهم يتخبطون وسط عالمهم المادي المحدود المجهول أغلبه أمامهم ، فهم ﴿ يَظَاهِرُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ﴾ ^(١) إن الله هو العليم الخبير ولذلك أنزل للناس الصراط المستقيم فعرفهم بأحسن صيغ الدعاء لتكون جامعة شاملة ، وعرفهم بكافة صور العبادة بصورة عامة ومحددة ، لتظهر في كل عمل وقول ، ومن ذلك الحث على الدعاء والطلب من الله تعالى لقوله ﷺ : (الدعاء مخ العبادة) ^(٢) وما كان الدعاء كذلك إلا لأنه يضع الإنسان في حقيقته ليعلم أنه عبد مخلوق

(١) سورة الروم الآية : ٧ .

(٢) سنن الترمذي - الجام الصحيح - الذبائح ، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ ، حديث

محدود الطاقات والقدرات ، محدود في إدراك العلم المشاهد ، لا يدري من الغيب على تنوعه شيئاً ، ويعرفه أيضاً بمقام ربه فهو الخالق المعطي القادر ، وصفات الكمال كلها له ، ومع هذه الحقائق يحتاج الإنسان إلى المعين والنصير ، والعالم والقدير ، وحتى تتلاقى هذه العتاصر في مسار وأحد شرع الله تعالى الدعاء لترسيخها في العقل والضمير بصورة تلقائية تمثل للإنسان طريقه إلى الله تعالى .

إن الدعاء هو الدلالة العملية على أن العبد علم الواقع ، وعاش معه ، ولجأ إلى مالك الملك ، الذي ﴿يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾^(١)

ومن براهين العلم والإيمان إلحاح العبد في الطلب والدعاء ومواصلة طرق الباب لينفتح ، والتزامه بالأسباب التي توصله لإجابة الدعاء .
ومن براهين رحمة الله بالمؤمنين أنه عرفهم بوسيلة نوال الحظوة ، وتحقيق المراد ، يقول ﷺ : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٢)
وبين أفضل الأوقات والأماكن والأحوال لاستجابة الدعاء ...
ومن هذه الأوقات ساعة إجابة يوم الجمعة ، وأفضل الأماكن بيوت الله ، وأفضل الأحوال صدق العبودية ، وإخلاص النية ، والاستغراق في الطاعة العملية والقولية ، والإصرار على الاستجابة ، يقول النبي ﷺ (رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره)^(٣)

(١) سورة النمل الآية : ٦٢ .

(٢) سورة غافر الآية : ٦٠ .

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الضعفاء والخاملين، حديث ٤٨٦١

و يقول ﷺ (إن الله ليستحي من العبد أن يرفع إليه يديه فيردهما خائبين) (١)

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد حديث الباب

نستنبط من حديث الباب الفوائد التالية : -

- ١- ضرورة الاهتمام بالعبادة في يوم الجمعة فهو عيد المسلمين ، وبه تميزوا عن الأمم الأخرى .
- ٢- يجب العمل بكل ما ييسر استجابة الدعاء .
- ٣- تهيئة النفس لقبول الأعمال .
- ٤- حرص الرسول ﷺ على مصلحة أُمته .
- ٥- فضل الدعاء والحرص على الإكثار منه في يوم الجمعة .
- ٦- الحكم الشرعي المتعلق بتحصيل الإجابة يمكن الوصول إليه باستيعاب العبادة بالنهار والليل .

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ، أول كتاب المناسك ، حديث رقم : ١٩٠٣ .

- ٦ -

٦ - باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة

حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: نَحْنُ الْآخِرُونَ [٤٩٦]، (١)

السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَيْنَ كُلِّ أُمَّةٍ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا،
وَأَوْتِينَا مِنْ بَعْدِهِمْ؛ فَهَذَا الْيَوْمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ؛ فَعَدًّا لِلْيَهُودِ
، وَبَعْدَ عَدِّ النَّصَارَى ^(١)

- أ -

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب سبق الأمة الإسلامية بيوم الجمعة ، وبكثرة فضائلها عن الأمم الكتابية التي سبقتها ، رغم تأخرها الزماني.

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يروى أبو هريرة رضي الله عنه الحديث (عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أي نحن المسلمين الآخرون زمانا والسابقون منزلة وفضلا .
والمراد أن الأمة الإسلامية وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية فهي سابقة عليهم في الآخرة لأنها أول من يحشر ، وأول من يحاسب ، وأول من يقضى الله بينهم ، وأول من يدخل الجنة، يقول رسول الله ﷺ : (نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلق)^(٢) أي ان الأمة الإسلامية تسبق الأمم الأخرى عند الله تعالى

(١) أخرجه البخاري في: ٦٠ كتاب الأنبياء: ٥٤ باب حدثنا أبو اليمان

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجمعة ، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ، حديث: ١٤٦١

ولذلك حدد الحديث السابق بأنه في (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ، وأخذ العلماء من سبق الأمة الإسلامية الأمم الأخرى يوم القيامة بسبقها لهم في الدنيا فقالوا : إن الله تعالى قدر للأمة الإسلامية سبقا في الدنيا أيضا بأن هداهم ليوم الجمعة ، فهو أسبق من يوم السبت وهو يوم اليهود ، وأسبق من يوم الأحد وهو يوم النصارى ... وذلك بالنظر في اجتماعهم في توال وتتابع ، فلا يتصور اجتماع الأيام الثلاثة إلا ويكون السابق ليوم الجمعة .

وقيل المراد بالسبق قبول الأمر والطاعة ، وقد قال أهل الكتاب لرسولهم : (سمعنا وعصينا) أما المسلمون فقد قالوا : ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾^(١) (بَيِّدْ كُلُّ أُمَّةٍ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا) بيد على وزن (غير) وبمعناها ، وهي تفيد الاستثناء في الدنيا ، أي إنهم أوتوا التوراه والإنجيل من قبلنا لكننا سبقناهم بيوم الجمعة ، فهو مدح بما يشبه الذم ، والمعنى أننا السابقون للفضل غير انهم أوتوا الكتاب من قبلنا .

و(أل)فى الكتاب للعهد ، والمراد به الكتاب المعهود الذى نزل على موسى عليه السلام (وَأُوتِينَا مِنْ بَعْدِهِمْ) ، أى وأوتينا القرآن الكريم من بعدهم لتأخر مجيئ الإسلام عن المسيحية واليهودية (فَهَذَا الْيَوْمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ) ، أى فهذا هو اليوم الجمعه الذى إختلف فيه اليهود والنصارى .

يقول ابن بطال: ليس المراد أن يوم الجمعة فرض على أهل الكتاب فتركوه لأنه لا يجوز لأحد أن يترك ما فرضه الله عليه وهو مؤمن ، وإنما المراد أن الله فرض عليهم يوما من الأسبوع ، وكل الى إختيارهم ليعلموا

(١) سورة البقرة من الآية : ٢٨٥ .

فيه شريعتهم ، فاختلفوا فى أى الايام هو ، ولم يهتدوا ليوم الجمعة ، ورضوا بيوم السبت ، وكذلك فعل النصارى ورضوا بيوم الأحد .

ومال القاضى عياض الى هذا وقال : لو تركوا المفروض لقال الله تعالى (فخالفوا) ولم يقل (فاختلفوا)^(١)

وقال النووي : يمكن أن يكونوا أمروا به صريحا ، فاختلفوا هل يلزم تعينه أم يجوز إبداله ... ؟ ، فاجتهدوا في ذلك ، واختاروا السبت ، فهداهم الله له ، يقول ﷺ : ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾^(٢) .

وكذلك فعل النصارى واختاروا يوم الأحد ، وهدى الله تعالى الأمة الإسلامية ليوم الجمعة لأن العرب كانوا يعظمونه ، ويسمونونه يوم العروبة . يقول محمد بن سيرين : (جمع أهل المدينة قبل أن يقدم رسول الله ﷺ وقبل أن تنزل الجمعة وهم الذين سموها الجمعة ، فقالت الأنصار لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام ، وللنصارى أيضا مثل ذلك ، فلهم فلنجعل يوما نجتمع ونذكر الله ، ونصلي ، ونشكره فيه ، فجعلوه يوم العروبة ، وكانوا يسمون يوم الجمعة يوم العروبة .

فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة ، فصلى بهم ، يومئذ وذكرهم فسموه الجمعة ، وحين اجتمعوا إليه ذبح أسعد بن زرارة لهم شاة فتغدوا وتعشوا من شاة واحدة ، وذلك لقتلهم)^(٤) .

(١) فتح الباري ج ٢ ص ٣٥٥ .

(٢) سورة النحل الآية : ١٢٤ .

(٣) شرح النووي ج ٢ ص ٥٠٠٧ .

(٤) مصنف عبد الرزاق الصنعاني، كتاب الجمعة، باب أول من جمع، حديث رقم : ٤٩٩٠

وقد وفق الله تعالى الأنصار فهداهم إليه ، ولما هاجر رسول الله ﷺ جعل يوم العروبة عيداً اسبوعياً للمسلمين وسماه يوم الجمعة .
ودلالة السبق أن يوم الجمعة للمسلمين ، والسبت لليهود ، والأحد للنصارى ، وبذلك يسبق المسلمون غيرهم في الزمان والدنيا ، وجاء تقدير الله تعالى مع هداية الناس فاختر الله يوم الجمعة وشرع فيه صلاة الجمعة ، وجعله عيداً للمسلمين .

والحكمة في اختيار يوم الجمعة ربطه بأصل الإنسان ، ففيه خلق آدم عليه السلام ، وفيه أخرج من الجنة ، وكلف بالعبادة ، وما دام الإنسان مخلوقاً للعبادة فعليه أن يقوم بمهمته في يوم مليء بالعبادة ، ويعيش ذكريات آدم عليه السلام عند خروجه من الجنة ، ويحذر مغريات المادة ، ووساوس الشياطين .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يوم الجمعة عيد المسلمين في كل اسبوع يستحب فيه الإكثار من العبادة ، فقد بث الله فيه خيراً كثيراً ، وأمر فيه بالخطبة قبل الصلاة ، وحث الناس على التبكير في الذهاب للمسجد ليفوزوا بالأجر الكبير ، والثواب الواسع ... وحث الناس على تلمس ساعة الإجابة ، لأن من يصادفها وهو يدعو الله تعالى يستجاب له ، وقد كلف الله تعالى اليهود والنصارى ليخصوا يوم الجمعة بتعظيم الله ، وتقديم المشاعر فأبوا ، ورضى اليهود بيوم السبت ، واختار النصارى يوم الأحد ، وهدى الله تعالى المسلمين ليوم الجمعة فسبقوا اليهود والنصارى ؛ لأن يوم الجمعة يأتي أولاً ، وبعده يأتي السبت ثم الأحد ، فسبق بذلك المسلمون اليهود والنصارى

ودل هذا السبق المادي على السبق في الهداية والثواب والمنزلة في الدنيا والآخرة .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب أن الله تعالى قدر للأمة الإسلامية أن تسبق من تقدمها من الأمم في الفضل رغم أنهم الآخرون في الزمان .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

يتضمن الحديث ركيزة هامة ... هي : -

دور الأمة الإسلامية في إصلاح العالم

تطورت البشرية وتقدمت خلال تاريخها الطويل ابتداء من آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، ووصلت إلى رشدتها قبيل ظهور لإسلام الذي جعله الله تبارك وتعالى خاتم الأديان ، وعاما للناس كلهم ، ومستمرا إلى يوم القيامة ، فبعث الله محمدا مكملا لسائر الرسالات ، وأنزل القرآن الكريم مهيمنا على ما سبقه من الكتب ، وجعل أمته الناس أجمعين .

ومن هنا

قدر الله تعالى للإسلام السبق في كل أمر ليسعد به الإنسان ، ولولا وجود عوامل الفساد والشر بين الناس لأمنوا أجمعون ... وتبقى الحقيقة ناصعة وإن كفر بها بعض الناس .

إن من أجاب دعوة الله ودخل في الإسلام هم أمة الإجابة ، وهم الذين تحملوا أمانة الدين وصار واجبا أن يقوموا بما وجب عليهم بإيمانهم .
يجب على المسلمين أن يبلغوا دينهم إلى العالم كله ، ويبرزوا ما فيه

من خير ، ويردوا عنه مزاعم الضالين ، ويبينوا للناس براهين الصديق في الآيات الكونية الماثلة في المخلوقات وفي الإنسان نفسه ، خلقا ومعونة ، وتمكيننا .

إن الأمة الإسلامية قد هيأها الله تعالى لتقوم بدور الريادة والقدوة لغيرهم من الناس ، فأنزل فيهم القرآن الكريم مشتملا على الدين كله ، ومحتويا على سبل تبليغه للناس ومكن الله لها في الأرض لتقوم بواجبها المأمول ، فقد جعل الله تعالى الأمة الإسلامية وسطا في التشريع والخلق ، ووسطا في المكان والزمان ، ووسطا بين الروحية والمادية لتصل بمنهجها إلى أصحاب المفاهيم العقلية المجردة ، وإلى المستغرقين في المادة ، وشهوات الدنيا .

لقد مكن الله تعالى المسلمين في الأرض ، وحدد مسئوليتهم ، وعرفهم بأنهم قد سبقوا غيرهم في المثوبة والأجر ، وفي المنزلة والقدر ، رغم أنهم آخر الأمم في دنيا الناس ، فجعل لهم يوم الجمعة ، فسبقوا الأمم الأخرى بعد أن تركوه وطلبوا السبت والأحد .

إن عظمة الأمة الإسلامية تتحقق بمقدار تمسكها بتعاليم الإسلام والالتزام بمنهج الله تعالى ، ولا عذر لمسلم في ترك أمر من أمور الإسلام .
ومن المهم أن يعلم كل مسلم أن أعداء الإسلام لن يهدأوا في حربهم على الإسلام ، فهم ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ^(١).

(١) سورة التوبة الآية : ٣٢ .

واليوم

بان المخبوء ، وظهر العدوان ، واشتد العمل لعزل الدين عن الحياة ،
وتمكنوا من اتخاذ جنود لهم من المسلمين أنفسهم ، يقومون بدورهم ،
ويخدعون العامة بشعارات كاذبة بعد تجهيل الناس بالإسلام ، وإشباعهم
بشبهات ومفاهيم باطلة تصور لهم الإسلام ديناً لا سياسة فيه ، ومنهجاً
يحتاج إلى التطوير ، والتعديل .

ومع الاسف الشديد فإن الذي ساعدهم في تحقيق بعض أهدافهم
هو جهل المسلمين أنفسهم بدينهم وتصورهم العلم به ، ومن الأمور العادية
وجود مسلم لا يعرف من دينه شيئاً ، ويدعي معرفة أحكامه ، فيزعم
أنه على الحق ، وهو لا يؤدي ما عليه الله ولنفسه ولغيره من الناس .
إن المسلمين فرطوا في عوامل السبق ، فتخلفوا وصاروا ضعافاً
أمام الأقوياء ، وأيتاماً في مآدبة اللئام .

- أين ولاة الأمور من الالتزام بدين الله تعالى ؟!
 - وأين العقيدة الصادقة من حياة الأفراد والجماعات ؟!
 - وأين الشريعة في الأحكام والسلوك ؟!
 - وأين الإسلام في أعمال الناس وأخلاقهم ؟!
 - وأين المؤسسات الجادة التي تعمل في خدمة الإسلام والمسلمين ؟!
- إن إهمال تطبيق الإسلام في الحياة صار عملاً سائداً بين الأفراد**
وأصبح سياسة مستمرة بين الجماعات ، حتى صرنا نبحث عن الرجل
الأمين فلا نجده ، ونتمنى سياسة راشدة تعيدنا إلى قيم الإسلام ومنهجه ،

ولا نلمسها الآن ولا في نهاية النفق المظلم الذي نعيش فيه .
إن السبق يحتاج لفرسان يعملون له ، وهذا ما نأمله في المسلمين .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من الحديث الفوائد التالية : -

- (١) المحافظة على المزايا يحتاج إلى المحافظة على العوامل المؤدية إليها.
- (٢) فتح الله أمام المسلمين الطريق إليه، ولكن أين السائرون؟!
- (٣) سبق المسلمون بسبب الإسلام ليفيدوا غيرهم بالدعوة والإرشاد إلى ما سبقوا به .
- (٤) الشعائر في الإسلام رموز لأعمال عديدة للاهتمام بها .

- ٧ -

٩- باب صلاة الجمعة حين تزول الشمس

حديث سهل رضي الله عنه قَالَ : مَا كُنَّا نَقِيلُ وَلَا نَتَغَدَّى إِلَّا بَعْدَ
الْجُمُعَةِ ^(١) ٩٣٩ [٤٩٧]، (٢)

حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قَالَ : كُنَّا نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ
الْجُمُعَةَ ثُمَّ نَنْصَرِفُ وَلَيْسَ لِلْحَيْطَانِ ظِلٌّ نَسْتَظِلُّ فِيهِ ^(٢) ٤١٦٨ [٤٩٨]، (٢)

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أن الصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا يصلون الجمعة مبكرين قبل القيلولة والغداء .

- ب -

الدلالات اللغوية في أحاديث الباب

يشتمل الباب على حديثين يبينان الوقت الذي كان رسول الله ﷺ يؤدي فيه صلاة الجمعة ، وأنه كان قبل القيلولة والغداء .

ففي الحديث الأول يقول سهل بن سعد رضي الله عنه : (مَا كُنَّا نَقِيلُ وَلَا نَتَغَدَّى إِلَّا بَعْدَ الْجُمُعَةِ) أي كنا أصحاب النبي ﷺ نصلي الجمعة وبعدها نقيّل ، أي ننام للقيلولة في نصف النهار ، ونتناول طعام الغداء الذي نتناوله في نصف النهار .

وفي الحديث الثاني : يقول سلمة بن الأكوع رضي الله عنه (كُنَّا نُصَلِّي مَعَ

(١) أخرجه البخاري في: ١١ كتاب الجمعة: ٤٠ باب قول الله تعالى: (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض)

(٢) أخرجه البخاري في: ٦٤ كتاب المغازي: ٣٥ باب غزوة الحديبية

النَّبِيِّ ﷺ الْجُمُعَةَ ثُمَّ نَنْصَرِفُ وَلَيْسَ لِلْحَيْطَانِ ظِلٌّ نَسْتَظِلُّ فِيهِ) أي إنهم كانوا رضوان الله عليهم - يصلون الجمعة في وقت مبكر ، وكانوا ينصرفون والحيطان ليس لها ظل يستظلون به ، وذلك يكون قرب وقت الزوال .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تدل أحاديث الباب على استحباب التبكير في أداء الخطبة والصلاة ، وقد جوز الإمام أحمد واسحاق ابن رهوبة أداء الخطبة والصلاة قبل الزوال ، مستدلين بظاهر أحاديث الباب .

وذهب مالك والشافعي وأبو حنيفة ، وجمهور العلماء من السلف والخلف - رضوان الله عليهم - إلى عدم جواز الجمعة إلا بعد الزوال ، مستدلين بأن وقت الجمعة هو وقت الظهر الذي يبدأ بالزوال ... وحملوا أحاديث الباب على أنها للمبالغة في تعجيل أداء الجمعة في أول وقتها وعدم تأخيرها شفقة بالمصلين ، وأنهم لذلك كانوا يؤخرون القيلولة والغداء ، وانشغلوا بالتبكير إلى المسجد ، فلو انشغلوا بالقيلولة والغداء فرطوا في التبكير للصلاة ، وفي قول سلمة ؓ (وَلَيْسَ لِلْحَيْطَانِ ظِلٌّ نَسْتَظِلُّ فِيهِ) إشارة إلى وجود شيء قليل لا يمكن التظلل تحته ، أي أن الوقت كان بعد الزوال ... وسبب عدم تمكنهم من الاستظلال بفيء الحيطان قصرها وقصر ظلها^(١)

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب التبكير في صلاة الجمعة وتقديمها على القيلولة

(١) شرح النووي ج ٢ ص ٥١٢ ، ٥١٣ .

والغداء .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب ركيزة هامة ... هي: -

التخفيف في يوم الجمعة

جعل الله تعالى يوم الجمعة للمسلمين عيداً يملأونه بالعبادة ويذكرون الله فيه ، وقد رفع الله عنهم الحرج حتى لا يكلفهم بما لا يطيقون ، فحثهم على التخفيف في صلاة الفجر ، ودعاهم إلى التبكير في الذهاب إلى المسجد ، حتى تخف عنهم حرارة الشمس عند الزوال ، وشرع لهم اللقاء في المسجد في جو طاهر نظيف ، ودعاهم إلى التبكير في أداء الخطبة وإقامة الصلاة ليقبلوا بعدها ، ويتناولوا طعامهم ، ويلتقوا بأبنائهم وأهليهم ، ويذكروا الله تعالى في هذا اليوم الكريم.

ومن تكريم الله تعالى للمسلمين في هذا اليوم أن فضله على سائر الأيام ، وحث على الذكر والدعاء فيه ، وخصه بالخطبة التي توضح الدين ، وتشرحه للمصلين .

وأعلى درجات التكريم أن جعل الله تعالى للمسلمين ساعة في يوم الجمعة يستجيب فيها الدعاء لمن دعاه مقبلاً مطيعاً .

وبهذا يتضح التيسير والفضل مع دوام الذكر والطاعة ، والسبق ، والمثوبة ... والمسلمون في العالم كله يعيشون فضل الجمعة ، ويشعرون بهذا اليسر إلا من أعمى الله أبصارهم وأضلهم عن الحق ، ومالوا إلى الهوى والفساد ، وهم ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ

صُنْعًا^(١)

إن نور الشمس لا يراه العميان ،ونور الإيمان لا يشعر به ذوو البصائر العابثة،وسيبقى الغافلون نائمين إلى أن يفوتهم الخير كله والله ولي المتقين

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الأحاديث

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية :-

- ١- تهيئة النفس لليقظة يوم الجمعة عامل هام للاستفادة منها .
- ٢- التخفيف مستحب في كل أعمال يوم الجمعة .
- ٣- الرسول ﷺ هو اسوة المسلمين وقدوتهم .
- ٤- أفضل الأيام يوم الجمعة .

(١) سورة الكهف الآية : ١٠٤ .

- ٨ -

**١٠ - باب ذكر الخطبتين قبل الصلاة
وما فيهما من الجلسة**

حديث ابن عمر م قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ قَائِمًا، ثُمَّ يَقْعُدُ، ثُمَّ يَقُومُ، كَمَا تَفْعَلُونَ الْآنَ (١). ٩٢٠

- أ -

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب أن من شروط الخطبة القيام إلا لعذر يمنع الخطيب من القيام .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يقول عبد الله بن عمر م : (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ قَائِمًا، ثُمَّ يَقْعُدُ، ثُمَّ يَقُومُ، كَمَا تَفْعَلُونَ الْآنَ) أي أنه ﷺ كان يخطب قائمًا في خطبته الأولى (ثُمَّ يَقْعُدُ) بين الخطبتين (ثُمَّ يَقُومُ) ليخطب الخطبة الثانية (كَمَا تَفْعَلُونَ الْآنَ) .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

ذهب الفقهاء إلى عدة أقوال في حكم الخطبة قيامًا ، فذهب أبو حنيفة إلى أن القيام للخطبة سنة وليس واجبًا ، مستدلًا بأنه (ﷺ) جلس ذات يوم على المنبر وجلسنا حوله (٢)

(١) أخرجه البخاري في: ١١ كتاب الجمعة: ٢٧ باب الخطبة قائمًا ، وللحديث رواية أخرى في البخاري تحت رقم : ٩٢٨ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب يستقبل الإمام القوم .

وكان ﷺ يقول للمرأة : (أن مري غلامك النجار ، يعمل لي أعوادا ،
أجلس عليهن إذا كلمت الناس) (١)

وقال مالك أنه واجب يأثم الخطيب على تركه ، وتصح الخطبة .
وذهب جمهور الفقهاء إلى أن القيام للخطبة شرط في صحتها
ويستدلون بما روي عن جابر بن سمرة رضي الله عنه ، قال : (ما رأيت النبي ﷺ
يخطب يوم الجمعة قط إلا وهو قائم ، فمن حدثك أنه رآه يخطب وهو
جالس ، فقد كذب) (٢)

وخطب الرسول ﷺ قائما صلى أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم قائمين
، ويقولون ان مواظبة النبي ﷺ على القيام والجلوس بين الخطبتين دليل
على وجوب القيام إذ لو كان الجلوس جائزا ما احتاج إلى الجلوس بين
الخطبتين ، ويردون على من جوز القعود بأنه كان في غير خطبة الجمعة
أو أن المراد بالجلوس أول صعوده على المنبر أو بين الخطبتين (٣)

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين الحديث وجوب القيام أثناء الخطبة وعدم جواز القعود إلا
لعذر ، وقد فصلوا في أحكام القيام للخطبة .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في حديث الباب

يتضمن حديث الباب عددا من الركائز ... أهمها : -

(١) صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب النجار .

(٢) مسند احمد بن حنبل ، اول مسند البصريين ، حديث رقم : ٢٠٤١٥ .

(٣) شرح النووي ج ٢ ص ٥١٦ .

الركيزة الأولى

هدي النبي ﷺ في الخطبة

يقول ابن القيم : كان النبي ﷺ إذا خطب أحمرت عيناه ، وعلا صوته ، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول : صبحكم ومساكم ، ويقول : بعثت أنا والساعة كهاتين ، ويقرب بين أصبعيه السبابة والوسطى ...، ويقول بعد المقدمة أما بعد :

وكان يقصر الخطبة ويطيل الصلاة ، ويقصر الذكر ، ويقصد الكلمات الجوامع ، وكان يقول: إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته من فقهه .
وكان يعلم أصحابه في خطبته قواعد الإسلام وشرائعه ، ويأمرهم وينهاهم في خطبته إذا عرض له أمر أو نهى ، كما أمر الداخل وهو يخطب أن يصلي ركعتين . ونهى المتخطي رقاب الناس عن ذلك ، وأمره بالجلوس .

وكان يقطع خطبته للحاجة تعرض ، أو للسؤال يوجه إليه ، ثم يعود لخطبته فيتمها .

وربما نزل من على المنبر للحاجة ثم يعود ، كما نزل للحسن والحسين ، وأخذهما ورقى بهما المنبر ثم أتم الخطبة ، وكان يأمرهم ﷺ بمقتضى الحال في خطبته فإذا رأى منهم ذا فاقة وحاجة أمرهم بالصدقة وحضهم عليها .

وكان يشير بأصبعه السبابة في خطبته عند ذكر الله تعالى ودعائه وكان يستسقى بهم إذا قحط الماء في خطبته . ويمهل يوم الجمعة حتى يجتمع الناس فإذا اجتمعوا خرج إليهم وحده من غير حرس ولا تابعين

فإذا دخل المسجد سلم عليهم ، فإذا صعد المنبر استقبل الناس بوجهه ، وسلم عليهم ، ولم يدع مستقبل قبله ، ثم يجلس ويأخذ بلال رضي الله عنه في الأذان ، فإذا فرغ منه قام النبي صلى الله عليه وسلم فخطب من غير فصل بين الأذان والخطبة .

ولم يكن يأخذ بيده سيفاً ولا غيره ، وإنما كان يعتمد على قوس وعصا قبل أن يتخذ المنبر .

وكان إذا خطب استدار أصحابه إليه بوجوههم ، وكان وجهه قبلهم في وقت الخطبة ، وكان يأمر الناس بالدنو منه .

وكان يأمرهم بالانصات ، ويخبرهم أن الرجل إذا قال : لصاحبه انصت فقد لغى ، ومن لغا فلا جمعة له

وكان إذا فرغ بلال من الأذان أخذ في الخطبة ولم يقم أحد يركع ركعتين البتة وهكذا كان هديه صلى الله عليه وسلم في خطبته ^(١)

الركيزة الثانية

الأحكام الشرعية المتصلة بخطبة الجمعة

تناول الفقهاء خطبة الجمعة بالتحليل والتفصيل فوضعوا لها أحكاماً عدة مستتبطة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية ومنها :
أولاً : اشترط الجمهور ومالك وأحمد والشافعي في صحة الخطبة أن تتكون من خطبتين لا تصح بدونهما .

وذهب الأحناف إلى أن الخطبتين شرط ، ولكنها تصح بواحدة .
ثانياً : جلوس الخطيب على المنبر عقب صعوده وأثناء الأذان بين

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ج ١ ص ١١٧ .

يديه سنة عند الشافعي ، لتحقيق الراحة وسكون النفس ، وجمع الانتباه وحضور الذهن ، ودليل ذلك ما رواه البخاري عن السائب بن يزيد رضي الله عنه (أن التأذين يوم الجمعة كان حين يجلس الإمام) ^(١) وله أيضا : (إن الأذان يوم الجمعة كان أوله حين يجلس الإمام ، يوم الجمعة على المنبر في عهد رسول الله ﷺ ، وأبي بكر ، وعمر - رضي الله عنهما ، فلما كان في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكثروا ، أمر عثمان يوم الجمعة بالأذان الثالث ، فأذن به على الزوراء ، فثبت الأمر على ذلك) ^(٢) .

ثالثاً : استحب الجمهور جلوس الخطيب بين الخطبتين جلسة قصيرة ، أقلها قدر الطمأنينة ، وأكثرها قدر قراءة سورة الإخلاص ، وحكمة هذه الجلسة الفصل ببين الخطبتين .

رابعاً : ضرورة المحافظة على أركان الخطبة ، وهو عند جمهور الشافعية واحمد أربعة أركان هي : حمد الله تعالى ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، و الوصية بالتقوى ، وقراءة شيء من القرآن . وقال أبو يوسف ومحمد وداود : الواجب ما يقع عليه اسم الخطبة . وقال أبو حنيفة : يكفي للخطيب أن يقول : سبحان الله أو يسمي الله ، أو الله اكبر ، ونحو ذلك .

وأرى أن من الضروري اشتمال الخطبة على مواظ وإرشادات نافعة للمستمعين تعرفهم بدينهم ، وتبين الأحكام الشرعية التي يحتاجون إليها .

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب المؤذن الواحد يوم الجمعة .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب التأذين عند الخطبة .

ولذلك حسن من الخطيب توجيه النصح للمصلين ، وتعريفهم بأي تقصير يراه منهم ، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وحسن أن يكون العدد كبيرا ، ومواجهه الخطيب للمستمعين ، وأن يخطب على مكان مرتفع ليراه المصلون .
وهدف هذه الأحكام المتصلة بالخطبة أن تقوم بدورها التعليمي والديني في توجيه المستمعين .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد حديث الباب

نستنبط من حديث الباب الفوائد التالية

- ١- يستحب الرفق في العبادة .
- ٢- أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل .
- ٣- الخطيب معلم وداعية ، وله حقوق يجب المحافظة عليها .

- ٩ -

١١- باب في قوله تعالى :

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾

حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَقْبَلَتْ عِيرٌ تَحْمِلُ طَعَامًا ، فَالْتَفَتُوا إِلَيْهَا ، حَتَّى مَا بَقِيَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ [٥٠٠]، (١)

٩٣٦

مَا بَقِيَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾^{(١)(٢)}

- أ -

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب وجوب التفرغ للصلاة والخطبة وعدم تركهما أو أحدهما إلى عمل من أعمال الدنيا .

- ب -

الدلالات اللغوية في حديث الباب

يقول جابر بن عبد الله رضي الله عنه : (بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ) أي حينما كنا مع النبي ﷺ في الصلاة ، وظاهر هذا الحديث أن الصحابة كانوا يصلون مع النبي ﷺ حين وقوع الحدث ، لكن ورد في صحيح مسلم قول حصين رضي الله عنه : (ورسول الله ﷺ يخطب)^(٣) أي إنهم كانوا يستمعون

(١) سورة الجمعة الآية:

(٢) أخرجه البخاري في: ١١ كتاب الجمعة: ٣٨ باب إذا نفر الناس عن الإمام في صلاة الجمعة فصلاة الإمام ومن بقى جائزة ، وللحديث روايات أخرى في صحيح البخاري تحت أرقام ٢٠٥٨ ، ٢٠٦٤ ، ٤٨٩٩ .

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجمعة باب في قوله تعالى: وإذا راوا تجارة أولهوا حديث: ١٤٧ .

للخطبة ، وجاء في رواية أخرى (وهو قائم يخطب)^(١) ويمثل هذا جاءت روايات عدة ، مما يؤكد أن معنى (نَحْنُ نُصَلِّي) أي ننتظر الصلاة ؛ لأن الإنسان في صلاة ما انتظر الصلاة ، ومعنى قوله (في الصلاة) أي في الخطبة ، فهو مجاز بقربته المجاورة .

(إِذْ أَقْبَلْتُ عَيْرٌ تَحْمِلُ طَعَامًا) أي جاءت عير ، وهي قافلة الأبل التي تحمل طعاما للتجارة وكانوا في انتظار قدومها من الشام ، فلما رأوها تعلقوا بها للحصول على طعامهم ، وطعام ذراريهم ، وكانت القافلة مملوكة لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، ويقودها دحية الكلبي رضي الله عنه .

(فَالْتَفَتُوا إِلَيْهَا) أي نظروا إليها ليتطمئنوا وليتأكدوا من مجيئها ، وقيل : انصرفوا إليها ، ولا يفهم من التفات الصحابة الانصراف عن الصلاة ، وإنما يفهم منه أنهم نظروا إليها بوجوههم لا بقلوبهم ، وهذا الالتفات لا ينافي الاستماع للخطبة (حَتَّى مَّا بَقِيَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا) بالرفع والنصب على الفاعلية والمفعولية ، أي أن الصحابة رضوان الله عليهم - التفتوا إلى العير ، وانصرفوا إليها ، ولم يبق مع رسول الله ﷺ إلا اثني عشر صحابيا كانوا مستغرقين في سماع الخطبة ، وقد سألهم رسول الله ﷺ عن عددهم (فَقَالَ : " كَمْ أَنْتُمْ ؟ " فَعَدُّوا أَنْفُسَهُمْ فَإِذَا هُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا وَامْرَأَةً)^(٢)

ذكر المحدثون منهم : -

(١) شعب الإيمان للبيهقي ، حديث رقم : ٦٢٠٥ .

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ، سورة الجمعة - القول في تأويل قوله تعالى :
وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا ، حديث رقم : ٣١٥٨١ .

- جابر بن عبد الله رضي الله عنه فقد قال (وأنا منهم) ^(١) .
 - سالم مولى حذيفة رضي الله عنه .
 - الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم .
 - عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .
- وقيل هم : العشرة المبشرون بالجنة ، وبلال وابن مسعود - رضي الله عنهم ،
والبعض ذكر عمار مكان ابن مسعود رضي الله عنه ^(٢) .
- (فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ) ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾
تتهي الصحابة عن ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ، والانصراف عنه إلى إبل
التجارة والطعام، وقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ أي اتجهوا إلى التجارة لا إلى
اللهو ، وإن لقال (إليهما) وقد سبق ترجيح أن الصحابة انفضوا عن
الخطبة ، أو أثناء انتظارهم للصلاة ، وهو اللائق بالصحابة تحسبا للظن
الحسن بهم ، أو بحمل المعنى على أن الصحابة كانوا يرون أن السعي
على المعاش يساوي انتظار الصلاة ، فالتفتوا إلى التجارة وذهبوا إلى
تحصيل الطعام والتجارة لمساواتها بالجلوس في المسجد ، ولم يكن نزل
عليهم بعد قوله صلى الله عليه وسلم ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ ^(٣)

(١) فتح الباري ج ٢ ص ٤٢٣ .

(٢) فتح الباري ج ٢ ص ٤٢٤ .

(٣) سورة محمد الآية : ٣٣ .

فإن قيل : يصف الله تعالى أصحاب رسول الله ﷺ بأنهم ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيمُ جَحْرَهُ وَلَا بَيِّعَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ^(١) فكيف نفهم الآية على ضوء قوله ﷺ :
﴿وَتَرْكُوكَ قَائِمًا﴾ ؟

أقول : إن قوله تعالى : ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيمُ جَحْرَهُ وَلَا بَيِّعَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾
نزل بعد الحديث ، ولم تنزل في الصحابة وإنما نزلت في قوم مخصوصين ،
فلما نزلت الآية من سورة الجمعة ، وفهم الصحابة دلالتها اجتنبوا
الخروج من المسجد ، ونزل فيهم قوله تعالى : ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيمُ جَحْرَهُ وَلَا بَيِّعَ
عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ يَوْمًا نَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ ^(٢)

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب .

تبين أحاديث الباب الجانب الإنساني للصحابة ، فلقد كانوا يجلسون
مع رسول الله ﷺ في المسجد ينتظرون الصلاة ، أو يسمعون الخطبة ،
وفي نفس الوقت كان يشغلهم أمر معاش أنفسهم وذويهم ، وكانوا يعدون
ذلك جزءا من إيمانهم ، وقد حدث أن كانوا في المسجد وإذا بهم يرون
قافلة تجارية جاءت من الشام بطعام وغذاء فنظروا إليها ، وسارع بعضهم
إلى الذهاب عندها ، حيث لم ينزل عليهم وحي ينهاهم عن ذلك ، فلما نزل
القرآن الكريم يعاتب الصحابة الذين تركوا رسول الله ﷺ ، وذهبوا للتجارة ،
التزموا بما أمرهم الله تعالى به ، ولم يعودوا بعد ذلك لما نهوا عنه .

(١) سورة النور الآية : ٣٧ .

(٢) سورة النور الآية : ٣٧ .

ولماذا لا نفهم الحديث على معنى أنه يقارن بين من هم مع رسول الله ﷺ ومن هم مع العير، وأن استماع الخطبة والصلاة خير من العير والتجارة .
إن ظاهر الحديث يفيد أن الصحابة تركوا رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي ، وذهبوا إلى اللهو والتجارة التي رأوها ... وهذا أمر نبرئ الصحابه منه ، وإنما يكون معنى الآية وتركوك قائما بينهم تخطب أو وأنت مقيم معهم ، وإنما نزلت الآية لتشريع لهم حكما جديدا ، وهو عدم الخروج من المسجد وترك رسول الله ﷺ داخله ، ولذلك لم تتكرر هذه الحادثة مرة أخرى ؛ لأن الصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا أشد قوة في العمل الصالح ، والأسرع في الطاعة والتفويض .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب أن الصحابة كانوا مع رسول الله ﷺ ، وهو يخطب قائما، فلما رأوا التجارة التي ينتظرونها ذهبوا إليها؛ لأن ذلك كان أمرا مباحا لهم ، فلما نهوا عن ذلك انتهوا، وعلموا أن الخير في البقاء مع رسول الله ﷺ في المسجد، وعدم الانصراف إلا بعد انتهاء الخطبة والصلاة ولا يصح فهم الحديث بما يحمل أي إساءة لأصحاب رسول الله ﷺ .

- ه -

ركائز الدعوة في حديث الباب

يتضمن حديث الباب ركيزة هامة هي :

عدم الاستغراق في ماديات الدنيا

يشير الحديث إلى موضوع له أهميته وهو انشغال الإنسان بماديات الحياة الدنيا من حب المعاش والرئاسة والأعمال ، والأولى في هذا أن

يتوسط الإنسان ، فيعيش في الدنيا ويعمل لها بما يحسن الآخرة ، ويعمل للآخرة ، ويعمل للآخرة وهو منتبه لحاجات الدنيا ؛ لأن الأمور مقدرة ، وكل شيء تم وزنه في علم الله تعالى ، وما كتب سوف يكون ، (لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب)^(١) ولذلك حسن اتمام عمل الخير ، وعدم تركه لغيره مع التوكل التام على الله تعالى .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من حديث الباب الفوائد التالية

- ١- ما عند الله تعالى خير وأبقى مما في الدنيا .
- ٢- رفعت الأقلام ، وجفت الصحف ، فاتقوا الله واجملوا في الطلب .
- ٣- خير الناس من فهم نفسه الأمانة بالسوء ، وأخضعها لطاعة الله تعالى .

(١) شعب الإيمان للبيهقي ، فصل فيما يقول العاصم في جواب التشميت ، حديث رقم :

- ١٠ -

١٣- باب تخفيف الصلاة والخطبة

[٥٠١]، (١) حديث يَعْلَى بْنُ أُمَيَّةَ رضي الله عنه ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ عَلَى

الْمِنْبَرِ ﴿وَنَادَوْا يَمْلِكُ﴾ ^{(١)(٢)} ٣٢٣٠

- أ -

موضوع حديث الباب

يبين الحديث قصر الخطبة والصلاة يوم الجمعة ، وضرورة قراءة قرآن في الخطبة ولو آية .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يقول يعلى بن أمية المعروف بـ (ابن منية) رضي الله عنه : (سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ عَلَى الْمِنْبَرِ ﴿وَنَادَوْا يَمْلِكُ﴾ ، وَمَالِكٌ هُوَ خَازِنُ النَّارِ ، وَفِي هَذَا

دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْصُرُ مِنْ خُطْبَتِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَكَانَ يَقْرَأُ فِيهَا شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يشير حديث الباب إلى قصر خطبة النبي ﷺ ، وأنه كان يكتفي

في بعضها بقراءة آيات قصيرة فقط ، مثل قوله تعالى : ﴿وَنَادَوْا يَمْلِكُ﴾

(١) سورة الزخرف من الآية : ٧٧ .

(٢) أخرجه البخاري في: ٥٩ كتاب بدء الخلق: ٧ باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في

السماء ، وللحديث روايات أخرى في للبخاري تحت أرقام : ٣٢٦٦ ، ٤٨٩٩ .

لَيَقْضِ عَلَيْكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكْنُونٌ ﴿١﴾ ففي هذه الآية كثير من النذير والتهديد كثير مما يخوف الناس .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب ضرورة قراءة شيء من القرآن الكريم في الخطبة ، ولو بقدر آية واحدة لما فيها من العبر والدروس .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في حديث الباب

يتضمن الباب ركيزة هامة ... هي : -

التخفيف في العبادة

يبين حديث الباب التخفيف في خطبة الجمعة ، ويبين أن رسول الله ﷺ قرأ فيها آيات قصيرة من القرآن الكريم تذكر باليوم الآخر ، وما فيه من الحساب والجزاء ؛ ليكون في هذا التخفيف قدوة للمسلمين من بعده ، يقول ﷺ : (إذا أم أحدكم الناس ، فليخفف ، فإن فيهم الصغير ، والكبير ، والضعيف ، والمريض) ^(١) .

- و -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من حديث الباب الفوائد التالية :

- ١- من فقه الجمعة تقصير الخطبة وتطويل القراءة .
- ٢- خلو الإسلام من العسر والمشقة .
- ٣- الرسول ﷺ مصدر الوحي وإليه يرجع الدين كله .

(١) صحيح مسلم، كتاب: الصلاة ، باب : أمر الأئمة بتخفيف الصلاة ، حديث رقم : ٧٤٣

- ١١ -

١٤ باب التحية والإمام يخطب

[٥٠٢]، (١) حديث جابر رضي الله عنه قال: دَخَلَ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ

٩٣١ فَقَالَ ﷺ لَهُ : أَصَلَّيْتَ ؟

قَالَ الرَّجُلُ : لَا

قَالَ ﷺ : فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ ^(١)

[٥٠٣]، (٣) حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ

يَخْطُبُ : إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ أَوْ قَدْ خَرَجَ فَلْيُصَلِّ

رَكْعَتَيْنِ ^(٢).

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب حكم تحية المسجد يوم الجمعة لمن دخل المسجد والإمام على المنبر يخطب .

- ب -

الدلالات اللغوية في أحاديث الباب

يشتمل الباب على حديثين يبينان حكم صلاة تحية المسجد لمن دخله ، والإمام يخطب يوم الجمعة .

ففي الحديث الأول : يقول جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه (دَخَلَ رَجُلٌ)

المسجد ، وهذا الرجل هو سليك بن هدية بن عمرو الغطفاني رضي الله عنه .

(١) أخرجه البخاري في: ١١ كتاب الجمعة: ٣٣ باب من جاء والإمام يخطب صلى ركعتين

خفيفتين

(٢) أخرجه البخاري في: ١٩ كتاب التهجد: ٢٥ باب ما جاء في التطوع مثني مثني .

(فَقَالَ) له النبي ﷺ (أَصَلَّيْتَ) ؟ ...

قال سليط (لا) .

ف(قَالَ له ﷺ : فَصَلَّ رَكْعَتَيْنِ) .

وقد نص على اسم الرجل مسلم في صحيحه الذي جاء فيه (جاء سليك الغطفاني يوم الجمعة ، ورسول الله ﷺ قاعد على المنبر ، فقعد سليك قبل أن يصلي .

فقال له النبي ﷺ : " أركعت ركعتين ؟ " .

قال سليك : لا .

قال ﷺ : " قم فاركعهما " ^(١) أي قم فصلي ركعتين تحية المسجد .

وقد اختلف الفقهاء في حكم تحية المسجد لمن دخله والإمام على المنبر يخطب ، فاستحبه بعضهم ، وكرهه غيرهم .

ويدور الحديث الثاني في معنى الحديث الأول ، إلا أن توجيه الخطاب فيه للجميع ، وأن تحية المسجد مشروعة عند الدخول إذا كان الإمام على المنبر يخطب ، أو خرج من مكانه ليصعد على المنبر للخطبة .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب حكم تحية المسجد للداخل والإمام على المنبر يخطب ، فذهب الشافعي والإمام احمد باستحباب تحية المسجد للداخل وإن كان الخطيب على المنبر يخطب ، مستدلين بأحاديث الباب ، ويقولون

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجمعة ، باب التحية والإمام يخطب ، حديث رقم : ١٤٩٤

ﷺ : (فإذا دخل أحدكم المسجد ، فلا يجلس حتى يركع ركعتين) (١)

ومنع الصلاة في هذا الحال مالك وأبو حنيفة ، مستدلين بما يلي :

- يقول الله ﷻ : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ

تُذَكَّرُونَ ﴾ (٢) والآية تبين منع تحية المسجد والإمام يخطب ؛ لأن الصلاة تتعارض مع السماع والانصات .

- لقوله ﷺ : (إذا قلت لصاحبك : أنصت يوم الجمعة والإمام

يخطب فقد لغوت) (٣) . وإذا كان الشرع يمنع الكلمة المباحة (انصت) فهو من باب أولى يمنع الصلاة والإمام يخطب .

- "يقول ﷺ للذي كان يتخطى رقاب الناس : (اجلس فقد آذيت

وآذيت) (٤) فأمره ﷺ بالجلوس ولم يأمره بتحية المسجد .

يقول ﷺ : (إذا دخل أحدكم المسجد والإمام على المنبر فلا صلاة ولا

كلام حتى يفرغ الإمام) (٥)

- يذهب المانعون لتحية المسجد والإمام يخطب إلى أن سليلط الغطفاني

ﷺ كان رجلاً فقيراً ، يلبس ثوباً مرقعاً في صورة بزة ، فأمره النبي ﷺ

بالقيام ليراه المصلون ، ويتصدقون عليه ، فهي واقعة حال لا عموم لها ،

(١) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب تحية المسجد بركعتين

، حديث رقم : ١٢٠٢ .

(٢) سورة العراف الآية : ٢٠٤ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الجمعة ، باب في الانصات يوم الجمعة في الخطبة ، حديث : ١٤٤٩

(٤) صحيح ابن خزيمة ، كتاب الجمعة - جماع أبواب الأذان والخطبة ، حديث : ١٦٩٧

(٥)

وعند احمد رحمته الله (دخل رجل المسجد يوم الجمعة والنبي صلى الله عليه وسلم على المنبر ، فدعاه فأمره أن يصلي ركعتين ، ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : " انظروا إلى هذا فإنه دخل المسجد في هيئة بذة ، فدعوته فرجوت أن تفتنوا له ، فتصدقوا عليه وتكسوه) ^(١)

وقد رد المجوزون لتحية المسجد على المانعين بقولهم : إن قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَمِعُوا لِلَّهِ وَأَنْصِتُوا ﴾ خاص بالقرآن ، والخطبة ليست قرآنا ... وقياس تحية المسجد بنصح القائل : (انصت) قياس لا يجوز ؛ لأن تحية المسجد مأمور بها ، وإسكات المتكلم ليس مأمورا به ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم لمن يتخطى رقاب الناس إجلس أي لا تتخطى الرقاب ، وقد يكون المراد بيان أن تحية المسجد جائزة وليست واجبة ^(٢)

وبهذا تمسك كل برأيه ليختار المصلي منها ما يشاء ، وهذه هي الرحمة التي يحققها الاختلاف .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أمر النبي صلى الله عليه وسلم سليكا صلى الله عليه وسلم ليصلي تحية المسجد أثناء الخطبة ، فدل ذلك على جواز تحية المسجد والإمام يخطب ، وقد أخذ بذلك بعض الفقهاء ، ومنعه غيرهم كما سبق بيانه .

(١) مسند احمد بن حنبل ، ومن مسند بني هاشم ، حديث رقم : ١٠٩٨١ .

(٢)

- ه -

ركائز الدعوة و الإيمان في أحاديث الباب

يشتمل الحديث على ركيزة هامة هي : -

ملامح الشورى في الفقه الإسلامي

أمر الله تعالى بالشورى ، وجعل أمر المسلمين قائما بينهم على المشاورة ، ، وقد ذهب العلماء إلى ضرورة الشورى ، فقد أمر الله تعالى بها ، وثبت أنها السبيل الصحيح لنشر العدل ، وتحقيق السلام ، والوصول للصواب في كل مسألة ، لأنها تتناول الآراء المختلفة في المسألة الواحدة للوصول إلى الحكم الصحيح . ورأى البعض أن تلك هي الديمقراطية بمعناها المعاصر ، وذهب البعض إلى أن الشورى تختلف اختلافا كليا عن الديمقراطية المعاصرة ؛ لأنها تعني قيام النواب المنتخبين بوضع الأحكام التي يسير عليها المجتمع ، ولذلك قالوا بالشورى ، ومنعوا الديمقراطية .

وأرى انها ليست الديمقراطية بمعناها الواسع ، لأن الديمقراطية تقوم على الآراء العقلية المستمدة من الواقع الاجتماعي ، بينما الشورى تعتمد على النص الشرعي ، والنظر في تطابق الواقع مع النص ... وأيضا فإن الديمقراطية تتشد المصلحة بعيدا عن الدين ، بينما الشورى تعمل لإخضاع الواقع لحكم الشرع ؛ لأنه هو المصلحة ، ومع ذلك فمن الممكن الاستفادة بآليات الديمقراطية ووسائلها لإثراء الشورى وتحقيق المصلحة في إطار شرع الله تعالى ، وهو ما قام به الفقهاء والعلماء .

- ٩ -

ملحات موجزة في فوائد الأحاديث

نستنبط من الحديث الفوائد التالية :

- ١- يستحسن أداء تحية المسجد فهي رمز وشعيرة .
- ٢- يستحب الجهر بنصيحة الخير ؛ ليكون الانتفاع بها عاما .
- ٣- التحذير في أي أمر يكون بقدر ما يستحق من إنذار .

- ١٢ -

١٧- باب ما يقرأ في يوم الجمعة

حديث أبي هريرة رضي الله عنه : قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْجُمُعَةِ [٥٠٤]، (١)

فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، أَلَمْ تَنْزِيلُ السَّجْدَةِ ، وَهَلْ أَتَى عَلَى
الْإِنْسَانِ (١)

٨٩١

- أ -

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب ما يقرأ في فجر يوم الجمعة ، والسور التي
يستحب قراءتها فيها .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يقول أبو هريرة رضي الله عنه (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْجُمُعَةِ، فِي صَلَاةِ
الْفَجْرِ، أَلَمْ تَنْزِيلُ السَّجْدَةِ، وَهَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ) أي أن رسول الله ﷺ
كان يصلي غالبا بهاتين السورتين في صلاة الفجر يوم الجمعة ، وصار
مستحبا قراءة هاتين السورتين في صلاة الفجر عند جميع الفقهاء ، مالم
تؤد المداومة إلى اعتقاد العوام أن قراءة هاتين السورتين فرض لازم ...
ولذلك يستحب ترك القراءة بهما أحيانا منعا لهذه المفسدة .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

استحب الفقهاء قراءة سورتي ألم السجدة ، وهل أتى على الإنسان

(١) أخرجه البخاري في، ١١ كتاب الجمعة: ١٠ باب ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة،

وللحديث رواية أخرى في صحيح البخاري تحت رقم : ١٥٦٨ .

في صلاة الفجر يوم الجمعة ، لما في ألم السجدة من سجدة التلاوة التي تقرب العبد من ربه ، ولما فيهما من دعوة إلى ترك الكسل ، والأمر بالطاعة والعمل حتى إنه يستحب لمن لم يقرأ هذه السورة بعينها أن يقرأ سورة غيرها فيها سجدة تلاوة .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب استحباب قراءة سورتي ألم السجدة ، وهلى أتى على الإنسان في فجر يوم الجمعة ، مالم يعتقد العامة وجوب ذلك .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في حديث الباب

يتضمن حديث الباب ركيزة هامة هي : -

الاهتمام بيوم الجمعة

منزلة يوم الجمعة في الإسلام منزلة عظيمة ، فهو يوم العيد الأسبوعي للمسلمين ، ولذلك دعا الله تعالى إلى الاهتمام به من أوله إلى منتهاه ففي يوم الجمعة يبدأ اليسر والتخفيف من صلاة الفجر فقد سن رسول الله ﷺ سنة في صلاة الفجر أن يقرأ فيها بسورتي ألم السجدة ، والإنسان ، لما فيهما من سجدة التلاوة ، والتذكير بفضل الله في خلقه الإنسان وإيجاده في الدنيا ، وتيسير المعاش له .

وبعد الصلاة مباشرة تنتشر الملائكة في السكك وعلى أبواب المساجد لتدون أسماء المبكرين إلى المسجد كل في وقته .

وتستمر الدعوة إلى الأكتار من الذكر والدعاء لموافقة ساعة الإجابة

، لينال من يوافقها ما يرجو .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من حديث الباب الفوائد التالية : -

- ١ - العاقل هو من عرف الحق واتبعه .
- ٢ - عبادة الله تعالى تكون بالعقل والجوارح والتدبر
- ٣ - دقة المنهج الإسلامي في البناء والتنمية .

- ٩ -

كتاب صلاة العيدين

كتاب صلاة العيدين

العيد اسم يطلق على محل الاجتماع مشتق من عاد يعود ، كأن الجماعة عادت إلى الاجتماع لما اعتادوه ، والعرب يملأون أعيادهم بالفرح والسرور

وقد شرع الله تعالى للمسلمين عيدين في العام جعل كل منهما عقب عبادة مفروضة ، فجاء عيد الفطر عقب صوم رمضان ، وجاء عيد الأضحى عقب الحج ... وكان العرب قبل الإسلام يلعبون ويلهون في يومين ، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أبدل بهذين اليومين العيدين .

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه : (قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما ، فقال : " ما هذان اليومان ؟ " قالوا : يومان كنا نلعب فيهما في الجاهلية ، فقال رسول الله ﷺ : " إن الله قد أبدلكم بهما خيرا منهما يوم الأضحى ، ويوم الفطر)^(١).

وقد شرع الله تعالى للمسلمين العيدين في السنة الثانية من الهجرة الشريفة ، حتى لا يتشبه المسلمون بغيرهم ، ويختلفون بأعيادهم وفق منهج إسلامي خالص فيه الفرح والسرور ، وفيه الذكر والدعاء ، وفيه الحب والمودة ... ومن المؤسف أن المسلمين اليوم يحتفلون بالأعياد بعيدا عن الروح الإسلامية الخالصة ، ويملأونها باللعب والهوى ، والبعد عن منهج الله تعالى ، فعيد المسلمين اليوم سفور واختلاط ، وارتكاب المنكرات من الأقوال والأفعال ، وهذا أمر لا يصح للمسلمين أن يفعلوه .

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ، كتاب صلاة العيدين ، حديث رقم : ١٠٢٧ .

- ١ -

١- باب الترتيب بين الصلاة والخطبة

في العيد

حديث ابن عباس م قال : شهدتُ الفِطْرَ معَ النَّبِيِّ ﷺ [٥٠٥]، (١)

٩٧٩

وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ ﷺ يُصَلُّونَهَا قَبْلَ الْخُطْبَةِ، ثُمَّ يُخْطَبُ
بَعْدَ خُرْجِ النَّبِيِّ ﷺ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ حِينَ يُجْلِسُ بِيَدِهِ، ثُمَّ

أَقْبَلَ يَشْفُقُهُمْ، حَتَّى جَاءَ النِّسَاءُ، مَعَهُ بِلَالٌ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا

النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَتُ يُبَايِعُنَكَ﴾ الْآيَةُ .

ثُمَّ قَالَ حِينَ فَرَعَ مِنْهَا: أَنْتَنَّ عَلَى ذَلِكَ ؟ .

فَقَالَتِ امْرَأَةٌ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ، لَمْ يُجِبْهُ غَيْرُهَا: نَعَمْ .

قَالَ ﷺ : فَتَصَدَّقْنَ، فَبَسَطَ بِلَالٌ ثَوْبَهُ ثُمَّ قَالَ: هَلُمَّ لَكُنَّ

فِدَاءً أَبِي وَأُمِّي، فَيُلْقِينَ الْفَتْخَ وَالْخَوَاتِيمَ فِي ثَوْبِ بِلَالٍ ^(١) .

حديث جابر بن عبد الله ﷺ ، قَالَ: قَامَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الْفِطْرِ [٥٠٦]، (٢)

٩٧٨

فَصَلَّى، فَبَدَأَ بِالصَّلَاةِ، ثُمَّ خَطَبَ، فَلَمَّا فَرَعَ نَزَلَ فَأَتَى النِّسَاءَ

فَذَكَرَهُنَّ، وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى يَدِ بِلَالٍ، وَبِلَالٌ بَاسِطُ ثَوْبِهِ، يُلْقِي

فِيهِ النِّسَاءُ الصَّدَقَةَ ^(٢)

حديث ابن عباس وجابر بن عبد الله ﷺ قالا: لَمْ يَكُنْ يُؤَدَّنُ [٥٠٧]، (٣)

٩٦٠

يَوْمَ الْفِطْرِ وَلَا يَوْمَ الْأَضْحَى ^(١)

(١) أخرجه البخاري في: ١٣ كتاب العيدين: ١٩ باب موعظة الإمام النساء يوم العيد .

(٢) أخرجه البخاري في: ١٣ كتاب العيدين: ١٩ موعظة الإمام النساء يوم العيد .

حديث ابن عباس م أنه أرسل إلى ابن الزبير رضي الله عنه في أول

[٥٠٨]، (٤)

ما بُويعَ له، إنه لم يكن يؤذن بالصلاة يوم الفطر، وإنما الخطبة
بعد الصلاة^(٢).

٩٥٩

حديث ابن عمر م : قال : كان رسول الله ﷺ ، وأبو بكر

[٥٠٩]، (٥)

وعمر م يصلون العيدين قبل الخطبة^(٣)

٩٦٣

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يخرج

[٥١٠]، (٦)

يوم الفطر والأضحى إلى المصلى، فأول شيء يبدأ به
الصلاة، ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس، والناس جلوس
على صفوفهم، فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم، فإن كان يريد
أن يقطع بعثاً قطعه ؛ أو يأمر بشيء أمر به ؛ ثم ينصرف
قال أبو سعيد: فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع
مرّوان، وهو أمير المدينة، في أضحى أو فطر، فلما أتينا
المصلى إذا منبر بناه كثير بن الصلت، فإذا مرّوان يريد أن
يرتقيه قبل أن يصلي، فجذب بثوبه، فجذبني، فارتفع
فخطب قبل الصلاة.

٩٥٦

فقلت له: غيرتم والله .

(١) أخرجه البخاري في: ١٣ كتاب العيدين: ٧ باب المشي والركوب إلى العيد، والصلاة قبل
الخطبة بغير أذان ولا إقامة .

(٢) أخرجه البخاري في: ١٣ كتاب العيدين: ٧ باب المشي والركوب إلى العيد، والصلاة قبل
الخطبة بغير أذان ولا إقامة .

(٣) أخرجه البخاري في: ١٣ كتاب العيدين: ٨ باب الخطبة بعد العيد .

فَقَالَ: أَبَا سَعِيدٍ قَدْ ذَهَبَ مَا تَعْلَمُ.
فَقُلْتُ: مَا أَعْلَمُ، وَاللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا لَا أَعْلَمُ.
فَقَالَ: إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَكُونُوا يَجْلِسُونَ لَنَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَجَعَلْتُهَا
قَبْلَ الصَّلَاةِ (١)

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب ترتيب أعمال العيد ، وتوضح أن الصلاة
كانت تسبق الخطبة ، وأن النسوة كن يتصدقن بما يملكن من خواتيم وفتح
لإنفاقها على المحتاجين .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على ستة أحاديث تبين ترتيب أعمال العيد في
المصلى كما قام بها رسول الله ﷺ ، والحكم الشرعي لها ، وتوضح
استحباب الصدقة في يوم العيد .

ففي الحديث الأول : يقول ابن عباس م (شَهِدْتُ الْفِطْرَ مَعَ

النَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ) ، أي رأيت عيد الفطر وشاهدت
أداء مناسكه مع رسول الله ﷺ ، وأبي بكر وعمر وعثمان ، فرأيتهم
(يُصَلُّونَهَا قَبْلَ الْخُطْبَةِ) أي يؤدون صلاة العيد قبل الخطبة (ثُمَّ يُخْطَبُ) ثم
يخطب كل منهم (بَعْدَ) أي وبعد الانتهاء من الصلاة كانوا يلقون الخطبة ،
فدل ذلك على أن صلاة العيد تكون قبل الخطبة .

(١) أخرجه البخاري في: ١٣ كتاب العيدين: ٦ باب الخروج إلى المصلى بغير منبر .

وأخذ ابن عباس **م** يروي ما فعله النبي ﷺ بعد الصلاة والخطبة فيقول : (خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ) بعد الفراغ من الخطبة وكنت قريباً منه (كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ) أي وكنت أنظر إليه لأرى ماذا يفعل (حِينَ يُجْلِسُ) الناس ، أي أنه ﷺ أخذ يجلس الناس بيده ، بضم ياء (يُجْلِسُ) وفتح الجيم وتشديد اللام المكسورة ، أي يأمرهم بالجلوس ؛ لأنهم قاموا بقيامه ، وساروا وراءه ، فأمرهم بالجلوس ليستمعوا لكلامه ، فلما انتهى ﷺ من الخطبة سار جهة النساء (ثُمَّ أَقْبَلَ يَشُقُّهُنَّ) أي إتجه ﷺ نحو النسوة ، وأخذ يشق صفوف الرجال (حَتَّى جَاءَ النَّسَاءَ) أي وصل إليهم و(مَعَهُ بِلَالٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) (فَقَرَأَ) عليهم رسول الله ﷺ آية بيعة النساء ، وهي قوله ﷻ : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١)

(ثُمَّ قَالَ) (ﷺ للنسوة (حِينَ فَرَّغَ مِنْهَا) أي بعد أن أنتهى من قراءة الآية ، قال لهن : (أَنْتُنَّ عَلَى ذَلِكَ) ؟ يريد ﷺ منهن أن يعرفن حدود البيعة ، ويبايعنه على ما في الآية ، وينبهن للجوانب التي يبايعون عليها (فَقَالَتْ امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ ، لَمْ يُجِبْهُ غَيْرُهَا : نَعَمْ) وفي رواية لمسلم (نعم ، يا نبي الله) (٢) فاكتفى رسول الله ﷺ منهن بإجابة امرأة واحدة ، واعتبرها إجابة

(١) سورة الممتحنة الآية : ١٢ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب : صلاة العيدين ، حديث رقم : ١٥١١ .

الجميع لعدم اعتراض أي منهن على إجابة المرأة ، واعتبر النبي ﷺ أن (نَعَمْ) إقرار على كل ما جاء في البيعة يقول البخاري : (لا يدري الحسن من هي)^(١) والمراد بحسن حسن ابن مسلم شيخ ابن جرير .

يقول ابن حجر رحمه الله : لم أقف على تسمية المرأة ، إلا أنه يختلج في خاطري أنها " أسماء بنت يزيد بن السكن " ل التي تعرف بخطيبة النساء ، فإنها روت أصل هذه القصة ، في حديث رواه عنها شهر بن حوشب رحمه الله (فعن شهر بن حوشب رحمه الله ، عن أسماء بنت يزيد ل أن رسول الله ﷺ خرج إلى النساء في جانب المسجد ، فإذا أنا معهن فسمع أصواتهن ، فقال : " يا معشر النساء ، إنكن أكثر حطب جهنم " فناديت رسول الله ﷺ وكنت جريئة على كلامه ، فقلت : يا رسول الله لم ؟ قال : " لأنكن إذا أعطينت لم تشكرن ، وإذا ابتليت لم تصبرن ، فإذا أمسك عنكن شكوتن ، وإياكن وكفران المنعمين " فقلت : يا رسول الله وما كفران المنعمين ؟ قال : " المرأة تكون عند الرجل وقد ولدت له الولدين والثلاثة فتقول : ما رأيت منك خيرا قط)^(٢) ، فلا يبعد أن تكون هي التي أجابت بنعم ولها مواقف حوارية عديدة مع رسول الله ﷺ .

(قَالَ ﷺ) لهن بعد أن بايعهن : (فَتَصَدَّقْنَ) أي أمرهن بالصدقة ، والفاء سببية ، أي بسبب طبعكن تصدقن ، أو واقعة في جواب شرط محذوف

(١) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن - سورة البقرة ، باب : قوله تعالى إذا جاءك المؤمنات يبأيعنك .

(٢) المعجم الكبير للطبراني - باب الألف ، حديث رقم : ٢٠٢٨٨ .

تقديره (إن كنتن على ذلك فتصدقن) .

وأمر رسول الله ﷺ للنسوة بالصدقة مناسب للبيعة ؛ لأن في آية البيعة جاء قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴾ والأمر بالصدقة من المعروف الذي أمرهن به ﷺ بل هو من أعلاها .

(فَبَسِطَ بِلَالٌ ثَوْبَهُ) أي أمدّه ووضعهُ على الأرض لتلقّى فيه الصدقات (ثُمَّ قَالَ) بلال رضي الله عنه (هَلُمَّ لَكُنَّ فِدَاءً أَبِي وَأُمِّي) أي تعالوا وضعوا صدقاتكن على الثوب ، ودعا لهن بما تعودن قوله على عادة العرب في قولهم (فداك أبي وأمي) ، فأسرعن في التصدق ، بما كن يلبسنه في أيديهن وأرجلهن (فَيُلْقِينَ الْفَتَحَ وَالْخَوَاتِيمَ فِي ثَوْبِ بِلَالٍ) ، والفتح بفتح الفاء والتاء الحلى الذهبية التي تلبس في الأرجل والمعروفة بالخلخل .

والخواتيم التي تلبس في الأيدي ، والفتح جمع فتحة ، والخواتيم جمع خاتم .

وفي الحديث الثاني : يقول جابر بن عبد الله رضي الله عنه : (قَامَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الْفِطْرِ فَصَلَّى ، فَبَدَأَ بِالصَّلَاةِ ، ثُمَّ خَطَبَ ، فَلَمَّا فَرَغَ نَزَلَ فَأَتَى النِّسَاءَ فَذَكَرَهُنَّ ، وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى يَدِ بِلَالٍ رضي الله عنه ، وَبِلَالٌ رضي الله عنه بَاسِطُ ثَوْبِهِ ، يُلْقِي فِيهِ النِّسَاءُ الصَّدَقَةَ) والحديث الثاني إجمال للحديث الأول ، إلا أنه يوضح أعمال رسول الله ﷺ في صلى العيد ويرتبها ، ويبين ما في الحديث الأول من غموض ، فيوضح ﷺ أنه صلى ثم خطب ، ثم ذهب إلى النسوة فوعظهن ، وبايعهن بيعة النساء ، ثم أمرهن بالصدقة فتصدقن ،

ووضعن الصدقة على ثوب بلال الذي بسطه على الأرض .

وفي الحديث الثالث : يقول ابن عباس ، وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما (لَمْ يَكُنْ يُؤَذَّنُ يَوْمَ الْفِطْرِ وَلَا يَوْمَ الْأَضْحَى) أي لم يحدث آذان للفطر أو للأضحي ؛ لأن الرسول ﷺ لم يأمر به ، وإنما كانوا ينادون إلى الصلاة بألفاظ ليست من الأذان ، مثل قولهم الصلاة الصلاة ... أو الصلاة جامعة ... أو هلموا إلى الصلاة .

وفي الحديث الرابع : يؤكد ابن عباس م (أَنَّهُ أُرْسِلَ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ فِي أَوَّلِ مَا بُوِيعَ لَهُ، إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُؤَذَّنُ بِالصَّلَاةِ يَوْمَ الْفِطْرِ، وَإِنَّمَا الْخُطْبَةُ بَعْدَ الصَّلَاةِ) فبين له سنة رسول الله ﷺ في ترتيب أعماله في مصلى العيد ، إذ كان ﷺ يبدأ بالصلاة ، ويثني بالخطبة ، وكانت الخطبة بعد الصلاة .

وفي الحديث الخامس : يقول ابن عمر م (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ م يُصَلُّونَ الْعِيدَيْنِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ) ، وحديث ابن عمر م يؤكد ما جاء في الحديث الرابع ، إلا أنه يزيد أن تقديم الصلاة كان في العيدين معا لا في عيد الفطر فقط .

وفي الحديث السادس : يقول أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْرُجُ يَوْمَ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى إِلَى الْمُصَلَّى، فَأَوَّلُ شَيْءٍ يَبْدَأُ بِهِ الصَّلَاةُ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ) من الصلاة (فَيَقُومُ مُقَابِلَ النَّاسِ، وَالنَّاسُ جُلُوسٌ عَلَى صُفُوفِهِمْ، فَيَعِظُهُمْ وَيُوصِيهِمْ وَيَأْمُرُهُمْ) .

وكان ﷺ يقضي حوائج الناس ، وقضايا الأمة عقب الخطبة كما فعل مع النسوة في الحديث الأول والثاني ، وكما يقول أبو سعيد الخدري (فَإِنْ كَانَ ﷺ يُرِيدُ أَنْ يَقْطَعَ بَعْثًا قَطْعَهُ ، أَوْ يَأْمُرَ بِشَيْءٍ أَمَرَ بِهِ ؛ ثُمَّ يَنْصَرِفَ) أي أنه ﷺ كان يباشر أعماله في صالح المجتمع والناس ، فإن كان يرى إرسال جزء من الجيش لجهة ما أرسله ... وإن أراد أن يأمر بشيء أمر به .. ثم ينصرف .

وهكذا ترتب الأحاديث الستة أعمال النبي ﷺ في مصلى العيد في يومي الفطر والأضحى ، إذ كان يبدأ بالصلاة ، ويثني بالخطبة ، ويتلث بتوجيه الناس والأعمال فيعظ من يحتاج لعظة ، ، ويأمر بما يصح عمله ، وبما يحقق للناس المصلحة ، ثم ينصرف ﷺ من المصلى ، كما تبين أن رسول الله ﷺ كان يخطب الناس في المصلى وهو قائم على الأرض في مواجهة الناس ، ولم يتخذ منبرا .

يقول أبو سعيد الخدري (رَأَى الْحَدِيثَ السَّادِسَ : (فَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ) الترتيب في أعمال العيد ، وأداء الخطبة أمام الناس بلا منبر (حَتَّى خَرَجْتُ مَعَ مَرْوَانَ) بن عبد الملك (لصلاة العيد (فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرِ) لإقامة شعائر العيد (فَلَمَّا أَتَيْنَا الْمُصَلَّى إِذَا مِنْبَرٌ بَنَاهُ كَثِيرٌ بْنُ الصَّلْتِ) ، وكان كثير يسمى (قليل) ، فسماه عمر بن الخطاب (كثير) وهو ابن معاوية الكندي حليف بني جمح .

وقد فوجئ أبو سعيد (ﷺ) بالمنبر الذي بناه كثير بالمصلى ؛ لأن داره كانت مجاورة لمصلى العيد في المدينة ، وكانت في جهة قبلة مصلى

العبد نحو مكة ، وهي تطل على بطحان الوادي الذي في وسط المدينة ، وقد فارق " كثير " قومه ، وهاجر إلى رسول الله ﷺ في المدينة مع أخوين له .

وظاهر الحديث أن المنبر الذي بناه " كثير " : في المصلى هو أول منبر في المدينة ، وهذا يعارض ما جاء في المدونة من (إن أول من خطب الناس في المصلى على منبر عثمان ؓ ، كلمهم على منبر من طين بناه كثير بن الصلت ؓ) (١) ، ويحتمل أن عثمان ؓ صلى على المنبر مرة ثم تركه ، حتى أعاده مروان ، ولم يطلع على ذلك أبو سعيد الخدري ، فذكر أن أول من صلى على منبر مبني مروان ؓ .

يقول أبو سعيد ؓ : (فَإِذَا مَرَوَانُ يُرِيدُ أَنْ يَرْتَقِيَهُ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ) أي فوجئ أبو سعيد بأمرين لم يفعلهما رسول الله ﷺ :

أحدهما : تقديم الخطبة على الصلاة .

وثانيهما : إتخاذ منبر لإلقاء الخطبة من فوقه ، وهو المنبر الذي أرادته مروان أن يصعد عليه (فَجَبَذْتُ بِثَوْبِهِ، فَجَبَذَنِي) أي شددته من ثيابه فشدني ، وغلبني (فَارْتَفَعَ) أي قام على المنبر فعلى وارتفع (فَخَطَبَ قَبْلَ الصَّلَاةِ) على غير ترتيب النبي ﷺ .

(فَقُلْتُ لَهُ) أي قال أبو سعيد ؓ لمروان ؓ : (غَيْرْتُمْ وَاللَّهِ) ما كان عليه رسول الله ﷺ .

(فَقَالَ) مروان : يا (أَبَا سَعِيدٍ قَدْ ذَهَبَ مَا تَعْلَمُ) أي إنك يا أبا سعيد لا تعلم

(١) تاريخ المدينة لابن شبة ، ما جاء في مصلى رسول الله ﷺ ، حديث رقم : ٣٦٣ .

السبب .

فقال أبو سعيد رضي الله عنه له : (مَا أَعْلَمُ ، وَاللهِ خَيْرٌ مِمَّا لَا أَعْلَمُ) أي إن الذي أعلمه هو فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أفضل وأحسن مما لا أعلمه لأنه يخالفه .

(فَقَالَ) مروان رضي الله عنه : (إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَكُونُوا يَجْلِسُونَ لَنَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَجَعَلْتُهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ) ليضطروا إلى سماع الخطبة منا .

ولم يتوقف الإنكار على أبي سعيد الخدري وحده ، وإنما أنكر غيره فعل مروان ، ففي صحيح مسلم : (أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان ، فقام إليه رجل ، فقال : الصلاة قبل الخطبة) كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مروان : (قد ترك ما هنالك) أي تركناه لسبب . فقال أبو سعيد : أما هذا فقد قضى ما عليه ^(١) أي هذا الرجل أدى ما عليه من واجب وهو إنكار ما يراه منكرا .

ويبدو أن إنكار أبي سعيد الخدري رضي الله عنه كان سرا بينه وبين مروان ، وأما إنكار الرجل ، فكان على ملا من الحاضرين . وقد قدم مروان رضي الله عنه الخطبة على الصلاة ليمنع الناس عن الانصراف عن خطبته لما فيها من سب من لا يستحق السب ، والإفراط في مدح بعض الناس ، فقد راعى مصلحة نفسه وجماعته .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

على ضوء أحاديث الباب تناول المحدثون والفقهاء بيان أهم الأحكام

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون أنهي عن المنكر من الإيمان، حديث: ٩٥

الشرعية المتصلة بأعمال العيد وهي كما يلي :

أولاً :

حكم صلاة العيد :

ذهب الأحناف إلى أن حكم صلاة العيد الوجوب ، واستدلوا بقوله

تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَخَرٌ ﴾ ^(١) وبقوله ﷺ : ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْنَكُم ﴾ ^(٢)

وذهب الحنابلة إلى أن حكم صلاة العيد فرض على الكفاية ، فإن

قام بها البعض سقطت عن الباقيين .

وذهب الشافعية والمالكية والجمهور إلى أنها سنة مؤكدة .

وهي من شعائر الإسلام التي لا يصح لأهل محلة تركها .

ثانياً :

الإعلام بصلاة العيد

يتم الإعلام بصلاة العيد بكلمات تحت الناس على الاهتمام

بالصلاة ، مثل الصلاة ... الصلاة ، أو الصلاة جامعة ، أو هلموا إلى

الصلاة ، ولا آذان ولا إقامة لها ، وجرى الأمر على هذا في عهد رسول

الله ﷺ وخلفائه الأربعة ، ولم يحدث الآذان إلا في عهد بني أمية .

ثالثاً :

مكان صلاة العيد

لا خلاف في صحة صلاة العيد إن أديت في المسجد لكن الأولى

أن تصلى في خلاء واسع ، فقد واظب النبي ﷺ وبعده الخلفاء الراشدون

(١) سورة الكوثر الآية : ٢ .

(٢) سورة البقرة الآية : ١٨٥ .

على صلاة العيد الثانية في الخلاء ، حتى اشتهر مكانها عند دار كثير بن الصلت رحمه الله .

وجمهور الفقهاء على استحباب أداء صلاة العيد في الخلاء إلا بمكة ، لفضل البقعة ، ومشاهدة الكعبة ، واتساع المكان .
ويذهب الحنابلة إلى كراهة صلاة العيد في المسجد إلا المسجد الحرام بمكة ، ويرون أن الأعذار تذهب الكراهة كالمطر .
ويذهب الشافعي إلى أن المسجد إذا اتسع للجميع فالصلاة فيه أولى

رابعاً

محل خطبة العيد من الصلاة

شرع الله تعالى للعيد خطبة ، وجعل موقعها بعد الصلاة ، واستمر المسلمون على ذلك إلى عهد معاوية رضي الله عنه فقدم الخطبة على الصلاة ، وتبعه زياد في البصرة ، ومروان في المدينة .
وقد خطب عثمان رضي الله عنه قبل الصلاة مرة حينما رأى إناساً لم يدركوا الصلاة ، فأخراها مراعاة لمصلحتهم ثم عاد لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وسواء تقدمت الخطبة أو تأخرت فالصلاة صحيحة ، إلا أن تقديمها مخالف للسنة والفضيلة .

خامساً

التكبير يوم العيد

يسن التكبير يوم العيد في المواطن التالية :

- ١- التكبير في عيد الفطر من مغرب ليلة العيد إلى الخروج لصلاة العيد ، وفي عيد الأضحى يسن التكبير من فجر يوم عرفة إلى عصر ثالث أيام التشريق .

- ٢- إذا خرج من بيته قاصدا المصلى إلى أن يخرج الإمام .
- ٣- التكبير في الصلاة بعد تكبيرة الإحرام قبل القراءة ، ويرى الشافعية أن عددها سبع تكبيرات في الركعة الأولى غير تكبيرة الإحرام ، وخمس في الثانية غير تكبيرة القيام ، ويوافقهم مالك وأحمد في الركعة الثانية ، ويعدون تكبيرة الإحرام في الركعة الأولى من السبعة. ويرى الأحناف أن التكبير يكون بعد القراءة في الركعة الأولى ، وقبل القراءة في الركعة الثانية .
- ٤- التكبير في افتتاح الخطبة الأولى بسبع تكبيرات ، وفي الخطبة الثانية بسبع تكبيرات .
- ٥- الإكثار من التكبير أثناء الخطبة ، ويرى مالك أن المصلين يكبرون مع الإمام ، ولا يراه الجمهور .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أحكام صلاة وخطبة عيدي الفطر والأضحى على نحو ما ورد في شرح الأحاديث .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تشتمل أحاديث الباب على عدد من الركائز أهمها : -

الركيزة الأولى

إظهار فرحة العيد .

العيد في الإسلام مناسبة يكون فيها السرور ، والشكر ، والتجديد .
ففيها السرور يشعر به كل مسلم مع نفسه وأهله على عودة الحياة عليهم بخيرها وأمانيتها ، والشكر لله تعالى أن أعاد الأيام بجمالها

ومحاسنها ، ومكن المسلمين من الصوم والحج وأعانهم على أداء الحقوق والمحافظة على الواجبات .

والتجديد لأن العيد فرصة ليراجع المسلمون فيها أنفسهم فيحمدون الله تعالى على خير قدموه ، ويندمون على ما فرطوا فيه ، ويعزمون على فعل الخير في قابل الأيام ، راجين أن يأتي العيد القادم عليهم وهم في طريق الحق سائرون .

إن الأمم المعاصرة تجمع بنيتها تحت رموز معينة وأهداف وطنية معلنة ليعملوا لها بجد ، ويخلصوا معها لتثبيتها وتقويتها ... وبهذا يزرعون حب الوطن في القلوب ، ويجعلونه من الإيمان .

ومن الشروط الأخلاقية للمواطنة تفاني المواطن في حب وطنه ، وبذل أقصى الجهد من أجله ، ولهذا يتكون الرأي العام ، وينشط المربون ورجال الأعمال في تنشئة المواطن على الحب والإخلاص للوطن والمواطنين .

إن الأحزاب ذات الطابع الفكري والمذهبي تهتم بتربية أعضائها على هذا المعنى لتتحرك بهم إلى ما تريد حتى رأينا الفرد العادي يقبل الموت من أجل غايته التي كلف بها .

والإسلام سبق الفكر البشري بتعاليم الله ، فشرع للناس رموزا خاصة به ، مثل يوم العيد ، ليجتمع الناس فيه تحت مظلة الإيمان ، يحب بعضهم بعضا ، ويهنئ بعضهم بعضا ، يصلون الله ، ويسمعون الخطبة في إظهار بهجة مشروعة ، وذكريات حسنة تربط العباد بالمعبود ، وتجلي الروح وتهينها للود ، والمحبة ، والإخلاص .

ومما تميز به هذا الرمز الإسلامي أنه لا عنصرية فيه ، بل هو للجميع بلا تفرقه ، ولا استعلاء ، وكله لعب ومرح وفرح وأكل وشرب .
إن الواجب على المسلم أن يعلم ان الله تعالى حدد له المنهج والطريق وعليه أن يلتزم به ويسلكه ليحقق لنفسه الخير في الدنيا والسعادة في الآخرة .

وليس من الإسلام ما نراه اليوم في المسلمين ، إذ يقاتل بعضهم بعضا تحت شعارات جاهلية ، ومسميات مزيفة حتى يخيل إلى العاقل أنهم فقدوا التفكير السليم وصاروا ألعية في يد أعداء الله تعالى .

إن منهج الإسلام واضح ، ومن قصده يجده ، وكل المطلوب الصدق في القصد ، والإخلاص في العمل ، والشرف في الوسائل والغايات ، ورسالة الدعاة اليوم شاقة لتشعب السبل ، وغموض الهدف ، وغياب الحقائق ، وانتشار الزيف والأراجيف ... والأمر لله .

الركيزة الثانية

مراعاة الواقع في موضوع الخطبة

شرع الله تعالى للعيد خطبتين يسمعهما المصلون ليعلموا أحكام الإسلام في يوم العيد ، ويبينوا رأي الإسلام في أعمال العيد ، وضرورة التزاور ، والتلاقي ، والتهاني ... وتذكر نعم الله عليهم وهم يعودون إلى الذكريات الأولى لقصة هاجر وولدها إسماعيل - عليهما السلام .

إن خطبة العيد تعد محصلة إجمالية لسلوك الناس في يوم العيد ، لأنها تعرف بفضل الله تعالى ، إذا صاموا أوحجوا وتحدد لهم طريق أخوة الإسلام التي تعيش اليوم عيدا في كل أرجاء الدنيا .

ومسئوليات الدعاة لتوجيه الناس كبيرة ، ونتمنى لهم التوفيق .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد أحاديث الباب

نستميط من أحاديث الباب الفوائد التالية : -

- ١- التوسعة على العيال في أيام الأعياد بأنواع ما يحصل لهم بسط النفس ، وترويح البدن والفرح والسرور .
- ٢- استحباب وعظ النساء وتعليمهن أركان الإسلام وذلك في مجلس خاص بهم .
- ٣- جواز التقذية بالأب والأم .
- ٤- ملاطفة العامل على الصدقة بمن يدفعها له .
- ٥- الصدقة أحد عوامل دفع العذاب .
- ٦- بذل النصح والإغلاظ فيه لمن احتيج إلى ذلك .
- ٧- جواز طلب الصدقة من الأغنياء للمحتاجين .
- ٨- الدلالة على رفعة مقام هؤلاء النسوة فقد تصدقن بحليهن مع ما هن فيه من الحاجة .

- ٢ -

٤ - باب ذكر إباحة خروج النساء في العيدين إلى
المصلى وشهود الخطبة

حديث أم عطية **ل** قَالَتْ : أُمِرْنَا أَنْ نُخْرِجَ الْحَيْضَ، يَوْمَ
الْعِيدَيْنِ ، وَذَوَاتِ الْخُدُورِ ، فَيَشْهَدْنَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ
وَدَعَوَتَهُمْ، وَيَعْتَزِلُ الْحَيْضُ عَنْ مُصَلَّاهُنَّ
قَالَتْ امْرَأَةٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَانَا لَيْسَ لَهَا جُلْبَابٌ .
قَالَ ﷺ : لِيُتْبِسْهَا صَاحِبَتُهَا مِنْ جُلْبَابِهَا ^(١).

- أ -

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب استحباب خروج جميع النسوة إلى مصلى العيد ،
وأن يلبسن الجلابيب الحسنة والحجاب الساتر .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

تقول أم عطية **ل** (أُمِرْنَا أَنْ نُخْرِجَ الْحَيْضَ، يَوْمَ الْعِيدَيْنِ، وَذَوَاتِ
الْخُدُورِ) أي أُمِرْنَا رسول الله ﷺ أَنْ نُخْرِجَ الْحَائِضَاتِ يَوْمَ الْعِيدِ إِلَى
الْمُصَلَّى ، مع أنهن لا يصلين ، وَأَنْ نُخْرِجَ الشَّابَاتِ وَالْمُخْبَّاتِ ذَوَاتِ
الْخُدُورِ لِيَشَاهِدْنَ الصَّلَاةَ وَيَسْمَعْنَ الْخُطْبَةَ ، ويعشن مناهج العيد .
(فَيَشْهَدْنَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَدَعَوَتَهُمْ) ويرون بأنفسهم فرحة العيد ،
ويسمعن خطبته ومواظمه .

(١) أخرجه البخاري في: ٨ كتاب الصلاة: ٢ باب وجوب الصلاة في الثياب .

(وَيَعْتَزِلُ الْحَيْضُ عَنْ مُصَلَّاهُنَّ) ويبتعد الحيض عن مصلى الطاهرات اللاتي يصلين فيه ، محافظة على طهارة المصلى ، وحتى لا يشغلن الطاهرات عن الصلاة والخطبة .

(قَالَتْ امْرَأَةٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَانَا لَيْسَ لَهَا جِلْبَابٌ) أي ليس لبعضنا جلباب تستتر به ، والجلباب هو الخمار أشبه ما يكون بالثوب التي تطرحه المرأة على ظهرها وصدورها... وهو ما يعرف بـ(الطرحة) وقيل الجلباب هو ثوب واسع تغطي المرأة به صدرها وظهرها ، وهو يشبه الملاءة والملحفة .

(قَالَ ﷺ) للمرأة (تَلْبُسُهَا صَاحِبَتُهَا مِنْ جِلْبَابِهَا) واللام في (تَلْبُسُهَا) لام الأمر ، وهو موجه للصاحبة التي تكون معها في المسجد لتعطي صاحبيتها خمارا تستتر به على وجه العارية أو الهبة ، وهو أولى .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يبين الحديث خروج النسوة إلى مصلى العيد في الفطر والأضحى ليشاهدن فرحة العيد ، وتجمع المسلمين ، ويسمعن المواعظ والنصائح .
وذهب الفقهاء إلى استحباب خروج النسوة إلى مصلى العيد في وقار وستر بما فيهن الشابات ، وذوات الخدور والحيض ، على أن تكون الحيض بعيدات عن المصلى غير مختلطات بالطاهرات .

ولكن

إذا فسد الزمان ، وكثرت الفتن فالفقهاء آراء أخرى في خروج ذوات الخدور والأبكار منعا للفساد وصيانة للأعراض ، ، ولذلك يقدر خروج النساء للمصلى تبعا لحصول المصلحة ، وتجنبنا للفساد والآذى .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب استحباب الاجتماع الشامل في مصلى العيد ، فأباح الشرع خروج الشابات ، وذوات الخدور ، والحيض ، والصغيرات إذا أمن الفتنة .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في حديث الباب

يتضمن حديث الباب الركائز التالية : -

الركيزة الأولى

مشروعية الاجتماع والتزاور

شرع الله تعالى في يوم العيد الاجتماع ، ولذلك كانت صلاة العيد في مصلى واسع يلتقي فيه سائر أهل المصر ، حتى يهنئ بعضهم بعضا ، الرجال مع الرجال والنسوة مع النسوة ، ويتم التعارف ، ويتعمق الود ، فعن جابر رضي الله عنه قال : (كان رسول الله ﷺ يخرج في العيدين ، ويخرج أهله)^(١) ، ولا يقصد بالخروج مجرد العبادة ، وإنما المقصود تحقيق الترابط الاجتماعي ، ولذلك تخرج ذوات الحيض ، فعن أم عطية رضي الله عنها : (أن رسول الله ﷺ كان يخرج الأبقار ، والعواتق ، وذوات الخدور ، والحيض يوم العيد ، فأما الحيض فيعتزلن المصلى ، ويشهدن الخير ودعوة المسلمين .

فقلت إحداهن : فإن لم يكن لإحدانا جلباب ؟

(١) مسند أحمد بن حنبل ، من مسند بني هاشم ، حديث رقم : ١٤٦٤٩ .

قال : " فلتعزها أختها من جلابيها) (١)

وحتى يتم الاجتماع في جو من الألفة والتقبل وعدم الضيق كان الغسل والتطيب والتجمل بالثياب من الأعمال المستحبة في يوم العيد ، فعن عبد الرحمن بن عقبة بن الفاكه ، عن جده الفاكه بن سعد رضي الله عنه - وكانت له صحبة - (أن رسول الله ﷺ " كان يغتسل يوم الجمعة ،

ويوم عرفة ، ويوم الفطر ، ويوم النحر) (٢)

وكان النبي ﷺ يلبس بردة حرة في يوم العيد ، جاء في زاد المعاد أن رسول الله ﷺ كان يلبس يوم العيد أجمل ثيابه ، وكان يأمر أصحابه بالتطيب بأجود ما يجدون في العيد (٣).

وزيادة في اتساع اللقاء شرع الله تعالى أن يذهب المصلي من طريق ويعود من طريق آخر ، ويكون ذهابه وعودته ماشيا ليتمكن من تهنئة أكبر عدد ممكن من أصحابه بالعيد .

وفي مشروعية جعل الصلاة في مصلى دليل على هدف الإسلام من التجمع ، وتحقيق المصلحة الاجتماعية .

وقد ذهب جمهور السلف والخلف والأئمة الثلاثة (أبو حنيفة ، مالك ، احمد) إلى أن الصلاة في الخلاء سنة ، محتجين بمواظبة النبي ﷺ والخلفاء الراشدين بعده على ذلك، ولم يخالف في هذا إلا الشافعي رحمته الله.

(١) صحيح بن خزيمة - جماع أبواب ذكر الوتر وما فيه من السنن ، باب الأمر باعتزال الحائض إذا شهدت العيد ، حديث رقم : ١٣٨٠ .

(٢) مسند احمد بن حنبل ، مسند المدنيين ، حديث رقم : ١٦٤٢٣ .

(٣) زاد المعاد ج ٢ ص ١١١ .

في بعض أقواله .

ومشروعية صلاة العيد ^(١) ثبتت بالكتاب والسنة والإجماع ، أما الكتاب فقوله تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنحَرْ ﴾ ^(٢) .
وأما السنة فقد تواتر مواظبة الرسول ﷺ على صلاة العيد ، وعليه إجماع الأمة إلى يومنا هذا .

الركيزة الثانية مشروعية التهنة بالعيد

شرع الله تعالى للناس أن يهنئ بعضهم بعضا بيوم العيد فعن خالد بن معدان قال : (لقيت وائلة بن الأسقع في يوم عيد ، فقلت : تقبل الله منا ومنك .

فقال : " نعم ، تقبل الله منا ومنك " .

قال وائلة : " لقيت رسول الله ﷺ يوم عيد فقلت : تقبل الله منا ومنك ، قال : " نعم ، تقبل الله منا ومنك " ^(٣) .

وحق على المسلم أن يهنئ أخاه بهذا اليوم ، لما فيه من خير وثواب ، فعن سعيد بن أوس الأنصاري ، عن أبيه م قال : (قال رسول الله ﷺ : " إذا كان يوم الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادوا : اغدوا يا معشر المسلمين إلى رب كريم يمن بالخير ، ثم يثيب عليه

^(١) يرى بعض الفقهاء ان صلاة العيد فرض كفاية ، وبعضهم يرى انها واجب ، وبعضهم يرى أنها سنة مؤكدة ، والجميع على أنها احجد شعائر الإسلام وسماته .

^(٢) سورة الكوثر الآية : ٢ .

^(٣) المعجم الكبير للطبراني باب الألف ، حديث رقم : ٢٠٢٨٨ .

الجزيل ، لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم ، وأمرتم بصيام النهار فصمتم ، وأطعتم ربكم ، فاقبضوا جوائزكم .

فإذا صلوا ، نادى مناد : ألا إن ربكم قد غفر لكم ، فارجعوا راشدين إلى رحالكم، فهو يوم الجائزة، ويسمى ذلك اليوم في السماء يوم الجائزة^(١).

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من الحديث الفوائد التالية :-

- ١- التجمع في السرور والفرح يزيده بهجة وازدهارا .
- ٢- الأعياد تقوية للعلاقات الاجتماعية بين المسلمين .
- ٣- خروج المرأة إلى المصلى يجب أن يكون في الإطار الشرعي فلا اختلاط ولا سفور .
- ٤- رمزية العيد تعني أن لكل أمر نهاية يجزى الناس فيها .
- ٥- يستحب لبس الجديد في العيد ، والتحلي بكل مايمكن من ثياب مشروع .

(١) المعجم الكبير للطبراني ، باب من اسمه انس ، حدث رقم ٦١٦ .

-٣-

٤- باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه
في أيام العيد

حديث عائشة ل قالت: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ وَعِنْدِي جَارِيتَانِ [٥١٢]، (١)

٣٥٢

مِنْ جَوَارِي الْأَنْصَارِ، تُغْنِيَانِ بِمَا تَقَاوَلَتِ الْأَنْصَارُ يَوْمَ بُعَاثَ
قَالَتْ: وَلَيْسَتَا بِمُغْنِيَتَيْنِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَمْزَامِيرُ الشَّيْطَانِ
فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَذَلِكَ فِي يَوْمِ عِيدٍ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا وَهَذَا
عِيدُنَا ^(١).

حديث عائشة ل قالت: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدِي [٥١٣]، (٢)

٩٤٩ ، ٩٥٠

جَارِيتَانِ تُغْنِيَانِ بِغَنَاءِ بُعَاثَ ، فَاضْطَجَعَ عَلَى الْفِرَاشِ وَحَوَّلَ
وَجْهَهُ ، وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ ، فَاثْتَهَرَنِي ، وَقَالَ: مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ
عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ .

فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ: دَعَاهُمَا .

فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزْتُهُمَا فَخَرَجَتَا وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ يَلْعَبُ فِيهِ السُّودَانُ
بِالدَّرَقِ وَالْحِرَابِ ، فَاِمَّا سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ ، وَاِمَّا قَالَ:
تَشْتَهِيَن تَنْظُرِينَ ؟

فَقُلْتُ: نَعَمْ فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ ، خَدِّي عَلَى خَدِّهِ ، وَهُوَ يَقُولُ:
دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفَدَةَ ، حَتَّى إِذَا مَلَأْتُ قَالَ : حَسْبُكَ .
قُلْتُ: نَعَمْ .

(١) أخرجه البخاري في: ١٣ كتاب العيدين: ٣ باب سنة العيدين لأهل الإسلام .

قَالَ: فَاذْهَبِي ^(١)

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا الْحَبَشَةُ يَلْعُبُونَ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِحِرَابِهِمْ ، دَخَلَ عُمَرُ رضي الله عنه فَأَهْوَى إِلَى الْحَصَى فَحَصَبَهُمْ [٥١٤]، (٣)
٢٩٠١

بِهَا، فَقَالَ: دَعَهُمْ يَا عُمَرُ ^(٢)

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب الباب سماحة الإسلام ، ورعاية حاجة الإنسان إلى البهجة ، والسرور ، واللعب المباح .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على ثلاثة أحاديث تبين سماحة الإسلام وإباحته للهو المباح ، والفرح والسرور في الأعياد .

ففي الحديث الأول : تقول السيدة عائشة **ل** (دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ،

وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ مِنْ جَوَارِي الْأَنْصَارِ) أحدهما لحسان بن ثابت رضي الله عنه ، وقيل بل هما لعبد الله بن سلام رضي الله عنه واسم أحدهما " حمامة " ، واسم الثانية " زينب " (تُغْنِيَانِ بِمَا تَقَاوَلَتِ الْأَنْصَارُ يَوْمَ بُعَاثَ) أي تتشدان أشعار الفخر والهجاء التي قالها الأوس والخزرج عن يوم بعث .

تقول السيدة عائشة **ل** (وَلَيْسَتَا بِمُغْنِيَتَيْنِ) أي لم يمتهنا الغناء

المحرم بأصواته وآلاته ، وليس الغناء لهما عادة فهما يستعملان الدف ،

(١) أخرجه البخاري في: ١٣ كتاب العيدين: ٢ باب الحراب والدرق يوم العيد ، وهذا الحديث

رواه البخاري حديثين ، رقمهما صاحب اللؤلؤ والمرجان بأرقام .

(٢) أخرجه البخاري في: ٥٦ كتاب الجهاد والسير: ٧٩ باب اللهو بالحراب ونحوها

ويغنيان أغاني الحرب بما فيه من فخر وهجاء في أوقات متباعدة ، ويؤيد هذا روايات (يذفان)^(١) (وتغنيان وتضربان بالدف)^(٢) ، و (يدفين)^(٣) .
والدف بضم الدال المشددة بعد ال الشمسية وهو الأشهر ، وقد تفتح ، ويقال عن الدف أنه (الكريال) بكسر الكاف وسكون الراء وهو الذي لا جلاجل فيه ، فإن كان به جلاجل فهو (المزهر) بكسر الميم وسكون الراء .

و (بُعَاث) اسم مكان على بعد ليلتين من المدينة ، وهو يوم مشهور من أيام العرب كان فيه مقتلة عظيمة بين الأوس والخزرج ، خلال الحرب التي استمرت بينهما مائة وعشرين عاما قبل الإسلام تحت مسميات عديدة ، فبدأت بمسمى (حرب سُمَيْر) بضم السين وفتح الميم مصغر سمر ، ثم باسم (يوم السُّرّة) ثم بـ (يوم فارِع) ثم (أيام الفِجَار الأربع) ثم (حرب حصين ابن الرملت) ثم (حرب حاطب بن قيس) إلى أن كانت حرب بعاث التي استمرت إلى ما قبل الهجرة بثلاث سنوات على الأرجح .

وقد روى ابن سعد باسانيده أن النفر الذين لقوا رسول الله ﷺ بمنى هم أول من لقيه من الأنصار ، وكانوا قدموا مكة ليحالفوا قريشا ، ... فلما دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام قالوا له : واعلم أننا كانت وقعة بعاث عام الأول ، فموعدك الموسم القادم ، ... فقدموا في العام القادم وبابيعوه

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب إذا فاته العيد يصلي ركعتين .

(٢) صحيح ابن حبان ، كتاب الحظر والإباحة ، باب اللعب واللهو ، حديث رقم : ٥٩٥٠ .

(٣) مستخرج أبي عوانة ، كتاب الزكاة ، باب بيان إباحة اللعب في يوم العيد والضرب

بالدف ، حديث رقم : ٢١٣٧ .

ﷺ البيعة الأولى ، ثم قدموا الثانية فبايعوه البيعة الكبرى عند العقبة ،
وهاجر ﷺ إلى المدينة في أوائل السنة التي تليها ^(١).

(فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ) منكرًا غناء الجاريتين عند عائشة لرسول الله
ﷺ يسمعهما : (أَمْزَامِيرُ الشَّيْطَانِ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) ؟ والسؤال
للإنكار والتعجب مما يرى ، ويسمع ، ويشاهد إقرار عائشة لـ غناء
الجاريتين ، وسكوتهما عليهن ، وظن أن رسول الله ﷺ لم يسمعهما لنومه
، أو لوجوده ﷺ بعيدا عنهما .

والمزامير جمع مزمار بكسر الميم ، مشتق من الزمير ، وهو
الصوت العالي الذي له صفير ، ويطلق على الصوت الحسن ، وعلى
الغناء ، وسميت به الآلة التي يزمر بها ، وأضيفت إلى الشيطان من
جهة أنها تلهي وتضيع الوقت ، فقد تشغل القلب عن الذكر ، وتنسى
الإنسان أوقات الصلاة والدعاء .

(وَذَلِكَ فِي يَوْمٍ عِيدٍ) أي حدث هذا الموقف من أبي بكر ﷺ في
بيت رسول الله في يوم عيد ، حيث يستحب فيه السرور ، والتزوار
، والتهاني ، وجواز اللعب ، وفعل كل ما يقرب القلوب ويحقق الأخوة .

ففي حديث جبير بن نفير رضي الله عنه قال : (كَانَ اصحاب النبي ﷺ إِذَا اتَّقَوْا

يوم العيد يقول بعضهم لبعض : تقبل الله منا ومنك) ^(٢)

(١) سيرة النبي ﷺ لابن هشام - بيعة العقبة الثانية .

(٢) المعجم الكبير للطبراني باب الألف ، حديث رقم : ٢٠٢٨٨ .

وعن أدهم مولى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال : (كنا نقول لعمر بن عبد العزيز في العيدين : " تقبل الله منا ومنك يا أمير المؤمنين ، فيرد علينا ولا ينكر ذلك علينا) ^(١)

وضرب الدف من الآلات المباح استعمالها في مناسبات السرور ولذلك لما سمع رسول الله ﷺ إنكار أبي بكر رضي الله عنه قال له (يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا وَهَذَا عِيدُنَا) فبين ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه أن ضرب الدف والأنشيد الخالية من الخنى والشهوة جائزة شرعا ، وبين له أيضا أنه آذن لهما قبل أن يبدأ فلا داعي للإنكار عليهما ، فعرف أبوبكر رضي الله عنه الحكم الشرعي لضرب الدف ، والحكمة في استعماله للسرور يوم العيد وفي مناسبات الفرح ، كالزواج ، والنجاح ، والانتصار .

فإن قيل : كيف ينكر أبو بكر رضي الله عنه أمرا أقره رسول الله ﷺ ؟

أقول : لم يكن أبو بكر رضي الله عنه يعلم أن رسول الله ﷺ أقر الجاريتين على غنائهما ظنا منه أن رسول الله ﷺ نام من غير إقرار .

وقوله ﷺ (إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا) أي لكل طائفة مناسبة أو يوما يعودون إليها بالفرح والسرور كالنيروز عند الفرس (وَهَذَا عِيدُنَا) أي وهذا اليوم عيد للمسلمين وقد أباح الله تعالى فيه اللهو والغناء في حدود الضوابط الشرعية عن انس رضي الله عنه : (كان لأهل الجاهلية يومان في كل سنة يلعبون فيهما ،

(١) السنن الكبرى للبيهقي ، كتاب صلاة العيدين ، باب ما روي في قول الناس يوم العيد بعضهم لبعض ، حديث رقم : ٥٩٢٠ .

فلما قدم النبي ﷺ المدينة ، قال : " كان لكم يومان تلعبون فيهما وقد أبدلكم الله بهما خيرا منهما يوم الفطر ، ويوم الأضحى)^(١))
وقد استنبط العلماء بأن إباحة السرور والغناء واللعب في هذين اليومين يغني المسلمين عن الاهتمام بأعياد غيرهم ، ففي الفطر والأضحى الكفاية للمسلمين .

وفي الحديث الثاني : تفصل السيدة عائشة **ل** ما جاء في الحديث الأول ، وتزيده وضوحا وبيانا ، فتقول **ل** (دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَعِنْدِي جَارِيتَانِ تُغْنِيَانِ بَغَاءَ بُعَاثَ ، فَأَضْطَجَعَ عَلَى الْفِرَاشِ وَحَوْلَ وَجْهَهُ) أي إن رسول الله ﷺ دخل على عائشة **ل** ابتداء ، وعندها الجاريتان التي سبق ذكرهما في الحديث الأول ، وكانتا تغنيان بغناء (بُعَاثَ) ، فلم ينكر رسول الله ﷺ ذلك ، وأقرهما على غنائهما .
(فَأَضْطَجَعَ) ﷺ (عَلَى الْفِرَاشِ) أي نام على جنبه ﷺ في الفراش ، وفي رواية مسلم (كان ﷺ مسجى بثوبه)^(٢) أي ليستريح ، ولعدم رغبته في السماع (وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) بعد ذلك (فَانْتَهَرَنِي) أي أنكر عليّ ذلك بشدة ؛ لأنه ظن أنني فعلت ذلك بغير موافقة رسول الله ﷺ ، وفي رواية الزهيري (فانتهرهما)^(٣) أي اشتد إنكاره على عائشة وعلى المغنيتين .

(١) السنن الصغرى للنسائي ، كتاب صلاة العيدين ، حديث رقم : ٥٩٢٠ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب صلاة العيدين ، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في العيدين ، حديث رقم : ١٥٢٧ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب قصة الحبش ، حديث رقم : ٣٣٥٨ .

(وَقَالَ) أبو بكر رضي الله عنه في إنكاره : (مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ) ؟

.... وفي بيته وهذا استفهام حذفته منه الهمزة .

رفع رسول الله ﷺ الغطاء عن وجهه ، ونظر إليه (فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ) لأبي بكر رضي الله عنه (دَعَهُمَا) أي اتركهما يا أبا بكر .. .

وفي رواية هشام أن رسول الله ﷺ قال : (يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً ،

وهذا عيدنا) ^(١) ، وبذلك علم أبو بكر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رضى بغناء

الجاريتين في بيته ، وقد بادر رسول الله ﷺ في إظهار حكم الجواز سدا

لهذه الذريعة

فتقول السيدة عائشة **ل** (فَلَمَّا غَفَلَ) أبو بكر رضي الله عنه (عَمَرْتُهُمَا

فَخَرَجَتَا) مراعاة لخاطر أبيها ، وخوفاً من غضبه عليها ، فأخرجتهما بالإشارة استحياء من الكلام في حضرة من هو أكبر منها .

وقالت عائشة **ل** ^(٢) (وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ) أي وكان الحوار السابق في

يوم عيد ... حيث (يَلْعَبُ فِيهِ السُّودَانُ بِالْدَّرَقِ وَالْحِرَابِ) أي يلعب فيه

الحبش ذوو البشرة السوداء بالدرق والحرب ، وهي أدوات الحرب التي

كانوا يتدربون عليها استعداداً للحرب ، وسمي استعمالهما باللعب لشبهه

للعب لكون اللاعب لا يقصد الطعن ولا يفعله ، ويوهم بذلك الطرف

الآخر ولو كان أباه أو أبنه .

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب سنة العيدين لأهل الإسلام ، حديث رقم : ٩٢٣

(٢) عن بعض المحدثين أن الحديث مكون من حديثين ، أولهما ما سبق ، وثانيهما من

قول عائشة - رضي الله عنها الآتي .

(فَإِمَّا سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ ، وَإِمَّا قَالَ: تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ) هذا تردد من السيدة عائشة **ل** فيما وقع لها من رسول الله ﷺ شاكاة في سبب ما حدث، فهل هي التي سألت ؟ أو هو ﷺ الذي قال لها ذلك ابتداء ؟

و(سَأَلْتُ) بضم تاء الفاعل وسكون اللام ، فتكون عائشة **ل** هي التي سألت رسول الله ﷺ أن يساعدها لتشاهد الحبش وهم يلعبون في المسجد ، أو أن تكون التاء ساكنة للتأنيث ، وفتح اللام ، ويكون الكلام للرواة والفاعل ضمير مستتر ، (فَقُلْتُ: نَعَمْ) أي إن عائشة **ل** ردت على رسول الله ﷺ بأشتهائها النظر إلى الجيش وهم يلعبون .

تقول عائشة **ل** (فَأَقَامَنِي) ﷺ (وَرَاءَهُ، خَدِّي عَلَى خَدِّهِ) أي أقامني خلفه ملتصقة به ، ووضعت (خَدِّي عَلَى خَدِّهِ) وفي روايات أخرى (فوضعت ذقني على عاتقه فأسندت وجهي إلى خده) ^(١) وكنت (أنظر بين أذنيه وعاتقه) ^(٢) .

(وَهُوَ يَقُولُ: دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفَدَةَ) أي يكفيكم هذا اللعب فأمامكم لعب الأحباش الذين اشتهروا بانهم أبناء أرفدة ، وهو لقب بالحبشة .
تقول السيدة عائشة **ل** : (حَتَّى إِذَا مَلِئْتُ) أي حتى إذا سئمت من النظر ، قال ﷺ : (حَسْبُكَ) أي أهذا يكفيك .

(١) السنن الكبرى للنسائي ، كتاب عشرة النساء ، باب إباحة الرجل لزوجته النظر إلى اللعب ، حديث رقم : ٨٦٨٠ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب صلاة العيدين ، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد ، حديث رقم : ١٥٣٢ .

قُلْتُ: نَعَمْ) أي هذا يكفي .

قَالَ ﷺ : فَأَذْهَبِي) أي ارجعي إلى بيتك .

وفي الحديث الثالث : يقول أبو هريرة رضي الله عنه : (بَيْنَا الْحَبَشَةُ يُلْعَبُونَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِحَرَابِهِمْ) في المسجد (دَخَلَ عُمَرُ فَأَهْوَى إِلَى الْحَصَى فَحَصَبَهُمْ بِهَا، فَقَالَ ﷺ : دَعَهُمْ يَا عُمَرُ) ، زاد أبو عوانة (فإنهم بنو أرفدة) ^(١) وهذا يعني أن هذه عاداتهم وطريقتهم ، وهي من الأمور المباحة فلا إنكار عليهم ، وفي هذا تنبيه على أنه يغفر لهم ما لا يغتفر لغيرهم ؛ لأن الأصل في المساجد تنزيهها عن اللعب ، فيقصر على ما ورد فيه النص .

يروى السراج بسنده عن عائشة **ل** أن النبي ﷺ قال يومئذ :

(لتعلم يهود أن في ديننا فسحة ، إني أرسلت بحنيفية سمحة) ^(٢)

فإن قيل : كيف يقوم عمر رضي الله عنه بحصب الحبشة ورسول الله ﷺ

موجود ، وينظر إليهم ؟

أقول : في تصرف عمر رضي الله عنه عدة احتمالات :

فهناك احتمال أن عمر رضي الله عنه لم ير رسول الله ﷺ ، ولم يعلم أن

رسول الله ﷺ رآهم فحصبهم بمجرد رؤيتهم في المسجد .

(١) مستخرج أبي عوانة ، كتاب الزكاة ، باب إباحة اللعب في المسجد والنظر إليه ، حديث رقم : ٢١٤١ .

(٢) مسند احمد بن حنبل ، مسند الانصار - الملف المستدرك من مسند الانصار ، حديث رقم : ٢٤٣٣ .

وهناك احتمال آخر ، وهو ظنه ﷺ أن رسول الله ﷺ رآهم واستحيا أن يمنعهم .

وهناك احتمال ثالث ، وهو أن عمر ﷺ كان يرى عدم جواز ذلك في المسجد ، وقد عرف عنه التشدد في الدين ، وكان ينكر ما هو خلاف الأولى ، والجد في الجملة أولى من اللعب المباح ... وكان النبي ﷺ بصدد بيان الجواز .

- ج -

البيان التحليل لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب عدة أحكام شرعية تتصل بيوم العيد وأهمها : -
أولاً : إباحة اللعب والسرور والتهاني في يوم العيد، فقد اختار الله للمسلمين يومين ، وجعلهما عيدين بدل يومين كان العرب يحتفلون فيهما .
ثانياً : تناول الفقهاء موضوع الغناء بالتحليل، وبينوا الحكم الشرعي فقالوا : إن ما كانت تغنيه الجاريتان عند عائشة ل غناء مباح ، فهو لم يخرج عن المشروع ، فالجارتان كانتا تغنيان بما كان يقوله العرب عن يوم بعث من فخر ، وهجاء ، وتصوير للشجاعة والإقدام ، ولم تستخدم غير الدف ، ولم يكن الإنشاد للجارتين مهنة وعادة تجعلهما يغنيان أحيانا غناء محرما ، ولهذا أجاز الفقهاء غناءهما ، كما أجاز رسول الله ﷺ .

أما ما عدا هذا الغناء فهو حديث التمطيط والشجن ، واستعراض حكايات الفجور التي تهيج المشاعر ، وتثير الشهوات ، مع استعمال المعازف والطبول ، وهذا هو الغناء المحرم الذي ذهب إليه الفقهاء .

وأرى أنه لا خلاف بين الفقهاء ، فكل منهم نظر إلى نوع من الغناء فأجاز أو حرم على ضوء تنوع الغناء واختلاف أدواته .

ثالثاً : جواز رؤية المرأة للرجال وهم يلعبون .

يرتبط جواز رؤية المرأة للرجال وهم يلعبون بشرط أن تنظر إلى اللعب لا إلى اللاعب .

وأرى أن تحريم رؤية المرأة الرجل وهو يلعب لمنع الفتن ، ولما يظهره اللاعبون من التمايل ، والرقص ، والمفاتن ، ولصعوبة فصل الناظرة بين الغناء وبين المعنى ، يقول الله تعالى ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَنْقُضْنَ مِنْ أَنْبَصِهِنَّ ﴾^(١)

ولقوله ﷺ فيما روته أم سلمة ل قالت : كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة ل فاستأذن ابن أم مكتوم ، وذلك بعد الحجاب . فقال رسول الله ﷺ : " قوما " .

فقلت : يا رسول الله إنه أعمى لا يبصرنا .

فقال رسول الله ﷺ : " أفعمياوان أنتما ؟ "^(٢)

ويبدو أن عائشة ل نظرت إلى الأحباش وهم يلعبون قبل تحريم نظر المرأة للرجل .

(١) سورة النور الآية : ٣١ .

(٢) مشاكل الآثار للطحاوي ، باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله ﷺ : ٢٥١ .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب جواز اللعب والسرور في أيام العيد ، ففي الدين فسحة ، يتعامل مع الإنسان بصورة عامة .

ركائز الدعوة و الإيمان في أحاديث الباب

تشتمل أحاديث الباب على عدد من الركائز ... أهمها : -

الركيزة الأولى

إنسانية الإسلام في العيد

تميل النفوس البشرية إلى المرح ، والترويح في بعض الأحيان ، وأخذها بالشدة الدائمة يصيبها بالإحباط والملل ، ولذلك يقول النبي ﷺ :
(إن لربك عليك حقا ، ولنفسك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقا ، فأعط كل ذي حق حقه)^(١) .

وقد ألف الناس أياما ومناسبات يتفرغون فيها من عناء العمل ، ومتاعب المعاش ، وفيها يتسامرون ، ويسبحون في الأرض ، ويغيرون النمط الواحد ، لتتسع الرؤية أمام الروح وهي تعاود ذكرياتها وتتنظر إلى جولاتها في العالم الموجود .

ولم تكن شريعة الله تعالى بعيدة عن مصالح العباد فجعل الله للمسلمين عيدين رئيسيين هما عيد الفطر وعيدا الأضحى ، وشرعت مناسبات كثيرة للتلاقي والسرور فولائم العرس ، ويوم الجمعة ، وأيام النصر والفوز ، وشرع الله أن يشارك المسلم أخاه في النصر وأفراحه ، وأن يعينه في حاجاته وقضاياه .

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب صنع الطعام والتكلف للضيف .

والإسلام في هذا ينمي الجانب الإنساني للمسلم ، فمنحه أوقاتا للسرور والفرح وجعله في خدمة أخيه ، وحول المسلمين إلى جماعة متماسكة ومتعاونة ، وحين نتأمل في كافة شرائع الإسلام نرى أنها تحافظ على الجانب الإنساني وتدعمه وتضعه في مسار يرضي الله تعالى ، ويحقق مصلحة الفرد والجماعة ، ويصون الحقوق ، ويحدد الواجبات .

إن الشريعة تحقق للإنسان العمل المناسب والأمن في حياته ، وتهيئ له ما يعينه على الخير والصلاح .

ومسئولية الدعاة أن يرشدوا الناس إلى مزايا الشريعة والطرق الموصلة للمصلحة .

الركيزة الثانية دور المرأة في المجتمع المسلم

كرم الله تعالى المرأة كما كرم الرجل فجعلها مع الرجل سيذا الوجود البشري .

يقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ ^(١)

وقوله ﷻ : ﴿أَفَنِي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ ^(٢) . وأقر الإسلام دور المرأة في المجتمع فهي الأم في حنانها وعظمتها ، وهي الزوجة بتعاونها ومشاركتها ، وهي الإنسانة لها قضاياها ، وحياتها ، ولم يغفل رسول الله ﷺ المرأة في يوم الدين ، فخطب الناس

(١) سورة النساء الآية : ١ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٩٥ .

رجالاً ونساء ، ثم خص النساء بالموعظة ، وبايعهم ليقوموا بدورهم في التمسك بالمعروف ، وترك المنكر ، ويساهموا مع الرجال في بناء المجتمع الإسلامي الصحيح .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد أحاديث الباب

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية : -

- ١- تيسير الفرح والسرور للمسلمين يوم العيد .
- ٢- يستحب الرفق بالمرأة وعطف الزوج عليها ، كما فعل رسول الله ﷺ مع عائشة - رضي الله عنها .
- ٣- من حق التلميذ أن ينكر على شيخه ما يراه منكراً .
- ٤- يجوز للتلميذ أن يفتي في حضرة شيخه ، ويعد سكوت الشيخ إقراراً للفتوى .
- ٥- ضرورة مراعاة خاطر الأباء بتجاوز ما هو مباح إن أغضبهم .
- ٦- أهمية قيام الحياة الزوجية على الود والرحمة .

— ١٠ —

كتاب الاستسقاء

كتاب الاستسقاء

الاستسقاء لغة طلب سقيا الماء للنفس أو للغير ، وهي عند الفقهاء ، طلب الماء من الله تعالى عند حصول الجذب على وجه مخصوص ، في حالات وأوقات مخصوصة .

إن نعم الله تعالى عديدة ، وهي مبنوثة في كل خلق الله ﷻ ، ومنها نعمة الماء والهواء يأتیان لكل إنسان حيث هو ، سواء كان في الحضر أو السفر ، وهما نعمتان ضروريتان لصون الحياة لكل مخلوق ، والإنسان مطلقا لا يستغني عنهما أبدا ، ومع حاجته ينسى المنعم الذي خلقهما ، وسيرهما ، ومأل الوجود بهما ، ولا يصح منه ذلك .

إن الإنسان يحيا بهذه النعم ويغفل خالقها ، فيستشق الهواء ولا يفكر في مرسله ، ويشرب الماء ولا يتدبر فيمن جعله عذبا فراتا ، وسخره لكل موجود ليعلم الإنسان قيمتها ، ويقدر صانعها ويطلب منه أن لا يحرمه منها .

ومنها نعمة الماء التي يستفيد به كل المخلوقات ، يسقي بها الفلاح زرعه ، ويسقي بها الراعي أنعامه ، ويحتاجها البدوي ليصون بها حياته ، ولا يستغني عنها الحضري ومن تحت الأرض أو في الجو .

وحتى تدوم هذه النعم شرع الله تعالى للناس طريق طلب الماء ، ليعلموا أن الفضل بيد الله يقول ﷻ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ۚ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ۝ ﴾^(١).

(١) سورة الشورى الآية : ٢٨ .

- ١ -

١ - باب مشروعية صلاة الاستسقاء

[٥١٥]، (١) حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَسْقَى فَقَلَبَ رِدَاءَهُ ^(١) ١٠١١

- أ -

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب مشروعية صلاة الاستسقاء ، ويوضح أن النبي ﷺ صلى للاستسقاء وقلب رداءه .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

في هذا الحديث يؤكد عبد الله بن زيد رضي الله عنه ، وهو عبد الله بن زيد بن عاصم المارزني الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه ، وهو غير عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه ، فهما يتفقان في الاسم والأب والقبيلة ، والنسب ، إلا أنهما يفترقان في الجد .

يؤكد راوي الحديث (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَسْقَى) ، وهذا يبين مشروعية الاستسقاء بفعل النبي ﷺ له ، فقد استسقى ﷺ (فَقَلَبَ رِدَاءَهُ) إشارة إلى رجاء تبدل الحال من القحط والجذب إلى الري والجود ...

والرداء هو الثوب الذي يلبسه العربي ليستر نصف بدنه الأعلى ، والإزار هو الثوب الذي يستر أدنى البدن ، من السرة وما فوقها بقليل إلى ما يقرب من القدم .

(١) أخرجه البخاري في: ١٥ كتاب الاستسقاء: ٤ باب تحويل الرداء في الاستسقاء

وكان لرسول الله ﷺ رداء يبلغ طوله ستة أذرع ، وعرضه ثلاثة أذرع ،
وإزار يبلغ طوله أربع أذرع ، وعرضه ذراعان .
وكان ﷺ إذا استسقى ربه قلب رداءه ، وذلك بوضع الطرف الأيمن
للرداء على الكتف الأيسر للرداء ، ووضع الطرف الأيسر على الكتف
الأيمن ، لا بقلب الباطن ظاهرا والظاهر باطنا وقد (استسقى ﷺ فَقَلَبَ
رِدَاءَهُ) .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يبين حديث الباب أن رسول الله ﷺ طلب من ربه الماء لإغاثة
الناس مما أصابهم من قحط وجذب .
وكان النبي ﷺ يقلب رداءه الذي يلبسه حتى لا يسقط وهو
مستغرق في الدعاء والخطبة ، وطريقة التقلب أن يضع طرف الرداء
الأيمن على كتفه الأيسر ، وأن يضع طرف الرداء الأيسر على الكتف
الأيمن وبذلك يحفظ الرداء من السقوط ويرمز إلى ما يدعو له من رجاء
تقلب الحال من فخط وعطش إلى نماء وري ، وليس المراد من التقلب
جعل الباطن ظاهرا ، وجعل الظاهر باطنا لأن ذلك عمل شاق ولا يدل
على شيء ، ولا يحفظ الرداء من السقوط .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين الحديث ان النبي ﷺ استسقى وقلب رداءه .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في حديث الباب

يشتمل حديث الباب على ركيزة هامة ... هي : -

عظمة القيادة المحمدية

يشير حديث الباب إلى عمل رسول الله ﷺ حين تنزل بالناس نازلة ، حيث نجده ﷺ يسعى لإزالة الخطر قبل الناس ، ويقودهم فيما شرع الله تعالى لهم ، وبذلك اتضحت عظمة القيادة في الأمة ، وأهم ملامحها فيما يلي : -

أولاً : إرشاد الناس إلى ما شرع الله لهم من عمل ليعلموا تعاليم الله تعالى وبأخذه من رسول الله ﷺ .

ثانياً : البدء بالتطبيق قبل الناس ، فقد تعلم المسلمون صلاة وخطبة الاستسقاء من عمل رسول الله ﷺ ، وكان ﷺ سباقاً في أي أمر يدعو إليه ، فعن أنس رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ أحسن الناس ، وأجود الناس ، وأشجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة ، فانطلق الناس قبل الصوت ، فاستقبلهم النبي ﷺ قد سبق الناس إلى الصوت ، وهو يقول : " لن تراعوا لن تراعوا " (١) .

ثالثاً : تفصيل الحكم الذي يكلف الناس به وبيان سببه وحكمته حتى لا يعتذروا بجهل وعدم معرفة ، ولو صدق المسلمون مع الله لجعلوا رسول الله ﷺ رائداً وقدوة ، واتخذوا الطريق البين الذي يوصلهم الله تعالى

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب حسن الخلق والسخاء .

، لقول الله ﷻ : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(١)

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من الحديث الفوائد التالية :

- ١- ضرورة اللجوء إلى الله تعالى عند الشدائد واتخاذ الرسول ﷺ أسوة
- ٢- شفقة الرسول ﷺ بأمتة وسعيه في إصلاحهم .
- ٣- اهتمام المسلمين بنقل حياة رسول الله ﷺ بالتفصيل .
- ٤- يجوز استعمال الرمزية في الطلب و الدعوة كما يستعمل القول
الصريح .
- ٥- الاستفادة بنعم الله التي بين أيدينا قبل أن تذهب منا .
- ٦- طاعة الله تعالى فيما شرع لنا ونحن نتعامل مع المخلوقات
الأخرى .

(١) سورة الأحزاب الآية : ٢١ .

- ٢ -

١- باب رفع اليدين بالدعاء في الاستسقاء

حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَرْفَعُ [٥١٦]، (١)

يَدَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنْ دُعَائِهِ إِلَّا فِي الْإِسْتِسْقَاءِ ، وَإِنَّهُ يَرْفَعُ ١٠٣١

حَتَّى يَرَى بَيَاضَ إِبْطَيْهِ (١)

- ١ -

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب حكم رفع اليدين في دعاء الاستسقاء ، وكيفيته .

- ب -

الدلالات اللغوية في حديث الباب

يقول أنس رضي الله عنه (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنْ دُعَائِهِ

إِلَّا فِي الْإِسْتِسْقَاءِ) أي كان النبي ﷺ يرفع يديه حين يدعو للاستسقاء

بطريقة الحصر بالنفي والاستثناء ومعنى ذلك أن النبي ﷺ لم يرفع يده

في غير الاستسقاء ، وهذا معارض بالأحاديث الكثيرة الصحيحة التي تؤكد

أن النبي ﷺ كان يرفع يديه عند الدعاء في مواطن كثيرة ، ولذلك حمل

المحدثون الحديث على أن أنسا رضي الله عنه لم ير النبي ﷺ يدعو في غير

الاستسقاء ، فأخبر بما رأى ، وهذا لا يستلزم نفي رؤية غيره .

وحمل بعضهم حصر أنس رضي الله عنه في الكيفية أي أن رسول الله ﷺ لم

يرفع يديه عاليا كما رفعهما في الاستسقاء ، إذ كان يرفع يديه عاليا (حَتَّى

(١) أخرجه البخاري في: ١٥ كتاب الاستسقاء: ٢٢ باب رفع الإمام يده في الاستسقاء وللحديث

روايات أخرى في البخاري تحت رقم: ٣٥٦٥، ٦٣٤١.

يُرى بَيَاضُ إِبْطِيهِ) أي كان ﷺ يرفع يديه حتى يرى الرائي بياض الإبط ، والإبط مكان التقاء ذراعه ببدنه من أسفل ، وفيه ينبت الشعر الذي يستحب إزالته ... يؤيد ذلك أن غالب الأحاديث التي وردت في رفع اليدين في الدعاء تعني مد اليدين وبسطهما ... وكأنه ﷺ عند الاستسقاء زاد رفعهما جهة وجهه حتى حاذتاه ، وحينئذ يرى بياض إبطيه ، أما صفة يديه عند الاستسقاء فهي كما روى انس رضي الله عنه (أن النبي ﷺ استسقى ، فأشار بظهر كفيه إلى السماء)^(١) ، يقول انس رضي الله عنه : (أن النبي ﷺ كان يستسقي هكذا ... ومد يديه ، وجعل بطونهما مما يلي الأرض ، حتى رأيت بياض إبطيه)^(٢)

يقول الإمام النووي : السنة في كل دعاء لرفع البلاء ان يرفع الداعي يديه جاعلا ظهور كفيه إلى السماء ، وإذا دعا بسؤال شيء وتحصيله جعل بطن كفيه إلى السماء^(٣) **والحكمة في الإشارة بظهور الكفين في الاستسقاء** دون غيره التناول بتقلب الحال ظهرا لبطن ، وفيه إشارة إلى جهة المسئول عنه ، وهو نزول المطر من السماء إلى الأرض .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يقول الإمام النووي : اجمع العلماء على أن الاستسقاء سنة ، واختلفوا

(١) صحيح مسلم كتاب صلاة الاستسقاء باب رفع اليدين بالدعاء في الاستسقاء حديث: ١٥٣٩

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب رفع اليدين في الاستسقاء ، حديث ١٠٠٣ .

(٣) شرح النووي ج ٢ ص ٥٥١ ، طبعة الشعب .

في الصلاة للاستسقاء ...

فقال ابو حنيفة : لا تسن له صلاة ، بل يستسقى بالدعاء بلا صلاة ...
وقال جمهور العلماء والفقهاء من السلف والخلف : تسن الصلاة للاستسقاء ، فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه صلى للاستسقاء ركعتين ^(١)
وحمل الجمهور الأحاديث التي ليس فيها ذكر الصلاة على عدة أوجه فبعضها محمول على نسيان الراوي ، وبعضها أن النبي ﷺ كان يتحدث عن الاستسقاء في خطبة الجمعة ، فاكتفى ﷺ بعد الخطبة بصلاة الجمعة ، وبعضها ذهب إلى أن النبي ﷺ أراد أن يعرف الناس أن صلاة الاستسقاء سنة يجوز تركها

وبهذا يكون الاستسقاء ثلاثة أنواع :

النوع الأول : الاستسقاء بالدعاء من غير صلاة كما رأى الأحناف .
النوع الثاني : الاستسقاء في خطبة الجمعة أو في إثر صلاة مفروضة .

النوع الثالث : الاستسقاء بصلاة ركعتين ، وخطبتين ، والتأهب قبله بصدقة وصيام وتوبة ، وإقبال على الخير ، ومجانبة للشر ، ونحو ذلك من طاعة الله تعالى .

وصلاة الاستسقاء ركعتان ، وتكون قبل الخطبة ، كما ذهب إلى ذلك الشافعي وجمهور الفقهاء ، ولو قدم الصلاة أولاً صححتا لكنه خلاف الأولى . **وقال الليث بن سعد :** الخطبة تكون أولاً .

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ج ٢ ص ٥٤٩ .

ويكبر لصلاة الاستسقاء مثل تكبيرات العيد ، كما ذهب إلى ذلك الشافعي وابن جرير ، وابن المسيب ، وعمر بن عبد العزيز ومكحول رحمهم الله .
وذهب الجمهور إلى عدم التكبير في صلاة الاستسقاء ، واستحسنه غيرهم ، ولا آذان للاستسقاء ولا إقامة ^(١) .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين الحديث أن رسول الله ﷺ كان يبالي في رفع يديه في دعاء الاستسقاء ، حتى يظهر باطن إبطيه ، ولم يفعل ذلك في دعاء آخر .

- ه -

ركائز الدعوة في حديث الباب

يشتمل الحديث على ركيزة هامة هي : -

ضرورة المناسبة بين الوسيلة والغاية

شرع الله تعالى الدعاء للمسلمين يلجأون إليه حين حاجتهم لمعونة الله تعالى ، والإنسان في حاجة دائمة لمعونة الله تعالى وتوفيقه ، ولذلك سن للمسلم أن يدع ربه في كل حياته ﴿ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ ^(٢) ليسعد بمعونة الله الدائمة .

والملاحظ أنه كلما اشتد البلاء اشتد الطلب والرجاء ، ولقد ظهر ذلك من رسول الله ﷺ في مواطن عديدة ففي يوم بدر جاء مشركوا مكة لاجتياز المدينة ، والقضاء على الإسلام والمسلمين ، وهذا كرب عظيم

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ج ٢ ص ٥٥٠

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٩١ .

عاشه المسلمون في بدر ، واشتد الخطب على رسول الله ﷺ فأكثر من الدعاء والرجاء (فما زال يهتف بربه ، ماداً يديه مستقبل القبلة ، حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه ، فألقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه ، وقال : يا نبي الله ، كفاك مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك)^(١).

وحديث الباب يؤكد هذه الحقيقة ، فلقد كان ﷺ في دعائه وهو يستسقي للناس يبالغ في رفع يديه حتى يرى بياض إبطه .
إن العظائم كفؤها العظماء ، والأمور الكبرى تحتاج لجهد يكافئها ، وهذا درس هام للمسلمين ليقدرُوا لكل أمر ما يناسبه من قول وعمل ، ولا يعيشوا في بلاهة وسذاجة فيحترقون وهم غافلون .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من حديث الباب الفوائد التالية : -

- ١- ظهور حرص رسول الله ﷺ على مصلحة الأمة .
- ٢- الرسول ﷺ أسوة الناس وقدوتهم .
- ٣- لا بد للدعاء من تعب بالإلحاح ، والإصرار .
- ٤- يستحب التوجه إلى الله تعالى في كل حال .
- ٥- الثقة في الله تعالى تحتاج إلى المحافظة الدائمة على حقوقه .

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ، حديث رقم

- ٣ -

٢- باب الدعاء في الاستسقاء

حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَبَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ

[٥١٧]، (١)

٩٣٣

قَامَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْكَ الْمَالُ، وَجَاعَ الْعِيَالُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا فَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَرَعَةً، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا وَضَعَهَا حَتَّى تَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ ﷺ ، فَمُطِرْنَا يَوْمَئِذٍ ذَلِكَ، وَمِنْ الْعَدِ، وَبَعْدَ الْعَدِ، وَالَّذِي يَلِيهِ، حَتَّى الْجُمُعَةِ الْآخَرَى. فَقَامَ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيُّ ، أَوْ قَالَ غَيْرُهُ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ تَهْدِمُ الْبِنَاءَ، وَغَرِقَ الْمَالُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا . فَرَفَعَ ﷺ يَدَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا فَمَا يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ السَّحَابِ إِلَّا أَنْفَرَجَتْ وَصَارَتِ الْمَدِينَةُ مِثْلَ الْجُوبَةِ، وَسَالَ الْوَادِي قَنَاةَ شَهْرًا، وَلَمْ يَجِءْ أَحَدٌ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَّا حَدَّثَ بِالْجُودِ^(١)

- أ -

موضوع حديث الباب

يبين الحديث ما أصاب الناس بعد استسقاء النبي ﷺ لهم ، حتى طلبوا من النبي ﷺ أن يخفف الماء عنهم ، فدعا لهم رسول الله ﷺ بما طلبوا فانقطع نزول المطر عليهم ، بعد أن حقق لهم ما طلبوا ، واستمر

(١) أخرجه البخاري في: ١١ كتاب الجمعة: ٣٥ باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة .

ينزل بعيدا عنهم .

- ب -

الدلالات اللغوية في حديث الباب

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه : (أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ) أي أصاب الناس قحط ماحق ، وجذب شديد بسبب انقطاع المطر عنهم (فَبَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ) أي وفي أثناء خطبة النبي ﷺ في يوم الجمعة (قَامَ أَعْرَابِيٌّ) أي وقف في مكانه الجالس فيه ، ونادى النبي ﷺ (فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ) ولم يحدد أحد اسم هذا الرجل الذي قام من مجلسه ، ونادى النبي ﷺ ، وقد فسره الإمام احمد في مسنده بأنه (كعب بن مرة) رضي الله عنه وذكر البيهقي في الدلائل أنه (خارجة بن حصين بن حذيفة بن بدر الالفاري) رضي الله عنه

وفي بعض الروايات (يذكر أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب وجاه المنبر ، ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبل رسول الله ﷺ قائما ، فقال) ^(١) ويحتمل أن الرجل دخل فجلس ثم قام فسأل منعا للتعارض قام الأعرابي (فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْكَ الْمَالُ، وَجَاعَ الْعِيَالُ فَادْعُ اللَّهَ لَنَا) أي انقطع الماء فهلك الزرع ، وجف الضرع ، وانقطع الطير والانعام ، وأصابنا الجوع و العطش ، لعدم وجود الماء ، وجاع العيال لانعدام الطعام فادع الله يا رسول الله أن ينزل علينا المطر .

(فَرَفَعَ ﷺ يَدَيْهِ) إلى السماء وطلب السقيا ، وكانت السماء صافية (وَمَا

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب الاستسقاء ، في المسجد الجامع .

نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً) قزعة بفتح القاف والزاي والعين بوزن كتبة وهو السحاب الخفيف المتفرق في السماء الذي يحدث في الخريف ، والمعنى أن السماء كانت صافية خالية من السحاب الكثيف (قَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ) أي وأقسم أنس ﷺ بالله الذي نفس الخلق جميعا ونفسه بيده أن رسول الله ﷺ (مَا وَضَعَهَا ﷺ) أي ما أنزل يده التي رفعها حين طلب الاستسقاء (حَتَّى تَارَ السَّحَابُ) أي تجمع في السماء ، وهاج وانتشر حتى صار (أَمْثَالَ الْجِبَالِ) في ضخامته وكثرته ، وكثافته .

يقول أنس ﷺ (ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ) رسول الله ﷺ (عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَخَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ) أي رأيت المطر على لحيته ﷺ ، وعلى المنبر ، لأن سقف المسجد كان مكونا من الجريد والسعف ، وكان يتسرب ماء المطر منه .

يقول أنس ﷺ : (فَمَطَرْنَا يَوْمَنَا ذَلِكَ) أي مطرنا في يوم الجمعة التي دعا فيها رسول الله ﷺ ، (وَمِنَ الْغَدِ، وَبَعْدَ الْغَدِ، وَالَّذِي يَلِيهِ، حَتَّى الْجُمُعَةِ الْآخَرَى) أي استمر نزول المطر شديدا طوال الأسبوع كله من الجمعة إلى الجمعة ، وبعد انتهاء الأسبوع ، وفي الخطبة التالية في نهاية الأسبوع خطب النبي ﷺ (فَقَامَ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيُّ، أَوْ قَامَ غَيْرُهُ) من مجلسه في الصلاة (فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَهْدِمُ الْبَنَاءَ) من كثرة المطر ، واستمراره اسبوعا كاملا (وَعَرِقَ الْمَالُ) أي وغرق الزرع والأنعام ، والطير من شدة المطر (فَادْعُ اللَّهَ لَنَا) أي ادع الله لنا لينقطع المطر ، وتسلم الأموال والبيوت (فَرَفَعَ) ﷺ (يَدَيْهِ) ... (فَقَالَ: اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا) أي اجعل يا الله المطر

محيطا حولنا لنستفيد منه ونحفظه ، ولا تجعله ينزل علينا يهدم البيوت ويهلك المال .

يقول أنس رضي الله عنه : (فَمَا يُشِيرُ) رسول الله ﷺ (بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ مِّنَ

السَّحَابِ إِلَّا أَنْفَرَجَتْ) أي انكشفت السماء وانجاب السحاب ، وبعد المطر عنها وعنا ، وصار يسقط في شكل دائرة حولنا داخلها شمس ، وخارجها ممطر وتدورت الأرض مثل طوق الثوب حول العنق (وَصَارَتِ الْمَدِينَةُ مِثْلَ الْجَوْبَةِ) أي صارت المدينة مثل حفرة مستديرة واسعة ، يحيط السحاب والغيم حول محيطها ، وبقيت هي دائرة مشمسة لا مطر فيها (وَسَالَ الْوَادِي قَنَاءً شَهْرًا) أي وسال الماء وجرى في وادي قناة الموجود في المدينة جهة أحد شهرا كاملا حتى عم الخير ، ووصل الماء غزيرا إلى المدينة وجميع ضواحيها .

(وَلَمْ يَجِءْ أَحَدٌ مِّنْ) أي (نَاحِيَةٍ) من نواحي المدينة (إِلَّا حَدَّثَ بِالْجَوْدِ) أي إلا وأخبر بهطول المطر الغزير ، وكثرة الماء ووفرته ، وحصول الخير للأبناء وللحياة و الأحياء .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يبين حديث الباب استحباب طلب المطر من الله تعالى عند انقطاع الماء ، وهو ما يعرف بصلاة الاستسقاء ، وجواز الدعاء به في خطبة الجمعة ، وحينئذ تكفي خطبة الجمعة وصلاتها عن صلاة الاستسقاء وخطبتها ، كما يوضح الحديث جواز أن يقوم بالاستسقاء فرد واحد صالح ، فلقد دعا رسول الله ﷺ واستسقى وحده .

ويستحب في الاستسقاء أن يكون في جمع كبير ، ولذلك كان المسلمون الأوائل يعدون له خلاء واسعا يخرجون إليه للخطبة والصلاة ، وقد عد اجتماع الجمعة إذا دعى الإمام في خطبتها ، وطلب الماء اجتماعا للاستسقاء ، وعد سؤال الرجل نيابة عن الجميع استسقاء ، ولذلك جاز الاستسقاء مع العفو عن صلاة له أو خطبة تخصه ، ويستحب أن يؤم الناس في طلب الماء ، والدعاء أحد صالحهم ، حتى يستجيب الله تعالى لهم .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب استحباب الاستسقاء عند الجذب والقحط ، ويوضح أن الرسول ﷺ كان رحمة للناس ، فقد استسقى لهم فاستجاب الله تعالى دعاءه ، وأنزل لهم الماء غدقا عذبا .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في حديث الباب

يتضمن حديث الباب عددا من الركائز ... أهمها : -

الركيزة الأولى

ظهور معجزات النبي ﷺ

أيد الله تعالى رسوله محمداً ﷺ بمعجزات عديدة حسية كانشق القمر ، وتكليم الحجر ، وحنين الجذع ، ونصب بيت العنكبوت ، وتلك معجزات حسية وقعت خارقة للعادة ، شاهدها معاصروها ، وعلموا دلالاتها ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر .

وأعظم المعجزات نزول القرآن الكريم كتابا دائما بين الناس ، يتلى عليهم بما فيه من تفصيل العقيدة ، وأحكام الشريعة ، ومكارم الأخلاق .

إن المعجزة في جملتها أمر خارق للعادة ، خارج عن طوق البشر ، يظهرها الله تعالى على يد مدع للنبوة وفق مراده تصديقا له ، وكأنها تقول عن الله ﷻ بلسان الحال : **صدق عبي فيما يبلغ عني ،** ولقد تيقن المسلمون من صدق رسول الله ﷺ فكانوا يأتون إليه عند الشدائد والكربات يطلبون منه الدعاء والحاجة ليرفعها الله تعالى عنهم ، ويكرمهم بطلب رسول الله ﷺ لهم .

وحديث الباب يتناول معجزة لرسول الله ﷺ ، فلقد جاء الرجل الأعرابي يسأله الاستسقاء للناس ، فلقد انعدم الزرع ، وانقطع الضرع ، وضاعت الأموال ، وكانت السماء عند طلب الأعرابي صافية ، والشمس مشرقة ولا وجود لسحاب ولا قزعة في الأفق ، فرفع رسول الله ﷺ يديه ودعا ربه فما أنزلها إلا وقد جاء الغيث ، وامتألت الطرقات بالماء ، واخترق المطر أسقف البيوت والمساجد ، واستمر هطول المطر اسبوعا بلا انقطاع حتى شكا الناس الأضرار التي لحقت بهم فجاءوا إلى رسول الله ﷺ يطلبون رفع الضر ، فدعا الرسول ﷺ ربه قائلا : اللهم حوالينا لا علينا فتحول المطر سريعا حول المدينة في صورة دائرة ، باطنها مشرق مشمس وفيه المدينة ، وحولها سيول وأمطار ، وصار الناس يعيشون وسط دائرة مشمسة ، خالية من المطر ، يحيطها المطر من كل الجهات ، ويأتيها في مسارات منتظمة تفيد ولا تضر ، وكثر الخير في كل نواحي المدينة .

عاش المسلمون هذه المعجزة الحسية مع رسول الله ﷺ فازداد إيمانهم ، وتيقنوا من صدق ما دعاهم إليه رسول الله ﷺ ، والتزموا بالمنهج الذي عرفهم به رسول الله ﷺ .

ونزل القرآن الكريم خطابا للعقول ، وتذكيرا بالآيات وتسجيلا عمليا لدين الله تعالى ليبقى معهم ، يتلونه صباح مساء ، ويهتدون به على صراط الله المستقيم .

إن القرآن الكريم هو دين الله تعالى محكما مفصلا ، قيما لا عوج فيه ، يرفع الله تعالى به أقواما ، ويذل به آخرين ، وهو مصدر الإيمان إلى يوم الدين .

الركيزة الثانية القيادة الإسلامية عمل وخدمة

الإسلام تكليف بالعمل وتشريف بالطاعة ، وليس فيه عنصرية ولا استعلاء ، ولذلك يكون الولي والسلطان واحدا من الناس ، مكفا بعمل معين لا يرتفع به على الناس ، ويعيش فيهم رائدا وخادما ، وكان رسول الله ﷺ رائدا للولاة الإسلاميين في كل العصور والأمصار ، لقول النبي ﷺ : (فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد في هذه البطحاء)

(^١) ، وكان ﷺ يشارك إخوانه في العمل ، بل ويختار أشقه... فيقول ﷺ : (.... وعلي جمع الحطب)

وكان رسول الله ﷺ دائما في خدمة أهله ، يرقع ثوبه ، ويخصف نعله .
لقد علم المسلمون نظريا وعمليا أن القيادة في الإسلام تكليف لا تشريف

(^١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ، كتاب تفسير القرآن ، تفسير سورة ق، حديث: ٣٦٦٨.

، وعمل لا راحة ، ولذلك عدوا القائد خادما لهم ، يحفظ الحقوق ، ويعين الضعيف ، ويقضي الحاجات ، ويقصد المصلحة لجميع الرعايا .
وحديث الباب شاهد على هذه الحقيقة ، فلقد كان المسجد في يوم الجمعة هو الملتقى الأسبوعي للناس مع رسول الله ﷺ ، فلما اشتكى الرجل القحط والجذب إلى رسول الله ﷺ استسقى النبي ﷺ لهم .. ولما فاض الماء ، نادى الرسول ﷺ ربه : (اللهم حولينا لا علينا)
وهكذا كانت قيادة النبي ﷺ للناس خدمة وعملا ، وكانت رحمة للناس .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من حديث الباب الفوائد التالية : -

- ١- جواز مكالمة الإمام في الخطبة للحاجة ، ولذلك قال أنس بن مالك ﷺ : (كان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية فيسأل رسول الله ﷺ)^(١).
- ٢- جواز قيام الواحد بشأن الجماعة ، والتحدث بشأنهم .
- ٣- سؤال الدعاء من أهل الخير ، ومن يرجى منه القبول .
- ٤- استحباب توضيح الحال قبل الطلب لتصحيح الرؤية قبل الطلب والتوجه .
- ٥- ضرورة الحذر في الطلب حتى لا يشمل النفع والضرر ، ولذلك لم يطلب النبي ﷺ رفع المطر وإنما قال ﷺ : حولينا لا علينا .

(١) مسند أحمد بن حنبل ، من مسند أنس ﷺ ، حديث رقم : ١١٨٠٤ .

- ٤ -

٣- باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم
والفرح بالمطر

حديث عائشة **ل** قَالَتْ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا رَأَى مَخِيلَةً [٥١٨]، (١)

٣٢٠٦

فِي السَّمَاءِ أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ ، وَدَخَلَ وَخَرَجَ ، وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ فَإِذَا
أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ سُرِّي عَنْهُ ، فَعَرَفْتُهُ عَائِشَةُ ذَلِكَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ
ﷺ : مَا أَدْرِي ، لَعَلَّهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَنْ قَوْمِ عاد الطَّاغُوتِ ﴿١٠٠﴾ فَلَمَّا

رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمِطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا
اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ ^ب رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا
فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ (١) (٢)

- أ -

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب ضرورة التعوذ من الريح والغيم ، والفرح بنزول
المطر .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

تقول السيدة عائشة **ل** (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا رَأَى مَخِيلَةً فِي السَّمَاءِ)
أي أنه ﷺ كان إذا رأى سحابة تخيل فيها المطر ، ولذلك سميت مخيلة

(١) سورة الأحقاف الآيتان : ٢٤ .

(٢) أخرجه البخاري في: ٥٩ كتاب بدء الخلق: ٥ باب ما جاء في قوله (وهو الذي أرسل الرياح
بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) وللحديث رواية أخرى في البخاري تحت رقم : ٤٨٢٩ .

(أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ وَدَخَلَ وَخَرَجَ، وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ) أي ينتابه الخوف على الناس والألم من أن ينزل بهم مطر مدمر يهلكهم وأموالهم وبيوتهم (فَإِذَا أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ سُرِّيَ عَنْهُ) أي إذا أمطرت السماء ، وانقشع السحاب ، ذهب عنه ما تخيله ، وسر بنزول المطر .

(فَعَرَفَتْهُ عَائِشَةُ ل) بحالته عندما يتخيل في السماء مطرا ، وكانها كانت تحب أن تعرف سبب ما يلهم بالنبى ﷺ آنذاك (فَقَالَ) لها (النَّبِيُّ ﷺ مَا أَدْرِي، لَعَلَّهُ كَمَا قَالَ قَوْمٌ) هود عليه السلام ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ٢٤ ﴾ تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿ ٢٥ ﴾^(١) أي إن سبب انزعاجه ﷺ خوفه من أن يكون المطر الموجود في السماء ريحا فيها عذاب أليم ، كما حدث لقوم هود عليه السلام ، فقد كان قوم هود عليه السلام في حاجة إلى المطر ، فلما رأوا سحابة فوقهم تفاعلوا ، وقالوا : هذا سحاب يأتينا بالمطر ، وسروا بذلك ، فرد الله تعالى تفاعلهم ، وبين لهم أن الذي في السماء ريح يحمل العذاب والهلاك ، وقد كانوا يستعجلونه ، ويتحدون هودا حين أنذرهم به ... وقد خاف النبي ﷺ من ذلك فلما نزل المطر سر وحمد الله تعالى .

فإن قيل : كيف خاف النبي ﷺ من السحاب ، وقد وعده الله تعالى بعدم نزول العذاب بقومه ما دام بينهم ، وما دام فيهم قوم يستغفرون ،

(١) سورة الأحقاف الآيتان : ٢٤ ، ٢٥ .

وذلك في قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانُ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ ^(١) !؟

أقول : في الرد على ذلك احتمالات عدة :

الاحتمال الأول : أن الآية نزلت بعد هذه القصة ؛ لأن الآية الكريمة نزلت لرفعة مقام النبي ﷺ وكرامة له ، وعمومها يقوي هذا الاحتمال ؛ لأنها نزلت في مشركي مكة يوم بدر ، والعبرة بعموم المعنى لا بخصوص السبب.

الاحتمال الثاني : آية الأنفال كانت خاصة بمن حضر بدرًا أو وجد في زمانها ، وهذا لا يمنع نزول العذاب بغيرهم .

الاحتمال الثالث : نزلت الآية للتحذير حتى لا يأمن الصحابة مكر الله تعالى عليهم إن هم عصوه ، وخالفوا أمره .

الاحتمال الرابع : خاف النبي ﷺ على من ليسوا معه في وقته ومكانه أن ينزل العذاب بهم شفقة على المؤمنين ، وأملا في إيمان الكافرين .

والاحتمالات الأربعة جائزة ، ولا تعارض بينها ، ولذلك جاز أن تكون كلها مرادة .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يبين الحديث شفقة رسول الله ﷺ ورحمته بأمته ، فلقد كان ﷺ يتمنى إيمانهم، ونجاتهم من عذاب النار، وفوزهم بجنات النعيم ، واستمر يدعوهم

(١) سورة الأنفال الآية : ٣٣ .

ويعلمهم ، ويعرفهم بمواطن الخير ، ويحذرهم من مكامن السوء ، وكان ﷺ يستسقي لهم ، وإذا رأى السحاب الكثيف خاف عليهم من أن يكون عذابا ينزل بهم ، ويدعو ربه حتى ينزل السحاب مطرا ، فيطمئن ﷺ ، ويحمد الله تعالى .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب شفقة النبي ﷺ بأمته وخوفه عليهم من أن يصيبهم الله تعالى بعذاب من عنده ، وكان يعيش الخوف والقلق حتى يطمئن عليهم بنزول المطر .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في حديث الباب

يشمل حديث الباب ركيزة هامة وهي : -

ضرورة الخوف والحذر من المستقبل

من الحقائق الثابتة دينيا وواقعا أنه لا تدري نفس ماذا تكسب غدا ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت ، ولذلك وجب على العاقل أن يستعد لمفارقة الدنيا في أي لحظة بالعمل الصالح والاستقامة على منهج الله المستقيم ، وعليه أن يعد كل لحظة تمر به هي لحظة النهاية التي يتوقف عندها العمل ويبدأ الحساب ولذلك لما نزل قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١)

(١) سورة آل عمران الآية : ١٠٢ .

علم المسلمون أن الآية دعوة للتسليم الرائد والطاعة المستمرة لأن الإنسان لا يعرف متى سيموت ولذلك عليه أن يستعد له بالإسلام في كل لحظة يأتي قدر الله فيها .

إن المسلم حين يعيش بهذا الإيمان يترك المعاصي لأنه يتوقع أن أن يأتيه أجله أثناء أي معصية ، ويحافظ على حقوق الله والناس ليموت غير مدين لأحد ، وغير مقصر في حق مخلوق ويؤكد أيضا هوان الدنيا ، وتقاهتها أمام الآخرة ، فهو لا يملك أمر نفسه في الدنيا ، ولا يعلم لها نهاية ، ولا يعرف حاله معها ، وحالتها معه ، ولذلك عاش المؤمنون في الدنيا على حذر ، ولسان حالهم يقول : يا دنيا غُري غيري .

إن هذا الاعتقاد الصحيح يؤكد ضرورة الخوف والحذر من المستقبل ، وضرورة الاستعداد للموت في أي لحظة بطاعة الله تعالى والاستقامة على منهجه تعالى ، وفي حديث الباب دروس وعبر لأولي الألباب .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من حديث الباب الفوائد التالية :

- ١- المستقبل غريب مجهول لا يعلمه إلا الله تعالى .
- ٢- قد يأتي الخير في صورة الشر والتوكل على الله تعالى هو الفوز .
- ٣- الاستعداد الدائم للقاء الله تعالى ، فقد يكون في السحاب هلاك ونحن نظنه ماء .

- ٥ -

٤ - باب في ريح الصبا والدبور

حديث ابن عباس م أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ: نُصِرْتُ بِالصَّبَا

[٥١٩]، (١)

وَأُهْلِكْتُ عَادٌ بِالدَّبُورِ (١)

١٠٣٥

- أ -

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب أن الصبا ريح يهب من جهة الشرق وفيها المطر ، وأن الدبور يهب من جهة الغرب ، وفيها العذاب والهلاك .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يؤكد ابن عباس م (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأُهْلِكْتُ

عَادٌ بِالدَّبُورِ) أي أنه ﷺ يوضح أنه نصر بريح الصبا وأهلكت عاد بريح الدبور

وريح الصبا تسمى ريح القبول وضدها الدبور ، وهي التي أهلكت قوم عاد ، ومن لطف المناسبة أن القبول نصرت أهل القبول ، والدبور أهلكت أهل الإدبار ، وهناك ريح الشمال وريح الجنوب .

وريح الصبا ريح شديدة الهبوب ، إلا أنها لا تهلك من تهب عليه ، وقد نصر الله تعالى بها رسوله ﷺ يوم الأحزاب ، إذ هبت على الأحزاب ريح الصبا فقلعت الخيام ، وطيرت الطعام ، وشردت الإبل ، وأرثتهم

(١) أخرجه البخاري في: ١٥ كتاب الاستسقاء: ٢٦ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت

بالصبا وللحديث روايات أخرى في البخاري تحت أرقام ٤١٠٥، ٣٣٤٣، ٣٢٠٥ .

الهلاك في كل جهة فخافوا ورجعوا من حيث أتوا ، فأخرج الله تعالى من ذراريهم من يوحد الله ورسوله ﷺ

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يبين الحديث بعض انواع الرياح وأسماءها ، ووظيفتها التي خلقها الله تعالى لها ، والرياح تحيط بالإنسان من كل ناحية ، وعليه أن يذكر مسخرها ، ويتجه إليه بالدعاء ، لتكون له خيرا وبركة .

وقد نصر الله تعالى المؤمنين يوم الأحزاب بريح الصبا التي هبت على الأحزاب ، فاقتلعت خيامهم ، وطيرت حاجاتهم ، فخافوا ورجعوا من حيث أتوا ، وأبقاهم الله تعالى فأمن أكثرهم ، وخرج من أصلابهم ذراري تؤمن بالله تعالى ، وأهلك الله عادا بالدبور .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب أن ريح الصبا لا تهلك ، وأن ريح الدبور مهلكة مدمرة ، وقد أهلك الدبور قوم عاد ، وانتصر المسلمون يوم الأحزاب بريح الصبا .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في حديث الباب

يشتمل الحديث على ركيزة هامة ... هي : -

الله مقلب الليل والنهار

الكون غيب كله لا يدرك الإنسان منه شيئا ، تسيل الأنهار ، وتجري الرياح ، ويتعاقب الليل والنهار ، ويمر السحاب ، وتتحرك الأفلاك بهداية الله تعالى ، وفيها الخير وفيها الشر ، وكل شيء عنده بمقدار ،

ومن الرياح ربح خير ، ومنها رياح خير والله هو العليم الخبير ، وجدير بالإنسان العاقل أن يعيش كما أمره الله تعالى ويستسلم لمراده ، ويسأله العفو والعافية ، والنجاة من النار .

إن قدرة الله تعالى بالغة ، وهي أمام الإنسان في كل لحظة يراها في جريان الماء ، وهبوب الرياح ، ونزول الصواعق ، واشتداد العواصف ، وسريان الليل والنهار ، وانتظام ظهور الشمس والقمر ، إن كل إنسان يرى هذا ويدركه والأمل أن يفكر في الصانع الحكيم ويعلم أن الله رب العالمين .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من حديث الباب الفوائد التالية : -

- ١- استمرار الدعاء وتحقيق النجاة .
- ٢- الله مقلب الليل والنهار وهو العليم الخبير .
- ٣- الله ناصر لعباده وله جنود السموات والأرض .

— ١١ —

كتاب صلاة الكسوف

الكسوف والخسوف

ثبت علميا أن القمر جسم مظلم مثل الأرض ، وهو يستمد ضوءه من نور الشمس ، فهو مرآة عاكسة لضوء الشمس .

وتقع الأرض بين الشمس والقمر ، ولذلك يقع ضوء الشمس على نصف الأرض المقابل لها فيكون النهار ، وينعكس نور القمر على نصف الأرض المقابل له فيكون الليل ... ولو أن إنسانا على ظهر القمر نظر إلى الأرض ليلا لوجدها منورة بنور القمر ، في الوقت الذي تضيء فيه الشمس النصف الآخر .

ويقع الكسوف والخسوف حين تمنع الأرض ضوء الشمس عن القمر وقت توسطها بينهما ، أو يحجب القمر أحيانا بعض ضوء الشمس عن الأرض حين يتوسط بينهما ، لأن الكل يدور في فلكه المقدر .
فكسوف الشمس هو منع وصول ضوئها إلى الأرض كليا أو جزئيا بسبب توسط القمر بينها وبين الأرض .

وخسوف القمر منع وصول نوره كليا أو جزئيا إلى الأرض بسبب توسطها بينه وبين الشمس .

وقد تحدث العلماء عن معنى الكسوف والخسوف ، وأيهما مع الشمس أو مع القمر ، وأرجح الآراء أن يكون الخسف مع القمر ، والكسف مع الشمس ، ويعد مغايرة ذلك نوعا من المجاز .

- ١ -

١ - باب صلاة الكسوف

حديث عائشة ل قالت: خَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ ، فَقَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ [٥٢٠]، (١)

١٠٤٤

، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ ، ثُمَّ قَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ ، وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ ، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ ، ثُمَّ سَجَدَ فَأَطَالَ السُّجُودَ .

ثُمَّ فَعَلَ فِي الرُّكْعَةِ الثَّانِيَةِ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْأُولَى .

ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ انْجَلَتِ الشَّمْسُ .

فَخَطَبَ النَّاسَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ، لَا يَنْخَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْعُوا اللَّهَ وَكَبِّرُوا وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا ثُمَّ قَالَ: يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنَى أَمَتُهُ ، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَغْلَمَ لَصَحَحْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا ^(١)

حديث عائشة ل زوج النبي ﷺ قالت: خَسَفَتِ الشَّمْسُ [٥٢١]، (٢)

١٢١٢

فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ فَخَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَصَفَّ النَّاسَ وَرَاءَهُ فَكَبَّرَ ، فَاقْتَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قِرَاءَةً طَوِيلَةً ، ثُمَّ كَبَّرَ ، فَرَكَعَ

(١) أخرجه البخاري في: ١٦ كتاب الكسوف: ٢ باب الصدقة في الكسوف، وللحديث روايات أخرى في البخاري تحت أرقام: ١٠٤٧ ، ١٠٥٠ ، ١٠٦٥ ، ١٠٥٨ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ٣٢٠٣ ، ٤٦٢٤ ، ٥٢٢١ ، ٦٦٣١٢ .

رُكُوعًا طَوِيلًا، ثُمَّ قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقَامَ وَلَمْ يَسْجُدْ، وَقَرَأَ قِرَاءَةً طَوِيلَةً، هِيَ أَدْنَى مِنَ الْقِرَاءَةِ الْأُولَى. ثُمَّ كَبَّرَ وَرَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، وَهُوَ أَدْنَى مِنَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ .
ثُمَّ قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ ثُمَّ سَجَدَ .
ثُمَّ قَالَ فِي الرُّكْعَةِ الْآخِرَةِ مِثْلَ ذَلِكَ، فَاسْتَكْمَلَ أَرْبَعَ رُكْعَاتٍ فِي أَرْبَعِ سَجَدَاتٍ، وَانْجَلَتِ الشَّمْسُ قَبْلَ أَنْ يَنْصَرِفَ .
ثُمَّ قَامَ فَأَتَنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: هُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَخْسِفَانِ لَمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَافْرِعُوا إِلَى الصَّلَاةِ (١)

حديث عائشة **ل** قالت : خَسَفَتِ الشَّمْسُ ، فَقَامَ النَّبِيُّ [٥٢٢]، (٣)

عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَرَأَ سُورَةَ طَوِيلَةً ، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ بِسُورَةٍ أُخْرَى ثُمَّ رَكَعَ حَتَّى قَضَاهَا وَسَجَدَ، ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ فِي الثَّانِيَةِ. ١٢١٢

ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمَا ذَلِكَ فَصَلُّوا حَتَّى يَفْرَجَ عَنْكُمَا لَقَدْ رَأَيْتُ فِي مَقَامِي هَذَا كُلَّ شَيْءٍ وَعِدْتُهُ، حَتَّى لَقَدْ رَأَيْتُنِي أُرِيدُ أَنْ أَخَذَ قِطْفًا مِنَ الْجَنَّةِ، حِينَ رَأَيْتُمُونِي جَعَلْتُ أَتَقَدَّمُ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَخْطُمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ ، وَرَأَيْتُ فِيهَا عَمْرُو بْنُ لَحِيٍّ ، وَهُوَ الَّذِي سَيَّبَ السَّوَائِبَ (٢).

(١) أخرجه البخاري في: ١٦ كتاب الكسوف: ٤ باب خطبة الإمام في الكسوف.

(٢) أخرجه البخاري في: ٢١ كتاب العمل في الصلاة: ١١ باب إذا تفلنت الدابة في الصلاة

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب كيفية صلاة الخسوف والكسوف والدعاء فيهما .

- ب -

الدلالات اللغوية في أحاديث الباب

تصور أحاديث الباب كيفية صلاة النبي للكسوف كما شاهدها الصحابة - رضوان الله عليهم - وقد جاء الباب في ثلاثة أحاديث طوال .

ففي الحديث الأول : تقول السيدة عائشة **ل** (**خَسَفَتِ الشَّمْسُ**

فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) أي غاب ضوء الشمس في زمن رسول الله ﷺ ،

، والخسوف ذهاب بعض ضوء الشمس ، أو كله فترة ما ، ويلاحظ أن

مسمى الباب صلاة الكسوف ، بينما الحديث يتحدث عن الخسوف .

وقد فرق العلماء بين الكسوف والخسوف : فقال أبو الهيثم : إذا ذهب

بعض ضوء الشمس فهو الخسوف ، وإذا ذهب كله فهو الكسوف ^(١).

وقيل : ذهاب ضوء الشمس هو الكسوف ، وذهاب نور القمر هو

الخسوف وعلى هذا علماء العصر ، لقوله ﷺ : **﴿وَحَسَفَ الْقَمَرُ﴾** ^(٢)

وما زلت أعي من الصغر قول أستاذنا إن القاف والكاف لا يجتمعان معا ،

فيقال : كسوف الشمس ، وخسوف القمر ، ولا يصح غير ذلك .

(فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ) أي أنه ﷺ كان متوضئاً فلما

وقع الخسوف بادر إلى الصلاة كما هو الظاهر من الفاء في قوله (فَصَلَّى)

وفي هذا الاحتمال نظر لوجود كلمات محذوفة مقدرة ظهرت في رواية

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ج ٢ ص ٥٦٣ ، طبعة الشعب .

(٢) سورة القيامة الآية : ٨ .

ابن شهاب حيث جاء فيها (خسفت الشمس في حياة النبي ﷺ فخرج النبي ﷺ إلى المسجد فصاف الناس وراءه) (١)

وفي رواية عمرة ل (فخسفت الشمس ، فرجع ضحى ، فمر رسول الله ﷺ بين ظهري الحجر ، ثم قام يصلي وقام الناس وراءه) (٢)، وثبتت هذه الأفعال التي لم تذكر في حديث الباب دليل يثبت أنه ﷺ توضحا ثم قام فصلى ، وهو ما لم يذكر في الحديث .

(فَقَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ) بطول ما قرأ ، فقد ثبت في حديث ابن عباس م (فصلى رسول الله ﷺ والناس معه ، فقام قياما طويلا نحو من سورة البقرة) (٣).

(ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ) أي أطال الركوع بالذكر ، والتسبيح ، والدعاء (ثُمَّ قَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ) أي قرأ الفاتحة ، وقدر طويلا من القرآن الكريم ، (وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ) أي أن القيام الثاني أقل في الإطالة والقراءة من القيام الأول ، (ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ) أي أنه ﷺ أطال الركوع الثاني بإطالة الذكر والدعاء فيه ، وهو أقل طويلا من الركوع الأول .

(ثُمَّ سَجَدَ فَأَطَالَ السُّجُودَ) أي أنه ﷺ سجد من قيامه سجدتين جلس بينهما ، ولم يطلهما مثل الركوع ... وبإلنتهاء من السجدين تتم الركعة

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب خطبة الإمام في الخسوف .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب التعوذ من عذاب القبر في الكسوف .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب كفران العشير وهو الزوج .

الأولى ، المكونة من قيامين ، وقراءتين ، وركوعين ، وسجودين وقد اتفق العلماء والفقهاء على ذلك ماعدا محمد بن سلمة من المالكية فإنه قاس صلاة الخسوف بصلاة السنة وحكم لها بمثلها ، ولا حجة معه ، لأن صلاة الخسوف جاءت على صفة مخصوصة لا مدخل للقياس فيها ، بل كل ما فعله النبي ﷺ صار مشروعاً لأنه أصل برأسه لا يصح القياس مع وجود النص ، وقد ثبتت مشروعية صلاة الخسوف بالكيفية المنقولة عن رسول الله ﷺ شأنها شأن صلاة الخوف وصلاة الجنازة ، وصلاة العيد ، وكيفية صلاة كل منها تختلف عن صلاة السنة ، ولا يصح القياس معها ، فكذا صلاة الخسوف تؤخذ كما ثبتت عن رسول الله ﷺ ، وبدون ذلك لا تصح .

تقول السيدة عائشة **م** (ثُمَّ فَعَلَ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْأُولَى، ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ انْجَلَتْ الشَّمْسُ) أي إنه ﷺ صلى الركعة الثانية مثل الركعة الأولى ، فانتهى ﷺ من الصلاة وقد انجلت الشمس وانتهى الكسوف ، قبل انتهائه من الصلاة .

(فَخَطَبَ ﷺ النَّاسَ) وبذلك كانت الخطبة بعد الصلاة مثل صلاة العيد ، وقد وافق الكسوف الوارد في الحديث موت إبراهيم عليه السلام أبين رسول الله ﷺ فقال الناس : إنكسفت الشمس لموت إبراهيم ، ولذلك رد النبي ﷺ على هذه المقولة في خطبته (فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ) كما هو شرط الابتداء في الخطبة (، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لَا يَنْخَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْعُوا اللَّهَ وَكَبِّرُوا وَصَلُّوا

وَتَصَدَّقُوا) أي أكد لهم ﷺ أن الشمس و القمر علامتان على قدرة الله تعالى ، واستحقاقه تعالى أن يعبد وحده ، وأمرهم ان يلحوا في السؤال رجاء كشف الضر ، ودوام النعمة وصلوا كما علمتكم ، وتصدقوا بأموالكم طاعة لله ، وإعانة للمحتاجين ، ثم دعاهم إلى طهارة العمل والسلوك ونهاهم عن ارتكاب المعاصي ، وخص أعظمها ليدل نهيها على النهي عن كل ما هو أدنى منها .

(ثُمَّ قَالَ: يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنْ اللَّهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ) فاقسم رسول الله ﷺ لتأكيد الخبر ، وبيان كبر هذه المعصية ، (أَحَدٍ) تقرأ منصوبة على أنها خبر ، واعتبار من زائده ويجوز فيها الرفع ، و(أَغْيَرُ) صفة لأحد ، فترفع على المحل، أو تخفض على اللفظ .

وقد خطب الرسول ﷺ أصحابه بما يقربهم منه ، ويدفعهم إلى

الطاعة فقال لهم : (يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ) كما يقول الوالد لولديه (يا بني) .
والغيرة هي الحمية والأنفة ، وأصلها بين الزوجين والأهلين ،
وغيرة الله لا تشبه غيرة المخلوقين ، وهي غيرة لائقة بجلاله ﷻ ، فيجوز وصفه بها على وجه يليق به ﷻ ، كما جاء في الحديث .

فهو سبحانه يوصف بالغيرة على وجه يليق بجلاله وكماله ،
والقول فيها كالقول في كافة الصفات الخيرية ، كالنزول ، والغضب ،
والرضا ، والاستواء ... وغير ذلك من صفاته ﷻ ، ثم قال ﷻ في خطبته (يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَصَحَحْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا)
أي لو تعلمون عظمة قدرة الله تعالى ، وسعة علمه بكل أمر ، ودام علمكم لتركتم الضحك والسرور ولم يقع منكم الفرح لغلبة الخوف واستيلاء الحزن

عليكم ، بسبب المعاصي التي يقع فيها الناس ، ويزينها الشيطان لهم .
ومناسبة ما في الخطبة من أمر ونهي للخطبه أن رسول الله ﷺ
قال لهم : إذا رأيتم ذلك فادعوا الله ، وكبروا ، وصلوا ، وتصدقوا ، فناسب
ذلك أنه يدلهم على ضرورة استدفاع البلاء بالذكر ، وردعهم عن المعاصي
التي هي من أهم أسباب البلاء ، وخص منها الزنا ؛ لأنه أقبح المعاصي
وأشدها تأثيرا في إثارة النفوس ، وغلبة الغضب فخوفهم منها خالق كل
شيء .

وفي الحديث الثاني : تروي السيدة عائشة **م** قصة الكسوف
كما جاء في الحديث الأول ، وتوضح أن الشمس كسفت فخرج النبي ﷺ
إلى الناس ، وصفهم وصلى بهم على نحو ما جاء في الحديث الأول ، إلا
أنها تزيد في هذا الحديث أمرين :
الأمر الأول : أن رسول الله ﷺ حين قام من الركوع قال : " سمع
الله لمن حمده " . ربنا ولك الحمد ، ولم يظهر هذا القول في الحديث
الأول .

الأمر الثاني أنه ﷺ صلى أربع ركعات في أربع سجعات في كل
سجدة ثنتان ، وليس ركعتين فقط .
وأخيرا خطب رسول الله ﷺ الناس ووعظهم ، وذكرهم بأنه لا صلة
بين موت ولده ابراهيم عليه السلام وبين كسوف الشمس .

وفي الحديث الثالث : تقول السيدة عائشة **ل** ما قالته في
الحديث الأول والثاني ، وتوضح **ل** أنه ﷺ خطب الناس ، وعرفهم

أن الشمس والقمر من آيات الله يصرفها كيف يشاء ، ولا صلاة لها بموت أحد أو بحياته ، ودعاهم إلى اللجوء إلى الصلاة عند الخسوف أو الكسوف ، وتزيد السيدة عائشة **ل** أن رسول الله ﷺ بين لهم في هذا الحديث أن الله تعالى أراه وهو في مقامه أمامهم (كُلَّ شَيْءٍ وَعِدْتُهُ) مما سيراه في الآخرة ، يقول ﷺ : (حَتَّى لَقَدْ رَأَيْتُنِي أُرِيدُ أَنْ أَخْذَ قِطْفًا) أي وجدت نفسي في الجنة وأمامي كرمة عنب فأردت أن آخذ منها قطفا لأعود إليكم بعنقود عنب من عنب الجنة (حِينَ رَأَيْتُمُونِي جَعَلْتُ أَتَقَدَّمُ) نحو عنقود العنب لأخذه إلا أنني لم أخذه لأنه مغاير لعنب الدنيا ، فتركته (وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا) ثم جئت جهة جهنم فرأيتهما في صراع وتضارب فتركتهما ، وذلك حين رأيتموني تأخرت خوفا من عذابها (وَرَأَيْتُ فِيهَا) أي في جهنم (عَمْرَو بْنَ لَحْيٍ وَهُوَ الَّذِي سَيَّبَ السَّوَابِ) ومات على الكفر .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

أجمع العلماء على أن صلاة الكسوف سنة ، ثم فصلوا في أحكامها على النحو التالي ^(١) : -

أولاً

الجماعة في أداء صلاة الكسوف

ذهب مالك والشافعي وأحمد وجمهور الفقهاء إلى أن صلاة الكسوف في

(١) أحكام الكسوف في جملتها موجودة في كتب السنة والفقهاء ، وقد رجعت إلى شروح البخاري ومسلم ، والموسوعة الفقهية الكويتية .

- انظر فتح الباري ج٢ ص٥٢٦ - ٥٣٥ ، وشرح النووي ج٢ ص٥٦٣ ، ٥٦٤ .

جماعة سنة .

وقال العراقيون : تؤدى فرادى .

وقال الأحناف: تؤدى فرادى وفي جماعة على سواء .

ثانياً

وسيلة التجمع لصلاة الكسوف

اتفق الجميع أنه لا آذان ولا إقامة لصلاة الكسوف ، وإنما ينادى عليها مثل النداء للعيد ، فيقول المنادي : الصلاة الصلاة أو الصلاة جامعة أو هلموا إلى الصلاة .

ثالثاً

صفة صلاة الكسوف

ذهب الشافعي ومالك والليث وأحمد ، وأبو ثور وجمهور علماء الحجاز إلى أن صلاة الكسوف ركعتان ، في كل ركعة قيامان ، وقراءتان ، وركوعان ، وأما السجود فسجدتان كغيرهما سواء تمادى الكسوف أو انقشع ، واستدلوا على ذلك بأحاديث الباب .

وقال الكوفيون صلاة الكسوف ركعتان كسائر الركعات الأخرى ، وقد وردت روايات أخرى تفيد أن الركعة الواحدة بثلاث قراءات أو بأربع أو بخمس ، أو بست ، ومع كل قراءة قيام وركوع تبعا لتمادي الكسوف ... وجعل البعض هذا التعدد تبعا لأحوال الكسوف ، والسجود واحد لا يتعدد .

رابعاً

عدد الركوع في صلاة الكسوف

اتفقت روايات المحدثين والفقهاء على أن عدد الركعات واحدة في كل الركعات ، فمن ركع مرتين في الركعة الأولى فلا يزيد عليها في الركعة الثانية أو في ركعات أخرى بعدها ، وذكر بعض الفقهاء أن عدد ركعات

الكسوف أربع بنفس هيئة الركعة الأولى .

خامساً

القراءة في الكسوف

اتفق العلماء على ضرورة قراءة الفاتحة في القيام الأول من كل ركعة .

واختلفوا في القيام الثاني ، فذهب الجمهور إلى ضرورة قراءتها في كل قيام ، وذهب البعض إلى عدم قراءة الفاتحة في القيام الثاني من كل ركعة .

واتفق الفقهاء على أن القيام الثاني والقراءة فيه أقصر من القيام الأول والقراءة فيه ، واتفقوا على تطويل القراءة في القيام في كل الركعات بشكل عام .

ولو اقتصر المصلي على الفاتحة في كل قيام ، وأطمأن في كل ركوع صحت الصلاة مع ترك الفضيلة .

سادساً

إطالة السجود

ذهب الجمهور إلى عدم إطالة السجود بل يقتصر فيه على عادتهم في الصلوات كلها ، وذهب البعض إلى استحباب إطالة السجود شأن صلاة الكسوف كلها ، وسيأتي تفصيل ذلك بعد ذلك .

سابعاً

خطبة الكسوف

اتفق الفقهاء على أن من السنة أن تكون خطبة الكسوف بعد الصلاة مثل صلاة العيد ، وهي خطبتان ، وذهب مالك والأحناف إلى جوازها خطبة واحدة ، واتفقوا على أن الخطبة لا تسقط ولو انجلت الشمس

ثامناً

صلاة الكسوف بين الجهر والسرية

اتفق الجمهور على أنه لا جهر في كسوف الشمس ، وثبتت الجهر في خسوف القمر ، وقال أبو يوسف ومحمد وأحمد وإسحاق وغيرهم بالجهر في الكسوف والخسوف معا ، وذهب ابن جرير الطبري إلى أن السر والجهر في الخسوف والكسوف والخوف سواء

تاسعاً

بين مفهومي الكسوف والخسوف

ذهب البعض إلى أن مفهوم الخسوف والكسوف واحد ، وأنهما من الألفاظ المترادفة ، والمشهور في استعمال الفقهاء أن الكسوف للشمس ، والخسوف للقمر ، مستدلين بقوله تعالى : ﴿ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴾^(١) ولا شك أن مدلول الكسوف يختلف عن مدلول الخسوف ؛ لأن الكسوف يفيد التغير إلى السواد ، وهذا يكون مع الشمس ؛ لأن السواد والظلمة تلحقها حين الكسوف ، والخسوف يفيد النقصان ، وهذا يلحق القمر حين خسوفه ، والآية تخص القمر بالخسوف ، وهذا يشعر باختصاص الشمس بالكسوف ، وهذا ما عليه علماء العصر .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب استحباب الصلاة للخسوف والكسوف ، وتوضح كيفية صلاتهما على نحو ما جاء في دلالات الأحاديث .

(١) سورة القيامة ، الآية : ٨ .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

نستنبط من أحاديث الباب الركائز التالية : -

الركيزة الأولى

اللجوء إلى الله تعالى عند الشدة

الحياة لا تسير على وتيرة واحدة ، فيوما نساء ، ويوما نسر ، ولا يدري الإنسان من غده شيئا ، ولذلك وجب عليه أن يعبد خالقه العليم الخبير ، ويلجأ إليه في كل شئونه ، ويسأله السداد والتوفيق ، فقد يسعى المرء لشيء فيه هلاكه ، ويحب ما يسيء إليه ، ويكره ما ينفعه ، كقول الله تعالى : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) إن على المسلم أن يستخير الله تعالى في الأمور كلها فهو سبحانه يعلم ولا نعلم ويقدر ولا نقدر ، وهو علام الغيوب.

روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا

الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن) ^(٢).

وإذا وقع الأمر فإن كان خيرا فليحمد الله ، وإن كان شرا فليلجأ إلى الله ليزيله عنه ، ويخفف وقعه ، ويبدل سيئاته إلى حسنات ومن ذلك ما يحدث عند الكسوف أو الخسوف حيث لا صلة للإنسان به ، ولا قدرة معه تمنعه ولذلك شرع الله اللجوء إليه بالدعاء والذكر والصلاة وطلب النجاة ، حتى تتجلي الغمة ، وتتكشف الشمس ، ويظهر نور القمر .

(١) سورة البقرة الآية : ٢١٦ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب ، ما جاء في التطوع مثنى مثنى .

إن رحمة الله تعالى بالإنسان واسعة ، ومنها دعوته للتقرب منه واللجوء إليه حين الضر بكافة صوره وأنواعه .

إن ما ينزل بالإنسان ليس الكسوف والخسوف فقط فمصائب الدنيا كثيرة ، وموقف الإسلام منها واضح .

إن المسلم مع المصيبة يفىء إلى الله تعالى ليرفعها عنه، أو يهونها عليه ،أو يرزقه الصبر ، ويعوضه عنها بما هو خير منها .

وبذلك لا يسيطر اليأس على المسلم ولا ينال منه الجزع والقنوط ، إن الله

عليم خبير وهو على كل شيء قدير ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾^(١)

الركيزة الثانية من فنون الدعوة إلى الله تعالى

تقدم أحاديث الباب بعض الجوانب الفنية في وسيلة الدعوة إلى الله تعالى ... وأهمها :-

أولاً : ضرورة اللجوء إلى الله عند الشدة ، فهو كاشف السوء ومجيب المضطر ، والموفق للصواب ... إن التوكل على الله تعالى في وقت الشدة هو أيسر السبل للصبر والتحمل ، والبحث عن السبيل الأمثل للخروج من المشكلة ، والوصول الى البديل ، والله هو الذي ييسر العسر ، ويجعل الصعب سهلاً ، ويبصر بالنور في نهاية النفق المظلم .

ثانياً : ضرورة استعمال الوسائل المشروعة المناسبة للنوازل والكوارث ، فلكل موقف عمله ، ولكل حدث حديث ، ولذلك كانت

(١) سورة محمد الآية ١١ .

مشروعية صلاة الخوف عند الخوف ، وصلاة الاستسقاء عند القحط ،
وصلاة الكسوف عند كسوف الشمس ، وخسوف القمر ، ولكل كيفية ومنهج
وأحكام .

ثالثاً : ضرورة التعريف بالحق عند ظهور إشاعات باطلة كما
فعل رسول الله ﷺ فلقد أشاع الناس ان الشمس انكسفت لموت إبراهيم
عليه السلام ، فخطبهم الرسول ﷺ وعرفهم أن الشمس والقمر من آيات الله يدلان
على عظمته وقدرته ، ولن تنكسفا لموت أحد ولا لحياته .

رابعاً : نصح كل فئة بما يناسبها ، ذلك أن رسول الله ﷺ بعد أن
انتهى من الخطبة شق الطريق وذهب إلى النسوة ، وبايعهن ، وعرفهن
بطبائعهن مع أزواجهن ، وأمرهن بالصدقة تكفيرا عن أخطائهن ، وأثبتت
الصحابيات رفعة مقامهن ، فبادرن إلى التصديق بحليهن مع حاجتهن
إليها .

خامساً : تجنب مواطن الشبهة ، ذهب الرسول ﷺ إلى النسوة
في يوم العيد ، وهن يلبسن الجديد من الثياب والحلي ، فابتعد عن مواطن
الشبه فاصطحب معه بلالا عليه السلام وأمره ببسط ردائه لتضع النسوة عليه
صدقاتهن ، وحمله بلال ، ولم تحدد أية صحابية ما تصدقت به .

سادساً : البدء بذكر الله تعالى كما هي خطبة رسول الله ﷺ فقد
حمد ﷺ الله وأثنى عليه بما هو أهل له .

سابعاً : التلطف في خطاب الدعوة ، فنأدى القوم بيا أمة محمد
ﷺ كما ينادي الأب ولده يا بني ، وعرفهم بأن الصلاة ، والذكر ، والدعاء

والتصدق وسائل الفوز والنجاة .

ثامناً : البدء بالأهم فنهاهم عن الزنى الذي هو أقبح الأعمال ،
وأفحش المعاصي ؛ لأن في تجنبه تجنباً لغيره ، وكان نهيه ﷺ مصاحباً
بالرفق واللين فذكر أن الله تعالى أغير على عباده من غير الغيورين على
أعراضهم .

تاسعاً : الاستدلال بالواقع خوف الرسول ﷺ أصحابه من عذاب
جهنم وبين أن الله تعالى أراه إياه فاشتد حذره ومن رؤيته ﷺ حذرهم .

الركيزة الثالثة **إن أكرمكم عند الله أتقاكم**

عندما ظن المسلمون أن الشمس انكسفت لموت إبراهيم عليه السلام لبنوته
لرسول الله ﷺ نفى رسول الله ﷺ هذا الظن ، وعرفهم بأن إبراهيم عليه السلام
واحد من أبناء المسلمين لا يفضل على أحد من الأطفال ، ففهموا من ذلك
أن الإنسان بصورة عامة مكرم عند الله لا يسبق غيره إلا بالتقوى ، يقول
الله تعالى ﴿ **إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَقِمُ** ﴾ ^(١) .

إن رسول الله ﷺ واحد من الناس أوحى الله تعالى إليه وكلفه بالتبليغ
، وحدد له الواجب كسائر الناس ، وليس له أن يزيد على الوحي شيء من
عنده ، ولا ينقص منه لقول الله تعالى ﴿ **وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ** ﴾ ^(٢) **لَاخَذْنَا**
مِنْهُ بِالْيَمِينِ ^(٣) **ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ** ^(٤) **فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ** ^(٥) ، وحكم

(١) سورة الحجرات الآية : ١٣ .

(٢) سورة الحاقة الآيات : ٤٤ : ٤٧ .

الله شامل للجميع وذلك لقول رسول الله ﷺ لقومه كما حكى الله تعالى عنه في قوله تعالى ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ ^(١) ، أي لا أطلب منكم مالا إلا أن تطيعوني ، وتسمعوا قولي فأنتم أقرائي ، وحقى عليكم أن تتصروني بالطاعة ، وبهذا فلا تمايز لأحد إلا بالتقوى والعمل الصالح .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : (قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله ﷻ : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ^(٢) قال : " يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشترؤا أنفسكم ، لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا ، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا ، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا) ^(٣) ويقول ﷺ : (وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) ^(٤)

لقد حقق الإسلام العدل في العطا والجزاء ، وبين للدنيا كلها طريق الفوز والنجاح ... فهل من مجيب !!؟؟

(١) سورة الشورى الآية : ٢٣ .

(٢) سورة الشعراء الآية : ٢١٤ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الوصايا ، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب حديث الغار .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد أحاديث الباب

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية :

- ١- يستحب الإنذار والتخويف في الخطبة حين يكون المنهي عنه أمر منكر بدل التوسع في الرخص ، لأن الرخص لا تهرب النفوس الضعيفة ، لما جبلت عليه من الشهوة ، والطبيب الحاذق يقابل العلة بما يضادها لا بما يزيدها .
- ٢- يستحب المبادرة إلى الصلاة عند النوازل والكوارث .
- ٣- الزجر عن كثرة الضحك ، والحث على كثرة البكاء ، والتحقق بما يصير عليه المرء من الموت والفناء .
- ٤- وقوع الكسوف نموذج لما سيحدث يوم القيامة ، حيث الانفلات الكوني الكبير ، والتسليم لله تعالى في الفضل والقضاء .
- ٥- اهتمام الصحابة بتحمل أمانة الإسلام ، ونقل أقوال النبي ﷺ وأعماله وأحواله كما نزل الوحي بها .
- ٦ - في الكسوف هدم الوهية الشمس والقمر لقول الله تعالى : ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾^(١).
- ٧- وقوع المصائب بين قدر يعرف بالنعمة ، ويظهر قدرة الملك ﷻ ﴿الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢)

(١) سورة فصلت الآية : ٣٧ .

(٢) سورة الملك الآية : ١ .

- ٢ -

٢- باب ذكر عذاب القبر في صلاة الخسوف

[٥٢٣]، (١) حديث عائشة ل رَجِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّ يَهُودِيَّةً جَاءَتْ

١٠٤٩، ١٠٥٠ تَسَأَلُهَا ، فَقَالَتْ لَهَا : أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ .

فَسَأَلَتْ عَائِشَةَ ل رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، أَيْعَذَّبُ النَّاسُ فِي

قُبُورِهِمْ ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : عَائِذَا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ ، ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ

اللَّهِ ﷺ ، ذَاتَ غَدَاةٍ مَرْكَبًا ، فَخَسَفَتِ الشَّمْسُ ، فَرَجَعَ ضَحَى ،

فَمَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، بَيْنَ ظَهْرَانِي الْحَجَرِ .

ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي ، وَقَامَ النَّاسُ وَرَاءَهُ ، فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا ، ثُمَّ

رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا ، ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا ، وَهُوَ دُونَ

الْقِيَامِ الْأَوَّلِ ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا ، وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ ،

ثُمَّ رَفَعَ فَسَجَدَ ، ثُمَّ قَامَ ، فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا ، وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ

الْأَوَّلِ ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا ، وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ ، ثُمَّ

قَامَ قِيَامًا طَوِيلًا ، وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا

طَوِيلًا ، وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ ، ثُمَّ رَفَعَ فَسَجَدَ وَانْصَرَفَ ،

فَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَتَعَوَّذُوا مِنْ عَذَابِ

الْقَبْرِ (١) .

(١) أخرجه البخاري في: ١٦ كتاب الكسوف: ٧ باب التعوذ من عذاب القبر في الكسوف أورد

البخاري النص في حديثين ، وجمعها صاحب (اللؤلؤ والمرجان) في حديث واحد .

- أ -

موضوع حديث الباب

يبين الحديث كيفية صلاة الخسوف ، وطولها ، ويؤكد أن عذاب القبر حق يجب التعوذ منه

- ب -

الدلالات اللغوية في حديث الباب

تؤكد السيدة عائشة **ل** (رَوَى النَّبِيُّ ﷺ ؛ أَنَّ يَهُودِيَّةً) من عجائز المدينة (جَاءَتْ تَسْأَلُهَا) عن عذاب القبر ، ووقوعه للمسلمين بطريقة سلسلة (فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ) أي نجاك الله من عذاب القبر ... فأرادت عائشة **ل** أن تعرف من رسول الله ﷺ عذاب القبر ، وهل سيقع للمسلمين ؟ (فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ **ل**) رسول الله ﷺ لتعرف الحق منه ، فقالت : يا رسول الله (أَيُعَذَّبُ النَّاسُ فِي قُبُورِهِمْ) ؟ وكان رسول الله ﷺ لا يعلم عند سؤالها أن المسلمين يعذبون في قبورهم (فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ) قولاً يستعيز فيه من عذاب القبر حالة كونه (عَائِذَا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ) أي من عذاب القبر لأنه يعلم شدته وقوته ، ولم يعلم وقوعه للمسلمين .

(ثُمَّ) إن رسول الله ﷺ (رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ذَاتَ عَدَاةٍ مَرْكَبًا) أي ركب الرسول ﷺ مركبا ذات يوم مبكرا في الصباح ، وغاب الضوء ، واسود الأفق (فَخَسَفَتِ الشَّمْسُ فَرَجَعَ ضَحَى) أي خسفت الشمس وهو راجع وقت الضحى (، فَمَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، بَيْنَ ظَهْرَانِي الْحَجَرِ) وَالْحَجَرِ بضم الحاء وفتح الجيم جمع حجرة ، والمراد بها بيوت أمهات المؤمنين ، ونور الشمس

غائب .

(ثُمَّ) أَتَى الْمَسْجِدَ (قَامَ يُصَلِّي) وَأَتَمَّ النَّاسُ بِهِ (قَامَ النَّاسُ وَرَاءَهُ) لِلصَّلَاةِ (فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَفَعَ فَسَجَدَ، ثُمَّ قَامَ، فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ قَامَ قِيَامًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَفَعَ فَسَجَدَ وَانْصَرَفَ، فَقَالَ ﷺ فِي خُطْبَتِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَتَعَوَّذُوا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ) أَيِ إِنْ الرُّسُولَ ﷺ صَنَعَ أَنْذَ مَا جَاءَ فِي الْبَابِ الْأَوَّلِ ، وَانْتَهَى مِنْ خُطْبَتِهِ عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ .

وَقَدْ تَعَوَّذَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَهُوَ يَتَعَوَّذُ مِنَ الْكُسُوفِ ؛ لِأَنَّ الْخَوْفَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ يَسَاوِي الْخَوْفَ مِنَ الْكُسُوفِ ، فَكِلَاهُمَا ظَلَامٌ ، وَتَوَقَّفَ عَنْ أَعْمَالِ الدُّنْيَا ، وَالشَّيْءِ بِالشَّيْءِ يَذْكُرُ .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يُبَيِّنُ حَدِيثَ الْبَابِ اهْتِمَامَ الْيَهُودِ بِعَذَابِ الْقَبْرِ ، وَلِذَلِكَ جَاءَتْ الْيَهُودِيَّةُ لِعَائِشَةَ ل تَذْكُرَهَا بِهِ ، فَسَأَلَتْ ل الرُّسُولَ ﷺ عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، فَاسْتَعَاذَ مِنْهُ أَمَامَهَا ، وَعَرَفَ الْمُسْلِمِينَ بِوُقُوعِهِ بَعْدَ أَنْ أَخْبَرَهُ الْوَحْيُ بِهِ ، وَحَثَ الرُّسُولَ ﷺ أَصْحَابَهُ عَلَى التَّعَوُّذِ مِنْهُ .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يُبَيِّنُ حَدِيثَ الْبَابِ شَفَقَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ ل عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَسُؤَالَهَا

رسول الله ﷺ عن عذاب القبر ، وتوضح كيفية صلاة الخسوف ، وأمره ﷺ أصحابه الكرام أن يتعوذوا من عذاب القبر .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في حديث الباب

يتضمن حديث الباب عددا من الركائز أهمها : -

الركيزة الأولى

قدوة المسلمين هو رسول الله ﷺ

رسول الله ﷺ هو مرجع المسلمين في كافة أمورهم ، وكانوا لذلك يحرصون على الرجوع إليه في كل حاجاتهم ، فهو المبلغ لوعي الله تعالى ، وعنده الخبر اليقين ، وكانوا يتناوبون في حضور مجلسه حتى لا يفوتهم قول أو فعل ، وكانوا - رضوان الله عليهم - يسألونه في كل حاجتهم ، ولو عدنا للقرآن الكريم لوجدنا آيات (يسألونك) ، (ويستفتونك) عديدة في القرآن الكريم .

وها هي السيدة عائشة **ل** بعدما ذكرت اليهودية عندها عذاب القبر ، سألت رسول الله ﷺ عنه فاستعاذ منه ، واستبعد وقوعه للمسلمين ، فلما علم ﷺ من ربه أن عذاب القبر حق لجميع الناس ، قام فخطب الناس وحذرهم من العذاب ، وأمرهم أن يستعيذوا من عذاب القبر ، فروت عائشة **ل** الخبر كما سمعته من رسول الله ﷺ ، وهذا شأن عائشة **ل** والصحابة الكرام مع رسول الله ﷺ ، يأتون إليه ويسألون ويعلمهم رسول الله ﷺ ما نزل عليه من الوحي .

أما اليوم فليس الرسول بيننا بشخصه ، ولكنه موجود بيننا بأقواله وأفعاله ، وصفاته ﷺ ، وأحواله مدونة في الكتب ، ومفسرة في مراجع واسفار ، لدرجة أن تلقي الدين اليوم أيسر من تلقيه في حياة رسول الله ﷺ ومن هنا نسأل عن الذي حل بالمسلمين ، حتى صاروا يسمعون ولا يفهمون ، وإن فهموا لا يعملون ، وإن عملوا يقصرون ويعجزون .
وحين نتأمل في سبب ضياع المسلمين اليوم فإنني أراه فيما يلي :-
أولاً : تعدد السبل والطرق أمام المسلم ، مع تناقضها واختلافها ، حتى صار المسلم حائراً بين الحق والباطل ، وحين نبحث عن الحق نتوه ، وحين نلجأ إلى المشايخ تنتشعب السبل ... ونعود مرة أخرى لمعرفة سبب الجهل في الدين فنجد دعاة ومشايخ مع كل اتجاه وإن تعارضت ، ولا يستحي هؤلاء العلماء من الخوض في مالا يعنيههم ولغايات سياسية لا تفيد شيئاً ...

ثانياً : ادعاء البعض ان الإسلام لا سياسة فيه ، وأنه خال من النظم ، ولن يتقدم المسلمون إلا بما تقدم به الآخرون .
ثالثاً : الحالة العامة للمسلمين توحى بأنهم أمة ضائعة في حياتها ، منحطة في اهتماماتها ، بعيدة عن دينها الذي يرفعها ويميزها عن غيرها ، وحين نقارن هذا بما كان عليه المسلمون الأول ، نجد البون شاسعاً ، فالمسلمون الأول وحدوا مصدر التلقي وهو الأخذ من رسول الله ﷺ ولم يلتفتوا إلى ما عند غيرهم ولم يتصوروا أبداً أن ما وضعه العقل البشري أفضل مما تركه رسول الله ﷺ ، وائتمنهم عليه الله ﷻ ، ولم يرد في خاطرهم البحث والمقارنة بين دينهم ودين غيرهم ... ولذلك سعدوا وتقدموا

ومن الممكن العودة لنكون مثلهم ، يقول النبي ﷺ : (يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ) (١)

إن دين الله تعالى بين أيدينا ، ونحن بعيدون عنه ، ولن ينصلح حالنا إلا بما صلح به أولنا والله خير الشاهدين .

الركيزة الثانية شدة العذاب بعد الموت

عذاب القبر حق ، علمنا رسول الله ﷺ الاستعاذة منه ، فهو يجعل القبر حفرة من حفر النار ، ولذلك حذر رسول الله ﷺ منه ، ودعا المسلمين إلى الاستعاذة منه .

وفي هذا التوجيه النبوي إرشاد وتحذير ، فهو يرشد إلى ضرورة العمل الصالح في الدنيا ليبتعد الإنسان عنه ، لأن الاستقامة والطاعة والتمسك بمنهج الله تعالى هو الطريق الذي ينقذ الإنسان من عذاب القبر .
والحديث يحذر المسلمين من الوقوع فيما يؤدي إلى عذاب القبر .
وحيث تتضح خطورة عذاب القبر للعاقل عليه أن يتأمل مصير الذين ماتوا وقبروا من لدن آدم إلى يومنا هذا ، ويتصور حالتهم ، حين يعلم أن منهم شقي بمعاصيه ، وذنوبه وجرائمه ، ومنهم سعيد باستقامته ، وطاعته وإخلاصه ، ليتخير لنفسه مصير هؤلاء أو هؤلاء ليعمل له ، ويسعى نحوه ، وليعلم من الآن أن الدنيا دار عمل واختيار ، ليعيش كما يرى حتى لا يندم في قبره وآخرته .

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ، کتاب العلم ، حدیث رقم : ٢٨٧ .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من حديث الباب الفوائد التالية :-

- ١- ضرورة الاستعاذة من عذاب القبر وفتنة المحيا والممات .
- ٢- تمثل عذاب القبر يضع الإنسان في الطريق الذي يرضاه لنفسه .
- ٣- حسن التعامل الإسلامي مع أهل الكتاب .
- ٤- مسئولية الحاكم في توجيه رعيته إلى الخير .
- ٥- يستحب ذكر الدليل مع الموضوع الذي يتكلم فيه الداعية .

- ٣ -

٣ - باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف

من أمر الجنة والنار

حديث أسماء ل قالت: أتيت عائشة ل وهي تُصلي [٥٢٤]، (١)
فقلت ما شأن الناس ؟ !
٨٦

فأشارت إلى السماء، فإذا الناس قيام ، فقالت: سُبْحَانَ اللَّهِ
.... قلت: آية ؟ فأشارت برأسها أي نعم

فَقُمْتُ حَتَّى تَجَلَّانِي الْغَشْيُ، فَجَعَلْتُ أَصْبُ عَلَى رَأْسِي الْمَاءَ
فَحَمِدَ اللَّهُ، ﷺ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَتْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: مَا مِنْ
شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ أَرِيْتُهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي، حَتَّى الْجَنَّةُ وَالنَّارُ،
فَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ مِثْلَ أَوْ قَرِيبَ (قَالَ
الرَّوَاي: لَا أَدْرِي أَيِّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ) مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ
الدَّجَالِ، يُقَالُ مَا عَلِمَكَ بِهَذَا الرَّجُلِ ؟

فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَوْ الْمُؤَقِنُ (لَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا قَالَتْ أَسْمَاءُ)
فَيَقُولُ هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، فَأَجَبْنَا
وَاتَّبَعْنَا، هُوَ مُحَمَّدٌ (ثَلَاثًا)؛ فَيُقَالُ: نَمَّ صَالِحًا، قَدْ عَلِمْنَا إِنْ
كُنْتَ لَمُوقِنًا بِهِ .

وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوْ الْمُرْتَابُ (لَا أَدْرِي أَيِّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ)
فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ^(١).

(١) أخرجه البخاري في: ٣ كتاب العلم: ٢٤ باب من أجاب الفتيا بإرشاد اليد والرأس، وللحديث روايات أخرى في البخاري تحت أرقام: ١٨٤، ٩٢٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٦١، ٢٥٣٥، ١٣٧٣، ٢٥١٩، ٢٥٢٠، ٧٢٨٧ .

[٥٢٥]، (٢)

١٠٥٢

حديث عبد الله بن عباس م قال: انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فصلى رسول الله ﷺ، فقام قيامًا طويلًا نحوًا من قراءة سورة البقرة؛ ثم ركع ركوعًا طويلًا، ثم رفع فقام قيامًا طويلًا، وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعًا طويلًا وهو دون الركوع الأول ثم سجد، ثم قام قيامًا طويلًا، وهو دون القيام الأول، ثم رفع فقام قيامًا طويلًا، وهو دون الركوع الأول، ثم ركع ركوعًا طويلًا، وهو دون الركوع الأول، ثم سجد .

ثم انصرف وقد تجلت الشمس، فقال ﷺ : إن الشمس والقمَر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت أحدٍ ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادكروا الله .
قالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئًا في مقامك، ثم رأيناك كعكت .

فقال ﷺ : إني رأيت الجنة فتناولت عنقودًا، ولو أصبته لأكلتُ منه ما بقيت الدنيا، وأريت النار فلم أرَ منظرًا كالْيَوْمِ قط أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء .

قالوا: بم يا رسول الله ؟

قال ﷺ : يكفرن .

قيل: يكفرن بالله ؟

قال ﷺ : يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت

إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ
مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ ^(١)

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب ما عرض على النبي ﷺ من الجنة والنار وهو
يصلي صلاة الكسوف في إطار الحوار الذي بين أم المؤمنين عائشة
وأختها أسماء م.

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على حديثين يبينان وقوع الكسوف ، والصلاة والخطبة
له ، ويوضحان أن عذاب القبر حق ، وأن الجنة حق ، والنار حق .

ففي الحديث الأول : تقول السيدة أسماء بنت أبي بكر ل

(أَتَيْتُ عَائِشَةَ لَ وَهِيَ تُصَلِّي) ، ورأيت الناس يصلون صلاة الكسوف
(فَقُلْتُ) لها (مَا شَأْنُ النَّاسِ) ؟ أي ما حال الناس ؟ وما سبب اضطرابهم ؟
وما الصلاة التي يصلونها ؟ (فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ) أي أشارت إلى السماء
لأرى كسوف الشمس ، وهو الذي جعل الناس يصلون لما في الكسوف من
خوف وعذاب

(فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ) يصلون صلاة الكسوف مع النبي ﷺ (فَقَالَتْ) عائشة

ل : (سُبْحَانَ اللَّهِ) مكتفية بذلك مع الإشارة ؟ ، ومعنى "سبحان الله "

التعظيم والتقديس لله ، والصلاة له ليرفع عنا الغم .

(١) أخرجه البخاري في : ١٦ كتاب الكسوف : ٩ باب صلاة الكسوف في جماعة .

(قُلْتُ): لها على سبيل الاستفهام هل هذه (آيَةٌ) ؟ ... أي هل هي علامة على أن الكسوف رمز للعذاب الذي يأتي بعده ، ولذلك تخوف الآية من العذاب ... كما يقول الله تعالى ﴿وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾^(١) أي هل الآيات تشير إلى قرب قيام الساعة ؟

(فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا أَيْ نَعَمْ) أي إن هذه الآيات تشير إلى قرب قيام الساعة (فَقُمْتُ) أصلي مع المصليات في مؤخرة المسجد (حَتَّى تَجَلَّانِي الْعُشَى) أي ذهب بقوتي وصبري الغشى (بفتح الغين وسكون الشين) وهو العرض الذي يصيب المرء من طول القيام ، وكثرة الشغل ، وهو نوع من الإغماء أطلقته أسماء ل على تعبها الذي أفقدها قوة التحمل والصبر على طول القراءة ، و القيام والصلاة .

تقول أسماء ل (فَجَعَلْتُ أَصْبُ عَلَى رَأْسِي الْمَاءَ) أي فأخذت أصب الماء على رأسي ليعود إلي نشاطي وقوتي حتى أتم الصلاة مع أصحاب رسول الله ﷺ ، ولما انتهت الصلاة وانصرف رسول الله ﷺ منها ، وقف في مواجهة الناس (فَحَمِدَ اللَّهُ ﷻ النَّبِيَّ ﷺ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ) كما كان يفعل في سائر خطبه ، (ثُمَّ قَالَ) ﷺ (مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ أَرِيْتُهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي، حَتَّى الْجَنَّةُ وَالنَّارُ،) أي أراني الله في صلاتي كل شيء لم أكن رأيته قبل ذلك يتصل بالقبر ، وبالأخرة ، وحتى الجنة والنار ، فلقد أتاني جبريل ﷺ (فَأَوْحَى إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ مِثْلَ أَوْ قَرِيبَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ) والشك من الراوي ، ومعناها متقارب (يُقَالُ) للميت بعد

(١) سورة الإسراء الآية : ٥٩ .

وضعه في القبر (مَا عَلِمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ) ؟...، ويقصد محمدا ﷺ، وهذا سؤال في القبر بعد الدفن مباشرة يوجه لكل من يموت ، لذلك كان رسول الله ﷺ يقول لأصحابه إذا دفنوا ميتا : (استغفروا لأخيكم ، وسلوا الله له التثبيت ، فإنه الآن يسأل) ^(١) (فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَوِ الْمُؤْمِنَةُ فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى فَاَتَّبَعْنَا) (هُوَ مُحَمَّدٌ هُوَ مُحَمَّدٌ ، هو محمد) ثلاث مرات .

(فَيُقَالُ) أي تقول الملائكة التي تسأله (نَمْ صَالِحًا، قَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لِمُوقِنًا بِهِ) أي أعلمنا الله تعالى أنك كنت مسلما مصدقا برسول الله ﷺ ، وهكذا يقر المؤمن بما كان عليه في الدنيا ، فقد صدق برسول الله ﷺ ، واتبع هداه ، واستقام على الإسلام الذي عرفهم به .

فتبارك الملائكة له ، ويباركون له ، ويدعون له لينام في قبره صالحا متمتعا بروضة من رياض الجنة .

(وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوِ الْمُرْتَابُ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ) أي قلت أسمع من الناس عن هذا الرجل، وأنا لا أعرفه ولا أعرف شيئا عنه **وفي الحديث الثاني :** يقول ابن عباس **م** (انْخَسَفَتِ الشَّمْسُ

عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) أي نزل بالشمس خسف في زمن رسول الله ﷺ (فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) أي قام بصلاة الاستسقاء عقب الخسف كما تفيده الفاء ، وكيفية صلاة النبي ﷺ للاستسقاء هي الكيفية التي سبق ذكرها في الباب السابق ، وهي التي يذكرها ابن عباس **م** فيقول : (فَقَامَ

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ، كتاب الجنائز ، حديث رقم : ١٣٠٦ .

قِيَامًا طَوِيلًا نَحْوًا مِنْ قِرَاءَةِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ؛ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ ثُمَّ سَجَدَ) ، وبذلك انتهى من الركعة الأولى ، ثم قام للركعة الثانية (ثُمَّ قَامَ قِيَامًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ) وتشهد وسلم ، وبذلك تنتهي الركعة الثانية (ثُمَّ انْصَرَفَ) أي خرج من الصلاة (وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ) أي انقشع ظلامها ، وظهر نورها ، وذهب الكسوف عنها ، وأخذ رسول الله ﷺ يخطب الناس في مواجعتهم (فَقَالَ ﷺ : إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ) ، فرد النبي ﷺ بذلك ما قاله البعض من أن الشمس انكسفت لموت ابراهيم عليه السلام ، ورد على من يتخذهما ألهة تعبد من دون الله تعالى ، وأكد للناس جميعا بعض الحقائق منها : -

١- أن آل محمد آحاد من الناس ، لا يفضلون غيرهم إلا بالنقوى ،
والحكم فيهم وفي غيرهم سواء ..

٢- إن الشمس والقمر مخلوقان حادثان يقومان بدورهما في
انتظام دقيق لا ينقطع ولا يتخلف ، ومن الواجب على كل عاقل أن
يعرف من خلقهما ؟ ومن قدر لهما دورهما ؟ وأن يتيقن من أن الله

هو ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۖ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۖ﴾ ^(١)

٣- فهم الدلالات العقلية من كسوف الشمس والقمر ، وما فيهما

(١) سورة الأعلى الآيتان : ٢ ، ٣ .

من رمز على توقف أمور الدنيا عند نهايتها فتخرج الشمس من

المغرب ﴿يَوْمَ يُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾^(١)

٤- الإقرار بعجز المخلوقات (ولو اجتمعت) على توجيه الشمس

نحو مسار جديد ، وهذا برهان على ألوهية الله ، واستحقاقه أن

يُعبَد وحده ، ولذلك قال إبراهيم عليه السلام للنمرود : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي

بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾^(٢)

٥- الكون مليء بالآيات ومن أعظمها آية الشمس والقمر ، فالكل

يعيش بهما ويحتاج إليهما في كل أعماله ، ونشاطه ، والإقرار

بهما إقرار بسائر آيات الله تعالى .

يقول النبي ﷺ : (فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْكُرُوا اللَّهَ) أي إذا رأيتم الكسوف

فاذكروا الله تعالى بالدعاء ، والصلاة ، والمواعظ .

(قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ) أي قال الصحابة - رضوان الله عليهم - مخاطبين

النبي ﷺ عن حركات قام بها أثناء الصلاة وليست منها ؛ لأنهم رأوه ﷺ

يتقدم ويتأخر ، وهنا سألوهم وقالوا يا رسول الله : (رَأَيْنَاكَ تَتَاوَلْتَ شَيْئًا فِي

مَقَامِكَ، ثُمَّ رَأَيْنَاكَ كَعَكَعْتَ) أي شاهدناك يا رسول الله تتناول شيئاً وأنت قائم

تصلي ، ثم رأيناك كعكعت أي تأخرت ، فما سبب هذا ؟ !

(فَقَالَ ﷺ : إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ فَتَتَاوَلْتُ عَنْقُودًا،) أي حاولت أن أتناول منها

عنقود عنب ، ولم أصبه (وَلَوْ أَصَبْتُهُ لَأَكَلْتُمُ مِنْهُ مَا بَقِيََتِ الدُّنْيَا) أي إن

(١) سورة إبراهيم الآية : ٤٨ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٥٨ .

رسول الله ﷺ لم يصب عنقود العنب ، وأن معنى (تناولت) أي تكلفت ،
الأخذ والتناول ، ولم أصبه ، يؤيد ذلك حديث مسلم عن جابر رضي الله عنه (ولقد
مددت يدي وأنا أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا إليه ، ثم بدا لي أن لا
أفعل) ^(١) وما روته السيدة عائشة - رضي الله عنها - (حتى لقد رأيت
أريد أن آخذ قطفا من الجنة ، حين رأيتموني جعلت أتقدم) ^(٢)
وما رواه الإمام احمد : (فحيل بيني وبينه) ^(٣) .

وقد ذكر العلماء الحكمة في عدم أخذ النبي ﷺ لعنقود العنب : -

فقال ابن بطال : لم يأخذ الرسول ﷺ العنقود لأنه من طعام الجنة ،
وهو لا يفنى ، والدنيا فانية ، ولا يجوز أن يؤكل فيها ما لا يفنى .

وقيل : لو رآه الناس لآمنوا بما رأوا ، ولانقطعت التوبة ، فقدر الله
تعالى عدم أخذ عنقود العنب ليبقى الإيمان بالغيب ، وتستمر التوبة .

وقيل : الجنة جزاء الأعمال ، ولا يصح وقوع الجزاء قبل العمل ^(٤)

وهنا نحتاج لتوضيح أمرين : -

الأمر الأول : محاولة الرسول ﷺ تناول العنقود كان بعد القيام

الثاني من الركعة الثانية .

الأمر الثاني : رؤية النبي ﷺ للجنة والنار لها تفسيرات عديدة :

(١) صحيح مسلم ، كتاب الكسوف ، باب مع عرض على النبي ﷺ حديث رقم : ١٥٥٧ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجعة ، باب إذا انفلتت الدابة في الصلاة .

(٣) مسند أحمد بن حنبل ، مسند الانصار ، حديث الطفيل بن أبي بن كعب ، حديث ٢٠٧٣٢

(٤) فتح الباري ج ٢ ص ٥٤١ .

أحدها : أن الحجب وقعت أمام رسول الله ﷺ ورآها على حقيقتها ، وطويت المسافة بينه وبينها حتى أمكنه أن يحاول التناول منها ، ويؤيد ذلك قوله : (دنت مني الجنة حتى لو أجترأت عليها لجئتم بقطف من قطافها) ^(١)

ثانيها : أن الله تعالى خلق لنبيه ﷺ إدراكا خاصا به أدرك به الجنة على حقيقتها .

ثالثها : أن الجنة والنار مثلت أمامه في الحائط كما تتطبع الصورة في المرآة ، فرأى جميع من فيها ، يؤيد ذلك قوله ﷺ (والذي نفسي بيده لقد عرضت علي الجنة والنار آنفا ، في عرض هذا الحائط ، وأنا أصلي ، فلم أر كاليوم في الخير والشر) ^(٢) .

(وَأُرِيتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ مِنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ) أي رأيت النار وما فيها ، فلم أر منظرا قبل اليوم أفظع مما رأيت في النار ، ولا أشد في فظاعته وقوته حتى خاف النبي ﷺ أن تصيبه النار بلهبها ولفحها ، فتأخر ليبتعد عنها ، وهذا هو سبب كعكعته ، ووقع في رواية عبد الرزاق (عرضت الجنة والنار على النبي ﷺ وهو في صلاته يوم كسفت الشمس فتأخر عن مصلاه وراءه حتى أن الناس ليركب بعضهم على بعض ، ويقول : أي رب وأنا ، أي رب وأنا ، ثم عاد يسير حتى رجع في مصلاه فرأى إذ عرضت عليه النار ، وإذا رجع عرضت عليه

(١) صحيح البخاري ، كتاب الآذان ، باب ما يقول بعد التكبير .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام ، باب الاعتصام بالكتاب والسنة .

الجنة فذهب يمشي حتى رجع في مصلاه^(١)

ولمسلم في حديث جابر رضي الله عنه : يقول النبي ﷺ (لقد جيء بالنار ،
وذلكم حين رأيتموني تأخرت ، مخافة أن يصيبني من لفحها ، ثم
جيء بالجنة ، وذلكم حين رأيتموني تقدمت حتى قمت في مقامي^(٢))
ثم أخذ النبي ﷺ يصف أفضع ما رأى في النار ، يقول ﷺ :

(وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ) أي إن النساء أكثر أهل النار عددا وعذابا
(قَالُوا: بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ) ؟ ... أي ما سبب أن أكثر أهل النار النساء ؟
...، ولم يحدد أحد هوية السائل ، وإن رجح ابن حجر أن السائل هو
أسماء بنت يزيد بن السكن المعروفة بخطيبة النساء

وقال النبي : (بِكُفْرِهِنَّ) أي يكثرن في النار بسبب كفرهن ، (قِيلَ: يَكْفُرْنَ
بِالله) ؟ ... أي هل مرادك كفرهن بالله ؟ ... (قَالَ: يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ
الْإِحْسَانَ،) أي يكفرن العشير ويكفرن الإحسان فلم يجعل (يَكْفُرْنَ) تتعدى
بحرف الجر مع العشير والإحسان ليفيد أن المرأة لا تعترف بكفرها هذا
وأن كفر الإحسان يفسر بكفر العشير ، والمعنى يكفرن بإحسان العشير ،
فهن يكفرن بالإحسان ويجحدنه ، وينكرن وقوعه ، ولا يكفرن بالزوج في
ذاته ، فهن في حاجة إليه ، وإنما ينكرن حسن عشرته .

(لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ) في الحديث التفات من الغيبة إلى
الخطاب لا يعني واحدا بعينه ولا واحدة بعينها ، فهو خاص لقطاع عام
معنى ، والمراد بالدهر عمر الرجل ، أو الزمن كله.

(١) مصنف عبد الرزاق الصنعاني ، كتاب : الصلاة ، باب : الآيات ، حديث رقم : ٤٧٧١

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الكسوف ، باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاته ، حديث ١٥٥٧

(ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا) ولو كان قليلا لا يوافق غرضها من أى نوع كان ولو كان صوابا، (قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ) أى أنكرت رؤيتها لأى خير كان ، وجاء فى حديث جابر رضي الله عنه أهم الصفات معنية وفيه يقول النبي : (وأكثر من رأيت فيها من النساء ، إن ائتمن أفشين ، وإن سألن ألحن ، وإذا سئلن بخلن ، وإذا أعطين لم يشكرن) ^(١).

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب عددا من القضايا الإيمانية والتشريعية وأهمها : -
أولاً : ضرورة تعظيم الله تعالى وتقديسه ، والإقرار بقدرته التامة ، وفضله الواسع ، وتخصيص العبادة له وحده ﷻ .

ثانياً : اللجوء لله تعالى عند الشدائد والنوازل ليرفع الغمة ، ويخفف الوطء ، ويرضى المبتلى بقضاء الله وقدره .

ثالثاً : الاجتماع لصلاة الكسوف عقب حدوثه واستماع الخطبة على نحو ما ذكرت من طول القيام ، والقراءة ، والركوع ، والسجود والجلوس لما فى التطويل من صدق العبد وإحاحه فى الطلب وانتظاره الاستجابة المتيقنة .

رابعاً : الاستفادة بالكسوف والخسوف بما يدلان عليه من عموم قدرة الله تعالى وإمكانية تغير أى ثابت ، وتصوير كيفية نهاية الدنيا ووقوع يوم القيامة ، والعلم بأن سائر الآيات كونية كانت أو إنسانية أو تنزيلية لها دلالتها فى أمور عديدة ، والواجب تدبرها والاستفادة بها فى مجالات العبادة والشريعة والأخلاق .

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ، كتاب : الأهلوال ، حديث رقم : ٨٨٧٧ .

خامساً : تؤكد الأحاديث أن عذاب القبر والنار حق ،والجنة حق ،
والحساب في القبر حق وفي الآخرة حق ، وهذا يحتم على العقلاء ضرورة
الاستعداد لذلك .

سادساً : يوضح الحديث طبيعة المرأة بصورة عامة فهن يكفرن
بإحسان العشير ، ومع هذا فمن الممكن وجود نسوة على غير هذا ،
ووجود رجال يكفرن بإحسان الزوجات ، لأن الحديث يعني الأعم الأغلب .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب مشروعية صلاة الكسوف وخطبته ، وضرورة
الاستفادة من آياتي الشمس والقمر ، وتوضح ارتباط خطورة الكسوف بواقع
الناس ، وعلاج ما هم فيه من قضايا .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تشتمل أحاديث الباب على عدد من الركائز أهمها :-

الركيزة الأولى

بيان طبيعة المرأة

خُلقت المرأة من ضلع أعوج ، يقول النبي ﷺ : (استوصوا
بالنساء خيرا فإنهن خلقن من ضلع ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه
، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا
بالنساء خيرا) ^(١) ، ومعنى هذا أن تفكير المرأة وتصورها لأمر الحياة
يصور طبيعتها وضعفها ، ولذلك يوصي الرسول بها فيقول : (فاستوصوا

(١) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب الوصاة بالنساء .

بالنساء خيرا)

إن الإسلام يساوي بين الرجل والمرأة في أصل الإنسانية (فبعضكم من بعض)، وفي ميراث المال يقول الله ﷻ: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرُ ۚ﴾ (١).

وفي الأحكام التي شرعها الله لكل منهما فقد قدرها وفق طبيعة كل منهما ، ف﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ (٢) و﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ (٣).

ولا يذهب عاقل قط إلى تكليف المرأة بما يكلف به الرجل ، فالرجل جلد ، قوي ، شجاع ، يستعمل عقله ، ويستغل بدنه في الأعمال الشاقة كالحدادة ، والحراسة ، ونزول البحر ، ومواجهة الأعداء ، والمرأة تصون البيت ، وتربي الولد ، وتعين الزوج في خوض المتاعب والمشاق .
والإسلام يلاحظ الفوارق الطبيعية بين الرجل والمرأة فيساوي بينهما في نوعية التكليف والآثار المترتبة على الطاعة ، وقدر للحياة أن لا تستمر إلا بتعاون الرجل والمرأة وجعل بينهما مودة ورحمة .

وعند استعراض معاييب الرجل والمرأة نجد لكل منهما نقائص واجهها الإسلام بالشرح والتحليل ، ليعلم كل فريق نقائصه ويبادر إلى تلافيها

(١) سورة النساء الآية : ٧ .

(٢) سورة النساء الآية : ٣٤ .

(٣) سورة النساء الآية : ٣٤ .

لأن الوجود كله أوجده الله تعالى من كل شيء زوجين ، وقد قام كل زوج بما حدد له ، فلم يأتي الإنسان ويخلط بين ما للرجل وبين ما للمرأة ؟ ... ولم نظلم الرجل والمرأة بهذا الخلط الذي لم يشرعه الله تعالى ؟

لقد أشارت أحاديث الباب إلى بعض نقائص المرأة ، فقد ذكرت أنها تجدد إحسان الزوج لها ، وأنها إذا ما غضبت تعمل على هدم البيت كله ، ولا يمكن لعالم وعاقل إنكار عاطفة المرأة وشدة غيبتها ، وميلها إلى التجمل والزينة ، وسرعة بكائها عند مواجهة المكروه ، وقوة انفعالها في المواقف الصعبة ، ولو ترك أمر المرأة بيديها لطلقت نفسها عند أول إساءة إليها .

إن المساواة في الإسلام تعني التوازن في المساواة والتكليف على قدر المشقة ، وتوزيع الأعباء والأعمال كما هو الشأن في الموجودات كلها

إن القوانين الوضعية دمرت المرأة باسم الحرية ، وأفقدتها شخصيتها باسم المساواة المطلقة ، ولهذا أكرر قول الله تعالى : ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾^(١)

الركيزة الثانية

من فنون الدعوة إلى الله تعالى

نأخذ من أحاديث الباب الدروس العديدة المفيدة للدعوة ومنها :

أولاً : القيام بالعمل في وقته المناسب ، لأن ذلك يقدم علاجاً أو حلاً لمسألة معينة قد لا تبقى لوقت آخر ، وكذلك لا يصح تأخير الموعظة عن وقتها ، وهذا واضح من فعل رسول الله ﷺ مع النسوة ، فقد بادر إلى

(١) سورة لقمان الآية : ١١ .

الصلاة والخطبة عقب وقوع الكسوف مباشرة .

ثانياً : تقديم العمل المناسب للحدث ، لأن الحل إذا كان مكافئاً للحدث تحقق الخير .

ثالثاً : الإلحاح في الطلب ، لأن الطلب إذا كان حقا حسن الإلحاح فيه ، والطلب الهادئ القليل يؤدي إلى ضياع الحق ، أما إذا كان الطلب بإلحاح فإنه يحقق المراد ، وهذا هو رسول الله ﷺ عند كسوف الشمس يصلي صلاة يطيل قيامها ، وقراءتها ، وركوعها ويغير كيفيتها ، ويخطب ويطيل الخطبة لرفع الكسوف الذي حل بالشمس .

رابعاً : عرض الواقع كما هو لتظهر ، الحقيقة ويتضح الحال ، وحينئذ يقوم كل فرد بدوره لتصحيح الواقع وترشيده .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الأحاديث

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية :-

١- يستحب المبادرة إلى الطاعة عند رؤية ما يحذر منه ، واستدفاع البلاء بذكر الله وأنواع طاعته .

٢- ظهور معجزة الرسول ﷺ بما كان عليه من نصح أمته وتعليمهم ما ينفعهم ، وتحذيرهم مما يضرهم .

٣- جواز مراجعة المتعلم للعالم ، فيما لا يدركه فهمه ، والسؤال عن علة الحكم .

٤- قيام العالم بإجابة تلميذه وتعليمه ما يحتاج إليه .

٥- تحريم كفران الحقوق ، وبخاصة حقوق الأقربين .

٦- جواز العمل القليل في الصلاة وإن ذلك لا يبطلها .

- ٤ -

٥ - باب ذكر النداء لصلاة الكسوف
الصلاة جامعة

حديث عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ م قَالَ : لَمَّا كَسَفَتِ (١)، [٥٢٦]

الشمس على عهد رسول الله ﷺ نُودِيَ : إِنَّ الصَّلَاةَ جَامِعَةٌ ١٠٥١

، فَرَكَعَ النَّبِيُّ ﷺ رَكَعَتَيْنِ فِي سَجْدَةٍ، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكَعَتَيْنِ
فِي سَجْدَةٍ، ثُمَّ جَلَسَ، ثُمَّ جَلَّى عَنِ الشَّمْسِ .

قَالَ ﷺ : وَقَالَتْ عَائِشَةُ ل : مَا سَجَدْتُ سُجُودًا قَطُّ كَانَ
أَطْوَلَ مِنْهَا (١)

حديث أَبِي مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ (٢)، [٥٢٧]

لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ
، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَقُومُوا فَصَلُّوا (٢). ١٠٤١

حديث أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ : خَسَفَتِ الشَّمْسُ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ (٣)، [٥٢٨]

فَرَعَا، يَخْشَى أَنْ تَكُونَ السَّاعَةُ؛ فَأَتَى الْمَسْجِدَ فَصَلَّى بِأَطْوَلِ ١٠٥٩

قِيَامٍ وَرُكُوعٍ وَسُجُودٍ رَأَيْتُهُ قَطُّ يَفْعَلُهُ، وَقَالَ ﷺ : هَذِهِ الْآيَاتُ

الَّتِي يُرْسِلُ اللَّهُ، لَا تَكُونُ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ

يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَاذْعَبُوا إِلَى

(١) أخرجه البخاري في: ١٦ كتاب الكسوف: ٨ باب طول السجود في الكسوف .

(٢) أخرجه البخاري في: ١٦ كتاب الكسوف: ١ باب الصلاة في كسوف الشمس ، وللحديث

روايات أخرى في البخاري تحت رقم : ١٥٧ ، ٣٢٠٤ .

ذَكَرَ اللَّهُ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ ^(١)

[٥٢٩]، (٤) حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ م أَنَّهُ كَانَ يُخْبِرُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ الشَّمْسَ

وَالْقَمَرَ لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ

١٠٤٢

آيَاتِ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَصَلُّوا ^(٢)

[٥٣٠]، (٥) حَدِيثُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ؓ، قَالَ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ ؑ؛ فَقَالَ النَّاسُ: كَسَفَتِ

١٠٤٣

الشَّمْسُ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ ؑ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ

الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ

فَصَلُّوا وَادْعُوا اللَّهَ ^(٣)

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أن الشمس والقمر آيتان تدلان على وجود الله تعالى وقدرته ، وتحذران من معصيته ومعارضاته ، وتعرف بصلاة الكسوف التي لا آذان لها ولا إقامة .

- ب -

الدلالات اللغوية في أحاديث الباب

يشتمل الباب على خمسة أحاديث تبين أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى تدل على قدرته ، وتحذر من معصيته وغضبه .

(١) أخرجه البخاري في: ١٦ كتاب الكسوف: ١٤ باب الذكر في الكسوف .

(٢) أخرجه البخاري في: ١٦ كتاب الكسوف: ١ باب الصلاة في كسوف الشمس .

(٣) أخرجه البخاري في: ١٦ كتاب صلاة الكسوف: ١ باب الصلاة في كسوف الشمس

وللحديث روايات أخرى في البخاري تحت رقم : ١٠٦٠ ، ٦١٩٩ .

ففي الحديث الأول : يقول عبد الله بن عمرو بن العاص **م** (لَمَّا كَسَفَتِ الشَّمْسُ) أو انكسفت أي أحتجب ضوءها . (عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) أي في زمن رسول الله ﷺ .

(نُودِيَ) أي نادى المنادي لصلاة الكسوف ، يقول : (إِنَّ الصَّلَاةَ جَامِعَةٌ) فاجتمع الناس بلا آذان ولا إقامة ، وصلى بهم رسول الله صلاة الكسوف (فَرَكَعَ النَّبِيُّ ﷺ رُكْعَتَيْنِ فِي سَجْدَةٍ) أي صلى ركعتين بقيامين وقراءتين ثم سجد سجدتين ، فتمت بذلك ركعة واحدة .

وقوله (سَجْدَةٍ) أي ركعة ، وهذا موافق لرواية عائشة **ل** (في كل ركعة ركعتان وسجودان) ، ولو أخذ الحديث بظاهره لأفاد الاكتفاء بسجود واحد ولم يقل بذلك أحد

(ثُمَّ قَامَ) النبي ﷺ للركعة الثانية (فَرَكَعَ رُكْعَتَيْنِ فِي سَجْدَةٍ، ثُمَّ جَلَسَ) للتشهد ، (ثُمَّ جُلِّيَ عَنِ الشَّمْسِ) أي رفع الغطاء عن ضوءها وانتهى الكسوف .

قال عبد الله بن عمرو بن العاص **م** وقالت عائشة **ل** (مَا سَجَدْتُ سُجُودًا قَطُّ كَانَ أَطْوَلَ مِنْهَا) وهذا يدل على طول السجود في صلاة الكسوف ، ويؤيد هذا روايات أخرى منها : -

- (ثم سجد فأطال السجود) ^(١)

- (ثم رفع ثم سجد فأطال السجود) ^(٢)

(١) صحيح البخاري ، كتاب الآذان ، باب ما يقول بعد التكبير .

(٢) صحيح ابن خزيمة ، جامع أبواب ذكر الوتر وما فيه من السنن ، حديث رقم : ١٢٩٦ .

- (بأطول قيام وركوع وسجود رأيته قط يفعله)^(١)

- (كأطول ما سجد بنا في صلاة قط)^(٢)

وبهذا استدل أحمد واسحاق وأحد قولي للشافعي والمحدثون وابن

سيرين والنووي .

وذهب مالك إلى أن التطويل في السجود ثابت بالأحاديث إلا أنه ليس كتطويل القيام والركوع ، وهذا تأويل بعيد ، فقد ثبت أن التطويل كان في كل أركان صلاة الاستسقاء متساويا^(٣) .

جاء في حديث عن عبد الله بن عمرو م (انكسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ ، فقام رسول الله ﷺ ، فأطال القيام حتى قيل : لا يركع ، ثم ركع فأطال الركوع حتى قيل : لا يرفع ، ثم رفع رأسه فأطال القيام حتى قيل : لا يسجد ، ثم سجد فأطال السجود حتى قيل : لا يرفع ، ثم رفع فجلس حتى قيل : لا يسجد ، ثم سجد ، ثم قام ففعل في الأخرى مثل ذلك ، ثم أمحصت الشمس)^(٤) أي انكشفت .

وفي الحديث الثاني : يقول أبو مسعود رضي الله عنه : (قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ ، وَلَكِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَقُومُوا فَصَلُّوا) أي إن الشمس والقمر آيتان خلقهما الله تعالى ليكونا علامتين ودليلين على قدرته وعلى الخوف من معصيته ،

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب الذكر في الكسوف .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب من قال أربع ركعات ، حديث رقم : ١٠١٣ .

(٣) فتح الباري ج ٢ ص ٥٣٧ .

(٤) صحيح ابن خزيمة ، باب طول الجلوس بين السجتين في صلاة الكسوف ، حديث : ١٣٠٩ .

وبذلك المعنى أبطل رسول الله ﷺ ما كانت الجاهلية تعتقده في الشمس والقمر من قدرة ، ويقولون مطرنا بنوء كذا ... ويرون أن الكسوف يغير الأرض ، ويوقع فيها الموت والضرر فأعلم النبي ﷺ الناس بأن الشمس والقمر مخلوقان سخرهما الله تعالى كما يشاء وليس لمخلوق سلطان عليهما أو على أحدهما ، (فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا) أي رأيتم الكسوف أو الخسوف ف(فَقُومُوا فَصَلُّوا) عند حدوث أحدهما كما رأيتموني أصلي .

وفي هذا الحديث بيان خلق الله تعالى للشمس والقمر والحكمة في خلقهما . وأن وقت صلاة الكسوف هو وقت حدوث الكسوف في أي وقت من النهار . كما قال الشافعي إلا أن الإمام أبو حنيفة والإمام أحمد منعها في أوقات الكراهة^(١) ، ويرجح رأي الشافعي أن صلاة الكسوف مشروعة من حدوث الكسوف وليس لها قضاء بعد ، فلو أخذناها عند حدوث الكسوف لأمكن الانجلاء قبلها ، فلا تقع الصلاة ، وكان النبي ﷺ يبادر إلى صلاتها عقب الكسوف .

وفي الحديث الثالث : يقول أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : (: خَسَفَتِ الشَّمْسُ ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَرَعَا ، يَخْشَى أَنْ تَكُونَ السَّاعَةُ ؛ فَأَتَى الْمَسْجِدَ فَصَلَّى بِأَطْوَلِ قِيَامٍ وَرُكُوعٍ وَسُجُودٍ رَأَيْتُهُ قَطُّ يَفْعَلُهُ) .

(وَقَالَ : هَذِهِ الْآيَاتُ) وهي كسوف الشمس والقمر (الَّتِي يُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهَا الْكَسْفَ وَالْخُسْفَ) (لَا تَكُونُ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ ، وَلَكِنْ يَخَوْفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ) إن لا تشركوا بالله أحد غيره بعد أن قدم أدلة وجوده ووحدانيته

(١) فتح الباري ج ٢ ص ٥٢٨ ، طبعة السلفية .

(فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ) الكسوف والخسوف (فَافْرَعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتَغْفَارِهِ)

وفي الحديث الرابع يؤكد ابن عمر م ما جاء في الأحاديث السابقة وغيرها من أن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، ولكنهما آيتان من آيات الله ، فإذا رأيتموهما فصلوا .

وفي الحديث الخامس : يقول المغيرة بن شعبه رضي الله عنه (كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام ؛ فَقَالَ النَّاسُ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ فَصَلُّوا وَادْعُوا اللَّهَ) وهكذا توضح الأحاديث الخمسة القضايا التالية :

- ١- إقامة صلاة الكسوف والخسوف عند حدوث الكسوف والخسوف على نحو ما جاء في الأحاديث .
- ٢- إن الله تعالى خلق الشمس والقمر وسخرهما لخدمة الناس ولا يتأثران بأحداث أحد ، ولا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته .
- ٣- الشمس والقمر مخلوقان لله تعالى فأجعلوها أدلة الإيمان وأطيعوا الله وخافوا من عقابه إن عصيتموه .
- ٤- ضرورة اللجوء لله تعالى عند الفزع .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تبين الأحاديث أن الله تعالى خلق الشمس والقمر فجعلهما دليلا وعلامة على أمور عدة أهمها :-
أولاً : بيان فضل الله تعالى في خلق الشمس والقمر ، والليل والنهار

ليعيش الناس يعملون ويستريحون .

ثانياً : الدعوة إلى الإيمان بما في خلق الشمس والقمر من إعجاز مبهر يدل على القدرة الإلهية التي لا يستطيعها إلا رب العالمين ، وفي الشمس والقمر أدلة عديدة على توحيد الله تعالى ووحدانيته ، وكمال الصفات وإثبات الأولوية .

ثالثاً : ضرورة اللجوء إلى الله تعالى عند الكسوف ليرفع الغم ، وذلك بالصلاة والذكر والعبادة .

رابعاً : تناولت الأحاديث بعض أحكام صلاة الكسوف وقد سبق ذكر أهمها قبل ذلك مع ما جاء في الدلالات اللغوية .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أحكام صلاة الكسوف ، وأحكام القيام بها وضرورة والتأمل في آيات الله في الشمس والقمر وغيرهما .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز ... أهمها :-

الركيزة الأولى

آيات الله في الكون

العالم كله موجود حادث ، له بداية وله نهاية ، والمخلوقات عديدة ومتنوعة وكلها تشهد على وجود خالقها واتصافه بكل كمال يليق بالله تعالى وصدق من قال :

وفي كل شيء له آية تدل على إنه القادر

إن العاقل حين يتأمل في الآيات الإنسانية أو الحياتية أو في الكون أو في

كل الجماد ... أو في أي مخلوق نلمسه بالجوارح أو نراه بالعقل أو ندركه بالبصر نجد قدرة الله فيه فهي هو الإنسان بأجهزته الظاهرة والباطنة التي تتحرك بألية ثابتة لتحقيق هدفها الذي خلقت له ، فحركة الدم في العروق وتنقيته واستخلاصه من الجماد سر لا يقدر عليه إلا الله تعالى .

والماء والهواء يسيران في أطر نافعة للإنسان .

والطير والأنعام وسائر الحيوانات تؤدي عملها لخدمة الإنسان .

والسهول والوديان والجبال والهضاب وما في باطنها أو على ظهرها من خير مفيد للإنسان .

إن المخلوقات تقوم بوظيفتها التي خلقت لها والتي هداها الله إليها ، ومن آيات الله الشمس والقمر يسيران في فلك لا يتغير لقول الله ﷻ :
﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ

يَسْبَحُونَ ﴾ (١)

وحتى اليوم لم يصل العلماء إلى معرفة حقيقة الشمس والقمر ، وكلما عرفوا أمرا انبهروا به ، وأقروا بأنه من تقدير العزيز العليم .

ويقف العلماء حيارى أمام الشمس والقمر ، وما يؤديانه من وظيفة هامة للإنسان ، وللنبات ، وللحيوان ، وللطير ، وللجماد ، واكتفوا بتحليل ظواهرها ومنافعها .

لقد وصل إعجاب بعض الناس بالشمس والقمر إلى عبادتها فقال الله ﷻ لهم :
﴿ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن

(١) سورة يس الآية : ٤٠ .

كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١﴾

وظن العرب قبل الإسلام إن الشمس أو القمر خلقتا لتعظيم فريق من كبار القوم وأثريائهم ، فعرفهم رسول الله ﷺ أن الشمس والقمر من آيات الله تعالى يسيران بأمر الله ، ولا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، وأنهما آيتان يدلان على قدرة الله تعالى ، ويدعوان العقل للإخلاص في الاعتقاد ، والصدق في الطاعة والسلوك .

وخلق الإنسان في نفسه آية ، وعليه أن يقوم بوظيفته التي خلق لها ، وهي عبادة الله تعالى .

ومن تقدير الله تعالى أن خلق الإنسان وأعطاه العقل ، وعرفه بوظيفته ، وسخر له كل المخلوقات ، وعرفه كيفية التعامل مع كل مخلوق ليستفيد به ، ويتخذ دليلا لمعرفة الله تعالى وعبادته ، ومن ذلك القيام عند الكسوف بالصلاة والذكر والدعاء .

إن عناية الله تعالى بالإنسان بالغة ، وكان المأمول أن يسرع هذا الإنسان إلى العبادة والطاعة ، إلا أن الأمل شيء والواقع شيء آخر ...ولن يتم الفوز إلا بأن يقوم الإنسان بدوره الذي خلق له .

الركيزة الثانية

الله هو الرحمن الرحيم

تبين أحاديث الباب أهمية اللجوء إلى الله تعالى ، وشكره عند الرخاء ، والاستعانة به عند الضراء .. ومن ذلك أن الشمس والقمر من الآيات الضرورية لسائر المخلوقات وغيابهما يمثل كارثة أمام العلماء ،

(١) سورة فصلت الآية : ٣٧ .

ولذلك فرع النبي ﷺ عند رؤيته الكسوف لأول مرة حتى ظن النبي ﷺ أن الساعة قد قامت ، ولذلك دعا رسول الله ﷺ الناس إلى التأمل والنظر في الشمس والقمر عند غياب نورهما ليستدلوا بهما على معرفة الله تعالى ، وقد علمهم النبي ﷺ الاستعانة بالله تعالى حين كسوف أحدهما ، إن الله تعالى رحيم بعباده يريهم كسوف الشمس والقمر ليعلموا مدى قدرته ، ووجوب الإيمان بكل ما أخبر به ... والله على كل شيء قدير .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الأحاديث

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية : -

- ١- ليس لصلاة الكسوف آذان ولا إقامة .
- ٢- اللجوء إلى الله تعالى واجب في السراء والضراء .
- ٣- ضرورة التأمل في آيات الله التي خلقها ليتم الإيمان بالله عن اقتناع
- ٤- الذكر والصلاة طريق الإنسان للاتصال بالله تعالى .

١٢

كتاب الجنائز

الجنائز

لكل مخلوق نهاية ، ولكل إنسان أجل ، يقول الله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَرْخِوْنَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾^(١) .

يعيش الإنسان وعليه أن يتذكر النهاية ، ويستعد لها ، ويهيئ نفسه للفوز بما بعدها من سعادة وفلاح .

وإذا مات الإنسان انقطع عمله ولم يبق معه إلا ما قدمت يداه ، ويستحب الاسراع في دفنه ، والدعاء له ليخفف الله عنه ، ويستقبله بقبول حسن ، وبيارك له في حسناته ، ويتجاوز عن سيئاته .

ولم ينس الإسلام الموت وما بعده فربط الدنيا به ، وتحدث عنه ليصير الموت عاملاً هاماً في خدمة الحياة .

وأحكام الجنائز تفيد الأحكام المتصلة بالميت بدءاً من نزع الروح ، وتغسيله ، وتكفينه ، والصلاة عليه ، ودفنه ، والدعاء له .

كما تفيد ترقيق مشاعر الأحياء ، وتعويد طاعة الله تعالى من إخلاص وصدق ، وتضع الإنسان أمام مصيره المحتوم ونهايته الضرورية ليتحرك بالأعمال الصالحات التي تنجيّه عند الله تعالى .

ومسئوليات الأحياء مع الميت يعني تواصل الأجيال والترابط الذي ينشره الإسلام بين الناس

(١) سورة النحل الآية : ٦١ .

- ١ -

٦- باب البكاء على الميت

حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه، قال: أرسلت ابنه النبي ﷺ إليه (١)، [٥٣١]، ١٢٨٤

إِنَّ ابْنًا لِي قَبِضَ فَأَتَيْنَا، فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلَامَ وَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أُعْطِيَ، وَكُلُّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ، تُقْسِمُ عَلَيْهِ لِيَأْتِيَنَهَا؛ فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَبِيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَرِجَالٌ رضي الله عنهم؛ فَرَفَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصَّبِيَّ وَنَفْسَهُ تَتَقَفَّعُ كَأَنَّهُا شَنْ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ .

فَقَالَ سَعْدٌ رضي الله عنه : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذَا؟
فَقَالَ ﷺ : هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءُ (١)

حديث عبد الله بن عمر م قال : اشتكى سعد بن عبادَةَ (٢)، [٥٣٢]، ١٣٠٤

رضي الله عنه شَكَوَى لَهُ ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ ، مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، فَوَجَدَهُ فِي غَاشِيَةِ أَهْلِهِ .
فَقَالَ ﷺ : قَدْ قَضَى ؟

قَالُوا : لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ .

(١) أخرجه البخاري في: ٣٢ كتاب الجنائز: ٣٣ باب قول النبي ﷺ يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه ، وللحديث روايات أخرى في البخاري تحت رقم : ٥٦٥٥ ، ٦٦٠٢ ، ٦٦٥٥ ، ٧٢٧٧ ، ٧٤٤٨ .

فَبَكَى النَّبِيُّ ﷺ ؛ فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ بُكَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بَكَوْا فَقَالَ
ﷺ : أَلَا تَسْمَعُونَ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا بِحُزْنِ
الْقَلْبِ ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ أَوْ يَرْحَمُ ، وَإِنَّ
الْمَيِّتَ يُعَذِّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ (١)

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب حكم البكاء على الميت ، وتوضح ما يجوز منه
وما لا يجوز .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على حديثين يتناولان واقعا عمليا لحياة الصحابة ،
يظهر من خلالها حكم البكاء على الميت .

ففي الحديث الأول : يقول أسامة بن زيد رضي الله عنه : (أَرْسَلَتْ ابْنَةُ النَّبِيِّ
ﷺ إِلَيْهِ) هي زينب ابنته **ل** زوجة أبي العاص بن الربيع ، كما جاء
في مصنف ابن أبي شيبة وقالت له رضي الله عنه (إِنَّ ابْنًا لِي فُبِضَ فَأَتِنَا) أي
طلبت من أبيها أن يحضر إليها لأن ابنتها قاربت الموت ، فمعنى (فُبِضَ)
قارب أن يقبض وهذه البنت هي أمانة **ل** فقد صرح باسمها الإمام
أحمد في مسنده كما روى أسامة رضي الله عنه (٢).

(فَأَرْسَلَ) النبي ﷺ إلى زينب **ل** (يُقْرَأُ السَّلَامُ وَيَقُولُ) لها (إِنَّ اللَّهَ مَا

(١) أخرجه البخاري في : ٢٣ كتاب الجنائز : ٥٤ باب البكاء عند المريض .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ، مسند الأنصار - حديث أسامة بن زيد ، حديث رقم : ٢١٢٦٢ .

أَخَذَ وَلَهُ مَا أُعْطِيَ، وَكُلُّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى) أي إن الذي أراد الله تعالى أن يأخذه فهو حقه ، لأنه الذي أعطى ، فهو مالكة ، وإن أخذه أخذ ما هو له ، فلا ينبغي الجزع ، لأن من استودع أمانة لا يحق له أن يجزع أن استرجع صاحب الأمانة أمانته .

ويحتمل أن يكون المراد بالإعطاء من بقي ولم يمت ، والمراد بالأخذ من مات ... ولا مانع من إرادة كل هذه المعان وغيرها حيث لا تعارض بينها ، ومعنى الحديث يشملهما و(ما) في الموضعين تكون مصدرية ، ويكون المعنى (لله الأخذ والعطاء) وتكون موصولة ، ويصير المعنى (لله ما مات من الأولاد ، وله ما عاش منهم)

(وَكُلُّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى) أي وكل من الأخذ ومن الإعطاء ومن النفس ومن كل شيء عند الله تعالى في علمه مرتبط بأجل معلوم عنده سبحانه وتعالى .

والأجل يفيد العمر كله ، ويفيد اللحظة الأخيرة المقدرة للميت .
ولما سلم رسول الله ﷺ الأمر لله ، وصبر ابنته ، ورضي بقضاء الله أكرمه الله بسلامة ابنة ابنته ، فخلصت من تلك الشدة ، وعفاها الله من المرض ، فعاشت وتزوجها علي ابن أبي طالب ﷺ بعد وفاة فاطمة - رضي الله عنها - ، ثم عاشت عنده حتى قتل عنها .
(فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ) أي فلتصبر زينب على مصابها ، ولتحتسب أجر صبرها على الله تعالى .

(فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ، تَقْسِمُ عَلَيْهِ لِيَأْتِيَنَهَا) أي أرسلت زينب ل لأبيها ﷺ مرة ثانية وأقسمت عليه ليحضر إليها .

(فَقَامَ) إِلَيْهَا ﷺ (وَمَعَهُ) مِنَ الصَّحَابَةِ (سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَبِيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَرِجَالٌ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ، (فَرَفَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصَّبِيَّ) عَلَى يَدَيْهِ (وَنَفْسُهُ تَتَقَفَّعُ) أَي وَنَفْسُهُ الْخَارِجُ مِنْهُ يَضْطَرِبُ ، وَيَشْتَدُّ ، وَكَلَّمَا سَارَ إِلَى حَالَةٍ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ يَنْتَقِلَ إِلَى أُخْرَى لِاقْتِرَابِ خُرُوجِ الرُّوحِ (كَأَنَّهَا شَنَّ) أَي كَأَنَّ نَفْسَهُ تَشَبَهَ قَرِيبَةَ الْمَاءِ حِينَ يَخْرُجُ الْمَاءُ مِنْهَا .

وَالشَّنُّ قَرِيبَةُ مَاءٍ قَدِيمَةٍ خَلَقَتْهُ تَجَمُّدُ جُلْدِهَا فَإِنَّهَا عِنْدَ إِخْرَاجِ الْمَاءِ مِنْهَا تَنْتَقِطُ ، وَيَسْمَعُ لَهَا صَوْتَ يَخْتَلِفُ أَنْخَفَاضًا وَارْتِفَاعًا ... (فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ) أَي زَرَفَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْبَكَاءِ شَفَقَةً عَلَى حَفِيدَتِهِ . (فَقَالَ سَعْدُ) ابْنُ عَبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذَا) ؟ ... السُّؤَالُ إِنكَارِي ، وَفِيهِ أَنْكَرُ سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا رَأَى مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَظْنُهُ أَنْ جَمِيعَ الْبَكَاءِ حَرَامٌ ، وَأَنْ دَمْعَ الْعَيْنِ حَرَامٌ ، وَتَصَوَّرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَسِيَ مَا حَكَّمَ بِهِ ، وَأَنَّ نَفْسَهُ غَلَبَتْهُ فَبَكَى ، فَأَنْكَرَ سَعْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا شَاهَدَهُ ، وَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ بَكَائِهِ

(فَقَالَ) النَّبِيُّ ﷺ (هَذِهِ رَحْمَةٌ) أَي هَذِهِ الدَّمْعَةُ الَّتِي تَفِيضُ مِنْ حُزْنِ الْقَلْبِ مِنْ غَيْرِ تَعَمُّدٍ مِنْ صَاحِبِهِ وَبِلَا صَوْتٍ ، وَلَا اسْتِدْعَاءٍ لِلْحُزْنِ شَفَقَةً وَرَحْمَةً لِلْمَرِيضِ الَّذِي يَحْضُرُهُ الْمَوْتُ أَوْ بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَلَا مَوَازَنَةً فِيهِ ، وَلَا نَهْيَ عَنْهُ ، وَإِنَّمَا الْمُنْهَى عَنْهُ الْجَزَعُ ، وَعَدَمُ الصَّبْرِ ، وَعَدَمُ الرِّضَا بِمَا قَضَى اللَّهُ تَعَالَى وَرَفَعَ الصَّوْتَ ، وَالنِّيَاحَةَ ، وَجَاءَتْ الْأَحَادِيثُ تَوْحِيدَ مَرَادِ النَّبِيِّ ﷺ وَمِنْهَا : -

- (العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا) ^(١)
- (إن الله لا يعذب بدمع العين ، ولا يحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا
- وأشار إلى لسانه) ^(٢).

(وَأِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحِمَاءَ) أي إن الله تعالى يعطي ، ويعفو ، ويكرم من عباده من رحم غيره ، وأعطاه وعفى عنه ، وظاهر هذا يفيد أن الله تعالى يرحم من انتصف بالرحمة ، وعرف بها ...

وفي الحديث الثاني : يقول ابن عمر **م** (اشتكى سعد بن عبادَةَ شَكْوَى لَهُ) أي اشتكى مرضاً لازمه ، واشتد عليه (فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ ، يَغُودُهُ، مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ) - رضي الله عنهم أجمعين - لعيادته تنفيذا لسنة عيادة المريض (فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ) أي حضر النبي ﷺ ومن معه إلى بيته (فَوَجَدَهُ فِي غَاشِيَةٍ أَهْلِهِ) أي إن أهله كانوا حوله يحيطون به لخدمته ، والاطمئنان عليه ، فلما علموا بقدوم رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام تأخروا ، فدنا رسول الله ﷺ وأصحابه منه .

ويحتمل أن غاشية الكرب وشدة المرض حلت به ، وهي الشدة التي يراها المريض .

والغاشية هي الداهية من شر أو من مرض أو من أي مكروه ، ومنه

غاشية يوم القيامة ، المذكورة في قوله ﷺ : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ ^(١)

^(١) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب قول النبي إنا بك .

^(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب البكاء عند المريض .

والمراد منه في الحديث ما يحل به من كرب الوجع الذي هو فيه ، وليس هو الموت ؛ لأنه أفاق من مرضه هذا وعاش بعده زمانا .
(فَقَالَ) النبي ﷺ لقومه والمحيطين به (قَدْ قَضَى) ؟ ... أي هل أتاه أجله ، وقبضت روحه ؟ وهمزة الاستفهام مقدرة قبل (قد) .
(قَالُوا : لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ) إنه يعاني من شدة المرض (فَبَكَى النَّبِيُّ ﷺ) ؛ فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ بُكَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بَكَوْا) وتصوروا نسخا أو نسيانا لعلمهم أن النبي ﷺ نهى عن البكاء (فَقَالَ :) لهم النبي ﷺ (أَلَا تَسْمَعُونَ) ؟ أي ألا تعرفون الحكم في هذا البكاء ؟ لأنه سمع إنكار بعض الحاضرين ، ثم قال لهم : (إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ أَوْ يَرْحَمُ) أي إن قال وناح ، أو قَصَّر ولم ينفذ الوعيد .
ثم قال النبي ﷺ : (وَإِنَّ أَلَمِيَّتَ يُعَذِّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ) إن رفعوا أصواتهم ، ولطموا خدودهم ، وشقوا جيوبهم ... وكان عمر رضي الله عنه يضرب في النواح بالعصا ، ويرمي بالحجارة ، وبحثي بالتراب ، وسيأتي أحكام النياحة في باب لاحق .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب عددا من القضايا الإيمانية ، والأخلاقية ، والتكليفية .

فمن القضايا الإيمانية توضيح أن الأجل بيد الله تعالى ، وأن الله ما أعطى ، وله ما أخذ ، ومن صدق الإيمان الرضا بقضاء الله تعالى ،

(١) سورة الغاشية الآية : ١ .

وتذكره عند المصيبة ، فهو ربه الذي يلجأ إليه في السراء والضراء ،
وبصبر بقضائه عند الصدمة الأولى ، ويقول : (إنا لله وإنا إليه راجعون)
، ويطيع رسول الله ﷺ ، وهو يرشد أصحاب المصائب بقوله ﷺ : (اللهم
أجرني في مصيبتى ، وأخلف لي خيرا منها) ^(١) .

وعيادة المريض سنة مؤكدة عند الجمهور ، وذهب الشافعية إلى
أن عيادة المريض سنة على الكفاية ، وقال غيرهم إنها واجبة على الكفاية
، وقال المالكية أنها مندوبة .

وتكون للقريب والبعيد ، ومن يصاحبه ، ومن يخاصمه ، وينبغي أن
تكون مدة الزيارة قصيرة ، وفي أوقات متباعدة ما لم يكن يأنس المريض
بالزائر بسبب الصحبة أو القرابة ، أو الاشتراك في عمل ، أو بسبب أي
شيء آخر

ويستحب لعائد المريض أن يدعو له بالشفاء ، ويرقيه برقية رسول
الله ﷺ وهي : (اللهم رب الناس ، مذهب الباس ، اشف أنت الشافي ،
لا شافي إلا أنت ، شفاء لا يغادر سقما) ^(٢) .

ويستحب أن يستصحب الزائر معه ما يستروح به المريض كريحانة
أو فاكهة أو هدية مناسبة ، ويعظه بالصبر ، ويرشده إلى الدعاء والتسليم
لقدر الله تعالى ، يروي ابن عباس م (كان رسول الله ﷺ ، إذا عاد
مريضا جلس عند رأسه ، ثم قال سبع مرار : " أسأل الله العظيم ، رب
العرش العظيم ، أن يشفيك " ، فإن كان في أجله تأخير ، عوفي من

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب ما يقال عند المصيبة ، حديث رقم : ١٥٧٦ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب رقية النبي .

وجعه ذلك (١)

وقد دعا رسول الله ﷺ إلى عيادة المريض بأحاديث كثيرة

أهمها : -

- قوله ﷺ : (حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وزيارة

المريض ، واتباع الجنائز ، وإجابة الدعوة ، وتشميت العاطس) (٢).

- وعن البراء ابن عازب رضي الله عنه قال : (أمرنا النبي ﷺ بسبع : أمرنا باتباع

الجنائز ، وزيارة المريض ، وإجابة الداعي ، ونصر المظلوم ، وإبرار

القسم ، ورد السلام ، وتشميت العاطس) (٣)

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الله ﷻ يقول

يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدني ، قال : يا رب كيف أعودك ؟

وأنت رب العالمين ، قال : أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده ،

أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ؟) (٤) .

- وعن ثوبان رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، قال : (إن المسلم إذا عاد أخاه

المسلم لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع) (٥) .

وعلى كل مسلم ان يشارك غيره في السراء والضراء ، وأن يكون

معهم بعواطفه ووجدانه ، وأن يخفف عنهم المصيبة، وأعظم المصائب

(١) صحيح ابن حبان ، كتاب الجنائز ، باب المريض وما يتعلق به ، حديث رقم : ٣٠٢٧

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب الأمر باتباع الجنائز .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب الأمر باتباع الجنائز .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل عيادة المريض ، حديث ٤٧٦٧

(٥) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل عيادة المريض ، حديث ٤٧٦٥

موت عزيز ، أو فقد قريب ، ويلاحظ وقوع البكاء عند وقوع البلاء قل أو كثر ... مثل البكاء عند مشاهدة ألم مريض ، أو رؤية سيلان دم جريح ، أو مشاهدة قطع اليد أو الرجل في حادث والنساء أكثر تأثرا من الرجال ، ولذلك يكثرن البكاء عند الفزع والهلع ، لأن عواطفهن ثائرة ، وأحاسيسهن مفرطة ، وقد تعودن على الزينة والحلي والجمال ، ولذلك وضع رسول الله ﷺ حدا للبكاء المباح ، والبكاء المحرم .

فأباح البكاء الذي يكون فيه خروج الدمع ، وحزن القلب ، مع تسليم الأمر لله تعالى ، والرضا بقضائه وقدره .

وحرم البكاء المصاحب للعويل ، وشق الثياب ، ولطم الخدود ، وحلق الشعر ، ولبس السواد ، والدعاء بدعوى الجاهلية .

وقد عرف النبي ﷺ أصحابه بالفرق بين البكاء المباح والبكاء المحرم حينما أنكروا عليه البكاء عند بنت بنته ، وعند سعد بن عبادة - رضي الله عنهم اجمعين - وصار ذلك حكما أخذه الفقهاء ، وأفتوا به .

واتفق الفقهاء على جواز البكاء إن كان قاصرا على خروج الدمع بلا صوت ، ومثله غلبة البكاء بصوت يسير إذ لم يقدر على رده .

واتفقوا أيضا على تحريم الندب بتعداد محاسن الميت برفع الصوت ، واتفقوا على تحريم النواح ، وشق الجيوب ، ولطم الخدود ، إلا إن الأحناف كرهوا ذلك كراهة تحريمية .

أما إذا كان البكاء بصوت وغير مصحوب بنياحة ونحوها فيرى المالكية والحنفية والحنابلة جوازه واشترط المالكية عدم الاجتماع للبكاء وإن لا كره^(١)

(١) حاشية ابن عابدين ج ١ ص ٦٠٧ ، مواهب الجليل ج ٢ ص ٢٣٥ .

وقد اعتمد العلماء على الأحاديث الآتية :-

- (عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : (أخذ النبي ﷺ بيد عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، فانطلق به إلى ابنه إبراهيم ، فوجده يجود بنفسه ، فأخذه النبي ﷺ ، فوضعه في حجره فبكى ، فقال له عبد الرحمن رضي الله عنه : أتبكي ؟ أولم تكن نهيت عن البكاء ؟ قال ﷺ : " لا ، ولكن نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين : صوت عند مصيبة ، خمش وجوه ، وشق جيوب ، ورنه شيطان) ^(١)
- عن جابر بن عتيك رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ جاء يعود عبد الله بن ثابت رضي الله عنه ، فوجده قد غلب عليه ، فصاح به ، فلم يجبه ، فاسترجع رسول الله ﷺ ، وقال : " غلبنا عليك يا أبا الربيع " فصاح النسوة وبكين ، وجعل ابن عتيك يسكتهن ، فقال رسول الله ﷺ : " دعهن فإذا وجب فلا تبكين باكية " ، فقالوا : وما الوجوب يا رسول الله ؟ قال ﷺ : " إذا مات ") ^(٢)

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أن عيادة المريض سنة مؤكدة ، ولها آدابها ، ونظامها ، كما تبين أحكام البكاء عند المريض ، وعند الموت .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تشمل أحاديث الباب عددا من الركائز ... أهمها : -

الركيزة الأولى

تواصل المسلمين وجدانيا وعمليا

المسلمون أمة واحدة بعضهم أوليا بعض ، في السراء والضراء ، ولذا

(١) سنن الترمذي - الجامع الصحيح ، باب في رخصة البكاء على الميت ، حديث ٩٦٢ .

(٢) صحيح ابن حبان ، فصل في الشهيد ، حديث رقم : ٣٢٤٦ .

حُثِّمَ اللهُ تَعَالَى عَلَى التَّعَاوُنِ وَالتَّرَاحُمِ وَالتَّنَاصُحِ ، وَالنَّصْرَةِ ، وَأَمْرَهُم بِالْعَمَلِ
بِمَنْهَجِ اللهِ الَّذِي يُوَحِّدُ مَسَارَهُمْ ، وَيَجْمَعُهُمْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى .

وعند الشدائد تظهر معادن الناس ، ويتضح مدى ما بينهم من
ألفة وترابط ، **ومن الشدائد حالات المرض التي تلحق بالإنسان ، فتضعف**
قوته ، وتعجزه عن القيام بعمله ، ويلزم بيته إلى أن يشفيه الله تعالى ،
وعند ذلك سن الله تعالى زيارة المريض ، والدعاء له ، ومشاركته وجدانيا
وعمليا بالدعاء ، والمساعدة ، والإهداء إليه ، وسؤال الله تعالى أن يشفيه ،
ومن دلائل طاعة الله ﷻ في زيارة المريض التألم لألمه ، والحزن لما حل
به ، ومساعدته في الخلاص من حالته النفسية ، ومن التشاؤم الذي يقع
فيه كثير من المرضى .

إن المريض يغالب العلة وتغالبه ، ويصارع الألم ويصارعه ، وهو
أكثر الناس حاجة إلى ما يحقق العلاقات الإنسانية من سلوى وعون ،
وتقوية للعزيمة وإحياء الطمأنينة والأمل ، يقول الإمام الشافعي :

مرض الحبيب فعدته فمرضت من حزني عليه

فأتى الحبيب يعودني فشفيت من نظري إليه ^(١)

والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه .

وعيادة المريض تعود على العائد بالخير ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال
: (قال رسول الله ﷺ : من عاد مريضا ، نادى مناد من السماء : طبت
، وطاب ممشاك ، وتبوات من الجنة منزلا) ^(٢)

(١) الأدب الشرعي لابن مقلح ج ٢ ص ٢٠٠ .

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب الجنائز ، باب في ثواب من عاد مريضا ، حديث رقم : ١٤٣٩

وعن هارون بن أبي داود رحمه الله قال : (أتيت أنس بن مالك رضي الله عنه ، فقلت : يا أبا حمزة إن المكان بعيد ونحن نعجبنا أن نعودك ، فرفع رأسه فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " أيما رجل يعود مريضا ، فإنما يخوض في الرحمة ، فإذا قعد عند المريض غمرته الرحمة " : فقلت : يا رسول الله ، هذا للصحيح الذي يعود المريض ، فالمريض ما له ؟ قال : " تحط عنه ذنوبه) ^(١)

إن مشاركة المسلم لأخيه في مرضه تعود بالنفع عليه قبل المريض ، فهو يرضي ربه ، ويطيع رسوله ﷺ ، ويؤكد الرحمة ، ويهذب وجدانه وعواطفه ، ويعمل لذاته ، فلئن أتاه المرض سجد من يشاركه تعب وآلامه ويمثل هذه الروح في عيادة المريض تكون سائر العلاقات بين الناس ، وحينئذ تكون الأمة حقا واحدة .

الركيزة الثانية **من فنون الدعوة إلى الله تعالى**

تقدم الأحاديث بعض الجوانب المفيدة في سبيل الدعوة إلى الله تعالى ... ومنها

أولا : الاستفادة من كافة الأحوال في الدعوة إلى الله تعالى ، لأن الإنسان يمر بحالات الضعف ، وحالات القوة ، وتذكيره بالله في كافة حالاته وفي إطار ما هو فيه مفيد للدعوة ، فها هو رسول الله ﷺ ترسل إليه ابنته **ل** ليشاركها مرض ابنتها ، فيرسل إليها لتصبر وتحسن ، ويعرفها بالحقيقة التي تغيب عن كثير من الناس ، وهي أن الله تعالى هو

(١) مسند احمد بن حنبل ، ومن مسند بني هاشم ، حديث رقم : ١٢٥٥٧ .

الخالق ، وهو المالك ، وله أن يأخذ ما أعطى فهو صاحبه ، وله أن يُبطل حركة الجوارح والأجهزة فهو مالکها وصانعها ، وله أن يقضي بما يشاء ، فهو القادر ولا معقب لحكمه ، و التذكير بالحقيقة عند الغفلة عنها يقوي الإيمان بها ، ويهدي الخواطر الثائرة ، ويظهر الحق والثواب .

ثانياً : التحرك الجماعي لتأكيد الإيمان بهذه الحقيقة ، لأنها تقوي التسليم لله ، وتوضح نهاية الدنيا ، وحتمية الآخرة ، وكفى بالموت واعظا .
ثالثاً : ضرورة التشاور والتفاهم بين الجماعة ، لمعرفة الحق ، فلقد كان الصحابة رضوان الله عليهم مع رسول الله ﷺ فلما رأوه يبكي أنكروا عليه بكاءه وسألوه : اتبكي وقد نهيتنا ؟ ففصل لهم رسول الله ﷺ أنواع البكاء ، وبين لهم ما هو حلال فيه ، وما هو حرام ، ولم يمنعهم حبهم لرسول الله ﷺ من سؤاله والإنكار عليه .

رابعاً : ضرورة الإخلاص والصدق في العمل المشروع ، وذلك يتحلى في الإقبال على العمل ، والتفاعل مع الحدث ، وإبراز العواطف القلبية مع الضوابط العقلية ، فهذا هو رسول الله ﷺ وأصحابه يعودون مريضا ، فلما رأوه يغالب متاعب المرض أشفقوا عليه ، وأخذوا يرقونه ، ويطلبون له الشفاء مع خفقات القلوب ، ودمع العيون ، والتوجه إلى الله تعالى صادقين .

إن هذه المعاني المستفادة من دعوة الإسلام لعيادة المريض يجب أن تسود حياة المسلمين .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد أحاديث الباب

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية : -

- ١- جواز استحضار ذوى الفضل للمحتضر لرجاء بركتهم ودعائهم ،
وجواز القسم عليهم ليحضروا .
- ٢- لا ينبغي لأهل الفضل أن يحرّموا الناس من علمهم وفضلهم .
- ٣- ضرورة حسن الطلب والدعاء .
- ٤- جواز الشفقة على الناس ورحمتهم مع الترغيب في ذلك والترهيب
من القسوة والغلظة مع الضعفاء والمحتاجين .

- ٢ -

٨ - باب الصبر على المصيبة عند أول الصدمة

[٥٣٣]، (١) حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: مرَّ النَّبِيُّ ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال ﷺ: اتقي الله واصبري . ١٢٨٣

قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبِّ بِمُصِيبَتِي وَلَمْ تَعْرِفْهُ .
فَقِيلَ لَهَا : إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ ؛ فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمْ تَجِدْ
عِنْدَهُ بَوَّابِينَ ؛ فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ فَقَالَ ﷺ : إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ
الصَّدْمَةِ الْأُولَى ^(١) .

- أ -

موضوع حديث الباب

يدور حديث الباب حول حكم زيارة القبور للرجال و النساء ،
ويوضح أن ثواب الصبر يكون عند الصدمة الاولى

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يقول انس بن مالك رضي الله عنه : (مرَّ النَّبِيُّ ﷺ بامرأة تبكي عند قبر) أي
إن النبي ﷺ مر ذات يوم بامرأة تبكي عند قبر ، ولم يبين أحد من
المحدثين اسم هذه المرأة ، ولا اسم صاحب القبر ، ، ولا صلة المرأة
بصاحب القبر ، إلا أن بعض الروايات بينت أن صاحب القبر هو ابن
المرأة .

(١) أخرجه البخاري في: ٢٣ كتاب الجنائز: ٣٢ باب زيارة القبور .

وأقر النبي ﷺ وجود المرأة عند القبر ، إلا إنه أنكر عليها خروجها عن الآداب الإسلامية في زيارة القبور ، فقد سمع منها قدرا من البكاء من نواح وغيره ، وهو ما يكرهه الإسلام ولا يجيزه .

(فَقَالَ) ﷺ لها : (اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي) أي خافي معصية الله تعالى ، ودعي

الجزع ، وتحلمي واصبري لتفوزي بثواب الصبر ، والتحمل والرضا .

(قَالَتْ) المرأة لرسول الله ﷺ : (إِلَيْكَ عَنِّي) أي تنح وابتعد عني ، والعبارة

اسم فعل معناها ابتعد عني واتركني (فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبِّ بِمُصِيبَتِي) أي إنك لم

تعرف قدر مصيبتني ، ولو أصابتك لعذرتني ، ففي رواية لأبي هريرة ؓ

أنها قالت : (يا عبد الله ، إني أنا الحزنى الثكلى .

فقال ﷺ : " يا أمة الله ، اتقي الله واصبري " .

فقالت : يا عبد الله ، قد سمعت ، فانصرف عني)^(١) .

يقول أنس ؓ : (وَلَمْ تَعْرِفْهُ) أي إن المرأة قالت ما قالت ولم تعرف

أن الذي أمرها بالصبر والتقوى هو رسول الله ﷺ ، وهذا سر ردها .

(فَقِيلَ لَهَا) أي للمرأة (إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ) أي مر بها رجل وقال لها : هل

تعرفينه ؟ قالت : لا ... فقال لها : إنه رسول الله ﷺ ، أي أخبرها

أن الذي نصحها هو رسول الله ﷺ ، فأصابها الألم والكرب خجلا منه

وخوفا من ردها .

(فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ) أي لم تجد عنده حراسا

(١) المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني ، كتاب الجنائز ، باب الأمر بالصبر ،

يقفون على بابہ ، ویأذنون لها بالدخول .

والبوابون جمع بواب ، وفائدة إيراد هذا الخبر بيان عذر المرأة في كونها لم تعرفه ، لأنه كان من شأنه ﷺ أن لا يتخذ بوابا مع قدرته على ذلك تواضعا ، وكان من شأنه أن لا يستتبع الناس وراءه إذا مشى كعادة الملوك والأكابر ، ولذلك اشتبه على المرأة فلم تعرفه مع ما كانت فيه من شاغل الوجد والبكاء .

يقول الطيبي : فائدة هذه الجملة أنه لما قيل لها إنه النبي ﷺ استشعرت خوفا وهيبه في نفسها ، فتصورت أنه مثل الملوك له حراس وبوابون لمنع الناس من الوصول إليه ، فوجدت الأمر بخلاف ما تصورت ^(١) فلما أتت المرأة (فَقَالَتْ) لرسول الله ﷺ (لَمْ أَعْرِفْكَ) أي لم اعرفك حين نصحتني وأرشدتني فقلت لك ما قلت .

(فَقَالَ ﷺ : إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى) أي لم يعلق رسول الله ﷺ على موقفها منه ، وأخذ ينصحها فقال لها : الصبر المثاب عليه هو الصبر عند أول الصدمة ... والمعنى إذا وقع الثبات أول الأمر على القلب ، وأبعده عن الهلع والجزع ... فذلك هو الصبر الكامل الذي يترتب عليه الأجر ، ... إن الصبر الذي يعتد به ما كان عند مفاجأة المصيبة ، وصدور هذا الجواب عن قولها : لم أعرفك ، يدل على حكمته وحسن خلقه ﷺ ، كانه قال لها : دعي الاعتذار ، فإنني لا أغضب لغير الله تعالى ، وانظري لنفسك .

(١) فتح الباري ج ٣ ص ١٤٩ طبعة السلفية .

يقول الزين من المنير : (إن المرأة لما جاءت طائعة لما أمرها به رسول الله ﷺ من التقوى والصبر ، معذرة عن قولها السابق ، بين لها رسول الله ﷺ ، أن حق الصبر أن يكون في أول الحال ^(١))
ولذا قالت ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه : (أنا أصبر ، أنا أصبر) ^(٢)

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يبين حديث الباب أن المسلم مكلف بالصبر عند وقوع المصيبة ، ولا خلاف بين العلماء والفقهاء في أهمية الصبر وضرورته للمسلم في كل ابتلاء ، سواء كان خيرا أو شرا ... والعاقل هو من يدرك الواقع ، ويصبر ويستفيد بما للصابرين من مثوبة وأجر ، لأنه يفهم القضايا التالية : -
أولاً : يؤمن بأن الله تعالى هو مالك الملك والأمر كله بيده ، ولا يقع شيء في ملكه إلا بعلمه وإرادته وقدرته ، وللملك أن يتصرف في ملكه كما يشاء ، والقادر يفعل ما يشاء وبخاصة أنه يملكه .
ثانياً : الإنسان بصورة عامة محدود الإدراك ، عاجز عن أي فعل ، لا يقدر على جلب أي نفع أو دفع أي ضرر ، يقول الله ﷻ : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبٌ مِّثْلُ فَأَسْتَمِعُوا لَهُ^١ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ^٢ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ^٣ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ^(١)﴾

(١) فتح الباري ج ٣ ص ١٤٩ طبعة السلفية .

(٢) المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني ، كتاب الجنائز ، باب الأمر بالصبر ، حديث رقم : ٨٢٤ .

ويقول ﷺ : ﴿ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخَفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ ^(١)

ويقول ﷺ : ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ^(٢).

وعلى ذلك فالموت له أجل محدد ، لا يتقدم عنه ولا يتأخر والله وحده عليم به .

وبناء على هذه الحقائق يجب على الإنسان أن يرضى بقدر الله ويصبر ، ولهذا ربط رسول الله ﷺ بين التقوى والصبر .

إن قدر الله نافذ لا محالة ، وصبر الإنسان يرفع منزلته ، ويزيد أجره ومثوبته ، يقول النبي ﷺ : (من يصبر يصبره الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يستعف يعفه الله ، وما رزق العبد رزقا ، أوسع له من الصبر ") ^(٤) ويقول ﷺ : (إن الله إذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن صبر فله الصبر ، ومن جزع فله الجزع) ^(٥)

(١) سورة الحج الآية : ٧٣ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٥٤ .

(٣) سورة الجمعة الآية : ٨ .

(٤) مسند أحمد بن حنبل ، ومن مسند بني هاشم ، حديث رقم : ١١٢٢٦ .

(٥) مسند أحمد بن حنبل ، مسند الأنصار ، حديث رقم : ٢٣٠٢٥ .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب وجوب الصبر عند المصيبة ، لأن الأمور كلها مقدره من الله تعالى ، وله سبحانه ما أخذ ، وله ما أعطى ، وتوضح أن الثواب الكامل يكون للصبر عند الصدمة الأولى .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في حديث الباب

يتضمن حديث الباب عددا من الركائز ... أهمها : -

الركيزة الأولى

مسئولية الدعاة في تبليغ الإسلام

الدعوة إلى الإسلام فريضة واجبة على الأمة الإسلامية كلها ، والدعاة هم القائمون بها ، والمسلمون من ورائهم .

وتتم الدعوة بتوجيه الناس إلى الله تعالى ، وإرشادهم إلى الحق بكل وسيلة ممكنة ، وحديث الباب يشير إلى عملية دعوية قام بها رسول الله ﷺ ، فلقد رأى امرأة تبكي وتنوح عند قبر ابنها ، وجدها فذهب إليها وحثها على الصبر والتقوى ، ولم يمنعه وجودها منفردة ، ولم يعد لها لقاء منظمًا ، وإنما دعاها حين حدوث أمر منكر ؛ لأن العلاج عند وقوع المرض أوقع وأشفى .

ولم يتأثر رسول الله ﷺ برد المرأة عليه ، وحسبه أنه ﷺ دعاها

إلى الحق .

ولما علمتا المرأة أن الذي كان يكلمها هو رسول الله ﷺ أتت إليه معترزة ،
فاستقبلها رسول الله ﷺ ولم يسمع لإعتزارها ، وأخذ يدعوها إلى الحق ،
ويعرفها بأن الثواب الكامل يكون عند الصدمة الأولى .
وعلى هذا يكون إخلاص الدعاة .

الركيزة الثانية

تواضع النبي ﷺ

النبي ﷺ أفضل الخلق على الإطلاق ، ومع ذلك تميز بالتواضع
وانزال الناس منازلهم ، وحديث الباب يؤكد تواضع النبي ﷺ ، فكان يمشي
وحده بلا حراس ولا رفاق ولذلك لم تعرفه المرأة حين دعاها إلى الصبر
والتقوى ، وفوجئت عندما ذهبت لبيته ﷺ ولم تجد على الباب بوابين ، ولا
حراسا .

إن رسول الله ﷺ تميز بالتواضع والجرأة فصعد بالحق ، ورفع
صوت الدعوة بلا خوف من معارضة أو كفر .
وكل ما اهتم به رسول الله ﷺ هو تبليغ ما أوحى الله به ، وتلك كانت
مهمته بين الناس .

وعلى الدعاة :

أن يحافظوا على دورهم مع الإسلام ، وينأوا بأنفسهم عن الصغائر ،
ويهتموا بما وكل إليهم مع الدعوة إلى الله تعالى .

- ٩ -

ملحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من الحديث الفوائد التالية :

- ١- التفرقة بين ما يباح وما لا يباح في البكاء .
- ٢- جواز خروج المرأة إلى المقابر .
- ٣- جواز اعتذار الجاهل عن أمر وقع فيه .
- ٤- القيام بالدعوة بكل أسلوب ممكن .

- ٣ -

٩- باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه

حديث عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ (١)، [٥٣٤]، (١)

فِي قَبْرِهِ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ (١) . ١٢٩٢

حديث عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ : لَمَّا (٢)، [٥٣٥]

أُصِيبَ عُمَرُ ﷺ ، جَعَلَ صَهِيْبٌ ﷺ يَقُولُ : وَأَخَاهُ . ١٢٩٠

فَقَالَ عُمَرُ ﷺ : أَمَا عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : إِنَّ الْمَيِّتَ

لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الْحَيِّ (٢)

حديث عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، وَعُمَرُ ، وَعَائِشَةُ ﷺ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ (٣)، [٥٣٦]

بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ ﷺ قَالَ : تُوْفِّيتُ ابْنَةَ لِعُثْمَانَ ﷺ ١٢٨٧ ، ٢٨٦

بِمَكَّةَ ، وَجِئْنَا لِنَشْهَدَهَا ، وَحَضَرَهَا ابْنُ عُمَرَ وَابْنُ عَبَّاسٍ م ١٢٨٨،

وَإِنِّي لَجَالِسٌ بَيْنَهُمَا (أَوْ قَالَ : جَلَسْتُ إِلَى أَحَدِهِمَا ثُمَّ جَاءَ (ثلاثة أحاديث)

الْآخَرُ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِي) .

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، لِعُمَرَ بْنِ عُثْمَانَ ﷺ : أَلَا تَنْهَى

عَنِ الْبُكَاءِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ

أَهْلِهِ عَلَيْهِ .

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ م : قَدْ كَانَ عُمَرُ ﷺ يَقُولُ بَعْضَ ذَلِكَ .

ثُمَّ حَدَّثَ ، قَالَ : صَدَرْتُ مَعَ عُمَرَ ﷺ مِنْ مَكَّةَ ، حَتَّى إِذَا كُنَّا

(١) أخرجه البخاري في: ٢٣ كتاب الجنائز: ٣٤ باب ما يكره من النياحة على الميت .

(٢) أخرجه البخاري في: ٢٣ كتاب الجنائز: ٣٢ باب قول النبي ﷺ يعذب الميت ببعض بكاء

أهله عليه .

بِالْبَيْدَاءِ إِذَا هُوَ بِرَكْبٍ تَحْتَ ظِلِّ سَمُرَةٍ، فَقَالَ: اذْهَبْ فَاَنْظُرْ
مَنْ هَؤُلَاءِ الرُّكْبُ ؟ فَنَظَرْتُ فَإِذَا صُهِيبٌ ؓ ، فَأَخْبَرْتُهُ .
فَقَالَ عُمَرُ ؓ : ادْعُهُ لِي، فَرَجَعْتُ إِلَى صُهِيبٍ ؓ ،
فَقُلْتُ: ارْتَحِلْ فَالْحَقْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؓ فَلَمَّا أُصِيبَ عُمَرُ
ؓ دَخَلَ صُهِيبٌ ؓ يَبْكِي يَقُولُ: وَالْأَخَاهُ وَاصَاحِبَاهُ.
فَقَالَ عُمَرُ ؓ : يَا صُهِيبُ أَتَبْكِي عَلَيَّ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ : إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ م: فَلَمَّا مَاتَ عُمَرُ ؓ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ
ل فَقَالَتْ: رَحِمَ اللَّهُ عُمَرَ ؓ وَاللَّهِ مَا حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ : إِنَّ اللَّهَ لَيُعَذِّبُ الْمُؤْمِنَ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ؛ وَلَكِنَّ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَيَزِيدُ الْكَافِرَ عَذَابًا بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ
وَقَالَتْ **ل** : حَسْبُكُمْ الْقُرْآنُ ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ ^(١)
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ م ،عِنْدَ ذَلِكَ: وَاللَّهِ ﴿ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾ ^(٢)
قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: وَاللَّهِ مَا قَالَ ابْنُ عُمَرَ م شَيْئًا ^(٣) .

(١) سورة الأنعام الآية : ١٦٤ .

(٢) سورة النجم الآية : ٤٣ .

(٣) أخرجه البخاري في: ٢٣ كتاب الجنائز: ٣٣ باب قول النبي ﷺ يعذب الميت ببعض بكاء
أهله عليه ، وهذا الحديث جامع لثلاثة أحاديث من صحيح البخاري وردت بسند واحد ،
وسأضع خط تحت بداية كل حديث من الثلاثة .

[٥٣٧]، (٤) حديث عائشة وابن عمر رضي الله عنهما عن عروة رضي الله عنه قال: ذُكِرَ عِنْدَ

عائشة رضي الله عنها ل أن ابن عمر م رفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم : أن

الميت يُعَذَّبُ في قبره بكاء أهلِه فقالت ل : وهل ابن

عمر رحمه الله إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه ليُعَذَّبُ

بخطيئته وذنبه، وإنَّ أهله ليُكونَ عليه الآن .

قالت ل : وذلك مثلُ قوله إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على

القليب وفيه قتلى بدرٍ من المشركين، فقال لهم ما قال:

إنهم ليسمعون ما أقول إنما قال صلى الله عليه وسلم : إنهم الآن ليُعلمون

أنَّ ما كنْتُ أقول لهم حقٌّ ثم قرأت ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾

(١) و ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ (٢) يقول حين تبوءوا

مقاعدهم من النار (٣)

[٥٣٨]، (٥) حديث عائشة ل زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: إنما مرَّ رسول الله

صلى الله عليه وسلم على يهودية يبكي عليها أهلها، فقال صلى الله عليه وسلم : إنهم ليُكونون

عليها، وإنها لتُعَذَّبُ في قبرها (٤) .

[٥٣٩]، (٦) حديث المغيرة رضي الله عنه ، قال : سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول : من نبح

عليه يُعَذَّبُ بما نبح عليه (١) ١٢٩١

(١) سورة النمل الآية : ٨٠ .

(٢) سورة فاطر الآية : ٢٢ .

(٣) أخرجه البخاري في: ٦٤ كتاب المغازي: ٨ باب قتل أبي جهل .

(٤) أخرجه البخاري في: ٢٣ كتاب الجنائز: ٣٣ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب الحالات التي يعذب فيها الميت ببكاء أهله عليه

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على ستة أحاديث تبين حكم النياحة على الميت ،
وتوضح الأحوال التي يعذب فيها الميت ببكاء أهله عليه .

ففي الحديث الأول : يروي عمر رضي الله عنه : (**عَنِ النَّبِيِّ ﷺ** ، قَالَ : **الْمَيِّتُ**

يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نَحَّيَ عَلَيْهِ) أي إن الميت يعذب في قبره بما نحي عليه إن
كان أمر به ، أو رضي عنه ، أو أهمل تعليم أهله وغيرهم تحريمه .

وفي الحديث الثاني : يقول أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : (**لَمَّا أُصِيبَ**

**عُمَرُ رضي الله عنه ، جَعَلَ صُهِيبٌ رضي الله عنه يَقُولُ : وَأَخَاهُ) أي لما طعن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه بالسيف ، أخذ صهيب رضي الله عنه يندبه بالصوت ، ويقول :
(**وَأَخَاهُ**) وهو من النياحة التي نهى الرسول ﷺ عنها ، و (**وَ**) حرف ندبة ،**

وزيدت الألف في (**أَخَاهُ**) لتطويل الصوت ، والهاء هاء السكت ، والمراد
بالإصابة الطعنة التي أصاب بها أبو لؤلؤة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو
يصلي ، و (**صُهِيبٌ**) رضي الله عنه أصله من بلاد الموصل سبي في غارة للروم على
بلاده ، وباعوه لتجار مكة ، فاشتراه عبد الله بن جدعان وأعتقه ، فبقي في
مكة ، وأسلم قبل الهجرة ، وهو من السابقين إلى الإسلام ، هاجر إلى
المدينة ومات بها سنة ثمان وثلاثين للهجرة .

(^١) أخرجه البخاري في: ٢٣ كتاب الجنائز: ٣٤ باب ما يكره من النياحة على الميت .

(فَقَالَ عُمَرُ) منكرا عليه صوته ونياحته (أَمَّا عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ: إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الْحَيِّ) أي أنسيت نهى النبي ﷺ عن النياحة؟! وإنه ﷺ قال : إن الميت يعذب ببكاء الحي إن كان بصوت، وغيره .

والحي هو الإنسان الباقي في مقابلة الميت ، وقيل المراد به ساكن المنطقة أو القبيلة إن تواطأوا على النواح ، ولم يتناصخوا بترك الصياح ، والنياح ، ويؤيد ذلك روايات (ببكاء أهله) .

وبذلك التوجيه من عمر ﷺ تبرأ ذمته ، ولا يؤاخذ ببكاء صهيب ﷺ وغيره ، والحديث دال على عموم هذا الحكم ، وأن صهيب ﷺ سمع الحديث من رسول الله ﷺ وكأنه نسيه ، أو ذهل عنه فذكره عمر ﷺ به وقد أنكر عمر ﷺ على صهيب ﷺ بكاءه لرفع صوته بقوله (وَأَخَاهُ) قبل موته حتى لا يستمر على هذا المنكر بعد موته فابتدره بالإنكار .

فإن قيل : كيف ينهى عمر ﷺ صهيبا ﷺ عن البكاء ، وقد أقر نساء بني المغيرة على البكاء على خالد بن الوليد ﷺ...؟؟

وتفصيل هذا أنه لما مات خالد بن الوليد ﷺ اجتمع نسوة بني المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وهن بنات عم خالد بن الوليد بن المغيرة يبيكين عليه ... ف قيل لعمر ﷺ (أرسل إليهن ، فانهن لا يبلغنك عنهن شيء تكرهه قال : فقال عمر : " وما عليهن أن يهرقن من دموعهن على أبي سليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة) ^(١)

أقول : نهى عمر ﷺ صهيبا ﷺ عن البكاء عندما علا صوته، واشتد

(١) مصنف ابن أبي شيبة ، كتاب الجنائز ، حديث رقم : ١١١٥٠ .

نحيبه فخاف عليه من النواح ، وأقر نساء المغيرة على البكاء ، لأنهن لم يزدن عن دمع العين ، وهو مباح لأنهن لم يقعن في المحرم ولذا قال عمر رضي الله عنه (ما لم يكن نفع أو لقلقة) أي ما لم يكن حثو تراب وشق جيوب ، وما يماثل ذلك من المحرمات .

وفي الحديث الثالث : يقول عبيد الله بن عبد الله بن مليكة رضي الله عنه (تُؤْفِيْتُ ابْنَةَ عُثْمَانَ رضي الله عنه) هي أم أبان - رحمها الله (بمكة) ونحن بالمدينة .

(وَجِئْنَا لِنَشْهَدَهَا) أي لنحضر جنازها ، ونصلي عليها ، ونسير معها إلى قبرها ، (وَحَضَرَهَا ابْنُ عُمَرَ وَابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه) ، وَإِنِّي لَجَالِسٌ بَيْنَهُمَا) فقد (جَلَسْتُ إِلَى أَحَدِهِمَا ثُمَّ جَاءَ الْآخَرُ فَجَلَسَ إِلَيَّ جَنْبِي) ، فصرت بذلك اجلس بينهما ، وكان معنا (عمرو بن عثمان) م يؤيد هذا ما رواه مسلم عن طريق ابن أبي مليكة رضي الله عنه قال : (كنت جالسا إلى جنب ابن عمر ، ونحن ننتظر جنازة أم أبان بنت عثمان ، وعنده عمرو بن عثمان ، فجاء ابن عباس يقوده قائد ، فأراه أخبره بمكان ابن عمر ، فجاء حتى جلس إلى جنبي ، فكنت بينهما ، فإذا صوت من الدار....)^(١)

(فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، لِعَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ رضي الله عنه : أَلَا تَنْتَهَى عَنِ الْبُكَاءِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ) وأيده عبد الله بن عباس م فقال : (قَدْ كَانَ عُمَرُ رضي الله عنه يَقُولُ بَعْضَ ذَلِكَ) ثم فصل ابن عباس قوله (ثُمَّ حَدَّثَ، فَقَالَ: صَدَرْتُ مَعَ عُمَرَ رضي الله عنه مِنْ مَكَّةَ) أي رجعت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه من مكة بعد أعمال الحج (حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ) أي حتى

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب الميت يعذب ببكاء أهله ، حديث رقم : ١٥٩٤ .

كنا في الصحراء الخالية (إِذَا هُوَ بِرَكْبٍ تَحْتَ ظِلِّ سَمْرَةٍ) أي فوجئ عمر
 ﷺ بركب يستظل بظل شجرة السمرة (فَقَالَ) لي عمر (اذْهَبْ فَاَنْظُرْ مَنْ
 هَؤُلَاءِ الرُّكْبُ) (فَنَظَرْتُ فَإِذَا صُهِيبٌ ، فَأَخْبَرْتُهُ) أي أخبرت عمر ﷺ به كما
 طلب مني .

(فَقَالَ) عمر ﷺ : (ادْعُهُ لِي) ... (فَجَعْتُ إِلَى صُهِيبٍ ﷺ ، فَقُلْتُ :
 ارْتَحِلْ فَالْحَقْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ) فلحق به وأكمل معه الطريق ، وصارت
 بينهما معرفة وصحبة ومؤلفة .

(فَلَمَّا أُصِيبَ عُمَرُ ﷺ) بالطعنة (دَخَلَ) عليه (صُهِيبٌ ﷺ) يَبْكِي يَقُولُ :
 وَالْأَخَاهُ وَاصْحَابَاهُ) .

(فَقَالَ) له (عُمَرُ ﷺ : يَا صُهِيبُ أَتَبْكِي عَلَيَّ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ
 الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ)

يقول ابن عباس م : (فَلَمَّا مَاتَ عُمَرُ ﷺ ذَكَرْتُ ذَلِكَ) وهو قول عمر ﷺ

(لِعَائِشَةَ) ل (فَقَالَتْ : رَحِمَ اللَّهُ عُمَرَ وَاللَّهِ مَا حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ

اللَّهَ لَيُعَذِّبُ الْمُؤْمِنَ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ ؛ وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ

لَيَزِيدُ الْكَافِرَ عَذَابًا بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ وَقَالَتْ ل (حَسْبُكُمْ الْقُرْآنُ) وَلَا تُزِرُّ

وَأَزْرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى ﷻ

(قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ) م (عِنْدَ ذَلِكَ : وَاللَّهِ ﷻ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى) فسكت ابن

عمر م ولم يعلق بشيء ، يقول ابن أبي مليكة ﷺ (وَاللَّهِ مَا قَالَ ابْنُ

عُمَرَ شَيْئًا) .

ومراد ابن عباس م من قوله تأييد ما ذهب إليه عائشة ل ببيان

أن الله تعالى يملك العبرات والخواطر ، فكيف يعاقب الحي عليها فضلا
عن الميت ، ويبدو أن ابن عمر **م** كان على رأي آخر فلم يتكلم ، ولم
يقول شيئا لجلال المناسبة ، وضيق الوقت ، ومنعا للخلاف أمام العامة
وانحصر الخلاف في حكم بكاء الحي على الميت ، وهل يعذب
الميت ببكاء أهله عليه أم لا ؟! ، وهذا ما سأوضحه - بإذن الله تعالى -
في البيان التحليلي للباب .

وفي الحديث الرابع : يقول عروة بن الزبير رضي الله عنه : (ذُكِرَ عِنْدَ عَائِشَةَ
ل أَنَّ ابْنَ عُمَرَ **م** (رَفَعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ : أَنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ
بِبُكَاءِ أَهْلِهِ) وهو الحديث السابق ذكره .. (فَقَالَتْ) **ل** (وَهَلْ ابْنُ عُمَرَ
رَحِمَهُ اللَّهُ) و (وَهَلْ) بفتح الواو وكسر الهاء بمعنى غلط وأخطأ ، أو
(وَهَلْ) بفتح الواو والهاء بمعنى فزع ، ونسي .
ثم قالت **ل** : (إِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّهُ لَيُعَذَّبُ بِخَطِيئَتِهِ وَذَنْبِهِ، وَإِنَّ
أَهْلَهُ لَيَبْكُونَ عَلَيْهِ الْآنَ) أي إنه يعذب بذنبه فقط ، وأن أهله ليبكون عليه
وهو يعذب بذنبه .

ثم استطردت السيدة عائشة **ل** فأوردت مثلا آخر على غلط
ابن عمر **م** (قَالَتْ: وَذَٰكَ مِثْلُ قَوْلِهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ عَلَى الْقَلْبِ
وَفِيهِ قَتْلَى بَدْرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ لَهُمْ مَا قَالَ: إِنَّهُمْ لَيَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ) ،
ولم يقل الرسول ﷺ ذلك (إِنَّمَا قَالَ ﷺ: إِنَّهُمْ الْآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ مَا كُنْتُ
أَقُولُ لَهُمْ حَقٌّ) ، فوضع (لَيَسْمَعُونَ) مكان (لَيَعْلَمُونَ) وهذا خطأ لقوله

تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ ^(١) ولقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنَ فِي الْقُبُورِ ﴾ ^(٢) .

يقول عروة رضي الله عنه ، رأي الحديث ، يقول الله تعالى ذلك (حِينَ تَبَوَّءُوا مَقَاعِدَهُمْ مِنَ النَّارِ) ، يريد عروة رضي الله عنه بأن مراد عائشة رضي الله عنها ل إن إطلاق النفي في الآيات مقيد باستقرارهم في النار ، وعلى هذا فلا معارضة بين إنكار عائشة رضي الله عنها وإثبات ابن عمر رضي الله عنهما وأيضا فإنه لا معارضة بين العلم والسماع ، والمعنى أن الله تعالى لا يسمعهم وهم موتى ، ولكن يحييهم فيسمعون ^(٣) .

وفي الحديث الخامس : تقول السيدة عائشة رضي الله عنها ل (إِنَّمَا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى يَهُودِيَةٍ يَبْكِي عَلَيْهَا أَهْلُهَا، فَقَالَ: إِنَّهُمْ لَيَبْكُونَ عَلَيْهَا، وَإِنَّهَا لَتُعَذَّبُ فِي قَبْرِهَا) ، وتلك حالة خاصة باليهودية أوردتها عائشة رضي الله عنها لتأييدا لما ذهب إلىه .

وفي الحديث السادس : يقول المغيرة بن شعبة رضي الله عنه (سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: مَنْ نِيحَ عَلَيْهِ يُعَذَّبُ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ) وهذا بمعنى الحديث .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

اتفق العلماء والمحدثون والفقهاء على إباحة البكاء بغير نواح ، وبينوا مسئولية المسلم في القيام بكل عمل يقي أهله من العذاب ، ووضحوا أن

(١) سورة النمل الآية ٨٠ .

(٢) سورة فاطر الآية : ٢٢ .

(٣) فتح الباري ج ٣ ص ١٥٤ .

كل إنسان راع ومسئول عن رعيته مستشهدين بقوله تعالى ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾^(١)، ويقولہ ﷺ (كلکم راع، وکلکم مسئول عن رعيته ...)^(٢)

ومن وقاية الأهل من السوء أن لا يكون الولي مولعا بأمر منكر يقلده فيه من دونه ، أو يكون قد عرف أن لأهله عادة منكرة وأهمل نهيمهم وبذلك تكون مسئوليته لأنه لم يق أهله من العذاب .

وأحاديث الباب توضح أن الميت يعذب ببكاء أهله وقد أجمع الفقهاء والعلماء على تحريم البكاء اذا صاحبه ندب ، وهو بكاء مع تعداد محاسن الميت، أو نوح وهو رفع الصوت ، وشق الثوب واتفقوا كذلك على تحريم استدامة لبس الثوب المشقوق ، ولطم الخدود ، وخمش الوجوه والصراخ ، ونتف الشعر ، ونشره وحلقه .

قال صاحب الغاية ... ومن المحرم إلقاء التراب على الرأس ، ودعاء بويل وبثبور ... وبياح الندب اليسير الذي لم يصل إلى النواح ، كقولهم ياأبتاه ، يا ولاده^(٣) ،

وقد تضمنت أحاديث الباب على رأي عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - الذي ذهب إلى أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه مستدلا بأحاديث الباب ... وبغيرها ، ومنها (أن رسول الله ﷺ بريء من الصالقة ، والحالقة ، والشاقة)^(٤)

(١) سورة التحريم آية : ٦ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب الجمعة في القرى والمدن .

(٣) غاية المنتهى ج ١ ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب تحريم ضرب الخدود ، حديث رقم : ١٧٤ .

والصالقة هي التي ترفع صوتها بالبكاء ، والحالقة هي التي تحلق شعر رأسها ، والشاقة هي التي تشق ثوبها .

ويقوله ﷺ : (ليس منا من ضرب الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية)^(١) .

وقد نفت السيدة عائشة **ل** أن يعذب الميت ببكاء أهله عليه ، وأولت الأحاديث بمعنى أن الميت يعذب بذنوبه ، وأهله يكون عليه ، ويقول تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾^(٢) ولذلك يحتاج التحليلي إلى بيان المسائل التالية : -

المسألة الأولى تعذيب الميت بنواح أهله

النواح على الميت لا يعذب الميت به مالم يكن له فيه سبب ، فإن كان له به سبب عذب ، كأن كان الميت في حياته مؤيدا للنواح ، أو راضيا عنه ، أو أنه سمع به ولم ينه عنه ، يؤيد ذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلِيَحْمِلُوا ثِقَلَهُمْ وَأَنْفَالًا مَعَ ثِقَالِهِمْ ﴾^(٣) ، وقوله ﷺ : (إنما عليك إثم الأريسيين)^(٤) ، وقوله ﷺ : (من سن سنة حسنة ؛ فإن له أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ، ومثل وزر من عمل بها من غير أن ينقص من

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب ليس منا من ضرب الخدود .

(٢) سورة الأنعام الآية : ١٦٤ .

(٣) سورة العنكبوت الآية : ١٣ .

(٤) مشاكل الآثار للطحاوي ، باب بيان ما شكل عن رسول الله ﷺ ، حديث رقم : ١٦٨٦ .

أوزارهم شيء) (١)

وبذلك يعذب الميت بفعله ، ويفعل غيره إذا كان له فيه سبب ،
وعلى هذا ذهب ابن عمر م .

وذهبت السيدة عائشة ل على أن الميت لا يعذب ببكاء أهله
مطلقا لقوله ﷺ : ﴿ لَا تَزُرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى ﴾ (٢) (٣) ، وممن ذهب إلى ذلك
أبو هريرة ؓ يقول : (والله لئن انطلق رجل محاربا في سبيل الله ، ثم
قتل في قطر من أقطار الأرض شهيدا ، فعمدت امرأة سفها أو جهلا ،
فبكت عليه ، ليعذب هذا الشهيد ببكاء هذه السفیهة عليه) (٤) .

والى هذا جنح جماعة من الشافعية منهم أبو حامد الغزالي - رحمه الله ،
ويفسر مذهب هؤلاء إلى إنه لم يكن سببا في بكاء أهله ، وقد صرفت أم
المؤمنين عائشة ل رأي ابن عمر م لنسيانه فقالت : (يغفر الله
لأبي عبد الرحمن أما إنه لم يكذب ، ولكنه نسي أو أخطأ ، إنما مر
رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهودية يبكى عليها ، فقال : "
إنهم ليبكون عليها ، وإنها لتعذب في قبرها) (٥)

المسألة الثانية

جهود العلماء في الجمع بين رأي عائشة وابن عمر ؓ

رأى العلماء صحة الأدلة التي اعتمد عليها كل من السيدة عائشة

(١) صحيح ابن خزيمة ، كتاب الزكاة ، باب استحباب الإعلان بالصدقة ، حديث ٢٣٠٤ .

(٢) سورة الأنعام الآية : ١٦٤ .

(٣) فتح الباري ، ج ٣ ص ١٥٤

(٤) مسند أبي يعلى الموصلي ، حديث رقم : ١٥٥٥ .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه ، حديث ١٥٩٩ .

ل وعبد الله بن عمر **م** ولذلك حاولوا الجمع بين الرأيين بضروب عديدة من الجمع وهي : -

أولاً : طريقة البخاري التي سبق ذكرها في المسألة الأولى .

ثانياً : تخصيص العذاب لمن أوصى بالندب عليه .

ثالثاً : يعذب الميت بسبب عدم تعليمهم حرمة النوح ، وتعويدهم على طريقه .

رابعاً : تفسير العذاب باللوم والتوبيخ .

خامساً : التعذيب يكون في البرزخ ، ولا يكون يوم القيامة .

سادساً : التعذيب يكون على الصفات التي يندبه أهلها معها بعدها عن طاعة الله تعالى ، فكلما ندبوه بصفة عذب بها .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

توضح أحاديث الباب النياحة على الميت ، وتبين أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه إن كان سبباً فيه بأن دعاهم إليهم ، أو رآه منهم ولم ينههم ، أو أهمل في تعليمهم ولم يراع الله في دعوتهم وتوجيههم .

- ه -

ركائز الدعوة في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب ركيزة هامة ... هي : -

تواصل المسئولية بين المسلمين أحياء وأمواتا

الدنيا ليست كل الحياة ، وإنما هي قسم الحياة الأدنى ، وقسمها الثاني هو الحياة الأخرى ، والصلة بينهما وثيقة ، فالدنيا للتعليم والتكليف والعمل ، والآخرة للجزاء والسؤال والمثوبة

وعلى هذا

تكون الدار الدنيا مقدمة للآخرة ، ومايقع في الدنيا من عمل وقول يعود على صاحبه بما يستحقه .

والمسلم عليه أن يعمل في الدنيا بما يصلح في الآخرة ، وعليه أن ينظر للآخرة ليقدم مايصلحها من أعمال الدنيا ، وهذا الشأن يكون مع الفرد ومع الجماعة .

ومما يؤكد الترابط الوثيق أننا نجد الإنسان الحي في الدنيا يعمل الخير الذي يستفيد به من مات ، كالدعاء ، وسداد الدين ، وأداء بعض العبادات نيابة عنه بعد موته كالحج والصوم والصدقات الجارية ، والاستقامة على سنن قام بها الميت وتركها سنة للأحياء فـ(من سن في الإسلام سنة حسنة ، فله أجرها ، وأجر من عمل بها بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شيء) (١) .

ويستفيد الأحياء من الموتى بما تعلموه منهم ، وبالتزامهم بالصراف المستقيم الذي تركوه فيهم .

وكما يستفيد الموتى بأعمال الأحياء الطيبة يعذبون بأعمالهم السيئة إن كان لهم سبب فيها، ومن ذلك ما جاء في حديث الباب من أن الميت يعذب ببكاء أهله وذلك إذا رضىه منهم وهو حي ، أو حثمه عليه، أو قصر في تعليمهم دينهم الذي يحرم عليهم هذا النواح أو البكاء ، أو اتخاذهم إلى مذهب يبيح لهم هذه المنكرات .

إن الإسلام يحقق هذا الترابط بين الأحياء والأموات ليراعي كل مكلف

(١) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ، حديث رقم : ١٧٥٣ .

أخاه في دينه وعلمه ، وعمله ، وليحقق للمؤمنين أمنيتهم الكبرى التي من أجلها ينادون بقول الله تعالى : ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾^(١) ليفوزوا بالدرجة العالية في الجنة ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾^(٢)

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الأحاديث

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية : -

- ١- مسئولية المسلم عن عمله بعد موته .
- ٢- على من يعلم أن يخلص في تعليم غيره ، ويوجهه إلى العمل المستقيم .
- ٣- النياحة بكل صورها محرمة على فاعلها ، وعلى من يدعو لها ، ومن يوافق عليها .

(١) سورة يوسف الآية : ١٠١ .

(٢) سورة النساء الآية : ٦٩ .

- ٤ -

١٠- باب التشديد في النياحة

حديث عائشة ل قَالَتْ: لَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ قَتَلَ ابْنَ حَارِثَةَ (١)، [٥٤٠]

١٢٩٩

، وَجَعَفَرٍ ، وَابْنَ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، جَلَسَ يُعْرِفُ فِيهِ الْحُزْنَ ، وَأَنَا
أَنْظُرُ مِنْ صَائِرِ الْبَابِ ، شَقَّ الْبَابُ ؛ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ : إِنَّ
نِسَاءَ جَعْفَرٍ ، وَذَكَرَ بُكَاءَهُنَّ فَأَمَرَهُ ﷺ أَنْ يَنْهَاهُنَّ ، فَذَهَبَ ،
ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَّةُ ، لَمْ يُطِغْنَهُ ، فَقَالَ ﷺ : أَنْهَهُنَّ فَأَتَاهُ الثَّالِثَةُ
وَقَالَ : وَاللَّهِ غَلَبْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَرَعَمْتُ أَنَّهُ قَالَ : فَاحْثُ
فِي أَفْوَاهِهِنَّ التُّرَابَ .

فَقُلْتُ : أَرْعَمَ اللَّهُ أَنْفَكَ ، لَمْ تَفْعَلْ مَا أَمَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ،

وَلَمْ تَتْرُكْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْعَنَاءِ (١)

حديث أم عطية ل قَالَتْ: أَخَذَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ الْبَيْعَةِ (٢)، [٥٤١]

١٣٠٦

أَنْ لَا نَنْوَحَ ، فَمَا وَفَتْ مِنَّا امْرَأَةً غَيْرَ خَمْسٍ نِسْوَةٍ : أُمُّ سُلَيْمٍ
، وَأُمُّ الْعَلَاءِ ، وَابْنَةُ أَبِي سَبْرَةَ امْرَأَةٌ مُعَاذٍ ، وَامْرَأَتَيْنِ ؛ أَوْ ابْنَةُ
أَبِي سَبْرَةَ ، وَامْرَأَةٌ مُعَاذٍ ، وَامْرَأَةٌ أُخْرَى (٢) .

حديث أم عطية ل قَالَتْ : بَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَرَأَ (٣)، [٥٤٢]

٤٨٩٢

عَلَيْنَا أَنْ لَا يُشْرَكَ بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَنَهَانَا عَنِ النِّيَاحَةِ ، فَقَبَضَتْ

(١) أخرجه البخاري في: ٢٣ كتاب الجنائز: ٤١ باب من جلس عند المصيبة يعرف فيه الحزن ،
وللحديث روايات أخرى في البخاري تحت رقم : ١٣٠٥ ، ٤٢٦٣ .

(٢) أخرجه البخاري في: ٢٣ كتاب الجنائز: ٤٦ باب ما ينهى عن النوح والبكاء والزجر عن ذلك
وللحديث روايات أخرى في البخاري تحت رقم : ٤٨٩٢ ، ٤٢٦٣

امْرَأَةً يَدَهَا، فَقَالَتْ : أَسْعَدْتَنِي فَلَانَهُ أُرِيدُ أَنْ أَجْزِيَهَا، فَمَا قَالَ
لَهَا النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا، فَانْطَلَقَتْ وَرَجَعَتْ فَبَايَعَهَا ^(١).

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب تحريم النياحة على الميت وإباحة إظهار الحزن
عند المصيبة .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يتكون الباب من ثلاثة أحاديث تبين حرمة النياحة على الميت
وتشديد إنكار النياحة .

ففي الحديث الأول : تقول السيدة عائشة **ل** : (لَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ
ﷺ قَتَلَ ابْنَ حَارِثَةَ ، وَجَعَفَرَ ، وَابْنَ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، جَلَسَ يُعْرِفُ فِيهِ الْحُزْنَ)
أي لما جاء لرسول الله ﷺ خبر قتل القواد الثلاثة الذين عينهم لقيادة
الجيش في مؤته حزن عليهم حزنا شديدا ظهر على وجهه ﷺ فدل ذلك
على إباحة ظهور الحزن على من حلت به مصيبة ، أو مات أحد من
أهله وأحبابه .

ومن المعلوم أن الاعتدال في الحزن وفي الفرح هو المسلك الأقوم
، فمن أصيب بمصيبة عظيمة فعليه إلا يفرط في الحزن حتى لا يقع في
المكروه من اللطم والشق والنواح ، وغيرها ، ولا يفرط في التجلد حتى

(١) أخرجه البخاري في: ٦٥ كتاب التفسير: ٦٠ سورة الممتحنة: ٣ باب إذا جاءك المؤمنات

يفضي إلى القسوة والاستخفاف ، يقدر المصاب فيعتد به في تلك الحالة ،
والمطلوب أن يجلس عند المصيبة جلسة خفيفة بوقار وسكينة تظهر
عليه مخايل الحزن ، ويؤذن بأن المصيبة عظيمة .

وكان النبي ﷺ يجلس في المسجد المجاور لبيت أهل الميت ، وقد
رأت السيدة عائشة ل حزن النبي ﷺ لأنها كانت تنتظر إليه من شق
باب المسجد وذلك مستفاد من قولها (وَأَنَا أَنْظُرُ مِنْ صَائِرِ الْبَابِ، شَقُّ
الْبَابِ) وشق الباب بفتح الشين هو صائره ، فالجملة مفسرة لما قبلها أو
هي بدل اشتمال منها .

(فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنَّ نِسَاءَ جَعْفَرٍ ﷺ ، وَذَكَرَ بُكَاءَهُنَّ) أي أتى النبي ﷺ
رجل من أصحابه ، وأخبره بأن نساء جعفر بن أبي طالب ﷺ فعلمن بكاء
لا ينبغي فعله ففيه نوح أو ما يشبهه من البكاء المحرم ... ونساء جعفر
ﷺ هن زوجته أسماء بنت عميس الخزاعية ل ، ومن حضر عندها
من أقاربها ، ومن أقارب زوجها جعفر ﷺ ومن في معانها من قريب أو
صديق أو حبيب ، ولم يذكر أهل العلم زوجة لجعفر ﷺ غير أسماء
ل (فَأَمَرَهُ ﷺ أَنْ يَنْهَاهُنَّ) أي أمر النبي ﷺ الرجل أن يذهب إلى
النسوة فينهاهن عن النياحة في البكاء (فَذَهَبَ) الرجل إليهن ، فلم
يُطِعْنَهُ ، فعاد إلى رسول الله ﷺ فأمره أن يرجع إليهن ثانية ، وقال له :
(أَنْهَهُنَّ) ، فذهب إليهن فلم يطعنه ، فعاد إلى رسول الله ﷺ (فَأَتَاهُ الثَّالِثَةُ ،
وَقَالَ: وَاللَّهِ غَلَبَنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ) أي أقسم الرجل في المرة الثالثة لرسول الله
ﷺ وأكد له أنهن غلبنه ، ولم يطعن نهييه .

تقول عمرة **ل** رأوية الحديث عن السيدة عائشة **ل** (فَزَعَمْتُ) أي قالت السيدة عائشة **ل** ، والمراد بالزعم هنا القول المحقق (أَنَّهُ ﷺ قَالَ) للرجل (فَاحْتُ فِي أَفْوَهِنَّ التُّرَابِ) أي انثر التراب على وجوههن لينتبهن ، وينتهين .

وهذا يدل على أنهم رفعن أصواتهن بالبكاء وخص الأفواه بالثر لأنهما محل النوح بخلاف غيرها من الجوارح .

وقد ذهب البعض إلى أن حثو التراب في الوجوه ليس على حقيقته ، وإنما المراد به المبالغة في الزجر ، أو إعلامهن بأنهن خائبات من الأجر المترتب على الصبر لما أظهرن من الجزع ، كما يقال : (لِلْحَالِبِ الَّذِي لَمْ يَجِدْ لَبْنَا لَمْ يَحْصِلْ فِي يَدِهِ إِلَّا التُّرَابُ) ، أو للإشارة إلى أنهم لن تسكتوا إلا بسد أفواههن ، ولا يسدها إلا التراب فإن أمكنك فافعل .

فإن قيل : كيف لا تطع المؤمنات نهى النبي ﷺ ؟

أقول : يحتمل أن الرجل لم يعرف المؤمنات أن الناهي هو رسول الله ﷺ فتصورنه مرشدا للمصلحة ، من قبيل نفسه فلم يطعنه ... أو أنهم كن يبكين بكاء مباحا ، وعلمنا أن المنهي عنه الاسترسال في البكاء ، وأن الرجل نهاهن مخافة إفشاء بكائهن إلى الأمر المحرم لالتهاب عواطفهن ، وضعف صبرهن .

ويبدو أن النسوة لم يقعن في البكاء المحرم لأن رسول الله ﷺ لم يبذل الرجل ، ولو كان بكأوهن محرما لأرسل غيره لمنعهن ، ولذهب إليهن بنفسه ، لأنه ﷺ لا يقر على محرم ، ويبدو أن الرجل كان ضعيفا ، ولم

يكن مناسباً لهذه المهمة ، تقول عائشة **ل** (فَقُلْتُ: أَرْغَمَ اللَّهُ أَنْفَكَ) أي
ألصق الله أنفك بالتراب ، وهو دعاء بالذل والمهانة دعت به السيدة عائشة
ل على الرجل عندما أدركت أن تقصيره أدى برسول الله ﷺ إلى
الغضب والألم ، وقالت للرجل والله (لَمْ تَفْعَلْ مَا أَمَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَلَمْ
تَتْرُكْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْعَنَاءِ) أي أنك قاصر عن ما أمرت به من
الإنكار لنقصك وتقصيرك ، لأنك لم تخبر النسوة بما أمرك به رسول الله
ﷺ ولم تخبر النبي ﷺ بقصورك عن ذلك حتى يرسل غيرك ويستريح من
العناء .

ولم يُعرف أحد من المحدثين بهذا الرجل بسبب رأي السيدة عائشة
ل فيه .

وفي الحديث الثاني : تقول أم عطية **ل** : (أَخَذَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ
ﷺ عِنْدَ الْبَيْعَةِ أَنْ لَا نَنُوحَ) أي إن رسول الله ﷺ بايع النسوة ببيعة
الإسلام عندما جنن ليباعنه (فَمَا وَفَّتْ مِنَّا امْرَأَةً غَيْرُ خَمْسٍ نِسْوَةٍ: أُمُّ
سُلَيْمٍ، وَأُمُّ الْعَلَاءِ، وَابْنَةُ أَبِي سَبْرَةَ امْرَأَةٌ مُعَاذٍ ، وَامْرَأَتَيْنِ ؛ أَوْ ابْنَةُ أَبِي
سَبْرَةَ، وَامْرَأَةٌ مُعَاذٍ ، وَامْرَأَةٌ أُخْرَى) فما التزمت من النساء بترك النوح غير
خمسة فقط هن : -

١- أم سليم بنت فلحان والدة أنس ؓ .

٢- أم العلاء امرأة من الأنصار بايعت النبي ﷺ **ل** .

٣- أم كلثوم بنت ابن سبرة **ل** .

٤- أم معاذ ، وهي هند بنت سهل الجهنية رضي الله عنها ^(١).

٥- امرأة معاذ بن جبل رضي الله عنه وهي هند بنت خالد بن عمرو السلمية .
وقد توصل ابن حجر إلى تعريف الخمسة بعد بحث وتحليل ثم قال بعد ذلك : يختلج في نفسي أن الخامسة هي أم عطية راوية الحديث
ل فقد وجد ما يؤيده في رواية حفصة عن أم عطية قالت : (بايعنا النبي ﷺ وأخذ علينا فيما أخذ أن لا ننوح " ، فقالت امرأة من الأنصار : إن آل فلان أسعدوني في الجاهلية ، وفيهم مأتى فلا أباعك حتى أسعدهم كما أسعدوني ، فكأن رسول الله ﷺ وافقها على ذلك ، فذهبت فأسعدتهم ثم رجعت فبايعت النبي ﷺ ، قال : فقالت أم عطية : فما ففت امرأة منا غير تلك ، وغير أم سليم بنت ملحان) ^(٢)
إلا أنه تردد فيما تصوره حيث ورد (أن أم عطية لم تعد نفسها مع الخمسة بسبب ما فعلته النسوة يوم الحرة حيث قتل الكثير من أهل المدينة فجاء النسوة إليها فقامت معهن ولذلك لم تعد نفسها لذلك) ^(٣).
والحوادث واضحة الدلالة في أن النساء ناقصات عقل ودين ، فقد بايعن رسول الله ﷺ على ترك النوح ثم عدن إليه ما عدا هؤلاء الخمسة المذكورين .

فإن قيل : فهل جميع الصحابييات كن نائحات ما عدا هؤلاء الخمسة؟

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ٣ ص ١٧٦ .

(٢) مسند احمد بن حنبل ، مسند الأنصار ، حديث رقم : ٢٦٧١٢ .

(٣) فتح الباري ج ٣ ص ١٧٧ .

أقول : إن الخمسة المذكورات مستثنون من عدد قليل من الصحابييات وهن اللاتي جنن للنبي ﷺ وبايعنه على الاسلام ، ولم تكن سائر الصحابييات كذلك ولم يتعلق بهن الخبر .

وفي الحديث تقول أم عطية **ل** (بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَرَأَ عَلَيْنَا ﴿أَنْ لَا يُشْرَكَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ وَنَهَانَا عَنِ النَّيَاحَةِ) أي جننا لرسول الله ﷺ وبايعناه على ما بينه لنا فقرأ آية البيعة وما فيها من عناصر ، ثم نهانا بعد البيعة عن النياح (فَقَبَضَتْ امْرَأَةً يَدَهَا) أي قبضت حتى لا تباع على ترك النياح ، وكانت النسوة تباع بمد الأيدي نحو رسول الله ﷺ وهن داخل البيت ، ويمد رسول الله ﷺ يده وهو خارج البيت ، ولا يتلامسان ، وكان رسول الله ﷺ يقول : **أَللَّهُمَّ اشْهَد** ، أو كانت الأيدي تلتقي بحائل بينهما ، وقد ثبت في مراسيل أبي داود (أن النبي ﷺ حين بايع النساء ، أتى ببرد قطري فوضعه على يده ، فقال : " إني لا أصافح النساء)^(١) ولم تحدد أم عطية **ل** اسم المرأة التي قبضت يدها وتوقفت عن البيعة على ترك النياحة ، ويبدو أنها هي أم عطية **ل** أبهمت نفسها أو تحدثت بلسان الغائب ، (فَقَالَتْ : أَسْعِدْتَنِي فَلَانَةٌ أُرِيدُ أَنْ أَجْزِيَهَا) وفي رواية النسائي : (فَأَذْهَبَ فَأَسْعَدَهَا ثُمَّ أَجِيْتُكَ فَأَبَايَعُكَ ؟)^(٢).

(١) مراسيل أبي داود - ما جاء في الفياء والإمارة ، حديث رقم : ٣٥٠ .

(٢) السنن الصغرى للنسائي ، كتاب : البيعة ، باب بيعة النساء ، حديث رقم : ٤١٢٩

والإسعاد قيام المرأة بمعاونة امرأة أخرى عند حدوث مصيبة على أن تقوم المرأة الأخرى بمشاركة المرأة الأولى عند مصيبتها كأنه دين عليها ترده ، ولا يستعمل الإسعاد إلى في البكاء والمساعدة عليه .
(فَمَا قَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا) أي لم يأذن لها ولم يمنعها لعلمه أن المساعدة لا تتعدى البكاء المشروع ، (فَانْطَلَقَتْ) وساعدتها (وَرَجَعَتْ فَبَايَعَهَا ﷺ)

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب تحريم النياحة ، وتوضح أن رسول الله ﷺ لم يأذن بها لأحد ، وقد أرسل إلى نسوة جعفر بن أبي طالب ﷺ ينهاهن عن الصوت في البكاء فلم يطعن من نهاهم ، فأمره الرسول ﷺ بالتشديد عليهن في ترك ما نهى الله تعالى عنه ، ويبدو أن عادة الجاهلية في النياحة كانت عميقة لدرجة أن النسوة اللاتي هاجرن امتحنهن رسول الله ﷺ ليعلم صدقهن في الإيمان والهجرة ، وللتأكد من أنهن هاجرن لله ورسوله ﷺ لأن المرأة في مكة المكرمة كانت تهدد زوجها بالهجرة إذا غضبت منه ، فأمر الله تعالى رسوله ﷺ بامتحان المهاجرات ليعلم صدقهن ومبايعتهن ﴿عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقَنَّ وَلَا يَزْنِيَنَّ وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِيَنَّ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾^(١)

(١) سورة الممتحنة الآية : ١٢ .

وأن يترك النياحة فبايعن رسول الله ﷺ فلم تترك النياحة إلا خمسة منهن لتعمق النياحة في عواطفهن وأعماقهن .

وأما أم عطية **ل** فإنها توقفت عن البيعة لتذهب وتساعد صاحبها في البكاء فترد دينها ، ثم تأتي وتبايع بعد ذلك وقد فعلت ، وورد مثل ما فعلت أم عطية **ل** في مواقف أخرى منها : ...

- عن ابن عباس **م** ، قال : (لما بايع النساء لا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى قالت امرأة : يا رسول الله ، أراك تشترط علينا أن لا نتبرج ، وإن فلانة قد أسعدتني ، وقد مات أخوها فقال رسول الله ﷺ : " اذهبي فأسعديها ، ثم تعالي فبايعيني) ^(١).

- : حدثتنا أم سلمة الأنصارية **ل** ، قالت : (قالت امرأة من النسوة : ما هذا المعروف الذي لا ينبغي لنا أن نعصيك فيه ؟ قال : " لا تنحن " ، قلت : يا رسول الله إن بني فلان قد أسعدوني على عمي ولا بد لي من قضائهم ، فأبى علي ، فعاتبته مرارا ، فأذن لي في قضائهم ، فلم أنح بعد قضائهم ولا غيره حتى الساعة ، ولم يبق من النسوة امرأة إلا وقد ناحت غيري) ^(٢).

- حدثنا مصعب الأنصاري **ل** ، قال : (أدركت عجوزا لنا كانت فيمن بايعن النبي ﷺ قالت : أتيناها يوما فأخذ علينا : " أن لا تنحن " ، قالت

(١) المعجم الكبير للطبراني ، حديث رقم : ١١٤٨٠ .

(٢) سنن الترمذي - الجامع الصحيح ، كتاب الذبائح - أبواب تفسير القرآن عن رسول الله

ﷺ ، باب سورة الممتحنة ، حديث رقم : ٣٣١١ .

العجوز : يا رسول الله ، إن ناسا قد كانوا أسعدوني على مصيبة أصابتنى ، وإنهم أصابتهم مصيبة ، وأنا أريد أن أسعدهم ، ثم إنها أتته فبايعته ^(١).

ولهذا يحسن القول بالتدرج في تحريم النياحة ، وكانت أولا مباحة ، ثم كرهت كراهة تنزيهية ، ثم حرمت في المرحلة الثالثة وهذا هو بفعل الصحابييات المهاجرات .

يؤيد القول بهذا التدرج ما حدث بعد غزوة أحد ، فعن ابن عمر م (أن رسول الله ﷺ مر بنساء عبد الأشهل ، يبكين هلكاهن يوم أحد فقال رسول الله ﷺ : " لكن حمزة لا بواكي له " فجاء نساء الأنصار يبكين حمزة ، فاستيقظ رسول الله ﷺ فقال : " ويحهن ما انقلبن بعد ؟ مروهن فلينقلبن ، ولا يبكين على هالك بعد اليوم) ^(٢) فأباح الرسول ﷺ لهن البكاء فى المرحلة الأولى فلما نهى الله عنه نهاهم ﷺ وأمرهن بعدم البكاء بصوت على الميت بعد ذلك .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب تحريم النياحة على الميت، وتشديد نهيه ﷺ عنه ، وتشير الى تدرج الشريعة فى تحريم النوح .

(١) مسند أحمد بن حنبل - مسند المدنيين ، حديث رقم : ١٦٢٦١ .

(٢) سنن بن ماجه - كتاب الجنائز - باب ما جاء فى البكاء على الميت، حديث رقم : ١٥٨٦

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان فى أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز ... أهمها : -

الركيزة الأولى

بيان طبيعة المرأة

تختلف طبيعة الأنثى عن طبيعة الذكر في كل خلق الله ، فقد أقام الله الوجود على زوجين ذكر وأنثى ، وقدر سبحانه وتعالى ضرورة وجود الزوجين لتجديد الحياة ، وجعلهما الله تعالى طريقا للتكاثر ، والنماء ، والرعاية ، والتنشئة ، والتكوين ، ولا تمايز بين الزوجين ، فهما معا سبب وجود كل نوع .

نجد الذكر في الأنواع كلها يتصف بقوة البنية ، وضخامة البدن ، وتقدمه الإناث في المسير ، وإقدامه للدفاع عن أنثاه وأبنائه الصغار ، يرى الناس هذا التمايز بين الذكر والأنثى ويستفيدون منهما كل بما قدر الله له من إمكانيات وقدرات .

والزوجية في البشر لا تختلف عن هذه الحقيقة ، فالرجل قوي البنية ، مفتول العضلات ، يفكر بهدوء ، ويخطط ببراعة ، ويقارن بين الأشياء بعمق ، ويمكنه إخفاء السر إن طلب منه ذلك ، يحب العمل والكسب ، ويحرص على الاحتواء على زوجته وأولاده بالنفقة ، والتوجيه والحماية والقدرة .

والمرأة ضعيفة البنية ، لينة الجسد ، رقيقة المشاعر ، لا تتحمل المخاطر ، وتلجأ إلى من يدافع عنها ، وعواطفها أقوى من مشاعرها ، تنور لسبب بسيط ، وتبكي إذا رأت مصيبة مفاجئة ، خوفها أقوى من

شجاعتهما ، ومسئوليتها الكبرى تظهر في إدارة شئون البيت من داخله ،
وتربية الأبناء ، واختلاف طبيعة المرأة عن طبيعة الرجل لا تعني تمايز
بينهما في خلقه والإنسانية ، فهما في التكريم سواء ، ومن المفيد أن يقوم
كلا من الزوجين بواجبه في حدود طبيعته التي قدرها الله تعالى لكل منهما
.... ، يقوم الرجل بواجبه ويؤسس أسرته ، ويحن على زوجته ، ويربي
أولاده ، وينفق على الضعفاء من حوله .

وتقوم المرأة بواجبها ، فتحمل ولدها ، وترضعه وتنشئه ، وتحول
بيتها إلى مملكة من الجمال ، والأدب ، والمودة والتراحم .

إن الإسلام حين يتعامل مع الواقع يصلحه وينميه ... ولذلك نجد
حديث الباب يتعامل مع طبيعة المرأة برفق ، فيبايعهن رسول الله ﷺ ببيعة
خاصة تليق بهن ، وأن لا ينحن ، لأنهن عند المصائب يتملكهن الفزع
والهلع ... والأحاديث تبين أن النهي عن النوح احتاج للتدرج لأرتباطه عند
العربيات ، وتعمقه في عواطفهن لدرجة أنهن عند المصائب كن يتجمعن
ويتعاون في البكاء والنواح ، وظهر فيهن النائحة المستأجرة .
إن ملاحظة طبيعة المرأة تكريم لها ، حتى لا تكلف بما لا تطيق ،
ولا تلام على أمر لا تقدر عليه .

الركيزة الثانية **الإسلام هو منهاج المسلم**

أنزل الله دينه للناس ليستقيموا على منهجه ، وبعد تمام الإسلام
وكماله لم يعد للمسلمين أن يرجعوا لمنهج آخر .
وكانت المرأة قبل الإسلام تتوح على المصيبة التي تنزل بها أو
بأهلها وأقربائها ، فيعلموا صوتها، وتلطم الخدود ، وتشق الجيوب ، وتضع

التراب على رأسها .

فلما جاء الإسلام نهى رسول الله ﷺ النسوة عن النياحة ، وبايعهن على ذلك ، وصار عليهن الاستقامة على منهج الله تعالى في كل شأن من شئون الحياة .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد أحاديث الباب

نستفيد من أحاديث الباب ما يلي :-

- ١- من حق الولي اختيار من يساعد في القيام بمهامه .
- ٢- الحوار الحسن يوصل للنتائج الحسنة .
- ٣- النساء ناقصات عقل ودين .

- ٥ -

١١- باب نهى النساء عن اتباع الجنائز

[٥٤٣]، (١) حديث أم عطية **ل** قَالَتْ: نُهَيْتَا عَنْ اتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا ^(١). ١٢٧٨

- أ -

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب كراهية اتباع المرأة للجنائز .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

تقول أم عطية **ل** وهي نسيبة الانصارية : (نُهِيتَا عَنْ اتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ) أي نهانا رسول الله ﷺ نحن معاشر النساء أن نتبع الجنائز .

ولا حجة لمن قال إن الحديث لا يفيد حكماً لأن أم عطية **ل**

لم تحدد الناهي، لأن المحدثين اتفقوا على أن ما ورد بهذه الصيغة من الصحابي يعد حديثاً مرفوعاً ، لأن من ينهي الصحابة أو يأمرهم هو رسول الله ﷺ ، وعلى هذا جرى حكم البخاري ومسلم ، ويؤيد هذا روايات عرفت بالناهي وهو رسول الله ﷺ ، فقد روى الإسماعيلي بسنده قول أم عطية

ل (نهانا رسول الله ﷺ عن اتباع الجنائز) ^(٢)

وما رواه الطبراني بسنده إلى أم عطية **ل** أنها قالت : (لما

دخل رسول الله ﷺ المدينة جمع النساء في بيت ، ثم بعث إلينا عمر

(١) أخرجه البخاري في: ٢٣ كتاب الجنائز: ٣٠ باب اتباع النساء الجنائز .

(٢) ناسخ الحديث ومنسوخه لابن شاهين ، كتاب الجنائز ، حديث رقم : ٣١٦ .

بن الخطاب ؓ فقام على الباب ، فسلم عمر ؓ ثم قال : إني رسول رسول الله ﷺ إليك لأبايعنك على أن لا تسرقن ، ولا تزنين ، ولا تقتلن أولادكن ، ولا تأتين ببهتان تفتريه بين أيديكن وأرجلكن ، ولا تعصينه في معروف .

قالت أم عطية ل فأخرجنا أيدينا من خارج الباب وأخرج يده ، فبايعناه ، وأمرنا أن نخرج في العيدين العواتق والحيض ، ونهانا أن نخرج في جنازة أو نأتي جمعة ، فقلت لها : ما لا تعصينه ، قالت : النوح " (١)

(وَلَمْ يُعَزَّمْ عَلَيْنَا) أي ولم يؤكد علينا في المنع كما أكد علينا في غيره من المنهيات ، فكأنها قالت كره لنا اتباع الجنائز كراهة تنزيهية من غير تحريم .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يبين الحديث حكم اتباع النساء للجنائز وقد نهاهن رسول الله ﷺ عن الخروج للجنائز من غير تأكيد على المنع ولذلك اختلف الفقهاء في حكم اتباع النساء للجنائز .

فذهب الأحناف إلى منع خروجهن مع الجنازة ، ورأوا أنه مكروه كراهة تحريمية ، لقوله ﷺ (فارجعن مأزورات غير مأجورات) (٢).

وذهب الشافعية والحنابلة إلى أن خروج النساء في الجنائز مكروه

(١) المعجم الكبير للطبراني ، باب الفاء ، حديث رقم : ٢٠٩٩٦ .

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في اتباع الجنائز ، حديث رقم : ١٥٧٣ .

كراهة تنزيهية ، وليس بحرام لقوله ﷺ في حديث الباب (وَلَمْ يُعَزَّمْ عَلَيْنَا).
وأجاز المالكية خروج كبيرة السن للجنابة ، وكذا الشابة إذا آمنوا
الفتنة لجنابة من عظمت مصيبتة عليها كأب وأم ، وزوج وأبن ... الخ ،
أما من تخشى فتنتها فيحرم خروجها مطلقا .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب كراهة خروج المرأة خلف الجنابة منعا للفتنة ،
وحتى لا تقصر في الحقوق الواجبة عليها لزوجها وأبنائها .

- ه -

ركائز الدعوة في حديث الباب

يتضمن حديث الباب ركيزة هامة هي : -

ضرورة استبراء المسلم لدينه وعرضه

اتباع الجنابة حق من حقوق المسلم على إخوانه ، وقد شرع الله
اتباع الجنابة ، ودفن الميت ، وقراءة القرآن على قبره ، مع الانتظار قدر
ذبح الجذور وسلخه وتوزيعه وطبخه .

وقد لاحظ الإسلام ضرورة تنقية المجتمع من الفحشاء والمنكر ،
وحث المرأة على المكث في بيتها ، والإخلاص في عبادة الله تعالى ، وقد
شرع الله أن لا تخرج المرأة في الجنابة منعا للفتن ، ومحافظة على طهارة
المجتمع ، ونظافته ... وقد كره الفقهاء خروج المرأة منعا للفتنة ، لأن
إبعاد المرأة عن الرجل هو خير عوامل الطهارة في المجتمع ، والعمل به
من باب استبراء المسلم لدينه وعمله المستقيم .

- ٩ -

ملحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من الحديث الفوائد التالية : -

- ١- يستحب عدم اشتراك المرأة في اتباع الجنازة .
- ٢- للنسوة فقه خاص بهن .
- ٣- معاملة المرأة برفق ولين .

- ٦ -

١٢- باب في غسل الميت

حديث أم عطية الأنصارية **ل** قَالَتْ : دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ تُؤَفِّتُ ابْنَتَهُ **ل** فَقَالَ ﷺ : اغْسِلْنَهَا ثَلَاثًا أَوْ خَمْسًا أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، إِنْ رَأَيْتُنَّ ذَلِكَ، بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَاجْعَلْنَ فِي الْآخِرَةِ كَافُورًا أَوْ شَيْئًا مِنْ كَافُورٍ، فَإِذَا فَرَعْتُنَّ فَأَذِنِّي ، فَلَمَّا أَذْنَاهُ، فَأَعْطَانَا حَقُّهُ فَقَالَ: أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ تَعْنِي إِزَارَهُ ^(١) .

(١)، [٥٤٤]

١٢٥٣

حديث أم عطية الأنصارية **ل** قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَغْسِلُ ابْنَتَهُ **ل** فَقَالَ ﷺ: اغْسِلْنَهَا ثَلَاثًا أَوْ خَمْسًا أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَاجْعَلْنَ فِي الْآخِرَةِ كَافُورًا، فَإِذَا فَرَعْتُنَّ فَأَذِنِّي فَلَمَّا فَرَعْنَا أَذْنَاهُ فَأَلْقَى إِلَيْنَا حَقُّهُ فَقَالَ: أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ فَقَالَ أَيُّوبُ (أَحَدُ الرَوَاةِ): وَحَدَّثْتَنِي حَفْصَةَ **ل** بِمِثْلِ حَدِيثِ مُحَمَّدٍ، وَكَانَ فِي حَدِيثِ حَفْصَةَ اغْسِلْنَهَا وَتَرَا كَانَ فِيهِ ثَلَاثًا أَوْ خَمْسًا أَوْ سَبْعًا وَكَانَ فِيهِ أَنَّهُ قَالَ ﷺ : اِبْدَأْنَ بِمَيَامِنِهَا وَمَوَاضِعِ الْوُضُوءِ مِنْهَا وَكَانَ فِيهِ، أَنَّ أُمَّ عَطِيَّةَ قَالَتْ: وَمَشَطْنَاهَا ثَلَاثَةَ قُرُونٍ ^(٢)

(٢)، [٥٤٥]

١٢٥٤

حديث أم عطية **ل** قَالَتْ : لَمَّا غَسَلْنَا بِنْتَ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ لَنَا ﷺ وَنَحْنُ نَغْسِلُهَا: اِبْدَأْنَ بِمَيَامِنِهَا وَمَوَاضِعِ الْوُضُوءِ

(١)، [٥٤٦]

١٢٥٦

^(١) أخرجه البخاري في: ٢٣ كتاب الجنائز: ٨ باب غسل الميت ووضوئه بالماء والسدر .

^(٢) أخرجه البخاري في: ٢٣ كتاب الجنائز: باب ما يستحب أن يغسل وترا .

منها ^(١) .

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب كيفية غسل الميت وعدد مراته ، وموضع البدء به ، وما أمر به الرسول ﷺ في تغسيل ابنته **ل** .

- ب -

الدلالات اللغوية في أحاديث الباب

يشتمل الباب على ثلاثة أحاديث تبين كيفية غسل الميت ، وعدد مرات الغسل ، وموضع بدء الغسل من خلال تغسيل ابنة النبي ﷺ .

ففي الحديث الأول : تقول أم عطية الأنصارية **ل** وهي نسيبة سيدة من الأنصار اشتهرت بتغسيل من تموت في المدينة ، تقول : (دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ تُؤْفِتُ ابْنَتُهُ) أي دخل علينا رسول الله ﷺ (ونحن نغسل ابنته ، فقال : " اغسلنها) (٢) ، وابنته ﷺ المتوفاة هي زينب **ل** ابنته الكبرى ، زوج أبي العاص بن الربيع رضي الله عنه ، وأم أمانة ، توفيت آخر سنة ثمانية من الهجرة ، وقد صرح باسمها مسلم في صحيحه عن ام عطية **ل** قالت : (لما ماتت زينب بنت رسول الله ﷺ قال لنا رسول الله ﷺ : " اغسلنها ...) (٣) وصيغت اغسلنها أمر وهو يفيد الوجوب كما ذهب إليه الجمهور (ثَلَاثًا أَوْ خَمْسًا أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، إِنْ

(١) أخرجه البخاري في: ٣٣ كتاب الجنائز: ١١ باب مواضع الوضوء من الميت .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز باب ما يحب أن يغسل وترا .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب في غسل الميت ، حديث رقم : ١٦١٠ .

رَأَيْتُنَّ ذَلِكَ، بِمَاءٍ وَسِدْرٍ) أي أغسلنها ثلاث مرات أو خمس مرات أو أكثر من ذلك أي سبع مرات إن رأيتن حاجتها إلى التطهر والانتقاء إلى هذا العدد .

والعدد ليس واجبا لقول رسول الله ﷺ (إِنْ رَأَيْتُنَّ ذَلِكَ) فإن الواجب لا مجال فيه لرأي ، (وَأَجْعَلْنَ فِي الْآخِرَةِ كَافُورًا أَوْ شَيْئًا مِنْ كَافُورٍ) أي اخلطن الماء بالسدر المسحوق ، فهو في التطهير .
واجعلن في المرة الأخيرة كافورا أصيبه في الماء ، وبه قال الجمهور ، وقال النخعي والكوفيون إنما يجعل الحنوط أي بعد انتهاء الغسل والتجفيف لكونه يطيب الرائحة فتحضر الملائكة ، ويطرد الهوام ، ويزيل ما تحلل من الفضلات ، وهو أقوى الروائح في تلك الأمور ، وقد جعله أخيرا في الغسل حتى لا يزيله الماء .

(فَإِذَا فَرَغْتُنَّ فَادْنَيْي) أي إذا انتهيتن من غسلها فأعلمني .
(فَلَمَّا آذَنَاهُ) أي فلما انتهينا من غسلها على النحو الذي ذكره رسول الله ﷺ لنا عرفناه بانتهائنا .

(فَأَعْطَانَا حَقُّوهُ فَقَالَ ﷺ : أَشْعَرْنَهَا إِيَّاهُ تَغْنِي إِزَارَهُ) أي لما علم رسول الله ﷺ انتهاءنا من غسلها أعطانا (حَقُّوهُ) بكسر الحاء وسكون القاف ، وهي الإزار كما فسرته أم عطية ل .

والحكمة في تأخير الإزار معه ﷺ إلى أن يفرغن من الغسل ولم يناولهن إياه أولا ليكون قريب العهد من جسده الكريم ، حتى لا يكون بين انتقاله من جسده ﷺ إلى جسدها فاصل ، وهذا التبرك خاص برسول الله

ﷺ كالشرب من فضل مائه ﷺ .

وفي الحديث الثالث : تقول أم عطية **ل** لما غسلنا ابنة النبي ﷺ قال لنا ونحن نغسلها (ابْدَأْنَ بِمَيَّامِنِهَا وَمَوَاضِعِ الْوُضُوءِ مِنْهَا) أي إنه ﷺ أمرهن بأن يغسلن أبنته وترا ، وأن يوضئنها ، وأن يبدان في غسلها باليمين .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تناولت أحاديث الباب تغسيل الميت ، وأشارت إلى كثير من أحكامه ، وأهم هذه الأحكام ما يلي :

أولاً

شخصية القائم بالغسل

ينبغي لغاسل الميت أن يكون أميناً عارفاً بأحكام الغسل ، لقوله ﷺ : (**ليغسل موتاكم المأمونون**) ^(١) حتى لا يشيع سوء ما يراه على الميت إلا إذا كانت إشاعة السوء في مصلحة عامة ، وإذا رأى خيراً من الميت استحب له إظهاره ليكثر الترحم عليه ، ويحصل الحث على طريقته في الحياة والتبشير بجميل سيرته .

ثانياً

كيفية الغسل

يشترط لصحة الغسل أن يكون الماء طاهراً مباحاً ، واستحب الأحناف أن يكون ساخناً مختلطاً بالسدر ونحوه ، وأن يحمل الميت على مكان مستور لا يدخله إلا الغاسل ، ومن يعاونه ، كما يستحب أن يكون

(١) سنن ابن ماجه ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في غسل الميت ، حديث رقم : ١٤٥٦ .

المكان له سقف .

ويبدأ الغاسل بلف يديه بخرقه خشنة يمسح بها عورة الميت من غير لمس ، ويعد لغسل السبيلين خرقه خاصة ، ويكره للغاسل أن ينظر إلى بدن الميت إلا لضرورة ، ويكره له أيضا أن يقف على دكة ، ويجعل الميت بين رجليه ، بل يقف بجواره ويقبله حين غسله .

ونية الغسل واجبة عند الشافعي في أحد قوليه ، وفي احمد في رواية عنه ^(١)

وذهب المالكية وهو الظاهر عن الشافعيه ورواية للحنابلة الى أن نية الغسل ليست شرطا في تغسيل الميت ^(٢)

وذهب الحنفية الى أن النية ليست شرطا لصحة الطهارة ولكنها شرط لإسقاط الفرض عن المكلفين ^(٣).

ويستحب تجريد الميت من ثيابه عند تغسيله ليتحقق التطهير ، **وذهب الشافعي** ورواية عن أحمد إلى تغسيل الميت في قميصه ، وقال أحمد : يعجبني أن يغسل الميت وعليه ثوب رقيق ينزل الماء فيه ، ويدخل يده من تحته ، وأما ستر عورة الميت فهو واجب متفق عليه بين جميع الفقهاء ، وستر البدن كله واجب للرجل المحرم يغسل امرأة ، أو المرأة المحرم تغسل الرجل .

ويوضع الميت عند التغسيل على سرير ، أو لوح مهيا للغسل طولا ،

(١) نهاية المحتاج ج٢ص٤٤٢ ، المغني ج٢ص٤٦٣ .

(٢) روضة الطالبين ج٢ص٩٩ غاية المنتهى ج١ص٢٢٣

(٣) حاشية ابن عابدين ج١ص٥٧٧

وتكون موضع رأسه أعلى من بدنه لينحدر الماء .

ويبدأ الغاسل بتجتيته بلا إجلال وعصر في أول الغسل عن أبي

حنيفة ومحمد ، ويرى الشافعية والحنابلة إجلاله وتجتيته وعصر بطنه .

ثم يوضئنه وضوء الصلاة ، ولا يدخل الماء في فمه وأنفه ، ويزيل

ما فيهما من أذى بخرقه يبللها ، ويجعلها على أصبعه ، ويمسح أنفه وفمه

وأسنانه ، وعلى ذلك عمل الناس اليوم .

ويرى المالكية والشافعية المضمضة والاستنشاق بالماء ، ويميل

الغاسل رأس الميت لإخراج الماء من فمه وأنفه .

وبعد الوضوء يضعه على شقه الأيسر ، فيغسل شقه الأيمن ، ثم

يضعه على شقه الأيمن فيغسل شقه الأيسر .

والواجب في غسل الميت مرة واحدة ، ويستحب أن يغسله ثلاثا كل

غسلة بالماء والسدر ، أو ما يقوم مقامه ، ويجعل في الآخرة كافورا أو

غيره من الطيب إن امكن .

وإن رأى الغاسل أن يزيد على ثلاث غسلة خمسا أو سبعا ،

ويستحب أن لا يقطع إلا على وتر .

وإن خرج من الميت شيء بعد تغسيله يكتفي بغسل الموضع ولا

يعاد تغسيله .

وقال البعض يعاد تغسيله ، وقال غيرهم يعاد وضؤه .

ويستحب استعمال البخور عند تغسيل الميت لئلا تشم منه رائحة

كريهة ، ويزدا البخور عند عصر بطنه .

وأما تسريح الشعر وتقليم الأظافر ، وحلق العانة ، ونتف الأبط ، فلا

يفعل بشيء من ذلك عند الأحناف ، وهو قول للحنابلة في العانة ، وتقليم الأظافر ، وهو مذهب الشافعية في القديم والمالكية ، وحجة هؤلاء جميعا أن ذلك يفعل لحق الزينة ، والميت ليس بمحمل الزينة ، فلا يزال عنه شيء مما ذكرنا ، وأما إن كان ظفره منكسرا فلا بأس بأخذه .

وذهب الشافعية في الجديد إلى فعل كل ذلك ، وإليه ذهب الحنابلة في قص الشارب ، وتقليم الظفر إن كان فاحشا ، ورواية عن احمد في حلق العانة .

وإذا فرغ الغاسل من تغسيل الميت نشفه بثوب لئلا تبتل أكفانه ، وفي حديث أم سليم ل (فإذا فرغت منها فألقي عليها ثوبا نظيفا)^(١). وبعد ذلك يكون تكفين الميت ، وهو ما سيأتي بعد^(٢).

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب وجوب تغسيل الميت ، وتوضيح كفيته وتذكر أهم الأحكام الشرعية المتصلة به .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب ركيزة هامة هي : -

طهارة الإنسان حيا وميتا

يخرج الإنسان من بطن أمه طاهرا نظيفا ، فإذا شب يرشده الله تعالى إلى ما يبقى على نظافته ، فيعلمه الوضوء والغسل ، وإزالة النجاسات بكل

(١) السنن الكبرى للبيهقي ، كتاب الجنائز ، باب غسل المرأة ، حديث رقم : ٦٣٨٦ .

(٢) انظر مادة تغسيل في الموسوعة الفقهية الكويتية .

أنواعها ، ويوجهه إلى أن يتخذ من طهارة الظاهر منها طهارة الباطن ، ويستمر هكذا إلى أن يلقي الله تعالى رجاء أن يلقاه على طهارته لا يتأذى منه ملك يأتيه ويسأله .

فإذا بلغ الإنسان أجله ، وجب على الأحياء أن ينقلوه إلى قبره ، ويدفنوه طاهرا نظيفا ، فيغسلونه غسلا شاملا فيه الاستنجاء والوضوء والغسل ، ويلقنونه الشهادة عند موته ، وعند دفنه ، ويدعون الله له ليلهمه الصواب ، ويقرأون على قبره القرآن ليغفر الله له ... والأمل أن تلقاه الملائكة طاهر الظاهر والباطن ... ويتقن الإجابة ، ويعيش في قبره روضة من رياض الجنة .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من الحديث الفوائد التالية : -

- ١- وجوب غسل الميت على أهله وذويه .
- ٢- الأحياء مسئولون عن أمواتهم يقضون دينهم ، ويسلمون أماناتهم ، وينفذون وصاياهم .
- ٣- الأموات يحتاجون من الأحياء الدعاء والاستغفار .

- ٧ -

١٣- باب في كفن الميت

حديث حَبَّاتٍ ﷺ ، قَالَ: هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نَلْتَمِسُ وَجْهَهُ [٥٤٧]، (١)

١٢٧٦
الله، فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللهِ، فَمِنَّا مَنْ مَاتَ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ
شَيْئًا، مِنْهُمْ مُصَنَّبُ بْنُ عُمَيْرٍ ﷺ ؛ وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ
ثَمَرَتُهُ، فَهُوَ يَهْدِيهَا قَتْلَ يَوْمٍ أَحَدٍ فَلَمْ نَجِدْ مَا نُكْفِّهِ إِلَّا بُرْدَةً
إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ خَرَجَتْ رِجْلَاهُ، وَإِذَا غَطَّيْنَا رِجْلَيْهِ خَرَجَ
رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نُغْطِيَ رَأْسَهُ وَأَنْ نَجْعَلَ عَلَى
رِجْلَيْهِ مِنَ الْإِنْخَرِ (١) .

حديث عائشة لَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَفَّنَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ [٥٤٧]، (٢)

١٢٦٤
يَمَانِيَّةٍ بَيْضٍ سَحُولِيَّةٍ مِنْ كُرْسُفٍ ، لَيْسَ فِيهِنَّ قَمِيصٌ وَلَا
عِمَامَةٌ (٢)

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أن الميت يكفن في ثلاث أثواب سحولية وإذا لم
يوجد ما يكفن به كفن بثوبه الذي مات فيه .

(١) أخرجه البخاري في: ٢٣ كتاب الجنائز: ٢٨ باب إذا لم نجد كفنا إلا ما يوري رأسه أو قدميه
غطى رأسه ، وللحديث روايات في البخاري تحت أرقام ٣٨٩٧ ، ٣٩١٣ ، ٣٩١٤ ، ٤٠٤٧ ،
٤٠٨٢ ، ٦٤٣٢ ، ٦٤٤٨ .

(٢) أخرجه البخاري في: ٢٣ كتاب الجنائز: ١٩ باب الثياب البيض للكفن ، وللحديث روايات
أخرى في البخاري تحت رقم: ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٣٨٧ .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يتضمن الباب حديثين يبينان عدد الأثواب التي يكفن فيها الميت ،
ووتوضح أن من لم يجد من الأحياء ثيابا للكفن يدفن بثوبه الذي مات فيه
ففي الحديث الأول : يقول خباب بن الارت رضي الله عنه : (هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ)
وخاباب بفتح الخاء المعجمة ، وباءين أولهما مشددة ممدودة ، وهو
صحابي جليل أسلم قبل الهجرة ، وهاجر مع الصحابة رضي الله عنهم إلى المدينة
ليكونوا مع رسول الله ﷺ كما أمرهم (نَلْتَمِسُ وَجْهَ اللَّهِ) أي نقصد طاعة الله
تعالى وحده .

(فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ) أي وجب أجرنا على الله وجوبا شرعيا كما وعد
سبحانه وتعالى ، ووعدده لا يتخلف ، لا وجوبا عقليا لأن الله تعالى لا
يجب عليه شيء ، وجرت أحوال عديدة للمهاجرين ليست على صورة
وأحدة (فَمِنَّا مَنْ مَاتَ) أي لقي ربه شهيدا (، لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا) لم ينل
من غنيمته شيئا ، لأنه لم يدرك الفتوحات والغنائم ، (مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ
عُمَيْرٍ) رضي الله عنه الذي نشأ في مكة وحيد والديه الأثرياء ، وعاش معهما عيشة
الأغنياء ، يلبس الحرير ويتعطر بأحلى العطور ، حتى إنه عرف بأعطر
شباب مكة ، فلما دخل الإسلام حرمه أبواه من المال ، وأرسله رسول الله
ﷺ إلى المدينة قبل الهجرة يعلم أهلها القرآن الكريم ، فادخل القرآن في كل
بيت (حتى عرف بالقارئ والمقرئ) ، اشترك في غزوة بدر واستشهد
باحد ، ولم ينل غنيمة قط لعدم وجود غنائم في الغزوتين .
(وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ) أي ومن المهاجرين من اشترك في الغزو ونال

غنيمة ، فنضجت ثمرته وأخذ أجرا في الدنيا قبل أجر الآخرة (فَهُوَ يَهْدُبُهَا) بفتح الياء وكسر الدال وآخره باء من باب ضرب يضرب ، ويجوز ضم الدال من باب نصر ينصر ، ومعناها يجنيها ، ويأكل من ثمرتها في الدنيا

ومن الفريق الأول الذي مات قبل أن ينال شيئا من الغنيمة مصعب ابن عمير ؓ فإنه (قَتَلَ يَوْمَ أُحُدٍ فَلَمْ نَجِدْ مَا نُكْفِّهِ إِلَّا بِرْدَةً) أي لم نجد له كفنا إلا بردة كان يلبسها ، وكانت قصيرة ، (إِذَا غَطَيْنَا بِهَا رَأْسَهُ خَرَجَتْ رِجْلَاهُ، وَإِذَا غَطَيْنَا رِجْلَيْهِ خَرَجَ رَأْسُهُ) فأخبرنا بذلك رسول الله ﷺ ليدلنا على ما نفعله (فَأَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نَغْطِيَ رَأْسَهُ وَأَنْ نَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ مِنَ الْإِنْخَرِ) ، و(الْإِنْخَرِ) بكسر الهمزة ، وسكون الدال ، وكسر الخاء نبات عشبي رقيق الأعواد يبيض إذا جف ، ناعم الملمس ، طيب الرائحة ، ينبت في السهول والمناطق الحارة .

وفي هذا الحديث دلالة على أن من مات ولم يجد كفنا يكفن في ثوب ، ويغطي ما زاد عن الثوب بالأذخر ، وإذا لم يجد ثوبا أصلا يغطي بدنه بالأذخر .

وفي الحديث الثاني: تؤكد السيدة عائشة **ل** زوج النبي ﷺ

(أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كُفِّنَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ يَمَانِيَّةٍ بَيْضِ سَحُولِيَّةٍ مِنْ كُرْسُفٍ، لَيْسَ فِيهِنَّ قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ) أي إن رسول الله ﷺ لما مات كفنوه في ثلاثة أثواب مصنوعة في اليمن من القطن ولونها أبيض ،والكرسف هو القطن والسحولية هي البيضاء وحيث إن الله تعالى لا يختار لنبيه ﷺ إلا

الأفضل فهذا هو الأفضل في التكفين ، وفي أثواب التكفين ، وعددها ، ولونها .

- ج -

البيان لتحليلي لأحاديث الباب

ذهب الفقهاء إلى أن تكفين الميت بما يستتره فرض على الكفاية لما روي أن رسول الله ﷺ قال : (ألبسوا من ثيابكم البياض وكفنوا فيها موتاكم ، فإنها من خير ثيابكم)^(١)

ويكفن الميت بجنس ما يجوز لبسه ، فلا يكفن الرجل بالحرير مع تحسينه ، كما كان يلبس في الجمع والأعياد ما لم يوص بأدنى من ذلك .
وقد فصل الفقهاء في انواع الكفن

فذهب الأحناف إلى أن الكفن ثلاثة أنواع يختار للميت واحدة

منها وهي : -

١- كفن السنة :

وهو للرجل ثلاثة أثواب إزارا وقميص ولفافة .

والقميص يمتد من أصل العنق إلى القدمين بلا اتساع وبلا أكمام ، والإزار يمتد من أعلى الرأس إلى أسفل القدم ، واللفافة مثل الإزار .

وهو للمرأة خمسة أثواب هي : قميص وإزار ، وخمار ولفافة ، وخرقة تربط فوق ثدييها .

٢ - كفن الكفاية :

وهو أدنى ما يلبس حال الحياة ، وهو ثوبان للرجل ، والمراهق كالرجل ،

(١) صحيح ابن حبان ، كتاب اللباس وآدابه ، حديث رقم ٥٥٠٠ .

وأما المرأة فأدنى ما تكفن به ثلاثة أثواب (إزار ، ورداء ، وخمار)
والمراهقة مثل المرأة .

٣- كفن الضرورة :

وهو التستر بما وجد حال الضرورة ، وأقله ما يعم البدن ، ولو كان ثوبا
واحدا للرجل والمرأة .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أن أفضل الأكفان كفن رسول الله ﷺ المكون
من ثلاثة أثواب بيض من القطن .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب ركيزة هامة ... هي : -

للميت حياة أخرى

يتصور من لا دين لهم أن الموت عدم محض ، وأن انفصال الروح
عن الجسد يعني انتقال الروح إلى جسد آخر وهلاك الجسد بالكلية ، وهذا
يؤدي إلى الفناء المطلق الذي لا حياة بعده أبدا ... والإسلام يؤكد أن
الموت على غير هذا التصور لأن الموت في الإسلام يعني انتقال من
حياة دنيا إلى حياة أعلى وأرقى تستمر فيها الأرواح ، وتلتقي بأجسادها في
بعث جديد .

ولهذا

حُسِّن إعداد الميت لهذه الحياة ، ووضعه فيها بثوب جديد لونه
أبيض ، مصنوع من القطن ، ويستتر الجسد كله ، ويقابل به الميت

الملائكة ، يلتقي بأهله وأصحابه والصالحين ، لأن من مات قد قامت قيامه ، ويتحول القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار
إن حياة البرزخ حقيقة ثابتة في الإسلام ، والموتى يدركون ما يحدث مع أهلهم إلا إنهم لا يتكلمون .

وعند النفخة الثانية تعود الأرواح لأجسادها ، ويستجوبون للصيحة ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ ^(١) ... وتلتقي الخلائق جميعا ، ويجمع الله الأهل والأحباب ما كانوا مؤمنين .

إن تكفين الميت رمز حقيقي لحياة ما بعد الموت ، فليست هي العدم والفناء ، ولكنها الحياة في الحقيقة فخيرها كثيرة ، ومتعتها خالصة ، ولا عمل فيها ولا تكليف ، إنها التمتع والراحة والسعادة ، يقول الله تعالى ﴿ وَإِنَّ أَلَدَارَ الْآخِرَةِ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٢)

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الأحاديث

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية : -

- ١- وجوب ستر الميت وتكفينه في أثواب جديدة بيضاء مما كان يستعملها في حياته .
- ٢- الشهداء أحياء عند ربهم ، وأجرهم ثابت يلقونه عند ربهم .
- ٣- يساوي الإسلام بين الناس عند الموت كما ساوى بينهم في الدنيا .
- ٤- بيان عظمة الإسلام وشمول تشريعاته للإنسان حيا وميتا .

(١) سورة الزمر الآية : ٦٨ .

(٢) سورة العنكبوت الآية : ٦٤ .

- ٨ -

١٤- باب في تسجية الميت

حديث عائشة رضي الله عنها ل زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ [٥٤٩]، (١)

حِينَ تُؤْفَى سُجِّي بِبُرْدٍ حَبْرَةٍ (١) . ٥٨١٤

- أ -

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب جواز تغطية الميت ب (حبرة) على وزن عنبه .

- ب -

الدلالات اللغوية في حديث الباب

تؤكد السيدة عائشة رضي الله عنها ل أن رسول الله ﷺ (حِينَ تُؤْفَى سُجِّي بِبُرْدٍ حَبْرَةٍ) أى غطى رسول الله ﷺ بعد وفاته ببرد حبرة ، وحبرة على وزن عنبه وهو ثوب مخطط لونه أخضر ومصنوع من قطن وهى من أفخر الثياب وقد غطى به ﷺ وذلك لما أراد عمر رضي الله عنه (أن ينهى عن حلل الحبرة ، قال له أبي ﷺ : " ليس ذلك لك قد لبسهن النبي ﷺ ولبسناهن في عهده) (٢).

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يبين حديث الباب جواز تغطية الميت قبل تغسيله وتكفينه ببرد حبرة وهى ثوب مزين مخطط يصنع فى اليمن من القطن لونه أخضر كلون الجنة وهو من أفخر ثياب أهل اليمن وقد لبسه النبي ﷺ فى حياته

(١) أخرجه البخاري في: ٧٧ كتاب اللباس: ١٨ باب البرود والحبرة والشملة .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ، مسند الأنصار ، حديث رقم : ٢٠٧٥٩ .

ولبسه الصحابة ﷺ ولم ينكر عليهم وتغطية المسلم به بعد موته جائزة

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب جواز تغطية الميت قبل غسله بثياب حبرة وهى ثياب مخطط مزين لونه أخضر يصنع من القطن

- ه -

ركائز الدعوة فى حديث الباب

يتضمن حديث الباب ركيزة هامة ... هي : -

فسوة النظر إلى الميت

ينقلب حال الإنسان بالموت ، ويتحول من إنسان يتحرك ويتكلم ، ويسمع ، ويقرر ، ويأمر ، ويعمل إلى جثة هامة ساكنة ، يلتف حولها الأحباب والأصحاب والأقارب ، وينادونها فلا تجيب ، ويدعون لها ، ويعاودون معها الذكرى .

إن العاقل يرى هذا ويقارنه بما كان عليه ، فتحزن الزوجة ، ويبكي الأولاد ، ويمتلئ المكان بالناس ، وكل له ذكرى معه ، يعيشونها وهم صامتون .

إن الموت له رهبة قاسية ، وفيه آلام كثيرة ، ولذلك شرع الإسلام تغطية الميت تخفيفا لهذه الحال ، ومن أراد رؤيته فليرفع الغطاء عن رأسه ويقبله ، ويدعو له .

ولي في هذه الحالات ذكريات مع والدي ووالدتي وأبنائي الذي لقوا ربهم رأيت فيها الذهول والقسوة ، ورأيت الحاجز الذي صنعه الموت بيني وبينهم ، فقد ودعتهم بلا مجيب .

إن الأحياء مكلفون بإعانة الموتى بإقامة الأمور الصالحة التي نادوا بها ، ولذلك كان من صلة رحم الآباء أن يقوم الأبناء بصلة الأرحام التي كانوا يقومون بها، وحب من أحبوا ، وإحياء القيم النبيلة التي عملوا لها.

وبهذا المنهج تستمر الصلة بين الأموات والأحياء إلى أن يجمعهم الله تعالى في الفردوس الأعلى .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من حديث الباب الفوائد التالية : -

- ١- من تكريم الميت الإسراع في دفنه .
- ٢- يستحب تقديم الخير للميت بكافة الصور المشروعة .
- ٣- ضرورة إعانة المشيعين للميت بالذكر والدعاء ، وتجديد دعوته الصالحة .
- ٤- الدنيا والآخرة حياة واحدة تنقسم إلى جزئين مترابطين .

- ٩ -

١٦- باب الإسراع بالجنابة

حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **أَسْرِعُوا بِالْجَنَازَةِ** [٥٥٠]، (١)
فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا ، وَإِنْ يَكُ سِوَى ذَلِكَ، فَشَرٌّ
تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ (١) .

١٣١٥

- أ -

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب استحباب الإسراع في دفن الميت

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال (أَسْرِعُوا بِالْجَنَازَةِ فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا، وَإِنْ يَكُ سِوَى ذَلِكَ، فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ) أى إن سرتهم بالجنابة إلى القبر فأسرعوا ، والمراد بالإسراع شدة المشى زيادة عن المشى المعتاد بشرط أن لا ينتهى إلى شدة يخاف معها حدوث مفسده بالميت أو مشقة على الحامل ، أو تعب المشيعين حتى لا ينافى المقصود من دفنه ونظافته وادخال المشقه على الناس ، ويفيد الحديث استحباب سرعة تجهيز الميت ودفنه تخفيفا على مشيعيه وأهله المحيطين به .

والمقصود العام للحديث أن لا يتباطأ أهل الميت بدفنه وأن لا ينتظرو المباهات والاختيال ، وإقامة السراقات ، ودعوة الأبعدين والأقربين للحضور .

ويرى البعض أن الإسراع لا يشمل التجهيز ، لأن الحديث خاص بحمله

(١) أخرجه البخاري في: ٢٣ كتاب الجنابة: ٥٢ باب السرعة بالجنابة .

لقوله ﷺ (تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ) ، ولأن الإسراع في التجهيز قد يؤدي إلى تقصير فيه .

(فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً) أى إن تك الجثة المحمولة صالحة فى عملها قبل الموت (فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا) أى فهو خير تسرعون بها إليه ، أو فلها خير ، أو فهناك خير ، ويؤيد ذلك رواية مسلم بلفظ (قربتموها إلى الخير) ^(١)

وتأنيث الضمير فى (تُقَدِّمُونَهَا) على تأويل الخير بالرحمة أو الحسنى .
(وَإِنْ يَكُ سِوَى ذَلِكَ) أى وإن تك الجثة فى عملها غير صالحة (فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ) فتستريحوا من ثقلها ، وتدعون الله لها.

يقول النبي ﷺ : (إذا مات أحدكم فلا تحبسوه ، وأسرعوا به إلى قبره) ^(٢) وهذا يشمل الإسراع بكافة صوره ، وبهذا المعنى يقول ﷺ : (لا ينبغي لجيفة مسلم أن تحبس بين ظهرائي أهله) ^(٣)

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

اتفق جميع الفقهاء والعلماء على وجوب تغسيل الميت وتكفينه والصلاة عليه والاسراع فى دفنه ، إلا أنهم اختلفوا فى طبيعة الإسراع المطلوب وحكمه بعد اتفاقهم على استحباب الإسراع خلافا لابن حزم الذى قال بوجوبه .

(١) صحيح مسلم - كتاب الجنائز باب الإسراع بالجنابة ، حديث رقم : ١٦٢٠

(٢) المعجم الكبير للطبراني ، حديث رقم : ٣٣٩٥ .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الجنائز ، باب التعجيل بالجنابة وكراهية حبسها ، حديث رقم :

فقال الأحناف : الإسراع المستحب هو شدة المشى على أن يمشوا بالجنابة مسرعين وفى المبسوط : ليس فى تحديد السرعة شىء محدد غير أن العجلة أحب الى أبى حنيفة .

وذهب الشافعية والجمهور إلى أن الاسراع هو ماكان فوق المشى المعتاد ، ويكره الاسراع الشديد .

ومال القاضى عياض إلى أنه لا خلاف فى السرعة بين الفقهاء لأن من استحبه أراد الزيادة عن المشى المعتاد ومن كراهه أراد الافراط فيه كالرمل ^(١)

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث سرعة حمل الميت ودفنه

- ه -

ركائز الدعوة فى حديث الباب

يتضمن حديث الباب ركيزة هامة ... هي :
إعانة الميت

إذا مات الإنسان ووقع أجله فقد انقطع عمله ، وصارت الآخرة داره التي سينتقل إليها، وأصبح شأنه في امس الحاجة لمن يعينه ويساعده ، وهي عديدها منها : -

- ١- الإسراع في دفنه ليرى الخير الذي عمل له .
- ٢- التفرغ للدعاء له ، وقراءة القرآن الكريم لأنه يسأل عقب دفنه .
- ٣- قيام الصالحين بزيارته في قبره ، والدعاء له من ولد أو من غيره .

(١)فتح الباري ج ٣ ص ١٨٤ .

- ٤- تنفيذ وصياه الخيره التي أوصى بها في حياته .
- ٥- اتباع علم علّمه غيره ودعابه .
- ٦- متابعة جهوده لإصلاحية على نحو مانتقام به .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

- نستنبط من حديث الباب الفوائد التالية : -
- (١) استحباب الإسراع في دفن الميت .
 - (٢) يستحب الدعاء له وقراءة القرآن .

- ١٠ -

١٧- باب فضل الصلاة على الجنازة

واتباعها

[٥٥١]، (١) حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَنْ شَهِدَ

الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ ، وَمَنْ شَهِدَ حَتَّى تُدْفَنَ ١٣٢٥

كَانَ لَهُ قِيرَاطَانِ ، قِيلَ : وَمَا الْقِيرَاطَانِ قَالَ : مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ (١) .

[٥٥٢]، (٢) حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ وَعَائِشَةُ ل حَدَّثَ ابْنُ عُمَرَ م

أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ؓ يَقُولُ : مَنْ تَبَعَ جَنَازَةً فَلَهُ قِيرَاطٌ . ١٣٢٣، ١٣٢٤

فَقَالَ ؓ : أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ ؓ عَلَيْنَا .

فَصَدَّقَتْ ، يَعْنِي عَائِشَةُ ل أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ؓ ؛ وَقَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُهُ .

فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ م : لَقَدْ فَرَطْنَا فِي قَرَارِيطَ كَثِيرَةٍ (٢)

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب فضل شهادة الجنازة والصلاة عليها ، واتباعها إلى القبر .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على حديثين يبينان فضل الصلاة على الميت ، وفضل

(١) أخرجه البخاري في: ٢٣ كتاب الجنائز: ٥٩ باب من انتظر حتى تدفن .

(٢) أخرجه البخاري في: ١٣ كتاب الجنائز: ٥٨ باب فضل اتباع الجنائز .

اتباع جنازته .

ففى الحديث الأول يقول أبو هريرة رضي الله عنه : إن رسول الله ﷺ قال (مَنْ

شَهِدَ الْجَنَازَةَ) أى من حضر الجنازة وانتظرها حتى يتم غسلها وتكفينها وتبعها (حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَيْهَا) بفتح اللام فى (يُصَلِّي) أو بكسرهما على أن رواية الفتح محمولة على معنى رواية الكسر لأن حصول القيراط متوقف على قيام الحاضر بالصلاة ، يؤيد ذلك ما رواه الإمام احمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : " من جاء إلى جنازة فمشى معها من أهلها حتى يصلى عليها فله قيراط ، ومن انتظر حتى تدفن ، أو يفرغ منها فله قيراطان مثل أحد)^(١)

ومعنى (من أهلها) أى من بيت أهلها فقد جاء (من خرج مع جنازة من بيت أهلها)^(٢) وجاء (فمشى معها من أهلها) .

(فَلَهُ قِيرَاطٌ) أى ثوابه على حضوره الجنازة حتى الصلاة قيراط

يقول المحب الطبري : ومقتضى الحديث أن القيراط يخص من حضر من أول الأمر إلى انقضاء الصلاة ... والذي يظهر لي أن القيراط يحصل لمن صلى فقط ، لأن كل ما قبل الصلاة وسيلة إليها لكن يكون قيراط من صلى فقط أصغر من قيراط من انتظر وشيع وصلى ، ومما يدل على تفاوت القراريط قوله ﷺ : (أصغرهما مثل أحد)^(٣)^(٤) ويؤيد هذا

(١) مسند أحمد بن حنبل ، مسند أبي سعيد الخدري ، حديث رقم : ١٠٩٩٩ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب فضل الصلاة على الجنازة، حديث : ١٦٢٥

(٣) صحيح مسلم ، كتب الجنائز باب فضل الصلاة على الجنازة ، حديث رقم : ١٦٢٢ .

(٤) فتح الباري ج ٣ ص ١٩٧ .

قول النبي ﷺ : (من صلى على جنازة ولم يتبعها فله قيراط) ^(١)، وقوله ﷺ : (من صلى ولم يتبع فله قيراط) ^(٢)

والقيراط قدر معين من المال أو من الأرض أو من الأجر ، فهو في المال نصف سدس الدرهم ، أو نصف عشر الدينار ، وفي الأرض جزء من أربعة وعشرين من شيء أكبر كما هو في الشام ومصر .
والإشارة بالقيراط لبيان مقدار الأجر المتعلق بالميت في تجهيزه والصلاة عليه ودفنه وجميع ما يتعلق به .

وذكر رسول الله ﷺ القيراط تقريبا للفهم لأن الناس تعرفه وتعمل العمل الذي يقابله ، فضرب به المثل ليعلم ما يقابله .
وقد ورد ذكر القيراط في عدة أحاديث

- قوله ﷺ : (إنكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط) ^(٣)

- وقوله ﷺ : (ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم " ، فقال أصحابه :

وأنت ؟ فقال ﷺ : " نعم ، كنت أرهاها على قراريط لأهل مكة " ^(٤)

ومنها ما يحمل على مقدرا الأجر مثل حديث ابن عمر م في

الذين أوتوا الكتاب : (فاعطوا قيراطا قيراطا) ^(٥)

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب فضل الصلاة على الجنازة ، حديث رقم : ١٦٢٢ .

(٢) مصنف عبد الرزاق الصنعاني ، كتاب الجنائز ، باب فضل اتباع الجنازة ، حديث : ٦٠٦٩

(٣) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر ، حديث : ٤٧٢٠

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الإجارة ، باب رعي الغنم على قراريط .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب .

ومنه قيراط الحسنات وقيراط السيئات ، وقد بين النبي ﷺ أن القيراط
مثل جبل أحد ، والمراد أنه يقدر بمقدار كبير من الأجر .

أراد النبي ﷺ تعظيم الثواب فمثله للعيان بأعظم الجبال خلقا
وأكثرها إلى النفوس المؤمنة حبا ، وأوضحها عند المخاطبين معرفة ،
وأكتفى بذكر القيراط وهو جزء صغير من شيء كبير لأنه كان أقل ما تقع
به الإجارة في ذلك الوقت ، أو لأن ذلك جرى مجرى العادة من تقليل
الأجر بتقليل العمل .

(وَمَنْ شَهِدَ حَتَّى تُدْفَنَ كَانَ لَهُ قِيرَاطَانِ) أي ومن اتبعها بعد الصلاة حتى
تدفن فله قيراطان ، ظاهره أن حصول القيراط الثاني متوقف على الفراغ
من الدفن وهو أصح الأقوال ، وقد ذهب البعض إلى حصول القيراط
بمجرد الوضع في اللحد قبل إهالة التراب .

فإن قيل : ما عدد القراريط لمن شهد الجنازة من بيتها وصلى عليها
واتبعها حتى يتم دفنها ؟

أقول : ذهب بعض المتقدمين إلى أن في كل عمل من أعمال
الجنازة أجرا مستدلا بقوله ﷺ : (من أتى جنازة في أهلها فله قيراط ،
فإن اتبعها فله قيراط ، فإن صلى عليها فله قيراط ، فإن انتظرها حتى
تدفن فله قيراط)

فهذا يدل على أن لكل عمل من أعمال الجنازة قيراطا وإن اختلفت
معايير القراريط ، وإنما خصص الحديث قيراطا الصلاة والدفن بالذكر
لكونهما المقصودين بخلاف باقي الأعمال فإنها وسائل .

فإن قيل : هذا يخالف ظاهر حديث الباب فقد ذكر قرطين فقط ؟

أقول : إن موضوع حديث الباب خاص بمن شهد ، والحديث الآخر خاص بمن باشر الأعمال التي يحتاج إليها الميت ، فافترقا في الموضوع فلا منافاة بينهما .

واشترط الفقهاء على أن تكون الصلاة والمتابعة خاصة لوجه الله تعالى لقوله ﷺ : (من اتبع جنازة مسلم ، إيماناً واحتساباً ، وكان معه حتى يصلى عليها ويفرغ من دفنها ، فإنه يرجع من الأجر بقيراطين ، كل قيراط مثل أحد)^(١)

(قيل: وَمَا الْقَيْرَاطَانِ) يا رسول الله ؟ وقد بينته رواية ابي عوانة أنه هو السائل فقد جاء عنه : قلت : (وما القيراط يا نبي الله)^(٢)
(قَالَ ﷺ : مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ) كل منهما في عظمة جبل أحد ، وقد جاءت روايات تؤكد هذا ... ومنها :

- (فله قيراطان من الأجر كل واحد منهما أعظم من أحد)^(٣)

- (كان له قيراطان من أجر ، كل قيراط مثل أحد)^(٤)

وفي الحديث الثاني : يقول نافع مولى ابن عمر **م** (حَدَّثَ ابْنُ عُمَرَ)

أي قيل لابن عمر **م** بالبناء للمجهول بلا تسمية من حدث ابن عمر **م**
إلا أن مسلم ذكر أنه خباب بن الارت ﷺ وذكر الترمذي أنه أبو سلمة ﷺ

(١) صحيح البخاري ، كتاب : الإيمان ، باب اتباع الجنائز من الإيمان .

(٢) مسند الشاميين للطبراني ، حديث رقم : ٢٧٧٥ .

(٣) السنن الصغرى للنسائي ، كتاب الجنائز ، باب ثواب من صلى على جنازة : ١٩٨٠ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب فضل الصلاة على الجنائز ، حديث رقم : ١٦٢٥

(أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: مَنْ تَبَعَ جَنَازَةً فَلَهُ قِيرَاطٌ) أي إن أبو هريرة رضي الله عنه يقول ذلك من تلقاء نفسه لأنه لم يصرح بالسماع ، إلا أن مسلماً صرح بأنه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عن نافع قال : (قيل لابن عمر م : إن أبا هريرة رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من تبع جنازة فله قيراط من الأجر " فقال ابن عمر : أكثر علينا أبو هريرة ، فبعث إلى عائشة رضي الله عنها ل يسألها ، فصدقت أبا هريرة فقال ابن عمر : " لقد فرطنا في قراريط كثيرة " ^(١)

(فَقَالَ) ابن عمر م (أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَلَيْنَا) ، أي أنه قال كلاماً قائماً على النسيان أو السهو ، لأنه لم ينقل أنه رفعه . ومعنى (أَكْثَرَ عَلَيْنَا) أكثر علينا ذكر الأجر ، أو كثرة الحديث ، وكأنه خشي من كثرة روايات أبي هريرة أنه يشتبه عليه بعض الأمر ، فبعث ابن عمر م خباباً إلى عائشة رضي الله عنها ل يسألها عن الحديث (فَصَدَّقَتْ) عائشة ل أبا هريرة رضي الله عنه ، ووقع في رواية الوليد بن عبد الرحمن (فقام أبو هريرة فأخذ بيد ابن عمر م حتى انطلق به إلى عائشة رضي الله عنها ل ، فقال لها أبو هريرة رضي الله عنه : أنشدك بالله ، أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من تبع جنازة فصلى عليها فله قيراط ، وإن شهد دفنها فله قيراطان والقيراط أعظم من أحد ، فقالت عائشة رضي الله عنها ل : اللهم نعم ، فقال أبو هريرة رضي الله عنه : إنه لم يكن يشغلني غرس الودي ولا صفق بالأسواق ، إنما كنت أطلب

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب فضل الصلاة على الجنازة وإتباعها ، حديث رقم :

من رسول الله ﷺ أكلة يطعمنيها أو كلمة يعلمنيها ، فقال له ابن عمر م : أنت يا أبا هريرة كنت ألزمتنا لرسول الله ﷺ وأعلمنا بحديثه (١).

فقال ابن عمر م : (لَقَدْ فَرَطْنَا فِي قَرَارِيْطٍ كَثِيْرَةٍ) أى ضيعنا كثيرا من القرائط من عدم المواظبه على حضور الدفن .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

من حق المسلم على أخيه المسلم تشييع الجنازة ، وقد شرعها الإسلام فرض كفاية لا بد منها ، ومحافظة على حق الميت ، وصيانة حرية الإنسان جعل الله تعالى لمن يشهد الجنازة ويتبعها ، ويصلي عليها ، و يدفنها أجرا جزيلا ... ولما كان التشييع الكامل الشامل لكل أعمال الجنازة لا يستطيعه كل إنسان فقد بينت أحاديث الباب تجزئة الجزاء ووزعتها على أعمال الصلاة ، ولم يجعل الله تعالى القيراط لمن أدى كل أعمال الجنازة ، وإنما جعل لمن أتى الجنازة في أهلها قيراطا ، ولمن اتبعها قيراطا ، ولمن صلى عليها قيراطا ، ومن دفنها قيراطا ...

وقد استدل الأحناف بقوله ﷺ (من تبع جنازة) على أن المشي

خلف الجنازة أفضل من المشي أمامها لأن ذلك هو حقيقة الاتباع .
وذهب الجمهور إلى ترجيح المشي أمام الجنازة ، وفسروا الاتباع بالمصاحبة ، وهو قول المالكية والشافعية والحنابلة .

والأولى التوسعة في ذلك منعا للتضييق على الناس ، والمهم القرب من الجنازة ؛ لأن البعيد عنها لا يكون مشيعا لها .

(١) مصنف عبد الرزاق الصنعاني ، كتاب الجنائز ، باب فضل اتباع الجنائز ، حديث : ٦٠٦٨

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب ضرورة تشيع الجنازة ومصاحبتها في كل الأعمال التي تحتاجها ؛ لأن في ذلك عزاء للأحياء ، وحفاظا على حق الأموات .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب الركائز الآتية : -

الركيزة الأولى

الاهتمام بالميت

إذا مات الميت وجب على الأحياء تجهيزه ، والصلاة عليه ، ودفنه ، والدعاء له ، والمكث عند القبر بعد دفنه قدر ذبح جزور ، وسلخه ، وتقطيعه ، وطبخه ، والأكل منه ، ومداومة قراءة القرآن الكريم له ، وتنفيذ وصاياه ، واتباع منهجه الذي دعاهم إليه ، وبهذه الأمور المشروعة يعيش الحي في خدمة الميت ، ويستمر التواصل بينهما إلى أن يلتقيا في رحاب الله تعالى .

الركيزة الثانية

جزاء الأحياء من خدمة الموتى

حق المسلم على أخيه أن يجهزه ، ويصلي عليه ، ويتبع جنازته ، ويقوم حتى يتم دفنه ، وتلك أعمال لا بد منها للميت ، وحتى يقوم الأحياء بها أجزل الله لهم المثوبة عليها ، فجعل لمن يحضر للبيت قيراطا ، ولمن يصلي عليه قيراطا ، ولمن يسير معه قيراطا ، ويدفنه ويقوم على القبر قيراطا آخر ، وهكذا يكون الجزاء في كل جزئية قام بها الحي في خدمة

الميت .

إن الإسلام يكرم الإنسان في حياته وموته ، ورحمة الله وسعت كل شيء .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الأحاديث

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية : -

- ١- جواز تقريب الثواب للميت بما يمكنه من قول أو عمل .
- ٢- تكريم الميت حق له يبدأ من الاحتضار ، ويمتد حتى يتم دفنه .
- ٣- الأحكام الشرعية تحتاج لتفصيل وإحكام .
- ٤- من المهم أن يراجع الإنسان نفسه بعد علمه بحكم ما .

- ١١ -

٢٠ - باب فيمن يثنى عليه خير أو شر

من الموتى

حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، قَالَ : مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَثْنُوا عَلَيْهَا خَيْرًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : وَجَبَتْ . [٥٥٣]، (١) ١٣٦٧

ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنُوا عَلَيْهَا شَرًّا ، فَقَالَ ﷺ : وَجَبَتْ .

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه ، مَا وَجَبَتْ ؟ .

قَالَ ﷺ : هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ

عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ^(١) .

- أ -

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب أن شهادة الناس على واحد بعد موته مقبولة وثابتة

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه : (مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَثْنُوا عَلَيْهَا خَيْرًا) أي مر

الصحابه رضوان الله عليهم بجنائزه على رسول الله ﷺ فأثنوا عليها خيرا

عند رسول الله ﷺ فعن النضر بن أنس ، عن أبيه أنس م ، قال :

أنس (كنت قاعدا مع النبي ﷺ فمر بجنائزه ، فقال ﷺ : " ما هذه ؟ "

قالوا : جنائزه فلاني الفلان كان يحب الله ورسوله ، ويعمل بطاعة الله ،

(١) أخرجه البخاري في: ٢٣ كتاب الجنائز: ٨٦ باب ثناء الناس على الميت ، وللحديث رواية

أخرى في البخاري تحت رقم : ٢٦٤٢ ..

ويسعى فيها، فقال رسول الله ﷺ : وجبت ، وجبت ، وجبت (١).

وقيل : قال بعضهم : لنعم المرء ... وقال بعضهم : لقد كان عفيفا مسلما
(فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : وَجَبَتْ) أي ثبتت هذه الشهادة .

(ثُمَّ مَرُّوا) على رسول الله ﷺ وعنده بعض أصحابه (بِأُخْرَى فَأَتَوْا عَلَيْهَا
شَرًّا) أي وصفها الحاضرون لرسول الله ﷺ بالشر و السوء ، واستعمال
الثناء مع الشر من باب المشاكلة فلا ثناء على الشر .

(فَقَالَ ﷺ : وَجَبَتْ)

(فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ؓ ، مَا وَجَبَتْ؟) أي ما مرادك يا رسول الله
بالوجوب الذي ذكرته مع الجنازتين ؟

(قَالَ ﷺ : هَذَا أُتْنِيَتْ عَلَيْهِ خَيْرًا فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ، وَهَذَا أُتْنِيَتْ عَلَيْهِ شَرًّا
فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ) أي ثبتت الجنة والنار وفق قولكم وشهادتكم .

ومعنى (وَجَبَتْ) أي ثبتت لأن الله تعالى لا يجب عليه شيء (أَنْتُمْ شُهَدَاءُ
اللَّهِ فِي الْأَرْضِ) أي أنتم أيها الصحابة شهداء الله في الأرض ، ومن
سيكون مثلكم من المتقين الصالحين شهداء بعدكم .

ويبدو أن الرجل الذي أثوا عليه خيرا كان صالحا ، لأن النبي ﷺ صلى
عليه ، وأن الذي وصفوه بالشر كان منافقا ، لأن النبي ﷺ لم يصل عليه.

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يبين الحديث ارتباط عمل الأفراد بأعمال المجتمع الواسع ، وأعمال كل

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ، كتاب الجنائز حديث رقم : ١٣٣٢ .

فرد معلومة معروفة للآخرين ، ولذلك ثبتت شهادة الأحياء على من مات منهم .

ولا يجوز قبول ثناء الحي على مثله ، لئلا يفضي إلى الزهو والكبر ، وقد أجاز الإسلام على الأحياء الشهادة للأموات ، ومنع الثناء على الأحياء إلا لفائدة تعود على الآخرين ، كأن يمدح عالما بعلمه ، أو صالحا بصلاحه ، على أن يترك حقيقة الوصف لله تعالى ويكتفي بقوله : (أحسب فلانا ، والله حسيبه ، ولا أزكي على الله أحدا) ^(١)

وأما المدح لغير سبب وبصورة قاطعة فقد نهى الله تعالى عنه بقول النبي ﷺ : (لا تطروني ، كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبده ، فقولوا عبد الله ، ورسوله) ^(٢)

وفي الحديث : (أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثي في وجوه المداحين التراب) ^(٣) .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب فائدة عمل الميت في خدمة الناس ، ونصحهم والسعي في مصالحهم ، فهم يشهدون له والله تعالى يأخذ بشهادتهم .

- ه -

ركائز الدعوة في حديث الباب

يتضمن حديث الباب ركيزة هامة ... هي : -

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب في قول الرجل ويلك .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قوله تعالى وأذكر في الكتاب .

(٣) صحيح مسلم كتاب الزهد و الرقاق ، باب النهي عن المدح ، حديث رقم : ٥٤٣٣ .

السنة الخلق أقلام الحق

يعيش الإنسان بين أهله وذويه ويتعامل من سائر الناس ، ويظهر أمامهم بخلقه ، وصدقه ، وحسن تعامله وإن كان غير هذا عرفوه عنه ولذلك كان رأيهم فيه بعد موته شهادة له تشير إلى قدره بعد الموت . وعدت شهادتهم موافقه للواقع إذا كان الأفراد ملتزمين أسوياء متمسكين بدين الله تعالى ، وحثه على الصدق والأمانة ، حينئذ يصدقون في شهادتهم ، ومن المحال أن يجتمعوا على ضلالة ، وعد قولهم شهادة صدق على غيرهم ، ولذلك أقر رسول الله ﷺ لأصحابه ما شهدوا به عن أموات مروا أمامه ، وقال لهم : (أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ) أما إذا فسد الحال وظهر الفساد ، وعمت الأخلاق السيئة فلا اعتبار بأقوال المفسدين . وعلى الإنسان في حياته أن يكون حسن المعاملة مع الناس وأن يحافظ على حقوقهم ، ويكون عوناً لهم ، ومشاركاً في معاناتهم ومساعدتهم ليشهد الناس له بالخير عند الله تعالى .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد حديث الباب

نستنبط من الحديث الفوائد التالية : -

- ١- لا تجتمع أمة الإسلام على ضلالة .
- ٢- ضرورة فهم الطالب ما يسمعه ، وله أن يسأل عما يغيب عنه معناه .
- ٣- المسلمون أمة واحدة يجمعهم النصيح والتعاون .

- ١٢ -

٢١ - باب ماجاء فى مستريح
ومستراح منه

حديث أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ [٥٥٤]، (١)

مَرَّ عَلَيْهِ بِجَنَازَةٍ فَقَالَ ﷺ : مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاخٌ مِنْهُ قَالُوا: يَا

٦٥١٢

رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاخُ مِنْهُ ؟

قَالَ ﷺ : الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا

إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ

وَالشَّجَرُ وَالِدَوَابُّ (١) .

- أ -

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب أن الإنسان يموت يستريح ويريح فان كان مؤمنا

يستريح من عناء الدنيا وإن كان منافقا فاجرا يستريح المؤمنون منه .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يؤكد أبو قتادة بن ربعي الأنصارى رضي الله عنه (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَيْهِ

بِجَنَازَةٍ) أى مر أصحابه بجنازة أمامه ولم يذكر أحد اسم المار ولا اسم

الممرور به فقال ﷺ (مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاخٌ مِنْهُ) والواو للتقسيم ، أى هو

يستريح أو يستراح منه (قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاخُ مِنْهُ ؟)

(قَالَ ﷺ : الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا ، وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ

(١) أخرجه البخاري في: ٨١ كتاب الرقاق: ٤٢ باب سكرات الموت ، وللحديث رواية أخرى في

البخاري تحت رقم ٦٥١٣ .

اللَّهُ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ)

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

أشار النبي ﷺ إلى انقسام الناس إلى فريقين باعتبار عملهما في الدنيا ، فالكل إما مستريح وإما مستراح لأنها لا تتعلق بتقوى أو بفجور ، فإن كان من أهل التقوى ازداد ثوابا بالصبر والتحمل ، وكفر الله عنه بقدر ذلك ثم يستريح من أذى الدنيا الذي هذا خاتمته ، يقول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (ما أحب أن يهون علي سكرات الموت لأنه آخر ما يؤثر عليه المؤمن ويكفر به عنه)^(١). ومع ذلك فالذي يحصل للمؤمن من البشرى ومسرة الملائكة بقاءه ورفقهم به ، وفرحه بقاء ربه يهون عليه كل ما يحصل له من ألم الموت حتى يصير كأنه لا يحس بشيء من ذلك فيستريح ، أما الفاجر فإنه يعيش سكرات الموت وينال جزاءه من عذاب القبر وعذاب جهنم ، ويستريح الناس من شروره التي تصيب البلاد والعباد والشجر والدواب .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب أن الانسان يموت ويستريح من عناد الدنيا إن كان مؤمنا ، ويستريح الناس منه إن كان فاجرا .

- ه -

ركائز الدعوة في حديث الباب

يتضمن حديث الباب ركيزة هامة ... هي : -

(١) شعب الإيمان للبيهقي ، فصل في الصبر عند المصائب ، حديث رقم : ٩٨٢٦ .

في الموت راحة في بعض الأحيان

فاجأ الرسول ﷺ أصحابه يوماً حينما رأى جنازة تمر عليه ، فقال لأصحابه : (مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاخٌ مِنْهُ) فتعجب أصحابه مما سمعوا وسألوه عن معناها ، فقال لهم ﷺ إن الميت إذا كان صالحاً فهو يستريح من عناء الدنيا ، ويتمتع بثواب عمله عند الله تعالى ، وأما إذا كان غير صالح فغيره يستريح منه بعد موته ، وعند حمله إلى القبر .
وهذا شأن يدعو المسلمين إلى الاستقامة ، ومداومة العمل الصالح ، لينال الخير في الدنيا ، ويسعد بالنعيم في الآخرة

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من حديث الباب الفوائد التالية :-

- ١- المؤمن يسعد بعمله في الدنيا وفي الآخرة .
- ٢- الأعمال هي التي تحدد مسار صاحبها عند الله تعالى .
- ٣- خير الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت .

- ١٣ -

٢٢ - باب في الصلاة على الغائب

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَعَى النَّجَاشِيَّ فِي
[٥٥٥]، (١) ١٢٤٥
الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ، خَرَجَ إِلَى الْمُصَلَّى فَصَفَّ بِهِمْ ، وَكَبَّرَ
أَرْبَعًا ^(١) .

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ : نَعَى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
[٥٥٦]، (٢) ١٣٢٧
النَّجَاشِيَّ ، صَاحِبَ الْحَبَشَةِ ، الْيَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ، فَقَالَ ﷺ :
اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُم ^(٢) .

حديث جَابِرٍ رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى عَلَى أَصْحَمَةَ النَّجَاشِيَّ
[٥٥٧]، (٣) ١٣٣٤
فَكَبَّرَ أَرْبَعًا ^(٣)

حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : قَدْ تُوفِّيَ
[٥٥٨]، (٤) ١٣٢٠
الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ مِنَ الْحَبَشِ ، فَهَلُمَّ فَصَلُّوا عَلَيْهِ قَالَ : فَصَفَّفْنَا ،
فَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ ، وَحَنُ صُفُوفٌ ^(٤)

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث كيفية الصلاة على الميت ، وجواز الصلاة على الغائب

(١) أخرجه البخاري في: ٢٣ كتاب الجنائز: ٤ باب الرجل ينعى إلى أهل الميت بنفسه ،
وللحديث روايات أخرى في البخاري تحت أرقام : ١٣١٨ ، ١٣٢٨ ، ١٣٣٣ ، ٣٨٨٠ ،
٤٨٨١ .

(٢) أخرجه البخاري في: ٢٣ كتاب الجنائز: ٦١ باب الصلاة على الجنائز بالمصلى والمسجد .

(٣) أخرجه البخاري في: ٢٣ كتاب الجنائز: ٦٥ باب التكبير على الجنازة أربعا .

(٤) أخرجه البخاري في: ٢٣ كتاب الجنائز: ٥٥ باب الصفوف على الجنازة .

- ب -

الدلالات الغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على أربع أحاديث توضح جواز صلاة الغائب .

ففى الحديث الأول يؤكد أبو هريرة رضي الله عنه (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَعَى

النَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ) أى أعلم الرسول ﷺ أصحابه بموت النجاشي فى اليوم الذى مات فيه بعدما أخبره الوحي بذلك ، وهذا دليل على أن النعى ليس ممنوعا ، وهو إعلام الناس بموت الغريب ليشهدوا جنازته ، والصلاة عليه ، ودفنه ، والدعاء له ، وتنفيذ وصاياه وما يترتب على علمهم من الأحكام ، وعلى هذا فمجرد الإعلام بالوفاة لا بأس به فإن زاد عن الإعلام فهو مكروه .

قال ابن العربى : يؤخذ من مجموع الأحاديث ثلاث حالات للنعى :-

الأولى : إعلام الأهل والأقارب وأهل الصلاح فهذه سنة .

الثانية : دعوة الأهل للمفاخرة فهذه تكره .

الثالثة : الأعلام بشيء آخر كالنيابة أو نحوها فهذا محرم .

ثم دعى الناس إلى الخروج ثم (خَرَجَ إِلَى الْمُصَلَّى فَصَفَّ بِهِمْ وَكَبَّرَ أَرْبَعًا) أى صلى بهم صلاة الغائب .

وأما الحديث الثانى يقول أبو هريرة رضي الله عنه (نَعَى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

النَّجَاشِيَّ، صَاحِبَ الْحَبَشَةِ الْيَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَقَالَ: اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ) أى أنه ﷺ نعى النجاشي لأصحابه فى المدينة فى اليوم الذى مات فيه ، وأمرهم بأن يستغفروا له .

وفى الحديث الثالث: يؤكد جابر رضي الله عنه (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى عَلَى أَصْحَمَةَ

النَّجَاشِيَّ، فَكَبَّرَ أَرْبَعًا) أي إنه ﷺ نعى النجاشي - رحمه الله - وصلى عليه صلاة الغائب أربع تكبيرات .

وفي الحديث الرابع : يقول جابر بن عبد الله ﷺ (قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : قَدْ تُوْفِّيَ الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ مِنَ الْحَبَشِ) أي مات اليوم عبد صالح من الأحباش هو أصحمة النجاشي (فَهَلُمُّ فَصَلُّوا عَلَيْهِ) أي تعالوا فصلوا عليه ، يقول جابر ﷺ (فَصَفَّفْنَا) خلف النبي ﷺ (فَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ) صلاة الغائب ونحن صفوف خلفه .

والأحاديث الأربع تبين مشروعية صلاة الغائب ، وإباحة الإعلام بالوفاة

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تبين الأحاديث وجوب الصلاة على الميت بعد تغسيله ودفنه ، ولو كانوا جمعاً يصلون عليهم بصلاة واحدة ، وهي فرض على الكفاية عند الجمهور وعامة فقهاء السلف والخلف ، ما عدا " اصبغ " فقد ذهب لى أنها سنة على الكفاية .

وذهب الجمهور إلى أن الجماعة ليست شرطاً في أدائها خلافاً للمالكية الذين جعلوا الجماعة شرطاً في صحتها .

وأجمع الفقهاء على شروط صحة الصلاة وهي :-

١- تحقيق الطهارة الحسية والحكمية .

٢ - ستر عورة الميت .

٣- استقبال القبلة أثناء الصلاة .

٤ - إسلام الميت .

- ٥- طهارته .
 - ٦- حضور الميت .
 - ٧- تقديمه امام المصلين .
 - ٨- وضعه على الأرض .
 - ٩- وبلوغ الإمام .
 - ١٠- ووقوفه في محاذاة الميت ، ولو بجزء من الميت .
- واستثنى الشافعية والحنابلة من الشروط المذكورة حضور الميت ، وأجازوا الصلاة على الغائب .
- كما استثنى المالكية والشافعية شرط وضعه على الأرض .
- أما كيفية الصلاة على الميت وهيئتها فقد سماها الفقهاء بالتكبيرات الأربع ، لأنها خالية من الركوع والسجود .
- وأركان التكبيرات الأربع هي كما يلي : -
- ١- القيام لها : وقد أجمع الفقهاء على هذا الركن ، فلا تصح من القاعد أو الراكب إلا لعذر قاهر .
 - ٢- النية : وقد اشترطها الشافعية والمالكية ، وجعلوها ركنا من أركان الصلاة على الميت ، ورأى الأحناف والحنابلة أن النية مندوبة .
 - ٣- التكبيرات الأربع : أجمع الفقهاء على أن تكون صلاة الجنازة أربع تكبيرات ، ولا يرفع المصلي يده إلا في التكبيرة الأولى عند الأحناف والمالكية ... وقال الحنابلة والشافعية يسن رفع اليدين في كل تكبيرة ، ففي التكبيرة الأولى يرفع المصلي يده ويثني على الله بقوله : " سبحانك اللهم وبحمدك ، تبارك اسمك ، وتعال جدك ،

لا إله غيرك " كما قال الأحناف . وذهب الشافعية إلى أنه لا استفتاح في صلاة الجنازة ، فجعلوا قراءة الفاتحة شرطاً بعد التكبيرة الأولى ، ووافقهم الحنابلة في هذا .

وبعد التكبيرة الثانية يندب حمد الله تعالى والصلاة على النبي ﷺ
وذلك بأجماع الفقهاء ، وتكون الصلاة على النبي ﷺ بالصيغة الإبراهيمية وهي " اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين ، إنك حميد مجيد " (١) .

وذهب الحنابلة إلى أنه لا ثناء بعد التكبيرة الأولى ، وذهب المالكية إلى الثناء على رسول الله ﷺ عقب كل تكبيرة من التكبيرات الأربعة ، وصيغتها عندهم " الحمد لله الذي أمات وأحيا ، والحمد لله الذي يحيي الموت وهو على كل شيء قدير ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين ، إنك حميد مجيد " .

وبعد التكبيرة الثالثة يدعو للميت ولنفسه إن شاء وهو ركن عند الشافعية والحنابلة ، وسنة عند الأحناف ، وإذا دعى لنفسه يقدم نفسه على الميت في إيجاز ولا يتعين شيء من الدعاء سوى كونه يذكر بأمور الآخرة ، وإن دعا بالمأثور فهو أبلغ وأحسن .

أما المالكية فقد ذهبوا إلى الدعاء ركن عقب التكبيرات الأربع على

(١) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة على النبي ﷺ حديث رقم : ٦٤٢ .

النحو الذي سبق ذكره .

وقد انتخب الشافعي - رحمه الله تعالى - دعاء من مجموع الأحاديث وأشار إلى سبقه بدعائين ، وسأذكر الأدعية الثلاثة بعد جمعها في حديث واحد عساها تكون دعاء للميت وسأشير إلى كل دعاء من الثلاثة بشرطة قبله ، وها هي بعد جمعها

- **اللهم اغفر لحينا وميتنا ، وشاهدنا وغائبنا ، وصغيرنا وكبيرنا ، وذكرنا وأنثانا ، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان ، اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تضلنا بعده ^(١)**

- **اللهم ، اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه ، وأكرم نزله ، ووسع مدخله ، واغسله بالماء والثلج والبرد ، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله دارا خيرا من داره ، وأهلا خيرا من أهله ، وزوجا خيرا من زوجته ، وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر - أو من عذاب النار - ^(٢)**

- **اللهم عبدك وابن عبدك خرج من روح الدنيا وسقمها ومحبوبها وأحبائه فيها ، إلى ظلمة القبر ، وما هو لاقيه ، كان يشهد أن لا إله إلا أنت ، وأن محمدا عبدك ورسولك ، وأنت أعلم به ، اللهم نزل بك وأنت خير منزل به ، وأصبح فقيرا إلى رحمتك**

(١) سنن ابن ماجه ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في الدعاء في الصلاة على الجنازة ، حديث رقم : ١٤٩٣ ، وإلى هنا ينتهي الدعاء الأول وقد اختاره الإمام أبو حنيفة .

(٢) صحيح الإمام مسلم ، كتاب الجنائز ، باب الدعاء للميت في الصلاة ، حديث : ١٦٥٣ .

وأنت غني عن عذابه ، وقد جنناك راغبين إليك شفعاء له ،
اللهم فإن كان محسنا فزد في إحسانه ، وإن كان مسيئا فتجاوز
عنه وبلغه رحمتك برضاك ، وقله فتنة القبر وعذابه ، وأفسح له
في قبره ، وجاف الأرض عن جنبه ، ولقه برحمتك الأمن من
غير عذابك حتى تبعثه إلى جنتك يا أرحم الراحمين ^(١).

وينبغي ان يلاحظ المصلي في دعائه التذكير والتانيث ، والإفراد
والتثنية والجمع وإن كان الموتى جماعة من الرجال والنساء غلب التذكير
في خطابه ، وإذا كان المصليات من النساء وقفت المرأة وسطهن .

وبعد التكبيرة الرابعة يقول : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ
حَسَنَةٌ وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ ^(٢) عند الأحناف وقال الشافعية والمالكية بالدعاء
القصير بعد التكبيرة الرابعة ويقول : " اللهم اغفر لأسلافنا وأقراطنا ومن
سبقونا بالإيمان ، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإيمان ، ومن أمته
فأمته على الإسلام ، واغفر للمسلمين والمسلمات " ثم يسلم
ومن القضايا الهامة التي لها صلة بالموتى بيان وصول ثواب
أعمال الأحياء إليهم .

فقد تبين أن الصدقة الجارية والولد الصالح تبقى آثارها للميت بعد موته
أما الأعمال الخيرية التي يقيمها الأهل والأقارب لإثابة الميت فقد
اختلف فيها الفقهاء .

(١) معرفة السنن والآثار للبيهقي - كتاب الجنائز ، باب التكبير على الجنائز وغير ذلك ،
حديث رقم : ٢٢٧٨ إلى هنا ينتهي الدعاء الذي انتخبه الشافعي رحمه الله .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٠١ .

فقال أهل السنة بنفعها للميت .

وقال الشافعية والمالكية بأن ثوابها لا يصل للميت .

يقول ابن قدامة : وأي قرية فعلها الحي وجعل ثوابها للميت تنتفع الميت إن شاء الله تعالى .. أما الدعاء والاستغفار والصدقة وأداء الواجبات فلا أعلم فيها خلافا إذا كانت الواجبات مما يدخلها النيابة ودلل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ ^(١) وبقوله ﷺ : ﴿ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ ^(٢).

وقد دعا النبي ﷺ لكل ميت صلى عليه والأدعية دالة على ذلك ، وأباح لمن سألته عن الحج عن أمها وقالت : (إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت ، أفأحج عنها ؟ قال : " نعم حجي عنها) ^(٣) وقال ﷺ لمن قالت له : (يا رسول الله إن أمي ماتت وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها ؟ قال : نعم) ^(٤).

وجاء في المغني : (إذا قرئ القرآن عند الميت أو أهدي إليه ثوابه ، كان الثواب لقارئه ويكون الميت كأنه حاضرها وترجى له الرحمة) ^{(٥)(٦)}.

(١) سورة الحشر الآية : ١٠

(٢) سورة محمد الآية : ١٩ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب : الحج ، باب الحج والنذور عن الميت .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الصوم باب من مات وعليه صوم .

(٥) المغني ج ٢ ص ٥٦٧ .

(٦) من أراد المزيد فليرجع إلى الموسوعة الفقهية الكويتية فهي مرجعي وفيها تفصيل واسع .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب جواز الصلاة على الغائب ، وتوضح أن صلاة الجنازة أربع تكبيرات لا ركوع فيها ولا سجود

- ه -

ركائز الدعوة في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز أهمها : -

الركيزة الأولى

الترابط بين المسلمين

المسلم لا يعيش وحده وإنما هو فرد في مجتمع كبير يعطيه ويأخذ منه ، وما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط ، يقول الله ﷻ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ^(١) ، وقد حدد الإسلام قواعد التعامل وأقامها على الألفة والمشاركة وتحديد الحقوق وبيان الواجبات ، ولو أنصف الناس لأخذ كل إنسان حقه والتزم بواجبه بلا عناء .

وتتجلى عظمة الإسلام في أحكام الجنائز ، فهي تحافظ على حق الميت ، وتضع الأحياء في إطار واحد يجمعهم في الآلم ، فالمسلم يعزي أخاه ويشاركه في المصيبة ، ويتحمل معه جزءا من المشاكل التي تنزل به ، وإذا اتحد الناس في الضراء فاتحادهم في السراء أيسر .

الركيزة الثانية

دروس وعبر في صلاة الجنازة

كلف الله تعالى المسلمين بالصلاة على من يموت منهم للتذكير بأمور

(١) سورة المائدة الآية : ٢

عدة ... منها : -

أولاً : اللجوء إلى الله تعالى بالدعاء والرجاء فهو مالك الموت والحياة ، وهو الذي يعطي ويمنع ، وتحافظ صلاة الجنازة على ربطها بطاعة الله تعالى ، ففيها الطهارة ، والتوجه للقبلة ، والتكبير ، والدعاء والثناء على الله تعالى وعلى رسول الله ﷺ .

ثانياً : مشاركة الميت في تهيئة حياة أخرى طيبة ، ونسأل الله تعالى له أن يجعل قبره روضة من رياض الجنة .

ثالثاً : الاتصال الذاتي بالنفس ، حيث يعود الأحياء لأنفسهم ويعلمون أنهم سيلقون نفس المصير ، ولا يملكون له رداً ، ولا يعرفون له موعداً ، وكل ما يملكونه هو الرجاء من الله تعالى للميت ولأنفسهم مع الاستعداد العملي لهذا الموعد المحتوم .

رابعاً : الحياة مدة مع فزع الموت وقسوته تبدأ من الإعلام بالموت وتستمر إلى آخر أيام العزاء ، ولذلك اشترط جميع الفقهاء الدعاء للميت ، وفي الدعاء إقرار بالفضل وعبودية الله تعالى وأمل في ثوابه وعطائه .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الأحاديث

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية : -

- ١- يجب الاستفادة بالموت في صناعة الحياة .
- ٢- للموتى حقوق على الأحياء لابد من ادائها .
- ٣- حق المسلم على المسلم ثابت حاضراً كان أو غائباً .

- ١٤ -

٢٣ - باب الصلاة على القبر

حديث ابن عباس م عن سليمان الشيباني رحمه الله قال : (١)، [٥٥٩]

سمعت الشَّعْبِيَّ رحمه الله ، قال: أَخْبَرَنِي مَنْ مَرَّ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ٨٥٧

عَلَى قَبْرِ مَنْبُودٍ فَأَمَّهُمْ وَصَفُّوا عَلَيْهِ .

فَقُلْتُ يَا أَبَا عَمْرٍو: مَنْ حَدَّثَكَ ؟

فَقَالَ: ابْنُ عَبَّاسٍ (١)

حديث أبي هريرة رحمه الله ، أَنَّ أَسْوَدَ ، رَجُلًا أَوْ امْرَأَةً، كَانَ يَقُمْ (٢)، [٥٦٠]

الْمَسْجِدَ فَمَاتَ ، وَلَمْ يَعْلَمْ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِمَوْتِهِ، فَذَكَرَهُ ذَاتَ يَوْمٍ ١٣٣٧

فَقَالَ صلى الله عليه وسلم : مَا فَعَلَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ ؟

قَالُوا: مَاتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

قَالَ صلى الله عليه وسلم : أَفَلَا آذَنْتُمُونِي ؟

فَقَالُوا: إِنَّهُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، قِصَّتُهُ ، فَحَقَرُوا شَأْنَهُ .

قَالَ صلى الله عليه وسلم : فَذَلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ فَأَتَى قَبْرَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ (٢)

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب جواز الصلاة على القبر بعد دفن الميت اتباعا

لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) أخرجه البخاري في: ١٠ كتاب الأذان: ١٦١ باب وضوء الصبيان ومتى يجب عليهم الغسل والطهور وحضورهم الجماعة ، وللحديث روايات أخرى عند البخاري تحت أرقام ١٢٤٧، ١٣١٩ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٦ ، ١٣٣٦ ، ١٣٤٠ .

(٢) أخرجه البخاري في: ٢٣ كتاب الجنائز: ٦٧ باب الصلاة على القبر بعد ما يدفن .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على حديثين يبينان جواز الصلاة على القبر .

ففي الحديث الأول : يروي سليمان الشيباني عن الشعبي رضي الله عنه أنه قال (أَخْبَرَنِي مَنْ مَرَّ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى قَبْرِ مَنْبُودٍ فَأَمَّهُمْ وَصَفُّوا عَلَيْهِ) أي قال الشعبي رضي الله عنه أخبرني صاحبي هو وجماعة أنه مر مع رسول الله ﷺ على قبر وحيد بعيد عن القبور الأخرى ، فجمع النبي ﷺ أصحابه وصفهم ، وأمهم في صلاة الجنازة على هذا القبر ، ولم يحدد المحدثون صاحب هذا القبر ، وإنما صلى النبي ﷺ على صاحب هذا القبر لأنه دفن ليومه ولم يعلم به فصلى عليه ابتداء ، ونظرا لما في هذا الحديث من حكم شرعي فقد إستوثق الشيباني من الشعبي رضي الله عنه ولذلك قال : (فَقُلْتُ يَا أَبَا عَمْرٍو) وهى كنية الشعبي (مَنْ حَدَّثَكَ) أى بهذا الخير ؟.... فقال الشعبي رضي الله عنه (ابْنُ عَبَّاسٍ) وهو من هو فى الصدق والأمانة .

وفى الحديث الثانى : يؤكد أبو هريرة رضي الله عنه (أَنَّ) شخصا (أَسْوَدَ رَجُلًا) كان (أَوْ امْرَأَةً، كَانَ يَقُمُ الْمَسْجِدَ) أى كان يكنس المسجد وينظفه (وَلَمْ يَعْلَمْ النَّبِيُّ ﷺ بِمَوْتِهِ فَذَكَرَهُ ذَاتَ يَوْمٍ) أى تذكره النبي ﷺ بعد غيابه فسأل عنه (فَقَالَ: مَا فَعَلَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ)؟... (قَالُوا: مَاتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ) قال ﷺ (: أَفَلَا آذَنْتُمُونِي) ؟ أى أما كان لكم أن تخبرونى بموته ؟(فَقَالُوا: إِنَّهُ كَانَ كَذَا وَكَذَا) وذكروا قصته وحياته وأنه كان رجلا بسيطا وقالوا عنه (فَحَقَرُوا شَأْنَهُ) فقال ﷺ (: فَذَلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ فَأَتَى قَبْرَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ).

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

أخذ الفقهاء والمحدثون من الأحاديث جواز صلاة الجنازة على الميت في القبر بعد دفنه ، سواء صلى عليه أم لم يصلى عليه ، ويؤكد ذلك قوله ﷺ : (إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها ، وإن الله ﷻ ينورها لهم بصلاتي عليهم) ^(١).

وقد ذهب الجمهور إلى مشروعية الصلاة في القبر ، ومعهم الشافعي وأحمد ومنع الصلاة في القبر أبو حنيفة ومالك والنخعي .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب جواز الصلاة على الميت في القبر بعد دفنه .

- ه -

ركائز الدعوة في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب ركيزة هامة هي : -

المسلمون سواسية عند الله تعالى

الناس جميعا أمام عدل الله تعالى سواء (ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى) ^(٢).

وقد حافظ الإسلام على هذه المساواة في تشريعه للإنسان حيا وميتا ، ففي الدنيا حدد الحقوق والواجبات لكل إنسان مراعيًا الفروق الفردية بين الناس ، وفي الآخرة يقبر الجميع ويسألون ، ولا قيمة لما يقوم به الضلال

(١) صحيح مسلم ، كتاب : الجنائز ، باب الصلاة على الميت ، حديث رقم : ١٦٣٩ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ، مسند الأنصار ، حديث رقم : ٢٢٨٩٤ .

والعصاه بإحاطة موتاهم بالتهليل والمهرجانات ومظاهر السلطان والغنى ،
فكل هذا هباء لا يسمن ولا يغنى من جوع .

إن كل مسلم يسأل عن عمله وإيمانه وسيجزي على ما قدمت يداه ،
وحديث الباب يشير إلى ملمح هام ، فقد رأى ﷺ قبرا منعزلا عن القبور
الأخرى وبه ميت قبر حديثا ، فجمع أصحابه وصلى بهم إماما على
صاحب القبر المنعزل ، ليعلم الناس حق كل ميت في الصلاة عليه ودفنه
، وتركه بين يد خالقه بلا فرق بين الموتى ، لأن الكل أمام عدل الله تعالى
سواء في الدنيا وفي الآخرة .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الأحاديث

نستنبط من الأحاديث الفوائد التالية : -

- ١- الناس سواسية عند الله تعالى في التكليف والجزاء .
- ٢- ضرورة اهتمام الوالي بالناس صغيرهم وكبيرهم .
- ٣- عظمة القيادة المحمدية في المحافظة على حقوق الأموات والأحياء .
- ٤- تذكر أصحاب الفضل ومجازاتهم على قدر الطاقة .

- ١٥ -

٢٤- باب القيام للجنّاة

(١)، [٥٦١] حديث عامر بن ربيعة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : إذا رأيْتُم

الْجَنَازَةَ فَقُومُوا حَتَّى تُخَلَّفَكُمْ ^(١) . ١٣٠٧

(٢)، [٥٦٢] حديث عامر بن ربيعة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : إذا رأى أَحَدُكُمْ

جَنَازَةً ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَاشِيًا مَعَهَا ، فَلْيَقُمْ حَتَّى يُخَلَّفَهَا أَوْ تَخَلَّفَهُ
أَوْ تَوَضَّعَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُخَلَّفَهُ ^(٢) . ١٣٠٨

(٣)، [٥٦٣] حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : إذا رأيْتُم

الْجَنَازَةَ فَقُومُوا ، فَمَنْ تَبِعَهَا فَلَا يَقْعُدْ حَتَّى تَوَضَّعَ ^(٣) ١٣١٠

(٤)، [٥٦٤] حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، قال : مرّت بنا جَنَازَةٌ ، فَقَامَ لَهَا

النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ، وَقَمْنَا بِهِ ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهَا جَنَازَةٌ يَهُودِيٍّ ،
قَالَ : إِذَا رَأَيْتُمُ الْجَنَازَةَ فَقُومُوا ^(٤) . ١٣١١

(٥)، [٥٦٥] حديث سهل بن حنيف وقيس بن سعد عن عبد الرحمن بن

أبي ليلى رضي الله عنه ، قَالَ : كَانَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ م ١٣١٢

قَاعِدَيْنِ بِالْقَادِسِيَّةِ ، فَمَرُّوا عَلَيْهِمَا بِجَنَازَةٍ فَقَامَا .

فَقِيلَ لَهُمَا إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، أَيُّ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ .

(١) أخرجه البخاري في: ٢٣ كتاب الجنائز: ٤٧ باب القيام للجنّاة .

(٢) أخرجه البخاري في: ٢٣ كتاب الجنائز: ٤٨ باب متى يقعد إذا قام للجنّاة .

(٣) أخرجه البخاري في: ٢٣ كتاب الجنائز: ٤٩ باب من تبع جنازة فلا يقعد حتى توضع عن منكب الرجال، فإن قعد أمر بالقيام .

(٤) أخرجه البخاري في: ٢٣ كتاب الجنائز: ٥٠ باب من قام لجنازة يهودي .

فَقَالَا: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّتْ بِهِ جَنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ لَهُ إِنَّهَا
جَنَازَةٌ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ: أَلَيْسَتْ نَفْسًا ^(١) .

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب مشروعية القيام إذا مرت على القاعد جنازة ،
ولو كان صاحبها ذميا .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يشتمل الباب على خمسة أحاديث تبين مشروعية القيام للجنازة إذا
مروا بها على قاعد .

ففي الحديث الأول : يروي عامر بن ربيعة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه
قال : (إِذَا رَأَيْتُمُ الْجَنَازَةَ فَقُومُوا حَتَّى تُخَلِّفَكُمْ) أي إذا رأيتم الجنازة تمر بكم
وأنتم قعود فقوموا لها ، أحتراما للموت ، ومهابة منه ، ولا تقعدوا حتى
تترككم وتخلفكم وراءها .

وفي الحديث الثاني : يروي عامر بن ربيعة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه
قال : (إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ جَنَازَةً، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَاشِيًا مَعَهَا، فَلْيَقُمْ حَتَّى يُخَلِّفَهَا
أَوْ تَخَلِّفَهُ أَوْ تَوَضَّعَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُخَلِّفَهُ) أي إذا شاهد أحدكم جنازة فليتبعتها
، وليبق واقفا حتى توضع في قبرها ، فإن لم يكن ماشيا معها فليقم لها ،
ولا يجلس حتى يخلفها إذا كان ماشيا عكس طريقها ، أو تخلفه إن كان
واقفا ، أو توضع في قبرها إن كان مجاورا للقبر .

(١) أخرجه البخاري في: ٢٣ كتاب الجنائز: ٥٠ باب من قام لجنازة يهودي .

وفي الحديث الثالث : يروي أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إِذَا رَأَيْتُمُ الْجَنَازَةَ فَقُومُوا ، فَمَنْ تَبِعَهَا فَلَا يَفْعُدْ حَتَّى تُوَضَعَ) أي إذا رأيتم الجنازة فقوموا لها ، ولا تقعدوا حتى تخلفكم ، فإن تبعتموها سواء من بيتها أو عند رؤيتكم لها فلا تقعدوا حتى توضع في قبرها .

وفي الحديث الرابع : يقول جابر رضي الله عنه (مَرَّتْ بِنَا جَنَازَةٌ) أي مرت جنازة بعدد منا فيهم رسول الله ﷺ (فَقَامَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَقُمْنَا بِهِ) أي بقيامه اقتداء به ... (فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهَا جَنَازَةٌ يَهُودِيٍّ) وليس مسلما ، وهل نقوم لميت أهل الكتاب كما نقوم لجنازة المسلم ؟ ...
(قَالَ ﷺ : إِذَا رَأَيْتُمُ الْجَنَازَةَ فَقُومُوا) أي إذا رأيتم الجنازة أيا كان دين صاحبها فقوموا لها و"ال" في الجنازة للاستغراق .

وفي الحديث الخامس : يقول عبد الرحمن بن أبي ليلى : (كَانَ سَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ قَاعِدَيْنِ بِالْقَادِسِيَّةِ) بعد فتحها وهي قرية صغيرة قريبة من الكوفة وقعت بها الواقعة المشهورة (فَمَرُّوا عَلَيْهِمَا بِجَنَازَةٍ فَقَامَا) لها (فَقِيلَ لَهُمَا إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ أَيُّ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ) أي إن صاحب الجنازة ليس مسلما لأن المسلمين أقرؤا أهل الذمة على أرضهم .
(فَقَالَا) أي قال سهل بن حنيف ، وقيس بن سعد **م** (إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّتْ بِهِ جَنَازَةٌ فَقَامَ ، فَقِيلَ لَهُ إِنَّهَا جَنَازَةٌ يَهُودِيٍّ) أي فلم تقوم للجنازة وصاحبها يهودي ؟

(فَقَالَ) ﷺ (أَلَيْسَتْ نَفْسًا) ؟ الاستفهام للإنكار عليهم ، ولمعرفة أن القيام لفرع الموت ، ولعظمته .

- ج -

البيان التخليلي لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أن القيام للجنابة سنة عامة لكل نفس مهما كان دين صاحبها ، لأن الموت في حد ذاته يدعو الإنسان إلى ترك الغفلة ، وعدم التساهل بأمر الموت ، ويستوي في ذلك موت الذمي ، وموت المسلم .

وقد اختلف الفقهاء في حكم القيام للجنابة ، فاستحبه كثير من السلف ، وعليه مذهب الإمام أحمد ، وأوجبه بعضهم ، وقال جمهور الفقهاء بمنع القيام للجنابة ^(١) .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب مشروعية القيام للجنابة تقديراً للموت ، وتركها للغفلة عن تذكر الله تعالى ، وتذكر رجوع كل إنسان إليه في وقت لا يعلمه إلا الله تعالى .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب ركيزة هامة ... هي :-

الاعتناظ بالأحداث .

تمضي الحياة كما قدرها الله تعالى ، ويقوم كل مخلوق بدوره الذي قضى الله تعالى له به ، ويتحرك الزمان لحظة بلحظة بأحداثه ، ووقائعه التي تجري في تتابعها وغرائبها ، ومفاجأتها .

(١) فتح المنعم ج ٤ ص ٢٤٦ .

إن الإنسان لا يتحكم في شيء من هذا الوجود إلا بقدر يسير قدره الله تعالى .

إن الإنسان لا يتحكم في الماء ، ولا في الهواء ، ولا في الموت ، ولا في الكائنات البرية والبحرية ، ولا في الطير والهوام ...

ويحاول الإنسان معرفة شيء عن القمر وبعض الكواكب والنجوم ، وكثير من المخلوقات التي تعد بالملايين من المخلوقات ، وكلما وصل لشيء انبهر للقدرة الخارقة التي أوجدت هذه المخلوقات وسيرتها كما تريد ، وتحكمت في بدايتها ونهايتها ، وهبتها لوظيفتها التي خلقت لها ، وكثيرا ما آمن العلماء لإدراكهم أسرار بعض المخلوقات .

إن الزلازل ، والعواصف ، والكوارث ، والمصائب تقع في كل مكان ، ولا يخلو منها زمان ... والواجب أن يفكر العاقل فيما يجري حوله ، ويتدبر فيه ويؤمن ، وأحاديث الباب توجه أنظار الناس إلى حدث هام يعم كل حي ، ويلقاه كل إنسان ... هو الموت .

إن القيام للجنائز أمر مشروع ، وتتبعها أمر مشروع ، والتعزية والدعاء أمر مشروع ، وكل ذلك وغيره دعوة للإنسان ليتأمل في الموت ، وأثره على الناس ، فهو يؤكد نهاية عمر كل مخلوق ، وانتهاء أماله وأحلامه ، ورجوعه إلى الله تعالى ليحاسبه على ما قدمت يداه ، ويتدبر في تعدد صور الموت ، وتنوعه ومجيئه في أوقات لا يصل إليها الإنسان أبدا ..

فشخص يموت طفلا ، وآخر يافعا ، وغيره شابا وشيخا ، وكهلا ، ومن الناس من يرد إلى أرذل العمر .

ومن الناس من يموت بمرض ، أو بحادثة ، أو بلا سبب ، إنه يموت عند أجله الذي قدره الله تعالى له .
يموت الطبيب بالمرض الذي اتقن علمه ، ويتوقف قلب الإنسان عندما يأمره الخالق بالتوقف .
إن القيام للجنائز يؤدي إلى الرهبة من حدوثه ، ويذكر بقدرته الله تعالى ، ويدفع العقلاء إلى العمل والإيمان فالיום عمل ودعاء ، وغدا موت وفناء ، والأمر كله لله تعالى .

- ٩ -

ملحات موجزة في فوائد الأحاديث

نستنبط من أحاديث الباب الفوائد التالية :-

- ١- ضرورة الإيمان بالله تعالى ، خالق الموت والحياة ، الرزاق ، ذي القوة العظيم .
- ٢- العاقل من اتعظ بمخلوقات الله تعالى ، والنظر فيها ، يقول الله ﷻ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ** ^(١).
- ٣- الإيمان التام بأن الموت حق ، والحساب حق ، والجنة حق ، والنار حق .
- ٤- أحداث الحياة خير شاهد يهدي الناس لسواء السبيل .

(١) سورة آل عمران الآية : ١٩٠ .

- ١٦ -

٢٧ - باب أين يقوم الإمام من الميت للصلاة عليه ؟

[٥٦٦]، (١) حديث سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رضي الله عنه قَالَ : صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى

١٣٣٢ امْرَأَةٍ مَاتَتْ فِي نَفْسِهَا ، فَقَامَ عَلَيْهَا وَسَطُهَا ^(١) .

- أ -

موضع حديث الباب

يبين الحديث قيام الإمام للصلاة على الجنازة ، والمكان الذي يقف فيه الإمام بالنسبة للرجل والمرأة .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يقول سمرة بن جندب رضي الله عنه (صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى امْرَأَةٍ مَاتَتْ فِي نَفْسِهَا ، فَقَامَ عَلَيْهَا ، وَسَطُهَا) أي أن المرأة ماتت في مدة نفاسها وبسببه ، وأن النبي ﷺ صلى عليها فقام في وسطها لسترها ، وذلك مطلوب في حقها بخلاف الرجل .

وكان القيام وسط المرأة ضروريا قبل اتخاذ النعش ، أما بعد اتخاذه فساوت المرأة الرجل لوجود الساتر ، وتحقق الستر .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

اختلف الفقهاء في المكان الذي يتخذه الإمام بالنسبة للميت ، فمذهب الحنفية أن الإمام يقوم في الصلاة على الجنازة بحذاء الصدر من الرجل والمرأة ، وهذا أحسن مواقف الإمام من الميت للصلاة عليه ، وإن

(١) أخرجه البخاري في: ٢٣ كتاب الجنائز: ٦٣ باب الصلاة على النفساء إذا ماتت في نفاسها .

وقف في غيره جاز ... وروى الحسن عن أبي حنيفة أنه قال يقوم بحذاء الوسط من الرجل ، وبحذاء الصدر من المرأة ، وهو قول ابن أبي ليلى .
وعند المالكية يندب أن يقف الإمام وسط الذكر ، وحذو منكبي الأنثى .

ومذهب الشافعية أن الإمام يقوم ندبا عند رأس الرجل وعجيزة المرأة وقال **الحنابلة** : يقوم الإمام عند صدر الرجل ، وقيل عند رأسه ، ووسط المرأة ، وبين الوسط والصدر من الأنثى ^(١) .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب المكان الذي يقف فيه الإمام بالنسبة للميت ذكرا كان أو أنثى .

- ه -

ركائز الدعوة والإيمان في حديث الباب

يتضمن حديث الباب ركيزة هامة ... هي : -

مراعاة إنسانية الإنسان بعد الموت

ليس الموت نهاية حياة الإنسان ، بل هو في الحقيقة بداية الحياة ، فعمر الإنسان في الدنيا قصير ، ومتعه خلالها قليل ، والمنغصات والآلام لا تخلو منها الأحداث .

والمذاهب الإنسانية تعتبر موت الإنسان هو النهاية ، لأنهم يكفرون باليوم الآخر ، وليس لهم دين .

أما الإسلام فيقر بحياة الإنسان بعد الموت ، ففي القبر نعيم ورياض ،

(١) الموسوعة الفقهية ص ٢٧

وعذاب وآلام ، وفي الآخرة جنة ونار .
ولذلك يودع الأحياء من المسلمين موتاهم داعين لهم بالخير
والسعادة بعد الموت ، ويصلون عليهم مراعين الستر للنساء ، والدعاء
للموتى جميعا .
إن الإنسان لم يفقد حقيقته ، وسيبعث على ما مات عليه ، والجنة
حق والنار حق .

- ٩ -

لمحات موجزة في فوائد الحديث

نستنبط من الحديث الفوائد التالية :

- ١- الاسلام يحث على احترام إنسانية الإنسان في الدنيا والآخرة .
- ٢- تفاوت تكريم الإسلام للمرأة عن الرجل في الحياة والموت تبعاً لطبيعة كل منهما .

والله ولي التوفيق

**إلى هنا ينتهي الجزء الثالث بحمد الله وفضله
ليبدأ الجزء الرابع - إن شاء الله تعالى -
وأوله كتاب الزكاة**



فهرس الموضوعات

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

فهرس الجزء الثالث

م	رقم الباب	اسم الباب	الصفحة
١	-	المقدمة	٥

- ٦ -

كتاب المساجد ومواضع الصلاة تكملة

٢	٢٠	باب الذكر بعد الصلاة	٩
٣	٢١	باب استحباب التعوذ من عذاب القبر	٢١.١.....
٤	٢٢	باب ما يستعاذ منه في الصلاة	٢.٩.....
٥	٢٣	باب استحباب الذكر بعد الصلاة	٤.٦.....
٦	٢٤	باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة	٦.١.....
٧	٢٥	باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة والنهي عن إتيانها سعيًا	٦٩.....
٨	٢٦	باب متى يقوم الناس للصلاة	٧.٨.....
٩	٢٧	باب من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك تلك الصلاة	٨٥.....
١٠	٢٨	باب أوقات الصلوات الخمس	٨٩.....
١١	٢٩	باب استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر لمن يمضي في جماعة ويناله الحر في طريقه	١٠٠.....
١٢	٣٠	باب استحباب تقديم الظهر في أول الوقت في غير شدة الحر	١٠٩.....
١٣	٣١	باب استحباب التذكير بالعصر	١.١.٣.....
١٤	٣٢	باب التغليظ في تقوية صلاة العصر	١.٢.٤.....

١٥	٣٣	باب الدليل لمن قال: الصلاة الوسطى هي صلاة العصر	١٢٧
١٦	٣٤	باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهم	١٣٩
١٧	٣٥	باب بيان أن أول وقت المغرب عند غروب الشمس	١٥٦
١٨	٣٦	باب وقت العشاء وتأخيرها	١٦٢
١٩	٣٧	باب استحباب التكبير بالصبح في أول وقتها وهو التغليس وبيان قدر القراءة فيها	١٨٠
٢٠	٣٨	باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها	١٩١
٢١	٣٩	باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر	٢٠٤
٢٢	٤٠	باب جواز الصلاة على حصير وخمرة وثوب وغيرها من الطاهرات	٢١٧
٢٣	٤١	باب فضل الجماعة و انتظار الصلاة	٢٢٣
٢٤	٤٢	باب بيان فضل كثرة الخطا إلى المساجد	٢٢٩
٢٥	٤٣	باب المشي إلى الصلاة يمحي به الخطايا وترفع به الدرجات	٢٣٤
٢٦	٤٤	من أحق بالإمامة ؟	٢٤٤
٢٧	٤٥	باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة	٢٥٥
٢٨	٤٦	باب فضل قضاء الصلاة الفائته واستحباب تعجيل قضائها	٢٦٦

- ٧ -

كتاب صلاة المسافرين وقصرها

.....٢٨٥.....	تمهيد	-	٢٩
.....٢٨٦.....	باب قصر صلاة المسافرين	١	٣٠
.....٣٠٦.....	باب قصر الصلاة بمنى	٢	٣١
.....٣٠١.....	باب الصلاة في الرحال في السفر	٣	٣٢
.....٣١٨.....	باب جواز صلاة النافلة على الدابة في السفر حيث توجهت	٤	٣٣
.....٣٢٥.....	باب جواز الجمع بين الصلاتين في السفر	٥	٣٤
.....٣٣٠.....	باب الجمع بين الصلاتين في الحضر	٦	٣٥
.....٣٣٤.....	باب جواز الانصراف من الصلاة عن اليمين أو الشمال	٧	٣٦
.....٣٤١.....	باب كراهية الشروع في النافلة بعد شروع المؤذن	٨	٣٧
.....٣٤٧.....	باب استحباب تحية المسجد بركعتين وكراهية الجلوس قبل صلاتهما وأنها مشروعة في جميع الأوقات	٩	٣٨
.....٣٥٧.....	باب استحباب ركعتين في المسجد لمن قدم من سفر أول قدمه	١٠	٣٩
.....٣٦٥.....	باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان	١١	٤٠
.....٣٧٧.....	باب استحباب ركعتي سنة الفجر والحث عليهما	١٢	٤١
.....٣٨٣.....	باب فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن وبيان عددهن	١٣	٤٢
.....٣٩٢.....	باب جواز النافلة قائما وقاعدا ، وفعل بعض الركعة قائما وبعضها قاعدا	١٤	٤٣

٤٤	١٥	باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ في الليل وأن الوتر ركعة وأن الركعة صلاة صحيحة	٤٠١
٤٥	١٦	باب صلاة الليل مثنى مثنى والوتر ركعة آخر الليل	٤١٧
٤٦	١٧	باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه	٤٢٥
٤٧	١٨	باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح	٤٣٣
٤٨	١٩	باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه	٤٤٧
٤٩	٢٠	باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل	٤٧٠
٥٠	٢١	باب ما روي في من نام الليل أجمع حتى أصبح	٤٧٦
٥١	٢٢	باب استحباب النافلة في بيته وجوازها في المسجد	٤٨٩
٥٢	٢٣	باب أمر من يغشى في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد حتى يذهب عنه ذلك	٤٩٩
٥٣	٢٤	باب الأمر بتعهد القرآن وكراهة قول نسيت آية كذا وجواز قول أنسيتها	٥١٤
٥٤	٢٥	باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن	٥٢٧
٥٥	٢٦	باب ذكر قراءة النبي ﷺ سورة الفتح يوم فتح مكة	٥٣٥
٥٦	٢٧	باب نزول السكينة لقراءة القرآن	٥٤٠
٥٧	٢٨	باب فضيلة حافظ القرآن	٥٥٢
٥٨	٢٩	باب بيان فضل الماهر بالقرآن والذي يتتبع فيه	٥٥٩
٥٩	٣٠	باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل والحقق فيه وإن كان القارئ أفضل من المقرئ عليه	٥٦٥

٥٧١	باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظه للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر	٣١	٦٠
٥٨٢	باب فضل الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة والحث على قراءتهما	٣٢	٦١
٥٩٠	باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ، وفضل من تعلم حكمة من فقه او غيره فعمل بها وعلمها	٣٣	٦٢
٥٩٧	باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف وبيان معناه	٣٤	٦٣
٦٠٨	باب ترتيل القرآن واجتتاب الهدّ وهو الإفراط في السرعة وإباحة سورتين أو أكثر في ركعة	٣٥	٦٤
٦١٥	باب ما يتعلق بالقراءات	٣٦	٦٥
٦٢٠	باب الأوقات التي نهى عن الصلاة فيها	٣٧	٦٦
٦٢٦	باب معرفة الركعتين التي كان يصلّيها النبي ﷺ بعد العصر	٣٨	٦٧
٦٣٨	باب استحباب ركعتين قبل صلاة المغرب	٣٩	٦٨
٦٤٣	باب بين كل آذنين صلاة	٤٠	٦٩
٦٤٦	باب صلاة الخوف	٤١	٧٠

- ٨ -

كتاب الجمعة

٦٦١	تمهيد	-	٧١
٦٦٢	باب الاستعداد ليوم الجمعة	١	٧٢

٧٣	٢	باب وجوب غسل الجمعة على كل بالغ من الرجال وبيان ما أمروا به	٦٧٥
٧٤	٣	باب الطيب والسواك	٦٨٢
٧٥	٤	باب الانصات يوم الجمعة في الخطبة	٦٩٢
٧٦	٥	باب في الساعة التي في يوم الجمعة	٦٩٨
٧٧	٦	باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة	٧٠٣
٧٨	٧	باب صلاة الجمعة حين تزول الشمس	٧١١
٧٩	٨	باب ذكر الخطبتين قبل الصلاة	٧١٥
٨٠	٩	باب في قوله تعالى : وإذا راوا تجارة أو لها	٧٢١
٨١	١٠	باب تخفيف الصلاة و الخطبة	٧٢٧
٨٢	١١	باب التحية و الإمام يخطب	٧٢٩
٨٣	١٢	باب مايقراء في يوم الجمعة	٧٣٥

- ٩ -

كتاب صلاة العيدين

٨٤	-	التمهيد	٧٤٠
٨٥	١	باب الترتيب بين الصلاة والخطبة في العيد	٧٤١
٨٦	٢	باب ذكر إباحة خروج النساء في العيدين إلى المصلى وشهود الخطبة	٧٥٨
٨٧	٣	الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد	٧٦٤

- ١٠ -

باب الاستسقاء

٧٨١	التمهيد	-	٨٨
٧٨٢	باب مشروعية صلاة الاستسقاء	١	٨٩
٧٨٦	باب رفع اليدين بالدعاء في الاستسقاء	٢	٩٠
٧٩١	باب الدعاء في الاستسقاء	٣	٩١
٧٩٩	باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر	٤	٩٢
٨٠٤	باب في ريح الصبا والدبور	٥	٩٣

- ١١ -

كتاب صلاة الكسوف

٨٠٩	التمهيد	-	٩٤
٨١٠	باب صلاة الكسوف	١	٩٥
٨٢٧	باب ذكر عذاب القبر في صلاة الخسوف	٢	٩٦
٨٣٤	باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار	٣	٩٧
٨٤٩	باب ذكر النداء لصلاة الكسوف (الصلاة جامعة)	٤	٩٨

- ١٢ -

كتاب الجنائز

٨٦١	التمهيد	-	٩٩
٨٦٢	باب البكاء على الميت	١	١٠٠
٨٧٦	باب الصبر على المصيبة عند اول الصدمة	٢	١٠١
٨٨٤	باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه	٣	١٠٢

١٠٣	٤	باب التشديد في النياحة	٨٩٩.....
١٠٤	٥	باب نهى النساء عن اتباع الجنائز	٩١٢.....
١٠٥	٦	باب في غسل الميت	٩١٦.....
١٠٦	٧	باب في كفن الميت	٩٢٤.....
١٠٧	٨	باب في تسجية الميت	٩٣٠.....
١٠٨	٩	باب الإسراع بالجنائز	٩٣٣.....
١٠٩	١٠	باب فضل الصلاة على الجنائز واتباعها	٩٣٧.....
١١٠	١١	باب في من يثني عليه خير أو شر من الموتى	٩٤٦.....
١١١	١٢	باب ما جاء في مستريح ومستراح منه	٩٥٠.....
١١٢	١٣	باب في الصلاة على الغائب	٩٥٣.....
١١٣	١٤	باب الصلاة على القبر	٩٦٣.....
١١٤	١٥	باب القيام للجنائز	٩٦٧.....
١١٥	١٦	باب أين يقوم الإمام من الميت للصلاة عليه	٩٧٣.....

تم الفهرس والحمد لله رب العالمين



كتب مطبوعة للمؤلف

الكتب المطبوعة للمؤلف :

- ١- دعوة الرسل إلى الله تعالى .
- ٢- السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي .
- ٣- السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني .
- ٤- القول الدقيق في سيرة وعصر الصديق ﷺ .
- ٥- نظم الدرر في سيرة وعصر عمر ﷺ .
- ٦- حُسن البيان في سيرة وعصر عثمان ﷺ .
- ٧- القول الجلي في سيرة وعصر علي ﷺ .
- ٨- موسوعة في الأديان والنحل (دراسة موسوعية للأديان والمذاهب).
- ٩- الدعوة الإسلامية - أصولها ووسائلها من القرآن الكريم .
- ١٠- الدعوة الإسلامية في العصر الحديث .
- ١١- قواعد علم الخطابة وفقه الجمعة والعیدین .
- ١٢- الخطابة العملية .
- ١٣- النظام السياسي في الإسلام .
- ١٤- النظام الاقتصادي في الإسلام .
- ١٥- النظام الاجتماعي في الشريعة الإسلامية .
- ١٦- أصول الدعوة الإسلامية .
- ١٧- عوامل النجاح من خلال تجربة حياة ، ونماذج رائدة .
- ١٨- الرسالة الغراء في تربية الأبناء .
- ١٩- خيال الروح في زمن الصبان (ديوان شعري كُتب قبل ستين عاما) .
- ٢٠- ركائز القدوة في تفسير الدعوة - المجلد الأول .

- ٢١- ركائز القدوة في تفسير الدعوة - المجلد الثاني .
- ٢٢- ركائز القدوة في تفسير الدعوة - المجلد الثالث .
- ٢٣- ركائز القدوة في تفسير الدعوة - المجلد الرابع .
- ٢٤- ركائز القدوة في تفسير الدعوة - المجلد الخامس .
- ٢٥- ركائز القدوة في تفسير الدعوة - المجلد السادس .
- ٢٦- ركائز القدوة في تفسير الدعوة - المجلد السابع .
- ٢٧- ركائز القدوة في تفسير الدعوة - المجلد الثامن .
- ٢٨- ركائز القدوة في تفسير الدعوة - المجلد التاسع .
- ٢٩- ركائز القدوة في تفسير الدعوة - المجلد العاشر .
- ٣٠- ركائز القدوة في تفسير الدعوة - المجلد الحادي عشر .
- ٣١- ركائز القدوة في تفسير الدعوة - المجلد الثاني عشر .
- ٣٢- ركائز القدوة في تفسير الدعوة - المجلد الثالث عشر .
- ٣٣- ركائز القدوة في تفسير الدعوة - المجلد الرابع عشر .
- ٣٤- ركائز القدوة والإيمان بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان - الجزء الأول .
- ٣٥- ركائز القدوة والإيمان بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان - الجزء الثاني .
- ٣٦- ركائز القدوة والإيمان بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان - الجزء الثالث .

والله ولي التوفيق